

التفسير البسيط

لأبي الحسين علي بن محمد بن محمد بن أبي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي حمزة

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الخامس

سورة آل عمران من أول السورة إلى آية (١٣٨)

تحقيق

الدكتور أحمد بن محمد بن صالح المحمدي

دققه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تُكَيْنُ سَهْوِيْنَ نَزَالِ الْعَتِيْقِيَا

الأستاذ الدكتور

عَبْدُ الْعَزِيْزِ بْنِ سَطَاءِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ السُّعُوْدِي

العبيكان
Abekan

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥ مج.
٥٦٢ ص؛ ١٦، ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٥-٢٨-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٥)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ١٤٦٨هـ (المؤلف).
 ٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سظام.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧، ٢ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ + فاكس: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سظام بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير^(١)

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الْم﴾. اجتمعت القراء على فتح الميم، وإدراج ألف الله في الوصل^(٢)، إلا ما رويت^(٣) شاذًا عن عاصم: أَنَّهُ سَكَنَ الميمَ وَقَطَعَ الألف^(٤).

(١) (تفسير سورة آل عمران) : ساقط من (ج).

(٢) أي بأن تُفتح الميمُ، ولا تظهر همزة اسم الجلالة في الوصل حال النطق. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٣٧٣، والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٢٠٠، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٨/ ٣، وكتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٤٥٥، وإتحاف فضلاء البشر لأحمد البنا ١٧٠. ويجوز لكل القراء في الميم المد والقصر؛ لتغير سبب المد، فيجوز الاعتداد بالعارض وعدمه. انظر: إتحاف فضلاء البشر ١٧٠، والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ٥٨.

(٣) في (ج) و(د): (روي).

(٤) قَطَعَ الألف أي ابتدأ بها. انظر: معاني القرآن للقراء ٩/ ١، والسبعة لابن مجاهد ٢٠٠، والتبصرة لمكي ٤٥٥. وهذه القراءة عن عاصم، رواها ابن مجاهد من طرق عدة عن أبي بكر عنه، كما رويت عن الحسن، وعمر بن عبيد، وأبي جعفر الرؤاسي، والأعمش، والأعشى، والبرجمي، وابن القعقاع. انظر: السبعة ٢٠٠، ومعاني القرآن للقراء ٩/ ١، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٠٧، وعلل الوقوف للسجاوند ١/ ٢٢٠، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٣٧٤. ولكن المعروف والمضبوط عن عاصم هو الوصل وفتح الميم، وهي رواية حفص عنه. يقول الزجاج: «والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عياش وأبي عمرو فتح الميم. وفتح الميم إجماع». ويقول مكي: «والذي قرأت به في رواية يحيى بن آدم بالوصل، مثل الجماعة». يعني: رواية يحيى عن أبي بكر. انظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٣، والتبصرة لمكي ٤٥٥، والسبعة لابن مجاهد ٢٠٠، والحجة للفارسي ٣/ ٥.

واختلفوا في عِلَّةِ فتح الميم ؛ فقال الفراء^(١) : « طُرحت عليها فتحةُ الهمزة ؛ لأنَّ نيَّةَ حروف الهجاء الوقف ، فَلَمَّا كان يُنوي بها الوقف ، نُوي بما بعده الاستئناف ، فكانت الهمزةُ في حُكْمِ الثَّبات »^(٢) .

ومذهب سيبويه^(٣) : أنه حُرِّك لالتقاء الساكِنين^(٤) ، والساكن الذي حُرِّك له الميمُ لأم التعريف ؛ وذلك أنَّ حُكْمَ هذه الهمزة ، أن تُجْتَلَبَ في الابتداء ، إذا احتيجَ إلى اللفظ بحرف ساكن ، دون الصَّلَةِ والإدراج ، فإذا اتَّصل الساكنُ المُجْتَلَبُ له هذا الحرف بشيءٍ قبله ، اسْتُغْنِيَ عنه ، فحُذِفَ ، فإن اتَّصلَ بمتحرِّكٍ ، بُنِيَ على حركته^(٥) ؛ نحو : ذهب ابْنُكَ . وإن كان حرفاً ساكناً غيرَ لَيْنٍ حُرِّك ، نَحَوَ : ﴿وَعَذَابٍ ۖ ۞ اَرْكُضْ﴾^(٦) [ص : ٤١-٤٢] ، و﴿وَأَلَوْ اسْتَقْصَمُوا﴾^(٧) [الجن : ١٦] .

- (١) في معاني القرآن له ٩ / ١ . نقله عنه بالمعنى . وقد تقدمت ترجمته .
- (٢) يعني بالثبات : عدم سقوط الهمزة في الوصل ، وقد ذهب الزخشيُّ مذهبَ الفراء ، وناقشه أبو حيان ورَدَّ عليه . انظر : الكشف للزخشي ١ / ٤١٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٢ / ٣٧٥ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٣ / ٨١٢ .
- (٣) في الكتاب له ٤ / ١٥٢ .
- (٤) قال السمين الحلبي : « وهو مذهب سيبويه وجمهور الناس » . انظر : الدر المصون ٣ / ٦ .
- (٥) في (ج) : (متحركة) .
- (٦) يقول أبو علي الفارسي : « فإن كان الحرف الثاني من الكلمة التي فيها الساكن الثاني مضموماً ضمة لازمة ، جاز فيه التحريك بالضم والكسر جميعاً » وأتى بهذه الآية ضمن الشواهد على ذلك . ثم قال : « وجميع هذا يجوز في الساكن الأول التحريك بالضم » ؛ أي أن تقرأ هكذا : ﴿وَعَذَابٍ ۖ ۞ اَرْكُضْ﴾ في حال الوصل . التكملة للفارسي ١٧٧ ، وانظر : كتاب سيبويه ٤ / ١٥٣ ، والكشف لمكي ١ / ٢٧٤ . وقد قرأ بكسر الباء مع التنوين في ﴿وَعَذَابٍ﴾ في حال الوصل : عاصم ، وحمة ، وأبو عمرو بن العلاء ، وقنبل ، وابن ذكوان ، ويعقوب . وأجمعوا على ضم الهمزة في الابتداء . وقرأ الباقون بضم الباء مع التنوين . انظر : الكشف لمكي ١ / ٢٧٤ ، و٢٧٥ ، وقال : « والضم في ذلك كله الاختيار ؛ لأن عليه أكثر القراء ، ولأنه أخف » . والكسر حسن ؛ لأنه الأصل في حركة التقاء الساكنين . انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٧٢ ، والبدور الزاهرة ٢٧٢ .
- (٧) وقد وردت كتابتها في النسخ جميعها : (وَأَن لو) بفصل (أَن) عن (لو) . وأثبتها وفق رسم المصحف .

فكذلك^(١) الهمزة في أسماء الله - عز وجل - من قوله : ﴿الَّذِي﴾ ، إذا اتَّصَلَ بها قبلها ، لزم حذفها ، كما لزم إسقاطها في ما^(٢) ذكرنا ، وإذا لزم حذفها لزم حذف حركتها أيضاً ؛ لأنك لا تجد هذه الهمزة المجتلبة في موضع ملقاة ، وحركتها مبقاة ، فإذا لزم حذفها ، لم يُجْزِ إلقاؤها على الحرف الساكن . فليس حركة الميم إذن^(٣) حركة الهمزة ، وإذا لم تكن حركة الهمزة ، ثبت أنها حركة التقاء الساكنين .

وأما ما احتج به الفراء من أن هذه الحروف موضوعة على الوقف ، وإذا كان كذلك وجب أن تثبت الهمزة ولا تحذف ، كما تثبت في الابتداء ، فإذا لزم أن لا^(٤) تحذف كما لا تحذف^(٥) في الابتداء ، لم يمتنع أن تُلقَى حركتها على ما قبلها . قيل : «إنَّ وضع هذه الحروف^(٦) على الوقف ، لا توجب^(٧) قطع ألف الوصل وإثباته^(٨) في المواضع التي تسقط فيها» . وأنت إذا ألقيت حركته على الساكن ، فقد وصلت الكلمة التي هي فيها بما قبلها ، وإن كان ما قبلها موضوعاً على الوقف .

فقولك : (ألقيت حركته عليه) بمنزلة قولك : (وَصَلَّتْهُ) ، ألا ترى أنك إذا خَفَّفْتَ (مَنْ أَبُوكَ) ، قلت : (مَنْ بُوكَ) فَوَصَلْتَ ، ولو^(٩) وَقَفْتَ لم تُلقِ الحركة

(١) في (ج) : (فلذلك) .

(٢) في (ج) : (في ما) .

(٣) في (ب) و(ج) و(د) : (إذا) .

(٤) (لا) ساقطة من (ج) و(د) .

(٥) (كما لا تحذف) : ساقط من (ج) .

(٦) في (ج) : (الحرف) .

(٧) في (د) : (يوجب) .

(٨) في (ج) : (وإثباتها) .

(٩) (ولو) ساقطة من (د) .

عليها ؟ فإذا^(١) وصلتها بما قبلها ، لَزِمَ إسقاطها ، وكان إثباتها مخالفاً لأحكامها في سائر مُتَصَرِّفاتِها^(٢) .

ويقوي قولَ الفرَّاء ما حكاه سيبويه^(٣) مِنْ قولهم : (ثَلْثَهْرَبَعَة)^(٤) ، ألا ترى أنهم أجزوا الوصل في هذا مجرى الوقف ؛ حيث ألقوا حركة الهمزة على التاء التي للتأنيث ، وأبقوها هاءً ، كما تكون في الوقف ، ولم يقلبوها تاءً^(٥) ؛ كما يقولون في الوصل : هذه ثلاثك ، كذلك هاهنا لما كانت النية في الميم الوقف ، وفي ما بعدها الاستئناف ، كانت الهمزة في حُكْمِ الثَّبات ، فَأُلْقِيَتْ حَرَكَتُهَا على الميم . فله حُكْمُ الوقف مِنْ وَجْهِ ، وَحُكْمُ الوَصْلِ مِنْ وَجْهِ ؛ كما كان في (ثَلْثَهْرَبَعَة)^(٦) ، له حُكْمُ الوصل ؛ من حيث إلقاء حركة الهمزة على الهاء ، وَحُكْمُ الوقف ؛ حيث أبقوا الهاء على حالها^(٧) .

(١) في (ب) : (وإذا) .

(٢) يقول السمين الحلبي ، بعد أن نقل ردَّ الواحدي هذا على الفرَّاء : «قلت : هذا الرد مردود بأن ذلك معامل معاملة الموقوف عليه والابتداء بما بعده ؛ لا أنه موقوف عليه ومبتدأ بما بعده حقيقة ، حتى يَرُدَّ عليه بما ذكر» . الدر المصون ٨/٣ . ورأي الفرَّاء هذا رده آخرون غير المؤلف منهم : أبو علي الفارسي ، وابن جنِّي ، وخطَّاه تاجُ القراء الكرمانی ، واستبعده العكبري . انظر : الحجة للفارسي ٩/٣ ، والمحاسب لابن جني ٢٤٠ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانی ١٣٩/١ ، والتبيان للعكبري ١٧٣/١ . قال الفارسي : «ولا يجوز أن تكون الفتحة لهمزة الوصل أُلْقِيَتْ على النون ؛ لأن الهمزة إذا أوجب الإدراج إسقاطها لم تبق لها حركة تلقى على شيء ، في ما علمناه» .

(٣) في الكتاب ٢٦٥/٣ .

(٤) ثلثهربة : مطموسة في (د) .

(٥) أي إن أصلها (ثلاثة أربعة) ، فلما وقفنا على (ثلاثة) أبدلنا التاء هاءً كما هو اللغة المشهورة ، ثم أجرينا الوصل مجرى الوقف ، فتركنا الهاء على حالها في الوصل ، ثم نقلنا الهمزة إلى الهاء ، فكذلك هذا . انظر : الدر المصون ٨/٣ .

(٦) ثلثهربة : مطموسة في (د) .

(٧) ولكن يلاحظ أن الهمزة في (أربعة) همزة قطع ، فهي ثابتة في الابتداء والدرج ، وعليه نقلت حركتها . أما همزة اسم الجلالة ؛ فهي همزة وصل واجبة السقوط ، فلا تنقل حركتها إلى ما قبلها ، وهذا هو الفرق . انظر : غرائب التفسير للكرمانی ١/٢٤٠ ، والدر المصون ٨/٣ .

والساكن الذي حُرِّكَ لَهُ الميمُ في ﴿الْم﴾ ، الساكنُ الثالث ، وهو ^(١) لام التعريف ؛ وذلك أنَّ حروف التَّهَجِّي يجتمع فيها ساكنان ؛ كقوله : ﴿حَمَدٌ﴾ [الشورى : ١-٢] ، ولا يُحْرَكُ الساكنُ الثاني منها . وجمعهم بين الساكِنَيْنِ في هذه الحروف ، دليلٌ على أنها في ﴿الْم﴾ ليست بمتحرك للساكن الثاني ؛ إذ لو كان للثاني ^(٢) لم يُحْرَكْ كما لم يُحْرَكْ سائرُ ما ذكرنا ^(٣) .

قال الأخفش ^(٤) : «لو كسرت الميم لالتقاء الساكِنَيْنِ ، فقليل : ﴿الْم﴾ لجَازَ» .

قال أبو إسحاق ^(٥) : «هذا غلط من أبي الحسن ؛ لأن قبل الميم ياءً مكسوراً ^(٦) ما قبلها ، فحقها الفتح ؛ لالتقاء الساكنين ؛ لِثِقَلِ الكَسْرِ مع الياء ^(٧)» .

قال أبو علي ^(٨) : «كَسَرُ الميم ، لو ورد بذلك ^(٩) سماعٌ ، لم يدفعه قياس ، بل كان يُثَبِّتُهُ وَيُقَوِّيه ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ ^(١٠) في التحريك لالتقاء الساكنين الكسر . وإنما يُتْرَكُ الكسر ^(١١) إلى غير ذلك ؛ لِمَا يَعْرِضُ مِنْ عِلَّةٍ وَكَرَاهَةٍ ، فإذا جاء الشيء على بابه ، فلا وجه لِرَدِّهِ ، ولا مَسَاغٍ ^(١٢) لِدَفْعِهِ» .

(١) في (د) : (فهو) .

(٢) في (ج) : (الثاني) .

(٣) انظر : التكملة للفارسي ١٧٩ ، وغرائب التفسير للكرماني ٢٣٩ / ١ .

(٤) في معاني القرآن له ٢٢ / ١ . نقله عنه بمعناه . وقد تقدمت ترجمته .

(٥) قوله في معاني القرآن وإعرابه له ٣٧٣ / ١ . نقله عنه بنصه .

(٦) في (ج) : (مكسور) .

(٧) في معاني القرآن : (وذلك لثقل الكسرة مع الياء) .

(٨) لم أقف على مصدر قوله في ما رجعت إليه من كتبه المطبوعة ، وقد أورد قوله السمين الحلبي في الدر المصون ١٤ / ٣ .

(٩) في (ب) : (به) .

(١٠) في (ج) : (الوصل) .

(١١) في (ج) : (القياس) .

(١٢) في (ج) : (امتناع) .

وقول أبي إسحاق : «إِنَّ ما قبل الميم ياءً مكسوراً»^(١) [قبلها]^(٢) فحقها الفتح ، ينتقض بقولهم : (جَيْر) ، وكان مِنَ الأَمْرِ^(٣) (ذَيْتٍ وَذَيْتٍ)^(٤) و(كَيْتٍ وَكَيْتٍ)^(٥) . فَحَرَّكَ الساكنُ بعد الياء بالكسر ، كما حَرَّكَ بعدها بالفتح في (أَيْنَ) .

وكما جاز الفتح بعد الياء ؛ لقولهم^(٦) : (أَيْنَ) ، كذلك يجوز الكسر بعدها ؛ لقولهم : (جَيْر)^(٧) .

ويدل على جواز التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين في ما^(٨) كان قبله ياء جوازاً تحريكه بالضم ؛ كقولهم^(٩) : (حيثُ) . وإذا^(١٠) جازَ الضمُّ ، كان الكسرُ أسهلَّ ، وأجوزَ .

(١) في (ج) : (مكسورة) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة أضفتها من الدر المصون للسمين ١٤/٣ . حيث أورد السمين هذه العبارة ناقلاً لها عن الواحدي ، وكذلك هي في الأصل المنقول عنه وهو معاني الزَّجَّاج ، حيث إن الزَّجَّاج لا يعني كسر الياء ، وإنما كسر ما قبل الياء .

(٣) (جير وكان من الأمر) : ساقط من (ج) (جَيْر) بكسر الراء ، وقد يُتَوَّن : يمينٌ ؛ أي حَقًّا . أو بمعنى نعم ، أو أجل . انظر : البسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ٩٣٧/٢ ، و٩٤٤ ، ومجمل اللغة لابن فارس ٢٠٤/١ ، والقاموس المحيط (جير) ٣٧٠ .

(٤) في (د) : (ديت وديت) .

(٥) (ذيت وذيت) بفتح التاء أو كسرها أو ضمها : اسم كناية ، يكتنى بها عن الحديث أو القصة ؛ أي الحديث عن شيء حصل أو قول وقع . ولا بُدَّ من تكرارهما مع الفصل بينهما بالواو ، وعدهما كلمة واحدة في محل نصب أو جر أو رفع بحسب حاجة الجملة . ويقال في (كيت وكيت) ما قيل في (ذيت وذيت) . ولم أقف في المصادر التي رجعت إليها على كسر الذال من (ذيت) والكاف من (كيت) . انظر : الخصائص لابن جني ٢٠٢/١ ، وسر صناعة الإعراب له ١٥٢/١ ، و١٥٣ ، ولسان العرب (ذيت) ١٥٢٨/٣ ، و(كيت) ٣٩٦٤/٧ ، والنحو الوافي ٥٨٣/٤ .

(٦) في (ج) و(د) : (كقولهم) . وفي الدر المصون (في قولهم) .

(٧) في (ج) : (خبر) .

(٨) في (ب) و(ج) و(د) والدر المصون : (في ما) .

(٩) في (د) : (لقولهم) . وفي الدر المصون : (نحو قولهم) .

(١٠) في (د) : (إذا) ، من دون واو .

وأما^(١) ما رُوي عن عاصم ، من قطعه الألف ، فكأنه قَدَّر الوقف^(٢) على الميم ، واستأنف (الله) . فقطع^(٣) الهمزة للابتداء بها .

قال محمد بن إسحاق^(٤) ، والكَلْبِي^(٥) ، والرَّبِيع^(٦) : نزلت هذه الآية إلى^(٧) تَيْفٍ وَثْنَيْنِ من هذه السورة ، في وفدِ نَجْران^(٨) ، مِنْ النَّصَارَى ، لَمَّا جَاءُوا يُحَاجُّونَ النَّبِيَّ ﷺ^(٩) .

-
- (١) من قوله : (وأما . . .) إلى (. . . للابتداء بها) : نقله بنصه عن الحجة للفارسي ٩/٣ .
- (٢) في الحجة : (الوقف) .
- (٣) في (د) : (وقطع) .
- (٤) قوله في سيرة ابن هشام ١٧٥/٢ ، وتفسير الطبري ١٦٢/٣ ، والمحزر الوجيز ٥/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٦٨/١ .
- وهو محمد بن إسحاق بن يَسَار ، الْمُطَّلَبِيّ بالولاء ، من أهل المدينة ، سكن العراق ، إمام في المغازي والسيرة النبوية ، مي بالتشيع والقدر ، صدوق يُدَلِّس ، مات ببغداد سنة ١٥١هـ ، وقيل بعدها .
- انظر : وفیات الأعيان ٢٧٦/٤ ، وتذكرة الحفاظ ١٧٢/١ ، وتهذيب التهذيب ٥٠٤/٣ .
- (٥) قوله في بحر العلوم ٨/٢ ، وتفسير البغوي ٥/٢ .
- (٦) قوله في تفسير الطبري ١٦٣/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٨٥/٢ ، وتفسير البغوي ٥/٢ ، والمحزر الوجيز ٥/٣ .
- (٧) في (ج) : (في) .
- (٨) نجران هي الآن في أرض الحجاز من المملكة العربية السعودية ، وكانت قديماً من مدن اليمن ، من ناحية مكة . انظر : حولها معجم ما استعجم ١٢٩٨/٤ ، ومعجم البلدان ٢٦٦/٥ .
- (٩) انظر في : خبر وفد نجران ، وأنه سبب نزول هذه الآيات إضافة إلى المصادر السابقة ، أسباب النزول للمؤلف : ٩٩ ، وامتناع الأسع للمقرئ ٥٠٢/١ ، وتفسيرات شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع إقبال الأعظمي ١١٥ ، وزاد المعاد لابن القيم ٦٢٩/٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣٦٧/١ ، والبداية والنهاية له ٥٦-٥٢/٥ ، وحدثنا الأنوار لابن الدَّبَّيع الشيباني ٦٨/١ ، و٧٠٩/٢ ، والدر المنثور للسيوطي ٦٦/٢ ، ولباب النقول له ٥١ ، وزاد في نسبة إخراجها لابن المنذر ، والبيهقي في دلائل النبوة . انظر : تفسير ابن كثير ٣٩٥-٣٩٨ ، وفله توجيه لطيف حول قول محمد بن إسحاق هذا ومن معه في سبب نزول هذه الآية .

قال ابن عباس^(١) في رواية عطاء، والضَّحَّاك في قوله: ﴿آلَمْ﴾ يريد بالألف: الله، واللام^(٢): جبريل، والميم: محمداً ﷺ^(٣). وقد مضى الكلام في حروف التَّهَجِّي، وفي معنى ﴿آلَحَى الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣. قوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾. إِنَّمَا قَالَ: ﴿نَزَلَ﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾؛ لأن التنزيل للتكثير. والقرآن نزل نجوماً، شيء بعد شيء، والتوراة والإنجيل نزلتا دفعةً واحدةً^(٤).

(١) قوله في تفسير الثعلبي (مخطوط مصور في جامعة الإمام) ٢٣/١ ب.

(٢) في (ب): (والميم واللام).

(٣) أورد الأثر هذا عنه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٢٣/١ ب.

(٤) وقد ذهب كثير من المفسرين إلى ما ذهب إليه المؤلف من تخصيص القرآن هنا بلفظ التنزيل الدال على التكثير؛ نظراً إلى نزوله منجماً، وأن التوراة والإنجيل خُصَّما بالإنزال؛ لأنها نزلت دفعة واحدة. ومن هؤلاء المفسرين الثعلبي، والبغوي، والزحشري، وبيان الحق النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وأبو جعفر بن الزبير الغرناطي، وابن جماعة، والبيضاوي، والمهايمي، وأبو السعود. انظر: تفسير الثعلبي ٣/٤٤، وتفسير البغوي ٦/٢، والكشاف للزحشري ١/٢٣٨، و٤١٢، ووضح البرهان لبيان الحق ١/٢٣٣، وزاد المسير ١/٣٤٩، وتفسير القرطبي ٥/٤، وتفسير النسفي ١/١٤١، وملاك التأويل لابن الزبير ١/١٤١، وكشف المعاني لابن جماعة ١٢٣، وتفسير البيضاوي ١/٦٢، وتفسير المهايمي ١/١٠٢، وتفسير أبي السعود ٤/٢.

ولكن رُدَّ هذا القول بالآتي: إن التضعيف الدال، على الكثرة، شرطه أن يكون في الأفعال المتعدية قبل التضعيف غالباً؛ نحو: فَتَحَتِ الْبَابَ، والفعل (نَزَلَ) لم يكن متعدياً قبل التضعيف. وقولهم: (غالباً)؛ لأن التضعيف جاء دالاً على الكثرة في اللازم؛ نحو: مَوَّتَ الْمَالُ؛ إذا كثر. إن التضعيف الدال على الكثرة، لا يجعل اللازم متعدياً كما في (مَوَّتَ الْمَالُ). ولما كان (نَزَلَ) لازماً، وصار بالتضعيف متعدياً، دلَّ على أن تضعيفه للنقل لا للتكثير. إنه لو كان (نَزَلَ) للتكثير لاحتاج قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] إلى تأويل، فإنه ورد فعل (نَزَلَ) المضعَّف في آيات كثيرة، ولا يمكن أن يدل على التكثير، إلَّا بتأويل بعيد جداً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وقوله: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

كما أن (أنزل) قد ورد خاصاً بالقرآن، فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤]، فلو كان أحدهما يدل على التنجيم، والآخر على النزول دفعة واحدة، لكان في ذلك تناقض في الإخبار، وهو محال. انظر: الحجة للفراسي ٢/١٥٨-١٦٢، والبحر المحيط ١/١٠٣، والدر المصون ٣/١٩٨، و٣/٢١ =

و﴿وَالْكِتَابِ﴾ يعني : القرآن^(١) ، فهو مصدرٌ ، سُمِّيَ به المكتوب .

وقوله تعالى : ﴿بِالْحَقِّ﴾ ؛ أي بالصدق في أخباره ، وجميع دلالاته .

وقوله تعالى : ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ؛ أي موافقاً لما تقدم الخبرُ به في سائر الكتب . وفي ذلك دليل على صحة نبوة محمد ﷺ .

وقيل^(٢) : مصداقاً لشرائع الأنبياء المتقدمين في ما أتوا به ، خلاف مَنْ يقول : نؤمن ببعض ونكفر ببعض .

وقوله تعالى : ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ . مِنْ مَجَازِ الكلام ؛ وذلك أَنَّ ما بينَ يَدَيْكَ ، فهو أَمَامَكَ . فقليل لكل ما تقدم على الشيء : هو بين يديه ؛ كما جاء في الحديث : «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سَنِينَ خَدَاعَةٍ»^(٣) ؛ أي أمامها ، تتقدم عليها .

ويرى ابن عاشور أن التضعيف في ﴿نَزَّلَ﴾ كالمز فيه ، إلّا أنَّ التضعيف يؤذن بقوة الفعل في كفيته وكميته ، وأن ﴿نَزَّلَ﴾ أهم من (أنزل) ؛ حيث يدل على عظم شأن نزول القرآن . ويرى بأنه لا دلالة على أَنَّ التوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة ، بل نزلا مفرقَيْن ؛ كحال كل ما نزل على الرسل في مدة الرسالة . انظر : تفسير التحرير والتنوير ٣/ ١٤٧ ، و١٤٨ .

(١) ذهب سعيد بن جبير إلى أن الكتاب - هنا - خواتيم سورة البقرة . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٥٨٧/ ٢ . أما جمهور المفسرين ؛ فقد ذهبوا إلى أن المراد به القرآن ، كما فسره المؤلف . يقول أبو حيان : «الكتاب - هنا - القرآن ، باتفاق المفسرين» . انظر : البحر المحيط ٢/ ٣٧٧ ، وتفسير الطبري ٣/ ١٦٦ ، و١٦٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٨٧/ ٢ ، وتفسير البغوي ٢/ ٦ ، وتفسير ابن جزي ٧٣ ، وزاد المسير ١/ ٣٤٩ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٩ ، والدر المنثور ٢/ ٥ .

(٢) هو معنى قول مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع ، ومقاتل ، والطبري ، والثعلبي ، والبغوي . انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٦٢ ، وتفسير الطبري ٣/ ١٦٦ ، و١٦٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٨٧/ ٢ ، وتفسير البغوي ٢/ ٦ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٤ .

(٣) الحديث ، أخرجه البزار . انظر : كشف الأستار عن زوائد البزار : رقم الحديث : (٣٣٧٣) ، وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٠ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٤ ، ومن رواية عمرو بن عوف ، عن النبي ﷺ ، ومن رواية ابن إسحاق ، عن عبدالله بن دينار ، عن أنس ، عن النبي ﷺ . قال الهيثمي : «وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من عبدالله بن دينار ، وبقيّة رجاله ثقات» . وأورده المتقي الهندي =

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ . قال الفراء^(١) : أصل (التوراة) : (تَوْرِيَّةٌ) ، على وزن (تَفَعَّلَ) ، فصارت الياء ألفاً ؛ لِتَحَرُّكِهَا وانفتاح ما قبلها . قال : ويجوز أن تكون (تَفَعَّلَ) ، فيكون أصلها : (تَوْرِيَّةٌ) ، فتنقل الراء من الكسر إلى الفتح ؛ كما تقول طَيَّي^(٢) في (جارية) : جَارَاة . وفي (ناصية) : نَاصَاة^(٣) .

قال الشاعر :

بِحَرْبٍ كَنَاصَاةٍ الْأَعْرَ الْمَشْهَرِ^(٤)

في كنز العمال ٢٢٩/١٤ رقم : (٣٨٥١١) وعزاه للطبراني في المعجم الكبير والحاكم في الكنى وابن عساكر ، عن عوف بن مالك الأشجعي . وورد الحديث بلفظ آخر من رواية أنس بن مالك : « إن أمام الدجال سنين خداعة . . . » . أخرجه أحمد في المسند ٢٢٠/٣ انظر : الفتح الرباني للبنا ٣٥/٢٤ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٨٤ : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط ، وفيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ، وابن لهيعة ، وهو لين . وورد من رواية أبي هريرة بلفظ : « إنها ستأتي على الناس سنون خداعة » . رواه أحمد في المسند ٢/٢٩١ . انظر : المسند بشرح شاكر ٣٧/١٥ رقم : (٨٧٩٩) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : «إسناده حسن ، ومتنه صحيح» .

(١) قوله في الزاهر لابن الأنباري ١/١٦٨ ، وأورد الأزهري طرفاً منه ، وعزاه لكتاب المصادر للفراء . انظر : تهذيب اللغة ٤/٣٨٨٠ .

(٢) في (ج) : (ظي) . ظيئ هي القبيلة العربية المشهورة ، التي تنسب إلى طيئ بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، وهي من القبائل القحطانية ، كانت مساكنهم في اليمن ، ثم خرجوا منها ، ونزلوا بنجد والحجاز ، ثم انتشروا في الجزيرة العربية . انظر : جهمرة أنساب العرب ٣٩٨ ، و٣٩٩ ، و٤٧٦ ، وصبح الأعشى ١/٣٢٠ ، ومعجم قبائل العرب ٢/٦٨٩-٦٩١ ، و٥/٣٤٥ .

(٣) الناصية ، أو الناصاة : قصاص الشعر في مقدم الرأس . انظر : (نصا) في اللسان ٧/٤٤٤٧ ، والقاموس المحيط : (١٣٣٩) . قال الأزهري : «والناصية عند العرب : منبت الشعر في مقدم الرأس . . . وسمي الشعر ناصيةً ؛ لنباته في ذلك الموضع» . تهذيب اللغة ٤/٣٥٨١ .

(٤) عجز بيت ، وصدرة :

لقد آذنت أهلَ اليَمَامَةِ طيئ

وهو لحريث بن عَنَاب الطائي . وقد ورد منسوباً له في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/١٠٤٨ ، واللسان (نصا) ٧/٤٤٤٧ . وورد غير منسوب ، في تهذيب اللغة ٤/٣٥٨١ ، والدر المصون ٣/١٨ . وردت كلمة (الحصان) بدلاً من (الأغر) في المصادر السابقة كلها ، ما عدا والدر المصون . المُشَهَّر : المشهور . انظر (شهر) : في تهذيب اللغة ٤/١٩٤٥ ، واللسان ٤/٢٣٥٢ .

وأنشد الفراء :

فَمَا الدُّنْيَا بِبَاقَاةٍ لِحَيٍّ وما حَيٍّ على الدنيا بِبَاقٍ^(١)
 وقال الخليل^(٢) وهو مذهب البصريين^(٣) : (تَوْرِيَّةٌ) ، أصلها (فَوَعَلَةٌ) ،
 وأصلها (وَوْرِيَّةٌ) ، ولكنَّ الواو الأولى قُلبت تاءً ، كما قُلبت في (تَوَلَّجَ)^(٤) ،
 فهو (فَوَعَلَ) ، مِنْ (وَلَجَّتْ) . وقُلبت الياء ألفاً ؛ لتحركها^(٥) وانفتاح ما قبلها ،
 فصارت (تَوْرَاةً)^(٦) ، وكُتِبَتْ بالياء على أصل الكلمة . قالوا : ولا يجوز أن يكون

(١) في (د) : (باقي) . أوردته الزمخشري في ربيع الأبرار ٣٨/١ ، ونسبه لخالد بن الطَّيِّفَان الدارمي ، وكذا
 نسبه الجاحظ له في كتاب الحيوان ١٠٥/٥ ، وسماه خالد بن علقمة بن الطيفان . إلا أن الزمخشري في
 ربيع الأبرار ١٣/١ نسبته لنهشل بن حري النهشلي ، وروايته فيه :

وما الدنيا بِبَاقِيَةٍ لِحَيٍّ وما حَيٍّ على الحَدَثَانِ باقِي
 وهو في الموضعين في ربيع الأبرار (بباقي لحي) . وورد البيت غير منسوب في الزاهر لابن الأنباري
 ١٦٨/١ ، ورسالة الصاهل والشاحج للمعري ٤٠٧ ، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري : ٦٩ ،
 والدر المصون ٢/٦٣٧ ، و٣/١٩ . والشاهد فيه قوله : بباقاة وأراد بباقية .
 انظر : كتاب سيبويه ٤/٣٣٣ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/٤ ب . والبصريون ، هم أصحاب المدرسة النحوية بالبصرة الذين نشأ النحو
 على أيديهم وتطور ، وقد وضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب مما نقل عن العرب ، ومن قواعدهم
 المنهجية في النحو التشدد في السماع ، فلا يأخذون إلا من ثقات العربية ، ممن سلمت لغاتهم من التأثير
 بلغة أو بلهجة أجنبية ، ولا يعتمدون الشاهد النحوي مقياساً ، إلا إذا جرى على ألسنة العرب ، وكثر
 استعمالهم له ، وغير ذلك من القواعد ، وهم أسبق من أصحاب المدرسة الكوفية ، وأكثر تشدداً منهم .
 وهناك البغداديون الذين ينتخبون من المدرستين ، ومن علماء المذهب البصري أبو عمرو بن العلاء ،
 والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وقطرب ، والأخفش الأوسط ، والمازني ، والمبرد ، وغيرهم . انظر :
 طبقات النحويين للزبيدي ٢١-٢١١ ، والمدراس النحوية لشوقي ضيف ١١ وما بعدها ، ومعجم
 المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور محمود اللبدي ٢١ ، و٨٧ ، وموسوعة النحو والصرف
 للدكتور أميل يعقوب ٣٦٢-٦١٦ .

(٤) تَوَلَّجَ : كناس الوحش ، وهو الموضع الذي يستتر فيه . انظر (ولج) : في أساس البلاغة للزمخشري
 ٥٢٦/٢ ، والقاموس المحيط : ٢٠٩ . وانظر (كنس) : في الصحاح ٣/٩٧١ .

(٥) في (د) : (لحركتها) .

(٦) في (ج) : (توراية) .

أصلها (تَفَعَّلَ) كما قال الفراء ؛ لأن^(١) هذا البناء يَقِلُّ ، وإن (فَوَعَلَة) من الكثرة بحيث لا يتناسبان^(٢) .

ولا إشكال في أن الحَمْل على الأكثر الأشيع أولى ، وأيضاً فإن التاء لم تكثر زائدةً أوَّلاً ، والواو إذا كانت أوَّلاً فقد استمرَّ البدل فيها ؛ نحو : (وُجُوهُ) ، و(أُجُوهُ)^(٣) ، و(وُقَّتَتْ) ، و(أُقَّتَتْ) ، و(وشاح) ، و(إشاح)^(٤) ، و(وَنَاة) ، و(أَنَاة)^(٥) . فإذا اجتمع واوان لزم الأوَّل منهما البدل ؛ إما همزة ، وإما تاء ؛ نحو : (أَوَاقٍ)^(٦) في جمع (وَاقِيَةٍ) .

وقد أُبدِلت التاء من الواو ، إذا^(٧) كانت مفردةً ؛ نحو : (نُجَاه) و(تُرَاث)^(٨) و(نُحْمَة)^(٩) و(تُكْلَان) .

-
- (١) من قوله : (لأن...) إلى (... ولا إشكال) : ساقط من (د) .
- (٢) من قوله : (لأن...) إلى (... وعمرة قد كثر) : نقله بتصريف في بعض عباراته عن الحجة للفارسي ١٣١٥/٣ .
- (٣) انظر : كتاب سيبويه ٤/٣٣٣ ، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣/٨٧٩ ، والممتع في التصريف لابن عصفور ١/٣٨٣ ، و٣٨٤ .
- (٤) في (ج) : (وأوجه) .
- (٥) الشواح : شيء ينسج من أديم عريضاً ، يرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقيها . يقال : (وشاح ، وإشاح ، وشاح ، وأشاح) . الجمع : وشُح ، وأوشحة . انظر : الصحاح للجوهري (وشح) ١/٤١٥ .
- (٦) امرأة أناة ، وناة : فيها فتور . ونساء أنوات . وقد وني في الأمر : ضعف وفت . انظر : أساس البلاغة (أنى) ١/٢٣ ، و(ونى) ٢/٥٢٩ .
- (٧) في (د) : (واق) . وقوله : (نحو أواق) : ساقط من (ب) . انظر : لسان العرب (وقي) ٨/٤٩٠٣ .
- (٨) في (أ) : (فإذا) . وفي (ب) ، و(ج) : (وإذا) ، والمثبت من مصدر المؤلف ؛ لأنه لا يستقيم الكلام إلا به . ومن قوله : (إذا...) إلى (... من الواو) ساقط من (د) .
- (٩) في (أ) : (تُرَاث) بفتح التاء . والصواب ما أثبت وهو ضمها . انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٢٧ ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (ورث) ٨٦٣ .
- (٩) في (أ) : (نُحْمَة) بسكون الخاء . والصواب بفتحها . انظر : مجمل اللغة لابن فارس : ٩٢٠ ، والمصباح المنير للفيومي (وخم) : ٢٥٠ .

فإذا كثر^(١) إبدال التاء من الواو هذه^(٢) الكثرة ، كان حملها على هذا الكثير^(٣) أولى من حملها على ما لم يكثر ولم يتسع هذا الاتساع ، ولا يقرب أيضاً حملها على (تَفْعَلَة) ؛ لأنه لا يخلو من أن يجعلها^(٤) اسماً ؛ نحو : (تَوْدِيَة)^(٥) أو مصدرأ ؛ نحو : (تَوْصِيَة) .

فأما باب (تَوْدِيَة) فقليل كما أن (تَفْعَلَة) كذلك ، وباب (تَوْصِيَة) فيه اتساع ، لكن إذا حملها على لُغَةٍ طَبِيعِيٍّ ، فقد حملها على لُغَةٍ لم نعلم شيئاً منها في التنزيل .

فإذا لم يكن الوجهان اللذان ذكرهما الفراء بالسَّهْلَيْنِ ، حَمَلَتْهُ على (فَوَعَلَة) دونها ؛ للكثرة ، ألا ترى أنَّ نحو (صَوْمَعَة)^(٦) و (حَوَجَلَة)^(٧) و (دَوَسَرَة)^(٨) و (عَوْمَرَة)^(٩) ، قد كثر ؟

-
- (١) في (ج) : (أكثر) .
 (٢) في (أ) و (ب) : (وهذه) . والمثبت من (ج) و (د) . وهو الصواب ؛ حيث لا تستقيم العبارة إلّا به ، كما أنه هكذا في مصدر المؤلف ، وهو الحجة للفارسي ١٤ / ٣ .
 (٣) في (د) : (التكثير) .
 (٤) في (د) : (تجعلها) .
 (٥) في (ب) : (تردية) . والتودية : واحدة التوادي ، وهي : الخشبات التي تشد على خلف الناقة إذا صُرَّت . انظر : غريب الحديث للحري ٢٦٣ / ١ ، والصحاح (ودى) ٢١ / ٦ ، و ٢٥ ، واللسان (ودى) ٨ / ٨٨٠٤ .
 (٦) الصومعة : منار الراهب ، وبيت للنصارى . انظر في : اللسان (صمع) ٢٤٩٨ / ٤ ، والقاموس : ٧٣٨ .
 (٧) الحوجلة : هي ما كان من القوارير الصغار واسعة الرأس وقيل : هي القارورة الغليظة الأسفل ، وقيل : هي القارورة فقط . انظر (حجل) : في تهذيب اللغة ٧٥٢ / ١ ، واللسان ٧٨٩ / ٢ .
 (٨) الدَوَسَر : الجمل الضخم ، ذو الهامة والمناكب . والأنثى : دَوَسْرٌ ، ودَوَسْرٌ . وكتيبة دوسر ، ودوسرة : مجتمعة ، وقيل الدوسر : النوق العظيمة ، وقيل الدوسر : القديم . انظر (دسر) : في تهذيب اللغة ١١٨٣ / ٢ ، واللسان ١٣٧٢ / ٣ ، والقاموس ٣٩١ .
 (٩) في (ب) : (عوصرة) .
 والعَوْمَرَة : الاختلاط . يقال : تركت الناس في عومرة ؛ أي في صياح وجلبة . تهذيب اللغة ٢٥٦٧ / ٣ ، واللسان ٣١٠٣ / ٥ .

ونظير (التوراة) مِمَّا قَلَبَتِ الْوَاوُ فِيهِ تَاءً^(١)، قَوْلُهُمْ^(٢) : (الْتَرِيَّة) : لِمَا تَرَاهُ الْمَرْأَةُ فِي الطُّهْرِ بَعْدَ الْحَيْضِ^(٣)، وَهِيَ (فَعِيلَةٌ) مِنَ (الْوَرَاءِ) ؛ لِأَنَّهَا تُرَى بَعْدَ الصُّفْرَةِ وَالْكُدْرَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (فَعِيلَةٌ)^(٤) ؛ مِنْ : (وَرِيَ الزَّنْدُ) ، فَكَانَ الطُّهْرُ أَخْرَجَهُ^(٥) .

فَأَمَّا اشْتِقَاقُهَا فَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي مَا حَكَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : التَّورَةُ^(٦) ؛ مَعْنَاهَا الضِّيَاءُ وَالنُّورُ ؛ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : وَرِيَ الزَّنْدُ^(٧) ، يَرِي : إِذَا قَدَحَ^(٨) ، فَلَمْ يَكْبُ^(٩) ، وَأَوْرِيْتُهُ أَنَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا ﴾ [العاديات : ٢] ، وَيَقُولُونَ :

- (١) فِي (ب) : (الْيَاءُ فِي تَاءَ) .
- (٢) مِنْ قَوْلِهِ : (قَوْلُهُمْ ...) إِلَى (... فَكَانَ الطُّهْرُ أَخْرَجَهُ) : نَقَلَهُ بِتَصْرِفٍ فِي بَعْضِ عِبَارَاتِهِ عَنِ الْحِجَةِ لِلْفَارِسِيِّ ١٢/٣ .
- (٣) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ (رَأَى) ١٣٢٨/٢ .
- (٤) فِي (د) : (فَعِيلَةٌ) .
- (٥) انْظُرْ : مَبْحَثُ إِبْدَالِ التَّاءِ مِنَ الْوَاوِ ، وَأَصْلُ كَلِمَةِ (التَّورَةُ) فِي الْمَقْتَضِبِ لِلْمَبْرَدِ ٦٣/١ ، وَنَزْهَةُ الْقُلُوبِ لِلْسَجِسْتَانِيِّ ١٥٤ ، وَمَجَالِسُ الْعُلَمَاءِ لِلزَّجَّاجِيِّ ٩٥ ، وَكِتَابُ التَّكْمِلَةِ لِلْفَارِسِيِّ ٥٧١ ، وَسِرِّ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ لِابْنِ جَنِّي ١٤٥/١ ، وَالْمَنْصَفُ لَهُ ٢٢٦/١ ، وَالْمَشْكَالُ لِمَكِّي ١٤٩/١ ، وَشَرْحُ الْمَفْصَلِ لِابْنِ يَعِيشَ ١٤٢/٩ ، وَ ٣٦/١٠ ، وَنَزْهَةُ الطَّرَفِ فِي عِلْمِ الصَّرْفِ لِابْنِ هِشَامٍ ١٦٠ .
- (٦) مِنْ قَوْلِهِ : (التَّورَةُ ...) إِلَى (قَوْلِ الْعَرَبِ) : نَقَلَهُ عَنِ الزَّاهِرِ لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ١٦٨/١ .
- (٧) مِنْ قَوْلِهِ : (وَرِيَ الزَّنْدُ ...) إِلَى : (... لَمْ يَجَاوِزْ بِهِ غَيْرَهُ) : نَقَلَهُ عَنِ الْحِجَةِ لِلْفَارِسِيِّ ١٠/٣ مَعَ بَعْضِ التَّصْرِيفِ .
- (٨) يُقَالُ : (وَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي) ، وَ(وَرَى يَرِي) ، وَ(وَرِيَ يَوْرِي) . انْظُرْ (وَرِيَ) : فِي كِتَابِ الْعَيْنِ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ ٨/٣٠٤ ، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ ٣٨٨٠/٤ ، وَالصَّحَاحُ ٦/٢٥٢٢ . الزَّنْدُ : الْعُودُ الَّذِي تُقَدَحُ بِهِ النَّارُ ، وَهُوَ يَكُونُ فِي الْأَعْلَى ، وَالزَّنْدَةُ : السُّفْلَى . انْظُرْ : الصَّحَاحُ ٤٨١/٢ (زَنْد) .
- (٩) فِي (أ) : (يُثَبِّ) . وَفِي (ب) : (يُثَبِّ) . وَفِي (ج) : (يُنَبِّ) . وَفِي (د) كَمَا فِي النُّسخِ السَّابِقَةِ ، وَلَكِنْ مِنْ دُونِ إِعْجَامٍ ، وَلَا وَجْهَ لْجَمْعِهَا . وَالْمُثَبِّتُ هُوَ مَا اسْتَصَوَّبَتْهُ ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي اللِّسَانِ : كَبَا الزَّنْدُ إِذَا لَمْ يَخْرُجْ نَارُهُ . انْظُرْ : (كَبَا) ٦/٣٨١٤ . وَفِي مُفْرَدَاتِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ (وَرِيَ) . يُقَالُ فَلَانٌ وَارِيَ الزَّنْدَ : إِذَا كَانَ مُنْجَحًا . وَكَابِيَ الزَّنْدَ : إِذَا كَانَ مُخْفَقًا . ٥٥٨ .

(وَرَيْتُ^(١) بَكَ زَنَادِي) ، على مثال : (شَرَيْتُ)^(٢) . وزعم أبو عثمان^(٣) : أنه استعمل في هذا الكلام فقط ، لم يُجاوز به غيره .

ومعنى (وَرَيْتُ بَكَ زَنَادِي) ؛ أي ظَهَرَ بَكَ الخَيْرُ لي .

فالتوراة سُمِّيت [بذلك]^(٤) ؛ لظهور الحق بها . يدل على هذا المعنى قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾ [الأنبياء: ٤٨] .

وقال المؤرج^(٥) : هو من (التَّوْرِيَةِ)^(٦) ، وهي : التعريض بالشيء ؛ وكان أكثر التوراة معاريض وتلويحاً ، من غير إيضاح وتصريح .
وفي (التوراة) قراءتان : الإمالة ، والتفخيم^(٧) .

(١) في (ج) : (وَرَيْتُ) . ووردت الكلمة كما أثبت في مجالس العلماء للزجاجي ٨٢ . وجاء في كتاب العين للخليل ٣٠٤ / ٨ : «وتقول للرجل الكريم : إنه لواري الزناد ، ورَيْتُ بَكَ زَنَادِي ؛ أي رأيت منك ما أحب من النصح والنجابة والساحة» .

(٢) في (ج) : (شَرَيْتُ) . ومعنى (شَرَيْتُ) ؛ أي لَجْتُ ، من : (شَرَى يَشْرِي شَرًى) ، و(استشري فلان في غيّه) : إذا تَمَادَى وَلَجَ فيه . و(شَرَى الرَّقْ) : إذا تَتَابَعَ لمعائنه . و(شَرَيْتُ عَيْنَهُ) : إذا لَجْتَ وتابعت الهملان . و(شَرَيْتُ) ؛ بمعنى : أَصَابَهَا الشَّرِي ، وهو مرض جلدي له لذع شديد . انظر : الأضداد لابن الأبناري ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، و(شري) في الصحاح ٢٣٩١ / ٦ ، واللسان ٢٢٥٣ / ٤ .

(٣) في (ج) : (ابن عثمان) . وهو بكر بن بقية ، وقيل : بكر بن محمد بن عدي بن حبيب . أبو عثمان المازني . من أهل البصرة ، أستاذ المبرد ، روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد . قال عنه المبرد : «لم يكن بعد سيوبه أعلم بالنحو من أبي عثمان» . قيل إنه توفي : (٢٤٨هـ) ، وقيل : (٢٤٩هـ) . انظر : أخبار النحويين البصريين ٨٥ ، ومعجم الأدباء ١٠٧ / ٧ ، والأعلام ٦٩ / ٢ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٤ ب .

(٦) في (د) : (التوراة) .

(٧) الإمالة : أن تُمِيلَ الفتحَةُ نحو الكسرة ، تُمِيلُ الألفُ نحو الياء ، من غير قلب خالص ، ولا إشباع مبالغ . وهي كبرى وصغرى ؛ فالكبرى : أن يُصَرَفَ الفتح إلى الكسر كثيراً . ويُعَبَّرُ عنها بالكسر مجازاً ، أو البطح أو الإضجاع ، وعند سيوبه : الإجناح . والصغرى : أن يُصَرَفَ الفتح إلى الكسر قليلاً ، ويسمى بين اللفظين ؛ أي بين الفتح وبين الإمالة الكبرى ، أو يعبر عنها بالتقليل والتلطيف ، =

فَمَنْ فَخَّم ؛ فَلَأَنَّ الرَّاءَ^(١) حَرْفٌ يُمْنَعُ الإِمَالَةُ ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكْرِيرِ ، كَمَا يَمْنَعُهُ الْمُسْتَعْلَى^(٢) ، وَلَوْ كَانَ مَكَانَ^(٣) الرَّاءِ مُسْتَعْلٍ مَفْتُوحٌ ، لَمْ تَحْسُنِ الإِمَالَةُ ، كَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الرَّاءُ مَفْتُوحَةً .

وَمَنْ أَمَالَهَا ؛ فَلَأَنَّ الْأَلْفَ لَمَّا كَانَتْ رَابِعَةً ، لَمْ تَخُلْ مِنْ أَنْ تَشْبَهَ أَلِفَ التَّائِيثِ ، أَوِ الْأَلْفَ الْمُنْقَلِبَةَ عَنِ الْوَاوِ ، وَعَنِ^(٤) الْيَاءِ .

= أَوْ بَيْنَ بَيْنِ . وَالتَّفْخِيمُ ، أَوِ الْفَتْحُ هُوَ النُّطْقُ بِالْأَلْفِ مَرْكَبَةً عَلَى فَتْحَةٍ خَالِصَةٍ غَيْرِ مُمَالَةٍ . وَهُوَ شَدِيدٌ وَمُتَوَسِّطٌ ؛ فَالشَّدِيدُ : فَتَحَ الْقَارِئُ لِفِيهِ بِلَفْظِ الْحَرْفِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ أَلِفٌ ، وَهُوَ مَكْرُوهٌ . وَالْمُتَوَسِّطُ : مَا بَيْنَ الشَّدِيدِ ، وَالْإِمَالَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ ، وَهُوَ الْمُسْتَعْمَلُ عِنْدَ أَصْحَابِ الْفَتْحِ مِنَ الْقِرَاءِ .

انظر : الرعاية لمكي ١٢٩ ، وجمال القراء للسخاوي ٢ / ٥٠٠ ، والتمهيد لابن الجزري ٥٧ .
ووردت الإمالة في قراءة ﴿التَّوْرَةِ﴾ عن أبي عمرو ، والكسائي ، وابن ذكوان ، وخلف . ووردت الإمالة بين اللفظين ، والإمالة المحضة عن حمزة . ووردت الإمالة بين اللفظين عن نافع . أما التفخيم ؛ فورد عن ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر .

انظر : السبعة لابن مجاهد ٢٠١ ، والكشف لمكي ١ / ١٨٣ ، والتبصرة لمكي ٤٥٥ ، والتيسير للداني ٨٦ ، والإقناع لابن الباذش ١ / ٢٨٢-٢٨٤ ، والنشر لابن الجزري ٢ / ٦١ .

(١) من قوله : (فلأن الراء . . .) إلى (. . . كذلك يميلون الراء) : نقله بتصرف يسير عن الحجة للفارسي ١٥ / ٣ .

(٢) حروف الاستعلاء : الخاء ، والصاد ، والضياء ، والطاء ، والظاء ، والغين ، والقاف . انظر : الرعاية لمكي ١٢٣ ، والتمهيد لابن الجزري ٩ .

(٣) في (أ) : (مكان مكان) .

(٤) في (د) : (أو من) .

وَأَلِفٌ ^(١) التَّائِيثُ ثَمَالٌ ^(٢) ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَهَا مُسْتَعْلٌ ؛ كَقَوْلِهِمْ : فَوَضَى ^(٣) ،
وَجَوْخَى ^(٤) وهي مدينة ^(٥) ، [فـ] ^(٦) كما أَمَالُوا الْمُسْتَعْلِيَّةَ مَعَهَا ، كَذَلِكَ يَمِيلُونَ
الرَّاءَ ^(٧) وَالْأَلِفَ الْمُنْقَلِبَةَ عَنِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ ، وَتَمَالُ نَحْوُ : ﴿رَمَى﴾ ^(٨) و﴿سَجَى﴾ ^(٩) ، وَأَشْبَاهَهُمَا .

وقوله تعالى : ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ . قَالَ الزَّجَّاجُ ^(١٠) : الْإِنْجِيلُ ، (إِفْعِيل) ؛ مِنْ
(النَّجَل) ، وَهُوَ ^(١١) : الْأَصْلُ . هَكَذَا كَانَ ^(١٢) يَقُولُ جَمِيعُ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي (إِنْجِيل) .

(١) في (د) : (والألف) .

(٢) في (د) : (قال) .

(٣) في (أ) : (قوضى) . وفي (ب) : (قوضي) . وفي (د) قوضي . والمثبت من (ج) ؛ لموافقته للمصدر المنقول عنه ، وهو الحجة للفارسي ١٥ / ٣ ؛ ولأن ما لم أثبتْ لم أقف عليه في معاجم اللغة التي بين يدي .

(٤) في (ب) : (جوخي) . وفي (د) : (حوجي) .

(٥) في (ج) : (وهما مدينتان) . وجَوْخَى : قرية من أعمال واسط بالعراق . انظر : معجم ما استعجم للبكري ٤٠٣ ، والقاموس المحيط (جاخ) ٢٥٠ .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة ليستقيم بها الكلام ، وهي موجودة في الحجة ١٥ / ٣ .

(٧) قال الفارسي : «وإذا أمالوا مع المستعلي ، كانت الإمالة مع الراء أجود ؛ لأن الإمالة على الراء أغلب منها على المستعلي ، ألا ترى أنه قد حكي الإمالة في نحو : عمران ، ونحو : فراش ، وجراب . ولو كان مكان الراء المستعلي ، لم تكن فيه إمالة ؟ . . . » . الحجة ١٦ / ٣ ، وانظر : كتاب سيبويه ١٤١ / ٤ ، ١٤٢ .

(٨) من قوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّكَ اللَّهُ رَمَى﴾ . [الأنفال ١٧] . وقد أمالها أبو بكر ، وحمزة ، والكسائي . انظر : الكشف لمكي ١٧٧ / ١ ، و ١٨٤ .

(٩) الضحى ٢ . وقد أمالها الكسائي . انظر : الكشف ١٨٩ / ١ ، والتيسير للداني ٤٩ .

(١٠) في معاني القرآن له ٣٧٥ / ١ .

(١١) في (د) : (وهي) .

(١٢) (كان) : ساقطة من (ج) .

قال ابن الأنباري^(١) : معنى قولهم : (إنجيل) لِكِتَابِ اللَّهِ : أَصْلٌ لِلْقَوْمِ^(٢) الذين^(٣) نزل عليهم ؛ لأنهم يَعْمَلُونَ بما فيه . ويقال^(٤) : لَعَنَ اللَّهُ نَاجِلِيهِ ؛ أي والدَيْهِ . وأنشد قول الأعشى :

إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَلَا^(٥)

أي كانا أصلاً له إذ وَلَدَاهُ .

وقال قوم^(٦) : (الإنجيل) ، مأخوذ من قول العرب : نَجَلْتُ الشَّيْءَ : إذا استخرجته وأظهرته . يقال للماء الذي يخرج من النَّزْرِ^(٧) : نَجْلٌ .

ويقال : قد استَنَجَلَ الوادي : إذا أخرج الماء من النَّزْرِ . فسَمِيَ الإنجيلُ إنجيلاً ؛ لأن الله - تعالى - أظهره للناس بعد طُمُوسِ الحق ودُرُوسِهِ .

(١) في الزاهر ١/١٦٨ . نقله عنه ، مع التصرف في بعض عباراته .

(٢) في (د) : (القوم) .

(٣) في (ج) : (الذي) .

(٤) في (ج) : (ويقولون) .

(٥) عجز بيت ، وصدره :

أنجب أيام والداه به

وهو في ديوانه ١٧١ ، وقد ورد منسوباً له في مجالس ثعلب ١/٧٧ ، والزاهر ١/١٦٩ ، والبارع لأبي علي القالي ٦٢٥ ، وتهذيب اللغة (نجل) ٤/٣٥٢٢ ، والمحتسب لابن جني ١/١٥٣ ، والإفصاح للفارقي ٣٣٢ ، واللسان (نجل) ٧/٤٣٥٥ ، وأوضح المسالك لابن هشام : ١٥٣ ، وجمع الهوامع للسيوطي ٤/٢٩٧ .

ويروى البيت : (أنجبَ أيام والدیه به) ، و(أزمان) بدلاً من (أيام) . والبيت من قصيدة يمدح بها سلامة ذا فائش الحميري . ومعنى البيت : ولداً ولداً نجيباً . فيكون سياق البيت كالآتي : أنجبَ والداه به أيام إذ نجلاه فنعم ما نجلا .

(٦) ممن قال ذلك ابن دريد في جبهة اللغة (نجل) ١/٤٩٢ . وانظر : المعرب للجواليقي ١٢٣ .

(٧) النَّزْرُ ، والنَّزْرُ : ما تَحَلَّبَ من الأرض من الماء . ونَزَرَتِ الأرض : صارت ذا نَزْرٍ . انظر : (نزر) في تهذيب اللغة ٤/٣٥٥٠ ، ومجمل اللغة ٨٤٣ ، والقاموس ٥٢٧ .

قال : وفي (الإنجيل) قولٌ ثالث : وهو أن يكون سُمِّيَ إنجيلاً ؛ لأن الناس اختلفوا فيه ، وتنازعوا .

قال أبو عمرو الشيباني^(١) : التَّنَاجُلُ : التنازع . يقال : تناجلَ القومُ : إذا تنازعوا^(٢) .

وقال جماعة من أهل التحقيق : التوراة والإنجيل والزَّبُور ، أسماءُ عُرِّبَت من السريانية ، وليس يُطَرَّدُ فيها قياس الأسماء العريية ؛ ألا تراهم يقولون لها بالسريانية : (تُورِي) ، (انِكِلْيُون)^(٣) ، (زَفُوتَا)^(٤) ؟

(١) انظر : تهذيب اللغة (نجل) ٤ / ٣٥٢٢ .

(٢) انظر : اشتقاقات الإنجيل ومعانيه في نزهة القلوب للسجستاني ١٢٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣ / ١٦١ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٥٦٢ ، وإضافة إلى بقية معاجم اللغة في مادة (نجل) .

(٣) في (ج) : (ان كليون) . قيل إنه معرب من الرومية وليس من السريانية ؛ أي الآرامية ، وأصله : (إثانجيليوم) ؛ أي الخبر الطيب . فمدلوله مدلول اسم الجنس ؛ لذا أدخلوا عليه كلمة التعريف في الرومية . وعُربّه العرب فأدخلوا عليه لام التعريف . ويرى ابن عاشور أن من ذهب إلى كونه منقولاً من السريانية ، قد تكون العبارة اشتبهت عليه ، وأن الصواب (اليونانية) ؛ لأن فيها (أوَوَاتِيلُون) ؛ أي اللفظ الفصيح . انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٣ / ١٤٩ .

(٤) ومن ذهب إلى أن (الإنجيل) و(التوراة) اسمان أعجميان : الزخشري ، والجواليقي ، والنسفي ، وابن جزي ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والسمين الحلبي ، والطاهر بن عاشور . قال الزخشري : «وتكلف اشتقاقهما من (الوَرِي) و(النَّجَل) ، وزنها بد(تفعلة) ، و(إفعيل) ، إنها يصح بعد كونها عربيين» . الكشف ١ / ٤١٠ . انظر : المعرب للجواليقي ١٢٣ ، وتفسير النسفي ١ / ١٤١ ، وتفسير ابن جزي ٧٣ ، وتفسير البيضاوي ١ / ٦٢ ، وتفسير أبي السعود ٢ / ٤ ، وعمدة الحفاظ للسمين ٥٦٢ ، والتحرير والتنوير ٣ / ١٤٩ . وقد استدلل بعضهم بقراءة الحسن : (والأنجيل) بفتح الهمزة ، على أنه أعجمي ؛ لأنه ليس في أبنية العرب (أفعيل) . انظر : الزاهر ١ / ١٦٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٧٨ ، واللسان (نجل) ٧ / ٤٣٥٦ .

٤. وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾؛ أي ما فرق بين الحق والباطل^(١). قال ابن عباس في رواية عطاء^(٢): يريد به جميع الكتب؛ لأنه فرَّق فيها بين الحق والباطل^(٣).

وقال السُّدِّي^(٤): في هذه الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: ونَزَلَ التوراة والإنجيل وأنزل الفرقان؛ هُدى للناس.

وقوله تعالى: ﴿ذُوَانِقَامٍ﴾؛ أي مَن كَفَرَ به؛ (لأن)^(٥) ذَكَرَ الكافرين جرى هاهنا.

والانتقام: العقوبة. يقال: انتقم منه انتقاماً؛ أي عاقبه^(٦).

وقال اللَّيْث^(٧): يقال: لَمْ أَرْضَ منه حتى نَقِمْتُ، وانتَقَمْتُ: إذا كافأه؛ عقوبةً بما صنع.

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ١/٣٧٥، ومعاني القرآن للنحاس ١/٣٤٣، وتفسير البغوي ٦/٢.

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٣) إضافة إلى هذا القول، فقد وردت الأقوال الآتية في (الفرقان): أنه القرآن، وهو قول قتادة والربيع وعطاء ومجاهد ومُقسَّم والجمهور. فهو مصدر لكل ما يفرق بين الحق والباطل في أمر عيسى عليه السلام، وغير ذلك من أموره، وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير، ورجحه الطبري؛ محتجاً بتقدم ذكر القرآن في آية ٣ من هذه السورة، فلا داعي لإعادته. والتوراة، وهو قول أبي صالح، ورَدَّه ابن كثير؛ نظراً إلى تقدم ذكر التوراة. وأنه خواتيم سورة البقرة، قاله سعيد بن جبير.

انظر: تفسير الطبري ٣/١٦٧، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/٣٧٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٨٨، ومعاني القرآن للنحاس ١/٣٤٣، وتفسير البغوي ٦/٢، وزاد المسير ١/٣٥٠، وتفسير ابن كثير ١/٣٦٩.

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ٣/٥، وتفسير البغوي ٦/٢، وزاد المسير ١/٣٥٠.

(٥) في (أ): (لال). والمثبت من (ب) و(ج) و(د).

(٦) انظر (نقم): في تهذيب اللغة ٤/٣٦٥٤، والصحاح ٥/٢٠٤٥، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (تحقيق عدنان داودي) ٨٢٢.

(٧) قوله في تهذيب اللغة (نقم) ٤/٣٦٥٤.

٦. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾^(١). التصوير: جعل الشيء على صورة. والصورة: هيئة يكون^(٢) عليها الشيء بالتأليف.

وأصلها من (صاره، يصوره): إذا أماله^(٣). فهي صورة؛ لأنها مائلة إلى بنية بالشبه لها.

وقوله تعالى: ﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾. جمع رحم. وأصلها من الرحمة^(٤)؛ وذلك لأنها مما يتراحم بالاشتراك فيها، ويتعاطف.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾؛ أي ذكراً (و)^(٥) أنثى؛ قصيراً وطويلاً؛ أسوداً وأبيضاً؛ سعيداً وشقيئاً. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

٧. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ إلى قوله: ﴿مُنشِئَهُنَّ﴾، اختلف المفسرون في المحكم والمتشابه.

(١) لم يتعرض المؤلف لتفسير آية ٥.

(٢) في (أ): (تلون). وفي (ج): (يلون). والمثبت من (ب) و(د).

(٣) يقال: صارَه يصوره، ويصيره. انظر: تهذيب اللغة (صار) ١٩٥٨/٢، وغريب الحديث لأبي عبيد بن سلام ٣٠٩/٢، واللسان ٢٥٢٤/٤.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (تحقيق عدنان داودي) ٣٤٧. وورد في الحديث: «قال الله: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بئته». أخرجه الترمذي في السنن: رقم ١٩٠٧ في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، وقال الترمذي: حديث صحيح، والحاكم في المستدرک ١٥٧/٤. وصححه، وافقه الذهبي، وأحمد في المسند ١/١٩٤. وعند البزار: «أنا الرحمن الرحيم، وإن شققت الرحم من اسمي...». انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار ٣٧٩/٢، وتحقيق الأعظمي، وقال عنه الهيثمي: وإسناده حسن. مجمع الزوائد ٨/١٥١.

(٥) في (ج): (أو). وكذا كتبت (أو) بدلاً من (و) في (ج) في ما بعدها.

واختلفت (فيهما)^(١) الروايات عن ابن عباس ، فقال في رواية عطية :
 المُحَكَّم : الناسخ الذي يُعمل به . والمتشابه : المنسوخ الذي يُؤمَّن به ، ولا يُعمل
 [به]^(٢) . وهذا قول قتادة ، والربيع^(٣) .

وقال في رواية عطاء : المُحَكَّمات : (هي)^(٤) الثلاث (الآيات)^(٥) في (آخر)^(٦)
 سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآيات الثلاث^(٧) .

- (١) في (ج) : (فيها) .
- (٢) ما بين المعقوفين : زيادة من (ج) .
- (٣) وهذا الأثر عن ابن عباس من رواية عطية ، في تفسير الطبري ١٧٢/٣ ، وتفسير الثعلبي ٥/٢ ب ، الدر المنثور للسيوطي ٨/٣ . وسند هذا الأثر عن ابن عباس من طريق عطية ، قال عنه الشيخ أحمد شاكر : «إِسْنَادٌ مُسَلَّسٌ بِالضَعْفَاءِ» . انظر : تفسير الطبري ٢٦٣/١ هامش (١) (ط . شاكر) ، وقد تكلم على السند بإسهاب . انظر : كذلك السند في تفسير الثعلبي ٤/١ أ . وقد أخرج الطبري أثراً آخر عن ابن عباس ، في المعنى نفسه من رواية السدي الكبير ، عن أبي مالك ، وأبي صالح عن ابن عباس . انظر : تفسير الطبري ١٧٢/٣ ، وانظر : تعليق الشيخ أحمد شاكر على سنده ، في ١٥٦/١ - ١٦٠ هامش (٢) (ط . شاكر) .
- (٤) انظر : الأثر عنها في تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (تحقيق د . مصطفى مسلم) ١١٥/١ ، وتفسير الطبري ١٧٢/٣ ، وتفسير الثعلبي ٥/٣ ب ، وتفسير البغوي ١٧/١ ، والمحزر الوجيز ١٧/٣ - ١٨ .
- (٥) (هي) : ساقطة من (ج) .
- (٦) في (ب) : (آيات) .
- (٦) في (ج) : (أوآخر) .
- (٧) لم أجد هذا الأثر عن ابن عباس من رواية عطاء في ما رجعت إليه من مصادر ، وإنما الوارد عنه هو من رواية أبي إسحاق السبيعي ، عن عبدالله بن قيس . وقد أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٨٨/٢ ، وصححه ، وافقه الذهبي ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٢/٢ كما أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ ، وعزا إخراج له سعيد بن منصور ، وابن مردويه . وورد من الطريق نفسه بلفظ آخر : «قال : هي الثلاث الآيات ، من هاهنا : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [الأنعام: ١٥١] ، إلى ثلاث آيات ، والتي في (بني إسرائيل) : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى آخر الآيات» . أخرجه الطبري في تفسيره ١٧٢/٣ ، وابن أبي حاتم ٥٩٢/٢ ، والثعلبي ٥/٣ ب ، من رواية أبي إسحاق . وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/٢ وزاد نسبة إخراج له عبد بن حميد ، وابن المنذر . انظر : الإتيان له ٥/٣ . وقال ابن عطية في المحزر الوجيز ١٧/٣ ، ١٨ : «وهذا عندي مثلاً أعطاه في المُحَكَّمات» .

﴿وَأَخْرَجُ مَتَشَبِهَاتٍ﴾ ؛ يريد : (التي)^(١) تشابهت اليهود ؛ وهي حُرُوف التَّهَجِّي في أوائل السُّور ؛ وذلك أنهم أوَّلُوها على حِسَابِ الجُمْل ، وطلبوا أن يَسْتَخْرِجُوا منها مُدَّة بقاء هذه الأُمَّة ، فاختلط عليهم واشتَبَه^(٢) .

وهذا القول ، اختيار الفراء^(٣) .

(١) في (ج) : (الذي) .

(٢) موقف اليهود من حروف أوائل السور ورد في أثر طويل رواه محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله ، وروايته له بصيغة التمریض ؛ حيث قال : « . . . في ما ذكر لي عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله . . . » . انظر : سيرة ابن هشام ٢ / ١٧٠ ، ١٧١ . فسنده ضعيف لما فيه من مجهول . وأخرجه الطبري في تفسيره ٣ / ١٧٤ ، وقال عنه الشيخ أحمد شاکر : «ضعيف الإسناد» . وقد أورد شاکر أسانید هذا الأثر وبيّن اضطرابها ، ثم قال : « وكلها ضعيف مضطرب ، إنها هو من ابن إسحاق ، أو لعلّه رواه بهذه الأسانید كما سمعته ، وضعيف مضطرب كلها » . تفسير الطبري ١ / ١٧٩ (ط . شاکر) . وأورده الثعلبي في تفسيره ٣ / ٦ ب ، وابن كثير في تفسيره ١ / ٣٧٠ ، وقال عنه : «مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو ممن لا يُحتج بما انفرد به» . وأورده السيوطي في الدر المشور ٢ / ٨ ، وأشار إلى ضعفه ، والشوكاني في فتح القدير ١ / ٤٨٠ ورّدّه . وقد استدلل الطبري بهذه الرواية على أن هذه الحروف هي من حساب الجُمْل ، مع أن الرواية التي أوردها مدارها على الكلبي ، الذي ضعفه الطبري نفسه ، وعده ممن لا يجوز الاحتجاج بنقله . وقال عنه ابن تيمية : «فهذا نقل باطل» ، وبيّن بطلانه من ثلاثة وجوه ، منها : أنه من رواية الكلبي . وقال ابن كثير : «وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد ، وأنه يُستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم ، فقد ادعى ما ليس له ، وطار في غير مطاره» ، ثم قال : «كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يُحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها ، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة ، وإن حُسبت مع التكرار فأظم وأعظم» . انظر : تفسير الطبري ٣ / ١٧٥ ، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ١٩١ . وتفسير ابن كثير ١ / ٣٧٠ .

(٣) في معاني القرآن له ١ / ١٩٠ .

وقال في رواية الوالبي^(١) : محكمات القرآن : ما فيه من الحلال والحرام ،
والحدود والفرائض ، مما يعمل به . والمتشابهات : مُقَدَّمُهُ ومُؤَخَّرُهُ ، وأمثاله
وأقسامه ، وما يُؤَمَّنُ به (ولا يعمل به)^(٢) .

وقال ابن كيسان^(٣) : المحكمات : حُجِّجُهَا واضحة ، ودَلَالُهَا لائحة ،
(لا)^(٤) حاجة بمن سمعها إلى طلب معانيها . والمتشابه : ما يُدْرِكُ عِلْمُهُ بالنظر .

(١) يريد المؤلف بالوالبي - والله أعلم - علي بن أبي طلحة ، الراوي عن ابن عباس ، وهكذا سماه الثعلبي شيخ المؤلف في مقدمة تفسيره الكشف والبيان ١ / ٥٥ ، وساق سنده إليه ، فقال : « . . . إن معاوية بن صالح حدثه عن علي بن طلحة [هكذا في المخطوط ، والصواب : ابن أبي طلحة] الوالبي ، عن ابن عباس » ، وهو السند نفسه الذي روى به ابن أبي طلحة التفسير عن ابن عباس ، وهو السند نفسه الذي جاءت به هذه الرواية عنه في هذا الموضع في تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم . ولم أقف في المصادر التي رجعت إليها على مَنْ سَمَّاهُ الوالبي سوى الثعلبي والواحدي ، والزركشي في البرهان ٢ / ١٥٨ . وهو علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي ، أبو الحسن . أرسل عن ابن عباس ولم يره ، عالم بالتفسير ، رواه عن ابن عباس مراسلاً ، والواسطة بينهما مجاهد ، أو سعيد بن جبير . وتُعَدُّ هذه الطريقة إلى ابن عباس في التفسير من أقوى الطرق إليه . واعتمد عليها البخاري في صحيحه . قال الإمام أحمد : « بمصر صحيفة تفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لورحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ، ما كان كثيراً » مات سنة (١٤٣هـ) . انظر : الجرح والتعديل ٦ / ١٩١ ، والمراسيل ١٤٠ ، وتاريخ بغداد ١١ / ٤٢٨ ، وميزان الاعتدال ٣ / ١٤٣ ، وتهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٩ ، والإتقان ٢ / ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٢) في (ج) : (وما لم يعمل به) . والأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٣ / ١٧٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢ / ٥٩٣ ، والبغوي في تفسيره ٨ / ٢ . وأورده السيوطي في الدر ٢ / ٩ ، وزاد نسبة إخرجه كذلك لابن المنذر ، وأورده كذلك في الإتقان ٣ / ٤ .

(٣) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٦ ، وأورده بالمعنى النحاس في معاني القرآن له ١ / ٣٤٥ . وابن كيسان ، أكثر من واحد ، وهو - هنا - عبدالرحمن بن كيسان ، أبو بكر الأصم المعتزلي ، كان من أفصح الناس ، وأورعهم ، وأفقههم ، وله تفسير للقرآن ، وكتب كثيرة ذكرها ابن النديم . قال ابن حجر : « هو من طبقة أبي الهذيل العلاف ، وأقدم منه » ، توفي سنة (٢٠٠هـ) ، وقيل : (٢٠١هـ) . وقد نصَّ الثعلبي على اسمه في مقدمة تفسيره الكشف والبيان ، وجعله من مصادره ، وعليه اعتمد الواحدي . انظر : الفهرست لابن النديم : ١٢٠ ، ولسان الميزان لابن حجر ٤ / ٢٨٨ ، وطبقات المفسرين للدودي ١ / ٢٧٤ ، وتفسير الثعلبي (المقدمة) ١ / ١٠ .

(٤) في (ج) : (ولا) .

وهذا القول اختيار أبي إسحاق ؛ لأنه حكى هذا القول ، وقال ^(١) : معنى ﴿ مِنْهُ ﴾ : **ءَايَتٌ مُّحْكَمَةٌ** : أي أحكمت في الإبانة ، فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها ؛ لأنها ظاهرة بيّنة ؛ نحو : ما قصّ الله - تعالى - من أقاصيص الأنبياء ، مما اعترف به أهل الكتاب ، وما أخبر الله - جلّ وعزّ - به من إنشاء الخلق ، في قوله : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عَلَقَةً ﴾ [المؤمنون : ١٤] . الآية . **وَمِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْمَاءِ (كُلٌّ)** ^(٢) شيء (حي) ^(٣) ، وما خلق من الثمار ، وهذا (ما) ^(٤) لم يُنكَروا ، (وأنكروا) ^(٥) ما احتاجوا فيه إلى النظر من أن الله يبعثهم بعد أن يصيروا تراباً ، (ولو نظروا وتدبروا) ^(٦) لصار المتشابه عندهم كالظاهر ؛ لأن من قدر على الإنشاء أولاً ، قدر على الإعادة .

وقد نبّه الله - تعالى - بقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا ﴾ [يونس : ٧٩] .

-
- (١) في معاني القرآن وإعرابه له ٣٧٦ / ١ . نقله عنه باختصار وتصرف يسير .
 (٢) في (ج) : (كل كل) .
 (٣) (حي) : ساقطة من (د) .
 (٤) في (ب) : (مما) .
 (٥) في (ج) : (ولو أنكروا) .
 (٦) (ولو نظروا وتدبروا) : ساقطة من (ج) .

وقال محمد بن جعفر بن الزبير^(١) : المحكم : ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد . والمتشابه : ما احتمل من التأويل أو جهاً^(٢) . وهذا اختيار ابن الأنباري ، وكثير من العلماء^(٣) .

[و]^(٤) قال ابن الأنباري^(٥) : الآية المحكمة : التي منعت كثرة التأويلات ؛ لأنها لا تحتمل إلا تفسيراً واحداً .

والعرب تقول^(٦) : حكمت وأحكمت وحكمت ؛ بمعنى : (رددت)^(٧) ، ومنعت . والحاكم يمنع (الظلم)^(٨) من الظلم .

(١) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني ، من أتباع التابعين ، كان من فقهاء أهل المدينة ، ثقة ، مات ما بين (١١٠ هـ و ١١٢ هـ) . انظر : الجرح والتعديل ٧ / ٢٢١ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٥٣٠ ، وتقريب التهذيب : ٤٧١ ، ٥٧٨٢ .

(٢) هذا معنى كلام محمد بن جعفر ، ذكره : الطبري في تفسيره ٣ / ١٧٣ ، ولفظه عنده من رواية محمد بن إسحاق : قال : «حدثني محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ : فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لها تصريح ولا تحريف عما وضعت عليه . ﴿وَأُخْرٍ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ : في الصدق ؛ لكن تصريحاً وتحريفاً وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ؛ لا يصرفن إلى الباطل ، ولا يُعرفن عن الحق» . انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٦٦ ، تفسير البغوي ٢ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٤ / ١٠ ، والدر المنثور ٢ / ٧ . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣ / ١٨ «وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية» .

(٣) ونسبه الماوردي ، وابن الجوزي للشافعي رحمه الله . انظر : النكت والعيون ١ / ٣٦٩ ، وزاد المسير ١ / ٣٨١ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) من قوله : (والعرب ...) إلى نهاية بيت الشعر : (... أحكموا سفهاءكم) : نقله بتصرف واختصار عن تهذيب اللغة للأزهري ١ / ٨٨٦ .

(٧) في (أ) : (رددت) . والمثبت من بقية النسخ ، ومن التهذيب .

(٨) في (ج) : (الظلم) .

قال الأصمعي^(١) : وأصلُ الحُكُومَةِ : رَدُّ الرَّجُلِ عَنِ الظُّلَمِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ لَبِيدَ :
 أَحْكَمَ الْجِنِّيَّ مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلُّ حِرْبَاءٍ إِذَا أَكْرَهَ صَلَّ^(٢)
 قال : الْجِنِّيُّ : السَّيْفُ^(٣) ؛ أَي رَدَّ السَّيْفَ عَنْ^(٤) عَوْرَاتِ (الدرع)^(٥)
 (وهي)^(٦) فَرْجُهَا ، كُلُّ حِرْبَاءٍ وَهُوَ الْمِسْمَارُ الَّذِي يُسَمَّرُ بِهِ حَلَقُهَا^(٧) .
 وَمِنْهُ حَدِيثُ النَّخَعِيِّ : حَكَّمَ الْيَتِيمَ كَمَا تُحَكَّمُ وَلَدَكَ^(٨) ؛ أَي امنعه من
 الْفَسَادِ^(٩) .

- (١) قوله في جبهة اللغة لابن دريد ١٤٣ / ١ (أبواب النوادر) ، وفي تهذيب اللغة كما سبق .
 (٢) البيت في ديوان لبيد ١٩٢ . وقد ورد منسوباً له في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ١٠٣٠ / ٢ ، وجبهة
 اللغة لابن دريد ١٤٣ / ١ ، وتهذيب اللغة (حكم) ٨٨٦ / ١ ، وشرح الأبيات المشككة الإعراب
 للفارسي ٥٤١ ، والصحاح (حرب) ١٠٩ / ١ ، ومجمل اللغة لابن فارس (جنث) ١٩٩ / ١ ، واللسان
 (حرب) ٣٠٦ / ١ ، و(حكم) ١٤١ / ١٢ . وورد غير منسوب في المخصص لابن سيده ٢٤٠ / ١٢ .
 وللبيت رواية ثانية برفع (الجنِّي) ، ونصب (كل) . ومعنى (إذا أكرهَ صَلَّ) : إذا أكرهَ لِيُدْخَلَ في
 الحلق ، سمعت له صليلاً . وعلى الرواية الثانية ، يكون معنى الإحكام في البيت : إحكام الصنعة ،
 و(الجنِّي) : الزَّراد (الحداد) ؛ أَي أَحْكَمَ الزَّرادُ مساميرها . انظر : كتاب المعاني الكبير ١٠٣٠ / ٢ ،
 وشرح الأبيات المشككة ٥٤١ ، وجبهة اللغة ١٣٢٢ / ٣ .
 (٣) في القاموس «الجنثي بالضم : السيف ، والزَّراد ، وأجود الحديد ، ويكسر» . ١٦٦ ، انظر : مجمل اللغة
 (جنث) ١٩٩ / ١ .
 (٤) في (ب) : (من) .
 (٥) في (ج) : (الدروع) .
 (٦) في (ب) : (وهو) .
 (٧) انظر : (حرب) في الصحاح ١٠٨ / ١ ، واللسان ٨١٨ / ٢ .
 (٨) الأثر في غريب الحديث لأبي عبيد ٢٤٠ / ٢ ، وقال : «حدثني ابن مهدي ، عن سفيان ، عن منصور ،
 عن إبراهيم . . .» ، تهذيب اللغة ٨٨٦ / ١ ، والفاوق في غريب الحديث للزنجشري ٣٠٣ / ١ ، وغريب
 الحديث لابن الجوزي ٢٣١ / ١ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٢٠ / ١ .
 (٩) وقيل : حَكَّمَهُ في ماله وملكه إذا صَلَحَ ، كما تُحَكَّمُ وَلَدَكَ في ملكه . ولم يرتض الأزهري هذا المعنى ،
 ورجح المعنى السابق . انظر : تهذيب اللغة (حكم) ٨٨٦ / ١ ، والزاهر لابن الأنباري ٥٠٣ / ١ ،
 والنهاية في غريب الحديث ٤٢٠ / ١ ، والمراجع السابقة .

وقال جرير :

... أَحْكُمُوا^(١) سُفَهَاءَكُمْ^(٢) ...

يقول : امنعوههم^(٣) من التعرّض .

قال أبو بكر^(٤) : «الْمُتَشَابِهُ ، مَا اعْتَوَرَتْهُ تَأْوِيلَاتٌ . وَسُمِّيَ مُتَشَابِهًا ؛ لِأَن لَفْظَهُ يُشَبِّهُ لَفْظَ غَيْرِهِ ، وَمَعْنَاهُ يَخَالِفُ مَعْنَاهُ .

وقال بعضهم^(٥) : «الْمَحْكَمُ : مَا عَرَفَ الْعُلَمَاءُ تَأْوِيلَهُ ، وَفَهَمُوا مَعْنَاهُ . وَالْمُتَشَابِهُ : مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ سَبِيلٌ ، مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ ؛ وَذَلِكَ نَحْوُ : وَقْتُ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَخُرُوجِ الدَّجَالِ ، وَنَزُولِ عِيسَى ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ ، وَعِلْمِ الرُّوحِ» .

(١) في (ج) : (حكموا) .

(٢) البيت في ديوانه ٤٧ . وتماهه :

أَبْنِي حَنِيفَةَ أَحْكُمُوا سُفَهَاءَكُمْ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
وقد ورد منسوباً له في غريب الحديث لأبي عبيد ٤٢١/٢ ، والكامل للمبرّد ٢٦/٣ ، والزاهر ٥٠٣/١ ، في تهذيب اللغة (حكم) ٨٨٦/١ ، والصحاح ١٩٠٢/٥ ، ومجمل اللغة ٢٤٦/١ ، وأساس البلاغة للزحشري ١٩١/١ ، واللسان ٩٥٣/٢ . وورد غير منسوب في غريب الحديث للخطابي ٤٦٢/٢ ، والفائق للزحشري ٣٠٣/١ . وقد وردت روايته في الكامل (أبني حنيفة نههوه) .

(٣) في (ج) : (امنعوا السفهاء) .

(٤) هو ابن الأنباري ، ولم أقف على مصدر قوله .

(٥) من قوله : (وقال ...) إلى (...) وعلم الروح) : نقله بتصريف يسير عن تفسير الثعلبي ٦/٣ أ ، كما أن هذا القول موجود في تفسير الطبري ١٧٣/٣ ، ومع اختلاف يسير جداً ، إلا أن سياق المؤلف له أقرب إلى سياق الثعلبي .

وَيُسْأَلُ (فيقال) ^(١) : ماذا ^(٢) أراد الله بإنزال المتشابه في القرآن ؛ وأراد بالقرآن لعباده الهدى والبيان ؟ فيقال : إنَّ القرآن نَزَلَ بِالْفَاطِ الْعَرَبِ ومذاهبها في الإيجاز ؛ (للاختصار) ^(٣) ، والإطالة ؛ (للتوكيد) ^(٤) ، والإشارة إلى الشيء ، وإغماض بعض المعاني ؛ حتى لا يظهر عليه إِلَّا اللَّقْنُ ^(٥) . ولو كَانَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا ، حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل ، لَبَطَلَ التَّفَاضُلُ بَيْنَ النَّاسِ ، وسقطت المِحنةُ ، وماتت الخواطرُ . وَمَعَ الْحَاجَةِ تَقَعُ الْفِكْرَةُ ^(٦) والحيلةُ ، ومع الكفاية يقع العَجْزُ والبِلَادَةُ ^(٧) .

وأصل التشابه ^(٨) : أَنْ يُشَبَّهَ اللَّفْظُ اللَّفْظَ فِي (الظاهر) ^(٩) ، والمَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ . قال الله - عز وجل - فِي وَصْفِ شَمَارِ الْجَنَّةِ : ﴿ وَأَتَوُا بِهِمْ مُتَشَبِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥٠] ؛ أَيِ مُتَّفِقِ الْمَنَاطِرِ ، [و] ^(١٠) مُخْتَلِفِ الطُّعُومِ ^(١١) .

- (١) في (د) : (فيقول) .
- (٢) من قوله : (ماذا ...) إلى (...) يقع العجز والبِلَادَةُ : نقله عن تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٨٦ .
- (٣) في (د) ، وتأويل المشكل : (والاختصار) .
- (٤) في تأويل المشكل : (والتوكيد) .
- (٥) في (د) : (الكفر) . وَاللَّقْنُ سَرِيعُ الْفَهْمِ . انظر : القاموس (لقن) : ١٢٣١ .
- (٦) في (ج) : (النكر) .
- (٧) انظر : الحكمة في ورود المحكم والمتشابه في القرآن ، في الكشف ١/ ٤١٢ ، وتفسير الفخر الرازي ٧/ ١٨٥ ، ١٨٦ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٧٥ ، والفوائد الجميلة على الآيات الجليلة للرجراجي ١٦١ ، وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات للكرمي ٥٠ ، ونور من القرآن لعبد الوهاب خلاف ٦٧ ، وعلوم القرآن للدكتور عدنان زرزور ١٧٧ ، والناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي لعبد المتعال الجبري ١٣٥ .
- (٨) من قوله : (وأصل التشابه ...) إلى (...) وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة ، مشكل : نقله بتصرف واختصار يسيرين عن تأويل مشكل القرآن : ١٠١ ، ١٠٢ .
- (٩) (الظاهر) : ساقطة من (ج) .
- (١٠) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .
- (١١) ممن قال هذا ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع ، وغيرهم . انظر : تفسير الطبري ١/ ١٧٣ ، وتفسير القرطبي ١/ ٢٠٦ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٦ ، وتفسير المشكل لمكي ٢٥ ، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي ١/ ٥٣ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢٥٩ .

ثم يقال لكل ما غمض ودَقَّ: مُتَشَابِهٌ، وإن لم تقع الحيرة فيه، مِنْ جِهَةِ (الشَّيْبَةِ) ^(١) بغيره، ألا تَرَى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السُّور: متشابهة؟ (وليس) ^(٢) الشك ^(٣) فيها. والوقوف فيها؛ لمشاكلتها غيرها والتباسها به. ومثل المتشابه: المُشْكِلُ.

واعلم ^(٤) أَنَّ القرآن كُلَّهُ مُحَكَّمٌ مِنْ وَجْهِ؛ على معنى: أنه (حقٌّ) ^(٥) ثابت ^(٦). قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا مُحْكَمًا أَنَّهُ﴾ [هود: ١]. ومُتَشَابِهٌ مِنْ وَجْهِ؛ وهو أن يشبه بعضه بعضاً في الحُسْنِ، ويصدق بَعْضُهُ بَعْضاً ^(٧)، وهو قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ ^(٨) [الزمر: ٢٣].

-
- (١) في (ج): (الشيء).
- (٢) في (ج): (ولبس).
- (٣) قوله: (الشك . . .) إلى (ومثل المتشابه): ساقط من (ج).
- (٤) من قوله: (واعلم . . .) إلى (. . . ويصدق بعضه بعضاً) نقله عن تفسير الثعلبي ٦/٣ ب.
- (٥) (حق): ساقطة من (ج).
- (٦) تدور معاني الإحكام العام هنا على المعنى اللغوي للكلمة؛ أي بمعنى الإتيان، والتدعيم، ومنع تطرق الخلل إلى ألفاظه وأساليبه ومعانيه؛ فهو محكم الألفاظ، لا يعترها خلل ولا خطأ؛ ومحكم الأساليب، لا يعتورها ركة ولا تعقيد؛ ومحكم المعاني، فكلها حق ورسوخ، وثبات.
- (٧) قوله: (في الحسن ويصدق بعضه بعضاً): ساقط من (ج).
- (٨) قال ابن العربي: «وأما كونه متشابهاً فبمعنى واحد، وهو ما وصفناه من الإحكام الذي يجري في جميع سورة وآياته». قانون التأويل له: ٦٦٥. ويقول: «والمعنى الذي صار به القرآن كله محكماً، بذلك المعنى، صار كله متشابهاً». المرجع السابق ٦٦٥. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالتشابه هنا: تماثل الكلام، وتناسبه؛ بحيث يصدق بعضه بعضاً. فالإحكام العام في معنى التشابه العام، بخلاف الإحكام الخاص والتشابه الخاص؛ فإنهما متنافيان». ذكره ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق ٩٢. انظر في هذا المعنى: الرسالة التدميرية لابن تيمية ٦٥، والقائد إلى تصحيح العقائد لعبد الرحمن العلمي ١٦١، وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ١٢٤، وأقاويل الثقات للكرمي ٤٨.

وقوله تعالى : ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ ؛ أي أصل الكتاب الذي يُعْمَلُ عليه ^(١) .
فَمَنْ جَعَلَ (المُحْكَمَات) : الآيات الثلاث في (الأنعام) ، قال : يريد : هُنَّ أُمَّ كُلِّ
كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ ، فيهن كلُّ ما أحلَّ ، وفيهن كلُّ ما حرَّم . ووَحَدَ (الْأُمَّ)
بعد قوله : ﴿هُنَّ﴾ ؛ لأن ^(٢) الآيات كلها في تكاملها واجتماعها ، كآية الواحدة ،
وكلام الله واحد .

وقال أبو العباس ^(٣) : لأنهن بكمالهِنَّ أُمَّ ، وليست كلُّ واحدةٍ منهن أُمَّ
الكتاب ، على انفرادها .

وقال الأخفش ^(٤) : وَحَدَّ ﴿أُمَّ الْكِتَابِ﴾ بالحكاية ؛ على تقدير الجواب ، كأنه
قيل ^(٥) : ما أُمَّ الكتاب ؟ فقيل : هُنَّ أُمَّ الكتاب ، كما تقول : مَنْ نَظِيرُ زَيْدٍ ؟ فيقول
قومٌ : نحن نظيرُهُ ^(٦) ، كأنهم حَكَّوْا ذلك اللفظ . وهذا على قولهم ^(٧) : دَعْنِي مِنْ
(تَمْرَتَانِ) ^(٨) ؛ أي مِمَّا يُقَالُ له : (تمرتان) .

(١) والعرب تطلق (الأم) على كلِّ ما جُعِلَ مُقَدِّمًا لِأَمْرٍ ، وله تَوَابِعٌ تُتَّبَعُهُ ، وكلُّ جامعٍ لِأَمْرٍ ؛ ومن ذلك :
رَأْيَةُ الْجَيْشِ ، والجُلْدَةُ التي تجمع الدَّمَاعَ تسمى : أُمَّ الرَّأْسِ ، ومَكَّةُ الْمُكْرَمَةِ تسمى : أُمَّ الْقُرَى ؛ لتقدمها
أمام جميعها ، أو لِأَنَّ الْأَرْضَ دُحِيتُ مِنْهَا ، فصارت لجميعها أُمَّ . . . وهكذا . انظر : تفسير الطبري
١٧٠ / ٣ ، والصحاح (أمم) ١٨٦٤ / ٥ ، ١٨٦٥ ، وتفسير الثعلبي ١٥ / ٣ .

(٢) من قوله : (لأن . . .) إلى (. . . وكلام الله واحد) : نقله بنصه عن تفسير الثعلبي ٥ / ٣ ب . انظر
تفسير الطبري ١٧٠ / ٣ .

(٣) لم أقف على مصدر قوله .

(٤) في معاني القرآن له ١ / ١٩٣ . نقله عنه بالمعنى .

(٥) في (ج) : (قيل له) .

(٦) العبارة في معاني القرآن للأخفش : « . . . كما يقول الرجل : ما لي نصير . فيقول : نحن نصيرك » .

(٧) في (ج) و(د) : (وعلى هذا قولهم) .

(٨) في (ب) : (تمرتان) .

قال أبو بكر^(١): «وقول الأخفش بعيد من الصواب في الآية؛ لأن الإضمار لم يُقَم عليه دليل، ولم تدع إليه حاجة». وقيل^(٢): أراد: كل آية منهن أم الكتاب؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]؛ أي كل واحدٍ منهما آية^(٣).

قال العلماء، وأصحاب المعاني: معنى قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ أي أصل الكتاب الذي يُستدل به على التشابه وغيره من أمور الدين. فإذا وردت الآية المتشابهة رُدَّت إلى المحكمة، فكانت المحكمة^(٤) مُفسَّرة لها، وقاضية على معناها.

ف﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ معناه: أصل الكتاب الذي ترجع إليه التأويلات، وتضم جميع المعاني؛ لأن الأم يرجع إليها بنوها فتضمهم.

مثال ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]. هذه آية^(٥) مُحَكَّمَةٌ، لا تحتل تأويلاً غير ظاهرها^(٦)؛ لأن معناها: لا ينشئ الصُّور^(٧)، ولا يُركَّب الأرواح في الأجسام غيره عز وجل.

وأما الآية المتشابهة: فقوله عزَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ يقع هذا متنافياً عند الجاهل؛ إذ كان قال في ذلك الموضع: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وجعل في^(٨) هذا الموضع مع الله خالقين؛ فاحتجنا إلى ردِّ

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده السمين الحلبي في الدر المنصور ٢٦/٣.

(٢) هو قول ابن كيسان. انظر: معاني القرآن للنحاس ٣٤٨/١.

(٣) فعيسى - عليه السلام - أمه، مشتركان جميعاً في الأمر العجيب الخارق للعادة، فهي قد جاءت به من غير زوج، وهو من غير أب. فلم تكن الآية لها إلّا به، ولا له إلّا بها. انظر: تفسير الطبري ١٧١/٣، ومعاني القرآن للنحاس ٣٤٨/١، وتفسير الفخر الرازي ١٠٣/٢٣.

(٤) فكانت المحكمة: ساقطة من (د).

(٥) في (ب): (الآية).

(٦) في (د): (غير ظاهر).

(٧) في (د): (الصورة).

(٨) في (ساقطة من ج).

هذه الآية ، إلى الآية المحكمة ؛ لِتَحْكَمَ^(١) عليها ، فقلنا : قد نَفَت الآيةُ المحكمةُ أن يكون مع الله - تعالى - خالقٌ يُشْئى ويُجْئى .

ووجدنا العربَ تجعل (الخلقَ) على مَعْنَيْنِ : أحدهما : الإنشاء ، والآخر : التقدير .^(٢) فنفت الآيةَ المحكمةَ (الخلقَ) الذي بمعنى : الإنشاء ، فبقي الذي معناه^(٣) التقدير . فَحَمَلْنَا الْمُتَشَابِهَ عليه ، وقلنا : تأويلُهُ : فَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الْمُقَدِّرِينَ ؛ كما قال : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] ؛ أي وَيُقَدِّرُونَ^(٤) .

ومن هذا القبيل أيضاً ، قوله : ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] ؛ هذه مُحْكَمَةٌ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَاتِ . ثم قال : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] ؛ فَأَثْبَتَ فِي الْمُتَشَابِهِ^(٥) ما نفاهُ في المحكمة ؛ فكانت المحكمةُ قاضيةً عليها ؛ لأنَّنا وجدنا النسيانَ في كلام العرب على مَعْنَيْنِ : أحدهما الإغفال ، والآخر التَّعَمُّدُ والتَّركُ^(٦) .

(١) في (ج) : (ليحكم) ، وفي (د) : (لنحكم) .

(٢) انظر : الأضداد للأصمعي (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) ٥٥ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٠٧ ، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٣٥ ، والزاهر ١ / ٨٤ ، وتهذيب اللغة ١ / ١٠٩٣ ، وقاموس القرآن للدامغاني ١٦٣ ، ١٦٤ ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (خلق) ٢٩٦ ، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٢٨٣ ، واللسان (خلق) ٢ / ١٢٤٣ .

(٣) (الذي معناه) : ساقط من (ج) .

(٤) في (د) : (وتعبدون) . وفي تهذيب اللغة (وتقدرون) ١ / ١٠٩٣ . انظر : تفسير الطبري ٢٠ / ١٣٧ ، وتهذيب اللغة (خلق) ١ / ١٠٩٣ ، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٣٦ ، وتفسير القرطبي ١٣ / ٣٣٥ ، ولسان العرب (خلق) ٢ / ١٢٤٣ ، وتفسير أبي السعود ٧ / ٣٤ ، والدر المنثور ٦ / ٤٥٧ ، وفتح القدير ٤ / ١٩٧ . وقد سبق أن ذكر المؤلف عند تفسير آية ٢١ من سورة البقرة : أن الخلق المنسوب لغير الله ، إنما هو قياس وتشبيه وافتراء ومحاكاة وتقدير ، على قدر قدره غيره ، فخلق الله ذاتي ، وخلق غيره على سبيل الاستعارة والتقدير .

(٥) في (د) : (المتشابهة) .

(٦) يعني أن النسيان ؛ إما ترك الشيء عن غفلة وسهو وعدم ذكر ، أو ترك الشيء مع التعمد . انظر : الأضداد لابن الأنباري ٣٩٩ ، والأضداد لأبي حاتم السجستاني ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ١٥٦ ، وقاموس القرآن للدامغاني ٤٥٤ ، ونزهة الأعين النواظر ٥٧٩ ، والوجوه والنظائر في القرآن للدكتور سليمان القرعاوي ٦١٤ ، والمصباح المنير (نسو) ٢٣١ .

فقلنا في قوله عز وجل : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] : تركوا^(١) الْعَمَلَ لله ، فَتَرَكَ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ^(٢) ؛ فكان في المحكم بيان التشابه .

ومن هذا قول الله عز وجل : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣) ؛ احتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على سريره ، واحتمل أن يكون بمعنى الاستيلاء ؛ وأحد الوجهين لا يجوز على الله ؛ لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهذا من المحكم ، الذي هو أصل يُرَدُّ إليه المتشابه ، فقلنا : إنَّ استواءه بمعنى الاستيلاء^(٤) ومثل هذا كثير ، وفي ما أورده كفاية لمن رزق الفهم .

(١) في (ج) : (ترك) .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٨ ، وتفسير الطبري ١٠ / ١٧٥ ، والأضداد لابن الأنباري ٣٩٩ ، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي ١ / ٢٢٠ .

(٣) سورة الأعراف ٥٤ ، ويونس ٣ ، والرعد ٢ ، والفرقان ٥٩ ، والسجدة ٤ ، والحديد ٤ .

(٤) لقد أبعد المؤلف - رحمه الله - النجعة ، في حل الاستواء على الاستيلاء ، وجانبه الصواب في ذلك ؛ حيث لم يرد عن العرب أنَّ من معاني الاستواء : الاستيلاء . وإنما الوارد عنهم في معاني الاستواء الاستقرار ، والقصد ، والعلو ، والإقبال على الشيء وإليه ، والصعود . وقد ذكر ابن القيم أن للسلف أربعة تفسيرات للاستواء ، وهي : الاستقرار ، والعلو ، والارتفاع ، والصعود ، وهو ما يتناسب مع المعنى اللغوي . انظر : توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لأحمد بن عيسى ١ / ٤٤٠ . أما الاستيلاء ؛ فقد أورده الجوهري في الصحاح مستنداً بقول الشاعر :

قَدْ اسْتَوَى بِشُرٍّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقِ

وقد نسب الزبيدي في تاج العروس البيت للأخطل . وتبع الجوهري في ذكر هذا المعنى صاحب لسان العرب وصاحب القاموس المحيط .

أما بيت الشعر السابق ؛ فقد قال عنه ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٥ / ١٤٦ : « ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي ، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه ، وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة . . . » . وقد ردَّ ابن الأعرابي - وهو من أئمة اللغة - على مَنْ فسر الاستواء بالاستيلاء هنا ، بقوله : « . . . لا يقال : استولى على الشيء ، إلا أن يكون له مضاد ، فإذا غلب أحدهما ، قيل : استولى . . . » . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكايني ٣ / ٤٤٢ .

والله - تعالى - لا منازع له في ملكه . ورده كذلك الخليل بن أحمد . ذكر ذلك الكرمي في أقاويل الثقات ١٢٤ .

فمعنى لفظ الاستواء من ناحية اللغة معروف ، وليس متشابهاً ، ولا حرج في تفسيره بالألفاظ التي =

وقوله تعالى : ﴿وَأُخْرَى﴾ ، زعم^(١) سيبويه والخليل أَنَّ (أُخْرَى) فارقت أخواتها ، والأصل الذي عليه بناء أخواتها ؛ لأن (أُخْرَى) أصلها أن تكون بالألف واللام^(٢) ؛ كما تقول : (الصُّغْرَى) و(الصُّغَرُ) ، و(الكُبْرَى) و(الكُبَرُ) . فلما عُدِلَتْ عن مُجْرَى الألف واللام ، وأصل (أَفْعَلَ مِنْكَ) وهي ممّا لا يكون^(٣) إِلَّا صِفَةً ، مُنِعَت الصَّرْفُ . وقد شرحنا هذه المسألة عند قوله : ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٤) [البقرة : ١٤٨] .

جاءت في اللغة ، وليس في ذلك إيهام بالكيف ، أو التجسيم ومشابهة الخلق ؛ لأننا عندما نفسر هذه الصفة ، إنما نذكر المعنى اللغوي ، ونُجري هذه المعاني بما يليق بجلال الله - تعالى - وعظمته ، ونقطع الطمع عن إدراك الكيفية ، وذلك لعجز عقولنا وقصورها عن إدراك ذلك . ومنهج السلف الصالح إزاء صفة الاستواء ، وغيرها من صفات الباري - تعالى - أن تمر كما جاءت ، من غير تكيف ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ؛ فيثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، إثباتاً منزهاً عن التشبيه ، ونفياً منزهاً عن التعطيل ، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو مُعْطِلٌ ، ومن شبهه باستواء المخلوق على المخلوق ، فهو مُثْمَلٌ . وقد قال الإمام مالك بن أنس ، لما سُئِلَ عن كيفية الاستواء : «الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» ، وقد وَرَدَ مثل ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها ، وربيعة الرأي .

انظر : شرح أصول الاعتقاد ٣/ ٤٤٠-٤٤٣ . وانظر : (سوا) في تهذيب اللغة ٢/ ١٧٩٤ ، والصحاح ٦/ ٢٣٨٥ ، واللسان ٤/ ٢١٦٠ ، والقاموس المحيط ١٢٩٧ ، وقاموس القرآن للدماغي ٢٥٥ ، وتاج العروس للزبيدي ١/ ١٧٩ . وانظر : حول موضوع صفة الاستواء تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٣٩٤ ، والرد على الجهمية للدارمي : ٤٠ ، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي : ١١٦ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٣٠٣ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ١٤٦ ، و٣٦٥ ، ٤٠٤ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر ١/ ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ورسائل في العقيدة لمحمد بن عثيمين ٧٠ .

(١) من قوله : (زعم ...) إلى (...) إِلَّا صِفَةً مُنِعَت الصَّرْفُ) : نقله عن معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٧٧ . وانظر : كتاب سيبويه ٣/ ٢٢٤ ، و٢٨٣ .

(٢) في معاني القرآن : (أن تكون صفة بالألف واللام) .

(٣) في (د) : (وهي لا تكون) .

(٤) يريد المؤلف - والله أعلم - أن (أُخْرَى) مُنِعَت مِنَ الصَّرْفِ ؛ لأنها جاءت صفة بغير الألف واللام ، ولم تلحقها (من) كأفعل التفضيل (أفعل منك) ؛ حيث إن (أُخْرَى) جمعٌ ، ومفردة (أُخْرَى) . و(أُخْرَى) مؤنث للفظ مُدَكَّرٌ ، هو : (أُخْرَى) الذي أصله (أُخْرَى) بفتح الهمزة الأولى ، وتسكين الثانية ، على وزن (أَفْعَلَ) الدال على التفضيل . وهو مُجْرَدٌ من (أل) والإضافة ، وحقه أن يكون مفرداً مذكراً في =

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ . الزَّيْغُ : المَيْلُ . يعني : مَيْلاً عن الحق ؛ (زاع ، يزيع ، زَيْغاً ، وزَيْغُوعَةً ، وزَيْغاناً ، وزُيُوعاً) ^(١) .

قال الفراء ^(٢) : «والعرب تقول في عامّة ذوات الياء ، مِمَّا يُشْبِهُ (زَغْتُ) ؛ مثل : (سَرْتُ) ، و(صَرْتُ) ، و(طَرْتُ) : (سَيْرُورَةً) ، و(صَيْرُورَةً) ، و(طَيْرُورَةً) ، و(حَدْتُ حَيْدُودَةً) ، و(مَلْتُ مَيْلُولَةً) ، لا أحصي ذلك ، وهو كثير . فأما ذوات الواو ؛ مثل : (قَلْتُ) ، و(رُضْتُ) ، فإنهم لم يقولوا ذلك إلّا في أربعة أحرف ؛ منها : الكَيُّونَةُ ^(٣) ، والدَّيْمُومَةُ ، مِنْ : (دُمْتُ) ، والهَيُّوعَةُ ، من : (الهَوَاع) ^(٤) ، والسَّيْدُودَةُ ، من : (سُدْتُ) .

استعمالاته جميعها . ولكن عدلَ العربُ عنه إلى لفظ (أخر) بصيغة الجمع ، ومنعوه من الصرف ؛ للوصفية والعدل .

انظر : آراء النحويين حول منع (أخر) من الصرف ، في المقتضب للمبرّد ٣/ ٢٤٦ ، و٣٧٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٣٥ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ١/ ١٤٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٩٩ ، والبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/ ١١٦ ، وشذور الذهب لابن هشام (بشرح محمد محي الدين عبدالحميد) : ٥٣٧ ، وجمع الهوامع للسيوطي ١/ ٨٠ ، والنحو الوافي لعباس حسن ٣/ ٤٠٨ ، و٤/ ٢٢٤ .

(١) انظر : (زيع) في تهذيب اللغة ٢/ ١٥٠٢ ، واللسان ٣/ ١٨٩٠ .

(٢) قوله في تهذيب اللغة ٤/ ٣٠٨٣ . وأورده بمعناه ابن جني في المنصف ٢/ ١٢ .

(٣) مصدر (كان يكون كَوْنًا وَكَيْئُونَةً) .

(٤) في القاموس المحيط (هوع) ٧٧٧ : «الهواع بالضم ، والهيعوة ، والمهوع ، والمهواع بكسرها : الصياح في الحرب» . وجعلها في لسان العرب من مصادر ذوات الياء ، فقال : «هاع ، يهاع ، ويهيع ، وهيعاً ، وهاعاً ، وهيوعاً ، وهيعّة ، وهيعاناً ، وهيعُوعَة : جَبْنٌ وَقَزَعٌ» . وقيل : استخف عند الجزع . (هيع) ٨/ ٤٧٢١ . والهواع : القيء . يقال : هاع ، يهوع هواعاً . وهيعوتة ؛ أي قاء . انظر (هوع) : في الصحاح ٣/ ١٣٠٩ ، والمجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني ٣/ ٥١٦ ، واللسان ٨/ ٤٧٢١ ، والمعجم الوسيط ٢/ ١٠١٠ .

وكان ينبغي أن يكون - في القياس - : (كُونُوتَ) بالواو^(١)، ولكنها لما قَلَّتْ في مصادر الواو، وكثرت في مصادر الياء، ألحقوها بالذي هو أكثر مجيئاً منها؛ إذ كانت الواو والياء مُتَقَارِبَتَيْنِ في المَخْرَجِ.

ومثل هذا: أنهم يقولون في ذوات الياء: سَعَيْتُ به سَعَايَةً، وَرَمَيْتُهُمْ رِمَايَةً، وَدَرَيْتُ بِهِ^(٢) دِرَايَةً، فتأتي المصادرُ في ذوات الياء على هذا النحو كثيرة، ولا تكاد تأتي في ذوات الواو؛ نحو: خَلَوْتُ، وَدَعَوْتُ. فَتَدَرَّ حَرْفٌ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ فَأُلْحِقَ بِذَوَاتِ الْيَاءِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: شَكَوْتُ فَلَانًا شِكَايَةً، ولم يقولوا: شِكَاوَةً، فألحقوها بالمصادر من الياء^(٣).

واختلفوا في هؤلاء الذي عُنُوا بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، فقال الرِّبِيعُ^(٤): هم^(٥) وَفَدُ نَجْرَانَ، لَمَّا حَاجُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فِي الْمَسِيحِ، فَقَالُوا: أَلَيْسَ^(٦) هُوَ كَلِمَةَ اللَّهِ، وَرُوحَ مِنْهُ؟ قَالَ: «بَلَى». قَالُوا: حَسْبُنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَالَمَّا أَلْزَيْنِ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الآية.

(١) ويرى الخليل بن أحمد أن (كَيُونُوتَ): (فَعُولَةٌ)، هي في الأصل: (كَيُونُوتَ)؛ التقت منها ياءٌ وواوٌ، والأولى منهما ساكنة، فَصِيرَتَا يَاءً مُشَدَّدَةً [أَي كَيُونُوتَ]، مثلما قالوا: (الهِينُ) من (هُنْتُ)، ثم خففوها فقالوا: (كَيُونُوتَ)؛ كما قالوا: (هَيْنٌ، لَيْنٌ). قال الفراء: «وقد ذهب مذهباً، إلا أن القول عندي هو الأول». تهذيب اللغة (كان) ٤ / ٣٠٨٤.

(٢) في (د): (بهم).

(٣) انظر في: هذا الموضوع المنصف لابن جني ١٠ / ٢، والممتع في التصريف لابن عصفور ٥٠٢ - ٥٠٤، وشرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ١٥٢ / ١.

(٤) قوله في تفسير الطبري ٣ / ١٧٧، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٥٩٦، وتفسير البغوي ٢ / ٩، وزاد المسير ٣٥٣ / ١.

(٥) (هم): ساقطة من (ج).

(٦) في (أ) و(ب): (ليس). والمثبت من (ج) و(د).

ثُمَّ أَنْزَلَ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية .

وقال الكلبي^(١) : «هم اليهود ، طَلَبُوا^(٢) عَلِمَ أَكْلِ^(٣) هذه الأُمَّة ، واستخراجه مِنْ الحُرُوفِ الْمُقَطَّعةِ في أوائل السُّورِ^(٤) . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٥) .

(١) قول الكلبي ، أخرجه الطبري : ٩٢ / ١ ، ٩٣ من رواية محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله ، وأخرجه البخاري في تاريخه : ١ / ٢ / ٢٠٨ ، والبغوي : ٩ / ٢ ، وذكره بمعناه أبو الليث في بحر العلوم ١ / ٢٤٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١ / ٣٥٣ ، والسيوطي في الدر ٢ / ٧٨ .

(٢) في (ج) : (طالبوا) .

(٣) في (ج) : إقامة . وفي (د) أجل . وحقيقة (الأكل) بضم الهمزة : التنقُّص . ومعناها هنا : الرزق ، والحظ من الدنيا .

يقال للميت : قد انقطع أَكْلُهُ ؛ أي انقضت مدته في الدنيا . فاليهود أرادوا معرفة مدة بقاء أمة محمد ﷺ ، وأجلها . انظر : (أكل) في مجمل اللغة ١ / ١٠٠ ، والقاموس المحيط : ٩٦١ .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ٢ / ١٧٠ ، ١٧١ فقد ذكره عن ابن إسحاق . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢ / ٥٩٥ عن مقاتل بن حيان ، وأورده السيوطي في الدر ٢ / ٧ وزاد نسبة إخراج له لابن المنذر في تفسيره عن ابن جريج معضلاً .

(٥) لم أقف على رواية عطاء عن ابن عباس .

وقيل : هم جميع المبتدعة ، وكلُّ من احتجَّ لباطلِه بالمتشابه^(١) . وهذا معنى قول قتادة^(٢) .

وقول الزَّجاج في هذه الآية يدُلُّ على أنَّ هؤلاء هم الكفار الذين يُنكَرُون البعث ؛ لأنه قال^(٣) في سياق الآية : معنى ابتغائهم تأويله : أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم .

(١) روت عائشة - رضي الله عنها - قائلة : « تلا رسول الله ﷺ ، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى ﴿وَمَا يَذْكُرُوا إِلَّا أَوَّلُوا الْأَنْبِيَاءَ﴾ ، قالت : قال رسول الله ﷺ : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم » . أخرجه البخاري (٤٥٤٧) . كتاب : التفسير . سورة آل عمران باب : ﴿ مِنْهُ مَا يَنْتَ مُحَمَّدٌ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٦٥) . في العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن . وفي رواية الإمام أحمد : « فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله فاحذروهم » . المسند ٤٨/٦ ، ٢٥٦ . وأخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٨) . في السنة ، باب النهي عن الجدال ، والترمذي رقم (٢٩٩٣) (٢٩٩٤) . في التفسير ، باب ومن سورة آل عمران ، وابن ماجة رقم (٤٧) في المقدمة ، وابن حبان في صحيحه ٢٧٤/١ ، ٢٧٧ (٧٣) (٧٦) . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٦/١ ، والطبري في تفسيره ١٨٩/٦ - ١٩٥ ، والطيلاسي في المسند ٥٠/٣ (١٥٣٥) ، والآجري في الشريعة ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) كان قتادة إذا قرأ هذه الآية ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ، قال : « إن لم يكونوا الحرورية والسبئية ، فلا أدري من هم ! ! . » . الحرورية هم الخوارج ، والسبئية : نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي الذي غالى في الإمام علي ، وادعى فيه الألوهية . انظر : الأثر في تفسير عبد الرزاق ١/١١٥ ، وتفسير الطبري ١٧٨/٣ ، وتفسير البغوي ٨/٢ ، والمحرق الوجيز ٢٣/٣ . وورد كذلك عن أبي أمامة رضي الله عنه : أنهم الخوارج ، يرويه عن رسول الله ﷺ . وقد رجح ابن كثير وقفه على أبي أمامة . انظر : الأثر في مسند الإمام أحمد ٥/٢٦٢ ، ومصنف عبد الرزاق ١٠/١٥٢ رقم (١٨٦٦٣) ، وسنن البيهقي ٨/١٨٨ ، ومسند الحميدي ٢/٤٠٤ رقم (٩٠٨) ، المعجم الكبير للطبراني ٨/٢٧٤ وما بعدها ، والمعجم الصغير له ١/٤٢ (٣٣) ، تفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٩٤ ، والشريعة للآجري ٣٦ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٧١ .

(٣) في معاني القرآن له ١/٣٧٨ .

وقوله تعالى: ﴿أَبْتَغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس^(١) : يريد : الكفر .
وقال الرِّبِّيع^(٢) ، والسُّدِّي^(٣) : طلب الشرك^(٤) .

وقال مجاهد^(٥) : اللَّبْسُ ؛ لِيُضِلُّوا بِهِ جُهَاثَهُمْ .

وقال أبو إسحاق^(٧) : «الْفِتْنَةُ فِي اللِّغَةِ عَلَى ضُرُوبٍ ؛ فَالضَّرْبُ الَّذِي ابْتَغَاهُ هَؤُلَاءِ : إِفْسَادُ ذَوَاتِ^(٨) الْبَيْنِ فِي الدِّينِ ، وَالْحَرْبُ . وَالْفِتْنَةُ فِي اللِّغَةِ الْإِسْتِهْتَارُ بِالشَّيْءِ وَالْعُلُوُّ فِيهِ ؛ يُقَالُ : فَلَانٌ مَقْتُونٌ بِطَلَبِ الدُّنْيَا ؛ أَيِ قَدْ غَلَا فِي طَلَبِهَا ، وَتَجَاوَزَ الْقَدْرَ^(٩) » .

-
- (١) لم أقف على مصدر قوله . وقد ورد في تنوير المقباس المنسوب إلى ابن عباس ٤٣ .
- (٢) قوله في تفسير الطبري ١٨٠ / ٣ ، وابن أبي حاتم ٥٩٦ / ٢ ، والثعلبي ٧ / ٣ ب ، البغوي ١٠ / ٢ ، والمحزر الوجيز ، وزاد المسير ١ / ٣٥٤ .
- (٣) قوله في المصادر السابقة ، عدا المحزر . الوجيز والسُّدِّيُّ هنا هو السُّدِّيُّ الكبير ، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، (ت ١٨٢ هـ) . وليس هو السُّدِّيُّ الصغير ، محمد بن مروان ، (ت ١٨٦ هـ) ؛ وذلك أن هذا الأثر ورد من رواية أسباط عن السدي ، وأسباط إنما يروي عن السدي الكبير . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٥٩٦ / ٢ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٦ / ٦ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٥٨ / ١ في ترجمة أسباط ، ومعجم المفسرين لعادل نويس ٩٠ / ١ ، و ٦٣٥ / ٢ .
- (٤) وهو قول مقاتل في تفسيره ٢٦٤ / ١ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٠١ .
- (٥) قوله في تفسيره ١٢٢ / ١ ، والمصادر السابقة .
- (٦) هكذا وردت في الأصل بالكسر على تقدير : ابتغاء ، أو طلب اللَّبْسِ . ونص قول مجاهد كما في تفسير الطبري : «الشبهات ، ثمَّ أهلكوا به» ، وفي تفسيره : «الهلكات التي أهلكوا بها» .
- (٧) هو الزَّجَّاج في معاني القرآن له ٣٧٧ / ١ . نقله عنه بتصرف يسير جداً في بعض الألفاظ .
- (٨) في (ج) ومعاني القرآن : (ذات) .
- (٩) في معاني القرآن للزَّجَّاج : (وتجاوز القُدرة) . انظر : اللسان (فتن) ٦ / ٣٣٤٥ ، وتفسير الفخر الرازي ١٨٩ / ٧ . ويقول النحاس في هذا الموضع : «أي ابتغاء الاختبار الذي فيه عُلوٌّ ، وإفساد ذاتِ الْبَيْنِ ؛ ومنه : فَلَانٌ مَقْتُونٌ بِفُلَانَةٍ ؛ أَيِ قَدْ غَلَا فِي حِبِّهَا» . إعراب القرآن له ٣١٠ / ١ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَبْتَقَاهُ تَأْوِيلَهُ﴾ . التأويل التفسير . وأصله في اللغة المرجع والمَصِير ؛ مَنْ قَوْلُهُمْ : آل الأُمُر إلى كذا ؛ إذا^(١) صار إليه . وأوَّلته تأويلاً ؛ إذا صَيَّرته إليه ، فتأول^(٢) ؛ أي رَجَعَ ، وصار .

قال الأعشى :

على أنها كانت تأوَّل حُبَّها تأوَّل رُبْعِي السَّقَابِ فأَصْحَباً^(٣)

(١) في (ب) : (أي) .

(٢) في (ب) : (فتأوله) .

(٣) البيت في ديوانه : ٧ ، وقد ورد منسوباً له في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٦/١ ، وتفسير الطبري ١٨٤/٣ ، وتهذيب اللغة (ربيع) ١٣٤٩/٢ ، والصاح (أول) ١٦٢٧/٤ ، والصاحبي لابن فارس ٣١٥ ، واللسان (ربيع) ١٥٦٦/٣ ، و(أول) ١٧٢/١ ، وفي (صحب) ٢٤٠١/٤ أورد الشطر الثاني ولم ينسبه ، وورد البيت في الديوان كالآتي : (. . . تأوَّل حُبَّها . . .) . وورد في التهذيب (ربيع) ١٣٤٩/٢ ، واللسان (صحب) ١٥٦٦/٣ ، وكالآتي :

ولكنها كانت نَوَى أجنبيَّة توألي رُبْعِي السَّقَابِ فأَصْحَباً
وينشد كما في تفسير الطبري ١٨٤/٣ :

على أنها كانت تَوَابِعُ حُبَّها توألي رُبْعِي السَّقَابِ فأَصْحَباً
ومعنى : (ربعي السقاب) ذلك أن الفصيل الذي يُنْتَج في أول النتاج ، يقال له : (رُبْع) ، والجمع : (رباع) . ورُبْعِي كل شيء : أوله . والسَّقَب : ولد الناقة ، أو ساعة يولد ، إذا كان ذكراً . والجمع : (سَقَاب) . ويقال : سَقَب رُبْعِي ، وسَقَاب رُبْعِي التي ولدت في أول النتاج . و(أصحب) : دَلَّ وانقاد . انظر : كتاب الفرق لقطرب ١٠٠ ، والفرق لابن فارس ٨٧ ، واللسان (أول) ١٧٢/١ ، والقاموس (سقب) : ٩٧ . وسيأتي تفسير المؤلف للبيت على الرواية التي أوردها . أما على الرواية الثانية التي أوردها الأزهرِّي ، وصاحب اللسان فمعنى (توأي رُبْعِي السقاب) من الموالاة ، تمييز شيء من شيء ، وفصله عنه ؛ أي إن نَوَى صاحبه اشتدَّ عليه ، فحن إليها حين رُبْعِي السقاب ، إذا فُصل عن أمِّه ومُيز عنها . وأن هذا الفصيل يستمر على الموالاة ويُصْحَب ، أما هو فقد دام على حنينه الأول ، ولم يصحب إصحاب السقب . انظر : تهذيب اللغة ١٣٤٩ .

أَيَّ كَانَ حُبُّهَا صَغِيرًا ، فَالَّ إِلَى الْعِظَمِ ، كَمَا آلَ السَّقْبُ إِلَى الْكِبَرِ ^(١) .

هذا معنى (التأويل) في اللغة ^(٢) .

ثم تَسَمَّى الْعَاقِبَةُ تَأْوِيلًا ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْهَا . وَالتفسير يُسَمَّى تَأْوِيلًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨] ؛ أَيَّ بَعْلِمِهِ وَتفسيره ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ إِخْبَارٌ عَمَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِ اللَّفْظُ مِنَ الْمَعْنَى .

وذكرنا معنى التَّأْوِيلِ [بأبلغ] ^(٣) مِنْ هَذَا ، فِي سُورَةِ النِّسَاءِ ، عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] ^(٤) .

قال ابن عباس في رواية عطاء ^(٥) : ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ؛ أَيَّ طَلَبِ مُدَّةٍ أَكُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ .

وَفِي قَوْلِ الزَّجَّاجِ ^(٦) : الْمُرَادُ بِهِ الْكُفَّارُ ^(٧) ؛ طَلَبُوا مَتَى يُنْعَثُونَ ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ إِحْيَاؤُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَفِي قَوْلِ الْبَاقِينَ مَعْنَاهُ : طَلَبُ تَفْسِيرِ الْمُتَشَابِهِ ، وَعِلْمِهِ . قَالَ

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٨٤ / ٣ ؛ حَيْثُ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ : « وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : تَأَوَّلُ حَبَّهَا : تَفْسِيرَ حَبَّهَا وَمَرْجَعَهُ . وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ حَبَّهَا كَانَ صَغِيرًا فِي قَلْبِهِ ، فَالَّ مِنَ الصَّغَرِ إِلَى الْعِظَمِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْبَتُ حَتَّى أَصْحَبَ قَصَارًا قَدِيمًا ، كَالسَّقْبِ الصَّغِيرِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَشْبُ حَتَّى أَصْحَبَ قَصَارًا كَبِيرًا مِثْلَ أُمِّهِ » وَيَبْدُو أَنَّ الْمُؤَلَّفَ نَقَلَ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ الطَّبْرِيِّ ، مُتَصَرِّفًا فِي عِبَارَتِهِ هَذِهِ .

(٢) انظر : (أول) فِي الصَّحَاحِ ١٦٢٦ / ٤ ، وَ١٦٢٨ ، وَمَجْمَلُ اللَّغَةِ ١٠٧ / ١ ، وَاللِّسَانُ ١٧٢ / ١ ، وَالْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ ١٢ ، وَالْقَامُوسُ الْمَحِيطُ ٩٦٣ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ زِيَادَةٌ مِنْ (ج) وَ(د) .

(٤) وَقَدْ تَكَلَّمَ ابْنُ الْقَيْمِ عَنْ مَعَانِي (التَّأْوِيلِ) بِإِسْهَابٍ ، وَبَيَّنَّ الصَّحِيحَ مِنْهَا وَالْبَاطِلَ . انظر : الصَّوَاوِقُ الْمُرْسَلَةُ ١٧٥ وَمَا بَعْدَهَا .

(٥) لَمْ أَقِفْ عَلَى مَصْدَرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْقَوْلُ فِي تَنْوِيرِ الْمُقْبَاسِ ٤٣ .

(٦) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لَهُ ٣٧٨ / ١ .

(٧) فِي (ب) : (المراد به الزج الكفار) .

الله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، يريد : مَا يَعْلَمُ انْقِضَاءَ مُلْكِ أُمَّةٍ ^(١) محمد - عليه السلام - إِلَّا اللَّهُ ؛ لأن انقضاء مُلْكِ هذه الأُمَّة مع قيام الساعة ، ولا ^(٢) يَعْلَمُ ذلك مُلْكُ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيِّ مُرْسَلٍ . وهذا قولُ عطاء ^(٣) . وعلى هذا ؛ يَحْسُنُ الوقْفُ على قوله : ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ، وكذلك على قول الرَّجَّاج ؛ لأن وقت البعث لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ . ثم ابتدأ ، فقال : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ؛ أي الثابتون فيه . والرُّسُوخُ في اللغة ^(٤) : الثَّبُوتُ في الشيء ^(٥) . وعند أكثر المفسرين ^(٦) : المراد بالراسخين علماء : مؤمنو أهل الكتاب ؛ دليله : قوله : ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [النساء : ١٦٢] . قال ابن عباس ^(٧) ، ومجاهد ^(٨) ، والسُّدي ^(٩) : بقولهم : ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ ، سَمَّاهُمْ الله (راسخين في العلم) . فَرُسُوخُهُمْ ^(١٠) في العلم ؛ قولهم : ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ ؛ أي بالْمُتَشَابِهِ .

- (١) (أمة) : ساقطة من (ج) .
- (٢) في (ج) : (لا) ، من دون واو .
- (٣) لم أقف على مصدر قوله .
- (٤) في (ج) : (في العلم) .
- (٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٧٨/١ ، والصحاح (رسخ) ٤٢١ ، وتفسير القرطبي ١٩/٤ .
- (٦) قول المؤلف أعلاه : عند أكثر المفسرين ، غير مُسَلَّم له ؛ لأنني لم أجِد من قال بهذا القول إلَّا مقاتل بن حيان ، كما في تفسير ابن أبي حاتم ٦٠٠/٢ . ولو كان قال به أكثر المفسرين ، لتناقلته كتب التفسير والحديث ، مما أُلِّف قبل المؤلف وبعده . وقد أورد هذا القول الثعلبي وهو شيخ المصنف في تفسيره ٢٨٠/١ بصيغة (قيل) ولم يذكر قائله . وأورده أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٥/٢ بصيغة (قيل) ولم يذكر القائل ، ولكنه استبعده بقوله : «وهذا فيه بعد» .
- (٧) قوله في تفسير الطبري ٢٠٨/٦ . وتفسير الثعلبي ١١٠/٣ ، تفسير البغوي ٢٨٠/١ . ومن قوله : (قال ابن عباس . . .) إلى (. . . وما لم نعلمه) : نقله بنصه عن تفسير الثعلبي ١١٠/٣ .
- (٨) قوله في المصادر السابقة . وهو من روايته عن ابن عباس .
- (٩) قوله في المصادر السابقة .
- (١٠) في (د) : (فرسخهم) .

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ ، المحكَّم والمتشابه ؛ الناسخ والمنسوخ ؛ وما عَلِمْنَاهُ وما لَمْ نَعْلَمْهُ .

وقال الزَّجَّاج^(١) ؛ أي يقولون : صَدَّقْنَا بِأَنَّ اللَّهَ - عز وجل - يبعثنا ، ويؤمنون بِأَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ ، كما أَنَّ الْإِنْشَاءَ حَقٌّ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ . قال عطاء^(٢) : هذا ثناءٌ مِنَ اللَّهِ -تعالى- على الذين قالوا : ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ ؛ معناه : ما يَتَّعِظُ [بها]^(٣) في الْقُرْآنَ ، إِلَّا ذَوُو الْعُقُولِ .

وقال الزَّجَّاج^(٤) : «هذا دليلٌ على أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَعْثِ ، لَمْ يَتَدَبَّرْوه ؛ ومعناه : ما يَتَدَبَّرُ الْقُرْآنَ ، وما أَتَى به الرَّسُولُ ﷺ ، إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» . والأظهر في تفسير هذه الآية : قولُ عطاء : إِنَّ هذا في اليهود ، حين طلبوا تفسير الحروفِ الْمُقَطَّعة ، والقولُ الذي حكاه الزَّجَّاج : إِنَّ هذا في منكري البعث .

ويقال : هل يجوز أن يكون في القرآن شيءٌ ، لا يعلمه إِلَّا اللَّهُ ؟ فيقال : يختلف الصحابة والناسُ في هذا :

فذهب الأكثرون إلى أَنَّ تَمَامَ الْوَقْفِ على قوله : ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ، وأنَّ المتشابه جميعه لا يعلمه إِلَّا اللَّهُ مثل وقت قيام الساعة ، وطلوع الشمس من المغرب ، ونزول عيسى ، وخروج الدجال .

(١) في معاني القرآن له ٣٧٨ / ١ . نقله عنه بالنص .

(٢) لم أقف على مصدر قوله .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٤) في معاني القرآن له ٣٧٩ / ١ . نقله عنه بتصرف يسير .

وقال قومٌ: في القرآن أشياء لا يَعْرِف حَقِيقَتَهَا إِلَّا اللهُ ؛ كالحروف المَقَطَّعة ،
 وقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ، وقوله : ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ،
 وقوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ، وأشباه هذا . والله - تعالى - مُحْتَصٌّ^(١)
 مُسْتَأْتِرٌ بِعِلْمِ هذه . والإيمانُ بها حَقٌّ ، وحقائقُ عُلُومِها مُفَوَّضَةٌ إلى الله تعالى .

وهذا مذهب عائشة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي ، وكثير من التابعين ،
 واختيار^(٢) الفراء ، والكسائي^(٣) ، والمفضل^(٤) ، وابن الأنباري ، وأبي عبيد^(٥) ،
 وأحمد بن يحيى^(٦) .

-
- (١) في (أ) و(ب) : (يختص) . والمثبت من (ج) و(د) ؛ لمناسبته لسياق العبارة .
 (٢) في (أ) : (واختار) . والمثبت من (ب) و(ج) و(د) . وهو الصواب .
 (٣) تقدمت ترجمته .
 (٤) هو : الْمُفْضَلُ بن محمد بن يعلى الضَّيِّي ، الكوفي . تقدم : ١١٩ / ٢ .
 (٥) في الأضداد لابن الأنباري : أبو عبيدة . وورد في أكثر المصادر : أبو عبيد . وهو أبو عُبيد ، القاسم بن
 سَلَام الهَرَوِي الأزدي الخزاعي .
 (٦) هو أبو العباس ، أحمد بن يحيى (ثعلب) . وقد يَبَيِّن النحاسُ أن نِيْفًا وعشرين رجلاً من الصحابة
 والتابعين والقراء وأهل اللغة ذهبوا إلى الوقف التام على لفظ الجلالة (الله) ، وأن ما بعده منقطع منه ،
 ثم ذكر إضافة إلى من ذكرهم المؤلف : الحسن ، وأبا نهيك ، والضحاك ، ومالك بن أنس ، وسهل بن
 محمد ، وعمر بن عبد العزيز ، وعروة بن الزبير ، والطبري ، والزَّجَّاج ، وابن كيسان ، وأحمد بن
 جعفر بن الزبير ، والسدي .
 انظر : القطع والاثئناف للنحاس ٢١٢ ، وتفسير الطبري ٣ / ١٨٢ - ١٨٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم
 ٢ / ٥٩٩ - ٦٠١ ، ومعاني القرآن للنحاس ١ / ٣٥١ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٨ ، المحرر الوجيز
 ٣ / ٢٤ ، وتفسير القرطبي ٤ / ١٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٨٤ ، والدر المنثور ٢ / ١٠ ، ١١ ، ومعترك
 الأقران للسيوطي ١ / ١٣٨ ، وفتح القدير للشوكاني ١ / ٤٧٦ ، وفتح البيان لصديق حسن خان
 ١٦ ، ١٥ / ٢ .

ودليل هذا القول : قراءة عبدالله^(١) : (إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ)^(٢) .

وفي^(٣) حرف أبيّ ، وابن عباس : (ويقول^(٤) الراسخون في العلم آمنا به)^(٥) . وهذا هو الأشبه بظاهر الآية ؛ لأنه لو كان ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ عَطْفًا ، لَقَالَ : ويقولون آمنا به .

وفي قوله أيضاً : ﴿كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا﴾ ، دليل على أنهم لم يعرفوا بعضهم فآمنوا بظاهرة ، وقالوا : إنه من عند الله .

وقد روي عن ابن عباس ، أنه قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير^(٦) لا يسع أحد جهله ، وتفسير^(٧) تعرفه العرب بألستها ، وتفسير^(٨) يعلمه العلماء ، وتفسير^(٩) لا يعلمه إلا الله^(٧) .

(١) يعني : عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) انظر : هذه القراءة في معاني القرآن للفراء ١/ ١٩١ ، وكتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود ٥٩ ، وتفسير الطبري ٣/ ١٨٤ ، والأضداد لابن الأنباري ٤٢٦ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٩٩ ، تفسير البغوي ٢/ ١٠ ، والبحر المحيط ٢/ ٣٨٤ ، والدر المنثور ٢/ ١٠ ، والإتقان للسيوطي ٢/ ١٥ . وقد وردت القراءة في كتاب المصاحف لابن أبي داود ، كالأتي : (وإن حقيقة تأويله إلا عند الله . . .) .

(٣) من قوله : (وفي . . .) إلى (. . . آمنا به) : ساقط من (ج) .

(٤) في (ب) : (ويقولون) .

(٥) انظر : هذه القراءة في معاني القرآن للفراء ١/ ١٩١ ، والأضداد لابن الأنباري ٤٢٦ ، والقطع والائتناف للنحاس ٢١٢ ، والمستدرک للحاكم ٢/ ٢٨٩ كتاب التفسير ، سورة آل عمران . وقال : صحيح ووافقه الذهبي ، تفسير الثعلبي ٣/ ٩٩ ، الدر المنثور ٢/ ١٠ وزاد نسبة إخراج الأثر لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . قال النحاس عن هذه القراءة : وهي قراءة على التفسير .

(٦) (تفسير) : ساقطة من (ج) .

(٧) الأثر ، في تفسير الطبري ١/ ٣٤ ، وأخرجه موقوفاً على ابن عباس ، من رواية محمد بن بشار ، قال : «حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان [بن عيينة] ، عن أبي الزناد . . . » ، السند صحيح ، ما عدا مؤمل بن إسحاق ، فقد اختلف فيه . انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٥/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ . وأورده النحاس في القطع والائتناف ٢١٣ ، وكما أخرجه الطبري مرفوعاً بلفظ آخر عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ ، قال : =

وعلى هذا المذهب ؛ إنما^(١) أنزل الله - تعالى - ما^(٢) لا^(٣) يعلمه إلا هو ؛ اختباراً^(٤) للعباد ، ليؤمنَ به المؤمنُ فيسعد ، ويكفر به الكافر فيشقى ؛ لأن سبيلَ المؤمنِ إذا قرأ من هذا شيئاً ، أن يُصدّق ربّه عز وجل ، ولا يعترض فيه بسؤال وإنكار ؛ فيعظّم - بذلك - ثوابه على الله عز وجل .

فإن^(٥) قيل : وأي^(٦) تخصيصٍ للراسخين إذا^(٧) لم يعرفوا ، فإنّ غيرهم أيضاً يقولون : ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ ، فلمَ حصّ^(٨) الراسخين^(٩) بالذكر ؟

قلنا : المراد بالراسخين : كلُّ مَنْ يقول : ﴿ءَامَنَّا﴾ ، وليس المراد بهم الذين يدأبون في التعلّم^(١٠) ويجهّدون . وقد ذكرنا عن ابن عباس ، أنه قال : سَمَّاهم راسخين ، بقولهم : ﴿ءَامَنَّا﴾ .

«أنزل الله القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام ، لا يُعَدَّر أحدٌ بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره ، ومن ادّعى علمه سوى الله ، فهو كاذب» . وقال الطبري : في إسناده نظر وذلك أنه من رواية الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وهي أوهى الأسانيد عن ابن عباس ، انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٤ .
وانظر : الحُكْمَ على الكلبي ، وأبي صالح ، في تهذيب التهذيب ٣ / ٥٦٩ ، وتقريب التهذيب : ٤٧٩ (٥٩٠١) ، ميزان الاعتدال ٥ / ٢ (٧٥٧٤) ، الإتقان للسيوطي ٤ / ٢٣٨ .

- (١) في (د) : (إن ما) .
- (٢) (ما) ساقطة من (د) .
- (٣) (لا) ساقطة من (ج) .
- (٤) في (د) : (اختبار) .
- (٥) في (أ) و(ب) : (بان) . والمثبت من (ج) و(د) .
- (٦) في (أ) و(ب) : (والى) . والمثبت من (ج) و(د) .
- (٧) في (د) : (فإذا) .
- (٨) في (أ) : (خُصَّ بالبناء للمجهول) . وفي (ب) و(ج) (د) غير مضبوطة بالشكل . وما أثبتّه يتناسب مع ما بعده ، من نصب (الراسخين) .
- (٩) في (د) : (الراسخون) .
- (١٠) في (د) : (التعليم) .

وقال مجاهد^(١)، والربيع^(٢)، ومحمد بن جعفر بن الزبير^(٣) : المتشابه يعلمه الله ، ويعلمه الراسخون ، ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه^(٤) أحدٌ مِنَ الْأُمَّةِ . وهذا اختيار ابن قتيبة^(٥) ، وزَعَمَ أَنَّ الراسخين في الْعِلْمِ عِلْمُوا تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مع الله تعالى ؛ لأنه لم يُنْزَلْ كِتَابُهُ ، إِلَّا لِيَنْفَعَ بِهِ عِبَادَهُ ، ويدل على المعنى الذي أراده . وتَأَوَّلَ قَوْلُهُ : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، على أنه حالٌ صُرِفَتْ إِلَى الْمُضَارَعَةِ ؛ أي^(٦) : (والراسخون^(٧) في العلم ، قائلين^(٨) آمَنَّا به) .

- (١) قوله في تفسيره ١/ ١٢٢ ، وتأويل مشكل القرآن ١٠٠ ، وتفسير الطبري ٣/ ١٨٣ ، والأضداد لابن الأنباري ٤٢٤ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٨ ب ، المحرر الوجيز ٣/ ٢٤ ، وتفسير القرطبي ٤/ ١٦ . وقد ردَّ ابن الأنباري رواية هذا القول عن مجاهد ؛ زاعماً بأن الراوي عن مجاهد هو ابن أبي نجیح ، وهو لم يسمع التفسير عن مجاهد . ولكن أئمة الجرح والتعديل على توثيق ابن أبي نجیح ، وتصحيح تفسيره عن مجاهد ، بل عدَّه ابنُ تيمية من أصحاب التفاسير . انظر : الأضداد لابن الأنباري ٤٢٧ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٢٠٣ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/ ٤٠٩ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ١٢٥ ، ١٢٦ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٤٤ ، وتقريب التهذيب : ٣٢٦ (٣٦٦٢) .
- (٢) قوله في تفسير الطبري ٣/ ١٨٣ ، والقطع والاشتقاق للنحاس ٢١٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٨ ب ، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٥ ، وتفسير القرطبي ٤/ ١٧ .
- (٣) قوله في المصادر السابقة .
- (٤) في (د) : (لا يعلمه) .
- (٥) في تأويل مشكل القرآن له ٩٨ . قال مرعي الكرمي : «ورجح هذا جماعات من المحققين ؛ كابن فورك ، والغزالي ، والقاضي أبي بكر بن الطيب» ، وقال النووي : «إنه الأصح ، وابن الحاجب : إنه المختار . . .» . أقاويل الثقات ٥٣ . انظر : مشكل الحديث لابن فورك ٥٢٢-٥٢٥ ، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢١٨ ، ومعتزك الأقران للسيوطي ١/ ١٣٨ ، والإتقان له ٣/ ٣٥٣٧ .
- (٦) في (أ) و(ب) : (إلى) . والمثبت من (ج) و(د) .
- (٧) في (ج) : (والراسخين) .
- (٨) في (د) : (قائلون) .

قال : ومثله من ^(١) الكلام : لا يَأْتِيكَ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ ، وَزَيْدٌ يَقُولُ : أنا مسرورٌ بزيارتك ؛ تريد ^(٢) : لا يَأْتِيكَ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ ، وَزَيْدٌ قَائِلًا : أنا مسرورٌ بزيارتك . فزيد عطفٌ على عبد الله ^(٣) .

واحتمل هذه الطريقة في كتابه المشكل بما يطول ذكره ^(٤) .

(١) في (ج) : (في) .

(٢) من قوله : (تريد . . .) إلى (. . . بزيارتك) : ساقط من (ج) و(د) .

(٣) أورد الشوكاني ، والشنقيطي إشكالا على من يمنع كون جملة ﴿يَقُولُونَ﴾ حالا ، وخلاصته : أن الحال قيدٌ لعملها ، وصف لصاحبها ، فتقييد علمهم بتأويله بحال كونهم قائلين : ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ ، لا وجه له ؛ لأنَّ مفهومه أنهم في حال عدم قولهم ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ ، لا يعلمون تأويله ، وهو باطل ؛ حيث إنهم يعلمونه في كل حال . ويرى الشنقيطي أن جملة ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ في حال كونها معطوفة ، فإن ﴿يَقُولُونَ﴾ تكون معطوفة كذلك بحرف محذوف ، واستدل على ذلك بأقوال المحققين من أهل العربية ، واستشهد عليه بآيات من القرآن ؛ كقوله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية : ٨] فإنها معطوفة على قوله : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية : ٢] بالواو . انظر : فتح القدير للشوكاني ١/ ٨٢ ، وأضواء البيان للشنقيطي ١/ ١٣١ .

(٤) انظر : تأويل مشكل القرآن ٨٦-١٠١ . إن الخلاف الواقع بين العلماء في تبني أحد المذهبين المذكورين للسلف ؛ في الوقف أو العطف على لفظ الجلالة في هذه الآية ، مرجعه وسببه الاشتراك في لفظ التأويل ؛ حيث إنَّ له معاني عدة . ولكنه إذا أُطلق عند السلف ، إنَّما يُرادُ به أمران ؛ الأول : تفسيرُ الكلام وبيان معناه ؛ كقوله تعالى : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف : ٣٦] ؛ أي بتفسيره ؛ فيجوز بهذا المعنى عطفُ جملة ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ على لفظ الجلالة ؛ لأنَّ الراسخين يعلمون تفسيره ، ويفهمون ما أريد منهم بالخطاب القرآني .

الثاني : حقيقة الشيء ، وما يؤول أمره إليه . ومنه قوله تعالى : ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِ مِمَّنْ قَبْلُ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، و﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف : ٥٣] ؛ أي حقيقة ما أخبرهم الله به من أمر القيامة والبعث ؛ فيجوز بهذا الاعتبار الوقف على لفظ الجلالة ؛ لأنَّ حقائق الأشياء وكنهها لا يعلمها إلا الله تعالى .

وهناك معنى ثالث للتأويل عند الأصوليين والفقهاء المتأخرين عن عصر السلف ، وهو : صرفُ اللفظ عن ظاهره المتبادر منه ، إلى مُحتمَلٍ مرجوح بدليل يدل عليه ، وهذا المعنى ليس مراداً في إطلاقات السلف ، فهو خارجٌ عن دلالة الآية هنا . فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل ، اعتقد كلُّ مَنْ فهمَ منه معنى ، أنَّ ذلك هو المذكور في القرآن . ولا شك أنَّ في القرآن أموراً لا يعلمها إلا الله كوقت قيام الساعة ، وحقيقة الروح وغيرها . . . وهي الأمور المتشابهة في نفسها . وهناك أمورٌ العلمُ =

٨. قوله ^(١) تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ ؛ أي ويقول الراسخون : ربنا ، كقوله : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا﴾ [آل عمران : ١٩١] .

وقوله : ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ ؛ أي لَا تَمِلْنَا ^(٢) عن الهدى والقصد ، كما أزغت قلوب اليهود والنصارى ، والذين في قلوبهم زيغ ، بعد إذ هديتنا للإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك .

وروت أم سلمة ^(٣) : أن النبي ﷺ كان يُكثر في دعائه أن يقول : «اللهم مُقَلِّبُ ^(٤) القلوب ، ثَبِّتْ قلبي على دينك» ^(٥) .

بها نسبي ، يعلمها الراسخون في العلم من دون غيرهم ، وهو المتشابه الإضافي الذي قد يشبهه على أناس دون آخرين . فلا منافاة بين الرأيين عند التحقيق . انظر : مفردات ألفاظ القرآن (شبه) ٤٤٣-٤٤٥ ، والإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية ٢٠-٢٥ ، ٨٩ ، والرسالة كلها حول هذا المعنى ، وتفسير سورة الإخلاص ، لابن تيمية ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨-١٩٣ ، والرسالة التدميرية لابن تيمية ٥٩-٦٣ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٢ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٣/ ٢٩٦ ، وأقاويل الثقات للكرمي ٥٣-٥٥ ، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٤٨٢ ، وفتح البيان لصديق خان ٢/ ١٥١٧ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ٢١٨ ، ٢١٩ .

(١) في (د) : (وقوله) .

(٢) في (د) : (لا تملها) .

(٣) هي هند بنت أبي أمية - المعروف بزاد الراكب - بن المغيرة ، القرشية المخزومية ، زوج النبي ﷺ ، وهي ممن أسلم قديماً ، وهاجرت إلى الحبشة ، ثم المدينة ، وشهدت غزوة خيبر ، ماتت سنة (٦١هـ) ، أو (٦٢هـ) ، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً . انظر : الاستيعاب ٤/ ٤٩٣ (٣٥٩٤) ، والإصابة ٤/ ٤٥٨ (١٣٠٩) .

(٤) في (د) : (مثبت) . وقد وردت هذه اللفظة في الحديث من رواية أنس عند ابن أبي شيبة في المصنف ٢٥/٦ .

(٥) الحديث من رواية أم سلمة رضي الله عنها : أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٩١ ، و٢٩٤ ، و٣٠٢ ، و٣١٥ ، والترمذي برقم (٣٥٢٢) في كتاب الدعوات ، وقال عنه : حديث حسن . وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٢٥ برقم (٢٩١٩٧) ، وابن أبي عاصم في السنة ١٠٠ برقم (٢٢٣) ، وقال الألباني بحقق الكتاب عنه : حديث صحيح . وابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ١٩١ ، والطبري في تفسيره ٣/ ١٧٨ ، و١٧٩ ، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٠٢ ، و٦٠٣ ، والآجري في الشريعة ٣١٦ . وأورده السيوطي في الدر ٢/ ١٣ وزاد نسبة إخرجه للطبراني ، وابن مردويه ، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ١/ ٣٩١ برقم (١٦٨٦) .

٩. قوله ^(١) تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . تقديره : جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه ^(٢) ؛ فلما حذف لفظ الجزاء ، دخلت اللام على ما يليه ، وأغنت عن (في) ^(٣) ؛ لأن حروف الإضافة متآخية ؛ لما يجمعها من معنى الإضافة . ^(٤) .

وقد أوردت المصادر السابقة الحديث كذلك عن عائشة ، والنواس بن سمعان ، وأنس ، وجابر ، وعبدالله بن عمرو ، رضي الله عنهم .

(١) في (د) : (وقوله) .

(٢) وقيل : إن اللام بمعنى (في) ؛ أي في يوم . ويكون المجموع لأجله لم يُذكر . فظاهاه أن هذا الجمع للحشر من القبور للمجازاة . وقيل : اللام بمعنى (إلى) ؛ أي جامعهم في القبور إلى يوم . . . انظر : البحر المحيط ٣٨٧/٢ ، وروح المعاني للآلوسي ٩١/٣ .

(٣) في (د) : (فيه) .

(٤) حروف الإضافة عند البصريين هي حروف الجر ، وسميت بذلك (لأنها تضيف معنى الفعل الذي هي صلتها إلى الإسماء المجرور بها) ، شرح المفصل لابن يعيش ١١٧/٢ ، وانظر : الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٩٣ . وفي تناوب حروف الجر وتآخيتها مذهبان للنحويين :
أ- مذهب جبهة البصريين : أنها لا تنوب بعضها عن بعض قياساً ، فإن لكل حرف معنى واحداً أصلياً ، يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز ، فإذا أدى معنى آخر ، فيقال حينها : إنه أداه على سبيل المجاز أو التضمن .

ب- مذهب الكوفيين ومن وافقهم : أنها تنوب بعضها عن بعض ؛ لأن الحرف إذا اشتهر معناه اللغوي الحقيقي ، وشاعت دلالاته بحيث تفهم بلا غموض ، كان المعنى حقيقياً لا مجازياً ، ودلالته أصلية ، وليست من قبيل المجاز أو التضمن . قال ابن جني - ويجسبه بعضهم على البصريين بعد أن خطأ المذهب الثاني - : «ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، لكننا نقول : إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع ، على حسب الأحوال الداعية إليه ، والمسوغة له ، فأما في كل موضع ، وعلى كل حال ، فلا» الخصائص لابن جني ٣٠٨/٢ .

وقال المالقي : «والحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياساً ، إلا إذا كان معناهما واحداً ، ومعنى الكلام الذي يدخلان فيه واحداً ، أو راجعاً إليه ، ولو على بعد» رصف المباني للمالقي ٢٩٧ . انظر : بهذا الشأن مغني اللبيب لابن هشام ٦٥٦ ، وجمع الهوامع للسيوطي ٢٧/١ ، والنحو الوافي لعباس حسن ٥٣٧/٢ ، وتناوب حروف الجر . للدكتور محمد عواد ١٠ ، ١٣ وما بعدها ، ومن أسرار حروف الجر في الذكر الكريم للدكتور محمد الخضري ١٢ .

قال الزجاج^(١): «وهذا إقرارٌ من المؤمنين بالبعث ، ومخالفةٌ لمن اتبع المتشابه ممن ينكر أمر البعث» .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ . [يجوز أن يكون إخباراً عن المؤمنين أنهم قالوا ذلك ، فيكون متصلاً بما قبله ، لكنه على تلوين الخطاب^(٢) ، و]^(٣) يجوز أن يكون استئنافاً ، أخبر الله - تعالى - أنه لا يخلف الميعاد . ولا يدلُّ هذا على تخليد مرتكبي الكبائر من المسلمين في النار ، وإن وعد ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤] الآية ؛ لأن المراد بالميعاد^(٤) هاهنا يوم القيامة^(٥) ؛ لأن الآية وردت في ذكره . أو يُحمل [هذا]^(٦) على ميعاد الأولياء دون وعيد الأعداء ؛ لأن

(١) في معاني القرآن له ٣٧٩ / ١ . نقله عنه بالمعنى .

(٢) يعني بتلوين الخطاب الانتقال من أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ﴾ إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ . قال أبو حيان ذاكراً للحكمة في تغيير الأسلوب هنا: «لما في ذكره باسمه الأعظم من التفتيح والتعظيم والهيبة . . .» البحر المحيط ٣٨٧ / ٢ .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٤) في (ب): (المعاد) .

(٥) ومما يؤكد ذلك لغة أن الميعاد هو وقت الوعد وموضعه ، ففي تهذيب اللغة «والميعاد ، لا يكون إلا وقتاً أو موضعاً» وفي اللسان «والموعد: موضع التواعد ، وهو الميعاد» (وعد) في تهذيب اللغة ٣٩١٥ / ٤ ، والصحاح ٥٥٢ / ٢ ، واللسان ٤٨٧١ / ٨ ، والقاموس المحيط ٣٢٦ . لكن أبا عبيدة في مجاز القرآن ١٤٩ / ٢ ، و١٨٩ ذكر أن الوعد والميعاد والوعيد واحد . وعلى الرغم من هذا ؛ فإن سياق الآية وأقوال من سبق من أهل اللغة يؤكد ما ذكره المؤلف من أن الآية لا دلالة فيها على تخليد مرتكبي الكبائر من المسلمين في النار .

(٦) أي على فرض التسليم بدلالة الآية على ما ذكر .

خلف الوعيد كرم^(١) عند العرب^(٢) ، والدليل أنهم يمدحون بذلك ، ومنه قول الشاعر :

إذا وعد السراء أنجز^(٣) وعده وإن وعد الضراء فالعفو مابعه^(٤)

قال الأصمعي : جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء ، وبين محمد بن مسعود الفدكي^(٥) ، فقال أبو عمرو : ما تقول ؟ قال : أقول : إن الله وعد وعداً ، وأوعد إيعاداً^(٦) ، فهو منجز إيعاده ، كما هو منجز وعده . فقال أبو عمرو : إنك رجل أعجم ، لا^(٧) أقول : أعجم اللسان ، ولكن أعجم القلب . إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤماً ، وعن الإيعاد كرمًا ، وأنشد :

وإني وإن أوعدته أو وعدته ليكذب إيعادي ويصدق مواعيدي^(٨)

(١) في (د) : (لزم) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٣) (أنجز) : غير مقروءة في : (أ) .

(٤) البيت ، لأبي الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي الرقاء الموصلي . وهو في ديوانه ٣٦٨/٢ . وورد منسوباً له في يتيمة الدهر ١٥٦/٢ . وروايته في الديوان واليتيمة (. . . وإن أوعد الضراء . . .) . ولكن في الوسيط في التفسير للمؤلف ٦٧٠ (رسالة ماجستير . تحقيق بالطيور) ورد عمرو بن عبيد المعتزلي بدلاً من محمد بن مسعود الفدكي ، وكذا بقية المصادر التي أوردت الحكاية التي سألها في ما بعد ، أجمعت كلها على أن المحاور لأبي عمرو بن العلاء ، هو عمرو بن عبيد المعتزلي ، حتى إن الرازي في تفسيره ١٨٧/٧ نقل الحكاية عن تفسير البسيط للواحدي ، وذكر اسم عمرو بن عبيد ، وليس محمد بن مسعود ، والذي يبدو لي - والله أعلم - أن اسم عمرو بن عبيد المعتزلي قد حوّل إلى محمد بن مسعود الفدكي ، وقد يرجع السبب إلى أن النسخ التي بين يدي ، قد تكون نقلت عن نسخة رئيسة واحدة لم يستثن فيها الاسم لسبب ما ، فكان الخط أقرب إلى أن يقرأ هذه القراءة ، أو لاجتهاد من الناسخ الأول في كتابة الاسم السابق . وعمرو بن عبيد ، هو شيخ المعتزلة في عصره ، ولد سنة (٨٠هـ) ، وتوفي سنة (١٤٤هـ) ، وقيل غير ذلك . انظر : ترجمته في تاريخ بغداد ١٢/١٦٦ ، وفيات الأعيان ٣/٤٦٠ .

(٦) (إيعاداً) : مطموسة في : (ج) .

(٧) (لا) : مطموسة في : (ج) .

(٨) البيت لعامر بن الطفيل ، وهو في ديوانه ٥٨ . وقد ورد منسوباً له ، في العقد الفريد لابن عبدبره ١/٢٨٤ ، وأورده برواية المؤلف نفسه . ويتيمة الدهر للثعالبي ٢/١٥٧ ، ولسان العرب (ختاً) ٢/١٠٩٨ ، =

أو تقول : هذا عامٌّ في وعيد الأولياء ، ووعيد الكفار ، فأما مرتكبو الكبائر ، فهم مخصوصون بقوله تعالى : ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨] .

١٠ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، قال ابن عباس : يعني : اليهود من قريظة والنضير^(١) .

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ ؛ أي لن تنفع ، ولن تدفع . وإنما ذكر (عن) مع الإغناء ؛ لأنه يراد به الدفع ، والغنى : ما يدفع عن صاحبه الفقر .

و(وعد) ٨ / ٤٨٧١ ، و(ختا) : ٢ / ١١٠٣ ، وتاج العروس (ختاً) ١ / ١٤٣ ، و(ختا) ١٩ / ٣٦٩ . كما ورد غير معزو في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ١٤٢ ، وضرورة الشعر للسرياني ، تحقيق د . رمضان عبدالتواب ١٣٨ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٦٢ ، وتهذيب اللغة (وعد) ٤ / ٣٩١٥ ، والصحاح (وعد) ٢ / ٥٥١ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٣٩ ، والعمدة لابن رشيق ١ / ٥٨٩ ، والحماسة البصرية لصدر الدين البصري ٢ / ٣٠ . وروايته في الديوان وإني إن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي وبرواية أخرى :

لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

كما ورد في اللسان ١ / ٦٣ كالآتي :

ليأمن ميعادي ومنجز موعدي

انظر الفرق بين (وعد) و(أوعد) في ما تلحن فيه العامة للكسائي ١١٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٨٩ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ١ / ٢٧٢ ، ومجالس ثعلب ١ / ٢٢٧ ، والخطاريات لابن جني ١٩٨ ، وخزانة الأدب للبغداد ٥ / ١٨٩ ، و١٩٠ . وانظر : (وعد) في تهذيب اللغة ، والصحاح ، واللسان . وقد وردت هذه المحاورة في عيون الأخبار ٢ / ١٤٢ ، ومجالس العلماء ٦٢ ، وطبقات النحويين واللغويين ٣٩ ، وإنباه الرواة ٤ / ١٣٣ ، ومدارج السالكين لابن القيم ١ / ٣٩٦ ، وميزان الاعتدال للذهبي ٤ / ١٩٨ ، و١٩٩ ، ولوامع الأنوار للسفاري ١ / ٣٧١ .

(١) لم أهدت إلى قول ابن عباس هذا في المصادر التي رجعت إليها . وقد ذهب ابن جرير الطبري إلى أن المراد بهم (يهود بني إسرائيل ومنافقيهم ومنافقي العرب وكفارهم) ، تفسيره ٣ / ١٨٩ . وقال أبو السعود : «المراد بالموصول : جنس الكفرة الشامل لجميع الأصناف» ، تفسيره ٢ / ١٠ . وإلى عموم الآية وتناولها لكل كافر ، ذهب كذلك أبو حيان في تفسيره ٢ / ١٨٧ .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ ، قال الكلبي ^(١) : من عذاب الله ^(٢) .

وقال أبو عبيدة ^(٣) : معناه : عند الله . ^(٤)

(مِنْ) بمعنى : (عند) ، وحروف الصفات تتعاقب ^(٥) .

١١ . ﴿كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية . يقال : (دَأْبْتُ ، أدَأَبْتُ ، دَأَبًا) ^(٦) .
و(دَأَبًا) ، و(دُؤُوبًا) : إذا اجتهدت في الشيء وتعبت فيه ^(٧) .

(١) من قوله : (قال الكلبي) إلى : (بمعنى عند) نقله بالنص عن الثعلبي ٣ / ١١ ب .

(٢) قوله في تفسير الثعلبي في الموضع السابق .

(٣) في مجاز القرآن ١ / ٨٧ .

(٤) وضعف أبو حيان ، والسمين الحلبي قول أبي عبيدة . انظر : البحر المحيط ٢ / ٣٨٨ ، والدر المصون ٣ / ٣٥ . ولكن ابن هشام وافق أبا عبيدة في جعل (من) موافقة لـ (عند) وكذلك جعلها بمعنى البدل ؛ أي بدل طاعة الله ، أو بدل رحمة الله . انظر : المغني ٤٢٢ ، و ٤٢٤ .

(٥) حروف الصفات هي حروف الجر . قال عنها ابن يعيش في شرح المفصل ٧ / ٨ «وقد يسميها الكوفيون : حروف الصفات ؛ لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات» . وقد عقد لها ابن قتيبة باباً في تأويل المشكل : ٥٦٥ ، فقال : «باب دخول بعض حروف الصلوات مكان بعض» ، انظر : أدب الكاتب له : ١ / ٣٩٢ ، ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : ١٢ ، وانظر : التعليق السابق على حروف الإضافة في هامش تفسير قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَاوِلُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ آية ٩ .

(٦) في (ب) : (دأبًا) .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٣٨٠ ، وتهذيب اللغة (دأب) ٢ / ١١٢٧ .

قال الفرّاء^(١) : والعرب تُثَقِّلُ^(٢) ما كان ثانيه أحد حروف الحلق^(٣) : كالنَّعل ، والصَّخر ، والنَّهر ، والشَّام^(٤) ، وأنشد :

قد سار شرقِيهِمْ حتى أتى سبأً وانساحَ غربِيهِمْ حتى هو الشَّامُ^(٥)

ويقال : سار فلان يوماً دائماً : إذا اجتهد في السير يومه كله . هذا معناه في اللغة . ثم يصير الدُّب عبارة عن الحال ، والشَّان ، والأمر ، والعادة ؛ لاشتغال العمل والجهد على هذا كله^(٦) .

(١) قوله بمعناه في معاني القرآن له ٤٧/٢ . وورد بمعناه في إعراب القرآن للنحاس ٣١٣/١ ، ونسبه

لكتاب المصادر للفرّاء . وأورده السمين الحلبي في الدر المصون ٤٠/٣ .

(٢) في (أ) : (تَثَقَّلُ) . ولم تضبط بالشكل في بقية النسخ ، وصوبته من الدر المصون ٤٠/٣ .

(٣) حروف الحلق هي : الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء . انظر : سر صناعة الإعراب ٤٦/١ ، ٤٧ ، والمتع في التصريف ٦٦٨/٢ ، ٦٦٩ ، والتمهيد لابن الجزري : ص ٨٣ . وقد قال الفرّاء في معاني القرآن ٤٧/٢ عند قوله تعالى : ﴿ دَابَّآ ﴾ آية [يوسف : ٤٧] بعد ذكر القراءتين فيها ، بتسكين الهمزة وفتحها : « وكذلك كل حرف فُتِحَ أوله ، وسُكِّنَ ثانيه ، فثقله جائز إذا كان ثانيه همزةً أو عيناً أو غيناً أو حاءً أو خاءً أو هاءً » . انظر : تفسير الطبري ١٩١/٣ ، والبيان لأبي البركات الأنباري ٤٢/٢ .

(٤) في (ب) و(أ) : (والشام) ، وفي (ج) : (والسام) . وقصد المؤلف هنا أن هذه الكلمات تُنطق بتسكين الحرف الثاني ، أو بفتحه .

(٥) لم أهدت إلى قائله ، وقد نقله السمين الحلبي في الدر المصون ٤٠/٣ عن البسيط للواحي بالرواية الآتية :

قد سارَ شرقِيهِمْ حتى أتى سبأً وانساحَ غربِيهِمْ حتى هوى الشَّامَا

(٦) انظر : مجمل اللغة ٣٤٢/٢ ، واللسان ١٣١٠/٣ .

واختلفوا في معنى الكاف في قوله : ﴿كَذَّابٌ﴾ ، فقال ابن عباس ، وعكرمة^(١) ، ومجاهد ، والسدي ، وابن زيد^(٢) : كفعل آل فرعون ، وصنيعهم في الكفر والتكذيب .

يريد : إن اليهود كفرت بمحمد ﷺ كعادة آل فرعون مع فرعون ، عرفوا كَذِبَهُ وَصِدْقَ موسى ، وكذلك كفار الأمم الخالية .

وعلى هذا التقدير : دأبهم في الكفر ، كدأب آل فرعون ، فيكون الكاف في موضع رفعٍ بخبر الابتداء^(٣) .

و(الدأب) على هذا التفسير والتقدير إن شئت قلت : معناه : الأمر والشأن . وهو قول الأخفش^(٤) . وإن شئت قلت : العادة . وهو قول النضر^(٥) والمبرد^(٦) .

وأما الزَّجَّاج فإنه أجرى (الدأب) على ما هو موضوع عليه في اللغة ، فقال^(٧) : القول فيه عندي : إنَّ دأب هؤلاء ؛ أي^(٨) اجتهدهم في كفرهم ، وتظاهرهم على النبي ﷺ ، كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام .

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) انظر : أقوالهم في تفسير الطبري ٣ / ٦٩٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٠٣ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٣٧٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج : ١ / ٣٨٠ .

(٤) في معاني القرآن له ١ / ١٩٤ .

(٥) لم أهتم إلى مصدر قوله .

(٦) في الكامل له : ١ / ٣٧٦ .

(٧) في معاني القرآن له ١ / ٣٨٠ . نقله المؤلف عنه بتصرف يسير .

(٨) (أي) : ساقطة من (ج) .

قال ابنُ الأنباري^(١) : لم يخاطب الله - تعالى - العرب إلا بما تَعَقَّل^(٢) ، وقد يكون من عاداتها أن تحذف المُشَبَّه ، وتذكر المُشَبَّه به^(٣) ، وتكون كاف التشبيه دليلاً على المحذوف ، كقول امرئ القيس :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ . . . البيت^(٤) .

أي لَقِيتَ من هذه المنازل ، كما لَقِيتَ من هاتين المرأتين^(٥) ، فحذف ، وهذا مشهور في الكلام .

وقال بعض أهل المعاني^(٦) : يجوز أن يكون الكاف في محل نصب ، متصلة بقوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾^(٧) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ؛ لأن (الوقود) وإن كان اسماً ، ففيه معنى الفعل ، ويكون التقدير : تَتَقَدُّ النَّارُ بِأَجْسَامِهِمْ [كما تَتَقَدَّمُ

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) في (د) : (تفعل) .

(٣) (به) : ساقطة من (ج) .

(٤) البيت من معلقته ، وهو في ديوانه : ١١١ . وروايته في الديوان :

كَدَيْنِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

وورد كذلك في تفسير الطبري ١٩١/٣ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري : ٢٧ ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري : ٥٦٩/٢ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٣١٤/١ ، والأمل للقيلي ٢/٢٩٥ ، والمنصف لابن جني : ١٥٠/١ ، وشرح المعلقات السبع للزوزي : ١٠ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي : ١٠ ، وخزانة الأدب ٢٢٣/٣ .

والدأب في البيت : العادة . وكذا قوله : (كدينك) ؛ أي كعادتك . أم الحويرث هي أخت الحارث الكلبي ، وهي امرأة أبي الشاعر ، كما صَوَّبَ ذلك البغدادي في خزانة الأدب ، وقيل : هي أم الحارث الكلبي . وأم الرباب امرأة من بني كلب أيضاً . و(مأسل) : اسم جبل .

(٥) أي لقيت من وقوفك على هذه الديار وتذكرك أهلها ، كما لقيت من أم الحويرث وجارتها . وقيل : أصابك من التعب من هذه المرأة ، كما أصابك من هاتين المرأتين ؛ أي أصبحت عادتك في حب هذه ، كعادتك من تَبَّكَ في قلة حظك من وصلها ومعاناتك الوجد بها .

(٦) ممن قال بذلك النحاس في معاني القرآن ٣٥٩/١ .

بأجسام^(١) آل فرعون ، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول^(٢) النقمة والعقوبة ، مثل آل فرعون ، أخذناهم وعاقبناهم ، فلم يغن عنهم أموالهم ولا أولادهم^(٣) .

وعلى هذا القول : شُبِّهَ حال كفار اليهود بحال آل فرعون في العقوبة ، وقلة غناء أموالهم عنهم ، وفي القول الأول : التشبيه وقع بين الحالتين في الكفر والتكذيب .

قال النحويون : ولا يجوز أن تكون الكاف من صلة (كفروا) في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما وقع بينهما من الفصل بخبر (إِنَّ)^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَاخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ . قال بعض أهل اللغة : معنى الذَّنْبُ : التُّلُوُّ للشيء . (ذنبه ، يذنبه ، ذنباً) : إذا تلاه . والذَّنُوبُ : الدَّلُو ؛ لأنها تالية للحبل في الجذب ، وأصله من الذَّنْبِ ؛ لأنه تالٍ لصاحبه^(٥) .

فالذَّنْبُ : الجُرْمُ^(٦) ؛ لأن تبعته تتلو صاحبه من استحقاق الذم^(٧) .

(١) زيادة من (ج) و(د) .

(٢) في (ب) : (طول) .

(٣) من قوله : (عند حلول) إلى (أولدهم) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٤) ممن قال : إن الكاف متعلقة بـ ﴿كَفَرُوا﴾ الفراء . ومن أنكر هذا الوجه الزجاج ، والنحاس . انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٨٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣١٣ . وتعليل رأييهما أن الخبر قد تم بقوله : (لن تغني ...) فانقطع تعلق الفعل بالكاف ، ولا يُعْطَف على صلة الموصول بعد تمام الجملة . انظر : البيان لأبي البركات الأنباري ١/ ١٩٢ ، والبيان للعكبري ١/ ١٧٧ . الكشف ١/ ٤١٤ ، والمحزر الوجيز ٣/ ٣٢ ، والبحر المحيط ١/ ٣٨٩ وقد ذكر عشرة أقوال في إعراب الكاف .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ذنب) ٢/ ١٢٩٥ ، واللسان (ذنب) ٣/ ١٥٢٠ .

(٦) في (ج) : (والحرم) .

(٧) في (ج) و(د) : (الدم) .

وقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ . إنها سُمِّي عقاباً ؛ لأنه يعقب الذنب .

١٢ . قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن عباس في رواية عكرمة ، وسعيد بن جبیر ، وأبي صالح^(١) ، وعطاء^(٢) : يعني يهود المدينة^(٣) .

وقال مقاتل^(٤) : هم مشركو مكة . واللفظ يحتمل الفريقين جميعاً .

يدل على ذلك قوله : ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥] فَفَسَّرَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقبيلين ، وكذلك قوله : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١] .

وقوله تعالى: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ . يقال : غَلَبَ ، غَلَبَةً ، وَغَلَبًا . والغلبة أكثر^(٥) .

(١) هو باذام ، أو باذان ، مولى أم هانئ . تقدمت ترجمته .

(٢) (عطاء) : غير مقروءة في (ج) .

(٣) أثر ابن عباس هذا برواية عكرمة وسعيد بن جبیر في سنن أبي داود برقم (٣٠٠١) في كتاب الخراج باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة . تفسير الطبري ١٩٢/٣ ، وسيرة ابن هشام ١٧٩/٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ، وأسباب النزول للواحدي : ١٠٠ ، ١٠١ ، وتفسير البغوي ١٣/٢ ، ولباب النقول للسيوطي : ٥١ . وورد من رواية الكلبي عن أبي صالح في تفسير الثعلبي ١١٢/٣ ، أسباب النزول للواحدي : ١٠٠ ، وتفسير البغوي ١٣/٢ . أما رواية عطاء عن ابن عباس ، فلم أهتد إلى مصدرها . ونص الأثر في سنن أبي داود «لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر ، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع ، فقال : «يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً ، قالوا : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرأ من قريش كانوا أغاراً لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾» .

(٤) قوله في تفسيره ٢٦٥/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ، تفسير البغوي ١٢/٢ .

(٥) انظر : (غلب) في كتاب العين ٤/٤٢٠ ، وتهذيب اللغة ٣/٢٦٨٢ ، واللسان ٦/٣٢٧٨ .

قال الفرّاء^(١) : وكان قوله : ﴿مَنْ بَعْدَ عَلَيْهِمْ﴾ [الروم: ٣] ، حُذفت منها الهاء لما أُضيفت^(٢) ، كما قال : ﴿وَأَقَامِ الصَّلَاةَ﴾ [النور: ٣٧] ، فحُذفت منها الهاء للإضافة . وفيه قراءتان : الياء والتاء^(٣) ، وكذلك قوله : ﴿تُحْشَرُونَ﴾ . فمن قرأ بالتاء فللمخاطبة . ويدل^(٤) على حُسن^(٥) التاء^(٦) قوله تعالى^(٧) : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ [النور: ٣] .

ومن قرأ بالياء ، فالمعنى : بلّغهم أنهم سيُغلبون . ويدل على صحة الياء قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ [الجاثية: ١٤] ، وقوله : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ، ولم يقل : (غُضُّوا) .

قال الفرّاء^(٨) : مَنْ^(٩) قرأ بالتاء ، جعل اليهود والمشرّكين^(١٠) داخلين في الخطاب ، ثم يجوز في هذا المعنى الياء ، والتاء ؛ كما تقول في الكلام : قل لعبدالله إنه قائم ، وإنك قائم^(١١) .

(١) في معاني القرآن ٣١٩/٢ .

(٢) في (ب) و(د) : (أُضيف) .

(٣) في (د) : (التاء والياء) . قرأ حمزة والكسائي من السبعة بالياء ، وقرأ الباقر بالتاء . انظر : الحجة للفراسي ١٧/٣ ، والمبسوط لابن مهران : ١٤٠ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٥٤ ، ١٥٥ ، وكتاب الإقناع لابن الباذش ٦١٨/٢ .

(٤) في (د) : (يدل) .

(٥) في (ج) : (صحة) .

(٦) من قوله : (ويدل على ...) إلى (... ولم يقل غضوا) : نقله عن الحجة للفراسي ١٨/٣ بتصرف واختصار .

(٧) من قوله : (تعالى ...) إلى (... صحة الياء) : ساقط من (ج) .

(٨) في معاني القرآن ١٩١/١ .

(٩) في (ج) : (ومن) .

(١٠) في (ج) : (المشرّكين واليهود) .

(١١) (وإنك قائم) : ساقط من (ج) .

وفي حرف عبدالله^(١): (قل للذين كفروا إن ينتهوا^(٢) يُغْفَرْ لكم^(٣)) ما قد سلف^(٤).

ومن قرأ بالياء ، فإنه ذهب إلى مخاطبة اليهود ، وإلى أن الغلبة تقع على المشركين ؛ كأنه قيل : قل يا محمد لليهود : سَيُغْلَبُ الْمُشْرِكُونَ ، وَيُحْشَرُونَ ، فليس يجوز في هذا المعنى^(٥) إِلَّا الْيَاءُ ؛ لأن المشركين غَيَّبَ .

وقال غير الفراء^(٦) : جعل المخاطبة للفريقين أحسن ؛ لجواز وقوع (الذين كفروا) عليهما ؛ ولأنهما جميعاً مغلوبان : فاليهود غُلبوا بوضع الجزى^(٧) عليهم ، والمشركون غُلبوا بالسيف .

وقال صاحب النظم^(٨) : من قرأ بالتاء ، فالأمر واقع على هذه اللفظة بعينها ؛ أي^(٩) : قل لهم هذا القول . ومن قرأ بالياء ، فالأمر واقع على المعنى دون اللفظ ؛ أي قل لهم ما يكون هذا معناه ، وإن لم تكن هذه اللفظة بعينها^(١٠) .

(١) هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) في (ب) : (تنتهوا) .

(٣) في (ج) و(د) : (لهم) .

(٤) انظر : هذه القراءة في المحرر الوجيز ٦/ ٣٠٠ ، والبحر المحيط ٤/ ٤٩٤ ، ووردت فيه : (تنتهوا) . والقراءة المتواترة : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الأنفال ٣٨ .

(٥) في (ج) : (الموضع) .

(٦) القائل هو أبو علي الفارسي في الحجة ٣/ ١٩ ، ونقله المؤلف عنه بتصرف .

(٧) في (ج) و(د) : (الجزى) وفي الحجة : الجزى ، وما أثبتته صحيح كذلك ؛ لأن الجزى ، والجزى ، جمع للجزية وهي خراج الأرض ، وما يؤخذ من أهل الذمة من مال . انظر : اللسان (جزى) ٢/ ٦٢١ .

(٨) هو أبو علي ، الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني ، وكتابه نظم القرآن .

(٩) من قوله : (أي . . .) إلى (. . . هذه اللفظة بعينها) ساقطة من (د) .

(١٠) انظر في : توجيه القراءة بالتاء والياء الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ١٠٦ ، والكشف لمكي : ٣٣٥ / ١ .

قال مقاتل^(١) : لما نزلت هذه الآية ، قال النبي ﷺ للكفار يوم بدر : « إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم » .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسَّرَ الْمَهَادُ ﴾ ، قال مجاهد^(٢) : بئس ما مهّدوا لأنفسهم .

وقال الحسن^(٣) : بئس القرار .

وقيل^(٤) : بئس الفراش الممهّد لهم . وقال ابن عباس في رواية عطاء^(٥) : بئس ما مهّد لكم ، وبئس ما مهّدتم لأنفسكم .

وقال أصحاب المعاني : ليس^(٦) هناك تمهيد ، ولكن المعنى : أنها بدل المهاد ؛ كما أن البشارة بالعذاب بدل البشارة بالنعيم في قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٧) .

(١) قوله في تفسيره ٢٥٦/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ١٢٢/١ ، وتفسير الطبري ١٩٣/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٠٤/٢ .

(٣) لم أهد إلى مصدر قوله .

(٤) ممن قال بذلك الزّجاج في معاني القرآن ٣٨٠/١ .

(٥) لم أقف على هذه الرواية عن ابن عباس ، والذي في الدر المنثور ٤٣٠/١ هو قوله : « بئس ما مهّدوا لأنفسهم » . ونسب إخراجه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولم يذكر الراوي عنه .

(٦) في (ج) : (وليس) .

(٧) سورة آل عمران ٢١ ، والتوبة ٣٤ ، والانشقاق ٢٤ . وأصل المهد لغة : التوثير ، ويقال : مهّدت لنفسي مهّداً ومهّدت لنفسي ؛ أي جعلت لها مكاناً وطيباً سهلاً ، ومهدت لنفسه خيراً ، وامتهده : هيأه وتوطأه . والمهاد : الفراش ، سمي بذلك لوثارته ، ومهدت الفراش مهّداً : بسطته ووطأته ، والجمع : (أمهدة) ومُهّد ، ومهد الصبي : موضعه الذي يبيأ له لينام فيه ، وجمعه : مُهود . انظر : (مهد) في الجمهرة لابن دريد : ٦٨٥ ، واللسان ٧/٤٢٨٦ .

١٣. قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ ، قال الفرّاء^(١) : أراد بالآية البيان^(٢) ؛ فلذلك ذَكَرَ الْفِعْلَ كَأَن ذَهَبَ إِلَى الْمَعْنَى ، وترك اللفظ ، كقول الشاعر :

كَخُرْعُوبَةٍ الْبَانَةِ الْمَنْفَطِرُ^(٣)

[ولم يقل المنفطرة]^(٤) لأنه ذهب إلى القضيْب .

(١) لم أهتم إلى مصدر قوله . ومن قوله : (أراد بالآية . . .) إلى (. . . في الدنيا لغرور) : ورد في تفسير الثعلبي ١٣/٣ أ ، مع اختلاف في بعض عباراته .

(٢) أي قد كان لكم بيان .

(٣) عجز بيت ، وصدره كما في الديوان

بَرَهْرَهْ رُوْدَةٌ رَخْصَةٌ

وهو لامرئ القيس ، في ديوانه : ٦٩ ، وكما ورد منسوباً له في تهذيب اللغة (خرعبة) ١٠١٤/١ ، والصحاح (خرعب) ١١٩/١ ، والمخصص ٢١٤/١٠ ، و٣/١١ ، واللسان (خرعب) ١١٣٨/٢ ، و(بون) ٣٩١/١ ، و(بره) ٢٧٠/١ . ويروى كذلك : (. . . رَخْصَةٌ رُوْدَةٌ) في تهذيب اللغة وورد في الصحاح (رأدة) بدلاً من (رُوْدَةٌ) ، ويروى : (رُوْدَةٌ) . البرهرة : الجارية البيضاء ، وقيل : التي ، كأن لها بريق من صفائها ، وقيل : الرقيقة الجلد ؛ كأن الماء يجري فيها من النعمة ، وهي معان متقاربة . والرخصة : الناعمة البَشَرَة . والرُوْدَة ، والرَّأْدَة ، والرُّوْدَة : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء ، وُسِّمَتْ بذلك تشبيهاً لها بالغصن الرُّود ، وهو الذي نبت من ستنه أُرطب ما يكون . والخرْعُوبَة ، والخرْعُوب ، والخرعِب : الغصن الطري السامق المثني ، وبه شُبِّهَت المرأة الرقيقة الحسنة القوام ، الكثيرة اللحم . والبانة : واحدة البان ، وهو ضرب من الشجر . انظر : اللسان (بره) ٢٧٠/١ ، و(رخص) ١٦١٦/٣ ، و(رأد) ١٥٣٢/٣ ، و(خرعب) ١١٣٨/٢ ، و(بون) ٣٩١/١ . والشاهد فيه : أنه ذَكَرَ لَفْظَ (المنفطر) مع أن الأصل فيه التأنيث ؛ لأنه صفة للفظ (خرعوبة) المؤنث لفظاً ، إلّا أنه لما أراد وقصد معنى (الغصن) أو (القضيْب) ذَكَرَ الصفة لتتناسب مع مراده .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) . وهي في تفسير الثعلبي كذلك : ١٣/٣ أ .

ويجوز أن يكون التذكير للفصل [الواقع]^(١) بينهما بحرف الصفة ؛ كقول الشاعر :

إِنَّ^(٢) امرءاً غَرَّه مِنْكُمْ واحدةٌ^(٣) بعدي وَبَعْدَكَ في الدنيا لَمَغْرُورٌ^(٤)
والخطاب في هذه الآية للمعنيين بقوله : ﴿قُلْ لِلَّهِ كُفْرُؤٌ﴾ ، وأراد بالآية علامة تدل على صدق النبي ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ﴾ ، أراد بالفتنتين : رسول الله ﷺ وأصحابه يوم بدر ، ومشركي مكة حين خرجوا لقتاله ، في قول جميع المفسرين .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٢) (إن) : ساقطة من (ج) .

(٣) في (أ) : (واحدة) ، وبقيّة النسخ غير مضبوطة بالشكل ، والصواب ما أثبت .

(٤) لم أهد إلى قائله ، وهو في معاني القرآن للفرّاء ٣٠٨ / ٢ ، والخصائص لابن جني ٤١٤ / ٢ ، واللمع له : ٨١ ، والأمل في الشجرية لابن الشجري ٤١٣ / ٢ ، والإنصاف لأبي البركات الأنباري : ١٥٢ ، وشرح الفصل ٩٣ / ٥ ، واللسان (غرر) ٣٢٣٢ / ٦ ، وشرح شذور الذهب : ٢٣٣ ، وتخليص الشواهد لابن هشام ٤٨١ ، والمقاصد النحوية للعيني ٤٧٦ / ٢ ، ومنهج السالك إلى ألفية ابن مالك شرح الأشموني ٥٢ / ٢ ، وجمع الهوامع ٦٦ / ٧ ، والدرر اللوامع على جمع الهوامع للشنقيطي ٢٢٥ / ٢ . والشاهد فيه قوله : «غَرَّه مِنْكُمْ واحدةٌ» حيث لم يؤنث الفعل (غَرَّ) مع أن إسناده إلى اسم ظاهر حقيقي التأنيث ، وهو (واحدة) نظراً إلى الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول ، وهو الضمير المتصل ، وبالجار والمجرور ، وهو (منكم) .

وقوله تعالى : ﴿ فِئَةٌ تَقْتُلُ ﴾ ، الرفع ^(١) ، وجه الكلام ؛ لأن المعنى : إحداهما تقاتل في سبيل الله ، فهو رفع على استئناف من الكلام كما أنشده ^(٢) الفراء :

إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَيْنِ ^(٣) : شامتٌ
وآخرُ مثنٍ بالذي كُنْتُ أَفْعَلُ ^(٤)

(١) من قوله : (الرفع . . .) إلى (. . . والنصب جائز) : نقله عن معاني القرآن للفراء ١٩٢/١ ١٩٣ بتصرف .

(٢) في (د) : (أنشد) .

(٣) في (ج) : (صنفان) . وفي معاني القرآن (نصفين) .

(٤) البيت للعجيز بن عبد الله السلولي ، وقد ورد منسوباً له في كتاب سيبويه ٧٠/١ ، والنوادر لأبي زيد ١٥٦ ، والأزهية في علم الحروف للهروي ١٩٩ ، والإفصاح للفارقي ٢٨١ ، والبسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع السبتي ٧٦٠/٢ ، والمقاصد النحوية للعيني ٨٥/٢ ، وخزانة الأدب ٧٢/٩ ، والدرر اللوامع ٤٦/١ . وورد غير منسوب في إعراب القرآن للنحاس ١٠/٢ ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس : ٤٠ ، وأسرار العربية لأبي البركات الأنباري : ١٣٦ ، وشرح المفصل ٧٧/١ ، و١١٦/٣ ، و١٠٠/٧ ، ومنهج السالك للأشموني ٢٣٩/١ ، وجمع الهوامع ٢٣٥/١ . وقد انتهت قافية البيت في أكثر المصادر بكلمة (أصنع) بدلاً من (أفعل) ، وجاءت رواياته مختلفة في بعض كلماتها ، فورد (نصفين) و(نصفان) و(صنفان) بدلاً من (صنفين) ، وورد (. . . ومثنٍ بنيري بعض) ، و(النيران) : العَلَمَان في الثوب . انظر : الخزانة ٧٣/٩ .

والشاهد فيه ، قوله وفق رواية المؤلف : (شامتٌ وآخر) بالرفع ؛ ناوياً ابتداء الكلام بعد (صنفين) ليَقْسَر ، وأراد : بعضٌ شامتٌ ، وآخر مثنٍ . وعلى الرواية الثانية : (. . . كان الناس صنفان : شامت . . .) ، الشاهد فيه : (صنفان : شامت . . .) وأراد : كان الشأن والأمر : الناس صنفان .

ابتدأ الكلام بعد الصنفين ، ولو كُسرت على البدل من ^(١) ﴿فَتَيْنِ﴾ جاز ؛
كما قال كُثِيرٌ ^(٢) :

وكنْتُ كذي رَجَلين : رجلٍ صحيحةٍ
ورَجُلٍ رَمى فيها الزمانُ فَشَلَّتْ ^(٣)
[يُشَدُّ البَيْتُ على وجهين ^(٤) .

- (١) (من) : ساقطة من (د) .
- (٢) هو أبو صخر ، كُثِيرٌ بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة ، كان رافضياً مغالياً ، عدّه ابنُ سلام من الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين . عاش في العصر الأموي . انظر : طبقات فحول الشعراء ٥٣٤ / ٢ ، والشعر والشعراء : ٣٣٤ ، ووفيات الأعيان ١ / ٥٤٧ .
- (٣) البيت في ديوانه ٩٩ ، وكما ورد منسوباً له في كتاب الجمل في النحو للخليل : ٢٠٧ ، وكتاب سيويه ٤٣٣ / ١ ، ومجاز القرآن ٨٧ / ١ ، والأُمالي للقالبي ١٠٨ / ٢ ، وأُمالي المرتضى للشريف المرتضى ٤٦ / ١ ، والعمدة لابن رشيقي ١٠٤٨ / ٢ ، والإيضاح للفارقي ٢٣٢ ، و٢٨٢ ، ونتاج الفكر للسهيلى ٣١٥ ، والمقاصد النحوية ٢٠٤ / ٤ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ٣٩٨ / ١ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٨١٤ / ٢ ؛ كما ورد غير منسوب في المقتضب ٢٩٠ / ٤ ، والمحلى (وجوه النصب) لأبي بكر بن شقير ١٦٣ وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٥٧٠ / ٢ ، والمخصص : ص ٥٨ ، وارتشاف الضرب من لغة العرب لأبي حيان ٦٢١ / ٢ ، والمغني لابن هشام ١٤٣ / ٢ .
- ومعنى البيت : أنه لما لم تثبت معشوقته عَزَّةً على العهد ، وثبت هو على عهدها ؛ صار كذي رجلين : رجلٍ صحيحةٍ ، ويعني بها ثباته على عهدها ، ورجلٍ مريضةٍ ، ويعني بها خيانتها للعهد . ومعنى (شَلَّتْ) : أصابها الشلل ، وأصل الفعل : (شَلَلْتُ ، شَلَلْتُ ، شَلَلْتُ) ، ويقال : (شَلَّتْ يَدُهُ) ، (وأشَلَّها الله) . انظر : الخزانة ٢١٢ / ٥ . والشاهد فيه قوله : (رَجُلٌ) . كُسرت على البدل من (رجلين) وهو ما يسمى : بدل المفصل من المُجْمَل ، ويجوز الخفض على النعت .
- (٤) أي في (رَجُلٍ) ، الوجه الأول : الخفض ، كما سبق بيانه . والوجه الثاني : الرفع ، على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وتقديره : هما رَجُلٌ صحيحةٌ ، ورجلٌ أخرى . . . ، أو : إحداهما رَجُلٌ . . . انظر : الخزانة ٢١١ / ٥ .

ومما فُسِّر به الأول ، فتبعه في الإعراب ، ما أنشده^(١) الفراء :

حتى إذا ما استقلَّ النجمُ^(٢) في غَلَسٍ
وغُودِرَ البقلُ^(٣) مَلُويٍّ ومحْصودُ^(٤)

ففسر ، فقال : بعض البقل كذا ، وبعضه كذا ، والنَّصَب جائز^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْآلَيْنِ﴾ ، الرؤية^(٦) هاهنا متعدية إلى مفعول واحد ، يدلُّك على ذلك تقييده بـ ﴿رَأَى الْآلَيْنِ﴾ . وإذا كان كذلك كان انتصاب ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ على الحال^(٧) ، لا على أنه مفعول ثانٍ كما تقول : رأيت زيدا راكباً .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٢) في (ج) : (استقل النجم) .

(٣) في (ج) : (النفل) .

(٤) البيت لذي الرُّمَّة ، وهو في ديوانه ١٣٦٦ ، والسمط ١ / ٣٥٤ . وأورده الفراء في معاني القرآن ٢ / ٤١٠ برواية أخرى :

حتى إذا ما أضاء الصبحُ في غَلَسٍ

وكذا نقله عن الفراء بهذه الرواية النحاسُ في إعراب القرآن ٢ / ٨٠١ . وروايته في الديوان : (. . . وأحصَدَ البقلُ أو مُلُوَ ومحْصودُ) . ومعنى (استقل) : ارتفع ، و(النجم) أراد به هنا الثريا . و(الغَلَس) : ظلمة آخر الليل . وقوله : (ملويٍّ) ؛ يقال : (أَلَوَى النَّبْتُ إِلَوَاءً) : إذا جف . وقوله في رواية الديوان : (وأحصَدَ البقلُ) ؛ أي حان أن يحصد . انظر : ديوانه بشرح الباهلي ١٣٦٧ ، والقاموس (قلل) ١٠٤٩ ، و(غلس) ٥٦١ .

(٥) أي على الحال ؛ سواء كان يقصد جواز النصب من الناحية الإعرابية في قوله : ﴿فَتَّةٌ﴾ ؛ أي التقتا مختلفتين ، أو يقصد جواز النصب في قوله : (ملوي ومحْصود) في البيت ، فيكون المعنى : حال كونه ملوياً ومحْصوداً .

(٦) من قوله : (الرؤية . . .) إلى نهاية قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُ لَكُمُ امْتَلِكُ﴾ نقله عن الحجة للفارسي ٩ / ٢٠ ، بتصرف .

(٧) انظر : المشكل لمكي ١ / ١٥٠ ، والبيان للأنباري ١ / ١٩٣ .

وقوله (مثليهم) ، المثل : يجوز إفراده في موضع التثنية والجمع ؛ كقول الشاعر :

وساقين مثل زيد وجعل^(١)

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾^(٢) [النساء: ١٤٠] ، ولم يقل : أمثالهم . وقد جمع في قوله : ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا امْتِلَاكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] .

(١) صدر بيت من الرجز ، وتماهه :

سَقْبَانِ مَمشُوقَانِ مَكْنُوزَا الْعَصْلِ

ولم أقف على قائله ، وقد ورد غير منسوب في كتاب سيبويه ١٧/٢ ، والفرق بين الحروف الخمسة لابن السيد البطليوسي : ٣٧٠ ، واللسان (سقب) ٢٠٣٦/٤ ، و(كنز) ٣٩٣٧/٧ ، والتاج (سقب) ٧٨/٢ . وروي بلفظ : (. . . صَقْبَانِ) بدلاً من (سقبان) . و(السَّقْب) : ولد الناقة الذكر ساعة يُولد ، وقد سبق بيانه . و(الصَّقْب ، والصَّقْب) : يُطلق على الطويل الممتلئ من كل شيء ، ومنه الغصن الريّان الغليظ الطويل ، و(صَقْب الناقة) : ولدها ، وعمود يُعمد به البيت ، و(رجل صَقْب) : ممتلئ الجسم ناعمه . انظر : كتاب العين ٦٨/٥ ، والفرق بين الحروف الخمسة : ٢٧٠ ، واللسان (صقب) ٢٤٦٩/٤ ، (الممشوق) : الذي فيه طول مع خفة لحم . و(مكنوزاً العصل) : مجتمعاً ، وممتلئاً العصل باللحم . انظر : اللسان (مشق) ٤٢١١/٧ ، و(كنز) ٣٩٣٧/٧ . والشاهد في البيت : إفراد (مثل)

وهي في موضع التثنية .

(٢) فأفردت (مثل) في الآية ، وهي في موضع الجمع .

وقوله تعالى: ﴿رَأَى الْعَيْنَ﴾ . يقال: (رَأَيْتُهُ^(١) رَأْيًا)، و(رُؤْيَةً)، و(رَأَيْتَهُ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا حَسَنَةً) غَيْرُ مُجْرَاةٍ^(٢). فالرُّؤْيَا تختص بالمنام، وهو مصدرٌ لـ (رَأَيْتَ)^(٣)، ويقول: هو مني رَأْيُ الْعَيْنِ؛ أي حيث يقع عليه بصري. فقولُه: ﴿رَأَى الْعَيْنَ﴾ يجوز^(٤) أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ^(٥)، ويجوز أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِلْمَكَانِ^(٦)، كما تقول: (تَرَوْهُمْ أَمَامَكُمْ). ومثله: هو مِنِّي مَزَجَرَ الْكَلْبِ^(٧)، وَمَنَاطَ الْعَيُّوقِ^(٨).

- (١) من قوله: (رَأَيْتَهُ . . .) إلى (. . . مجرأة): نقله عن تفسير الطبري ١٩٨/٣ مع التصرف.
 - (٢) في (ج): (محزاة)، وفي (د): (محزاة). ومعنى: (غير مجرأة)؛ أي أن كلمة (رُؤْيَا)، غير مصروفة، والإجراء: الصرف. وهو من اصطلاحات الكوفيين. يقولون: (ما يجري وما لا يجري)، و(الجارى وغير الجارى). قال ابن حجر: «وهذا اصطلاح قديم، يقولون للاسم المصروف: مُجْرَى». فتح الباري ٦٨٤/٨. وقد وردت هذه اللفظة كثيراً عند الفراء. انظر: معاني القرآن ١٥٠/٣، و٢١٤، و٢١٨، والحروف لأبي الحسين المزني ٥٩، والنحو وكتب التفسير ١٨٦/١، ودراسة في النحو الكوفي: ٢٣٣.
 - (٣) في (د): (مصدراً رأيت).
 - (٤) في (ج): (ويجوز).
 - (٥) والنصب هنا على المصدر: إمّا المصدر التوكيدي، أو المصدر التشبيهي؛ أي رأياً مثل رأي العين؛ أي يشبه رأي العين.
 - (٦) أي يجوز نصبه لكونه ظرف مكان.
 - (٧) انظر: هذا المثل في كتاب سيبويه ٤١٣/١، و٤١٦، والأصول لابن السراج ١٩٩/١، والمسائل الحلييات للفارسي ٥٩، واللسان (زجر) ١٨١٣/٣. والمزجر: اسمٌ لمكان الزجر. والزجر: المنع والنهي والانتهاز. ومعنى هذا المثل: أنه مني في القرب بتلك المنزلة. انظر (زجر): في اللسان ١٨١٣/٣، والمعجم الوسيط ٣٩٠/١.
 - (٨) المناط: موضع التعليق. والعَيُّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا، لا يتقدمها، ويطلع قبل الجوزاء. ومعنى المثل: هو مني شديد البعد، كبعد مكان هذا النجم. انظر: القاموس (عوق): ٩١٣، والمعجم الوسيط (عاق) ٦٤٣/٢، و(ناط) ٩٧٢/٢.
- وقد ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني ٢٠١/١، والمستقصى في الأمثال للزنجشيري ٢٤/١، والدرة الفاخرة لحمزة الأصفهاني ٧٥/١، و٧٦. وورد بلفظ: (أبعد من العيوق) في جبهة الأمثال للعسكري ٢٠٤/١، و٢٣٨. وورد: (وهو مني مناط الثريا) في الأصول لابن السراج ١٩٩/١. ولم يرتض السمين الحلي رأي الواحدي بالنصب على الظرفية، فقال بعد أن نقل قول الواحدي السابق: «وهذا إخراج للفظ عن موضوعه مع عدم المساعدة معنىً وصناعة». انظر: الدر المصون ٥٥/٣.

وفي قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ قراءتان: التَّاءُ^(١)، والياءُ^(٢). فمن قرأ بالتَّاءِ؛ فلأن ما قبله خطاب لليهود، والمعنى: تَرَوْنَ أيها اليهود المسلمين مثلي ما كانوا؛ أي مثلي الفئة الكافرة؛ وذلك أن الله - تعالى - كَثَّرَ المسلمين في أعينهم يوم بدر. فذلك الآية، والأعجوبة، وهو أنهم رَأَوْا القليل كثيراً. ويجوز أن تكون الكناية عن الفئة الكافرة، وهم المشركون، والمعنى: تَرَوْنَ المشركين ضعفي المؤمنين.

ونذكر بعد هذا كيف رَأَوْهم مثليهم، وهم كانوا ثلاثة أمثالهم^(٣).

(١) قوله: (التاء والياء، فمن قرأ بالتاء) ساقط من (ج).

(٢) قرأ نافع بالتاء، وقرأ باقي القراء السبعة بالياء. انظر: السبعة: ٢٠١، ٢٠٢، والحجة للفراسي ١٧/٣.

(٣) وهناك وجه إذا كان الخطاب لليهود، إضافة إلى ما ذكره المؤلف، وهو: ترون أيها اليهود الكفار مثلي عدد الكفار؛ أي أن الله كَثَّرَ الكفار في أعين اليهود، ومع ذلك كان النصر عليهم للمسلمين، وفيه دلالة على تأييد الله للمؤمنين. ويرى السمين الحلبي أن كون الخطاب هنا لليهود استنباعاً لخطابهم في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾ يرى أنه تكلف لا حاجة إليه، ويعلل ذلك بقوله: «لأن اليهود لم يكونوا حاضري الواقعة حتى يُخاطبوا برؤيتهم لهم ذلك». الدر المصون ٥٠/٣، ٥١.

كما أن هناك وجوهاً أخرى وُجِّهَتْ بها القراءة بالتاء، وهي:

أن الخطاب في قوله: (لَكُمْ) و(تَرَوْنَهُمْ) للمؤمنين؛ أي كان لكم أيها المؤمنون آية... حيث ترون الكفار مثلي ما أنتم عليه في العدد، واستبعد هذا بأنه خلاف ما ذكره الله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] حيث قلل الله المشركين في أعين المؤمنين.

وأن الخطاب في قوله: (تَرَوْنَهُمْ) للمؤمنين؛ أي ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي عدد أنفسكم. و﴿يَتْلِيهِمْ﴾ هنا انتقال من الخطاب إلى الغيبة، والمعنى: ترونهم مثلي الفئة المقاتلة في سبيل الله. أو ترون أيها المسلمون المسلمين؛ أي ترون أنفسكم مثلي عددكم.

إن الخطاب في (لَكُمْ) و(تَرَوْنَهُمْ) للكفار؛ أي قد كان لكم أيها المشركون آية... حيث ترون المؤمنين مثلي أنفسهم في العدد، ورد هذا بما رُدَّ به الوجه الأول.

وترون أيها المشركون المؤمنين مثلي فتتكم الكافرة و﴿يَتْلِيهِمْ﴾ هنا انتقال من الخطاب إلى الغيبة، وحول هذه الوجوه المذكورة نقاشات، تراجع في الكشف لمكي ٣٣٦/١. الحجة للفراسي ٢٠/٣، وحجة القراءات: ١٥٤، والدر المصون ٤٨/٣ - ٥١.

ومن قرأ بالياء ؛ فَلِلْمُغَايِبَةِ^(١) التي جاءت بعد الخطاب ، وهو قوله : ﴿فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ . فقوله : ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ يعود إلى الإخبار عن إحدى الفئتين ؛ يجوز أن يكون خبراً عن الفئة المسلمة ، ويجوز^(٢) أن يكون خبراً عن الفئة الكافرة^(٣) . فإن جعلته خبراً عن الفئة المسلمة^(٤) ، فالمعنى : يرى المسلمون المشركين مثليهم .

فإن قيل : المسلمون يوم بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، والكفار كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً^(٥) ، فكيف رأى المسلمون^(٦) المشركين مثليهم ، وهم كانوا ثلاثة أمثالهم ؟

فرعم الفراء^(٧) أن المعنى : يرونهم ثلاثة أمثالهم . قال : لأنك إذا قلت : عندي ألف ، وأحتاج إلى مثلي ؛ فأنت تحتاج إلى ثلاثة^(٨) آلاف^(٩) ؛ لأنك لما نويت أن يكون الألف الذي عندك داخلاً في المثل ، كان (المثل) : اثنين ، و(المثلان) : ثلاثة . وعلى هذا^(١٠) الآية كانت في أن المسلمين رأوا المشركين على ما هم عليه

(١) في (ج) و(د) : (فللمغايبة) .

(٢) من قوله : (ويجوز) إلى (. . . عن الفئة المسلمة) ساقط من (د) .

(٣) في (ج) : (المسلمة) .

(٤) (فإن جعلته خبراً عن الفئة المسلمة) ساقط من (ج) .

(٥) انظر : صحيح البخاري : (٣٩٥٧) في كتاب المغازي ، باب عدة أصحاب بدر ، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٣) في كتاب الجهاد . باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وزاد المعاد ٣/ ١٧٥ ، ووحائق الأنوار لابن الديبع ٢/ ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٠٤ ، و٤٢٢ .

(٦) في (ج) : (المسلمين) .

(٧) في معاني القرآن ١/ ١٩٤ . نقله عنه بتصريف واختصار .

(٨) من قوله : (ثلاثة . . .) إلى (. . . في المثل ، كان) ساقط من (ج) .

(٩) في (د) : (ألف) .

(١٠) في (د) : (هذه) .

مِنْ وَفُورِ الْعَدَدِ ، ومع ذلك كانت قلوبهم مملوءة جُرْأَةً عليهم ، واحتقاراً لهم ، وشهوةً لملاستهم^(١) .

قال الزَّجَّاج^(٢) : «وهذا غلط ؛ لأننا إنما نعقل (مثل الشيء) : مساوياً له ، و(مثليه) : ما يساويه مَرَّتَيْنِ» . والذي قاله الفراء يُبْطِلُ في معنى الدلالة على الآية المعجزة ؛ لأن المسلمين إذا رأوهم على هيئتهم ، فليس في هذا آية ، وإنما المعنى في هذا : أن الله - عز وجل - أرى المسلمين أنَّ المشركين إنما هم^(٣) ستائة وكسُر ؛ وذلك^(٤) ، أن الله - عز وجل - كان قد أعلم المسلمين أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار^(٥) ، فأراهم المشركين على قَدَرٍ ما أعلمهم أنهم يغلبونهم ؛ لِيَقْوِيَ قلوبهم .

والدليل على صحة هذا المعنى قوله : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] ، فرأى كلُّ واحدٍ من الفريقين الآخر أقلَّ مما كانوا ؛ لِيَطْمَعَ كلُّ واحدٍ منهما في الآخر ، فيتقدم ويُلَاحِظُ . وهذا^(٦) هو الذي فيه الآية المعجزة ، وهو رؤية الشيء بخلاف صورته . انتهى كلامه^(٧) .

(١) الملاعبة : المخالطة . وهنا بمعنى : الاشتباك مع الكفار في ساحة المعركة . انظر : اللسان (لبس) ٣٩٨٧/٧ .

(٢) في معاني القرآن له ١ / ٣٨١ نقله عنه بتصريف واختصار .

(٣) في (ج) : (سأهم) .

(٤) قوله : (وكسر ، وذلك) : بياض في (د) .

(٥) وذلك في قول الله تعالى : ﴿أَلَتْنِ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّكُمْ ضَعْفَاءُ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦] . .

(٦) في (ب) : (هذا) .

(٧) ومما يدفع قول الفراء الآنف : أن (المثل) في اللغة : شبه الشيء ، والمعادل له في المثال والقَدْر والمعنى . كتاب العين ٨ / ٢٢٨ ، وذيل كتاب الأضداد للصَّغَانِي ٢٤٥ .

هذا إذا جعلنا قوله : ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ إخباراً عن المؤمنين ، فإن جعلته إخباراً عن الفئة الكافرة^(١) ، فيكون المعنى : يُرِيّ الفئة الكافرة الفئة المقاتلة في سبيل الله مثليهم ؛ أي مثلي ما كانوا ، أو^(٢) مثلي أنفسهم ، على ما ذكرنا من تكثير الله إياهم .

فإن قيل : كيف يصح تكثير الله المسلمين في أعين الكافرين ، وقد قال :

﴿وَقَلِّلْكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] ؟

فالجواب : ما قاله أبو عبيد^(٣) ، وهو أن التقليل كان في حالة أخرى ، فالله^(٤) - تعالى - كثر المسلمين في أعين الكافرين ، كما قلّل الكافرين في أعينهم ، ثم في حالة أخرى ، قلّل المسلمين في أعينهم ؛ لِيُطْمَعُوا^(٥) فيهم ، فإذا لابسوهم ، كانت العاقبة للمسلمين عليهم . فكلا^(٦) الأمرين فيه دلالة على لطف الله - عز وجل - للمؤمنين^(٧) ، وحسن معونته إياهم .

والقراءة الصحيحة الموافقة للآية التي في الأنفال من غير اختلاف حالين : قراءة العامة ، وهي الياء المعجمة ، على المعنى الذي ذكره الزّجاج .

على أن الفراء^(٨) قال : «يجوز أن يكون التقليل الذي ذكر^(٩) في الأنفال لم يكن من طريق تقليل العدد ، ولكن معناه : التهوين ، كما تقول : إني لأرى كثيركم

(١) من (الكافرة . . .) إلى (. . . الفئة الكافرة) : ساقط من (ج) .

(٢) في (أ) و(ب) : (و) . والتصويب من (ج) و(د) .

(٣) لم أهتد إلى مصدر قوله .

(٤) في (د) : (والله) .

(٥) في (أ) : (ليطمعوا) ، والمثبت من (ب) و(ج) و(د) ، وهو الصواب .

(٦) في (د) : (فكان) .

(٧) (للمؤمنين) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٨) في معاني القرآن ١ / ١٩٥ .

(٩) في (ج) : (ذكره) .

قليلاً؛ أي قد هُوّن عليّ، لا^(١) أنك ترى الثلاثة اثنين^(٢)». وإذا كان كذلك صحّ تكثيرُ الله المسلمين في أعين الكافرين، على ما ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾، نصرُ الله تعالى المسلمين على وجهين؛ نصرٌ بالغلبة، كنصرهم يوم بدر. ونصرٌ بالحُجّة. ولو هُزم قومٌ من المؤمنين لجاز أن يقال: هم المنصورون بالحُجّة، ومحمود العاقبة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ﴾، العبرة: الاعتبار^(٣)، وهي الآية التي يُعبر^(٤) بها من منزلة الجهل إلى العلم؛ لأن المعتبر بالشيء، تاركٌ جهله، وواصلٌ إلى علمه بما رأى.

وأصله من: (العُبُور)، وهو النفوذ من أحد^(٥) الجانبين إلى الآخر. ومنه: العبارة، وهو: الكلام الذي يُعبر^(٦) بالمعنى إلى المخاطب، وعبارة الرؤيا من ذلك؛ لأنه تفسير لها، يُعبر بها من حال النّوم إلى حال اليقظة بإظهار التأويل^(٧).

(١) (لا): ساقطة من (ج).

(٢) وقد دافع ابن الأنباري عن قول الفراء هذا مبيناً أن الأعجوبة لم تكن في العدد، وإنما كانت في الجزع الذي أوقعه الله - تعالى - في قلوب المشركين على كثرتهم، وقلة المسلمين، ولما قذفه الله من شجاعة في قلوب المسلمين، فهانت بها كثرة عدد المشركين عليهم، فكان احتقار المسلمين للكافرين على وفرة عددهم أعجب من احتقارهم لهم على نقصان عددهم. انظر: الأضداد: ١٣٣.

(٣) وفي الصحاح (عبر): العبرة: الاسم من الاعتبار ٧٣٢/٢.

(٤) في (د): (يُعتبر).

(٥) في (د): (إحدى).

(٦) في (أ): (يُعبر). وفي بقية النسخ غير مضبوطة بالشكل. والصواب ما أثبتته ليستقيم المعنى.

(٧) وقد أخذت الكلمة من (العبر) وهو جانب النهر. وعبرت النهر والطريق: إذا قطعتة من هذا الجانب إلى الجانب الآخر. انظر: (عبر) في التهذيب ٢٣٠٥/٣، ومجمل اللغة ٦٤٣/٢، ومفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٣، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ٤٩٩.

وقوله تعالى : ﴿لَا تُؤْمِنُ إِلَّا الْبَصَرُ﴾ ؛ أي لأولي^(١) العقول ؛ كما يقال : لِفُلان^(٢) بَصَرٌ بهذا الأمر ؛ أي على علم ومعرفة . وليس بالأبصار التي يشترك فيها سائر الحيوان .

١٤ . قوله تعالى : ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ . يقال : مَنْ الذي زَيْنَ للناس ذلك ؟ فيقال : الله - تعالى - زَيْنَ للناس ؛ بما جعل^(٣) في الطَّبَاع من المنازعة إلى هذه الأشياء محنة ، كما قال الله عز وجل : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾ [الكهف: ٧] .

وقال بعضهم^(٤) : الشيطان زينها ؛ لأن الله - تعالى - زهّد فيها ؛ بأن أعلم وأرى زوالها^(٥) ، ولو زهّد فيها^(٦) حقيقة لوجد ذلك في الخلق كلهم ؛ كما وجد التزيين ؛ فإنَّ حُبَّ هذه الأشياء موجودٌ في طِبَاعِ الْبَشَرِ^(٧) .

(١) في (ج) : (أولي) .

(٢) في (ج) : (فلان) .

(٣) في (ب) : (بحب أجعل) .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج : ٣٨٣ / ١ ، حيث اقتبس منه المؤلف بعض العبارات .

(٥) في (د) : (والها) .

(٦) فيها) : ساقطة من (ج) .

(٧) ومن قال بهذا القول الحسن البصري رضي الله عنه ومن قال بالقول الأول عمر بن الخطاب رضي الله عنه . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٦٠٧ / ٢ ، وتفسير الطبري ١٩٩ / ٣ ، والمحرم الوجيز ٤٠ / ٣ ، والدر المنثور ١٧١٨ / ٢ . وقال الخازن في تفسيره ٢٧٤ / ١ : «قال أهل السنة : المَزِينُ هو الله تعالى ؛ لأنه - تعالى - خالق جميع أفعال العباد ؛ ولأن الله - تعالى - خلق جميع ملاذ الدنيا ، وأباحها لعبيده ، وإباحتها للعبيد تزيين لها» ثم ذكر من الآيات ما يدل على ذلك ، ثم قال : «وما يؤيد ذلك : قراءة مجاهد : (زَيْنَ) بفتح الزاي على تسمية الفاعل . وقال الحسن : المزين هو الشيطان . وهو قول طائفة من المعتزلة ، ويدل على ذلك : أن الله - تعالى - . . . أطلق حب الشهوات ، فدخل فيه الشهوات المحرمة ، والمَزِينُ لذلك هو الشيطان ، ولأن الله - تعالى - ذكر هذه الأشياء في معرض الذم للدنيا ، ويدل عليه آخر هذه الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَابِ﴾ ، ونُقل عن أبي علي الجبائي من المعتزلة أن كل ما كان حراماً ، كان المزين له هو الشيطان ، وكل ما كان مباحاً كان المزين له هو الله =

والشهوة تَوَقَّانِ النفس إلى الشيء ، وقد ذكرناها في سورة الأعراف ، عند قوله : ﴿ شَهْوَةٌ مِّنْ دُونِ النَّسَاءِ ﴾ [الأعراف : ٨١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْقَنْطَرِيطِ ﴾ . جَمْعُ (قَنْطَار) ، وكثر الاختلاف في معنى (القنطار) : فروى أبو هريرة ^(١) عن النبي ﷺ ، أنه قال :
«القنطار اثنا ^(٢) عشر ألف أوقية» ^(٣) .

- تعالى . والصحيح : ما ذهب إليه أهل السنة ؛ لأن الله تعالى خالق كل شيء ، ولا شريك له في ملكه .
ولكن الآية هنا تحتمل الأمرين ؛ لأن تزوين الله لها حقيقة كما سبق إيضاح المؤلف له ، وكما ورد في قول الخازن ، أما تزوين الشيطان لها فبالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجهها ، والحض على تعاطي الشهوات المحضورة فيها ، وعلى هذا الوجه يُحمل كلام الحسن رضي الله عنه . انظر :
المحرر الوجيز ٤٠ / ٣ ، والبحر المحيط ٣٩٦ / ٢ ، وتفسير الرازي ٢٠٩ / ٧ ، والإنصاف في ما تضمنه
الكشاف من الاعتزال ، لابن المنير (مطبوع على هامش الكشاف ٤١٦ / ١ ، وروح المعاني ٩٩ / ٣ .
(١) هو أبو هريرة ابن عامر الدوسي . واختلف في اسمه كثيراً ، ولم يُجْتَلَفْ في اسم آخر مثله ولا يقاربه .
فقيل : عمير ، وقيل : عبدالله ، وقيل : عبدالرحمن ، وقيل غير ذلك . إن اسم والده صخر .
وقيل : دومة ، وقيل غير ذلك . أسلم بين الحديبية وخيبر ، وهاجر وسكن الصُّفَّة ، وكان من أئمة
الصحابه للنبي ﷺ ، وأحفظهم للحديث عنه ، وأكثرهم رواية . توفي سنة (٥٧هـ) . انظر : أسد
الغابة ٣١٨ / ٦ ، والإصابة ٢٠٢ / ٤ .
(٢) في (ب) و(ج) و(د) : (اثني) .
(٣) الحديث أخرجه : أحمد في المسند ٣٦٣ / ٢ ، وابن ماجه (٣٦٦٠) في كتاب الأدب ، باب برُّ الوالدين ،
وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه ، مما نقله محقق السنن : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . ولكن
ضعفه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤٩٤ / ٢ برقم (٢٩٥٣) ، وأخرجه الدارمي في السنن
٢١٧٧ / ٤ (٣٥٠٧) باب : كم يكون القنطار . وأوقفه على أبي هريرة ، وأخرجه ابن حبان في
صحيحه ، انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣١١ / ٦ برقم ٢٥٧٣ ، وقال محققه شعيب
الأرنؤوط : إسناده حسن ، وأخرجه البيهقي في السنن ٢٣٣ / ٧ وأورده الثعلبي في تفسيره ١٥ / ٣
ب ، وابن كثير في تفسيره ٣٧٧ / ١ ، ونسب إخراجها لوكيع في تفسيره ، وأورده السيوطي في الدرر
١٨ / ٢ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ٥ / ٢ برقم (٢٨٩٢) .

وروى أنس عنه أيضاً أن القنطار ألف دينار^(١) .
 وروى أبيُّ بن كعب ، أنه قال : القنطار^(٢) : ألف مائتا أوقية^(٣) .
 وهو قول ابن عمر^(٤) ، ومعاذ بن جبل^(٥) وابن عباس في^(٦) رواية عطية^(٧) .

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٨/٢ ، وقال محقق التفسير : إسناده ضعيف ولم يصح رفعه . وأورده ابن كثير في تفسيره ٣٧٧/١ ، ونسب إخراجه للطبراني ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١٥/٣ ب ، وأورده السيوطي في الدر ١٨/٢ ، ونسب إخراجه كذلك لابن مردويه .
 وقد ورد عن أنس - رضي الله عنه - بلفظ آخر يرفعه : القنطار ألفا أوقية . رواه الحاكم في المستدرک ١٧٨/٢ في كتاب النكاح . وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي ، وأورده السيوطي في الدر ١٨/٢ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ٥/٢ برقم (٢٨٩١) .
- (٢) في (ج) : (إن القنطار) .
- (٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٠٠/٣ ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣٧٧/١ ، وأورده السيوطي في الدر ١٨/٢ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ٥/٢ برقم (٢٨٩٣) ، وقال عنه ابن كثير : «وهذا حديث منكر أيضاً ، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب ، كغيره من الصحابة» .
- (٤) الأثر عنه في تفسير الطبري ٢٠٠/٣ ، وتفسير الثعلبي ١٥/١٣ ب ، والمحزر الوجيز ٤١/٣ ، وزاد المسير ٣٥٩/١ . وورد عنه أن القنطار سبعون ألفاً . انظر : تفسير الطبري ٢٠١/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٠٩/٢ .
- (٥) الأثر عنه في سنن الدارمي ٢١٧٨/٤ (٣٥١٢) في كتاب فضائل القرآن ، باب كم يكون القنطار ، وتفسير الطبري ٢٠٠/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٠٨/٢ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ٢٦٠/٢ ، وتفسير الثعلبي ١٥/٣ ب ، سنن البيهقي ٢٣٣/٧ ، وكتاب الصداق ، باب لا وقت في الصداق ، وتفسير البغوي ١٥/٢ ، والمحزر الوجيز ٤١/٣ ، وزاد المسير ٣٥٩/١ ، والدر المنثور ١٨/٢ ، ونسب إخراجه لعبد بن حميد .
- ومعاذ بن جبل هو أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي . من كبار الصحابة ، شهد العقبة والمشاهد كلها ، بعثه النبي ﷺ قاضياً على منطقة (الجند) من اليمَن ، وهو مُقَدَّمٌ في علم الحلال والحرام ، ومن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ، توفي بالطاعون سنة (١٧هـ) . انظر : الاستيعاب ٤٥٩/٣ ، والإصابة ٤٢٦/٣ .
- (٦) في (ج) : (وفي) .
- (٧) الأثر عنه في تفسير الطبري ٢٠/٣ ، وتفسير الثعلبي ١٥/٣ ب ، سنن البيهقي ٢٣٣/٧ ، والدر المنثور ١٨/٢ .

وقال في رواية الوالبي : القنطار اثنا^(١) عشر ألف درهم ، أو ألف دينار ، ديةً أحدكم^(٢) .

وبه قال : الحسن^(٣) [وقتادة]^(٤) .

وقال الكلبي^(٥) : «القنطار بلسان الروم : ملء^(٦) مسك ثور^(٧)» ، من ذهب أو فضة . وهو قول أبي نصر^(٨) .

(١) في (ج) و(د) : (اثني) .

(٢) الأثر عنه في تفسير الطبري ٢٠٠/٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٦/٣ ، سنن البيهقي ٢٣٣/٧ ، والدر المنثور ١٨/٢ .

(٣) الأثر عنه في سنن الدرامي ٢١٧٤/٤ (٣٥٠١) في كتاب فضائل القرآن ، باب من قرأ من مائة آية إلى الألف ، رواه مرة مرسلًا عنه ، ومرة موقوفًا عليه . وورد في تفسير ابن أبي حاتم ٦٠٨/٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٦/٣ ، تفسير البغوي ١٥/٢ ، والمحزر الوجيز ٤١/٣ ، وزاد المسير ٣٥٩/١ . ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

ولم أهتم إلى مصدر الأثر عنه ، وإنما الوارد عنه في المعنى المذكور روايته عن الحسن ، وهي في تفسير الطبري ٢٠٠/٣ . أما الوارد عنه من قوله هو : أن المثقال ثمانون ألفاً من الورق ، وهي الفضة أو مائة رطل من ذهب . وقد ورد هذا الأثر في تفسير الطبري ١٩٩/٣ ، والزاهر ٤٣٢/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٦/٣ ، زاد المسير ٣٥٩/١ ، والمحزر الوجيز ٤٢/٣ ، والدر المنثور ١٨/٢ ، ونسب روايته لعبد بن حميد .

(٥) أورد قوله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٩/١ ، وأورده نقلاً عن النقّاش ابن عطية ، وفي المحزر الوجيز ٤٢/٣ ، والقرطبي في تفسيره ٣١/٤ ، وفي الزاهر ٤٣٢/١ ، وينقل عن الكلبي أن القنطار ألف مثقال ؛ ذهب أو فضة ، وكذا في زاد المسير ٣٥٩/١ .

(٦) في (ب) : (ملء) ، وفي (ج) : (ملو) .

(٧) المسك : هو الجلد . انظر : النهاية في غريب الحديث ٣٣١/٤ .

(٨) في (ج) و(د) : (أبي نصر) .

الأثر عنه في سنن الدرامي ٢١٧٧/٤ (٣٥٠٨) في كتاب فضائل القرآن ، باب كم يكون القنطار ، تفسير الطبري ٢٠١/٣ ، والزاهر ٤٣٢/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٦/٣ ، والمحزر الوجيز ٤٢/٣ ، وابن كثير ٣٧٧/١ . ولكن أبو منصور الثعلبي ، في فقه اللغة ١٩٩/١ وذكر أن مقداره في لغة الروم اثنا عشر ألف أوقية .

وأبو نصر هو المنذر بن ملك بن قُطعة العبدي ، العَوَقي ، البصري . عده ابن حجر من الطبقة =

ويقال : إنَّه في التوراة كذا . وبلسان أفريقية ، وأندلس : ثمانية ألف^(١) مثقال من ذهب أو فضة^(٢) .

قال الزَّجَّاج^(٣) : «والذي يخرج من اللغة أن (القنطار) مأخوذ من عَقْدِ الشيء وإحكامه ، و(القَنْطَرَة) من ذلك ؛ لتوثيقها بعَقْدِ الطَّاق^(٤) . وكأن القنطار^(٥) هي الجملة التي تُكوِّنُ عَقْدَةً وثيقةً منه^(٦) .

وهذا قول الربيع^(٧) ، وابن كيسان^(٨) ، وأبي عبيدة^(٩) ؛ فإنهم لم يجدوا القنطار ، فقالوا : إنه المال^(١٠) الكثير .

وحكى أبو عبيدة عن العرب أنهم يقولون : هو وزن لا يُجَدُّ^(١١) .

- = الوسطى من التابعين ، ثقة ، توفي سنة (١٠٨هـ) أو (١٠٩هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء ١٢٩/٤ ، وتقريب التهذيب ٦٨٩٠ ، وتهذيب التهذيب ١٥٤/٤ .
- (١) هكذا جاءت كتابتها في النسخ جميعها . وهي كذلك في الزاهر ٤٣٢/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٦/٣ ، المهذب في ما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي ١٣٢ .
- (٢) ممن قال بهذا القول أبو حمزة الثُمَالِي . انظر : المصادر السابقة ، وتفسير القرطبي ٣١/٤ .
- (٣) في معاني القرآن ٣٨٣/١ ، ونقله عنه بتصرف .
- (٤) الطَّاق : ما عُطِفَ من الأبنية ، والجمع : طاقات ، أو عقد البناء حيث كان ، والجمع : أطواق وطيقات . انظر : اللسان (طوق) ٢٧٢٥/٥ .
- (٥) (القنطار) : ساقطة من (د) .
- (٦) يعني أن القنطار الجملة من المال .
- (٧) الأثر عنه في تفسير الطبري ٢٠٠/٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٥/٣ ، زاد المسير ٣٥٩/١ ، والدر المنثور ١٨/٢ .
- (٨) قوله في تفسير الثعلبي ١١٥/٣ .
- (٩) في مجاز القرآن ٨٨/١ .
- (١٠) في (ج) : (مال) .
- (١١) وقد رجح الطبري هذا في تفسيره ٢٠٠/٣ .

وقوله تعالى : ﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾ ، قال أهل اللغة : ^(١) هو (مُفَعَّلَةٌ) ، من : (القنطار) ؛ كما قالوا : إِبْلٌ مُؤَبَّلَةٌ ؛ أي مجموعة ، وألف مؤلَّف .

فمعنى ﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾ : أنها جُمعت حتى صارت قناطير ؛ كما يقال : دراهم مُدْرَهَمَةٌ ؛ أي مجموعة كذلك .

وقال يَمَان ^(٢) : قَنْطَر ؛ أي كَنْز ^(٣) .

وقال أبو العباس ^(٤) : «اختلف الناس في القنطار ، والمعمول عليه عند العرب : أنه أربعة آلاف دينار [قال : وقوله : ﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾ ، يقال : قد قنطر فلان : إذا مَلَكَ أربعة آلاف دينار] ^(٥) ، فإذا قالوا : مقنطرة ؛ فمعناها : ثلاثة أَدْوَار ؛ دَوْرٌ ، ودور ، ودور . فمحصولها : اثنا عشر ألف دينار» .

(١) من قوله : (قال . . .) إلى (. . . القنطار) : ساقط من (د) .

والقائل هو أبو عبيدة ، كما في تفسير الثعلبي ١٦ / ٣ ب .

(٢) لم أقف على مصدر قوله . ويَمَان ، أكثر من واحد ، إلّا أن المؤلف قد صَرَّح باسمه في أكثر من موضع من تفسيره ، وسماه يَمَان بن رَبَاب . انظر : تفسير البسيط تحقيق د . الفوزان ٩١ ، و ٤٠٢ ، و ٩٠٣ ، و ١٠٨٤ .

وقد ورد في بعض النسخ (رباب) ، وأثبتها المحقق : (رباب) ، وقال : أنه لم يقف على حاله ، سوى ما ذكره عنه البغدادي في هداية العارفين ٥٤٨ / ٢ ، وقول البغدادي فيه : هو اليَمَان بن رباب البصري ، من رؤساء الخوارج . . . له إثبات إمامة أبي بكر الصديق ، وأحكام المؤمنين ، والرد على المعتزلة في القدر ، وكتاب التوحيد ، وكتاب المخلوق ، وكتاب المقالات . التفسير البسيط ٤٠٢ . وقد وقفت عليه كذلك في المغني في الضعفاء للذهبي ٧٦٠ / ٢ ، وسماه : (يَمَان بن رَبَاب) ، وقال عنه : «خراساني . قال الدارقطني : ضعيف» ، من الخوارج» . وذكره ابن حجر في لسان الميزان ٥٢١ / ٧ ، وسماه : (يَمَان بن رَبَاب) ، وقال عنه مثل القول السابق .

(٣) في (د) : (كثر) .

(٤) هو أحمد بن يحيى (ثعلب) .

وقد ورد قوله بأطول مما هنا في اللسان (قنطر) ٣٧٥٢ / ٦ ، وقد اختصره الواحدي قليلاً .

(٥) في (ج) و(د) : (الألف) .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَلْذَّهَبِ﴾ ، الذهب : التَّبَرُّ . وَالْقِطْعَةُ ذَهَبَةٌ ^(١) .
 ﴿وَالْفِضَّةُ﴾ ، الفِضُّ في اللغة معناه : التفريق ، والكسر ^(٢) . ومنه : (لا يَفْضُضُ) ^(٣)
 الله فاك) ^(٤) ، فالفضة سُمِّيَتْ ؛ لأن من شأنها أن تُفَرَّقَ بضرب الدراهم .

وقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ﴾ ، الخيل : جَمْعٌ لا واحد له من لفظه ؛
 كالقوم ، والنساء ، والرهط ^(٥) .

سُمِّيَتْ الأفراسُ خَيْلاً ؛ لاختيالها في مشيتها بطول أذنانها ، ألا ترى إلى قول
 امرئ القيس :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ ^(٦) بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ ^(٧)

(١) في الصحاح (تبر) «التَّبَرُّ : ما كان من الذهب غير مضروب ... ولا يقال : (تَبَرٌّ) إِلَّا للذهب ،
 وبعضهم يقوله للفضة ، أيضاً» : ٦٠٠ .

(٢) انظر : كتاب العين ١٣/٧ ، وتهذيب اللغة ٢٧٩٩/٣ .

(٣) في (أ) : يَفْضُضُ ، يفتح الضاد الأولى . ولم تضبط بالشكل في بقية النسخ .

(٤) (فاك) : ساقطة من (ج) . وهذه العبارة ، دعاء ؛ بمعنى : لا يسقط الله أسنانك ، وتقديره : لا يكسر الله
 أسنانك فيك ، فحذف المضاف . ويقال : لا يَفْضُضُ الله ... ، من (أفضيت) ، والإفضاء : سقوط الثنايا
 من تحت ومن فوق . انظر : كتاب العين ١٣/٧ ، والنهاية في غريب الحديث ٤٥٣/٢ ، وتهذيب اللغة
 ٢٧٩٩/٣ ، والفائق للزنجشري ٣٨٢/٢ .

وقد روي أن النبي ﷺ قال : «لا يفضض الله فاك» للعباس لما مدحه شعراً ، وللنابغة الجعدي لما أنشده
 بعض شعره . انظر : المصادر السابقة ، وغريب الحديث للخطابي ١٨٩/١ ، والاستيعاب لابن عبد البر :
 ٣٥٨/٢ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ١٩٧/٢ ، وأسد الغابة لابن الأثير ١٦٤/٤ ، والإصابة
 لابن حجر ٢٧١/٢ ، وعزاه للبزار ، والحسن بن سفيان ، في مسنديهما ، وأبي نعيم في تاريخ أصبهان :
 والشيرازي في الألقاب ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ، والصحابة لابن السكن ، وغيرهم . ويُنَّ
 ابن حجر طرق روايتها عن النابغة . وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٣/٦٠٠ برقم (٣٧٥٤١)
 ونسب إخراجها لابن عساكر ، وابن النجار .

(٥) انظر : جهمرة اللغة (خيل) ١٠٥٦ ، وفقه اللغة للشعالبي ٢٥٢ .

(٦) في (د) : (تشدُّ) .

(٧) البيت في ديوانه ١٦٤ . وورد منسوباً له في أدب الكاتب ١٥٥ ، وكتاب المعاني الكبير ١٤٩/١ ، =

والاختيال : مأخوذ من التَّخَيَّل ، والتَّخَيَّل : التَّشَبُّه بالشيء ^(١) ، ومنه يقال :
أَخَالَ عليه الأمرُ : إذا اشتبهه ، فالمختال ^(٢) ، يَتَخَيَّل في صورة من هو أعظم منه
كِبَرًا ، والخيال : صورة الشيء .

والأخيل ^(٣) : الشَّقْرَاقُ ^(٤) ؛ لأنه يَتَخَيَّل ، مرةً أخضر ، ومرةً أحمر .

واختلفوا في معنى ﴿الْمُسَوِّمَةِ﴾ ، فقال ابن عباس في رواية عطية ^(٥) : هي
الراعية ، يقال : أَسَمْتُ الماشية ، وَسَوَّمْتُها : إِذَا رَعَيْتُها ، فهي مُسَامَةٌ ، ومُسَوِّمةٌ ^(٦) ،
ومنه : ﴿فِيهِ شُيُومٌ﴾ [النحل : ١٠] .

وقال في رواية الوالبي ^(٧) : هي الْمُعْلَمَةُ . وأصلها من : (السَّيِّمِ) ، التي هي :
العلامة .

- = شرح أدب الكاتب للجواليقي ١٥١ ، والاقتضاب للبطلوسي ١١١ / ٣ ، وخزانة الأدب ١٧٦ / ٩ ،
و ١٧٧ . وجاء في الاقتضاب : هذا البيت يروى لامرئ القيس ، ويروى لرجل من النمر بن قاسط
١١١ / ٣ . والشاعر هنا يصف فرسه ويذكر محاسن صفاتها ، ومنها طول ذنبها ووفرته . وقال ابن قتيبة
في أدب الكاتب ١٥٥ : «لم يرد بالفرج هنا الرحم ، وإنما أراد ما بين رجليها ، تسدُّه بذنبها» .
(١) في أدب الكاتب ٥٨ ، والمجمل ٣٠٩ / ١ : أفعل ذلك على ما خيَّلت ؛ أي على ما شبَّهت ، وفي اللسان
٢٢٩٩ / ٤ : «وتخيَّل الشيء له : تشبَّه . وتخيَّل له أنه كذا ؛ أي تشبَّه وتخيَّل» .
(٢) في (د) : (والمختال) .
(٣) في (أ) : (الأخيل) . والمثبت من كتب اللغة .
(٤) في (ج) : (السقراق) ، وفي (د) الشفراق . والشفراق : طائر ، وهو مشؤوم عند العرب ، ويقولون :
أشأم من أخيل . ونقل الأزهري عن الليث أنه طائر يكون في منابت النخيل ، كقدر الهدد ، مرقط
بحمرة وخضرة ، وبياض وسواد . ويقال له : الشَّرْفَاق والشفراق . ونقل صاحب اللسان عن ثعلب
أنه يقع على دَبَر البعير ، وينقره فيؤذي ظهره ؛ ولهذا تشاءموا منه . انظر : كتاب العين ٣٥٠ / ٤ ، وأدب
الكاتب ١٩١ ، وجمهرة اللغة ١٠٥٦ ، وتهذيب اللغة ١٩٠٥ / ٢ ، واللسان (خيل) ٢٢٩٩ / ٤ .
(٥) هذه الرواية في تفسير الطبري ٢٥٢ / ٦ ، وتفسير الثعلبي ١٦ / ٣ ب ، وزاد المسير ٣٦٠ / ١ .
(٦) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٩٨ ، ونزهة القلوب للسجستاني ٤١٩ .
(٧) هذه الرواية في تفسير الطبري ٢٠١ / ٣ ، وزاد المسير ٣٦٠ / ١ .

ومعنى العلامة هاهنا: الكَيُّ في قول المؤرِّج^(١)، والْبَلَقُ^(٢) في قول ابن كَيْسان^(٣)، والشَّيَّةُ^(٤) في قول قتادة^(٥).

وقال مجاهد^(٦)، وعكرمة^(٧): الخيلُ المُسوَّمةُ: هي الحسانُ المُطَهَّمةُ^(٨)، يُراد: أنها ذات سبب؛ أي ذات حُسن. يقال: لفلان سبباً، وله شارةٌ حَسَنَةٌ^(٩).

- (١) انظر: تفسير الثعلبي ١٧/٣، وزاد المسير ١/٣٦٠.
- (٢) الْبَلَقُ: سواد وبياض، وفي الفرس: أن يرتفع التحجيل وهو البياض في قوائمه إلى أن يتجاوز البطن، ويظهر في جسده دون رأسه وعنقه، ويكون في بياض بقله استطلالة وتَفَرُّق. انظر: المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل ١/٣١٢، والقاموس (بلق): (٨٦٩).
- (٣) انظر: قوله في تفسير الثعلبي ١٧/٣، وزاد المسير ١/٣٦٠.
- (٤) في (أ) و(ب): (المشبه)، وفي (ج): (السه). والتصويب من (د). و(الشَّيَّة) هي اللون المخالف للون سائر الجسد، وأصلها من (وشى الثوب، وشياً، وشيئة): إذا نسجه على لونين. واستعير للحديث؛ فقيل: و(شى كلامه)؛ أي زَيَّنَه ونَمَّمَه. انظر في: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (وشى) ٨٧٢، وعمدة الحفاظ ٦٣٢.
- (٥) انظر: قوله في تفسير عبدالرزاق ١١٧/١، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦١٠، والطبري ٣/٢٠٢، وتفسير الثعلبي ١٧/٣، زاد المسير ١/٣٦٠.
- (٦) انظر: قوله في تفسيره ١٢٣، وتفسير سفيان الثوري ٧٥، وتفسير عبدالرزاق ١١٧/١. رواه البخاري تعليقاً في الصحيح ١٦٥/٦ كتاب التفسير، سورة آل عمران، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦١٠، والطبري في تفسيره ٦/٢٥٣، وأورده السيوطي في الدر ٢/١٩، ونسب إخراجه كذلك لعبد بن حميد.
- (٧) انظر: قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦١٠، وتفسير الطبري ٣/٢٠١، وزاد المسير ١/٣٦٠، والدر المنثور ٢/١٩، وزاد نسبة إخراجه كذلك لعبد بن حميد.
- (٨) (المُطَهَّم) هنا: الْحَسَنُ، الذي تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ منه على حدته، فهو بارع الجمال، ويقال للناس والخيول. انظر (طهم): في أساس البلاغة ٢/٨٦، واللسان ٥/٢٧١٤.
- (٩) السَّيِّا: العلامة. ويقال: سبباً فلان حسنةً؛ أي علامة. وهي مأخوذة من (وسَمْتُ، أَسَمْتُ)، والأصل فيها: (وسمى)، فَحُوِّلَت الواوُ من موضع الفاء إلى موضع العين، فصارت: (سومى)، وجُعِلَت الواو ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، فصارت (سبباً). ويقال كذلك: (سبباً)، و(سببياً). انظر: الزاهر ٢/١٤٤، واللسان (سوم) ٤/٢١٥٧. قال الطبري في تفسيره ٣/٢٠٢ «وأولى هذه الأقوال بالصواب... المُعَلِّمةُ بالشَّيات، الحسان، الرائعة حسناً من رآها؛ لأن التسويم في كلام العرب: هو الإعلام. فالخيل الحسان مُعَلِّمةٌ بإعلام الله إياها بالحسن، من ألوانها وشياتها وهيئاتها، وهي (المُطَهَّمة) أيضاً».

وقوله تعالى : ﴿وَالنَّعَمِ﴾ جمع (نعم) ، والنَّعَم : الإبل والبقر والغنم . ولا يُقال لجنس منها : نَعَم ، إِلَّا للإبل خاصة ؛ لأنه غلب عليها^(١) . ومضى في ما قبل اشتقاق (النَّعَم) .

وقوله تعالى : ﴿حُسْبُ الْمَآبِ﴾ ، المآب في اللغة : المرجع . يقال : آب الرَّجُلُ إِيَاباً ، وَأَوْبَةً ، وَأُوبَةً^(٢) ، وَمَآباً^(٣) . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية : ٢٥] .

قال الفراء^(٤) : ولا يجوز التشديد^(٥) في (الإياب) ، وقارئه^(٦) لعله ذهب على الإفعال ، والإفعال من (أَبْتُ) ، إنما^(٧) يأتي على مثل : أَقَمْتُهُ إِقَامَةً ، وَأَزَعْتُهُ إِزَاعَةً .

فلو أردت ذلك ، قلت : أَأَبْتُهُ إِابَةً^(٨) ، ولو أردت أن تُخرج المصدر^(٩) تاماً ، قلت : إِيوَاباً . ثم أعلم الله - عز وجل - أن خيراً من جميع ما في الدنيا ما أعدّه الله لأوليائه ، فقال :

(١) انظر : كتاب العين ١٦٢ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٨٤ / ١ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري : ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٢) في (أ) و(ب) : أُبِيَّة ، والمثبت من (ج) و(د) ، وهو الصواب . ويقال : أُبِيَّةٌ ، وإِيَبَةً . انظر : اللسان (أوب) ١ / ١٦٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٠٥ / ٣ ، وتهذيب اللغة ٩٤ / ١ .

(٤) لم أهتم إلى مصدر قوله والذي في معاني القرآن ٢٥٩ / ٣ : «سُئِلَ الْفَرَّاءُ عَنْ (إِيَابِهِمْ) فَقَالَ : لَا يَجُوزُ ؛ أَي تشديد الياء على جهة من الجهات» ، وفي تهذيب اللغة ٦٠٩ / ١٥ ينقل عن الفراء ، فيقول : «قال : هو بتخفيف الياء ، والتشديد فيه خطأ» .

(٥) من قوله (التشديد ...) إلى (...) من أبت) : ساقط من (ج) .

(٦) يعني بقارئه أبا جعفر ، يزيد بن القعقاع المدني ، أحد القراء العشرة ، تابعي ، توفي سنة (١٣٠هـ) . انظر : معرفة القراء الكبار ١ / ٧٢ ، والنشر ١ / ١٨٧ . وقد قرأها : ﴿إِيَابَهُمْ﴾ في سورة الغاشية ٢٥ . انظر : معاني القرآن للزجاج ٣١٩ / ٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٦٩١ / ٣ ، والمحاسب ٣٥٧ / ٢ .

(٧) في (ج) : (أَنْ) .

(٨) في (ج) : (ابته ابه) .

(٩) في (أ) : (المصدر) .

١٥. ﴿قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذَكَرْتُ^(١).

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء^(٢): يريد: المهاجرين والأنصار، أراد الله أن يعزِّيهم، ويشوقهم إلى المعاد.

قال العلماء: ويدخل تحت هذا الخطاب كلُّ^(٣) من اتقى الشرك، بظاهر هذا الكلام^(٤).

وقوله تعالى: ﴿جَنَّتْ﴾ يرتفع على وجهين:

أحدهما: بخبر الصفة، ويكون تمام الكلام عند قوله: ﴿يَخَيْرُ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾.

والثاني: على تقدير الجواب، ويكون تمام الكلام عند قوله^(٥): ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، فكأنه قيل: ما ذلك الخير؟ فقيل: هو جنَّات، ومثله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّتُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾ [الحج: ٧٢]؛ أي هو النار.

وقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، قد ذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

(١) (الذي ذكرت): ساقطة من (د).

(٢) لم أعر على هذه الرواية في ما رجعت إليه من مراجع، إلّا في تفسير الخازن ١/ ٢٧٥، وعبارته قريبة جداً من عبارة الواحدى. وفي تنوير المقياس ٤٤: «يعني: أبا بكر وأصحابه».

(٣) (كل): ساقطة من (د).

(٤) ومن ذهب للعموم فيها الإمام الطبري في تفسيره ٣/ ٢٠٦، وحيث قال عن معنى ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: «للذين خافوا الله فأطاعوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه».

(٥) من قوله: (بخير...) إلى: (...) تمام الكلام عند قوله: ساقط من (ج) و(د).

وقوله تعالى : ﴿وَرِضْوَتٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ . ويُقرأ^(١) بضم الراء^(٢) ، وهو لغة قيس وتميم^(٣) .

قال الفراء^(٤) : يقال : رضيت رضا ، منقوص ، ورضواناً ، ورضواناً^(٥) ، ومَرْضاةً .

ومثل الرضوان بالكسر من المصادر : الرئان^(٦) ، والحِزمان . وبالضم : الطُغَيان ، والرَّجْحان ، والكُفران . وقال^(٧) سيبويه^(٨) : الشُّكران .

-
- (١) (ويُقرأ) : ساقطة من (ج) .
- (٢) هي قراءة عاصم برواية أبي بكر بن عيَّاش عنه ، أمَّا رواية حفص عن عاصم ؛ فهي بالكسر كبقية السبعة . انظر : السبعة ٢٠٢ ، والحجة للفارسي ٢١ / ٣ .
- (٣) (وتميم) : ساقطة من (ج) . انظر : تفسير الطبري ٢٠٦ / ٦ . وقيس : قبيلة عظيمة من قبائل العرب ، تنتسب إلى قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وغلب اسم قيس على سائر العدنانية . انظر : حولها معجم قبائل العرب ٩٧٢ / ٣ . وتميم : قبيلة عظيمة من العدنانية ، تنتسب إلى تميم بن مُر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وكانت منازلهم بنجد ، دائرة من هنالك إلى البصرة واليامة ، حتى تتصل بالبحرين ، وانتشروا في الكوفة ، ثم تفرقوا في الحواضر . انظر : المرجع السابق ١٢٦ / ١ .
- (٤) لم أهتم إلى مصدر قوله ، وقد يكون في كتابه المصادر .
- (٥) (ورضواناً) : ساقطة من (د) .
- (٦) الرئان : الالتئام ، يقال : رثِمَ الجُرْحُ رَأْماً ، ورثِماً حسناً : التأم . انظر : تهذيب اللغة (ريم) ١٣٣٢ / ٢ ، واللسان (رأَم) ١٥٣٦ / ٣ .
- (٧) في (ج) : (قال) .
- (٨) في الكتاب له ١١ / ٤ .

١٦. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ ، موضع ﴿الَّذِينَ﴾^(١) خفض ؛ صفةً
﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ . [و]^(٢) المعنى : للمتقين القائِلين^(٣) .

١٧. [و]^(٤) قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ ، قال ابن عباس^(٥) : يريد : على
دينهم ، وعلى [ما]^(٦) أصابهم .

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ ، قال قتادة^(٧) : هم قوم صدقت نيّاتهم ، واستقامت
قلوبهم وألسنتهم ، فصدقوا في السرّ والعلانية .

ومعنى الصدق الإخبار بالشيء على ما هو به^(٨) ، وذكرنا أصله في اللغة عند
ذكر اشتقاق الصدقة في سورة البقرة .

(١) في (د) : (الذين) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(٣) ويجوز أن يكون كذلك في موضع جر ، بدلاً من قوله : (للذين اتقوا) . وجوّز أبو البركات الأنباري
كونه نعتاً للعباد في قوله : ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ، وضعّف هذا الوجه العكبري ؛ لأن فيه
تخصيصاً لعلم الله تعالى ، ولكنه جوّزه على ضعفه . ويحتمل أن يكون في محل رفع ؛ على أنه مبتدأ
محذوف الخبر ، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف . ويحتمل أن يكون في محل نصب بإضمار : (أعني) أو (أمدح) .
انظر : البيان لأبي البركات الأنباري ١ / ١٩٤ ، والبيان للعكبري : ١٨٠ ، والدر المصون ٣ / ٦٩ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) و(ج) و(د) .

(٧) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٦١٤ ، والشعلبي ٣ / ٢٠ ، وأورده
السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٠ ، ونسب إخراجه لعبد بن حميد .

(٨) انظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (صدق) ٤٧٨ ، والتوقيف على مهمات التعاريف ٤٥٠ .

- (١) في (د) : (وَالْقَانِتِينَ) .
- (٢) وبه قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والشعبي ، وجابر بن زيد ، وعطاء ، وابن جبير ، والضحاك ، والحسن البصري ، وعطية ، وطاوس ، وغيرهم . انظر : تفسير الطبري ١/ ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٦٨ / ٢ ، ٥٧١ .
- ومن معاني القنوت : السكوت ، وبه فُسر قوله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ البقرة ٢٣٨ . ومنها : طول القيام ، وبه فُسر قوله تعالى : ﴿ آمَنَ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ الْيَلِ ﴾ الزمر ٩ ، أي مصل ، فسمى الصلاة قنوتاً ؛ لأنها تكون بالقيام . وقيل للدعاء : (قُنُوت) ؛ لأنه يُفعل أثناء القيام في الصلاة . ومن معانيه : الإقرار بالعبودية ؛ كقوله : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ [الروم : ٢٦] . ولكن ابن قتيبة أرجع كل هذه الوجوه إلى معنى : الطاعة ، وقال معللاً : «لأن جميع هذه الخلال : من الصلاة ، والقيام فيها ، والدعاء ، وغير ذلك يكون عنها» . وإليه ذهب الطبري ، وجعل الطاعة هي أصل القنوت ، والمعاني كلها راجعة إليها . انظر : تأويل مشكل القرآن ٤٥١ ، ٤٥٢ ، وتفسير الطبري ٥/ ٥٧١ ، ٥٧٢ ، تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي ٥٠ ، ومفردات ألفاظ القرآن (قنت) ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٤٨٣ .
- (٣) لم أقف على مصدر قوله .
- (٤) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .
- (٥) في (د) : (قبل) . وهكذا وردت هذه العبارة في معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٨٥ .
- (٦) في (د) : (إذا) .
- (٧) انظر : (سحر) في تهذيب اللغة ٢/ ١٦٤١ ، واللسان ٤/ ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ .

قال زهير^(١) :

بَكْرُنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ^(٢)

وَالْمُسْتَحِرُّ مِنَ الطَّيْرِ : مَا يَصِيحُ^(٣) ، وَيَتَحَرَّكُ فِيهِ^(٤) .

قال امرؤ القيس :

إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ^(٥)

وَأُسْحَرَ^(٦) دَخَلَ^(٧) فِي وَقْتِ السَّحَرِ^(٨) .

(١) هو زهير بن أبي سلمى (ربيعية) بن رباح . شاعر جاهلي ، تقدمت ترجمته .

(٢) تمامه :

فَهِنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالِيدِ لِلْقَمِّ

وهو في ديوانه : ١٠ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٢٥٠ ، وتهذيب اللغة (سحر) ١٦٤٠ / ٢ ،

وشرح المعلقات السبع للزوزني : ٧٦ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٠٩ .

(٣) في (أ) : (يُصيح) . والمثبت من بقية النسخ ، وهو ما استصوبته لموافاقته للمعنى المساق .

(٤) (فيه) : ساقطة من (ج) . انظر : هذا المعنى في جمهرة اللغة ٥١١ .

(٥) عجز بيت ، وصدده :

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا

وهو في ديوانه ٦٩ ، وجمهرة اللغة ٥١١ ، واللسان (طرب) ٢٦٤٩ / ٥ ، و(سحر) ١٩٥٣ / ٤ ،

و(قطر) ٣٦٧٠ / ٦ ، وخزانة الأدب ٢٣١ / ٩ . وورد في الجمهرة : (. . . إِذَا عَرَّدَ . . .) ، وفي اللسان

٢٦٤٩ / ٥ (كَمَا طَرَّبَ . . .) ، وفي ٣٦٧٠ / ٦ (يُعَلُّ بِهَا . . .) ، ويروى : (إِذَا صَوَّتَ الطَّائِرُ . . .) .

وقوله : (يُعَلُّ) من (عَلَّه ، يَعْلُهُ ، وَعَلَّاهُ ، عَلَّاهُ ، وَعَلَّاهُ) ، وهو : السقيا بالخمر ، مرةً بعد مرة . انظر :

ديوانه : ٦٩ .

(٦) في (أ) : (داسحر) ، وفي (ب) : (ذاسحر) ، والمثبت من (ج) و(د) ، وهو الصواب .

(٧) في (د) : (رحل) .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ١٦٤٠ / ٢ . وفي جمهرة اللغة ٥١١ (وَأُسْحَرَ الْقَوْمُ إِسْحَاراً : إِذَا خَرَجُوا فِي وَقْتِ

السَّحَرِ) .

ونذكر كلام النحويين في ترك إجراء (سحر) عند قوله : ﴿يَجْتَنِّهِمْ يَسْحَرِ﴾ [القمر: ٣٤] إن شاء الله .

قال ابن عباس^(١) في قوله : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ : يريد : المصلين صلاة الصبح^(٢) ، وهو قول زيد بن أسلم^(٣) ، وابن كيسان^(٤) .

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) ويريد هنا المصلين صلاة الصبح في جماعة .

(٣) الأثر عنه في مصنف ابن أبي شيبة ١٩٣/٧ (٣٥١٧٦) ، تفسير الطبري ٢٠٩/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦١٥/٢ ، ٦١٦ ، وتفسير الثعلبي ٢٠/٣ ب ، والنكت والعيون للماوردي ٣٧٨/١ ، وتفسير البغوي ١٦/٢ . وهو أبو عبدالله ، أو أبو أسامة ، زيد بن أسلم العدوي المدني ، مولى عمر رضي الله عنه ، ثقة عالم كثير الحديث ، كانت له حلقة علم في مسجد النبي ﷺ ، وله تفسير يرويه ابنه عبدالرحمن ، توفي سنة ١٣٦ هـ . انظر : الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة . تحقيق د . زياد منصور) ٣١٤ ، وتقريب التهذيب : ٢٢٢ (٢١١٧) ، وطبقات المفسرين للدوادري ١٨٢/١ .

(٤) الأثر عنه في تفسير الثعلبي ٢٠/٣ ب . ولكن يرد على هذا القول : أن صلاة الصبح يبدأ وقتها بعد انتهاء وقت السحر ، فكيف تدخل في المعنى ؟ اللهم إلا أن يراد أن التصاق وقت صلاة الصبح بوقت السحر ، وقربه المباشر له أدخل صلاة الصبح فيه استبصاراً ، والعرب تقول : لقيته بأعلى سحرين ، وأعلى السحرين ؛ لأنه أول تنفس الصبح . انظر : اللسان ١٩٥٣/٤ . ولكن هذا التخريج أرى فيه تكلفاً ، والله أعلم . ولذا استغرب الكرماني إيراد الواحدي لهذا القول ، فقال : «والعجيب : قول الواحدي : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ : المصلين صلاة الصبح ، فإن الإجماع على أن الصائم يتناول الطعام في السحر ، فكيف تصح صلاة الصبح فيه ؟» . غرائب التفسير ٢٤٧/١ . ويقصد الكرماني : أن وقت السحر متميز ومختلف عن وقت صلاة الصبح ، الذي يحرم فيه الأكل على الصائم ، وتصح فيه صلاة الصبح ، فجواز أكل الطعام للصائم في السحر ، فيه دلالة على عدم دخول وقت الصبح ، فكيف تصح فيه صلاة الصبح ؟ فافترق وقت الصبح عن السحر ، لغة ، واصطلاحاً ؛ بما ميز الشرع كل وقت بحكم . هذا والله أعلم .

وقال مجاهد^(١)، وقتادة^(٢): يعني: المصلين بالأسحار^(٣).

قال الزَّجَّاج^(٤): وصف الله - تعالى - هؤلاء بما وصف، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَشِدَّةُ خَوْفِهِمْ وَوَجَلُهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ.

١٨. قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، قال أبو إسحاق^(٦)، وأبو العباس^(٧): معنى ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾: بَيَّنَّ وَأَظْهَرَ^(٨)؛ لِأَنَّ الشَّاهِدَ^(٩): هُوَ الْعَالَمُ الَّذِي يَبَيِّنُ مَا عِلْمُهُ. فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ دَلَّ عَلَى تَوْحِيدِهِ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْشِئَ شَيْئًا وَاحِدًا مِمَّا أَنْشَأَ.

- (١) الأثر عنه في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠ ب، وزاد المسير ١/ ٣٦١.
- (٢) الأثر عنه في تفسير الطبري ٣/ ٢٠٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦١٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٠ ب، والنكت والعيون ١/ ٣٧٨، وتفسير البغوي ٢/ ١٦.
- (٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥١ بعد أن ذكر الوجوه بعضها في تفسير معنى الاستغفار هنا، ومنها ما سبق معنا: «وهذا كله يقترن به الاستغفار».
- (٤) في معاني القرآن له ١/ ٣٨٥ نقله عنه بتصرف واختصار.
- (٥) في (ج): (عز وجل).
- (٦) هو الزَّجَّاج في معاني القرآن له ١/ ٣٨٥.
- (٧) هو أحمد بن يحيى (ثعلب)، وقوله في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٤٢، ١٩٤٣، وبعضه في الزاهر ١/ ١٢٥.
- (٨) هذه العبارة بنصها في تهذيب اللغة. ومما ذكره العلماء في معنى ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ إضافة إلى ما ذكره المؤلف: قضى، وحكم، وأعلم، وأخبر. وقد ردَّ الطبري في تفسيره ٣/ ٢٠٩، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٥٢ من المعاني السابقة المذكورة، معنى (قضى) الذي قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٨٩. ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية - بعد أن ذكر الأقوال السابقة في معنى (شهد) - قال: «وكل هذه الأقوال وما في معناها، صحيحة، وذلك أن الشهادة تتضمن كلامَ الشاهد وقوله وخبره عَمَّا شَهِدَ بِهِ، وإن لم يكن مُعَلِّمًا بِهِ لغيره، ولا مُخْبِرًا بِهِ لِسِوَاهُ، فهذه أول مراتب الشهادة. ثم قد يخبره وَيُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ، فتكون الشهادة إعلاماً لغيره وإخباراً له...»، وتابع: «... فمن قال: (حكم) و(قضى) فهذا من باب اللزوم، فإن الحكم والقضاء هو إلزام وأمر؛ ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى وحكم»، وتابع: «فإذا شهد الله أنه لا إله إلا هو، فقد حكم وقضى أن لا يعبد إلا إِيَّاهُ». التفسير الكبير لابن تيمية ٣/ ١٣٧ - ١٤٢. وانظر: التفسير القيم لابن القيم ١٧٨.
- (٩) من قوله: (لأن الشاهد...) إلى (... مما أنشأ): نقله بالنص عن الزَّجَّاج.

قال أبو العباس^(١) : ونظير هذا في القرآن مما أُريد فيه بالشهادة : التبيين ، وإن لم يقارنه القول : قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] ، معناه : مبينين على أنفسهم الكفر ؛ وذلك أنهم يؤمنون بأنبياء^(٢) كلهم شاهد لمحمد ﷺ بالصدق ، فلما آمنوا بأنبياء^(٣) بشروا بمحمد ، وحثوا على اتباعه ، ثم خالفوا عليه فكذبوه وحاربوه ، بينوا بذلك الكفر على أنفسهم ، فوصفوا بأنهم شهدوا به ، وإن لم يكونوا قالوا : نحن كفار^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُوتُ ﴾ ؛ أي وشهدت الملائكة ، بمعنى : أقرت بتوحيد الله - تعالى - لما عاينت من عظيم قدرته ؛ كقوله : ﴿ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ [الأنعام : ١٣٠] ؛ أي أقرنا . فنسق شهادة الملائكة وأولي العلم على شهادة الله سبحانه ، والشهادتان مختلفتان معنى لا لفظاً ، كقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، والصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار والدعاء^(٥) .

(١) قوله في تهذيب اللغة ٢ / ١٩٣٤ - ١٩٤٢ نقله المؤلف بالمعنى .

(٢) في (ج) : (بالأنبياء) .

(٣) في (ج) : (بالأنبياء) .

(٤) هذا الوجه في تفسير شهادة المشركين على أنفسهم بالكفر المذكور في آية (١٧) من سورة التوبة ، ذكره كذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٣ / ٤٠٨ ، ونسبه لابن الأنباري . ومما قيل كذلك في تفسيرها : هو قول اليهودي : أنا يهودي ، والنصراني : أنا نصراني ، والصابئ : أنا صابئ ، والمشرک : أنا مشرك . وقيل : إن إظهار عبادتهم للأوثان وتكذيب القرآن ، وإنكار نبوة النبي محمد ﷺ ، كل هذا كفر يمارسونه ، وهو إقرار منهم على أنفسهم به ، وإن أبوا ذلك بألسنتهم . وقيل : قولهم في الطواف : «ليكن لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك» . وقيل غير ذلك . فكيف يستقيم زعمهم بعمارة المساجد - وهي من صفات المؤمنين وشأنهم - والشهادة على أنفسهم بالكفر ؟ وهما أمران متنافيان . انظر : تفسير الفخر الرازي ٩ / ١٦ ، وتفسير أبي السعود ٤ / ٥١ ، وفتح القدير ٢ / ٥٠٠ .

(٥) عن أبي العالية - رضي الله عنه - قال : «صلاة الله ثأؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء» . أخرجه البخاري في الصحيح تعليقا للفتح ٨ / ٥٣٢ في كتاب التفسير ، سورة الأحزاب ، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ٨٢ ٨٣ ، وقال عنه الألباني : «إسناده موقوف =

وقال ابن الأنباري^(١) : إنما عَطَفَ الملائكةَ وأولي^(٢) العلم على اسمه ؛ لأن الشهادة معناها في اللغة : إظهارُ المعلوم وتَبَيُّنه . فَلَمَّا بَيَّنَّ أولُوا العلم المعلوم^(٣) [عندهم ؛ كما يَبَيِّنُه الله عز وجل ، عطفهم على اسمه ؛ للاتفاق في إظهار المعلوم]^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ ؛ أي وشهد بتوحيده أولوا العلم ؛ بما ثبت عندهم . وشهادة أولي^(٥) العلم : يجوز أن تكون بمعنى : الإقرار ، ويجوز أن تكون بمعنى : التبيين^(٦) .

حسن ، وأورده السيوطي في الدر ٦/٦٤٦ ، ونسب إخراجه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم . قال ابن عباس : يصلون : يُبَرِّكون . أخرجه البخاري تعليقاً في الصحيح في الموضع السابق ، والطبري في تفسيره ٢٢/٤٣ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/٦٤٧ ، ونسب إخراجه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه . وقال الضحاك : «صلاة الله رحمته ، وصلاة الملائكة الدعاء» ، وفي رواية : «صلاة الله مغفرته . . .» أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ٨٢ ، ٨٣ ، وقال محققه الألباني عن الروایتين : «إسناده موقوف ضعيف جداً» .

وعن ابن عباس قال : «صلاة الله على النبي هي مغفرته . . . وأما صلاة الناس على النبي ﷺ فهي الاستغفار» أورده السيوطي في الدر ٦/٦٤٦ ونسبه لابن مردويه . وقال الطبري : «وقد يحتمل أن يقال : إن معنى ذلك : أن الله يرحم النبي ، وتدعوه ملائكته ويستغفرون ؛ وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنها هو دعاء» . تفسيره ٢٢/٤٣ . وقال القاسمي : «وبالجملة ، فالصلاة تكون بمعنى التمجيد والدعاء والرحمة ، على حسب ما أضيفت إليه في التنزيل أو الأثر» . محاسن التأويل ١٣/٤٩٠١ . وانظر : تفسير ابن كثير ٣/٥٥٧ ، وفتح الباري ٨/٥٣٣ ، وفتح القدير للشوكاني ٤/٣١٠ .

(١) لم أهتد إلى مصدر قوله .

(٢) في (ب) : (وأولوا) .

(٣) (المعلوم) : ساقط من (ج) .

(٤) زيادة من (ج) و(د) .

(٥) في (ب) و(د) : (وأولوا) .

(٦) قال ابن القيم -رحمه الله- بعد أن ذكر الوجهين : «والصحيح ، أنها تتضمن الأمرين . فشهادتهم إقرار وإظهار وإعلام ، وهم شهداء الله على الناس إلى يوم القيامة . . .» . التفسير القيم ١٩٩ .

واختلفوا في المعنيين بأولي العلم هاهنا : فقيل^(١) : هم الأنبياء ، وقال مقاتل^(٢) : هم مؤمنو أهل الكتاب ؛ لأن الله - تعالى - وصفهم بالعلم في مواضع من كتابه ، كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ [الإسراء : ١٠٧] ، وقوله : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

قال ابن كيسان^(٣) : يعني : المهاجرين والأنصار ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٤) .

وقال السدي والكلبي^(٥) : يعني^(٦) : علماء المؤمنين كلهم^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَيُّهَا الْقَاسِطُ ﴾ . ينتصب على الحال من اسم الله جل وعز ، على تقدير : شهد الله قائماً بالقسط . ويجوز أن يكون حالاً من : هو ، تقديره : لا إله إلا هو قائماً بالقسط^(٨) .

-
- (١) ورد هذا القول في تفسير الثعلبي ٢٣/٣ ب ، وتفسير البغوي ١٩/٢ ، وفتح القدير ٤٩١/١ ، ولم ينسبه لقائل .
- (٢) قوله في تفسيره ٢٧٦/١ ، والمصادر السابقة .
- (٣) قوله في المصادر السابقة .
- (٤) لم أهتم إلى مصدر هذه الرواية .
- (٥) انظر : قوليهما في المصادر السابقة ، والأثر عن السدي ، ورد كذلك في تفسير الطبري ٢١٠/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦١٧/٢ .
- (٦) في (أ) و(ب) : (معنى) . والمثبت من (ج) و(د) .
- (٧) قال الشوكاني عن هذا القول : «وهو الحق ؛ إذ لا وجه للتخصيص» . فتح القدير ٤٩١/١ .
- (٨) وقد رجح هذا ابن تيمية . انظر : التفسير القيم لابن القيم ١٨٣ .

وقال الفراء^(١): هو نصب على القطع^(٢)؛ لأنه نكرة نُعت^(٣) به معرفة، كان^(٤) أصلها: القائم بالقسط، فلما^(٥) قُطعت الألفُ واللامُ نصب^(٦).

ومعنى قوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: قائماً بالعدل^(٧)، كما يقال: فلان قائم بالتدبير؛ أي يُجْريه على الاستقامة. فالله^(٨) - تعالى - يُجري التدبير على الاستقامة في جميع الأمور^(٩).

١٩. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾ [آل عمران: ١٩].

- (١) في معاني القرآن ١/ ٢٠٠.
- (٢) استعمل الفراء كثيراً مصطلح (القطع) في كتابه معاني القرآن: وهو في الغالب يريد به الحال، وقد يستعمله ولا يقصد به الحال، ولا أن يكون في النصب فقط، وكأنه يريد به قطع الكلمة عما قبلها من الإعراب، أيًا كان هذا الإعراب. انظر: حول مذهبه في ذلك النحو وكتب التفسير ١/ ١٩٥-١٩٧.
- وكذا استعمل الطبري هذا المصطلح في تفسيره كثيراً. راجع فهرس المصطلحات من تفسيره: (تحقيق محمود شاكر): (ج) ١، ٢، ٥، ٦، ٧، ٩. وانظر: تعليق محمود شاكر على هذا المصطلح في هامش تفسير الطبري ٦/ ٢٧٠. وانظر: هذا التفسير في إعراب قوله تعالى: ﴿... وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥].
- (٣) في (ج): (نصب).
- (٤) من قوله (كان...) إلى (... نُصب) ينقله عن الثعلبي ٣/ ٢٤ ب، باختصار يسير.
- (٥) من قوله (فلما...) إلى (... قائماً بالقسط): ساقط من (ج).
- (٦) ومعنى كلام الفراء: أن الأصل أن تكون (القائم) معرفة مرفوعة؛ لكونها نعتاً للفظ الجلالة المرفوع، وهو معرفة، لكن، لما نُكِّرت (القائم)، انقطعت تبعية النعت للمنعوت، فترك الرفع إلى النصب. وفي إعرابها وجوه أخرى. انظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٩٩، وتفسير الطبري ٣/ ٢١٠، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣١٦، والتفسير القيم ١٨٢، ١٨٣، والدر المصون ٣/ ٧٥ وما بعدها.
- (٧) القسْطُ - بكسر القاف -: العدل، والنصيب. ويقال: أقسط، يُقسط، إقساطاً، فهو مُقسط. والقسْطُ - بفتح القاف -: الجور. ويقال قسْط، يُقسط، قسْطاً، وقسوطاً، فهو قاسط. انظر (قسط): في تهذيب اللغة ٣/ ٢٩٥٩، والمجمل ٧٥٢.
- (٨) قوله: (فالله - تعالى - يجري التدبير على الاستقامة): ساقط من (ج).
- (٩) انظر: تفسير الرازي ٧/ ٢٢٢، ٢٢٣.

الْقَرَاءُ عَلَى كَسْرِ (إِنَّ)، إِلَّا الْكَسَائِي؛ فإنه فتح (أَنَّ)^(١).

والوجه^(٢) الكسر^(٣)؛ لأن الكلام الذي قبله قد تَمَّ^(٤)، وهذا النحو من الكلام الذي يراد به التنزيه، أن يكون بجمَل متباينة أحسن، من حيث كان أبلغ في الشفاء^(٥)، وأذهب في باب المدح؛ ومن ثم جاء: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فأما وجه قراءة الكسائي، فإن النحويين ذكروا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون الشهادة واقعة على (أَنَّ الدين)^(٦)، وفتح (أَنَّ) في قوله: (إنه لا إله إلا هو) على تقدير: حذف حرف الجر؛ كأنه قيل: (شهد الله؛ لأنه^(٧) لا إله إلا هو، أَنَّ الدين عند الله الإسلام). وهذا معنى قول الفراء، حيث يقول^(٨) في الاحتجاج للكسائي: إن شئت جعلت (أنه) على الشرط^(٩)، وجعلت الشهادة واقعة على قوله: (أَنَّ الدين عند الله الإسلام). وتكون (أَنَّ)^(١٠) الأولى يصلح فيها الخفض، كقولك: شهد الله بتوحيده، أَنَّ الدين عند الله الإسلام.

(١) انظر: السبعة ٢٠٢، ٢٠٣، والحجة للفراسي ٢٢/٣.

(٢) من قوله: (الوجه...) إلى نهاية قول الله تعالى: (. . . والصابرين): نقله عن الحجة للفراسي ٢٢/٣ بتصرف يسير جداً.

(٣) (الكسر): ساقطة من (ج).

(٤) في (ج): (قديم).

(٥) في (ج): (البناء).

(٦) في (ب): (الذين).

(٧) في (ج): (أنه).

(٨) في معاني القرآن ١/١٩٩، ونقله عنه بتصرف يسير جداً.

(٩) ويعني بقوله: (على الشرط)؛ أي على العلة، وسماه شرطاً؛ لأن الشروط متوقف عليه كتوقف المعلول على علته، إلا أنه خلاف اصطلاح النحويين، ولما كان (أنه) على الشرط لم يقع عليه الفعل، وإنها وقع على (أَنَّ الدين). انظر: الدر المصون ٣/٨٦.

(١٠) (أَنَّ): ساقطة من (ج).

الوجه الثاني : أنه فتحهما على أن الواو تُراد^(١) في قوله : (أَنَّ الدين) ؛ كأنه قيل : (شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وَأَنَّ الدين عند الله الإسلام) . فيكون قوله^(٢) : (أَنَّ الدين عند الله الإسلام) جملةً استغني فيها عن حرف العطف ، بما تضمنت من ذكر الأول المعطوف عليه ، وهو التوحيد ، كما استغني عنه بذلك في قوله : ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ، ولو كانت (الواو) لكان ذلك حسناً^(٣) ، كما قال : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾^(٤) [الكهف: ٢٢] .

الوجه الثالث : وهو مذهب البصريين : أن تجعل (أَنَّ) الثانية بدلاً من الأولى ، فكأن^(٥) التقدير : (شهد الله أنه أَنَّ الدين عند الله الإسلام) ، فيكون هذا من الضرب الذي الشيء فيه ، هو هو^(٦) ، نحو قولك : ضربت زيداً نفسه . ألا ترى أَنَّ الدين الذي هو الإسلام ، يتضمن التوحيد ، وهو هو في المعنى .

(١) في (ج) و(د) : (تراد) .

(٢) (قوله) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٣) قول المؤلف : «ولو كانت (الواو) لكان ذلك حسناً» قد يريد به : أن الواو لو كانت ظاهرة في الآية ؛ لكان هذا الوجه والتخريج النحوي حسناً ، وقد يفهم كلام المؤلف أن الواو لو كانت في الآية لكان ذلك أفضل من حيث استقامة التركيب ، وهذا لا يجوز لأنه يبدو كأنه اقترح على الله ، والقراءات الصحيحة المتواترة قرآن ، ودورنا إزاءها أن نذكر الوجه النحوية لها ، لا أن نعترض أو نقترح أو نفضل ؛ ولذا فإنني أرجح أن قصد المؤلف هو الأول ، لأنه حاشاه أن يقصد الثاني .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(٥) ضعف ابن عطية هذا الوجه في المحرر الوجيز ٣/ ٥٣ ، وبين أبو حيان وجه الضعف في هذا التخريج ، فقال : «وجه ضعفه أنه متنافر التركيب مع إضمار حرف العطف ، فيفصل بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول ، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع المشارك الفاعل في الفاعلية ، وبجملتي الاعتراض ، وصار في التركيب دون مراعاة الفصل نحو : أكل زيد خبزاً وعمرو سمكاً ، وأصل التركيب : أكل زيد وعمرو خبزاً وسمكاً . . . وإضمار حرف العطف لا يجوز على الأصح» البحر المحيط ٢/ ٤٠٨ .

(٦) وهو ما يسمى البديل المطابق ، أو بديل كلٍّ من كل ، وهو الذي يساوي المبدل منه في المعنى مساواة تامة .

وإن^(١) شئت ، جعلته من بدل الاشتغال ؛ لأن الإسلام يشتمل على التوحيد^(٢) ، فيكون كقولك : ضربت زيداً رأسه^(٣) . فإن قيل : على هذه القراءة ، لو جاز إيقاع الشهادة على (أن الدين) ، لم يحسن إعادة اسم الله ، ولكان : (أن الدين عنده)^(٤) (الإسلام) ؛ لأن الاسم قد سبق ، فالوجه الكناية عنه . قيل : إن العرب ربما أعادت الاسم في موضع الكناية^(٥) ؛ كقول الشاعر :

لا أرى الموت ، يسبقُ الموتَ شيء^(٦)

(١) في (ج) : (فإن) .

(٢) من قوله : (فكأن ...) إلى (...) يشتمل على التوحيد) : نقله عن الحجة للفارسي ٢٣/٣ بتصرف يسير .

(٣) انظر : هذه التوجيهات ، وغيرها لقراءة الكسائي - إضافة إلى ما سبق من مراجع - في إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٥٧٢/٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٧٠/١ ، والقطع والائتناف له ٢١٨ ، والحجة لابن خالويه ١٠٧ ، والمشكل لمكي ١٥٢/١ ، والكشف له ٣٣٨/١ ، والبيان للأنباري ١٩٥/١ ، والدر المصون ٨٣-٨٨ .

(٤) في (ج) : (عند الله) .

(٥) يعني بالكناية : الضمير .

(٦) صدر بيت ، وعجزه :

نَغَصَ الموتُ ذا الغنى والفقير

وهو لعدي بن زيد ، في ديوانه ٦٥ . وورد منسوباً له في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣٦/١ ، وأمالى ابن الشجري ٣٧٩/١ ، و٦/٢ ، والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٣٠/٨ ، والخزانة ٣٧٨/١ ، و٣٧٩ ، و٦/٩٠ ، و١١/٣٦٦ . وقيل : البيت لسودة بن عدي ، وورد منسوباً له في كتاب سيبويه ٦٢/١ ، والنكت في تفسير كتاب سيبويه للشتمري ١٩٨/١ ، وشرح شواهد المغني ٨٧٦/٢ ، والاقضاب ٣٦٨ ، وقال في لسان العرب : «لعدي أو سودة بن عدي» ، (نغص) : ٤٤٨٨/٨ . ذكر البغدادي في خزانة الأدب ٣٨١/١ أن البيت لعدي بن زيد . وورد غير منسوب في الخصائص ٥٣/٣ ، وإيضاح الوقف والابتداء ٣٢٠/١ ، و٢/٦٩٤ ، وشرح أبيات الكتاب للنحاس ٦٧ ، والقطع والائتناف له ٢١٨ ، وضرورة الشعر للسريافي ١٩٠ ، والعمدة لابن رشيق ٦٨٦ ، والبيان للأنباري ٦٣/١ ، و١٢٢ ، و١٤٤ ، و٣٧٩ ، و٢/٤٤ ، و١٠٧ ، ومغني اللبيب ٦٥٠ . والبيت دليل على جواز إعادة الظاهر موضع المضمرة ؛ حيث كرر (الموت) في جملة واحدة . فالموت الأول مفعول لـ (أرى) ، و(يسبق الموت) مفعول ثان ، وكان ينبغي أن يقول : يسبقه شيء ؛ لأن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرير ذكره في جملة واحدة ، كان الاختيار أن يذكر ضميره ، ولكن التكرير قد يراد به =

ومثله كثير^(١).

فأما المعنى فقال ابن عباس^(٢): افتخر المشركون بأبائهم، فقال كل فريق منهم: لا دين إلّا ديننا، وهو دين الله منذ بعث الله^(٣) آدم، فكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، يعني الذي جاء به محمد ﷺ^(٤).

وأصل الدين في اللغة: الجزاء. ثم الطاعة تسمى ديناً؛ لأنها^(٥) للجزاء، وكل ما^(٦) يطاع الله - تعالى - به فهو دين^(٧)، فاليهود يدعون أنهم يطيعون^(٨) بما أتاهاهم به موسى، فذلك دين اليهودية، وكذلك النصارى، وكل فرقة. والمسلمون يطيعونه بما أتاهاهم به محمد ﷺ، فهو دين الإسلام^(٩)، والله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، ومعنى الإسلام في اللغة: الدخول^(١٠) في

التعظيم والتفخيم. انظر في هذا المعنى: القطع والائتناف ٢١٨، وشرح ديوان الحماسة ١١٨/١، والنكت للشتمري ١٩٧/١، ١٩٨.

(١) انظر: الكتاب ١/٦١، ٦٢.

(٢) لم أهتم إلى مصدر قوله.

(٣) (الله): ليست في (ج).

(٤) ﷺ: ساقطة من (ب).

(٥) (لأنها): ساقطة من (د).

(٦) في (د): (كلما).

(٧) انظر: المعاني السابقة للدين وغيرها، في تأويل مشكل القرآن ٤٥٥، والكامل للمبرّد ٣٢٨/١، وتهذيب اللغة ١٤/١٨١، والأمثالي للقالبي ٢/٢٩٥، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدكتور سليمان القرعاوي ٣٢٣-٣٢٨. إلّا أن ابن فارس جعل أصل (الدين): الانقياد والذل، وجعل كون الدين بمعنى (الطاعة) وأن مرد الطاعة إلى الانقياد. وهكذا خرج بقية المعاني الواردة للدين. انظر: معجم المقاييس (دين) ٣١٩/٢.

(٨) في (ج) و(د): (يطيعونه).

(٩) في (د): (دين الله الإسلام).

(١٠) من قوله: (الدخول...) إلى (... وتابعكم): نقله بنصه عن تأويل مشكل القرآن ٤٧٩.

السَّلَامُ ؛ أي في الانقياد والمتابعة . قال الله عز وجل : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾^(١) [النساء : ٩٤] ؛ أي انقاد لكم وتابعكم^(٢) .

وقيل : أصله : السَّلَمُ^(٣) . فَأَسْلَمَ : دخل في السَّلَم ؛ كقولهم : أشتى ، وَأَفْحَطَ ، وَأَزْبَعَ^(٤) . وأصل السَّلَم : السَّلَامَة ؛ لأنه انقياد على السَّلَامَة .

(١) وفي نسخة (د) ، وتأويل المشكل : ورد (السلام) بدلاً من (السلم) ، وكذلك هي في مصاحفنا . وما أثبتته ، وردت به القراءة الصحيحة عن نافع ، وابن عامر وحمة ، وكذلك وردت عن عاصم من رواية المفضل عنه ، وعن ابن كثير من رواية عبيد عن شبل عنه ، ويناسب ما أراده المؤلف من معنى بعده . وقرأ بقية السبعة : (السلام) بالألف . انظر : السبعة ٢٣٦ ، والكشف لمكي ١ / ٣٩٥ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٢٠٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥ / ٢٢٦ . وقال الخطابي في غريب الحديث ٢ / ٤١١ : السَّلَمُ : الاستسلام وقال بعد أن أورد آية ٩٤ من النساء بقراءة (السَّلَم) : «أي من استسلم وأعطى المقادة ، وكذلك الإسلام إنما هو : الطاعة لله ، والانقياد لأمره ، وأحدهما مشتق من الآخر» . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢ / ٣٩٤ ، واللسان (سلم) ٤ / ٢٠٧٧ .

(٣) في اللسان (سلم) ٤ / ٢٠٧٧ : «والسَّلَمُ والسَّلَمُ : الصلح . يُفْتَحُ وَيُكْسَرُ وَيُؤَنَّثُ . . . والسَّلَمُ ، والسلام : كالسَّلَم ؛ وقد سلمه مُسَلِّمَةً وسلاماً . . . والسَّلَم : المُسَلِّم . . . وقوم سِلْمٌ ، وسَلَمٌ : مسالمون» .

(٤) انظر : تأويل مشكل القرآن ٤٧٩ ، وتفسير الطبري ٣ / ٢١٢ . وقد يكون المؤلف نقله عنه مع اختصار وتصرف .

أشتى ؛ أي دخل في الشتاء . وأفحط : دخل في القحط . وأزبع : دخل في الربيع . انظر : المرجع السابق .

ثم من ^(١) الإسلام ^(٢) ما هو متابعة وانقياد باللسان دون القلب ، وهو قوله : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّهُمْ تَزْمِنُونَ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ ^(٣) [الحجرات : ١٤] ؛ أي انقذنا ^(٤) من خوف السيف .

ومنه ما هو متابعة وانقياد باللسان والقلب ، وهو قوله : ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، فهذا معنى الإسلام .

وذكر ابن الأنباري ^(٥) في المسلم قولاً آخر ، وهو : أنَّ المسلم معناه : المخلص لله العبادة ، من قولهم : سَلَّمَ الشيء لفلان ؛ أي خلَّصه ^(٦) له ، وسَلِمَ له الشيء ^(٧) ؛ أي خلَّص له .

فعلى هذا ، الإسلام معناه : إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى ، وهو التبريء من الشرك .

(١) من قوله : (من الإسلام ...) إلى (قال أسلمت لرب العالمين) : نقله بتصرف واختصار عن تأويل مشكل القرآن ٤٧٩ .

(٢) في (ب) : (أسلم) .

(٣) الإسلام هنا هو الإسلام بالمعنى اللغوي ، وهو الانقياد بالجوارح من دون القلب . وانقياد اللسان والجوارح في الظاهر يُعد إسلاماً لغَةً ، وفي الوقت نفسه يُكتفى به شرعاً عن البحث عن خبايا القلوب . وكل انقياد واستسلام وإذعان ، يسمى : إسلاماً لغَةً . والأعراب المذكورون في الآية هم بعض الأعراب ؛ لأنه - تعالى - قال : ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ التوبة ٩٩ . انظر : أضواء البيان ٦٣٦/٧ - ٦٣٩ .

(٤) في (د) : (أنقذنا) .

(٥) في الزاهر ٢٠٣/٢ . ولكن المؤلف ينقل قول ابن الأنباري عن تهذيب اللغة ١٧٤٢/٢ نظراً لتطابق العبارة مع التهذيب وعبارة ابن الأنباري : «المسلم : المخلص لله العبادة ، وقالوا : هو مأخوذ من قول العرب : قد سَلَّمَ الشيء لفلان : إذا خلَّص له» .

(٦) في (أ) و(ب) : (خلَّفته) . والمثبت من (ج) و(د) . نظراً لموافقه لما في الزاهر والتهذيب ، ولموافقه للمعنى المراد وهو الإخلاص .

(٧) (الشيء) : ساقطة من (ج) .

وأصله أيضاً من السلامة ؛ لأنه يعود إلى أن يُسَلِّمَ دينه الله ، حتى يكون له سالماً من غير شريك .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا إِلِكْتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ .

معنى الاختلاف في اللغة ، هو : ذهابُ أحدِ النَّفْسَيْنِ إلى نقيض ما ذهب إليه الآخر^(١) .

والاختلاف في الأجناس : امتناعُ أحدِ الشيئين أن يَسُدَّ مَسَدَ الآخر .

وأراد بـ ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا إِلِكْتَبَ﴾ : اليهود^(٢) . قال ابن عباس^(٣) : يعني : قريظة والنضير وأتباعهم . يقول : لم يختلف اليهود^(٤) في صدق نبوة محمد ﷺ ، لما كانوا يجدونه في كتابهم من نعته وصفته .

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ ، قال ابن عباس^(٥) : يريد : النبي ﷺ . وعلى هذا ؛ سَمَّى النبي ﷺ (الْعِلْمُ) ، وهو يريد المعلوم . والمصدر يقع على المفعول كثيراً .

(١) قال الراغب : «والاختلاف والمخالفة : أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر ، في حاله أو قوله» مفردات ألفاظ القرآن للراغب (خلف) : ٢٩٤ . انظر : التوقيف للمناوي ٣٢٢ .

(٢) ومن قال بأنهم اليهود الربيع بن أنس ، وسعيد بن جبير . وقال محمد بن جعفر بن الزبير : إنهم النصارى . وقال ابن السائب : إنهم اليهود والنصارى . ولفظ ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا إِلِكْتَبَ﴾ يعم الفريقين . انظر : تفسير الطبري ٢١٢/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦١٨/٢ ، والنكت والعيون ٣٨٠/١ ، وزاد المسير ٣٦٣/١ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٢٦/٧ ، وتفسير القرطبي ٤٤/٤ .

(٣) لم أهتم إلى مصدر قوله .

(٤) (اليهود) : ساقطة من (ب) .

(٥) لم أهتم إلى مصدر قوله .

والمعنى : أنهم كانوا يصدقونه بنعته وصفته قبل بعثه^(١) ، فلما جاءهم اختلفوا فآمن به بعضهم ، وكفر به الآخرون ، فقالوا : لست الذي وَعَدْنَاهُ^(٢) ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة : ٨٩] .

ويموز أن يريد بالعلم : بيان ما جاء في التوراة من نعت محمد ﷺ وصفته ، وبيان ما جاء في شأنه .

يعني : أنهم ما اختلفوا إلا بعد صحة علمهم بنبوته ، وإذا كان الاختلاف بعد العلم ، كان ذلك أبلغ في الكفر والعناد ، ودليل هذا التأويل قوله في سورة البقرة : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ ، معنى البغي : طَلَبٌ للاستعلاء^(٣) بالظلم . أخبر الله - تعالى - عن عِلَّةِ اختلافهم ، فقال : فعلوا ذلك طلباً للرئاسة ، وحسداً له على التَّبَوُّة . فانتصب^(٤) ﴿ بَغْيًا ﴾ في قول الأخفش^(٥) على تقدير : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْكَتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾^(٦) .

وقال الزَّجَّاج^(٧) : والذي هو الأجود أن يكون ﴿ بَغْيًا ﴾ منصوباً بما دلَّ عليه : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ ﴾ . فيكون المعنى : اختلفوا بغياً بينهم .

(١) قبل بعثه : ساقطة من (د) .

(٢) في (ج) و(د) : (وعدنا به) .

(٣) هكذا ورد في (أ) . وورد في : (ب) و(ج) و(د) : (الاستعلاء) . وأثبت ما في نسخة الأصل ؛ نظراً لموافقته لما سيأتي بعده من طلبهم للرئاسة . وما ذكره المؤلف من معنى البغي ، إنها هو في موضعه في هذه الآية ؛ لأن للبغي معاني عدة ، وأصله : مجاوزة الحد . ومن وجوهه الحسد ، والظلم . انظر : اللسان (بغى) ١ / ٣٢١ ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدكتور القرعاوي ٢٢٦ .

(٤) في (ج) و(د) : (وانتصب) .

(٥) في معاني القرآن له ١ / ١٩٩ .

(٦) من قوله : (إلا ...) إلى (...) اختلفوا بغياً بينهم) : ساقط من (د) .

(٧) في معاني القرآن له ١ / ٣٨٧ ، ونقله عنه بنصه .

قال أبو علي^(١) : وجه قول الأخفش : أَنَّ ﴿بَغِيًّا﴾ انتصب^(٢) على أنه مفعول له ؛ أي للبغي ، كقولك : جئتُ مخافة الشرِّ ، وابتغاء الخير . [قال]^(٣) :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ^(٤)

ووجه قول الزَّجَّاج : أَنَّهُ انتصب على المصدر ، كأنه لما قيل : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِيكَ أَوتُوا إِلَيْكَ﴾ دل^(٥) على : (وما بغى^(٦) الذين أوتوا الكتاب) ، فحُمِلَتْ

(١) في الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج من المعاني له ٥٧٣/١ - ٥٧٥ . تَصَرَّف في بعض عباراته ، ونقل بعضها بالمعنى .

(٢) قوله : (وجه قول الأخفش : أن بغياً انتصب) : ساقط من (ج) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(٤) صدر بيت . وعجزه :

وَأَصْفَحُ عَنْ شَتَمِ اللَّيْمِ تَكْرُماً

وهو لحاتم الطائي ، وهو في ديوانه (ن : دار مكتبة الهلال) ٧٢ ، وورد منسوباً له في كتاب سيبويه ٣٦٨/١ ، والإفصاح ٢٧٩ ، وشرح المفصل ٥٤/٢ ، واللسان (عور) ٣١٦٥/٥ ، والتصريح بمضمون التوضيح للأزهري ٣٩٢/١ ، وشرح شواهد المغنى ٩٥٢/٢ ، والخزانة ١١٥/٣ ، و١٢٢ . الجمل للخليل ٩٥ ، ومعاني القرآن للفراء ٥/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ١٦٧/١ ، والكمال ٢٩١/١ ، والمقتضب ٣٤٨/٢ ، والمحلى (وجوه النصب) ، لابن شقير ٦٩ ، وأسرار العربية للأنباري ١٨٧ ، والاقتضاب ١٠٩ .

وورد في بعض المصادر بالروايات الآتية : (. . . اصطناعه وأعرض عن ذات . . .) و (. . . اصطناعه وأعرض عن ذات . . .) . . . اصطناعه وأصْفَحُ عَنْ شَتَمِ . . .) ومعنى (أغفر) : استُر . و(العوراء) : الكلمة ، أو الفعلة القبيحة ، و(الادِّخار) ، افتعال من (الدُّخْر) ، بمعنى : الاتخاذ والحفظ ، وأصلها : (اذتخار) ، فقلبت التاء ذالاً ، وأدغمت فيها الذال الأصليُّ ، فصارت ذالاً مشدوَّةً ، ثم أبدلت الذالَ دالاً . انظر : اللسان (ذخر) ١٤٩٠/٣ ، و(عور) ٣١٦٥/٥ ، و(غفر) ٣٢٧٤/٦ . ومعنى البيت : إذا جهل علي الكريم بكلمة أو فعلة فيبيح سترتها عليه ، وسامحته ، واحتملتها منه ؛ للإبقاء على صداقته ، ولادِّخاره ليوم احتاج إليه فيه . وإن شتمني اللئيمُ أَعْرَضْتُ عَنْ شَتْمِهِ والرد عليه ؛ إكراماً لنفسه . والشاهد في البيت : نصب (ادِّخارُهُ) ، و(تَكْرُماً) على المفعول لأجله ، والأصل فيه : (لادِّخاره) ، و(للتكريم) ، فلما حُذِفَ حرفُ الجرِّ ، انتصب الاسمُ .

(٥) (دل) : ساقطة من (ج) .

(٦) في (أ) و(ج) : (بغا) . والمثبت من (ب) و(د) .

﴿بَغِيًّا﴾ عليه^(١). فإن قيل : ما الفصل^(٢) بين ما ينتصب على المصدر ؛ نحو :
﴿صَنَّعَ اللَّهُ﴾^(٣) [النمل : ٨٨] ، وما ينتصب على أنه مفعول له ؛ نحو : (ادّخاره) ،
وبابه ؟

فالقول : إنّ الجميع وإن كانا يجتمعان في أنهما ينتصبان عن تمام الكلام ؛
فالمفعول له ؛ معناه : الإخبار بالغرض الذي من أجله فعل الفعل ، والسبب له .
والعامل فيه ؛ هو هذا الفعل^(٤) الظاهر .

وأما^(٥) المصدر فالنحويون يُسمونه مفعولاً مطلقاً ؛ لأن الفاعل أحدثه .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ . هذا شرطٌ
وجوابٌ ، يتضمن وعيداً لليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ . وذكرنا معنى ﴿سَرِيعُ
الْحِسَابِ﴾ في سورة البقرة^(٦) .

(١) أي إنّ (بغياً) مصدر مؤكّد (مفعول مطلق) ، ويكون التقدير : (وما بغى الذين أوتوا الكتاب . . .
بغياً) . والمعنى تبعاً لرأي الأخفش : أن الاختلاف بينهم حاصل قبل مجيء العلم وبعده ، ولكن سببه
بعد مجيء العلم هو البغي ، فهو المفعول لأجله . والمعنى على رأي الزّجاج : أن الخلاف بينهم حصل
بعد مجيء العلم فقط وسببه البغي . هذا والله أعلم .

(٢) في (ب) : (الفعل) .

(٣) وقد انتصبت (صَنَّعَ) بفعل مضمر دلّ عليه ما قبله ؛ لأن معنى الجملة : (صَنَّعَ اللَّهُ ذَلِكَ صُنْعاً) ،
أو (صنع صنْعاً ، الله) . ثم أضاف المصدر إلى الفاعل . ويجوز نصبها على الإغراء ؛ أي (انظروا
صنع الله) . ولكن ليس هذا الوجه محل الشاهد . انظر : إعراب القرآن المنسوب للزّجاج ٢/ ٧٦٨ ،
وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٥٣٦ ، والبيان للأنباري ٢/ ٢٢٨ .

(٤) في (د) : (السبب) .

(٥) في (د) : (فأما) .

(٦) انظر : تفسير آية ٢٠٢ من سورة البقرة .

٢٠. قوله تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران : ٢٠] . قال ابن عباس^(١) : نزلت في يهود المدينة ، ونصارى نَجْرَان ، والأُمِّيِّين من العرب .

قال الكلبي^(٢) : «وذلك أن اليهود والنصارى قالت : لسنا على ما سميتنا به يا محمد ، إنما اليهودية والنصرانية نَسَبٌ ، والدِّين هو الإسلام ، ونحن عليه» .

قال الزَّجَّاج^(٣) : «فأمر الله - تعالى - نبيّه بأن يحتجّ عليهم ؛ أنه اتّبع أمر الله ، الذي هم مُجْمِعُونَ^(٤) مُقَرَّرُونَ بأنه خالفهم ، وأمره بقوله : ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الآية بأن يدعوهم إلى ما هو عليه من الإسلام» .

قال أهل المعاني^(٥) : «وإنما لزمتهم الحُجَّة من حيث إن النبي ﷺ أراهم الدلالة على صدقه ونبوّته ، ثم دعاهم إلى اتباع أمر من أقروا بأنه خالفهم ، فإذا لم يطيعوه ، صاروا محجوجين» .

فهذا وجه الحجة للنبي ﷺ في قوله : ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ . ومعنى ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ ؛ أي انقدت له بقلبي ولساني وجوارحي .

وذكرنا أن الإسلام معناه في اللغة : الانقياد^(٦) . وذكر (الوجه) هاهنا ؛ لأنه أكرم جوارح الإنسان ، فإذا خضع وجهه لشيء ، فقد خضع له سائر جوارحه^(٧) .

(١) لم أهدأ إلى مصدر قوله إلا ما ورد في تنوير المقباس ٤٤ ، وفقد قال بعد قوله تعالى : ﴿حَاجُّوكَ﴾ يعني : اليهود والنصارى ، وقال بعد ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ يعني : العرب .

(٢) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٢٥ أ .

(٣) في معاني القرآن له ٣٨٨ / ١ ، ونقله عنه بتصرف .

(٤) في معاني القرآن : (أجمعون) .

(٥) لم أعثر على من نصّ على هذا القول ، ممن سبق المؤلف .

(٦) انظر : ما سبق عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافٍ﴾ من آية ١٩ من هذه السورة .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢١٤ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٢٥ ب .

وقال ابن عباس في هذه الآية^(١): «يريد: كما قال أبوك إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ آلْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقد ذكرنا هناك معنى (أسلم) و(أسلمت)».

وقال الفراء^(٢): «معنى [أسلمت وجهي لله: أخلصت عملي لله؛ يقال^(٣)] ^(٤): أسلمت الشيء لفلان؛ أي أخلصته له، فسلم له الشيء، ولم يشاركه غيره^(٥)».

قال: «ومعنى (الوجه) هاهنا: العمل؛ كقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢، الكهف: ٢٨]؛ أي قصده والعمل».

وقول الشاعر:

... إليه الوجهُ والعملُ^(٦)

(١) لم أهتم إلى مصدر قوله.

(٢) لم أهتم إلى مصدر قوله وهو موجود في تفسير الثعلبي ٢٥/٣ ب.

(٣) في (ج): (فقال).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) و(د).

(٥) في (ج): (فيه).

(٦) عجز بيت، وتماه:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه ربَّ العباد إليه الوجهُ والعملُ
لم أهتم إلى قائله، وقد ورد غير منسوب في المصادر الآتية: كتاب سيبويه ٣٧/١، ومعاني القرآن للفراء ٣١٤/٢، وتأويل مشكل القرآن ١٧٧، وأدب الكاتب ٥٢٤، والمقتضب ٣٢١/٢، والأصول في النحو ١٧٨/١، والمحلى لابن شقير ٦٨، والخصائص ٢٤٧/٣، والصاحبي ٢٩١، ٣٣٩، وأما المرتضى ٥٩١/١، وتفسير الثعلبي ٢٥/٣ ب، المخصص ٧١/١٤، والاقتضاب ٤٠٠/٣، وشرح المفصل ٦٣/٧، واللسان (غفر) ٢٦/٥، وشرح شذور الذهب: ٤٤٥، والمقاصد النحوية ٢٢٦/٣، ومنهج السالك (شرح الأشموني) ١٩٤/٢، والتصريح للأزهري ٣٩٤/١، والجمع ١٧/٥، وورد فيه الشطر الأول فقط. خزانة الأدب ١١١/٣، والدرر اللوامع ١٠٦/٢. ومعنى البيت: أطلب المغفرة؛ أي الستر على ذنوبي، ويريد بالذنب هنا اسم الجنس؛ أي الذنوب جميعها؛ لأنه قال بعده: (لست محصيه)؛ أي لا أحصي عدد ذنوبي التي عملتها، وأستغفر الله من جميعها. و(الوجه) هنا القصد، وهو بمعنى: التوجه؛ أي إليه التوجه في الدعاء.

نسق بالعمل على الوجه ، وهما واحدٌ ؛ لاختلاف اللَّفْظَيْن . ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢] الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَتَّبَعِ ﴾ . ﴿ وَمَنْ ﴾ عطف على الضمير في ﴿ أَسْلَمْتُ ﴾ من غير أن يؤكد ؛ لأن الكلام طال بقوله : ﴿ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ ، فصار عَوْضاً من تأكيد الضمير المتَّصِل .

ولو قيل : أَسْلَمْتُ وزيدٌ ، لم يَحْسُن حتى يقول : أَسْلَمْتُ أنا وزيدٌ .

فإن قال : أَسْلَمْتُ اليوم^(١) بانشرح صدرٍ ومن جاء معي ، جاز وحسن^(٢) .

[قال أبو إسحاق^(٣) : حذف الياء من (اتبعن) ، وهذه الياء إذا وقعت في آخر آية ، حسن^(٤)] حذفها^(٥) ؛ لأن أواخر الآي تُشَبَّه^(٦) بقوافي الشُّعْر ، وأهل اللغة يسمونها الفواصل .

(١) (اليوم) : ساقطة من (د) .

(٢) وفي إعراب ﴿ وَمَنْ أَتَّبَعِ ﴾ ، وجوهٌ أخرى ، وهي : أنها مرفوعة على الابتداء ، وخبره محذوف ، والتقدير : ومن أَتَّبَعْنِي أسلم وجهه لله . وأنها منصوبة على المعية ، والواو واو المعية ؛ أي أسلمت وجهي لله مع من أتبعني ، أو مصاحباً لمن أسلم وجهه لله .

وأنها في محل جر عطفاً على اسم الله تعالى ، على تأويل : جعلت مقصدي لله بالإيمان به والطاعة له ، ولمن أَتَّبَعْنِي بالحفظ له والاحتفاء بعمله وبرأيه وبصحبته . ويظهر على الوجه التكلف والتعسف . انظر : هذه الوجوه ، في الفريد في إعراب القرآن المجيد للمتنبج الهمداني ١/ ٥٥٥ ، والبحر المحيط ٢/ ٤٢١ ، والدر المصون ٣/ ٩٠-٩٢ ، والفتوحات الإلهية ١/ ٢٥٣ .

(٣) في معاني القرآن له ١/ ٣٨٩ ، ونقله عنه بتصرف واختصار قليل .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٥) حذفها) : ساقطة من (د) .

(٦) (تشبه) : مطموسة في (ج) .

قال الأعشى :

وَمِنْ شَانِيٍّ كَاسِفٍ بِأَلْهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرُنْ^(١)

فإذا لم يكن آخر آية أو قافية، فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جيد، خاصة مع النونات؛ لأن أصل (اتبعني)^(٢) : (اتبعي)^(٣)، فزيدت النون؛ لِتَسْلَمَ فَتْحَةُ العَيْنِ. فالكسرة^(٤) من النون، تنوب عن الياء، فإذا لم تكن النون؛ نحو: غلامي، وصاحبي، فالأجود إثباتها. وحذفها قليل، إلا أنه جائز؛ لأن^(٥) الكسرة دالة عليه.

قال ابن عباس^(٦) : ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ : يريد : المهاجرين والأنصار.

(١) البيت في ديوانه : ٢٠٧. وورد منسوباً له في الكتاب ١٨٧/٤، وأما ابن الشجري ٢/٢٩١، ومجاز القرآن ٢/١٩٥، والأماشي للقالبي ٢/٢٦٣، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢٥٩، وفقه اللغة للثعالبي ٢١٨، وشرح المفصل ٩/٨٣، و٨٦. وورد غير منسوب في غريب الحديث للحري ٢/٨٧٤، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ١٨٩. وروايته في الديوان وبعض المصادر : (..). كاسف وجهه (...).، وورد في بعض المصادر : (..). ومن كاشح ظاهر غمره (...). و(الشانئ) : المَبْغُضُ، و(كاسف البال) : سِيءُ الحال، و(كاسف الوجه) : عَابَسُهُ مِنْ سَوْءِ الحال، و(رجل كاسف) : مَهْمُومٌ قد تغير لونه، وهزل من الحزن. و(أنكرن) : أنكرني بادعائه أنه لا يعرفني؛ لكرهيته لي. أما في الرواية الثانية؛ فمعنى (كاشح)؛ أي عدو مبغض، وهو الذي يضمرك لك العداوة في كَشْحِهِ؛ أي باطنه، أو بطوية عنك كَشْحُهُ ويُعرض عنك، و(الكشح) : الحَصْرُ. و(العَمْرُ) بفتح الغين وكسرها : الحقد والغل. انظر : اللسان (شناً) ٤/٢٣٣٥، و(كسف) ٧/٣٨٧٧، و(كشح) ٧/٣٨٨٠، و(غمر) ٦/٣٢٩٤-٣٢٩٥. والشاهد في البيت : حذف الياء من (أنكرن) في الوقف عليها في القافية، وأصلها : (أنكرني).

(٢) في (ب) : (اتبعن).

(٣) في (أ) و(ب) : (اتبعن). والمثبت من (ج) و(د)، معاني القرآن للزجاج، زاد المسير ١/٣٦٤.

(٤) في (د) : (فالكسر).

(٥) في (ج) : (إلا أن).

(٦) لم أعثر على مصدر قوله.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ . يعني: العرب^(١)، ﴿ءَاسَلَمْتُمْ﴾ .

قال الفراء^(٢)، والزجاج^(٣): معناه: الأمر؛ أي أسلموا؛ لأنه استفهام في معنى التوقيف والتهديد، وفي ضمنه الأمر، كما تقول للإنسان، بعد أن تأمره وتؤكد عليه: أَقْبَلْتَ؟ فأنت تسأله متوعداً، وفي مسألتك دليل أنك تأمره أن يفعل، ومثله قوله^(٤): ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْمُونُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؛ أي انتهوا .

قال النحويون: «إنما جاء الأمر في صورة الاستفهام؛ لأنه بمنزلة طلب الفعل، والاستدعاء إليه، فذكر ذلك؛ للدلالة على الأمر، من غير تصريح به؛ لِيُقَرَّرَ المأمور بما يلزمه من الأمر» .

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ . البلاغ: اسم^(٥) للمصدر، بمنزلة التبليغ؛ كالسراح^(٦) والأداء؛ أي تبليغ الرسالة .

(١) أي أن الأميين هم العرب . وسُموا بذلك كما يقول ابن عطية: «نسبة إلى الأم، أو إلى الأمة؛ أي كما هي الأم، أو على حال خروج الإنسان عن الأم، أو على حال الأمة الساذجة قبل التعلم والتحذق»، المحرر الوجيز ٥٨/٣؛ أي سُموا بذلك لعدم معرفتهم الكتابة والقراءة . انظر: تهذيب اللغة (أمم) ١/٢٠٤، ٢٠٥ . وبهذا ورد الأثر عن ابن عباس كما في تفسير الطبري ٣/٢١٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٢٠ . ويعزز هذا قول النبي ﷺ: «إِنَّا أُمَّة أُمِّيَّة، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ...» . أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٢٣٠ كتاب الصوم، باب ١٣، ومسلم في صحيحه ٢/٧٦١ . في كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان، رقم ١٥ . وقال محمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق: الذين لا كتاب لهم . انظر: تفسير الطبري ٣/٢١٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦١٩ .

(٢) في معاني القرآن له ١/٢٠٢ .

(٣) في معاني القرآن وإعرابه له ١/٣٩٠، وعنه نقل المؤلف العبارات التالية بتصرف .

(٤) (قوله): ساقط من (ج) .

(٥) (اسم): ساقط من (د) .

(٦) السراح اسم للمصدر، بمعنى: التسريح، وأصل التسريح: إرسال الإبل في المرعى . ثم جُعِلَ لطلق الإرسال، ثم استعير في الطلاق، فتسريح المرأة: تطليقها، والاسم: السراح، قال تعالى: =

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ . قال ابن عباس^(١) : من^(٢) آمن بك وصدقك ، ومن كفر بك وكذبك^(٣) . وفي هذه الآية تسلية للمصطفى ﷺ حين أخبر أنه ليس عليه هداهم ، إنما عليه التبليغ ، فإذا بلغ فقد أدى ما عليه .

وقال بعض المفسرين : حكم هذه الآية قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالسيف^(٤) .

﴿وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الأحزاب ٤٩ ، وقال : ﴿الطَّلُوعُ مَرَّتَانٍ فَلَمَّا كُنَا لِمَعْرُوفٍ أَوْ تَرَبُّعٍ يُحَسِّنِي﴾ [البقرة : ٢٢٩] . ومن معاني السراح : السهولة ، والمصدر : التسهيل ، انظر في : اللسان (سرح) ٤/ ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، وعمدة الحفاظ ٢٣٧ .

(١) لم أهدت إلى مصدر قوله .

(٢) في (ج) : (من) وفي (د) : (بمن) .

(٣) والذي في تنوير المقباس عنه ٤٤ : (بمن يؤمن ، وبمن لا يؤمن) .

(٤) يعني أنها منسوخة ، والمنسوخ منها عندهم هو قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَوَلَّوْا فَنَسَخْنَا عَنْكَ الْبَلْعَ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ . ومن قال بذلك ممن سبق المؤلف بالوفاة : أبو عبدالله ، محمد بن حزم الأنصاري ، المتوفى سنة (٣٢٠هـ) تقريباً ، في كتابه الناسخ والمنسوخ في القرآن ٣٠ ، وهبة الله بن سلامة ، المتوفى سنة (٤١٠هـ) في كتابه الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل ٦٠ . والناسخ لها عندهم هي آية السيف ، وهي في أصح أقوال العلماء : ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْضُوا لَهُمْ كُلَّ مَرَصِدٍ﴾ . [التوبة : ٥] . ومنشأ دعواهم بأنها منسوخة ، هو أن الآية بما تضمنته من أسلوب القصر حصرت مهمة النبي ﷺ ، في تبليغ الرسالة والموادعة دون قتال المخالفين ، ثم جاءت آية السيف بالإذن بقتالهم ، فنسخت الاختصار على التبليغ ، وصارت المهمة بعدها : التبليغ والقتال في سبيل ما كُلف بتبليغه ، ولكن دعوى النسخ هذه لا تُسلم ؛ لأمر منها : أن هذه الآية خبر ، والأخبار لا تقبل النسخ . وأن القول بالنسخ يقتضي معرفة تاريخ نزول الآية ؛ ليقال : إن اللاحق نسخ السابق ، والتاريخ هنا غير معروف . وأن القصر هنا إضافي يُراد به تقرير أن الرسول ليس مكلفاً بإيجاد الإيذان في القلوب ، وهو ما يُسمى بهداية القبول ، فذلك من حق الله تعالى ، أمّا هداية البيان والإرشاد والتبليغ فذلك من وظيفة النبي ﷺ ، وهي المراد في هذه الآية . وأن الآية كما يقول د . مصطفى زيد : «لم تكن تقصد إلى إعفاء النبي ﷺ من واجب القتال في سبيل الدعوة ، وإنما قصدت إلى تقرير أنه قد بلغ عن الله فأدى ما عليه . وشرع القتال قبلها ، ثم بعدها بآية السيف وغيرها لم يغير شيئاً من حقيقة الوظيفة التي كُلف القيام بها ، وإن كان قد زاد الوسائل إليها وسيلة جديدة ، هي مشروعية القتال في سبيلها ؛ لتأمين الدعوة ، وحماية أرواحهم من عدوان الكفار عليهم ، لا لحملهم على الدخول في الإسلام بقوة السلاح» . النسخ في القرآن للدكتور مصطفى زيد ١/ ٤٢٥ ، وانظر : المحرر الوجيز ٣/ ٥٩ .

٢١. قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ، نزلت في اليهود^(١) ، ومعنى هذه الآية ، قد ذكرنا في سورة البقرة ، عند قوله : ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ . روى أبو عبيدة بن الجراح^(٢) : أن النبي ﷺ قال : قَتَلْتُ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين^(٣) نبياً من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة واثنا^(٤) عَشَرَ رجلاً ، من عِبَاد بني إسرائيل ، فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بالمعروف ، وَنَهَوْهُمْ عن المنكر ، فَقَتَلُوا جميعاً من آخر النهار ، في ذلك اليوم ، فهم الذين ذكر الله - عز وجل - في كتابه ، وأنزل الآية فيهم^(٥) .

(١) وقال محمد بن جعفر ، وقتادة ، وأبو سليمان الدمشقي : «إن المراد هنا هم اليهود والنصارى» . انظر : تفسير الطبري ٢١٥/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٢١/٢ ، وتفسير البغوي ٢٠/٢ ، وزاد المسير ٣٦٥/١ ، وتفسير الخازن ٢٧٩/١ ، والبحر المحيط ٤١٣/٢ وقال ابن عطية ، عن الآية بعد أن ذكر قول محمد بن جعفر : «وتعم كل من كان بهذه الحال ، والآية ، توبيخ للمعاصرين لرسول الله ﷺ بمساوئ أسلافهم ، وبقائهم أنفسهم على فعل ما أمكنهم من تلك المساوئ ؛ لأنهم كانوا حريصين على قتل محمد ﷺ» . المحرر الوجيز ٦٠/٣ .

(٢) هو عامر بن عبد الله الجراح ، الفهري القرشي . من كبار الصحابة ، والسابقين منهم ، سباه رسول الله ﷺ هذه الأمة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد بدرأ وما بعدها من المشاهد ، توفي بالأردن ، سنة (١٨ هـ) . انظر : الاستيعاب ٣٤١-٣٤٣/٢ ، والإصابة ٢٥٢-٢٥٤ .

(٣) في (ب) : (وأربعون) .

(٤) في (د) : (واثنى) .

(٥) الأثر عن أبي عبيدة ، أخرجه الطبري في تفسيره ٢١٦/٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢١/٢ ، وفيه بلفظ «... فقام مائة رجل وسبعون رجلاً...» ، والثعلبي في تفسيره ٢٦/٣ ب ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٨١/١ ، والبغوي في تفسيره ٢٠/١ ، ٢١ ، والدليمي في مسند الفردوس ٣٦١/٥ رقم (٨٤٤١) ، وأورده القرطبي في تفسيره ٤٦/٤ ، ونسب إخراجها للمهدوي ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٨١/١ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢٣/٢ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٢/٧ ، وقال : «رواه البزار ، وفيه من لم أعرفه اثنان» . وفيه عندهم جميعاً أبو الحسن مولى بني أسد ، وهو =

وقرأ حمزة^(١): (وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ)؛ لأنه^(٢) اعتبر قراءة عبدالله^(٣): (وَقَاتَلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ)، فقرأ^(٤): ﴿يُقَاتِلُونَ﴾، وهو يريد: (قَاتَلُوا)، كما روي في حرف عبدالله.

ويجوز أن يكون المضارع، بمعنى الماضي؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال في أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾^(٥)، فالأول جاء على لفظ المضارع؛ حكاية للحال، كذلك^(٦) قراءة حمزة: (ويقاتلون)، يجوز^(٧) أن يكون مراده: (قد قاتلوا)، إلا أنه جاء على لفظ المضارع؛ حكاية للحال.

والمعنى في قراءة حمزة: أنهم لا يوالون الذين يأمرُونَ بالقسط؛ ليقْلَ نهيهم^(٨) إيَّاهم عن العدوان عليهم، فيكونون متباينين لهم^(٩) مُشَاقِّين؛ لأمرهم بالقسط،

مجهول . انظر: الجرح والتعديل ٣٥٧/٩، وميزان الاعتدال ١٨٨/٦، والمغني في الضعفاء للذهبي ٧٨٠/٢ .

(١) هو أبو عمارة، حمزة بن حبيب الزيات، تقدمت ترجمته .
(٢) من قوله: (لأنه...) إلى (... قتال المبائين المشاق لهم): نقله عن الحجة للفراسي ٢٤/٣ بتصرف كثير .

(٣) هو ابن مسعود رضي الله عنه . انظر: قراءته في المصاحف: لابن أبي داود ٥٩، وتفسير الثعلبي ٢٦/٣، أ، الحجة للفراسي ٢٤/٣، والبحر المحيط ٤١٤/٢ .

(٤) من قوله: (فقرأ...) إلى (... يريد قاتلوا): ساقط من (ج) .

(٥) سورة النساء ١٦٧، وورد هذا القول كذلك في سورة النحل ٨٨، وسورة محمد ٣٢، و٣٤ .

(٦) من قوله: (كذلك...) إلى (... حكاية للحال): ساقط من (د) .

(٧) في (ج): (ويجوز) .

(٨) في (أ) و(ب): (نهيهم)، والمثبت من (ج) و(د)، ومن الحجة للفراسي . وورد في إحدى نسخ الحجة أشار إليها محققه: (لثَقْلَ نهيهم) .

(٩) هكذا جاءت في جميع النسخ، وفي الحجة للفراسي: (مباينين)، وهي الأصوب، ولكني تركت ما في الأصل كما هو؛ لاتفاق النسخ جميعها عليه .

وإن لم يقتلوهم^(١) كما قتلوا الأنبياء ، ولكن يقاتلونهم^(٢) قتال المباین المشاق لهم . والصحيح الموافق لتفسير الآية قراءة العامة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . ذكرنا معنى التبشير ، وجواز إطلاقه في ما [لا]^(٤) يَسُر ، عند قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥] .

وأما^(٥) دخول الفاء في قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ ﴾ وهو خبر الابتداء ، فقد ذكرنا ما فيه عند قوله : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ، يريد بـ ﴿ أَعْمَلُهُمْ ﴾ : ما هم عليه من ادّعائهم التمسك بالتوراة ، وإقامة شريعة موسى . وأراد ببطانها في الدنيا : أنها لم تحقن دماءهم ، وأموالهم^(٦) ؛ وفي الآخرة : لم يستحقوا بها مثوبة ، فصارت كأنها لم تكن ولم توجد .

(١) في (ج) : (يقاتلوهم) .

(٢) في (ج) : (يقاتلوهم) .

(٣) قال النحاس في معاني القرآن ١/ ٣٧٥ : « فَإِنْ قَالَ قَاتِل : الَّذِينَ وَعُظُوا بهذا لم يقتلوا نبياً . فالجواب عن هذا : أنهم رضوا فَعِلَ من قَتَلَ ، فكانوا بمنزلته ، وأيضاً فإنهم قاتلوا النبي ﷺ وأصحابه وهُؤُوا بقتلهم . . . » .

(٤) ما بين المعوفين زيادة من (ج) و(د) ؛ ليستقيم بها المعنى .

(٥) من قوله : (وأما . . .) إلى (. . . ذكرنا ما فيه عند قوله) : ساقط من (د) .

(٦) في (ج) : (وقد) .

(٧) يعني المؤلف هنا والله أعلم : «أنهم لم ينالوا بها محمداً الناس ، وثناؤهم ، ولم يرفع الله بها ذكركم ؛ لأنهم كانوا على ضلال وباطل ، ولعنهم وفضح ما كانوا يُحْفُونَ من قبيح الأعمال على ألسنة رسله وأنبيائه في كتبه المنزلة ، فأزال من قلوب الخلق محبتهم ، وغرس فيها احتقارهم ، وبقيت على مدى الدهر مذمتهم ؛ مما أدى لأن تُسْفَكَ دماؤهم ، وتُسَلَبَ أموالهم انظر : تفسير الطبري ٣/ ٢١٧ ، وتفسير الفخر الرازي ٧/ ٢٣٣ .

٢٣. قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الآية ، إنما قال : ﴿نَصِيبًا﴾ ؛ لأنهم كانوا يعلمون بعض ما في الكتاب ^(١) . والمراد بهؤلاء : اليهود .

وقوله تعالى : ﴿يُذْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس في رواية الضحاك ^(٢) : المراد بـ (كتاب الله) هاهنا : القرآن ، والله [تعالى] ^(٣) جعل القرآن حكماً بينهم وبين رسول الله ﷺ ^(٤) ، فَحَكَمَ القرآن عليهم بالضلالة ، فأعرضوا عنه .

فإن قيل : كيف دُعوا إلى حكم كتاب لا يؤمنون به ؟

قيل : إنما دُعوا إليه بعد ^(٥) أن ثبت أنه ^(٦) من عند الله ، بموافقة التوراة في الأنبياء والقصص ، ورسالته ^(٧) ، بحيث لم يقدر بشر أن يعارضه ، وهذا قول قتادة ^(٨) ، وقال في رواية سعيد بن جبّير ، وعكرمة : إنَّ النبي ﷺ قال لليهود : «أنا

(١) وقال الشوكاني في فتح القدير ١ / ٤٩٥ : وتنكير النصيب ؛ للتعظيم ؛ أي نصيباً عظيماً ، كما يفيد مقام المبالغة . ومن قال : إنَّ التنكير للتحقير فلم يصب ، فلم ينتفعوا بذلك ؛ وذلك بأنهم يدعون إلى كتاب الله الذي أوتوا نصيباً منه ، وهو التوراة . وبهذا قال الزجاج في معاني القرآن ١ / ٣٩١ ، والنحاس في معاني القرآن ١ / ٣٧٦ ، والزخشري في الكشف ١ / ٤٢٠ ، وأبو السعود في تفسيره ٢ / ٢٠ .

(٢) هذا الأثر ، في تفسير الثعلبي ٣ / ١٢٧ ، تفسير البغوي ٢ / ٢١ . وهو كذلك من رواية أبي صالح عنه ، وهو قول الحسن ، و قتادة . انظر : النكت والعيون ١ / ٣٨٢ ، وزاد المسير ١ / ٣٦٧ .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٤) في (ج) و(د) : (رسوله) .

(٥) (إليه بعد) : ساقطة من (ج) .

(٦) في (ج) : (أنهم) .

(٧) في (د) : (ورصافته) .

(٨) يعني بقول قتادة والله أعلم : ما سبق أن ذكره من أن المراد بالكتاب ، هو : القرآن .

على ملة^(١) إبراهيم ، وملته : الإسلام» ، فقالوا : إن إبراهيم كان يهودياً ، فقال لهم رسول الله ﷺ : «فَهَلُّمُوا إِلَى التَّوْرَةِ» . فأبوا عليه . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٢) .

وقال في رواية أبي صالح : أنكروا آية الرجم من التوراة ، وكان قد زنى منهم رجل^(٣) وامرأة ، فكرهوا^(٤) رجمهما^(٥) وسألوا النبي ﷺ ما يلزمهما^(٦) ، فحكم بالرجم . فقالوا : جُرَّتْ^(٧) يا محمد ! فقال : «بيني وبينكم التوراة» . ثم أتوا بابن صوريا^(٨) ، فقرأ التوراة ، فلما أتى على آية الرجم سترها بكفِّه ، فقام^(٩) ابن سلام ، فرفع كفه^(١٠) عنها ، ثم قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود الرجم ، فغضب اليهود لذلك^(١١) غضباً شديداً ، وانصرفوا ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(١٢) .

(١) في (ج) : (ما أنا على ملة) ، (د) : (ما علامكة) .

(٢) هذا الأثر في سيرة ابن هشام ١٧٩/٢ ، ١٨٠ ، وتفسير الطبري ٢١٧/٣ ، وابن أبي حاتم ٦٢٢/٢ ، والثعلبي ٢٧/٣ ب ، أسباب النزول للواحدي ١٠٢ ، وتفسير البغوي ٢١/٢ ، ٢٢ ، وزاد المسير ٣٦٦/١ ، وتفسير القرطبي ٥٠/٤ ، وأورده السيوطي في الدر ٢٤/٢ ، ولباب النقول ٥٠ ، ونسب إخراجهم لابن المنذر .

(٣) في (ج) و(د) : (رجل منهم) .

(٤) في (ج) : (وكرهوا) .

(٥) في (ج) : (رجمها) .

(٦) في (أ) : (يلزمها) ، والمثبت من (ب) و(ج) و(د) .

(٧) قوله : (فقالوا : جرت) : ساقط من (ج) .

(٨) جاء في تفسير الثعلبي ٢٧/٣ (ب) أن رسول الله ﷺ سأل اليهود ، فقال : «فمن أعلمكم بالتوراة؟» فقالوا : رجل أعور يسكن فذك ، يقال له ابن صوريا . واسمه عبدالله .

(٩) في (ج) : (فقال) .

(١٠) في (ج) : (ارفع كفك) .

(١١) (لذلك) : ساقطة من (ج) .

(١٢) هذا الأثر في تفسير الثعلبي ٢٧/٣ ب من رواية الكلبي عن أبي صالح . وفي تفسير البغوي ٢٢/٢ ، وزاد المسير ٣٦٦/١ ، والبحر المحيط ٤١٦/٢ . وقد ذكره المؤلف هنا مختصراً ، وأورد طرفاً منه في أسباب النزول ١٠٢ ، وأشار إلى أنه سيأتي بيان ذلك في سورة المائدة ، ولكنه عند إيراد أسباب نزول سورة المائدة ، لم يورد هذا الأثر عن ابن عباس ، وإنما أورد آثاراً أخرى في المعنى نفسه . ولم أجد أحداً من المفسرين ممن أطلعت على تفاسيرهم ذكر هذا السبب عند هذه الآية ، إلا من سبق =

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾. إن قيل: كيف خصَّ بالتوليّ فريقاً، ثم جمعهم في الإعراض، فقال: ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾؟

فالجواب، ما قال ابن الأنباري^(١)، وهو: أنَّ الفريق المتوليّ، هم المعرضون. وأراد بالفريق المتولي الرؤساء الذين تدين السّفلة لهم، فأفردهم الله - تعالى - بالذكر، وخصّهم بالتولي؛ لأنهم سببٌ لإضلال أتباعهم.

قال^(٢): ويحتمل أن يكون المتولّون العلماء والرؤساء، والمعرضون الباقون منهم؛ كأنه قيل^(٣): ثم يتولى العلماء. والتّباع معرضون عن القبول من النبي ﷺ؛ لتولي علمائهم. ويجوز أن يكون الفريق اختصه الله^(٤)؛ لأنَّ عبدالله بن

ذكره، وإنما أورد المفسرون هذا السبب عند يتين ٤١، و٤٣ من سورة المائدة، ولكن بروايات أخرى عن ابن عباس وغيره، وأقرب هذه الروايات إلى ما ذكره المؤلف: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه: «أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبدالله بن سَلام: كذبتم! إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبدالله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. قالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بها رسول الله ﷺ فَرُجِمَا، قال عبدالله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقبها الحجارة». صحيح البخاري: (٦٨٤١). كتاب الحدود. باب: أحكام أهل الذمة. وأخرجه مسلم في صحيحه: (١٦٩٩) في كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة. وأخرجه أبو داود (٤٤٤٦). في كتاب الرجم. وليس في لفظ الحديث أنه سبب لنزول الآية. وأما الوارد عن ابن عباس، مما هو قريب من هذه الرواية فهو من رواية معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وأخرجها الطبري: ٦/ ٢٣٢ عند آية ٤١ من المائدة، وليس فيها كذلك أنها سبب لنزول الآية. انظر: بقية الروايات في الدر المنثور ٢/ ٤٩٨-٥٠٠، وأسباب النزول للواحدي ١٩٧-٢٠٠، ولباب النقول للسيوطي ٩١، ٩٢.

(١) لم أهتد إلى مصدر قوله، وقد أورد طرفاً منه ابنُ الجوزي في زاد المسير ١/ ٣٦٧.

(٢) (قال): ساقطة من (د).

(٣) في (د): (كانو قبل).

(٤) معنى عبارة المؤلف هنا: أن الله خصَّ بالتولي فريقاً منهم دون الكل؛ لأنَّ منهم من لم يتولَّ، كابن سلام وغيره.

سَلام ، وغيره من مؤمني أهل الكتاب ، كانوا ممن قبلوا حكم النبي ﷺ ، فكان^(١) المتوَلِّي بعض مَنْ أَوْقَى^(٢) الكتاب .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾^(٣) . اختلف أهل المعاني في المشار إليه ﴿ذَلِكَ﴾ ، فقال بعضهم^(٤) : ﴿ذَلِكَ﴾ راجعة إلى قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [آل عمران : ٢٢] ؛ يعني : ذلك الحُبُوطُ ؛ بكذبهم على الله ؛ وهو قولهم : ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ .

و^(٥) قال ابن الأنباري^(٦) : «معنى قوله^(٧) : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ ؛ أي ذلك الاجترأ عليك ، وعلى الإعراض عن حكمك يا محمد ، بسبب اغترارهم ، ومقاتلتهم ؛ حيث قالوا : ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ، وظنوا^(٨) أنفسهم على قلة العذاب وقصر مُدَّتِهِ^(٩) ، فتجاسروا على تكذيب الرسل^(١٠)» .

(١) في (ج) و(د) : (وكان) .

(٢) في (ج) : (أولى) .

(٣) (بأنهم) : ساقطة من (د) .

(٤) لم أهتمد إلى هذا القائل . ولم أقف في ما رجعت إليه من مصادر على من قال برجوع ﴿ذَلِكَ﴾ إلى (الحبوط) .

(٥) الواو زيادة من (ج) و(د) .

(٦) لم أعتز على مصدر قوله .

(٧) (قوله) : ساقطة من (ج) .

(٨) في (ب) : (وظنوا) ، وفي (د) : (وطمنوا) .

(٩) أي أنهم ظنوا أنهم لا يعذبون إلا قليلاً ، ولمدة قصيرة ، كما زعموا .

(١٠) وقد ذهب أكثر المفسرين إلى هذا الرأي ، وهو أن ﴿ذَلِكَ﴾ تعود على التَوَلَّى والإعراض المذكور في الآية قبلها . انظر : المحرر الوجيز ١ / ٣٥٥ ، والكشاف ١ / ٤٢١ ، وتفسير الفخر الرازي ٧ / ٢٣٦ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٣٨١ ، وتفسير أبي السعود ٢ / ٢١ ، والفتوحات الإلهية ١ / ٢٥٥ ، وفتح القدير ١ / ٤٩٦ ، وروح المعاني ٣ / ١١١ .

وهذا معنى قول الزَّجَّاج^(١) : أخبر الله - تعالى - عن اليهود ، أنهم يُعرضون عن حكم كتاب الله ، ثم أنبأ وبين ما حملهم على ذلك ، وخبر بما غرهم ، فقال : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾^(٢) . قال : وموضع ﴿ذَلِكَ﴾ : رفع . المعنى : شأنهم ذلك ، وأمرهم ذلك^(٣) . ومضى القول في تفسير قولهم : ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا﴾ في سورة البقرة .

وقوله تعالى : ﴿وَعَرَّضْهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ ، العُرُور : الإطاع^(٤) في ما لا يصح^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ . يعني قولهم : لن تَمَسَّنَا النار .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ﴾ الآية . (كيف) : معناه السؤال عن الحال . والحال المسئلة عنها محذوفة ؛ وتقديره : فكيف حالهم إذا جمعناهم ؟ وتحذف الحال كثيراً مع كيف ؛ لدلالته عليها ؛ نحو قولك : كنت أكرمه وهو لم يزرني ؛ فكيف إذا زارني ؟ ؛ أي : كيف حاله إذا زارني في عظم الإكرام ؟ ويُحذف أيضاً جوابُ هذا السؤال من الكلام ؛ لأن في حذفه بلاغة تزيد على الإفصاح بذكره ؛ لما فيه

(١) في معاني القرآن ١ / ٣٩١ ، ونقله عنه بالمعنى .

(٢) (قالوا) : ساقطة من (ج) .

(٣) أي أنها مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف ؛ المعنى : شأنهم وأمرهم ذلك . ولكن هذا القول ضعفه العكبري في التبيان ١ / ٢٥٠ ؛ لأنه سيجعل قوله : ﴿يَأْتُهُمْ قَالُوا﴾ في موضع نصب على الحال ؛ مما في (ذا) من معنى الإشارة ؛ أي ذلك الأمر مستحقاً بقولهم . . . ، وقال السمين الحلبي في الدر المصون ٣ / ٩٥ : «بل هذا لا يجوز ألبته» . والقول الثاني : إن ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿يَأْتُهُمْ﴾ .

انظر : المراجع السابقة ، والفريد في إعراب القرآن المجيد للمتجرب الهمداني ١ / ٥٥٧ .

(٤) في (الأطواع) .

(٥) انظر : تاج العروس (غرر) ٧ / ٢٩٩ .

(٦) في (د) : (وقوله) .

من تحريك النفس على استحضار كل نوع من أنواع الكرامة في قول القائل : فكيف إذا زارني ؟ وكل نوع من أنواع العذاب في الآية .

وتأويل الكلام ؛ أي حالة تكون^(١) حال من اغتر بالدعاوى الباطلة ، إذا جُمعوا اليوم الجزاء^(٢) ؟ وقوله : ﴿لَيَوْمٍ﴾^(٣) ، ولم يقل : (في يوم) ؛ لأن المراد : لجزاء يوم ، أو لحساب يوم ؛ فحذف المضاف ، ودلت اللام عليه . قاله الزجاج^(٤) .

وقال الفراء^(٥) : اللام ، لفعل مُضَمَّر ؛ إذا قلت : جُمعوا اليوم الخميس ؛ كان المعنى : جُمعوا لما يكون يوم الخميس . وإذا قلت : جُمعوا في يوم الخميس ، لم تُضَمِّرْ فعلاً^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿لَيَوْمٍ﴾ ؛ أي لما يكون في ذلك اليوم من الحساب والجزاء . وهذا قريب من القول الأول ، بل هو تفسير له^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ؛ أي جزاء ما كسبت^(٨) من خير أو شر . فهذا يكون على حذف المضاف ، ويجوز أن يكون المعنى : ووُفِّيَتْ كل نفس ما كسبت من الثواب والعقاب ، بالطاعة والمعصية ، فلا يكون في الكلام

(١) في (ب) : (يكون) .

(٢) قال أبو حيان في البحر ٤١٧/١ : « هذا تعجب من حالهم واستعظام لعظم مقاتلهم حين اختلفت مطاعمهم ، وظهر كذب دعواهم ؛ إذ صاروا إلى عذابٍ ما لهم حيلة في دفعه . . . » .

(٣) في (ج) : (ليوم لا ريب فيه) .

(٤) في معاني القرآن ٣٩٢/١ ، وعبارته ؛ أي لحساب يوم لا شك فيه .

(٥) في معاني القرآن له ٢٠٢/١ . نقله عنه بتصريف قليل .

(٦) انظر : كذلك تفسير الطبري ٢٢٠/٣ .

(٧) (له) : ساقط من (ب) .

وقد يكون هذا من تنمة كلام الفراء ، ولكن المؤلف نقله بالمعنى ، ونص قول الفراء : « أي للحساب والجزاء » .

(٨) قوله : (أي جزاء ما كسبت) : ساقط من (ج) .

مضافٌ محذوف ، ويجوز أن يُسمَّى الثواب والعقاب كسباً للعبد ؛ على معنى ^(١) :
أنهما جزاء كسبه ، وأنه اجتلبهما بأعماله ^(٢) الصالحة والطالحة ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ؛ أي لا يُنقص من حسناتهم ، ولا يزداد
على سيئاتهم .

٢٦ . وقوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ ، اختلف النحويون في إعراب (اللَّهُمَّ) ؛
فقال الخليل ^(٤) ، وسيبويه ^(٥) : (اللَّهُمَّ) ؛ بمعنى : يا الله . والميم ^(٦)
المشددة عَوْضٌ ^(٧) من (يا) ؛ لأنهم لم يقولوا : (يا) مع هذه الميم في هذه
الكلمة . والضمّة التي في الهاء ^(٨) : ضمة الاسم المنادى المفرد ^(٩) ،
والميم مفتوحة ؛ لسكونها ، وسكون الميم التي قبلها .

-
- (١) (معنى) : ساقط من (د) .
(٢) في (ج) : (بأعمال) .
(٣) قال الطبري في تفسيره ٣٨٠ / ١ : «وأصل الكسب : العمل ، فكل عامل عملاً ، بمباشرة منه لما عمل ،
ومعاناة باحتراف ، فهو كاسبٌ لما عمل ...» .
(٤) من قوله : (فقال الخليل ...) إلى (...) وسكون الميم التي قبلها) : نقله بتصريف يسير جداً عن معاني
القرآن للزجاج ٣٩٤ / ١ .
(٥) في (الكتاب) له ١٩٦ / ٢ ، وانظر : مذهبه ومذهب الخليل كذلك في الأصول في النحو لابن السراج
٣٣٨ / ١ .
(٦) (الميم) : ساقطة من (د) .
(٧) في (ب) : (عوضاً) .
(٨) في (ج) : (أولها) ، وكذا هي في معاني القرآن للزجاج ، ولا وجه لها ، والصواب ما أثبتته .
(٩) ويبنى المنادى المفرد على ما كان يرفع به قبل النداء ، في حالة كونه علماً ، أو نكرة مقصودة ، على أن لا
يكونا مضافين ، أو شبيهين بالمضاف .

وأنكر الفراء هذا القول ، فقال ^(١) : لم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الاسم إلا مخففة ؛ مثل : (الفم) ، و(هذا ابْنُ) ، و(سُتْهُمْ) ^(٢) .

فلو ^(٣) كانت الميم بدلاً من (يا) ، لم يُجمع بين الميم و(يا) ، وقد أنشدني بعضهم :

وما عليك أن تقول كُلمًا

صَلَّيتَ أو سَبَّحْتَ : يا اللَّهُمَّ

ارْدُدْ علينا شيخنا مُسَلِّمًا ^(٤)

(١) في معاني القرآن له ٢٠٣/١ ، ونقله عنه بتصرف .

(٢) قوله : (وهذا ابنم ، وستهم) : مطموسة في (د) . و(هذا) لم ترد في معاني القرآن . و(ابنم) : لغة في (ابن) ، وتعرب إعرابها ، وقيل : إنَّ ميمها زائدة ؛ للمبالغة أو للعوض من لام الاسم المحذوفة ، حيث إنَّ أصلها : (بَنُو) ، وتعرب (ابنم) بحسب موقعها في الجملة ، وحركة النون فيها تتبع حركة الميم في حالات الإعراب جميعها ، وبعضهم يبقيا مفتوحة دائماً ، ويجوز إبقاء الميم وحذفها عند إضافتها إلى ياء المتكلم . انظر : موسوعة النحو والصرف والإعراب ١٩ ، ومعجم الشوارد النحوية ٦٥ . و(سُتْهُمْ) : غير موجودة في معاني القرآن المطبوع المتداول ، وقد وردت في تفسير الطبري ٢٢١/٣ . ومعنى (ستهم) : هو الرجل الأستة ، إذا كان عظيم الاست ، ويقال للمرأة : (سُتْهُمْ) ، و(سَتْهَاء) . انظر : كتاب خلق الإنسان لابن أبي ثابت ٣٠٦ ، وتهذيب اللغة (سته) ١٦٢٥/٢ .

(٣) في (د) : (ولو) .

(٤) ثلاثة أبيات من الرجز لم يعرف قائلها ، وردت في المحل لابن شقير ٨٤ ، واللامات للزجاجي ٩٠ ، وتفسير الطبري ٢٢١/٣ ، والإنصاف للأنباري : ٢٩١ ، ورصف المباني ٣٧٣ ، واللسان (أله) ١١٦/١ ، وارتشاف الضرب ٢٨٥/٣ ، و٢٨٩ ، والهمع ٣٤٧/٥ ، وخزانة الأدب ٢٩٦/٢ ، والدرر اللوامع ٢٢٠/٢ . وقد ورد في بعض المصادر : (. . . صَلَّيتَ أو هَلَّيْتُ . . .) ، وفي الطبري : أو (كَبَّرْتَ) ، وفيه : (يا اللَّهُمَّ) ، وفي بعضها : تُفَصِّلُ (ما) عن (اللَّهُمَّ) . الشاعر هنا يأمر بُنَيْتَهُ أو زوجته بالدعاء له ، إذا ما سافر أو غاب عنهم : أن يرده عليهم سالمًا . التسييح : تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه . والصلاة هنا قد تكون بمعنى الدعاء ، أو الصلاة الشرعية . والشيخ هنا الأب ، أو الزوج . والشاهد فيه قوله : (يا اللَّهُمَّ) ؛ حيث جمع بين حرف النداء ، والميم المشددة ، ولم يكتف بذلك ، بل وزادها ميمًا مفردة بعد الميم المشددة دلالة على أن الميم ليست بدلاً من حرف النداء .

فقال : (يا اللَّهُمَّ) . ثم قال : ونرى أنها كانت في الأصل كلمة ضُمَّ إليها (أُمَّ) ؛ يريد : (يا الله ؛ أُمَّنا بخير) ، فكثرت في الكلام حتى اختلطت ^(١) به ، فحذفت الهمزة استخفافاً ؛ فقليل : (اللَّهُمَّ) ^(٢) ، ثم كثرت هذه اللفظة حتى قالوا : (لاهُمَّ) ؛ بمعنى : اللَّهُمَّ .

قال الشاعر :

لاهُمَّ إِنَّ عَامِرَ بْنَ جَهْمٍ أَوْذَمَ ^(٣) حَجًّا فِي ثِيَابٍ ^(٤) دُسِمَ ^(٥)
وقال آخر :

لاهُمَّ إِنَّ جُرْهُمَا ^(٦) عِبَادُكَ الناس طُرِفَ ^(٧) وَهُمْ تِلَادُكَ ^(٨)

(١) في (د) : (اختلط) . ويعني بذلك : أنها اندمجت مع لفظ الجلالة .

(٢) (فقليل : اللهم) : ساقط من (ج) .

(٣) في النسخ جميعها : (أودم) . والصواب ما أثبتته ، كما سيأتي في التعليق على البيت .

(٤) في (أ) و(ب) : (ثياب) ، والمثبت من (ج) و(د) .

(٥) بيت من الرجز ، وقائله مجهول ، ولم أقف عليه في معاني القرآن للفراء . وقد ورد من غير منسوب في المصادر الآتية : غريب الحديث لأبي عبيد ٣٤٧/١ ، وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ ، وكتاب المعاني الكبير ١/٨٠ ٤٨٠/١ الصحاح (وذم) ٥/٢٠٥٠ ، وأساس البلاغة (دسم) ١/٢٧١ ، واللسان (دسم) ٣/١٣٧٥ ، و(وذم) ٨/٤٨٠٦ ، والبحر المحيط ٢/٤١٦ ، وورد فيه : (. . . أحرم جحا) . أودم عليه الشيء ؛ أي أوجبه وألزمه نفسه . وثياب دُسِمَ ؛ أي وَسَخَتْ ، والدَّسَمُ : الوَصَرُ والدَّنَسُ . ويقال للرجل من قبيل المجاز إذا تدنَّسَ بَمَذَامِ الْأَخْلَاقِ : إِنَّهُ لَدَسَمُ الثَّوبِ . ومعنى البيت : أنه أحرَم بالحج وهو متدنَّسٌ بالذنوب . انظر (دسم ، وذم) : في أساس البلاغة ١/٢٧١ ، واللسان ٣/١٣٧٥ ، و٨/٤٨٠٦ .

(٦) في (ج) : (أجرهما) .

(٧) في (د) : (طرو) .

(٨) في (ج) و(د) : (بلادكا) . ولم أقف عليه في معاني القرآن للفراء ، والبيت لعامر بن الحارث بن مُضاض ، سيّد جرّهم في مكة . وقد ورد منسوباً له في تاريخ الطبري ٢/٢٨٥ ، وذكر قصته ومناسبته . وتماه كما عند الطبري : (. . . بهم قديماً عَمَرَتْ بلادك) . وقافيته عند الطبري كلها بالسكون . وورد في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/٥٧٤ . وروايته فيه : «اللَّهُمَّ إِنَّ جُرْهُمَا عِبَادُكَ . . . الناس طُرِفَ وَهُمْ =

فحذفوا الألف واللام ، لما كثر في كلامهم .

قال^(١) : وقد خُفِّفَت ميمها في بعض اللغات . أنشدني بعضهم :

كحَلْفَةٍ من ابن^(٢) رباح يَسْمَعُهَا اللَّهُمُّ^(٣) الْكُبَارُ^(٤)

= تلادك» . وورد فيه برواية : «اللَّهُمَّ إِنْ جَرَّهُمَا عِبَادُكَ . . . الْقَوْمَ طَرَفَ وَهُمْ تِلَادُكَ» . وقوله : (طرف) : يعني به - والله أعلم - : أنها جمع (طارف) و(طريف) ، وهو : المستحدث من المال . ونقيضه : التليد والتالد ، وهو : المال القديم الأصلي الذي وُلِدَ عندك . فيعني الشاعر هنا - والله أعلم - : أن جرَّهُمَا هم أهل مكة وأهل الحرم ، وأول من عمر بهم البلد الحرام ، وأما الآخرون فهم حديثو عهد به . انظر : اللسان (تلد) ٤٣٩/١ ، و(طرف) ٢٦٥٧/٥ ، ٢٦٥٨ .

(١) يعني : الفراء كما سبق .

(٢) هكذا في (أ) و(ب) و(ج) و(د) . وورد في الديوان وبقية مصادر البيت : (أبي) .

(٣) في (أ) : اللَّهُمَّ . ولم تضبط بالشكل في بقية النسخ . وما أثبتته هو الصواب ؛ لوروده في مصادره بتخفيف الميم ، ولأن تشديدها ، خلاف ما أراده المؤلف من إirاده شاهداً على التخفيف فيها .

(٤) البيت مطموس في (د) . وهو للأعشى في ديوانه ٨٢ ، وقد ورد منسوباً له في سر صناعة الإعراب ٤٣٠/١ ، وأمالى ابن الشجري ١٩٧/٢ ، واللسان (أله) ١١٦/١ ، والجمع ٦٤/٣ ، والخزانة : ٢٦٦/٢ ، ٢٦٩ ، الدرر اللوامع ١٥٤/١ .

وورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ٢٠٤/١ ، و٣٩٨/٢ ، وتفسير الطبري ٢٢١/٣ ، والجمهرة (برك) ٣٢٧/١ ، وتهذيب اللغة (أله) ١٩١/١ ، والمسائل العضديات ٧٨ ، وشرح المفصل ٣/١ ، وشرح ما يقع فيه التصحيف ٣١٠ ، والمقاصد النحوية ٢٣٨/٤ .

وقد وردت (أبي رباح) بدلاً من أبي رباح في الديوان ، معاني القرآن ، والطبري ، والتهذيب ، وسر صناعة الإعراب ، والجمهرة ، وأمالى ابن الشجري ، والخزانة ، وقال صاحبها : «هو بمشناة تحتيّة ، لا بموحدة كما يزعم شُراح الشواهد» . ووردت (لاهه) ، بدلاً من (اللهم) في الديوان ، والمسائل العضديات ، وأمالى ابن الشجري ، والخزانة . وورد في سر صناعة الإعراب ، اللسان ، (لاههم) . وورد في معاني القرآن (. . . الهمة الكبار) ٣٩٨/٢ ، وقال : (الهم ، والهمة : الشيخ الفاني) ، وفي معاني القرآن (. . . الهمة الكبار) ٣٩٨/٢ ، وقال : (الهم ، والهمة : الشيخ الفاني) ، وفي ٢٠٤/١ : (وإنشاد العامة : لاهه الكبار ، وأنشدني الكسائي : يسمّعها الله والله كبار . وفي الخزانة ٢٦٩/٢ أن الأصمعي رواها : يسمّعها الواحد الكبار .

و(الحلقة) : المرة من الحلف ؛ بمعنى : القسم . و(أبو رباح) وفق رواية المؤلف : رجل من بني ضبيعة ، وكان قد قتل رجلاً من بني سعد بن ثعلبة ، فسأله أن يحلف أو يعطي الدية ، فحلف فقتل =

قال : والرفعة التي في الهاء من همزة (أُمُّ) لما تركت ، انتقلت إلى ما قبلها . قال : ونرى^(١) أن قول العرب : (هَلُمَّ) مثلها إنما كانت : (هل) ، فُضِّمَ إليها (أُمُّ)^(٢) .

وأنكر أبو إسحاق هذا القول إنكاراً شديداً ، فقال^(٣) : لو كان الأمر على ما قال ، لجاز أن يقال : (الله أُمُّ) ، فيتكلم به على أصله ، كما يقال : (ويلُ أُمِّه) ، ثم يتكلم به على الأصل ، فيقال : (ويلُ أُمِّه)^(٤) ، ولجاز أيضاً : (الله أُوْمُم)^(٥) .

بعد حَلَفْتَهُ ، فضر به العربُ مثلاً لما لا يغني حَلَفُهُ . والكُبَارُ : صيغة مبالغة للكبير . والشاهد فيه هنا : تخفيف ميم (اللهم) .

(١) في (ج) : (ويري) .

(٢) ومعنى : (هَلُمَّ) : أقبل أو أعط . انظر : اللسان (هلم) ٨ / ٤٦٩٤ ، ٤٦٩٥ . ولكن لم يرتض ابن سيده رأي الفراء هذا في (هلم) ، وردّه مستدلاً على ذلك بأن رأي الفراء لا يخلو من أحد أمرين : إما أن تكون (هل) بمعنى (قد) ، وهذا يدخل في الخبر ، وإما تكون بمعنى الاستفهام ، وليس لواحد متعلق بـ (هلم) ولا مدخل . المخصص ٨٨ / ١٤ . ولكن هذا الرد لا يسلم لابن سيده ؛ حيث إن لـ (هل) استعمالاً ومعاني أخرى من غير ما ذكره ابن سيده ؛ ومن ذلك ما قاله ابن دريد في الجمهرة (هلم) ٢ / ٩٨٨ : كلمتان جُعِلتا كلمة واحدة ؛ كأنهم أرادوا (هَلْ) ؛ أي أقبل ، و(أُمُّ) ؛ أي اقصد .

وقال الزبيدي في التاج (هلم) ١٧ / ٧٦٢ وقال الفراء : « مركبة من (هل) ، التي للزجر ، و(أُمُّ) ؛ أي اقصد ، خَفَّفَتِ الهمزة بإلقاء حركتها على الساكن ، وحذفت » .

انظر في : مجيء (هل) للزجر والتوبيخ والأمر والتنبيه وغيرها ، في تهذيب اللغة ٤ / ٣٧٨٤ ، واللسان (هلم) ٨ / ٤٦٨٩ .

(٣) في معاني القرآن له ١ / ٣٩٣ ، وينقله عنه بتصريف كثير .

(٤) جاءت (ويل) في الموضعين برفع اللام ، ولم تضبط في بقية النسخ بالشكل ، وما أثبتته هو الصواب ؛ لأن (ويل) إذا أضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب ؛ على أنها مفعول به لفعل محذوف ، يقال : (ويلَ الظالمين) ؛ أي ألزمَ الله الظالمين وَيلاً . أما إذا أضيفت باللام ، فترْفَعُ ؛ مثل : (ويلُ لأُمِّه) ، فهي مرفوعة بالابتداء . و(ويل) : بمعنى : عذاب . وقد تُرْكِبُ لفظة (ويل) مع (أُمِّه) ، فيقال للرجل : (ويْلُمُّه) ، أو (ويْلُمُّه) بكسر اللام ، من (ويلُ لأُمِّه) : وتعني : أنه داهية ، وأصلها : الدعاء عليه ، ثم استعملت في التعجب . انظر في أصلها وتركيبها : المسائل الحلييات ٤٣-٤٥ ، وسر صناعة الإعراب ١١٣ ، ٢٣٥ ، ٧٤٥ ، ومعجم النحو ٤٣٧ ، ومعجم الشوارد النحوية ٦٤٠ .

(٥) في النسخ جميعها : (أُمم) ، ولا وجه لها ، والمثبت من معاني القرآن للفراء ١ / ٣٩٣ .

فلَمَّا لم^(١) يُسمع أحدٌ من العرب تكلم به على الأصل الذي [هو]^(٢) ذَكَر^(٣) ، علم أنه ليس بأصل ، وأيضاً لم يُسمع^(٤) أحدٌ^(٥) يقول : (يا اللَّهُمَّ) ، والله - عز وجل - يقول : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: ٣٢] ، وقال : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ﴾ [الزمر: ٤٦] .

وما احتجَّ به الفراء من قوله : «أنشدني بعضهم»^(٦) ، فليس يعارض الإجماع ، وما أتى به كتابُ الله عز وجل ، ووُجد في ديوان العرب . يقول قائل : أنشدني بعضهم ، وليس ذلك البعضُ بمعروفٍ ولا مُسمًى .

وقال غير أبي إسحاق يَمْن نصر مذهب الخليل^(٧) : لو كان الأمر على ما ذكره الفراء ، لما صحَّ أن يقال : (اللَّهُمَّ افعل كذا) ، إلّا بحرف العطف ؛ لأن قوله : (اللَّهُمَّ) حصل عنده في ضمنه الدعاء ؛ لأن تأويله : (الله^(٨)) ؛ أمنا بخير) ، فالدعاء الثاني يجب أن يكون معطوفاً عليه بحرف العطف . ولم نجد أحداً يقول : (اللَّهُمَّ اغفر) .

وأجاب الفراء عن قوله : «هذه الميم ، إنما تُزاد مُخَفَّفَةً» ؛ بأن قال : إنما شُدَّت الميمُ في (اللَّهُمَّ) ؛ لأنها عوضٌ من حرفين^(٩) فشُدَّت ؛ كما قيل : (قُمْتَن)

(١) (لم) : ساقطة من (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(٣) في (ج) : (ذكره) .

(٤) في (د) : (نسمع) .

(٥) في (أ) : (أحداً) ، والمثبت من (ب) و(ج) و(د) .

(٦) (بعضهم) : ساقطة من (ج) .

(٧) لم أهتم إلى هذا القائل ، وقد يكون المبرّد ، كما في الأصول في النحو لابن السراج ٣٣٨ / ١ ، وحيث ورد موجز لهذا الرأي نقله عنه .

(٨) في (د) : (اللَّهُم) .

(٩) (حرفين) : ساقطة من (د) .

و(ضَرَبْتَنَ) ؛ لَمَّا كَانَتِ النُّونُ عِوَضاً مِنْ حَرْفَيْنِ فِي : (قُمْتُمُوا) و(ضَرَبْتُمُوا) ، شُدِّدَتْ . فَأَمَّا (قُمْنَ) و(ذَهَبْنَ) فَعِوَضٌ مِنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ .

وَمَا ذَكَرَ مِنْ قَوْلِهِ : (فَمُ) ^(١) و(سُتُّهُمْ) و(ابْنُكُمْ) ^(٢) ، فَإِنَّمَا خُفِّفَتِ الْمِيمُ ؛ لِأَنَّهَا عِوَضٌ مِنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ .

وَلَيْسَ حَكْمُ قَوْلِكَ : (اللَّهُ) ، حَكْمَ (الْفَمُ) و(الابْنُ) ؛ لِأَنَّهَا نَاقِصَانِ أَتْمًا بِالْمِيمِ ، و(اللَّهُمَّ) لَيْسَ زِيَادَتُهَا ^(٣) تَتِمُّمًا لِلْأَسْمِ ، إِنَّمَا هِيَ لِمَعْنَى آخَرَ غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي فِي (الْفَمُ) .

وَأَمَّا مَا احْتَجَّ بِهِ مِنَ الْبَيْتِ ؛ فَجَازَ إِدْخَالَ (يَا) مَعَ الْمِيمِ لِمُتَوَرُّدِ الشَّعْرِ ^(٤) .

فَأَمَّا ^(٥) احْتِجَاجُهُ بِقَوْلِهِ : (هَلُمَّ) ، فَعِنْدَ الْخَلِيلِ ^(٦) : أَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ : (هَآ) الَّتِي [هِيَ] ^(٧) لِلتَّنْبِيهِ ، دَخَلَتْ ^(٨) عَلَى (لَمْ) ^(٩) ، فَلَمَّا كَثُرَ ^(١٠) ، حُذِفَتِ الْأَلْفُ ^(١١) .

(١) فِي (د) : (قَم) .

(٢) فِي (د) : (وَأَنْتُمْ) .

(٣) أَيُّ زِيَادَةِ الْمِيمِ فِي (اللَّهُمَّ) .

(٤) لِلضَّرُورَةِ الشَّعْرِ : سَاقَطَ مِنْ (د) .

(٥) فِي (ج) و(د) : (وَأَمَّا) .

(٦) انْظُرْ : رَأْيُهُ فِي الْكِتَابِ ٣/ ٣٣٢ ، وَتَأْوِيلُ مُشْكَلِ الْقُرْآنِ ٥٥٧ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ج) .

(٨) فِي (ج) : (وَحَلَّتْ) .

(٩) وَأَصْلُ (لَمْ) ، مِنْ قَوْلِهِمْ : (لَمْ يَلَمْ يَشْعَثْ) ؛ أَيُّ جَمْعِهِ . كَأَنَّهُ أَرَادَ : لَمْ نَفْسُكَ إِلَيْنَا ؛ أَيُّ اقْرُبْ . انْظُرْ (هَلُمَّ) : فِي الصَّحَاحِ ٥/ ٢٠٦٠ ، وَاللِّسَانِ ٨/ ٤٦٩٤ .

(١٠) فِي (ج) : (كَثُرَتْ) .

(١١) انْظُرْ : الْأَقْوَالُ فِي (هَلُمَّ) فِي إِصْلَاحِ الْمُنْطَقِ ٢٩٠ ، وَالزَّاهِرُ ١/ ٤٧٦ ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٤/ ٣٧٨٨ ، وَالْمَسَائِلُ الْعُضْدِيَّاتُ لِلْفَارِسِيِّ ٢٢١ ، وَالصَّاحِبِيُّ لِابْنِ فَارِسٍ ٢٧٩ ، وَالْمَسَائِلُ السَّفَرِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ ٣٤ ، وَتَنْوِيرُ الْحَوَالِكِ شَرْحُ مَوْطَأِ مَالِكٍ لِلْسَيُوطِيِّ ١/ ٢٢٤-٢٢٦ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ ١٧/ ٧٦٢ .

وأما البيت الذي ذكر أنه جاء في (اللَّهُمُّ) ، بتخفيف الميم ، فهو خطأ فاحش خصوصاً عنده^(١) ؛ لأن الميم في (اللَّهُمُّ) ، هو الميم الذي في (أَمَّنَا) ، وإنشاده بالتخفيف يفسد عليه مذهبه ؛ لأنه لا يحتمل في البيت ذكر أن يكون (أَمَّنَا) ، إنما هو بمنزلة قولك : يسمعه الله الكبار ، فالرواية الصحيحة : يسمعها لأهه الكبار .

قال أبو إسحاق^(٢) : وقوله : إِنَّ الضَّمَّةَ [التي]^(٣) في الهاء من قوله : (اللَّهُمُّ) ، ضَمَّةُ الهمزة التي كانت في (أُمُّ) محالٌ ؛ لأنه لا يترك الضمُّ الذي هو دليل على النداء المفرد^(٤) ، ويُجعل في اسم الله ضَمَّةُ (أُمُّ)^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿مَلِكٌ أَلْمَلِكُ﴾ . في نصبه وجهان ؛ أحدهما : وهو قول سيبويه^(٦) : أنه منصوب على النداء ، وكذلك قوله : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ﴾ [الزمر: ٤٦] ، ولا يجوز عنده أن يكون ﴿مَلِكٌ أَلْمَلِكُ﴾ نصباً على النعت للنداء المفرد ، الذي هو قوله : ﴿اللَّهُمَّ﴾ ؛ لأن هذا الاسم عنده لا يُوصف .

(١) في (د) : (عندهم) .

(٢) في معاني القرآن له ٣٩٣ / ١ ، ونقله عنه بتصريف .

(٣) ما بين المعقوفين من (ج) و(د) ، وكذا هي في معاني القرآن .

(٤) أي المنادى المفرد ، يا الله .

(٥) (أُم) : ساقطة من (د) .

(٦) الكتاب ١٩٦ / ٢ .

الوجه الثاني : وهو قول أبي العباس^(١) : أَنَّ (مَالِكَ) وصف للمنادى المفرد . وهذا الوجه اختيار الزَّجَّاج ؛ قال^(٢) : لأن هذا الاسم ومعه^(٣) الميم ، بمنزلة ومعه (يا)^(٤) ، فلا تمتنع الصفة مع الميم ، كما لا تمتنع مع^(٥) (يا)^(٦) .

ونَصَّر أبو علي الفارسي قولَ سيبويه ، وقال^(٧) : هو عندي أصح ، وإن كان أغمض ، وذلك^(٨) ؛ لأنه ليس في الأسماء الموصوفة شيء^(٩) على حد (اللَّهُمَّ) ، فإذا خالف ما عليه الأسماء الموصوفة ، ودخل في حيز ما لا يُوصَف من الأصوات ، وجب أن لا يُوصَف .

والأسماء المناداة المفردة المعرَّفة ، القياس فيها أن لا تُوصَف ، كما ذهب إليه بعض الناس ؛ لأنها واقعة موقع ما لا يُوصَف ، وكما^(١٠) أنه لما وقع موقع ما لا يُعرب لم يعرب ، كذلك لما وقع موقع ما لا يُوصَف ، وجب أن لا يُوصَف^(١١) .

(١) هو المبرِّد ، في المقتضب ٢٣٩/٤ .

(٢) في معاني القرآن ١/٣٩٤ ، ونقله عنه بتصرف يسير .

(٣) في (ب) : (ومنه) .

(٤) ومعه (يا) : ساقط من (د) .

(٥) في (د) : (ومعه) .

(٦) في (د) وردت هنا عبارة : (فلا تمتنع مع يا) مكررة .

(٧) قوله في الإغفال ٥٥٤-٥٥٧ . نقله عنه باختصار وتصرف . وقوله ينتهي إلى عند : «بمنزلة صوت مضموم إلى صوت ، نحو : حي هل» .

(٨) في (ج) : (ذلك) .

(٩) من قوله : (شيء . . .) إلى (ما عليه الأسماء الموصوفة) : ساقط من (ج) .

(١٠) في (ج) : (كما) . ومن قوله : (وكما . . .) إلى (موقع ما لا يوصف) : ساقط من (د) .

(١١) في (د) : (توصف) .

فأما قوله :

يَا حَكَمُ الْوَارِثُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ^(١) .

يَا حَكَمُ بْنُ^(٢) الْمُنْذِرِ بْنِ^(٣) الْجَارُودِ^(٤)

(١) بيت شعر من الرجز لرؤبة بن العجاج ، في ديوانه ١١٨ . كما ورد منسوباً له في المصادر الآتية : المعاني الكبير ٢ / ٨٧٠ ، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٩٧ / ١ ، وشرح الأبيات المشككة للفارسي ٤٤٨ ، وأملاني ابن الشجري ٤٤ / ٣ ، وشرح شواهد المغني ٥٢ / ١ ، و ٥٣ .

وورد غير منسوب في المقتضب ٤ / ٢٠٨ ، والخصائص ٢ / ٣٨٩ ، و ٣ / ٣٣١ ، و ٣٣٢ ، والإنصاف للأنباري : ٤٩٩ ، ومغني اللبيب ٢٨ . وبعده وفق رواية الديوان : ... ميراثُ أحسابٍ وجُودٍ مُنسَفَكٍ . وورد في بعض المصادر بنصب لفظ (الوارث) .

والشاعر هنا يمدح الحكم بن عبد الملك بن بشر بن مروان . والشاهد هنا أن قوله : (الوارث) على رأي سيبويه وأبي علي الفارسي ليس نعتاً للمنادي ، وإنما هو خبر لمبتدأ تقديره : (أنت) . بينما الوجه الآخر فيه أنه مرفوع ؛ لأنه نعت للمنادي قبله ، ونعت المنادي المفرد إذا كان مقترناً بـ (أل) يجوز رفعه تبعاً للفظ المنادي ، ونصبه تبعاً لمحلله ، فإن المنادي المفرد العلم مبني على الضم في محل نصب . انظر : الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبوع مع الإنصاف لأبي البركات الأنباري ٢ / ٦٣٠ .

(٢) في (ج) و(د) : (ابن) .

(٣) في (د) : (ابن) .

(٤) بيت من الرجز ، وتكملته : أنت الجوادُ ابنُ الجوادِ المحمودُ

قيل : هو لرؤبة بن العجاج ، وقد ورد في ملحقات ديوانه ١٧٢ ، وفيه أنه مما نُسب إليه ، وقد نُسب إليه كذلك في مجاز القرآن ١ / ٣٩٩ ، والصحاح (سردق) ٤ / ١٤٩٦ .

وقيل : هو لعبد الله الأعور ، المسمى بالكذاب الحرمازي ، وقد ورد في كتاب سيبويه ٢ / ٢٠٣ ، وفيه : «وقال الراجز من بني الحرماز» . ونسبه له ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢ / ٦٨٩ . كما ذكرته المصادر الآتية ، مع ذكر الاختلاف في نسبته إليهما ، اللسان (سردق) ٤ / ١٩٨٨ ، والمقاصد النحوية ٤ / ٢١٠ ، والتصريح ٢ / ١٦٩ ، وورد غير منسوب في المقتضب ٤ / ٢٣٢ ، والأصول في النحو ١ / ٣٤٥ ، وشرح المفصل ٢ / ٥ ، وأوضح المسالك : ٢٠٠ ، ومنهج السالك ٣ / ١٤٢ .

والشاعر يمدح الحكم بن المنذر بن الجارود العبدي ، أمير البصرة على عهد هشام بن عبد الملك . والشاهد فيه هنا : أن (ابن) تُعَرَّب على أنها مُنادى مضاف ، فحقها النصب ، ولا تعرب على أنها تابعة للمنعوت ، وهو (حكم) و(حكم) يجوز فيها : النصب والرفع ؛ لأنه العلم المفرد الموصوف بـ ابن =

و :

. . . يا عَمْرُ الْجَوَادِ^(١)

فإن الأول على : (أنت) ، والثاني على : نداء ثانٍ ، والثالث على : (أعني) ، فلما كان هذا الاسم ، الأصل فيه : أن لا يُوصَفَ لما ذكرنا ، كان (اللهم) أولى أن لا يُوصَفَ ؛ لأنه قبل ضم الميم إليه واقعٌ موقع ما لا يُوصَفَ ، فلما ضُمَّت الميم إليه ،

المتصلة به ، والمضاف إلى علم يجوز فيه الأمران ؛ إمَّا النصب على الإتيان لحركة الصفة ؛ لأنها جعلت مع (ابن) كأنها اسم واحد لكثرة استعمالها ، وكما أضيفت (ابن) إلى ما بعدها ، فكذلك جعلوا (حكم) كأنها أضيفت إلى ما بعدها ، فكانت كالمنادى المفرد المضاف في هذا البيت . وإمَّا الرفع على النداء ؛ لأنها علم مفرد ، معرفة . انظر : شرح أبيات سيويه للنحاس ١٣٤ ، وشرح المفصل ٥ / ٢ ، وهداية السالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبوع مع أوضح المسالك ٨٠ / ٣ .

(١) جزء من عجز بيت ، وتماهه :

ما كعَبُ بَنُ مَأمَةَ وابنُ سَعْدِي بأجودَ منك يا عَمْرُ الْجَوَادِ

هو الجريز ، في ديوانه ١٠٧ . وقد ورد في المصادر الآتية ، ونسبه أكثرها إليه : الكامل ٢٣١ / ١ ، والمقتضب ٢٠٨ / ٤ ، والأصول في النحو ٣٦٩ / ١ ، وأمالي ابن الشجري ٤٠ / ٢ ، و ٤٤ / ٣ ، وأوضح المسالك : ٢٠١ ، ومغني اللبيب ٢٨ ، والمقاصد النحوية ٢٥٤ / ٤ ، ومنهج السالك ١٤٣ / ٣ ، والهمع ٥٤ / ٣ ، وشرح شواهد المغني ٥٦ / ١ ، والتصريح ١٦٩ / ٢ ، والخزانة ٤٢٢ / ٤ ، و ٣٩٩ / ٩ ، والدرر اللوامع ١٥٣ / ١ .

والشاعر يمدح عمر بن عبدالعزيز رحمه الله . وكعب بن مامه من إباد ، يُضْرَبُ به المثل في الجود والإيثار ، ومن ذلك إثارة رفيقه بالماء على نفسه ، ومات هو عطشاً . وابن سَعْدِي أوس بن حارثة الطائي ، يُضْرَبُ به المثل - كذلك - في الجود . والشاهد في البيت - هنا - أن (الجَوَادَ) انتصبت على الاختصاص ، بتقدير فعل : (أعني) أو (أخص) . وفي الديوان أوردت بعض المصادر (عمر) بالفتح ، على أنها منادى مبني على الفتح ؛ لأنه منعت بـ (الجواد) المنصوب . أو مبني على ضم مقدر منع من ظهوره فتح الإتيان ؛ أي أن الموصوف هنا يتبع الصفة في فتح آخرها ، وهو مما يميز الكوفيون الفتح فيه ، سواء أكان المنادى موصوفاً بلفظ (ابن) أم لم يكن . انظر : الأصول في النحو ٣٦٩ / ١ ، وأوضح المسالك : ٢٠١ ، والهمع ٥٤ / ٣ . والأصل فيه أن يكون في المخطوط : (عَمْرَ) بالفتح ؛ ليتحقق الشاهد ؛ لأن الفارسي أراد أن يقول : إن (الجوادَ) نصبت ؛ لا لكونها صفةً لعمر المنصوب ، فتبعته في الإعراب ؛ لأن عنده المنادى المعرف المفرد ، لا يوصف ، وإنما جعلها في البيت منصوبة بفعلٍ مُقَدَّرٍ ، هو (أعني) .

وصيغ معه صياغة مخصوصة ، صار حكمُهُ حكمَ الأصوات ، وحكم الأصوات أن لا يُوصَف^(١) ؛ نحو : (غاق)^(٢) .

قال^(٣) : وهذا المضموم إليه مع ما ضُمَّ إليه ، بمنزلة صوتٍ مضموم إلى صوت ؛ نحو : (حَيَّهْل)^(٤) ، فحَقُّهُ أن لا يُوصَفَ ؛ كما لا يُوصَفَ (حَيَّ هَلْ) .

فأما التفسير قال ابن عباس^(٥) : لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، ووعد أُمَّتَهُ مُلْكَ فارسَ والروم ، قالت المنافقون واليهودُ : هيهات ، هيهات^(٦) ! فأنزل الله هذه الآية .

وقيل : إنَّ الله - عز وجل - أمر النبي ﷺ في هذه الآية ، أن يسأله نقل عِزِّ فارس إلى العرب ، وذُلَّ العرب إلى فارس^(٧) .

(١) في (د) : (لا توصف) ، وفي (ج) غير منقوطة ، وأثبت ما في الأصل ونسخة (ب) على تقدير : أن لا يوصف الصوت .

(٢) غاق : حكاية صوت الغراب ، فإن نُكِرَ نُؤَنَّ ، يقال : سمعتُ (غاق غاق) ، وسمعت (غاق غاق) . وُسِّمِيَ الْغُرَابُ غَاقًا ؛ فيقال : سمعت صوت الغاق . انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٣١٠ ، و٢/ ٤٩٤ ، و٤٩٥ ، واللسان (غاق) ٦/ ٣٣١٧ .

(٣) في (د) : (مال) .

(٤) في (ج) : (جبهل) . و(حَيَّهْل) و(حَيَّهْلَا) و(حَيَّهْلَا) - مُتَوْنًا وَغَيْرُ مُتَوْنٍ - : كلمة يستحثُّ بها . ويقال : (حَيَّ هَلْ بفلان) ، و(حَيَّ هَلْ) ، و(حَيَّ هَلَا) . ومعنى (حَيَّ على كذا . . .) : هَلَمْ وَأَقْبَلْ ، و(هَلَا) - كذلك - تقال للاستعجال والحثُّ . وَبُنِيَتْ (حَيَّ) مع (هَلْ) ، وَجُعِلَتْ اسماً واحداً ، وَسُمِّيَ بِهِ الْفَعْلُ ، ويستوي فيه الواحد والجمع المؤنَّث . انظر : الصحاح (هَلَل) ٥/ ١٨٥٣ ، واللسان (حيا) ٢/ ١٠٨٢ ، والمسائل المشككة للفارسي ١٥٢ ، وشرح الشافية ٢/ ٢٩٤ ، وشرح المفصل ٩/ ٨٤ .

(٥) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٩ أ ، أسباب النزول للواحدي ١٠٢ ، وتفسير البغوي ٢/ ٢٣ ، وتفسير القرطبي ٤/ ٥٢ ، وعزوه - كذلك - لأنس بن مالك .

(٦) (هيهات) : ساقطة من (د) .

(٧) لم أهتم إلى قائل هذا القول ، وقد ورد في معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٩٣ مصدراً بلفظ (قيل) ، وعقب عليه بقوله : الله أعلم بحقيقة ذلك . والذي في كتب التفسير عن قتادة رحمه الله أن نبي الله ﷺ سأل ربه - جل ثناؤه - أن يجعل ملك فارس والروم في أُمَّتِهِ ، فأنزل الله هذه الآية . انظر : تفسير الطبري ٣/ ٢٢٢ ، =

وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ نَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ﴾. قال ابن عباس^(١): تؤتي ملك قيصر أمة محمد ﷺ، وتنزع الملك منه.

الكلبي^(٢): ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ نَشَاءُ﴾: محمداً وأصحابه، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ﴾: أبي جهل^(٣)، وصناديد قريش.

وقال بعضهم: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ نَشَاءُ﴾: العرب، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ﴾: الروم، والعجم، وسائر الأمم^(٤).

وذكر أبو إسحاق^(٥) في ﴿الْمُلْكَ﴾ المذكور هاهنا، قولين:

أحدهما: أن المراد بـ ﴿الْمُلْكَ﴾ هاهنا: المال، والعبيد، والحفدة^(٦). والله -تعالى- يؤتيها من يشاء، وينزعها من يشاء.

وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٢٤، وتفسير الثعلبي ٣/٢٩/أ، النكت والعيون ١/٣٨٤، وأسباب النزول للواحدي ١٠٢، ١٠٣، وتفسير البغوي ٢/٢٣، وزاد المسير ١/٣٦٨، وأورده السيوطي في الدر ٢/٢٥ ونسب إخراجَه -كذلك- لعبد بن حميد.

(١) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٢) قوله في تفسير الثعلبي ٣/٣١، تفسير البغوي ٢/٢٣.

(٣) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، تقدمت ترجمته.

(٤) وردت هذه العبارة بنصها في تفسير الثعلبي ٣/٣٢، وهو بنفس معنى قول مقاتل ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ نَشَاءُ﴾؛ يعني: محمداً وأمة، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ﴾؛ يعني الروم وفارس. تفسيره ١/٢٦٩. وقد يكون الثعلبي حكاه بمعناه عن مقاتل ونقله المؤلف عن الثعلبي.

(٥) هو الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/٣٩٢، ونقله عنه بالمعنى.

(٦) في معاني القرآن: (والخضرة)، وفسرها المحقق، بأنها: التَّحْضُر والثراء، وقد تكون (الحفدة) هكذا في نسخة أخرى لمعاني القرآن، والذي يؤكد ما نقله المؤلف هنا عن الزَّجَّاج، هو أن ابن الجوزي في زاد المسير ١/٣٦٩ نقل هذا القول عن الزَّجَّاج وفيه (الحفدة) كما هي عند الواحدي. و(الحفدة) و(الحفد): الخدم، والأعواد. والمفرد: حافد. وحفدة الرجل: بناته، وقيل: أولاد أولاده، ومفرداها، حفيد، وقيل: الأصهار. وأصلها من (حَفَدَ، يَحْفُدُ، حَفْدًا، وَحَفْدَانًا، وَاحْتَفَدَ احْتِفَادًا)؛ أي خَفَّ وأسرَعَ في العمل. انظر: اللسان (حفد) ٢/٩٢٢، والقاموس المحيط: ٢٧٧.

الثاني : أن ﴿أَلْمُلْكُ﴾ هاهنا : ظهور الدين ، والغلبة . فمعنى ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ ؛ أي ترزق الغلبة والظفر الذين يطيعونك ، ويعبدونك . والله - تعالى - قد جعل كلَّ ما ^(١) في مملكة ^(٢) مَلِكٍ غير مسلم للمسلمين مُلكاً وغنيمه ، ولهم أن يُطالِبُوا به حتى يُحْزَوْه ، كما يُطالِبُ المُسلِبُ ثوبَهُ ^(٣) بِثَوْبِهِ ، والمأخوذ ماله بما غلب عليه منه ^(٤) .

وقال أهل المعاني ^(٥) : معنى قوله : ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ ؛ أي مَنْ تَشَاءُ أن تُؤْتِيَهُ ، وكذلك ^(٦) ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ ؛ أي مَنْ تَشَاءُ أن تنزعه ، إلا أنه حذف ؛ لأن في الكلام ما يدل عليه .

قال الفراء ^(٧) : ومثله : قولك : خذ ما شئت ؛ أي ما شئت أن تأخذه . وكذلك ^(٨) قولك : إن شئت ؛ فقم ، وإن ^(٩) شئت ؛ فلا تقم ^(١٠) ، وكذلك قوله :

(١) في (ج) : (كلما) .

(٢) في (ج) : (ملكه) ، في (د) : (ملكته) .

(٣) في (ب) : (المغلوب لوبه) .

(٤) ولكن لفظ (الملك) هنا عام ، ولا دليل على تخصصه ، ولذا يقول ابن عطية في المحرر الوجيز ٦٥ / ٣ :

«والصحيح : أنه مالك الملك كله مطلقاً في جميع أنواعه» ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٧ / ٨ .

(٥) هذا قول الزجاج في معاني القرآن ٣٩٧ / ١ ، وانظر في هذا المعنى : معاني القرآن للفراء ٢٠٤ / ١ ، والطبري ٢٢٢ / ٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٧٩ / ١ .

(٦) في (د) : (كذلك) .

(٧) في معاني القرآن ٢٠٤ / ١ . نقله عنه بتصريف واختصار .

(٨) من قوله : (وكذلك . . .) إلى (. . . فلا تقم) : ساقط من (ج) .

(٩) في (ب) : (إن) .

(١٠) أي إن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن لا تقوم فلا تقم .

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. [فهذا بين أنَّ^(١) المشيئة واقعة على الإيَّان والكفر ، وهما متروكان^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَتُعَزُّ مَنْ شَاءَ﴾ ، قال ابن عباس^(٣) : يريد المهاجرين والأنصار ، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ شَاءَ﴾ ؛ يريد الروم وفارس ، وقيل^(٤) : ﴿وَتُعَزُّ مَنْ شَاءَ﴾^(٥) : محمداً^(٦) وأصحابه ، حتى دخلوا مكة ظاهرين عليها ، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ شَاءَ﴾ : أبا جهل وأصحابه ، حتى حُزَّتْ^(٧) رؤوسهم وألقوا في القليب . ويدخل تحت هذا كلُّ ما به يُعزُّ الله ويذل ، من الإيَّان والكفر ، والتوفيق والخذلان وأشباهاها^(٨) .

-
- (١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (فهذا فيه) . والمثبت من (ج) و(د) ، معاني القرآن .
- (٢) في (ج) : (واقعان) . والمعنى ؛ أي من شاء الإيَّان ، فليؤمِّنْ ، ومن شاء الكُفْر فليكفر . فوقعت المشيئة على الإيَّان والكفر ، وتركاً ولم يذكر في الآية .
- (٣) لم أهدت إلى مصدر قوله ، وقد ورد هذا القول عن عطاء ، كما في تفسير الثعلبي ٣/ ٣٢٢ ب ، وتفسير البغوي ٢/ ٢٣ .
- (٤) لم أهدت إلى قائل هذا القول ، وقد ورد في المصادر السابقة مصدراً بلفظ : (قيل) .
- (٥) في (أ) و(ب) و(ج) : (تعز) من دون واو . والمثبت من (د) .
- (٦) في (أ) : (محمد) . والمثبت من (ب) و(د) ، ومن المصادر السابقة .
- (٧) في (د) : (جرت) .
- (٨) في (د) : (وما أشبهاها) .

وقوله تعالى: ﴿يَدْرِكُ الْخَيْرُ﴾ ؛ أي الخير والشر ، فاكتفى بالخير ؛ لأن الرغبة إليه فعل الخير بالعبد دون الشر^(١) ، وهذا كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ﴾ **الْحَرَّ** [النحل: ٨١] ؛ أي [تقيكم]^(٢) الحرَّ والبرد .

وقال ابن عباس في تفسير ﴿الْخَيْرُ﴾ هاهنا^(٣) : إنه عزُّ الدنيا والآخرة .

٢٧. قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ ، الإيلاج في اللغة^(٤) : الإدخال .
والتَّوَلُّجُ : الدخول . يقال : (وَلَجَ) ، (وُلُوجًا) ، و(لَجَةً) [و]^(٥) (وَلَجًا) ، و(اتَّلَجَ ، اتَّلَجًا) ، و(تَوَلَّجَ ، تَوَلَّجًا)^(٦) .

(١) قال الحدادي : «وهذا من باب الاختصار على أحد طرفي الكلام ، وهذا مطرد في كلام العرب» ، انظر : المدخل لعلم تفسير كتاب الله للحدادي ٣٠٦ . وقال الزخشري مبيناً العلة في ذلك : «قلت : لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين ، وهو الذي أنكرته الكفرة ، فقال : ﴿يَدْرِكُ الْخَيْرُ﴾ توثيقه أوليائه على رغم أعدائك ؛ ولأن كل أفعاله - تعالى - من نافع وضار ، صادر عن الحكمة والمصلحة ، فهو خير كله ، كإتياء الملك ونزعه» الكشف ١/ ٤٢٢ ، وانظر : غرائب التفسير للكرماني ١/ ٢٤٩ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٣) لم أهتد إلى مصدر قوله : والذي في تنوير المقباس المنسوب إليه ٤٥ : «يدرك الخير : العز والذل والملك والغنيمة والنصرة والدولة» .

(٤) (في اللغة) : ساقط من (د) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٦) انظر (ولج) : في تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٤٩ ، والصحاح ١/ ٣٤٧ ، واللسان ٨/ ٤٩١٣ ، وتاج العروس ٥٠٩/ ٣ . والمصدر الذي ذكره المؤلف ، وهو : (وَلَجًا) ، لم أعثر عليه في ما رجعت إليه من مصادر اللغة ، وورد في تفسير الطبري ٣/ ٢٢٣ .

قال الشاعر :

فإنَّ القوافي يتَلَجَّنَ موالِجاً تضايقُ عنه أن تَوَلَّجَهُ^(١) الإبر^(٢)
وفي التنزيل : ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ﴾ [الأعراف: ٤٠] ، والوليَّجَةُ : الدَّخِيلَةُ ،
والبطانة^(٣) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦] .

ومعنى الآية : تجعل ما نقص من أحدهما ، زيادة في الآخر ، في قول جميع
المفسرين^(٤) .

(١) في (ب) : (تلجه) .

(٢) في (أ) و(ب) : (الأبرار) . والمثبت من (ج) و(د) ؛ نظراً لاتفاق مصادر البيت كلها عليه ؛ ولاتفاقه مع
الروي الذي قبله . والبيت لطرفة بن العبد ، وهو في ديوانه ٤٧ . وورد منسوباً له في مجاز القرآن ١ / ٢٥٤ ،
و٢ / ١٤٢ ، والبيان والتبيين ١ / ١٧٠ ، والخصائص ١ / ١٤ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ١٤٧ ، والمتع
لابن عصفور ١ / ٣٨٦ ، والمقاصد النحوية ٤ / ٥٨١ ، والتصريح ٢ / ٣٩٠ . وورد غير منسوب في
المصادر الآتية : تفسير الطبري ٢٢ / ٥٩ ، وتهذيب اللغة (ولج) ٤ / ٣٩٤٩ ، والمخصص ١٤ / ١٨٣ ،
وشرح المفصل ١٠ / ٣٧ ، واللسان (ولج) ٨ / ٤٩١٣ ، وتاج العروس (ولج) ٣ / ٥١٠ . وروايته في
الديوان ، وتفسير الطبري : (رأيت القوافي . . .) . وفي الديوان : (تَضَيَّقُ) . وفي بعض المصادر : (تضايق
عنها) ، وفي تهذيب اللغة : (أن تولجه الأمر) . و(القوافي) : جمع قافية ، وهي آخر حرف في بيت الشعر ،
الذي تبنى عليه القصيدة ، وأراد هنا القصيدة . و(تَتَلَجَّنَ) ، أصلها : تَوَلَّجَنَ ، ثم قُلبت الواو تاءً ،
وأدغمت في التاء التي بعدها ، وهو صيغة افتعال من (الولج) ، وهو الدخول . و(الموالج) : جمع
(مَوْلَجٍ) ، وهو المَدْخُلُ ، و(تَوَلَّجَهُ) : أصلها تتولجه ؛ أي تدخل إلى مكانه . والمعنى : أن قصائده -وهي
هنا قصائد هجائه- تبلغ من التأثير في المهجور نفسه مواضع عميقة ودقيقة ، لدرجة أن رؤوس الإبر لا
تستطيع أن تلجها ، وتدخل إلى أماكنها . والشاهد هنا : ورود كلمات (يتَلَجَّنَ) و(تَوَلَّجَهُ) ، فالأولى دلالة
على ما ذكره المؤلف من ورود فعل (اتَّلَجَ) ، والثانية على ما ذكره من ورود المصدر (التَّوَلَّجَ) وفعله
(تَوَلَّجَ) .

(٣) انظر (ولج) : في الصحاح ١ / ٣٤٨ ، والقاموس : ٢٠٩ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ١ / ٩٠ ، وتفسير الطبري ٣ / ٢٢٣ ، وتفسير البغوي ٢ / ٢٣ .

وذكر ابن الأنباري^(١) قولاً آخر ، وهو : أن المعنى : تدخل أحدهما في الآخر ؛ يأتيانه به^(٢) بدلاً^(٣) منه . قال : وذلك أن الليل إذا^(٤) دخلت ظلمتُهُ ، وظهرت نجومُهُ وقمرُهُ ، كان النهار داخلاً فيه ، ومستتراً تحته ، وكذلك^(٥) النهار ، إذا دخل ضوءُهُ ، وطلعت شمسُهُ ، كان الليل داخلاً فيه ، ومستتراً تحته^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . أكثر المفسرين على أن معناه : تخرج الحيوان من النطفة ، وتخرج النطفة من الحيوان^(٧) .

وقال الكلبي^(٨) : « تخرج الفرخ من البيضة ، وتخرج البيضة من الطير » وهذا كالأول ؛ لأن البيضة للطير بمنزلة النطفة لسائر الحيوانات^(٩) .

(١) لم أهتم إلى مصدر قوله .

(٢) (به) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٣) في (ج) : (وبدلاً) .

(٤) في (ج) : (لما) .

(٥) من قوله : (وكذلك ...) إلى (...) ومستتراً تحته) : ساقط من (د) .

(٦) ورد عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قول آخر ، وهو أنه يأخذ الصيف من الشتاء ، ويأخذ الشتاء من الصيف . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٢٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٢/ ٢٦ ، ونسب إخراجَه لعبد بن حيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وأورد عنه السيوطي في المصدر السابق رواية أخرى ، هي أنه قَصَر أيام الشتاء في طول ليله ، وقَصَر ليل الصيف من طول نهاره . ونسب السيوطي إخراجَه كذلك لسعيد بن منصور ، وابن المنذر . انظر : تفسير ابن مسعود ، إعداد : محمد العيسوي ٢/ ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٣/ ٢٢٤ ورَجَّحه ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، والمحرق الوجيز ٣/ ٦٨ .

(٨) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٣٣ ب ، وتفسير البغوي ٢/ ٢٤ ، وقال به عكرمة ، كما في تفسير الطبري ٣/ ٢٢٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٢٨ ، والمصادر السابقة .

(٩) في (د) : (الحيوان) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء ، والحسن^(١) : «تخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن . والمؤمن حيّ الفؤاد ، والكافر ميّت الفؤاد» . دليله قوله : ﴿أَوْمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا﴾^(٢) [الأنعام : ١٢٢] .

وفي (الميت) قراءتان : التشديد ، والتخفيف^(٣) . والتشديد الأصل ؛ لأنه في الأصل : (مَيِّت) ، فلما اجتمعت الواو والياء^(٤) ، وسبقت^(٥) إحداهما بالسكون ، قُلبت الواو ياءً^(٦) ، وأدغمت الياء فيه^(٧) . ومن خَفَفَ : حَذَفَ الواو

(١) لم تذكر المصادر التي رجعت إليها هذه الرواية عن ابن عباس ، وإنما عزت القول للحسن وعطاء ، فالرواية عن الحسن وردت في تفسير عبدالرزاق ١١٧/١ ، وتفسير الطبري ٢٢٥/٣ ، وتفسير الثعلبي ٣٣٣/٣ . وعن الحسن وعطاء وردت في تفسير البغوي ٢/٢٤ ، وزاد المسير ١/٣٧٠ . وقال ابن الجوزي في الزاد بعد أن ذكر هذا القول : «رَوَى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس ، وهو قول الحسن وعطاء» .

(٢) روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله : أَنَّ خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث دخلت على الرسول ﷺ ، وهو عند بعض نسائه ، فقال : «من هذه ؟» قيل : إحدى خالاتك يا رسول الله . قال : «إِنَّ خالاتي بهذه البلدة لغرائب ، فمن هي ؟» قيل : خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث . فقال : «سبحان الله ! يخرج الحي من الميت» . أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١١٧/١ ، والطبري ٣/٢٢٦ ، وابن أبي حاتم ٢/٦٢٦ ، وابن سعد في الطبقات ٨/٢٤٨ من رواية أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة رضي الله عنها ، وأورده السيوطي في الدر ٢/٢٧ ، ونسب إخراج لابن مردويه .

(٣) القراءة بالتشديد ؛ أي ﴿أَلْمَيَّتْ﴾ ، قراءة حفص عن عاصم ، وحمزة ، ونافع ، والكسائي . والقراءة بالتخفيف ؛ أي (الميت) قراءة أبي بكر عن عاصم ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر . انظر : السبعة ٢٠٣ ، والحجة للفارسي ٣/٢٥ ، والتبصرة ٤٥٧ .

(٤) في (ج) : (الياء والواو) .

(٥) في (ج) : (سبقت) .

(٦) ياء : ساقطة من (ج) .

(٧) هذا مذهب البصريين ، أما مذهب الكوفيين ، فعندهم أن (مَيِّت) ، أصلها : (مَوِيَّت) ، على وزن : (فَعِيل) ، وذهب آخرون إلى أن أصلها : (فَيَعَل) ، بفتح العين ، وفي المسألة نقاش حول أصل هذه الكلمة . انظر : كتاب العين ٨/١٤٠ ، وتهذيب اللغة (مات) ٤/٣٣٢١ ، والإنصاف للأنباري : ٦٣٩ ، والكشف لمكي ١/٣٤٠ .

التي ^(١) أُعِلَّتْ في التشديد بالقلب ^(٢) ، فَأَعِلَّتْ ^(٣) الواوُ في التخفيف بالحذف ، كما أُعِلَّتْ في التشديد بالقلب .

وقول من قال : إن (المَيْت) بالتخفيف : الذي قد مات ، وبالتشديد : الذي لم يمت بعد ^(٤) ، ليس ^(٥) بشيء ؛ لأنه قد ورد في الشعر على عكس قوله .

أنشد أبو العباس ^(٦) لابن ^(٧) الرَّعْلَاءِ الغَسَّانِي ^(٨) .

لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَا حَ بَمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيْبًا كَاسْفًا بِالْهُ ^(٩) قَلِيلَ الرَّخَاءِ ^(١٠)

(١) في (ج) : (والتي) .

(٢) قوله : (أُعِلَّتْ) ، من (الإعلال) ؛ وهو تغيير حرف العلة للتخفيف ؛ بالقلب ، أو الحذف ، أو الإسكان . انظر : شرح الشافية ٦٦ / ٣ .

(٣) من قوله : (فَأُعِلَّتْ . . .) إلى (. . . في التشديد بالقلب) : ساقط من (ج) .

(٤) نُقِلَ هذا القول عن أبي حاتم السجستاني ، كما في الخزانة ٥٢٩ / ٦ ، ولم أَعثر على من قال به غيره ، إِلَّا مَا نقله الجوهري عن الفراء : «يقال لمن لم يَمُتْ : إنه مائت عن قليل ، ومَيِّت ، ولا يقولون لمن مات : هذا مائت . الصحاح (موت) ٢٦٧ / ١ .

(٥) في (ب) : (وليس) .

(٦) لم أهتمد إلى مصدره ، وهكذا ورد في النكت والعيون ٣٨٥ / ١ .

(٧) في النسخ جميعها : (لأبي) ، والمثبت هو الصواب .

(٨) في (أ) : غير واضحة . وفي (ب) : (لأبي يعلى الفسافي) . والمثبت من (ج) و(د) ، وهو الصواب ، عَدِي بن الرَّعْلَاءِ الغَسَّانِي ، والرَّعْلَاءُ هي أُمُّهُ . وهو شاعر جاهلي . انظر : معجم الشعراء ٨٦ ، والخزانة ٥٨٦ / ٩ ، والأعلام ٢٢٠ / ٤ .

(٩) (باله) : ساقط من (ج) .

(١٠) وردا منسوبين له في المصادر الآتية : الأصمعيات للأصمعي ١٥٢ ، ومعجم الشعراء للمرزباني (ط ٢ ، و ١٩٨٢ م ، ن : مكتبة القدسي) : ٢٥٢ ، والنكت والعيون ٣٨٥ / ١ ، ولكن فيه : (لابن الرعلاء القلابي) ، والبيان للأنباري ١٩٨ / ١ ، واللسان (موت) ٤٢٩٥ / ٧ ، وشرح شواهد المغني ٤٠٥ / ١ ، و ٨٥٨ / ٦ ، والخزانة ٥٣٠ / ٩ ، و ٥٨٣ / ٩ .

كما وردا غير منسوبين في المصادر الآتية : معاني القرآن للأخفش ١٥٥ / ١ ، والبيان والتبيين =

فهذا بين أن الأمر فيهما سواء .

وقوله تعالى : ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . قال الزَّجَّاج^(١) ؛ أي بغير تقتير . وهذا مستعمل في اللغة ، يقال : فلان ينفق بغير حساب ؛ أي يُوسّع في النفقة ، فكأنه لا يحسب ما ينفقه .

وقال الحسن^(٢) ، والربيع^(٣) ؛ أي بغير^(٤) نقصان ؛ وذلك ؛ لأنه غير متناهي المقدور ، فما يؤخذ منه^(٥) لا ينقصه ، ولا هو على حساب جزءٍ من كذا وكذا^(٦) جزءاً^(٧) ، فهو بغير حساب التجزئة .

للمجاهد ١/١٣٢ ، والعقد الفريد ٥/٤٩١ ، وتهذيب اللغة (موت) ٤/٣٣٢١ ، والمنصف ٢/١٧ ،
و ٣/٦٢ ، والصراح (موت) ١/٢٦٧ ، وأملی ابن الشجري ١/٢٣٢ ، ورسالة الصاهل والشاحج
٥٢٢ ، وشرح المفصل ١٠/٦٩ ، والبحر المحيط ١/٤٨٦ ، والمغني ١/٦٠١ ، ومنهج السالك
٢/١٦٩ . وقد نسبنا لصالح بن عبدالقدوس ، في الحماسة للبحري (ضبط وتعليق : كمال مصطفى ،
ط ١ ، ون : المكتبة التجارية) ٣٤٠ ، ومعجم الأدباء ٣/٤٢٠ . وردت روايته في الأصمعيات : (. . .
ذليلاً سيئاً . . .) ووردت (الرجاء) بالجمع ، بدلاً من (الرخاء) بالخاء في المصادر كلها ما عدا معجم
الشعراء ، وخزانة الأدب ٩/٥٨٣ ، وهي موافقة لما أورده المؤلف هنا و(الرخاء) : اسم من (رَخِيَ
العيش) ، و(رَخَوْ) : إذا اتَّسع . و(كاسفاً بأله) ، من (كسفت) إذا ساءت ، والبال : الحال . والشاعر
يقول : بأن من لم يمت في الحرب ، فإنه يعيش في ذلٍّ ، وسوء حال ، وخزي ، فحياته في الحقيقة ليست
إلاً موتاً . والشاهد : استعمال (ميت) و(ميت) بمعنى واحد .

(١) في معاني القرآن ١/٣٩٥ ، ونقله عنه بتصريف يسير جداً . انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة
١٠٣ .

(٢) لم أهتم إلى مصدر الأثر عنه .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣/٢٢٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٢٨ .

(٤) في (ج) : (تغير) .

(٥) في (ج) : (مثله) .

(٦) في (ب) : (ولا كذا) .

(٧) (جزاء) : ساقطة من (ج) .

وقيل معناه^(١) : بغير حساب الاستحقاق ؛ لأنه يرزق ويعطي تفضلاً لا استحقاقاً .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ ، قال ابن عباس^(٢) : نزلت الآية في قوم من المؤمنين ، كانوا^(٣) يباطنون اليهود ويوالونهم^(٤) .

وقال المُقاتِلان^(٥) : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة^(٦) ، وغيره ممن كانوا يوالون كفار مكة .

-
- (١) لم أهتم إلى قائل هذا القول .
- (٢) قوله في تفسير الطبري ٢٢٨/٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/٣٤ أ ، وأسباب النزول للواحدي : ١٠٤ ، وتفسير البغوي ٢/٢٥ ، وزاد المسير ١/٣٧١ ، ولباب النقول للسيوطي ٥٢ .
- (٣) (كانوا) : ساقطة من (ج) .
- (٤) في (أ) و(ب) و(ج) : (يتوالونهم) ، والمثبت من (د) . وتفسير (الوسيط) للمؤلف (تح : بالطيور) ١٨٧ .
- (٥) في (أ) و(ب) و(د) : (مقاتلان) . والمثبت من (ج) وهو الصواب ؛ لموافقه لما في تفسير الثعلبي ٣/٢٤ ؛ والمقاتلان هما مقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حيان ، وقد أخرج لهما الثعلبي في تفسيره ، وجعلهما من مصادره . انظر : تفسيره ١/٧ ب ، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره : ١/٢٧٠ . ويبدو أن الواحدي نقل القول عنها من تفسير الثعلبي ١٣٤ أ ، وقد أورد البغوي في تفسيره ٢/٢٥ قول مقاتل ، ولم يُعَيِّنْ مَنْ منها . ونص على ورودها عنها ابن الجوزي في زاد المسير ١/٣٧١ ، وقال : « هذا قول المقاتلين ؛ ابن سليمان ، وابن حيان » .
- (٦) هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو اللخمي ، صحابي ، أصله من اليمن ، وكان حليفاً للزبير ، شهد بدرًا ، وهو الذي كاتب أهل مكة يخبرهم بتجهز رسول الله ﷺ لغزوهم ، مُريدًا بذلك أن يتخذ عند الكفار يدًا يحمي بها أهله الذين في مكة ، حيث لا عشيرة له بها تحميهم ، وقد قبل النبي ﷺ عذره . وقد أنزل الله فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ . [المتحنة : ١] ، توفي سنة (٣٠هـ) . انظر : صحيح البخاري ٨/٦٣٣ . في كتاب التفسير . سورة المتحنة ، والاستيعاب ١/٣٧٤ ، والإصابة ١/٣٠٠ .

قال الفرّاء^(١): ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: نهْيٌ؛ فُجُزِمَ على ذلك. ولو رُفِعَ على الخبر كقراءة من قرأ: (لا تضار والدّة بولدها)^(٢) لجاز.

قال الزّجاج^(٣): ويكون المعنى على الرفع: أنه من كان مؤمناً، فلا ينبغي أن يتخذ الكافر وليّاً؛ لأنّ وليّ الكافر راضٍ بكفره، فهو كافر، وقد ذكرنا معنى (الوليّ) و(المولى) في ما تقدم.

ومعنى (الأولياء) هاهنا: الأنصار، والأعوان، أو^(٤) الذين يوالونهم ويلاطفونهم بالمحبّة والقرّة.

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (من) هاهنا معناه: ابتداء الغاية، على تقدير^(٥): لا تجعلوا ابتداء الولاية مكاناً دون المؤمنين^(٦). وهذا^(٧) كلام جرى على المثل في المكان، وهو كما تقول: زيدٌ دونك؛ لست تريد: أنّه في موضعٍ

(١) في معاني القرآن له ٢٠٥ / ١ نقله عنه بالمعنى.

(٢) وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿تُضَاكَرُ﴾، بفتح الرّاء المشددة. انظر: الحجة لابن زنجلة ١٣٦، وتحاف فضلاء البشر ٤٤٠ / ١. والقراءة بجزم ﴿لَا يَتَّخِذُ﴾، قراءة الجمهور، وقرأ المفضل الضبيّ برفع الذال، وأجاز الكسائي الرفع على الخبر، والمراد به النهي. انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٢٠ / ١، والتبيان للعكبري ١٨٣ / ١، والبحر المحيط ٤٢٢ / ١.

(٣) في معاني القرآن له ٣٩٥ / ١، ونقله عنه نصّاً.

(٤) (أو): ساقطة من (ج). وفي (د) و(و).

(٥) (تقدير): ساقطة من (ب).

(٦) والتقدير بعبارة أوضح: لا تجعلوا ابتداء الولاية من مكان من دون مكان المؤمنين. وكون (من) لابتداء الغاية، هو الوجه الأظهر، والوجه الآخر: أن (من) في موضع نصب، صفة للأولياء. وقال سليمان الجمل: «إنها في محل الحال من الفاعل». انظر: التبيان للعكبري ١٨٣ / ١، والبحر المحيط ٤٢٣ / ٢، والدر المصون ١٠٧ / ٣، والفتوحات الإلهية للجمل ٢٥٨ / ١.

(٧) من قوله: (وهذا...) إلى (... مكان المؤمنين): نقله عن معاني القرآن للزّجاج ٣٩٦ / ١ مع اختلافٍ يسير جداً بين النصين.

مُسْتَفِيلٌ^(١)، وأنتك في موضع مرتفع، ولكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، وجعلت الحِسَّة كالاستفال^(٢) في المكان.

والمعنى^(٣): أَنَّ المكان المرتفع في باب الولاية مكان المؤمنين، ومكان الكافرين الأدنى. فهذا معنى ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وتحقيق له.

والتأويل: أولياء من غير المؤمنين وسواهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ أي غير الله. وقد مرَّ.

وقد ثبت بهذه الآية تحريم موالاة الكافرين. والله - تعالى - قد قطع بيننا وبينهم أصل الموالاة.

قال ابن عباس في هذه الآية^(٤): نهى الله - سبحانه - المؤمنين أن يلاطفوا الكفار في آيات كثيرة، منها قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقوله: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾^(٥) [المائدة: ٥١].

(١) (مستفل): وردت في معاني القرآن مستقل، وما أورده المؤلف هنا هو الصواب؛ لمناسبتها لسياق الكلام. و(التسفل)، نقيض التعلّي، انظر: التاج (سفل) ١٤/ ٣٤٧.

(٢) كالاستفال: وردت في معاني القرآن: (كالاستقبال)؛ ولا وجه لها، والصواب ما أثبتته المؤلف.

(٣) في (ج): (فالمعنى)، وفي (د): (والمكانى).

(٤) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٢٢٧، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٢٨، وأورده السيوطي في الدر ٢/ ٢٨ ونسب إخراجهم كذلك لابن المنذر. ونهاية قول ابن عباس إلى (... الكفار)، أما الآيات القرآنية، فهي من إلحاق المؤلف الواحدي تفسيراً لقول ابن عباس.

(٥) قال ابن عطية: «ولفظ الآية عام في جميع الأعصار»، وقال أبو حيان: «وظاهر الآية تقتضي النهي عن موالاة الكفار إلا ما فُسح لنا فيه من اتّخاذهم عبيداً، والاستعانة بهم استعانة العزيز بالذليل، والأرفع بالأوضع، والنكاح فيهم». المحرر الوجيز ٣/ ٧١. وذكر سلميان الجمل أن ترك موالاة المؤمنين يصدق بصورتين؛ إما أن تقصر الموالاة على الكافرين، أو أن يُشرك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة، وكلا الصورتين داخلتان في منطوق النهي، فموالاة الكافرين ممنوعة، استقلاً أو اشتراكاً مع المؤمنين. انظر: الفتوحات الإلهية ١/ ٢٥٨. والبحر المحيط ٢/ ٤٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ؛ أي اتخذ الأولياء منهم^(١).

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ ؛ أي من دين الله ، فحذف الدين اكتفاءً بالمضاف إليه ، والمعنى : أنه قد برئ من الله ، وفارق دينه ، ثم استثنى ، فقال : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْ مِنْهُمْ تَقِيَّةً﴾ . ذكرنا معنى الالتقاء وحقيقته في قوله : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] . و(التَّقَاة) هاهنا مصدر ، ووزنها : فُعَلَة ، مثل : (تُحَمَّة) ، و(تُؤَدَّة) ، و(تُكَأَة) ، و(تُهِمَّة) . والتَّاء في كل هذا مبدلة من الواو^(٢) ، ويقال^(٣) : (تَقِيَّتُهُ تَقَاةً ، وَتَقَى ، وَتَقِيَّةً ، وَتَقَوَى) . وإذا قلت^(٤) : (اتَّقَيْت) ، كان مصدره (الالتقاء)^(٥) .

(١) (اتخاذ الأولياء منهم) : ساقط من (د) .

(٢) انظر : تفسير البسيط : (تح : د . الفوزان) ٤٨ / ٢ ، وكتاب سيبويه ٣٣٣ / ٤ ، وصر صناعة الإعراب ١٤٥ / ١ - ١٤٨ ، وشرح الشافية ٨٠ / ٣ - ٨٣ ، والمتع في التصريف ٣٨٣ / ١ . ومعنى (تُحَمَّة) : ما يصيب الإنسان من الطعام ، إذا استقله ولم يستمره . وهي مأخوذة من (الْوَحَامَة) . و(تُؤَدَّة) بالتسكين والفتح : الثاني والتمهل ، وأصلها (وُأَدَّة) . و(تُكَأَة) : ما يُتَكَأُ عليه ، و(رجل تُكَأَة) : كثير الإتكاء ، وأصلها : (وُكَأَة) . و(تُهِمَّة) الظنُّ ، أصلها (الْوُهْمَة) ، من الوهم ، وهو الظن . اللسان (وخم) ٤٧٩١ / ٨ ، و(وَأَد) ٤٧٤٥ / ٨ ، و(وُكَأ) ٤٩٠٤ / ٨ ، و(وهم) ٤٩٣٣ / ٨ .

(٣) من قوله : (ويقال . . .) إلى نهاية بيت الشعر (. . . احتقاراً) : نقله بتصرف عن تفسير الثعلبي ٣٤ / ٣ ب .

(٤) في (ج) : (قلبت) .

(٥) انظر : إصلاح المنطق ٢٤ ، انظر (وقى) : في تهذيب اللغة ٣٩٤١ / ٤ ، والصحاح ٢٥٢٧ / ٦ ، واللسان ٤٩٠١ / ٨ .

وإنما قال : (تَتَّقُوا) ؛ من : الاتِّقَاء ، ثم قال : (تُقَاتِلْ) ، ولم يقل : اتَّقَاء ؛ لأن العرب قد تَذَكَّر المصدرَ من غير لفظ الفعل ، إذا كان ما ذُكِر من المصدر يوافق^(١) مصدر الفعل المذكور ، فيقول : التقيت فلاناً لقاءً حسناً ، قال القُطامي^(٢) :

وليس بأنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعاً^(٣)

وقال أيضاً :

ولاحَ بجانبِ^(٤) الجبلينِ منه ركامٌ يَحْفِرُ الثُّرْبَ^(٥) احتفارا^(٦)

(١) في (ج) : (موافق) .

(٢) هو عمير بن شُيْمٍ الثَّغَلِي ، تقدمت ترجمته .

(٣) عجز بيت ، و صدره :

وخيرُ الأمر ما استقبلتَ منه

وهو في ديوانه ٣٥ ، وكتاب سيبويه ٨٢ / ٤ ، وأدب الكاتب ٦٣٠ ، والشعر والشعراء ٧٢٨ / ٢ ،

والمقتضب ٢٠٥ / ٣ ، والأصول في النحو ١٣٤ / ٣ ، وشرح المفصليات لابن الأنباري ٣٥٢ ،

والخصائص ٣٠٩ / ٢ ، والاقتضاب ٤٧٧ ، وشرح أدب الكاتب ٣٠٥ ، وأمالي ابن الشجري

١٤١ / ٢ ، ووضح البرهان ٢٣٩ / ١ ، وشرح المفصل ١١١ / ١ ، وخزانة الأدب ٣٦٩ / ٢ .

ومعنى البيت : أن خير الأمور ما تدبرته في أوله فعرفت إلام تنتهي عاقبته ، وشر الأمور ما ترك النظر

في أوله ، وتَتَّبَعَتْ أو آخره بالنظر .

والشاهد فيه : أنه أتى باتباعاً مصدراً للتَّبَع ؛ لأن معناهما واحد .

(٤) (من جانب) .

(٥) (الثوب) .

(٦) لم أقف عليه في ديوان القطامي ، وأورده الثعلبي في تفسيره ٣٤ / ٣ ب ، ونسبه للقطامي ، وبين أنه

يصف غَيْثاً ، وأورده أبو حيان في البحر المحيط ٢ / ٤٢٤ .

وقال بعض النحويين^(١) : (تقاء) اسمٌ وضع موضع المصدر^(٢) ، كما يقال :
(جَلَسَ جَلْسَةً) ، و(رَكِبَ رَكْبَةً)^(٣) ، وكما قال :

وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرَّتَاعَا^(٤)

فأجراه مجزئ الإعطاء^(٥) .

- (١) لم أهدت إلى القائل ، وقد ذكره أبو حيان في البحر ٢ / ٤٢٤ ، والحلي في الدر ٣ / ١١١ عند بيان نصب (تقاء) على الحال كما سيأتي .
- (٢) أي على تقدير : إلا أن تتقوا منهم اتقاءً ، فيكون مفعولاً مطلقاً .
- (٣) (جَلَسَ) : اسم للمرة ، و(جَلْسَةً) : اسم للهيئة ، وهكذا (رَكْبَةً) و(رَكْبَةً) . يقول ابن مالك في صياغة اسم المرة والهيئة من الثلاثي :
و(فَعْلَةً) لمرة كَجَلْسَةٍ و(فَعْلَةً) لهيئة كَجَلْسَةٍ
- (٤) عجز بيت ، وصدره :

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِي

- وهو للقطامي في ديوانه ٣٧ ، وكما ورد في الشعر والشعراء ٢ / ٧٢٧ ، والخصائص ٢ / ٢٢١ ، والأصول في النحو ١ / ١٤٩ ، وأمل في الشجري ٢ / ٣٩٦ ، واللسان (سمع) ٨ / ١٦٣ ، و(زهف) ٩ / ١٤١ ، و(عطا) ١٥ / ٦٩ ، و(غنا) ١٣٨ ، وشرح شذور الذهب ٤١٢ ، والمقاصد النحوية ٣ / ٥٠٥ ، و٤ / ٢٩٥ ، ومنهج السالك ٢ / ٢٨٨ ، وشرح شواهد المغني ٢ / ٨٤٩ ، والهمع ٣ / ١٠٣ ، ومعاهد التنصيص ١ / ١٧٩ ، والتصريح ٢ / ٦٤ ، والخزانة ٨ / ١٣٦ ، و١٣٧ ، والدرر ١ / ١٦١ .
- والشاعر يمدح في البيت زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكَلَابِيَّ بعد أن مَنَّ عليه بإطلاق أساره من قبيلة قيس ، التي كانت تنوي قتله ، وأعطاه مائة من الإبل . وقوله : (أَكْفَرًا) استفهام إنكاري ؛ أي لا أخونك بعد أن أُنْقَذْتُني من الموت ، وأعطيتني مائة من الإبل الرتاع ؛ أي الراعية . والشاهد فيه : إعمال اسم المصدر : وهو (عطاء) عمل المصدر ، وهو (إعطاء) ، ولذا نصب به المفعول ، وهو (المائة) .
- (٥) اسم المصدر المأخوذ من حدث لغيره ، كالثواب ، والكلام ، والعطاء ، منع البصريون إعماله ، إلا في الضرورة ، وأجاز إعماله الكوفيون والبغداديون قياساً ؛ إلحاقاً له بالمصدر . واستثنى الكسائي إمام الكوفيين ثلاثة ألفاظ ، هي : (الخبز) و(الدهن) و(القوت) ، فإنها لا تعمل ، فلا يقال : عجبت من خبزك الخبز ، ولا من دهنك رأسك ، ولا من قوتك عيالكَ ، وأجاز ذلك الفراء ، لما حكاه عن العرب مثل : أعجبني دهن زيد لحيتَه . انظر : همع الهوامع ٢ / ٩٤ ، ٩٥ .

قال : ويجوز أن تجعل (تقاة) هاهنا مثل : (رُماة) ، فتكون حالاً مؤكدة^(١) .

قال المفسرون^(٢) : هذا في المؤمن ، إذا كان في قوم كفّار ، ليس فيهم غيره ، وخافهم على نفسه وماله ، فله أن يخالفهم^(٣) ، ويُداريهم باللسان ، وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه^(٤) ، من غير أن يستحلّ محرّماً ؛ من دم ، أو مالٍ ، أو إطلاع للكافرين على عورة^(٥) المسلمين .

قال ابن عباس في هذه الآية^(٦) : « يريد : مُدَاراة ظاهرة . والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل . وهي رخصة من الله تعالى . ولو أفصح بالإيمان ؛ حيث يجوز له التَّقِيَّةُ ، [فَيُقْتَلْ لِأَجْلِ إِيْمَانِهِ]^(٧) ، كان ذلك فضيلةً له^(٨) » .

(١) أي إنّ (تقاة) هنا جمعٌ ، حالها حال (رُماة) التي مفردُها : (رام) ، وإن لم يأت من (تقاة) لفظ (فاعل) ؛ لأنّ (فُعلة) تأتي جمعاً لفاعل الوصف المعتل اللّام . انظر : تهذيب اللغة (وقى) ٤ / ٣٩٤٠ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٢٤ ، والدر المصون ٣ / ١١١ ، والتبيان للعكبري : (١٨٤) .

(٢) من قوله : « قال المفسرون . . . » إلى « . . . عورة المسلمين » : نقله بتصريف عن تفسير الثعلبي ٣ / ٣٥ أ .

(٣) في (د) : (يخالفهم) ، وفي تفسير الثعلبي : (يتخالفهم) ، وقد أثبتَّ (يخالفهم) ؛ لورودها في النسخ الثلاث ، ولأنّها تحتلّ المخالفة القلبية ، وإلّا فإني أرجّح أن تكون (يخالفهم) ، بمعنى : يصانعهم ويعاشرهم على أخلاقهم ، وهكذا وردت عن مجاهد في تفسير الآية ، حيث قال : « إلّا مصانعة في الدنيا ، ومُخالفة » . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٢٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٢٩ .

(٤) (دفعاً عن نفسه) : ساقط من (ب) .

(٥) في (د) : (عورات) .

(٦) الوارد عن ابن عباس في المصادر التي بين يدي ما يفيد هذا المعنى ، وليس بهذا اللفظ . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٢٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٢٢٩ ، والمستدرک للحاكم ٢ / ٢٩١ ، والدر المنثور ٢ / ٢٩٠ .

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وهو مثبت من (ب) و(ج) و(د) .

(٨) قال ابن العربي : « لا خلاف في ذلك » أحكام القرآن ٣ / ١١٧٩ ، وانظر : أحكام القرآن للجصاص ٩ / ١ ، و٣ / ١٩٢ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٨٨ .

وظاهر الآية يدل على أن التقيّة إنما تحلُّ مع الكفار الغالبين ، غير أن مذهب الشافعي - رحمه الله - : [أنَّ الحالةَ بين^(١) المسلمين^(٢) ، إذا شاكلت^(٣) الحالةَ بين المسلمين والمشرّكين ، حلَّت التقيّةُ ، محاماةً عن المَهْجَةِ^(٤) .

[وأمال^(٥) الكسائي ، وحزمة ﴿تَقْنَةً﴾ هاهنا^(٦) . والقافُ حرفٌ مُسْتَعْلٍ^(٧) ، فالأحسن تركُّ الإمالة مع القاف ، كما لم يُميلوا (قادم) . و(قاة) من (تقاة) ، بمنزلة : (قادم) .

وُحْجَةٌ^(٨) من أَمالَ : أنَّ سيّويه ذكر^(٩) : أنَّ قوماً قد أَمالوا مع المستعلي ، ما لا ينبغي أن يُمالَ في القياس ؛ وذلك قولهم : رأيت غَرْقى^(١٠) . قال : وهو قليل .

- (١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وهو بياض في (ب) ، والمثبت من (ج) و(د) .
- (٢) (المسلمين) : مكانها بياض في (ب) .
- (٣) (شاكلت) ؛ أي شابهت ، وافقت . انظر : القاموس (شكل) : ١٠١٩ .
- (٤) انظر : أحكام القرآن للكتاب الهراسي ٢/ ٢٨٥ ، و ٤/ ٢٤٦ ، والأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للسيوطي ٢٠٦ ، وحاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب ٢/ ٣٩٠ .
- (٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) و(ب) و(ج) ، وأما المثبت فمن (د) .
- (٦) انظر : الحجة للفارسي ٣/ ٢٧ ، وقال : «وأمال حمزة منهم (تقاة) إشهاماً من غير مبالغة» ، حجة القراءات لابن زنجلة ١٥٩ .
- (٧) الحروف المستعلية ، هي : الخاء ، والطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد ، والغين ، والقاف . انظر : الرعاية لمكي ١٢٣ ، والتمهيد لابن الجزري ٩٠ .
- (٨) من قوله : (وحجة ...) إلى (...) أميلت التي في تقاة) : نقله عن الحجة للفارسي ٣/ ٣٠ ، ٣١ بتصرف واختصار .
- (٩) انظر : كتاب سيّويه : ٤/ ١٣٢ ، ٤/ ١٣٤ .
- (١٠) هكذا جاءت في النسخ جميعها . والذي في الحجة للفارسي ، وكتاب سيّويه (عرقا) بالعين المكسورة من : العرقة ، وهي : أصل الشيء ، وما يقوم عليه . وهي في الشَّجَر : أَرْوَمُهُ الأوسط الذي تتشعب منه العروق . انظر : اللسان (عرق) ٥/ ٢٩٠٣ . أما (عَرْقى) ، فهي جمع غريق . ويلاحظ أن سيّويه قد ذكر أن العلة في إمالة (عرقا) هي وجود الكسرة في أولها ، وليس ذاك في (عرقى) . انظر : كتاب سيّويه ٤/ ١٣٤ ، والدر المصون ٣/ ١١٢ ، ١١٣ .

وأيضاً فإنهم قد أَمَلُوا : (سَقَى) ، (وَصَغَى) ^(١) ؛ طلباً للياء التي الألف في موضعها ، فلما أَمِلَت هذه الألف مع المستعلي ، كذلك أَمِلَت ^(٢) التي في (تقاة) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ ؛ أي يخوفكم الله على موالاة الكفار عذابَ نَفْسِهِ ، وعقوبته ، فحذف المضاف ، وهو قول ابن عباس ^(٣) و(النفس) عند العرب ، عبارة عن ذات الشيء ووجوده . يقولون : هذا نفس كلامك ^(٤) . وإلى هذا ذهب أهل المعاني .

قال الزَّجَّاج ^(٥) : معنى ﴿نَفْسَكُمْ﴾ : إِيَّاه ، كأنه قال : ويحذركم الله إِيَّاه .

وقال بعضهم ^(٦) : النفس هاهنا : تعود إلى اتِّخَاذِ الأولياء من الكفار ؛ [أي] ^(٧) : ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ^(٨) .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ؛ أي من مودة الكفار ، وموالاتهم . هذا قول أكثر المفسرين ^(٩) .

(١) (سقى) و(وصغى) : ساقطتان من (د) .

(٢) (أملت) : ساقطة من (ج) .

(٣) لم أهتم إلى مصدر قوله ، اللهم إلا ما ورد في المحرر الوجيز ٧٧/٣ من قوله هو والحسن : «ويحذركم الله عقابه» ، انظر : البحر المحيط ٤٢٥/٢ .

(٤) انظر في : تهذيب اللغة (نفس) ٣٦٢٩/٤ .

(٥) في معاني القرآن له ٣٩٧/١ ، وانظر : معاني القرآن للنحاس : ٣٨٤/١ ، والمحرر الوجيز ٧٦/٣ ، والقاموس المحيط ٥٧٧ .

(٦) لم أهتم إلى هذا القائل .

(٧) ما بين المعقوفين في (أ) : غير واضح ، وفي (ب) : (أن) ، والمثبت من (ج) و(د) .

(٨) والآية من الأدلة على أن الله - تعالى - نفساً ، وهي صفة من صفاته العلية ، تليق بكماله وجلاله سبحانه . انظر : قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر لصديق خان ٦٥ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ٢٣٠/٣ ، وتفسير الثعلبي ٣٦/٣ أ ، تفسير البغوي ٢٦/٢ ، وزاد المسير ٣٧٢/١ .

وقال الكلبي^(١) : «يعني تكذيب محمد ﷺ ، يقول : إن أخفيتموه أو أظهرتم تكذيبه ، بحربه وقتاله ، يعلمه الله» .

وقال عطاء^(٢) : «يريد : الضمير ، وهذا يعم كل ما في قلب الإنسان» .

قال أهل المعاني : «لَمَّا نَهَى اللهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى عَنْ مَوَالَاةِ الْكُفَّارِ ، خَوَّفَ وَحَذَّرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ^(٣) عَنْ إِبْطَانِ^(٤) مَوَالَاتِهِمْ ؛ بَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْإِسْرَارَ ، كَمَا يَعْلَمُ الْإِعْلَانُ» .

[فإن قيل : لَمَ جاء^(٥) ﴿يَعْلَمُهُ اللهُ﴾ بالجزم ؛ على جواب^(٦) الشرط ، ولا يفتقر في علمه إلى وجود^(٧) شرطٍ متقدم ؛ كقول القائل : إن تأتني ؛ أكرمك ! ، فالإتيان سببٌ للإكرام ، ولا يجوز أن يكون الإخفاء ولا الإبداء سبباً لعلمه ، فالقول في ذلك أن المعنى يعلمه كائناً ، [ولا يعلمه اللهُ - تعالى -^(٨) كائناً ، إلا بعد كونه ، وقبل^(٩) الكون لا يوصف بأنه^(١٠) : يعلمه كائناً^(١١)] ، والتأويل : إن تبدوا ما في صدوركم ، يعلمه مبدئ ، أو تخفوه يعلمه مخفي .

(١) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٣٦١ ، تفسير البغوي ٢/ ٢٦ .

(٢) لم أهد إلى مصدر قوله .

(٣) في هذه الآية : ساقطة من (ج) .

(٤) في (ج) : (انظار) .

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) و(د) .

(٦) في (ج) : (جواز) .

(٧) في (ج) : (وجوب) .

(٨) الله تعالى : ليس في (أ) و(ب) و(د) . والمثبت من (ج) .

(٩) في (د) : (وقيل) ، والمثبت من (ج) .

(١٠) في (ج) : (لأنه) ، والمثبت من (د) .

(١١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ . رفع ^(١) على الاستئناف ؛ كقوله : ﴿فَتِلْكَ لَهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة : ١٤] ، جزم الأفاعيل ^(٢) ، ثم قال : ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ [التوبة : ١٥] ، فرفع . ومثله قوله : ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى : ٢٤] ، ورفعا ^(٣) .

وفي قوله : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، إتماماً للتحذير ؛ لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيءٌ منهما ، فكيف يخفى عليه الضمير ؟

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . تحذيرٌ من عقاب مَنْ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ .

٣٠ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ، اختلفوا في العامل في ﴿يَوْمَ﴾ ، فقال ابن الأنباري ^(٤) : اليوم معلق بـ ﴿الْمَصِيرُ﴾ ^(٥) ، والتقدير : وإلى الله المصير ، يومَ تَجِدُ .

(١) من قوله : (رفع . . .) إلى (. . . رفعا) : نقله بتصريف عن معاني القرآن للفراء ٢٠٦ / ١ .

(٢) (الأفاعيل) : ساقطة من (د) . ومعناه : جُزِمَت الأفعال الآتية في الآية : (يُعَذِّبُهُمْ) ، (يُجْزِيهِمْ) ، (ينصركم) ، (يُشْفِ) (يُذْهِبُ) .

(٣) أي هي في نيّة رفع ، مستأنفة ، غير داخلة في جزاء الشرط ؛ لأنه - تعالى - يمحو الباطل مطلقاً . وسقوط الواو لفظاً ؛ لالتقاء الساكنين في الدرج ، وسقوطها خطأ ؛ حملاً للخطأ على اللفظ . انظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشمونى ٢٤٩ .

(٤) لم أهتم إلى مصدر قوله .

(٥) (د) : (متعلق بالضمير) . يعني بـ ﴿الْمَصِيرُ﴾ : ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ . آية ٢٨ من نفس السورة .

وقال الزَّجَّاج^(١) : العامل قوله : ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ في الآية^(٢) السابقة ، كأنه قال : ويحذرُكم الله نفسه في ذلك اليوم^(٣) .

قال أبو بكر : ولا يجوز أن يكون (اليوم) منصوباً بـ ﴿وَيَحْذَرُكُمْ﴾ ، المذكور في هذه الآية ؛ لأن واو النَّسَقِ^(٤) لا يعمل ما بعدها في ما قبلها .

قال : ويجوز أن يكون (اليوم) متصلاً بـ ﴿قَدِيرٌ﴾^(٥) منصوباً به ، والتأويل : والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ في هذا اليوم .

وخصَّ هذا [اليوم]^(٦) ، وإن كان غيره من الأيام بمنزلته في قدرة الله تعالى ؛ تفضيلاً له ؛ لِإِعْظَمِ شأنه ؛ كقوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ تُحْضِرَا﴾ . يريد : بيان ما عملت ، بما يرى من صحائف الحسنات . ويجوز أن يكون المعنى : جزاء ما عملت ، بما يرى من الثواب .

(١) في معاني القرآن له ٣٩٧/١ .

(٢) من قوله : (في الآية ...) إلى (...) نفسه) : ساقط من (ج) .

(٣) ضعف أبو حيان نصب ﴿يَوْمٌ﴾ بـ ﴿أَلْمَصِيرُ﴾ ، وبـ ﴿وَيَحْذَرُكُمْ﴾ في الآية التي قبلها ؛ وذلك لأن الفاصل قد طال بين العامل والمعمول ، ويضاف إليه في النصب بـ ﴿وَيَحْذَرُكُمْ﴾ ، أن التحذير موجود ، واليوم موعود ، فلا يلتقيان ، فلا يصح عمل الفعل هنا . انظر : البحر المحيط ٤٢٦/٢ ، والبيان للعكبري ٢٥٢/١ .

(٤) أي واو العطف .

(٥) في (ج) : (تقديره) . ويعني بـ ﴿قَدِيرٌ﴾ الواردة في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . آية ٢٩ .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٧) وقيل إنَّ ﴿يَوْمٌ﴾ في آية سورة آل عمران ، منصوب بفعل مضمر ، هو (اذكر) أو (اتَّقُوا) ، وقال الزمخشري : إنَّ ناصبه هو فعل ﴿تَوَدُّ﴾ الآتي بعده . وحول هذه الوجوه نقاش ، انظر : تفسير الطبري ٢٣١/٣ ، والكشاف ٤٢٣/١ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٥٦٠/١ ، والبحر المحيط ٤٢٦/٢ ، والدر المصون ١١٤/١ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ شَيْءٍ﴾ . الأظهر: أن تجعل ﴿مَا﴾ هاهنا بمنزلة (الذي)، فيكون معطوفاً على ﴿مَا﴾ الأولى، ويكون ﴿عَمِلْتَ﴾ صلة لها . ويصلح أن تكون بمعنى الجزاء فتكون مُسْتَأْنَفَةً، وكان الأجود إذا جعلت ﴿مَا﴾ بمعنى الجزاء، أن تنصب ﴿تَوَدُّ﴾، أو تخفضه، ولم يقرأ أحدٌ إلا رفعاً، فكان هذا دليلاً [على^(١) أن ﴿مَا﴾ بمعنى (الذي)^(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ . معنى الأمد: الغاية التي يُنتهى إليها^(٣).

قال مقاتل^(٤): أي كما بين المشرق والمغرب .

وقال الحسن^(٥): يَسُرُّ أَحَدَهُمْ أَنْ لَا يَلْقَى عَمَلَهُ أَبَدًا .

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ . قد ذكرنا ما فيه^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ . قال الحسن^(٧): مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ أَنْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) و(ج) .

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٠٦/١، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢١/١، ومشكل إعراب القرآن ١٥٥/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٥٦١/١ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٣١/٣، والقاموس المحيط (أمد) ٣٣٩ .

(٤) قوله في تفسيره ٢٧٠/١ . ونصه عنده: «يعني: أجلاً بعيداً بين المشرق والمغرب» .

(٥) قوله في تفسير الطبري ٢٣١/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٣١/٢، وتفسير الثعلبي ٣٦/٣ ب، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٢، ونسب إخراج له لابن المنذر كذلك .

(٦) ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ من آية ٢٨ .

(٧) قوله في تفسير عبدالرزاق ١١٨/١، وتفسير الطبري ٢٣١/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٣١/٢، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣٨٤/١ .

٣١. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ، قال ابن عباس في رواية الضحاك^(١) : وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام ، فقال : «يا معشر قريش ، والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم» . فقالت قريش : إنما نعبد هذه حبا لله ؛ ليقربونا إلى الله . فقال الله : قل يا محمد : إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام لتتقربكم إلى الله فاتبعوني ، يُحبِّبكم الله ؛ فأنا رسوله إليكم ، وحبَّته عليكم ، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم^(٢) .

وقال في رواية أبي صالح^(٣) : إِنَّ اليهود لما قالت : نحن أبناء الله وأحباؤه ، أنزل الله - تعالى - هذه الآية ، فعرضها عليهم رسول الله ﷺ فأبوا أن يقبلوها^(٤) .

(١) قول ابن عباس في تفسير الثعلبي ٣/ ٣٦٦ أ ، أسباب النزول للواحدي ١٠٥ ، وتفسير البغوي ٢/ ٢٧ ، وزاد المسير ١/ ٣٧٣ .

(٢) هذه الرواية عن ابن عباس ، من طريق جوير عن الضحاك عنه ، كما في تفسير الثعلبي ، وأسباب النزول للواحدي . وجوير ، هو ابن سعيد ، أبو القاسم البلخي ضعيف جداً . انظر : المحروحين لابن حبان ١/ ٢١٧ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٥٤٠ ، وتقريب التهذيب : ٩٨٧ .

(٣) هذه الرواية في تفسير الثعلبي ٣/ ٣٧ أ ، وأسباب النزول للواحدي ١٠٥ .

(٤) هذه الرواية من طريق الكلبي عن أبي صالح . والكلبي - كما سبق - متهم بالكذب ، وقد رُمي بالرفض ، وقد قال لسفيان الثوري : «كل ما حدثك عن أبي صالح فهو كذب» . انظر : ميزان الاعتدال ٥/ ٢ (٧٥٧٤) ، وتقريب التهذيب ١/ ٥٩٠ ، وقد ورد في سبب نزول الآية سببان آخران : الأول : ادَّعاء أقوام في عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله تعالى ، فأنزل الله هذه الآية ؛ ليبين لهم أن علامة حبه هي اتباع النبي ﷺ . وهو قول الحسن ، وابن جريج .

الثاني : أنها نزلت ردّاً على مزاعم النصارى في ادَّعائهم ؛ أنَّ ما يقولونه عن عيسى - عليه السلام - إنها هو محبة لله وتعظيم له . فأخبرهم أن محبة الله تكون باتباع النبي ﷺ . وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير .

ورجَّح الطبري هذا القول ، قائلاً : «لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ، ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادَّعوا أنهم يحبون الله ، ولا أنهم يُعَظِّمُونَهُ» ، ولم يجزم الطبري بصحة قول الحسن السابق ، ويبيِّن أنه ليس في السورة ما يدل عليه ، إلَّا أن يراد بالقوم الذين ادَّعوا ذلك هم وفد نصارى نجران ، فيكون القولان متفقين . انظر : تفسير الطبري ٣/ ٢٣٢ .

قال أهل العلم : «معنى حَبَّة العبدِ الله : إرادته طاعته ، وإيثاره أمره ، ورضاه بشرائعه . ومعنى حَبَّة الله للعبد : إرادته لِثَوَابِهِ ، وعفوه عنه ، وإنعامه عليه^(١)» .

وقال ابن عطية : «ويُحتمل أن تكون الآية عامة لأهل الكتاب ؛ اليهود والنصارى ؛ لأنهم كانوا يَدْعُونَ أنهم يحبون الله ، ويُحِبُّهم ، ألا ترى أنهم جميعاً قالوا : ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ [المائدة ١٨] ولفظ ﴿وَأَحِبُّوهُ﴾ إنما يعطي أن الله يحبهم ، لكن يعلم أن مراده : يُحِبُّوه . انظر : المحرر الوجيز ٨٠ / ٣ . نقل القرطبي في تفسيره قريباً من هذا القول عن الأزهرى . انظر : تفسير القرطبي ٦٠ / ٤ ، وفتح القدير ٥٠١ / ١ ، وفتح البيان ٤٢ / ٢ .

وما ذكره المؤلف هنا في محبة الله - تعالى - هو ما عليه مذهب الأشاعرة ؛ حيث ينفون هذه الصفة ، وغيرها من الصفات ، عن الله تعالى ، ويعطلونها ، ويفسرونها إذا وردت في القرآن والسنة بلوازمها ومقتضياتها ، من إرادة الثواب للعبد والعفو عنه والإنعام عليه كما فعل المؤلف ، فينفون حقيقة صفة الله ، ويحرفونها ويؤوّلونها ؛ بدعوى أنها توهم النقص في الذات العلية ؛ لأن المحبة عندهم ، هي ميل القلب إلى ما يلائم الطبع ، وهذا من صفات المخلوق ، والله منزّه عن ذلك الأمر الذي دعاهم إلى تأويل صفة المحبة ، وحملها على الإرادة كما فعل المؤلف .

والذي أوقع الأشاعرة في هذا الخطأ العقدي ، هو قياسهم صفات الخالق على صفات المخلوق . ومن قواعد منهج السلف الصالح : أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فكما أن ذات الحق لا تشبه ذوات الخلق ، فكذلك صفاته .

ومن قواعدهم : أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر ، فيثبت السلف صفات الله جميعها ، ويمرئونها كما جاءت بما يليق بذاته العلية ، ولا يؤوّلونها ، ومنها : صفة المحبة . ويثبتون كذلك لوازمها من إرادة الله إكرام من يحبه وإثابته ، فالله - تعالى - يُحِبُّ ، ويُحِبُّ لذاته ، وليس فقط لثوابه ، كما قال : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة ٥٤] . وتأويل الأشاعرة - ومنهم المؤلف - لصفة المحبة بالإرادة ، إنما هو حرفٌ لحقيقة الصفة ، وصرف لها عن وجهها الصحيح ، ويقال لهم : إنّ المعنى الذي صرفتم اللفظ إليه ، هو نفس المعنى الذي صرفتموه عنه ، فالإرادة ، هي ميل الإنسان إلى ما يلائمه ، أو إلى ما ينفعه ، ودفع ما يضره ، وهي من صفات المخلوقين ، والله منزّه عن ذلك ، فإن قال الأشاعرة : إرادة تليق به ، قيل لهم : وكذلك له محبة ، وصفات تليق به ، فالسلامة والحكمة في منهج السلف .

انظر : لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢٢١ / ١ وما بعدها ، شرح العقيدة الواسطية لمحمد هراس ٤٥ ، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح آل مهدي ٤٧ / ١ ، والكواشف الجليلة عن معاني الواسطية للسلمان ١٨٣ .

٣٢. قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ، قيل : لما نزل ^(١) قوله : ﴿قُلْ
إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ الآية ، قال عبد الله بن أبي ^(٢) : إنّ محمداً يجعل طاعته
كطاعة الله ، ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى ، فنزلت هذه
الآية ^(٣) ، وبين فيها أنّ طاعة الله معلقة بطاعة الرسول ، ولا يتم لأحد
طاعة الله ، مع عصيان الرسول ؛ ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه :
«كلُّ أمرٍ أو نهْيٍ ، ثبت عن رسول الله ﷺ ، جرى ذلك في الفريضة
واللزوم مجرى ما أمر الله به في كتابه ، ونهى عنه ^(٤)» .

قال عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ، يريد :
محمداً ﷺ ، فإن طاعتكم [لمحمد طاعة] ^(٥) ^(٦) لي ، فأما أن تطيعوني وتعصوا
محمداً ، فلن أقبل طاعتكم ^(٧) .

(١) في (ب) : (نزلت) .

(٢) هو عبد الله بن أبي بن سلول ، العوفي الخزرجي . رأس المنافقين بالمدينة ، وكان سيّد أهل المدينة قبل
هجرة النبي ﷺ إليها ، وقد اجتمعت الأوس والخزرج على أن يتوجّوه عليهم ملكاً ، فجاء الإسلام
وهدى الله الحيّين له ، ففرط منه هذا الشرف ، فدخل في الإسلام مكرهاً ، وأبطن النفاق والضغينة .
انظر : أخباره في سيرة ابن هشام ١٧٣/٢ ، و٢٣٤ ، و٢٣٦-٢٣٨ ، و٣/٥١-٥٣ ، و٦٨ ، و٢٠٠ ،
و٣٠٣ .

(٣) ورد هذا الأثر في تفسير الثعلبي ٣٧/٣ ب ، تفسير البغوي ٢/٢٧ ، وزاد المسير ١/٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
وقال : «هذا قول ابن عباس» ، كما ذكره الرازي ٨/٢٠ .

(٤) لم أجد نصّ قول الشافعي في ما اطلعت عليه من مصادر ، ولكن وردت أقوال كثيرة له تدل على هذا
المعنى . انظر : الرسالة للشافعي ٧٣ ، و٧٦ ، و٧٨ ، و٨٤ ، و٨٥ ، و٨٨ ، وأحكام القرآن للشافعي ،
وجامع البيهقي ١/٢٨ .

(٥) في (ج) : (طاعتكم) .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٧) لم أهدت إلى مصدر هذه الرواية .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ . قال الزَّجَّاجُ ^(١) : أي ^(٢) : فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُمْ ^(٣) ؛ لأن من تَوَلَّى عن النبي ﷺ ، فقد تَوَلَّى عن الله عز وجل . ومعنى ﴿لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ : لا يغفر لهم ، ولا يُثْنِي عليهم خيراً ^(٤) .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ ، معنى اصطفى في اللغة : اختار . وتأويله : جعلهم صفوة خلقه ^(٥) .

قال أهل المعاني ^(٦) : «هذا تمثيل المعلوم بالمرئي ، والعرب تفعل ذلك ، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم ، كان عنده بمنزلة ما يشاهده عياناً ؛ وذلك أن الصافي هو : النَّقِيُّ من شائب الكَدْرِ في ما يُشَاهَدُ . فمُثِّلَ به خُلُوص هؤلاء القوم من الدنس ؛ لأنهم خلصوا كخلوص ^(٧) الصافي من شائب الأدناس . وقيل في معنى اصطفاؤه إيَّاهم ، قولان :

أحدهما : اصطفى دينهم على سائر الأديان ؛ لأن دين الجماعة الإسلام ، وقد قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وهذا اختيار

(١) في معاني القرآن له ٣٩٨ / ١ .

(٢) (أي) : ساقطة من (د) .

(٣) في (ج) : (لا يحبكم) .

(٤) هذا من تمام قول الزَّجَّاج ، وقد سبق أن بيَّنت أن عدم المغفرة ، وعدم الثناء بالخير عليهم ، إنما هو من لوازم ، عدم المحبة ومقتضياتها ، وليس هو حقيقة عدم المحبة ، وحقيقة ذلك وكنهه وكيفيته ، لا تحيط بها عقولنا ، ونكلها إلى الحق عز وجل .

(٥) نقله عن معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٩٩ / ١ ، وانظر : تهذيب اللغة (صفو) ٢٤٩ / ١٢ .

(٦) ممن قال بذلك الزَّجَّاج في المصدر السابق . ومن قوله : (هذا تمثيل ...) إلى (. . . والرسالة على عالمي زمانهم) نقله بالمعنى من معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٩٩ / ١ .

(٧) في (ج) و(د) : (الخلوص) .

الفَرَّاء ، قال ^(١) : وهو من باب حذف المضاف ، كقوله : ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] .

القول الثاني : أنه اصطفاهم بالنبوة والرسالة ، على عالمي زمانهم .

وأراد بـ ﴿وَأَلَّابْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ^(٢) .
وبـ ﴿وَأَلَّعِمْرَانَ﴾ : موسى وهارون ^(٣) . قالوا : وإنما خص هؤلاء بالذكر ؛ لأنَّ الأنبياء بأسرهم من نسلهم .

وقوله تعالى : ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ . قال صاحب النظم : ظاهر هذا اللفظ على العموم ، وتأويله على الخصوص ؛ لأنه يتضمن أخباراً منفصلاً بعضها من بعض ، وأُجْمِلَتْ في الإخبار عنها ؛ لأنه - عز وجل - إن كان عني بالاصطفاء أولاد آدم ، فمن سواه من العالمين الذين فُضِّلَ عليهم قد خرجوا من أن يكون لهم على العالمين

(١) في معاني القرآن ٢/ ٢٠٧ ، وهو اختيار الطبري كذلك في تفسيره ٣/ ٢٣٢ .

(٢) هذا قول ابن عباس ومقاتل ، وفي رواية عن ابن عباس والحسن : أنه من كان على دينه . قال البخاري : «قال ابن عباس : ﴿وَأَلَّعِمْرَانَ﴾ المؤمن من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد ﷺ ، يقول : ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْآلَيْنِ لِإِبْرَاهِيمَ لَأُولَىٰ لَأُولَىٰ لَأُولَىٰ﴾ [آل عمران : ٦٨] ، وهم المؤمنون» . الصحيح ١٣٨/ ٤ كتاب الأنبياء . باب ٤٤ . وقيل : هو نفسه . انظر : وضع البرهان للنيسابوري ١/ ٢٣٨ ، وزاد المسير ١/ ٣٧٤ ، وتفسير القرطبي ٤/ ٦٢ ، وكشف المعاني لابن جماعة ١٢٧ ، والدر المنثور ٢/ ٣٠ ، وتفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة ١/ ١٦٥ . ومردُّ الخلاف في ذلك إلى الـ (آل) ، وهل هي تعني : الأهل والقراة ؟ أم الأتباع سواءً أكانوا قراة أو غيرهم ؟ أم تعني : الرجل نفسه ؟ والمسألة فيها خلاف ، ولكل قول دليله . انظر : اللسان (أول) ١/ ١٧١ .

(٣) وهو قول ابن عباس ومقاتل ، ومن ذهب إليه الكرمانى وابن جماعة . وقيل : عيسى وأمه . (وعمران) والد مريم أم عيسى عليه السلام ، وقال به الحسن وابن وهب . وقيل : هو نفسه ، ورجَّح ابن جزى أن المعنى بـ عمران هو : والد مريم ؛ لذكر قصتها بعد ذلك في السورة ، ومن ذهب إلى ذلك : أبو حيان ، والسهيلي ، والبلنسي ، وابن كثير ، والآلوسي ، والقاسمي . انظر : تفسير القرطبي ٤/ ٦٣ ، وتفسير ابن جزى ٧٨ ، وغرائب التفسير للكرمانى ١/ ٢٥١ ، ووضح البرهان ١/ ٢٣٨ ، وكشف المعاني ١٢٧ ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي ١/ ٢٧٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤٣٤ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٨٤ ، وروح المعاني ٣/ ١٣١ ، ومحاسن التأويل ٤/ ٢٨٩ .

فضل ؛ لأن آدم من جملة العالمين ، وكذلك نوح ، وإبراهيم ، وآل عمران ، إذا دخل أحد هؤلاء في التفضيل خرج الآخرون منه^(١) ؛ لأن كلاً من العالمين .

فتأويل ذلك : أن الله اصطفى كلاً منهم على عالم لا يدخله من قد فضلّ منهم على عالم آخر ، كما جاء في التفسير : على عالمي زمانهم .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ ، قال أبو إسحاق^(٢) : « المعنى اصطفى ذريةً بعضها من بعض ؛ فيكون نصب (ذرية) على البدل^(٣) ، وجائز^(٤) أن ينتصب^(٥) على الحال . المعنى : اصطفاهم في حال كون بعضهم من بعض^(٦) » .

وقوله : ﴿ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ فيه قولان : أحدهما : بعضها من ولد بعض ؛ لأنّ الجميع^(٧) ذرية آدم ثم ذرية نوح^(٨) .

-
- (١) في (ب) : (منهم) .
 (٢) في معاني القرآن له ٣٩٩ / ١ .
 (٣) والمُبدل منه ، فيه ثلاثة أقوال : قيل : مُبدل من آدم . ولم يرتض هذا العكبري ، قائلاً : « لأنه ليس بذرية » .
 وقيل : مبدل من نوح . وإليه ذهب العكبري .
 وقيل : مبدل من آل إبراهيم وآل عمران . وبه قال الزمخشري .
 انظر : الكشف ٤٢٤ / ١ ، والتبيان للعكبري ١٨٤ / ١ .
 (٤) في (ب) : (وجاز) ، وفي معاني القرآن : (وجائزاً) .
 (٥) في (ج) : (ينصب) ، وهكذا هي في معاني القرآن .
 (٦) وجوز الهمداني رفعها ، على تقدير تلك ذرية . انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد ٥٦٣ / ١ .
 (٧) في (ب) : (الأول) .
 (٨) أورد هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٣٨٦ / ١ ، وعزاه لبعض المتأخرين من دون أن يعين ، وأورده ابن الجوزي في الزاد ٣٧٥ / ١ وقال : « ذكره بعض أهل التفسير » .

الثاني : بعضها [من بعض] ^(١) ؛ أي في التناصر ^(٢) في الدين ^(٣) ، فيكون المعنى : أن بعضها يوالي ^(٤) بعضاً ، ولا يتبرأ بعضهم من بعض ، كما يتبرأ الكافرون ؛ ألا تراه ^(٥) قال : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

فقوله : ﴿ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ ؛ أي هم على غير صفة الكافرين ؛ لأنهم إخوان متوالون ^(٦) ، وهذا كقوله : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] ؛ أي بعضهم يلبس ^(٧) بعضاً ، ويوالي بعضاً ، وليس المعنى : على النسل والولادة ؛ [لأنه قد يكون من نسل] ^(٨) المنافق مؤمن ، ومن نسل المؤمن منافق . قال عبيد الراعي ^(٩) :

فَقُلْتُ مَا أَنَا مِمَّنْ لَا يُوَصِّلُنِي وَلَا ثَوَائِي ^(١٠) إِلَّا لَرَيْثٍ أَحْتَمِلُ ^(١١) .
أَي لَا [أَلْبَسَ مَنْ لَا] ^(١٢) يُوَاصِلُنِي ، وَلَا أُوَالِيهِ .

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في (ب) : (التناصر) .

(٣) وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة . انظر : المصادر السابقة .

(٤) في (ب) : (توافي) .

(٥) (ألا تراه) : ساقط من (ج) .

(٦) في (ب) : (لما يتوالون) ، بدلاً من (إخوان متوالون) .

(٧) أي يخالط . وقد سبق بيانها .

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، والمثبت من بقية النسخ .

(٩) هو أبو جندل ، عبيد بن حصين بن معاوية التميمي ، تقدم : ٣١٨ / ٢ . انظر : طبقات فحول الشعراء ٥٠٢ / ٢ ، والشعر والشعراء : ٢٦٥ ، وشرح شواهد المعنى ٣٣٦ / ١ .

(١٠) في (ب) : (رأي) . و(أ) و(ج) ثوائي . والمثبت من الديوان ، ومصادر البيت .

(١١) البيت في ديوانه ١٩٧ . وقد ورد منسوباً له في الحجة للفارسي : ١٧٣ / ١ ، ولأنه لم يجزم بنسبته إليه ، بل قال : «أظنه الراعي» . وأساس البلاغة ٣٨٨ / ١ ، والمقاصد النحوية للعيني ٣٣٦ / ٢ . وورد في المقاصد النحوية : (يوافقني) بدلاً من (يواصلني) ، وورد في أساس البلاغة : (وما) بدلاً من (ولا) . وورد في الديوان ، وبقية المصادر : (أرتحل) بدلاً من (أحتمل) .

(١٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وفي (ب) : (أنا ممن لا) ، والمثبت من (ج) و(د) ؛ لأنها أقرب لما ذكره المؤلف من قبل .

والعرب تقول : هو من بني فلان ؛ إذا كان يواليهم ويلا بسهم ، وإن لم يكن من نسلهم . وهذا القول يُحكى معناه عن أبي رَوْق^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس^(٢) : هذا مخاطبة لليهود الذين قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وأبناء^(٣) الأنبياء الذين اصطفاهم . فأنزل فيهم قوله : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، ويريد : ﴿سَمِيعٌ﴾ لقولكم الذي تقولون : إنكم من ولد إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ومن آل عمران . وإنما فضّلت أولئك ، ورفعتهم واصطفيتهم ؛ بطاعتهم ، ولو عصوني ، لأنزلتهم منازل العصاة . ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم من تكذيب محمد ، وعصيانه ، بعد إقراركم بالتوراة ، وتصديقكم بها فيها من صفته .

وذكر أهل المعاني في هذا قولين آخرين :

أحدهما : أن المعنى : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقوله الذرية المصطفاة . ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تضمّره^(٤) ؛ فلذلك فضلها على غيرها ، لما في معلومه من استقامتها في فعلها وقولها^(٥) .

(١) الذي في تفسير الثعلبي ٣ / ١٣٨ : وقال أبو روق : « بعضها على دين بعض » . وأبو رَوْق ، هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي تقدم .

(٢) لم أهدت إلى مصدر هذه الرواية عنه من طريق عطاء ، والذي عثرت عليه هو ما سبق من رواية أبي صالح عنه في هذا المعنى عند قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ، آية ٣١ ، وقد سبق الكلام على هذه الرواية .

(٣) في (ب) : (وأما) .

(٤) والذرية : تأتي مذكراً ومؤنثاً ومفرداً وجمعاً ، ولذا جاء هنا تذكير الضمائر . انظر : تفسير قوله تعالى : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا﴾ من آية ٣٨ من هذه السورة .

(٥) لم أهدت إلى قائل هذا القول ، ولكن ورد مثل هذا القول في تفسير ابن أبي حاتم ٦٣٦ / ٢ عن ابن إسحاق ، حيث قال : « أي سميع لما يقولون ، . . . عليهم بما يخفون » .

القول الثاني: أَنَّ هذه الآية تتصل بها بعدها ، تقديرها : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقوله امرأة عمران ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تضمه ، إِذْ قَالَتْ : ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ﴾ [آل عمران : ٣٥] الآية ، وفيه إشارة إلى أنه لا يضيع لها شيء من جزاء عملها^(١) .

٣٥ . قوله تعالى^(٢) : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ . اختلف النحويون في وجه ﴿إِذْ﴾ هاهنا ؛ فزعم أبو عبيدة^(٣) أنها زائدة ، لَغَوٌ ، والمعنى : قالت امرأة عمران ، ولا موضع لها من الإعراب^(٤) .

قال الزَّجَّاج^(٥) : «ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً ؛ لأن (إِذْ) تدل على ما مضى من الزمان ، وكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغواً» .

وقال ابن الأنباري^(٦) منكرًا لهذا القول أيضاً^(٧) : «إِنَّا لَا نُلْغِي حرفاً من كتاب الله - عز وجل - إِذَا وجدنا سبيلاً إلى أن لا يكون مُلغًى^(٨)» .

(١) وهذا قول الطبري في تفسيره ٣ / ٢٣٥ .

(٢) في (د) : (عز وجل) .

(٣) في مجاز القرآن ١ / ٩٠ .

(٤) وكذا قال ابن قتيبة بأنها زائدة . انظر : تفسير غريب القرآن له ١٠٣ .

(٥) في معاني القرآن له ١ / ٤٠٠ ، ونقله عنه بتصريف يسير .

(٦) لم أهدأ إلى مصدر قوله .

(٧) (أيضاً) : ساقطة من (د) .

(٨) اختلف أهل النحو والتفسير في وقوع الزوائد في القرآن ؛ بين مانع لذلك ، وبين جُوز . فمن المانعين المبرد ، وثلعب ، وداود الظاهري ، وابن السراج الذي رفض أن يكون في لغة العرب زوائد . وهناك من جوز ذلك ، فرأى أن وجود هذه الزوائد كعدمها ، وقال الزركشي عن هذا الرأي : «وهذا أفسد الطرق» البرهان ٣ / ٧٣ . وأكثر النحويين على أن في القرآن حروفاً زوائد ، ولكن من جهة الإعراب ، لا من جهة المعنى ؛ حيث إن لهذه الزوائد فوائد كثيرة ، منها فصاحة اللفظ وحسنه ، وتوكيد المعنى ، وتمييز مدلوله عن غيره ، إلى غير ذلك . وهذا ما تميل إليه النفس . قال السمين الحلبي عن القائلين بزيادة بعض الحروف : «لا يعنون أنه يجوز سقوطه ، ولا أنه مُهْمَلٌ لا معنى له . بل يقولون : زائدٌ للتوكيد . فله أسوة بسائر ألفاظ التوكيد الواقعة في القرآن» . الدر المصون ٣ / ٤٦٢ .

ولقد تخرج كثيرٌ من العلماء من القائلين بوقوع الزيادة في القرآن من إطلاق لفظ (زائد) أو (مكرر) ؛ =

قال الأخفش ، والمبرد^(١) : « المعنى : اذكر إذ قالت امرأة عمران . وقد^(٢) مضى مثل هذا كثيراً » .

وقال أبو إسحاق^(٣) : « المعنى عندي : واصطفى آل عمران ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾^(٤) . فالعامل في ﴿ إِذْ ﴾ : معنى الاصطفاء^(٥) » .

وأنكر أبو بكر هذا ، وقال : « الله - تعالى - قَرَنَ اصطفاءه [آل عمران]^(٦) باصطفائه آدم ونوحاً ، واصطفائه آدم ونوحاً قبل قول امرأة عمران . وأيضاً فإن عمران هذا غير عمران المذكور في قوله : ﴿ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ ؛ لأنه^(٧) عمران أبو

لما له من مدلول لا يتفق وإحكام كتاب الله ، واستخدموا محله لفظ (الصلة) و(الإقحام) و(التأكيد) .
انظر : للتوسع في معرفة آراء العلماء في ذلك البرهان ١٧٨/٢ ، و ٧٢/٣ ، ٧٣ ، و ٣٠٥/١ ، والتأويل
النحوي في القرآن د . عبدالفتاح الحموز ١٢٧٧/٢ - ١٢٧٩ ، ولطائف المنان وروائع البيان في دعوى
الزيادة في القرآن د . فضل عباس ٥٧ وما بعدها .

- (١) قولها في معاني القرآن للزجاج ١/٤٠٠ ، والإغفال للفارسي : ٥٦٦ .
- (٢) من قوله : (وقد . . .) إلى : (. . . إذ قالت امرأة عمران) : ساقط من (د) .
- (٣) هو الزجاج ، في المصدر السابق نقله عنه باختصار .
- (٤) (إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ) : ساقط من (ج) .
- (٥) يعني : أنَّ قولها ذلك ، ونذرهما ما في بطنها لله ، وقبول الله لنذرهما ، كل هذا يُعَدُّ اصطفاءً وتفضيلاً لآل عمران .
- (٦) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . والمثبت من بقية النسخ .
- (٧) في (ج) و(د) : (لأن) .

موسى وهارون ، وهذا عمران بن ماثان^(١) ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة . كذلك ذكره ابن عباس^(٢) ، ومقاتل^(٣) .

وذكرنا أيضاً عن بعض أهل المعاني أن هذه الآية متصلة بما قبلها ، فيكون العاملُ في ﴿إِذْ﴾ على هذا القول معنى قوله ﴿سَمِعَ عَلِيمٌ﴾ .

وقوله : ﴿أَمَرْتُ عِمْرَانَ﴾ ، هي حَنَّةُ^(٤) أُمُّ مريمَ ، جَدَّةُ عيسى عليه السلام ، دعت الله أَنْ يَهَبَ لها ولداً ، وقالت : اللَّهُمَّ لَكَ عَلِيٌّ إِنْ رَزَقْتَنِي ولداً ، أَنْ أَتَصَدَّقَ به على بيت المقدس ، فيكون من^(٥) سَدَنَتِهِ^(٦) وَخَدَمِهِ ، شكراً لك . وكان على أولادهم فرضاً أَنْ يطيعوهم في نذورهم ، وكان الرجل ينذرُ في ولده أَنْ يكون خادماً في مُتَعَبِّدِهِمْ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ ، معنى ﴿نَذَرْتُ﴾ : [أَوْجَبْتُ]^(٨) .

(١) في (ب) و(ج) : (مانان) . وفي (د) : (ماثان) . وكذا ورد في المعارف لابن قتيبة ٥٢ ، وفي تاريخ الطبري ١ / ٧٨٥ . وينقل الطبري في تفسيره ٣ / ٢٣٥ ، وتاريخه ١ / ٥٨٥ عن ابن إسحاق أَنْ اسمه : عمران بن ياشهم ، وفي تفسير الثعلبي ٣ / ٣٨ (أ) و(ب) و(عمران بن أشهم) ، ينقله عن الحسن وابن وهب وابن إسحاق ، وكذا في تفسير البغوي ٢ / ٢٨ .

(٢) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٣٨ ب ، زاد المسير ١ / ٣٧٦ ، والدر المنثور ٢ / ٣٢ ، ونسب إخراجهم لإسحاق بن بشر ، وابن عساكر .

(٣) قوله في تفسيره ١ / ٢٧١ .

(٤) بنت فاقود وقيل : فاقوذ بن قبيل . انظر : تاريخ الطبري ١ / ٥٨٥ ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي ١ / ٢٧٩ .

(٥) في (ج) : (عن) .

(٦) السَّدَنَةُ ، جمع سادن ، وهو الذي يقوم على خدمة بيت العبادة . انظر : القاموس (سदन) ١٥٥٥ .

(٧) انظر : قصصها في تفسير الطبري ٣ / ٢٣٥ ، وتفسير الفخر الرازي ٨ / ٢٥ ، والدر المنثور ٢ / ٣٢ .

(٨) ما بين المعقوفين في جميع النسخ : (أوفيت) ، ولم أر لها وجهاً ، وما أثبتته هو ما رجَّحتُ صوابه ؛ لدلالة المعنى اللغوي للكلمة ، كما ذكره المؤلف بعدها ، وهو ما يوجب الإنسان على نفسه . . . وفي تهذيب اللغة : «إِنَّا قِيلَ لَهُ نَذَرٌ ؛ لِأَنَّهُ نُذِرَ فِيهِ ؛ أَيُ أَوْجَبَ ، مِنْ قَوْلِكَ : نَذَرْتُ عَلَى نَفْسِي ؛ أَيُ أَوْجَبْتُ» . (نذر) ٤ / ٣٥٤٦ . وكذا في تفسير الثعلبي ٣ / ٣٩٩ ؛ حيث فسرها بأوجب ، وكذا في بقية كتب =

والنذر ما يوجهه الإنسان على نفسه بِشَرِيطَةٍ كان ، أو بغير شَرِيطَةٍ^(١) .

قال أهل اللغة : معنى النَّذْر استدفاع المخوف ، بما يُعَقَّد على النفس من عمل البرِّ . وأصله من الإنذار ، وهو الإعلام بموضع المخافة^(٢) .

وانتصب ﴿مُحَرَّرًا﴾ على الحال من ﴿مَا﴾ ؛ تقديره : نذرت لك الذي في بطني محرراً^(٣) .

اللغة . انظر في : مفردات ألفاظ القرآن (نذر) ٧٩٧ ، والتعريفات للجرجاني ٤٢٠ ، واللسان (نذر) ٤٣٩٠ / ٧ ، وعمدة الحفاظ ٥٦٩ ، والتوقيف على مهمات التعارف ٦٩٤ ، ٦٩٥ . وقد يكون مرد الخطأ إلى اللبس في قراءة الأصل الذي اتُسخّت منه النسخ ؛ نظراً لتقارب الكلمتين في الرسم .

(١) هذا التعريف ذكره الثعلبي في تفسيره ٣ / ٣٩٠ أ . وقوله : بِشَرِيطَةٍ ؛ أي أن يكون النذر مُعَلَّقاً على شرط ؛ كأن يقول : إن شفى الله مريضى ، فعلي أن أتصدق . وأما قوله : بغير شَرِيطَةٍ ، فيعني به النذر المطلق غير المشروط ، كأن يقول : لله علي أن أتصدق بدينار .

وبهذين النوعين من النذر ، قال الشافعية والمؤلف منهم ، والحنابلة ، وأهل العراق ، وأكثر أهل العلم ، وأوجبوا الكفارة عند عدم الالتزام . انظر : فتح الوهاب للنووي ٢٠٤ ، ومغني المحتاج للشربيني ٤ / ٣٥٦ ، والمغني لابن قدامة ١٣ / ٦٢٢ ، ٦٢٣ .

ويرى ابن عرفة أن النذر هو ما كان وعداً بِشَرَطٍ ، وما ليس وعداً بِشَرَطٍ ، فليس بنذر . وهو قول أبي عمرو (غلام ثعلب) ، وبه قال : أبو البقاء ، وفي الكليات ، وإليه ذهب بعض أصحاب الشافعي . إلا أن الراجح هو الأول . انظر : تهذيب اللغة (نذر) ٤ / ٣٥٤٦ ، ٣٥٤٧ ، الكليات لأبي البقاء (نذر) : ٩١٢ ، والمغني لابن قدامة ١٣ / ٦٢٣ .

(٢) وفي مقاييس اللغة ٥ / ٤١٤ يقول عن (نذر) : « . . . كلمة تدل على تخويف ، أو تخوف ، ومنه الإنذار : الإبلاغ ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف » .

وفي تهذيب اللغة (نذر) : « الإنذار الإعلام بالشيء الذي يُحَذِّرُ منه » ٤ / ٣٥٤٧ .

(٣) وقيل في علة النصب : إنه حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور ، ﴿فِي بَطْنِي﴾ ، والعامل فيه ، هو : (استقر) ، وبه قال الطبري . وقيل : انتصب على المصدر ، ويكون فيه حينها حذف مضاف ، تقديره : (نذرت . . . نذر تحريراً) ، أو انتصابه على ما تضمنه ﴿نَذَرْتُ لَكَ﴾ من معنى ، وهو : حررت لك ما في بطني تحريراً .

وقيل : نصب على أنه نعت مفعول محذوف ؛ أي (. . . غلاماً محرراً) . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٣٥ ، والدر المصون ٣ / ١٣٠ ، والفريد في إعراب القرآن ١ / ٥٦٤ ، وروح المعاني ٣ / ١٣٤ .

وقال ابن قتيبة^(١) : أرادت نذرت لك أن أجعل^(٢) ما في بطني محرراً ؛ أي عتيقاً^(٣) خالصاً لله ، خادماً للكنيسة ، مفرغاً للعبادة ولخدمة الكنيسة . وكل ما أُخْلِصَ فهو مُحَرَّر . يقال : حرَّرتُ العبدَ . إذا أعتقته ، وحرَّرتُ الكتابَ إذا أصلحته ، وأخلصته ، فلم يبق فيه ما يحتاج إلى إصلاحه^(٤) .

ورجل حُرٌّ : إذا كان خالصاً لنفسه ، ليس لأحد عليه مُتَعَلِّقٌ . والطينُ الحُرُّ : الذي خَلَصَ من الرملِ والحَمَاءِ^(٥) والعيوب .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ . معنى التَّقَبُّلِ^(٦) : أَخَذَ الشَّيْءَ عَلَى الرِّضَى^(٧) به^(٨) . وأصله من المقابلة ؛ لأنه يقابل بالجزاء ما يؤخذ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴾ ؛ أي لدعائي^(٩) . ﴿ أَلْعَلِمُ ﴾ بما في قلبي .

(١) في تفسير غريب القرآن له ١٠٣ .

(٢) في (د) : (نجعل) .

(٣) من قوله : (عتيقاً ...) إلى (...) والحَمَاءُ والعيوب) : نقله مع اختصار قليل عن تفسير الثعلبي ٣٩٩/٣ .

(٤) في (ج) و(د) و(إصلاح) .

(٥) في (د) : الحَمَاءُ . والحَمَاءُ ، والْحَمَاءُ : الطين الأسود الممتن . انظر : (حمأ) في الصحاح ٤٥ ، واللسان ٩٨٦/٢ .

(٦) معنى التقبل) : ساقط من (ج) .

(٧) في (ج) و(د) : (الرضا) . والأصل في كتابتها أن ترسم بالألف القائمة ؛ لأنها اسم ثلاثي منقلب ألفه عن واو ، وهو مذهب البصريين ، وما أثبتته صحيح على رأي الكوفيين الذين يكتبون ما كان على وزن (فعل) بالياء ، سواء أكان أصل الألف ياء أم واواً . قال الفراء : «الحَمَاءُ والرَّضَا ، يكتبان بالألف والياء ، لأن الكسائي سمع العرب تقول : حَمَوَانٌ ورَضَوَانٌ ، وحَمِيَانٌ ، ورَضِيَانٌ» . انظر : المنقوص والممدود للفراء (تح : عبدالعزيز الميمني) ٣٣ .

وفي إصلاح المنطق ١٣٩ : «ويقال : كان مَرَضِيّاً ومَرَضُوّاً» . انظر : باب الهجاء لابن الدهان ٢٩ .

(٨) انظر : اللسان (قبل) ٣٥١٦/٦ .

(٩) في (د) : (دعائي) .

٣٦. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَصَعَتْهَا﴾. قال المفسرون^(١): هلك عمران أبو مريم، وامرأته حنة حامل^(٢) بمريم، ﴿فَلَمَّا وَصَعَتْهَا﴾؛ أي ولدها. و(الهاء) راجعة إلى ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾، و(ما) يقع على المؤنث وقوعه على المذكر^(٣)، وكان ما في بطنها أنثى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أَنْثَى﴾ اعتذار منها إلى الله حين فعلت ما لا يجوز من تحرير الأنثى للكنيسة^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَعَتْ﴾. قرئ بإسكان التاء وضمها^(٥)؛ فمن^(٦) ضم التاء؛ جعل هذا من كلام أم مريم، وهو كقول القائل: رب قد كان كذا وكذا، وأنت أعلم بما كان. ليس يريد بقوله: (رب قد كان كذا) إعلام الله سبحانه [وتعالى]^(٧)، ولكنه كالخضوع منه، والاستسلام لله تعالى؛ لذلك قالت:

(١) ممن ذكر ذلك الطبري في تفسيره ٢٣٥/٣ يرويه عن ابن إسحاق، والثعلبي في تفسيره ٣٩/٣ ب، والبغوي في تفسيره ٣٠/١، ونسبه للكلبي عن ابن إسحاق.

(٢) في (ب): (كامل).

(٣) وقيل: إن (الهاء) تعود على النذرة، أو النسمة، أو النفس، وهي ألفاظ مؤنثة؛ ولذا أنث الضمير. وهو رأي الطبري في تفسيره ٢٣٧/٣، والثعلبي ٣٩/٣ ب، وانظر: الكشف ٤٢٥/١.

(٤) هذا قول السدي؛ كما في تفسير الطبري ٢٣٨/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٣٧/٢، وزاد المسير ٣٧٧/١. وقيل: إنها قالت على سبيل التحسر والتلهف على ما فاتها من رجائها وتقديرها. انظر: المحرر الوجيز ٨٨/٣، والكشاف ٤٢٥/١، والبحر ٤٣٨/٢. وإليه مال الطبري في تفسيره ٢٣٧/٣، والثعلبي في تفسيره ٣٩/٣ ب، والبغوي في تفسيره ٣٠/٢.

(٥) وردت القراءة بإسكان التاء وفتح العين في (وَصَعَتْ)، عن عاصم برواية حفص والمفضل عنه، وابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وحمزة، والكسائي. أما القراءة بضم التاء وإسكان العين: في (وَصَعْتُ)؛ فقد وردت عن عاصم برواية أبي بكر، وعن ابن عامر، ويعقوب، وأبي رجاء، وإبراهيم النخعي. انظر: السبعة ٢٠٤، وإيضاح الوقف والابتداء ٥٧٥/٢، والقطع والائتناف للنحاس ٢٢١، والتيسير ٨٧، والنشر ٢٣٩/٢.

(٦) من قوله: (فمن...) إلى: (... بها وضعت): نقله بتصريف واختصار عن الحجة الفارسي ٣٤/٣.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾^(١) ؛ لأنها لم ترد بقولها : ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ إخباراً لله تعالى .

ومن قرأ بإسكان التاء ، وهو أجودُ القراءتين ، كان قوله : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ من^(٢) كلام الله تعالى ، ولو كان من قول أمّ مريم ، لكان : وأنت أعلم بما وضعت ؛ لأنها تخاطب الله سبحانه [وتعالى]^(٣) ؛ ولأنها قد قالت : ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ ، [فليست]^(٤) تحتاج^(٥) بعد هذا [القول]^(٦) أن تقول : والله أعلم بما وضعت^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ ؛ أي في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها ؛ لما يلحقها من الحيض والنفاس ، والصيانة عن التبرّج للناس^(٨) .

قال عبد الله بن مسلم^(٩) : قوله : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ مؤخّرٌ ، معناه التقديم على قراءة العامة كأنه قال : إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ، وليس الذكر كالأنثى ؛ لأنه من قول أمّ مريم^(١٠) .

(١) في (أ) : (وَضَعْتُ) ، وفي بقية النسخ غير مضبوطة بالشكل ، والصواب ما أثبتته لتناسبها مع سياق الكلام .

(٢) من قوله : (كلام . . .) إلى (وأنت أعلم بما وضعت) : ساقط من (ج) و(د) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) ، الحجة للفارسي .

(٥) في (ب) : (يحتاج) .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (د) ، وليست موجودة في الحجة للفارسي .

(٧) انظر : الحجة لابن خالويه ١٠٨ ، والكشف لمكي ١ / ٣٤٠ .

(٨) ما بين المعقوفين من (ج) و(د) .

(٩) هو ابن قتيبة ، في تفسير غريب القرآن ١٠٤ ، ونقله المؤلف عنه بالمعنى .

(١٠) أما على القراءة الأخرى (. . . وَضَعْتُ) بضم التاء ؛ فليس فيه تقديم ولا تأخير . انظر : معاني القرآن للنحاس ١ / ٣٨٧ .

قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ﴾ . يقال : عاذ فلانُ بالله ؛ أي التجأ إليه ، وامتنع به ، فأعاده ؛ أي أجارهُ ، ومنعه ^(١) . فمعنى : ﴿أُعِيدُهَا بِلَكَ﴾ ؛ أي أمنعها ، وأجيرها بك .

وذكرنا معنى (العوذ) في قوله : ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٢) ^(٣) . [البقرة : ٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ؛ أي المطرود المزمي ^(٤) بالشُّهْب . وقال ابن عباس : ﴿الرَّجِيمِ﴾ : الملعون ^(٥) . ويجوز أن يكون ﴿الرَّجِيمِ﴾ ؛ بمعنى المسبوب المشتوم ^(٦) . وذكرنا معاني الرَّجْم في سورة الحجر عند قوله : ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر : ١٧] . ومعنى هذه الإعادة ، وإجابة الله - تعالى - إيَّاهَا إلى ما سألت هو ما رواه أبو هريرة : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : «ما من مولود ، إلَّا والشيطان يَمَسُّهُ حين يُولد ، فيَسْتَهْلُ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ ، إلَّا مريمَ وابْنَهَا» ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : «اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾» ^(٧) .

(١) انظر (عوذ) : في العين ٢٢٩ ، والصحاح ٥٦٦/٢ ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) (قال) : ساقطة من (د)

(٣) انظر : تفسير البسيط ١١/٣ .

(٤) في (ب) : (الرمي) .

(٥) لم أهتم إلى مصدر هذا القول عن ابن عباس ، والذي عثرت عليه ، أنه من قول قتادة ، كما في زاد المسير ٣٣٧/١ ، والدر المنثور ٥/ ٦٩ ونسب إخراج له لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٦) من معاني الرَّجْم في اللغة : الرمي بالحجارة ، والقتل ، والسب والشتم ، واللعن . وينقل الأزهري عن ابن الأنباري ، قوله : «والرجيم في نعت الشيطان : المرجوم بالنجوم ، فُصِّرَ إلى (فَعِيل) من (مفعول) . قال : ويكون الرجيم بمعنى : المشتوم المسبوب ، من قوله : ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [٤٦ : مريم] ؛ أي لأسبِّنَكَ . قال : ويكون الرجيم بمعنى : المطرود . قال : وهو قول أهل التفسير» .

تهذيب اللغة (رجم) ٢/ ١٣٧٥ ، وانظر : القاموس المحيط (رجم) ١١١١ .

(٧) الحديث ، أخرجه البخاري في الصحيح ١٦٦/٥ كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، ٤/ ١٣٨ ، وفي =

٣٧. قوله تعالى: ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنٍ﴾ ، التَّقبُّلُ ، والقَبُولُ ، معناهما سواء ، وهو أن ترضى بالشيء ، وتأخذه ؛ ولهذا قال : ﴿يَقْبُولُ﴾ ، ولم يقل : (بَتَقَبَّلٍ) ؛ لأن معناهما واحدٌ .

قال الفرّاء^(١) : «والعرب قد تترك المصدر للفعل المذكور ، وتأتي بمصدر آخر في معنى الأول ، وإن اختلف بالزيادة والنقصان ؛ كقولك : تكلّمتُ كلاماً . وهذا النوع يقال له المصدر على غير المصدر» .

وذكرنا هذا عند قوله : ﴿إِلَّا أَنْ تَكْتَفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ [آل عمران : ٢٨] . والقَبُولُ : مصدر قولهم : قَبِلَ فلانُ الشيءَ : إذا رَضِيَهُ .

قال أبو عمرو بن العلاء^(٢) : «وليس في المصادر (فَعُولٌ) بفتح الفاء ، إلّا هذا ، قال : ولم أسمع فيه الضَّم» .

كتاب الأنبياء ، باب ٤٤ . ومسلم في الصحيح ١٨٣٨/٤ رقمه (٢٣٦٦) في كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام . وأحمد في المسند ٢٧٤/٢ . انظر : الفتح الرباني ١٣٢/٢٠ ، وعبدالرزاق في تفسيره ١١٩/١ ، والطبري في تفسيره ٢٤٠/٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٨/٢ ، والبخاري في تفسيره ٣٠/٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٢ . وورد الحديث بألفاظ أخرى من طرق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، انظر : تفسير الطبري ٣٣٦/٦ ، ٣٤٠ ، والدر المنثور ٣٢/٢ . واستهلال الصبي : رفع صوته بالبكاء عند ولادته . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٧١/٥ ، والقاموس (هـ) : (١٠٧٢) .

(١) لم أهد إلى مصدر قوله .

(٢) قوله في تفسير الطبري ٢٤١/٣ ، والصحاح (قبل) ١٧٩٥/٥ ، وتفسير الثعلبي ٤٠/٣ ب ، اللسان ٥٤٠/١١ ، ونصه كما في الصحاح : «وحكى اليزيدي عن أبي عمرو بن العلاء : (القَبُولُ) بالفتح مصدر ، ولم أسمع غيره» .

وقال سيبويه^(١) :

خمس^(٢) مصادر ، جاءت على (فَعُول) : (قَبُولٌ) ، و(وَضُوءٌ)^(٣) ، و(طَهُورٌ) ، و(وَلُوعٌ) ، و(وَقُودٌ) ، إِلَّا أَنَّ الْأَكْثَرَ فِي (وَقُودٍ)^(٤) إِذَا كَانَ مُصْدَرًا^(٥) الضَّم . وأجاز الفراء^(٦) ، والزجاج^(٧) (قُبُولًا) بِالضَّم .

(١) في الكتاب ٤٢ / ٤ نقله عنه بالمعنى ، وقد ذكرها سيبويه في باب ما جاء من المصادر على فَعُول ، ونصه : « . . . تَوَضَّأتُ وَضُوءًا حَسَنًا ، وَأَوْلَعْتُ بِهِ وَلُوعًا ، وَسَمِعْنَا مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ : وَقَدَّتِ النَّارُ وَقُودًا عَالِيًا ، وَقَبْلَهُ قُبُولًا ، وَالْوَقُودُ أَكْثَرُ ، وَالْوَقُودُ : الْحَطْبُ » . وفي نسخة أخرى لكتاب سيبويه ، أشار إليها محقق الكتاب في الهامش : « وَتَطَهَّرَ طَهُورًا حَسَنًا ، وَأَوْلَعْتُ وَلُوعًا » .

(٢) في (د) : (خمس) .

(٣) في (ج) : (ووضو) ، وفي (د) : (ووصول) .

(٤) في (ب) : (قود) .

(٥) في (د) : (مصدر) .

(٦) لم أهتم إلى مصدر قوله ، وقد يكون في كتابه المصادر وهو مفقود .

(٧) في معاني القرآن وإعرابه ١ / ٤٠١ ، وقال : « وَيَجُوزُ قُبُولًا : إِذَا رَضِيْتَهُ » .

تَغْلَبُ، عن ابن الأعرابي^(١) : يقال : قَبِلْتُه قَبُولاً ، وَقَبُولاً^(٢) ، وعلى وجهه قَبُولٌ ، لا غير^(٣) ، قال الشاعر :

قد يُجْهِدُ^(٤) المرءُ إن لم يُنَلْ^(٥) بالبشرِ والوجهِ عليه القَبُولُ^(٦) .

قال المفسرون^(٧) : معنى قوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ ؛ أي رَضِيَها مكانَ المُحَرَّرِ الذي نَذَرْتَهُ حَتَّةً ، ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك المعنى .

وقال ابن عباس في رواية الضحَّاك : معناه : سَلَكَ بها طريقَ السُّعْداءِ .

(١) أورد قوله الأزهري في تهذيب اللغة ١٦٩/٩ . وابن الأعرابي ، هو أبو عبدالله ، محمد بن زياد . كوفي ، تقدمت ترجمته .

(٢) (وقبولا) : ساقطة من (ج) .

(٣) هكذا جاءت (قَبُول) بالفتح في مصدرها في التهذيب ، وكذا ضبطها في لسان العرب ٦/٣٥١٦ بالفتح ، وفي القاموس المحيط (قبل) : ١٠٤٥ أجاز فيها الأمرين ، قال : «والقَبُول ، وقد يُضم : الحُسْنُ والشارَةُ» ، انظر : التاج (قبل) ١٥/٥٩٥ .

وأما (وَضُوء) بالفتح ، فقليل : الماء الذي يُتَوَضَّأُ به ، وقيل : هو المصدر ، من (توضأت للصلاة) ، وقيل : إنَّ المصدر هو : (الوَضُوء) بالضم . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/٥١ ، واللسان (وضأ) ٨/٤٨٥٤ . أما (طَهُور) بالفتح ؛ فقليل : هو الماء الطاهر ، المُطَهَّرُ ، وهو أعم من الطاهر ، حيث إنَّ كل طهور طاهر ، وليس كل طاهر طهوراً ، وقيل : إنَّ طهور بالضم مصدر ، بمعنى : التَّطَهُّر . انظر : النهاية في غريب الحديث ٣/١٤٧ ، واللسان (طهر) ٥/٢٧١٢ . أما (وَلُوع) بالفتح ؛ فهي : العلاقة ، وهو اسم أقيم مقام المصدر الحقيقي ، يقال : (وَلَعَ به وَلَعاً ، وَوَلَّوعاً ، و(أولع به إيلعاً) ، و(أولعه به) : إذا أغراه ، و(مُولَعٌ به) : مُغْرَى به . انظر : اللسان ٨/٤١٠ . أما الـ (وَقُود) بالفتح ، فقليل : الخطب ، والـ (وُقُود) بالضم : المصدر . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/٥١ ، واللسان ٨/٤٨٨٨ .

(٤) في (ج) و(د) : (يحمد) .

(٥) في (د) : (يل) .

(٦) لم أهدأ إلى قائله .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٣/٢٤١ ، ويرويه عن ابن جريج ، وقال به ، تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٣٨ ، ويرويه عن شرجيل بن سعد ، تفسير الثعلبي ٣/٤٠ ب ، والنكت والعيون ١/٣٨٨ ، وتفسير البغوي ٢/٣١ ، والدر المنثور ٢/٣٥ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ .

قال الزَّجَّاج^(١) : « جاء لفظ^(٢) ﴿نَبَاتًا﴾ على غير لفظِ [أَنْبَتَ] ؛ على معنى : نبت نباتًا حسنًا » .

وقال ابن الأنباري^(٣) : « لما كان (أَنْبَتَ) يدل على [نَبَتَ]^(٤) حمل^(٥) الفعل على المعنى ، كأنه قال : وأنبتها ، فنَبَتَتْ هي نباتًا حسنًا » ؛ ، كقول امرئ القيس :

[وَرُضْتُ]^(٦) فَذَلَّتْ^(٧) صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالٍ^(٨)

(١) في معاني القرآن وإعرابه له ٤٠٣ / ١ ، ونقله عنه بالنص .

(٢) (لفظ) : ساقط من (د) .

(٣) لم أقف على مصدره ، وقد ورد في زاد المسير ٣٧٧ / ١ .

(٤) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) ، ومثبت من بقية النسخ .

(٥) في (ب) : (عمل) .

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وفي (ب) : (ونبتت) ، والمثبت من (ج) و(د) ؛ نظراً لموافقتها الديوان وللسياق .

(٧) في (د) : (فدلّت) .

(٨) في (د) : (إذلال) . عجز بيت ، وصدره :

فَصَرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا

وهو في ديوانه ٣٢ ، وكما ورد في المقتضب ٧٤ / ١ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣٦ / ٢ ولم ينسبه ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٦ / ١ ، وتهذيب اللغة ٢٨٧٥ / ٣ ، وليس في كلام العرب لابن خالويه ٢٢٧ ، والمحتسب ٢ / ٢٦٠ ، والمخصص ١٤ / ١٨٧ ، وزاد المسير ١ / ٣٧٨ ، واللسان (روض) ٣ / ١٧٧٥ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٣٤١ ، وخزانة الأدب ٩ / ١٨٧ . ورد في بعض المصادر : (. . .) فَذَلَّتْ صَعْبَةً بِالضَّمِّ . ومعنى (فَصَرْنَا) : فَرَجَعْنَا وانتقلنا ، على أن (صار) هنا تامة . و(الحسنى) : قد تكون اسم مصدر ، بمعنى : الإحسان ، أو تكون صيغة مؤنث (أحسن) ؛ أي الحالة الحسنة . و(رَقَّ) : لُطْف . و(رُضْتُ) ؛ أي سَهَلْتُ وانقادت ، فهي ذُلُول ، ويقال لتعديفة الفعل : ذَلَّلْتُهَا وَأَذَلَّلْتُهَا . و(صعبة) ؛ أي غير ذلول . والشاهد فيه : أَنَّ (رُضْتُ) تتضمن معنى : (أذلت) ؛ ولذا جاء المصدر بعدها : (إذلالاً) ؛ أي أذَلَّتْ . . . إذلالاً ، وأقام (الإذلال) مقام (الريضة) . انظر : تهذيب اللغة (راض) ٢ / ١٣١٩ ، واللسان (روض) ٣ / ١٧٧٥ ، والخزانة ٩ / ١٨٧ .

أراد : أيَّ رياضة . فلَمَّا دَلَّ (رُضْتُ) على (أُذِلْتُ) ^(١) ، حملة ^(٢) على المعنى ، وخلق ^(٣) اللفظ .

قال ابن عباس في رواية عطاء ^(٤) في قوله : ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ ؛ يريد : في صلاحٍ ومعرفةٍ بالله ، وطاعةٍ له ، وخدمةٍ للمسجد .

وقال في رواية الضحَّاك ^(٥) : يعني : سَوَّى خَلْقَهَا من غير زيادة ، ولا نقصان ، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام واحد .

وقوله تعالى : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ^(٦) ؛ أي ضَمَّهَا ^(٧) إلى نَفْسِهِ ، وقام بأمرها .

(١) في (د) : (دلت) .

(٢) في (ب) : (جاء) .

(٣) في (أ) و(ب) و(د) : (وخلا) ، وفي (ج) : (وحل) ، وما أثبتته يوافق القاعدة الإملائية ؛ حيث إنه فعل يزيد على ثلاثة أحرف ، ولم يكن قبل الألف ياءً ، كما أنه يوافق ما جاء في نسخة (ج) وإن خلت الكلمة فيها من النقط . ومعنى خلق الأمر : تركه . انظر : اللسان (خلا) ٢ / ١٢٥٤ .

(٤) لم أهتم إلى مصدر هذه الرواية .

(٥) الرواية في تفسير الثعلبي ٣ / ٤١٨ ، تفسير البغوي ١ / ٣١ ، وهذه الرواية من طريق جوير بن سعيد ، وسبق أنه ضعيف جداً .

(٦) حديث المؤلف التالي لهذا المقطع ، بالنظر إلى قراءة من قرأ : (وَكَفَّلَهَا) بتخفيف الفاء وفتحها ، و(زَكَرِيَّا) بالمد والرفع . هي قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر . وقد أثبت رسم الآية كما جاء في النسخ جميعها ، وهي مطابقة لقراءة حفص عن عاصم . أما بقية قراءات السبعة ؛ فهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر : (وَكَفَّلَهَا) بتشديد الفاء ، و(زَكَرِيَّا) بمدودة منصوبة ، وكان يمدّها في القرآن جميعه . أما قراءة عاصم برواية حفص ، وقراءة حمزة والكسائي ؛ فهي : ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء ، و﴿زَكَرِيَّا﴾ مقصورة في القرآن جميعه . انظر : السبعة ٢٠٤ ، والحجة للفارسي ٣ / ٣٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٦١ . إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣ / ٨٦٩ .

(٧) في (ب) : (ضمنها) .

قال الزَّجَّاجُ^(١) : «ومعناه في هذا : ضَمِنَ القيامَ بأمرها ، يقال^(٢) : (كَفَلَ^(٣) ، يَكْفُلُ ، كَفَالَةً ، وَكَفَلًا)^(٤) فهو كَافِلٌ وهو : الذي قد كَفَلَ إنساناً يَعُولُهُ^(٥) وَيُنْفِقُ عليه» .

و﴿زَكَرِيَّا﴾ رُفِعَ بفعله^(٦) ؛ لأن الكفالة نُسِبَتْ إليه . وفيه قراءتان :

القَصْر ، والمَدُّ ، وهما لغتان فيه ؛ كقولهم : (الهِيْجَاءُ) ، و(الهِيْجَا) ، والأَلْفُ فيه أَلِفٌ تانيثٌ ؛ ولهذا لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ؛ لأن (زكريا)^(٧) ؛ بالمَدِّ ، مثل : (حمراء) ، و(سوداء)^(٨) ؛ وبالقصر ، مثل : (حُبْلَى)^(٩) ، و(سَكْرَى)^(١٠) ، و(ذِفْرَى)^(١١) ، وهذا النوعُ لا ينصرفُ في مَعْرِفَةٍ ولا نَكْرَةٍ ؛ لأن الاسم^(١٢) بُنِيَ على أَلِفِ التَّائِيثِ ، وحقُّ التَّائِيثِ أن يكون داخلاً على لفظ المَذَكَّرِ ؛ نحو : (قائم) ،

(١) في معاني القرآن له ٤٠٣ / ١ .

(٢) من قوله : (يقال . . .) إلى (. . . وينفق عليه) : نقله عن تهذيب اللغة للأزهري (كفل) ٣١٦٦ / ٤ ، وانظر : اللسان (كفل) ٣٩٠٥ / ٧ .

(٣) في التهذيب : (كفل به) .

(٤) (وكفلاً) : غير موجودة في التهذيب .

(٥) في (ب) : (يقول من) .

(٦) على أن (زكرياء) هنا ممدودة مرفوعة ، وهي فاعل لـ (كَفَلَ) المتعدي لمفعول واحد ، بناء على قراءة من قرأ بالتخفيف فيها .

(٧) في (ب) و(د) : (زكريا) .

(٨) في (ج) و(د) : (حمرا ، سودا) .

(٩) في (ب) : (حتى) . (الحُبْلَى) : المرأة الحامل ، وجمعها : (حَبَالَى) و(حَبَلِيَّات) . انظر : القاموس (حبل) ١٢٦٩ .

(١٠) يقال : هي سَكْرَةٌ ، وسَكْرَى ، وسَكْرَانَةٌ للمؤنث . انظر : القاموس (سكر) ٥٢٤ .

(١١) في (ب) : (ذِفْرَى) . الذِفْرَى ، هو العظم الشاخص خلف الأذن . وهما ذِفْرَيَان . والجمع ذِفْرِيَّات ، وذِفَارَى . انظر : خلق الإنسان لابن أبي ثابت ٥٤ ، والقاموس (ذفر) ٣٩٦ ، والمعجم الوسيط (ذفر) ٣١٢ / ١ .

(١٢) في (ج) : (اللام) .

و(قائمة)، فلما بُني الاسم على علامة التأنيث، وَلَزِمَتْ^(١) الاسم حتى صارت كـبعض حروفه، صار كأن التأنيث قد تكرر فيه، فقامت العِلَّةُ مقامَ العَلَّتَيْنِ^(٢)، فلم ينصرف^(٣) في النكرة والمعرفة.

وقرأ حمزة والكسائي: (وَكَفَّلَهَا) مُشَدِّدًا، ومصدره: التَّكْفِيلُ، والتَّكْفِيلَةُ^(٤). و(زكرياء)^(٥) على هذه القراءة منصوب؛ لأنه المفعول الثاني للتَّكْفِيلِ، ومعناه: ضَمَّنَهَا الله زكريا^(٦)، وَضَمَّهَا إليه؛ وذلك أَنَّ حَنَّةً لَمَّا وَلَدَتْ مريمَ، أتت بها سَدَنَةً بيت المقدس، وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة^(٧). فتنافس فيها الأخبار^(٨)، حتى اقترعوا عليها، فخرجت القرعة لزكرياء^(٩) عليه السلام. ونذكر ما فيه عند

(١) في (ب): (لزمت).

(٢) يعني: قامت أَلْفُ التأنيث، مقامَ العلمية والعجمة في المنع من الصرف. انظر في: علة منعها من الصرف الحجة للفارسي ٣/ ٣٤، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٥٧، والبيان للأباري ١/ ٢٠١.

(٣) في (د): (تنصرف).

(٤) لم أقف في معاجم اللغة التي رجعت إليها على أَنَّ (التكفلة) مصدر لـ (كَفَّلَ). وهي على خلاف القياس في مصدر (فَعَّلَ) الرباعي المضاعف العين، الصحيح اللام. وتأتي (تَفَعَّلَ) مصدرًا للرباعي المعتل اللام، المضاعف العين؛ مثل: (رَضِيَ تَرْضِيَةً)، و(وَرَى تَوْرِيَةً). وأشار الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد إلى مجيء (تَفَعَّلَ) مصدرًا لـ (فَعَّلَ) الصحيح اللام، وذلك في النادر، ومثَّلَ لها بـ (قَدَّمَ تَقْدِمَةً، جَرَّبَ تَجْرِبَةً). انظر: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل مطبوع بهامش شرح ابن عقيل ٣/ ١٢٨، والنحو الوافي ٣/ ١٩٨. وانظر (كفل): في الصحاح ٥/ ١٨١١، واللسان ٧/ ٣٩٠٥، ٣٩٠٦، والتاج ١٥/ ٦٥٨.

(٥) في (ج) و(د): (وزكريا).

(٦) (أ) و(ب): (وزكريا)، والمثبت من (ج) و(د)، وهو الصواب؛ لأنه لا وجه لحرف العطف هنا.

(٧) النذيرة هنا: الابن الذي يجعله أبواه قِيًّا أو خادماً للكنيسة أو للمتعبد؛ من ذكر أو أنثى. انظر: اللسان (نذر) ٧/ ٤٣٩٠.

(٨) الأخبار: جمع (خَبَر) أو (خَبْر)، وهو واحد أخبار اليهود، وهو العالم أو الرجل الصالح، ويُجمع كذلك على (خُبُور). انظر: الصحاح ٢/ ٦٢٠، واللسان (خبر) ٢/ ٧٤٨.

(٩) في (ج): زكريا.

قوله : ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ [آل عمران : ٤٤] . فمعنى قوله : (وكفلها زكرياء) ^(١) :
أن الله - تعالى - ^(٢) ضمَّها ^(٣) إلى زكريا ^(٤) بالقرعة التي قرعها ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ . قال
المفسرون ^(٦) : لما ضمَّ زكريا مريمَ إلى نفسه ، بنى لها محراباً في المسجد ، وبابه في
وسطها ، لا يُرقى إليها إلا بسُلَّم ، ولا يصعد إليها غيره .

والمِحْرَابُ في اللغة : أشرف المجالس . وكانت محاريب بني إسرائيل
مساجدهم ^(٧) .

والمِحْرَاب : الغُرْفَةُ أيضاً ، قال عمر ^(٨) بن أبي ربيعة ^(٩) :

رَبَّةٌ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا لَمْ أَدُنْ حَتَّى أَرْتَقِي سُلَّمًا ^(١٠)

(١) في (ب) و(ج) و(د) : (وكفلها زكريا) .

(٢) في (أ) ، (ب) : (إن شاء الله تعالى) ، والمثبت من (ج) و(د) ؛ نظراً لمناسبته لسياق الكلام ، ولا وجه لما
في (أ) و(ب) .

(٣) في (ب) : (ضمَّها) .

(٤) في (د) : (زكرياء) .

(٥) في (ب) : اقترعها . ومعنى (قرعها) : أصابته القرعة من دونهم . يقال : كانت له القرعة : إذا قرع
أصحابه ، و(قارعه قَرَعَهُ ، يَقْرَعُهُ) : إذا أصابته القرعة من دونه . اللسان (قرع) ٦/٣٥٩٦ ، وانظر :
المعجم الوسيط (قرع) ٧٣٥ . وانظر : القصة في تفسير الطبري ٣/٢٣٩ ، ٢٤٠ ، وسنن البيهقي
١٠/٢٨٦ ، والدر المنثور ٢/٣٥ .

(٦) من قوله : (قال . . .) إلى (. . . أي ربة غرفة) : نقله مع الاختصار والتصرف من تفسير الثعلبي
٣/٤٢٢ ، وانظر : تفسير البغوي ٢/٣١ .

(٧) قوله : (وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم) : ليست عند الثعلبي ، وإنما هي في تهذيب اللغة
١/٧٧٢ .

(٨) في (د) : (عمر) .

(٩) هو أبو الخطاب ، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المُرِّي المخزومي تقدمت ترجمته .

(١٠) البيت ليس لعمر بن أبي ربيعة ، ولم أقف عليه في ديوانه ، وإنما نسبته المصادر لوضَّاح اليمن ، والمؤلف =

أَي رَبَّةٍ غُرْفَةٍ . وقال الأصمعي^(١) : المِحْرَاب : الغُرْفَةُ ؛ ألا تراه يقول : ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص : ٢١] .

وقال الزَّجَّاج^(٢) : المحراب : أرفع بيت في الدار ، وأرفع مكان في المسجد ، قال : والمحراب هاهنا كالغرفة ، وأنشد بيت عمر^(٣) .

وقال أبو عبيدة^(٤) : المحراب عند العرب سيّد المجالس ، ومُقَدَّمُهَا ، وأشرفها ، وإنما قيل للقبلة : محرابٌ ؛ لأنها أشرف موضع في المسجد . ويقال للقصر محرابٌ ؛ لأنه سيّد المنازل^(٥) .

تبع الثعلبي في نسبته لعمر . وقد ورد منسوباً لوضّاح في مجاز القرآن ٢ / ١٤٤ ، و ١٨٠ ، وجمهرة اللغة (حرب) ٢٧٦ ، والصراح (حرب) ١ / ١٠٩ ، والأغاني : (نسخة مصورة من طبعة دار الكتب مصر) ٦ / ٢٣٧ ، وتفسير القرطبي ٤ / ٧١ ، واللسان (حرب) ٢ / ٨١٧ .

كما ورد غير منسوب ، في معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٤٠٣ ، و ٤ / ٣٢٥ ، والاشتقاق لابن دريد ٧٥ ، والزاهر ١ / ٥٤١ ، والتهذيب ١ / ٧٧٢ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٤٩ . وهذه الرواية للبيت وردت في الجمهرة ، والزاهر وتفسير الثعلبي ، وورد في بقية المصادر : «... لم ألقها أو أرتقي سلماً» .

(١) نقل المؤلف قوله باختصار عن الزاهر ١ / ٥٤١ . كما ورد هذا القول عن الأصمعي في الاشتقاق ٧٥ ، وقال : «وقال أبو حاتم وعبد الرحمن ، عن الأصمعي» وذكره .

(٢) في معاني القرآن له ٤ / ٣٢٥ .

(٣) قوله : (وأنشد بيت عمر) ساقط من (د) .

(٤) في قوله : (وقال أبو عبيدة...) إلى (أراد بالمحاريب القصور) نقله بنصه عن الزاهر ١ / ٥٤٠ . أما قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ / ٩١ عن المحاريب ، فنصه : «سيد المجالس ، ومقدمها وأشرفها ، وكذلك هو من المساجد» ، وفي ٢ / ١٤٤ ، ١٨٠ ورد عنه هذا المعنى بألفاظ مختلفة قليلاً ، أما بقية الكلام ؛ فهو من قول ابن الأنباري .

(٥) في الزاهر : «أشرف المنازل» .

قال امرؤ^(١) القيس :

كغزلان وَحْشٍ في محارِبٍ أقوال^(٢)

أراد بالمحارِب : القصور^(٣) . قال ابن عباس في رواية عطاء^(٤) : صارت عنده لها غرفة تصعد إليها تصلي فيها الليل والنهار .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ .

قال^(٥) ابن عباس^(٦) ، والربيع^(٧) : كان زكريّا كلما دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقاً ؛ أي فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، تأتيها به الملائكة من الجنة .

(١) في (أ) : (امرئ) ، والمثبت من بقية النسخ .

(٢) عجز بيت ، وصدرة :

وماذا عليه أن ذكرت أوانساً

وقد ورد البيت في ديوانه ٣٤ ، ومجاز القرآن ٢ / ١٨٠ ، وحيث ورد في هامش إحدى نسخ المجاز ، كما أشار إلى ذلك المحقق ، وفي الزاهر ١ / ٥٤٠ ، واللسان (حرب) ٢ / ٨١٧ . وورد غير منسوب في تهذيب اللغة ١ / ٧٧٢ ، والمخصص ٣ / ١٣٥ ، والبحر المحيط ٣ / ٢٤٩ .

وورد في كل المصادر السابقة : (كغزلان رَمْلٌ . . .) ، وورد في الديوان ، وبعض المصادر : (. . . محارِبٍ أقيال) ، وفي الزاهر : (وماذا عليه أن أروضَ نجائباً . . .) . و(الأقوال) و(الأقيال) : ملوك اليمن ، وقيل : هم من دون الملك الأعظم . ومفردها : (قَيْل) . انظر : تهذيب اللغة ٣ / ٢٨٥٩ (قال) . وقوله : (كغزلان وَحْشٍ) ، الْوَحْشُ : حيوان البرّ ؛ مثل : حمارٌ وَحْشٍ ، وحمارٌ وَحْشِيٌّ . انظر : القاموس (وحش) ٦٠٩ .

(٣) انظر : معاني المحراب السابقة في (حرب) في التهذيب ١ / ٧٧٢ ، والصحاح ١ / ١٠٨ ، واللسان ٢ / ٨١٧ .

(٤) لم أقف على مصدر هذه الرواية .

(٥) من قوله : (قال . . .) إلى (. . . غرفتها ، وجد عندها رزقاً) : ساقط من (ج) و(د) .

(٦) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٢٤٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٢٢٩ ، والمحزر الوجيز ٣ / ٩٤ ، وزاد المسير لابن الجوزي ١ / ٣٨٠ . قال ابن الجوزي : «وهذا قول الجماعة» .

(٧) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٢٤٥ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٤٢ ب . وهو قول مجاهد ، وعكرمة ، وابن =

قال محمد بن إسحاق^(١) : كان هذا كله ، بعد أن بلغت مريم مبلغ النساء .
وقال الحسن^(٢) : كان هذا في صغرها ، ولم ترضع ثدياً قط ، بل^(٣) كان يأتيها
رزقها من الجنة ، وتكلمت وهي صغيرة ، حين أجابت زكريا بقولها : ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ﴾^(٤) .

قال أبو إسحاق^(٥) : ونصب ﴿كُلَّمَا﴾ بقوله : ﴿وَجَدَ﴾^(٦) ؛ أي يجد عندها
الرزق في كل وقت يدخل عليها المحراب ، فيكون (ما) مع (دَخَلَ) ، بمنزلة :
الدخول^(٧) ؛ أي في كل وقت دخول^(٨) .

جبر ، وأبي الشعثاء ، والنخعي ، والضحاك ، وقتادة ، وعطية العوفي ، والسدي . انظر : تفسير ابن
كثير ٣٨٦ / ١ .

- (١) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٤٢٢ .
- (٢) لم أقف على مصدر قوله . وقد ورد في تفسير البغوي ٢ / ٣٢ ، وفيه : (قال أبو الحسن) ، وهو خطأ ،
والصواب : الحسن ، كما ورد في زاد المسير ١ / ٣٨٠ .
- (٣) (بل) : ساقطة من (د) .
- (٤) انظر : حول الذين تكلموا في المهد صغاراً : مصنف ابن أبي شيبة ٦ / ٣٤٢ (٣١٨٦٤) ، والمستدرک
للحاكم ٢ / ٥٩٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٥٢ ، والقرطبي ٤ / ٩١ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٤٢ ،
٤٤٣ ، وروح المعاني ٣ / ١٤٠ .
- (٥) في معاني القرآن له ١ / ٤٠٣ ، ونقله عنه بنصه .
- (٦) لأن (كل) عندما تضاف إلى (ما) المصدرية الظرفية ، تصبح ظرفاً متضمناً معنى الشرط ، ويكون لها
فعل وجواب ، وتعلق بجوابها ، وتنصب به ، وجوابها هنا (وَجَدَ) . أمّا (ما) فهي حرف مصدري
ظرفي ، مبني على السكون ، لا محل لها من الإعراب .
- (٧) لأن (ما) وما بعدها تُؤوّل بمصدر ، وهو هنا : الدخول .
- (٨) انظر في إعرابها مشكل : إعراب القرآن ١ / ١٥٧ ، والتبيان للعكبري : ٣٤ ، والفريد للهمداني
٥٦٦ / ١ .

وقوله تعالى : ﴿أَنْتَ لِلَّهِ هَذَا﴾ . قال ابن عباس ^(١) : يريد من أين لك هذا ؟ وإنما سألها ؛ لأنه خاف أن يأتيها الرزق من غير جهته ، فتبين أنه من عند الله ، لا من عند الناس ^(٢) .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . قد فسرنا هذا في موضعين من ^(٣) سورة البقرة ، ومن هذه السورة ^(٤) . وهذا يحتمل أن يكون من كلام مريم ، ويحتمل أنه على ^(٥) الابتداء ، والأولى به الاستئناف ^(٦) ؛ لأنه ليست ^(٧) من معنى الجواب عما سئلت في شيء .

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه .

(٢) ممن قال بأن (أنتي) بمعنى (أين) أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ / ٩١ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : ٩٩ . بينما يرى الإمام الطبري في تفسيره ١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ : أنَّ هناك اختلافاً بين (أنتي) و(أين) و(كيف) ، ويرى أنه نظراً لتقارب معنى (أنتي) من هذه الحروف فقد تداخلت معانيها وحصل اللبس ، فتوولت بـ (أين) و(كيف) و(متى) مع مخالفة معناها لهذه الحروف ، ومخالفة هذه الحروف لها ، ويرى أنَّ (أين) سؤال عن الأماكن ، و(كيف) سؤال عن الأحوال ، أمَّا (أنتي) فهي سؤال عن المذاهب والوجوه ، وقد بين الطبري هذا الأمر بإسهاب مستدلٍّ عليه بأثلة من القرآن وشعر العرب . وهذا قال النحاس كذلك ، راداً على أبي عبيدة في معاني القرآن ١ / ٣٨٩ . انظر : حول هذا الموضوع إعراب الحديث النبوي للعكبري ٩٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٤٣ ، والدر المصون ٢ / ٤٢٣ .

(٣) في (د) : (في) .

(٤) عند آية ٢٧ .

(٥) في (ب) : (أن يكون على) .

(٦) وبه قال الطبري في تفسيره ٣ / ٢٤٧ .

(٧) في (ج) : (ليس) .

٣٨. قوله تعالى : ﴿هَٰنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ ، قال أهل اللغة ^(١) : (هاهنا) و(هنا) تقريب (ثَمَّ) ^(٢) .

ومعنى (هنا لك) ؛ أي عند ذلك . و(هنا لك) : محلٌّ ومَوْضِعٌ ، كما أنَّ (حيثُ) : محلٌّ ، و(عندَ) ، و(حينَ) : وقتان .

فلو قال عز وجل : (عند ذلك دعا زكريا) لكان جائزاً ^(٣) ، بمثل ^(٤) معنى (هنا لك) . ولكن العرب تضع المحل موضع اسم الوقت في مثل هذا ، فيقولون : كان ذلك حيث ولي زيد بمعنى حين ولي ، وكذلك (هنا لك) : محلٌّ يوضع ^(٥) موضع (عند) ، وقد يكون مجاز (هنا لك) في هذا الموضع محلاً ؛ لأن ما ذكره عز وجل من هذه القصة ، يكون مضمناً لوقت ^(٦) ومحل ؛ لأنه لا يكون إلا في محل ، كما لا يكون إلا في وقت ؛ فلما لم يجز أن يكون ^(٧) إلا ^(٨) في محل ؛ احتمل أن

- (١) انظر : مادة (هنا) في الصحاح ٢٥٦١ / ٦ ، واللسان ٤٧١٥ / ٨ ، وتاج العروس ٤٣٢ / ٢٠ .
- (٢) (ثَمَّ) بفتح الثاء ، وتشديد الميم : اسم إشارة إلى المكان البعيد ، وهو ظرف مكان لا يتصرف مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية ، ويقال : (ثَمَّةً) والتاء فيه لتأنيث اللفظ فقط . انظر : معجم الشوارد النحوية لمحمد شراب ٢٢٧ ، ومعجم النحو للدقر ١٢٤ . أما (هنا) و(هناك) فيقول عنهما الجوهري : «للتقريب ، إذا أشرت إلى مكان ، و(هناك) و(هنا لك) : للتباعد» . الصحاح (هنا) ٢٥٦١ / ٦ .
- (٣) قول المؤلف : «فلو قال ... لكان جائزاً» ، أقول : غفر الله للمؤلف ، ليته لم يقل هذه العبارة ، فإنها كلمة في ما أرى عظيمةً ، يجب أن لا تقال في حق الله تعالى ، وهل يجوز أن نقترح على الله تعالى ؟ ! ومتى كان الحق - عز وجل - لا يقول الأفضل من القول ، والأبلغ من الكلام ، والفصل في الخطاب ، حتى نقول نحن البشر القاصرون مثل تلك المقولة العظيمة . ؟ ! فالله - تعالى - يضع الكلم وفق حكمته وعلمه ، وهو الأحكم الأعلم .
- (٤) في (د) : (مثل) .
- (٥) في (ج) : (موضع) .
- (٦) في (ج) و(د) : (بوقت) .
- (٧) (ب) : (إلا أن يكون) .
- (٨) إلا : ساقطة من (ب) و(ج) .

يومئ إلى ذلك المحل بقوله : ﴿هُنَالِكَ﴾ . و(هناك) ، و(هنالك) الأصلُ فيها :
[هنا]^(١) ، ثم ^(٢) زيدت الكاف للخطاب ، كما قالوا في (ذا)^(٣) : (ذاك) .

ومن قال : (هنالك) فتقديره تقدير (ذلك) ، والكاف فيها للخطاب ^(٤) .
وقول زهير :

هنالك إن تُستَخْبَلُوا ^(٥) المال تُخْبَلُوا ^(٦)

- (١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي غير موجودة في النسخ جميعها .
- (٢) (ثم) : ساقطة من (ج) .
- (٣) (ذا) : ساقطة من (ج) .
- (٤) انظر في زيادة الكاف في هذه الأساء : المسائل العسكرية للفارسي ١٤٠ ، والمسائل الحلييات له ٧٥٧٦ ، وسر صناعة الإعراب ١/٣٠٩ ، و٣٢١ ، و٣٢٢ ، و٢/٥٧١ ، ومغني اللبيب ٢٤٠ .
- (٥) في (د) : (يستجلبوا) .
- (٦) صدر بيت ، وقد وردت روايته في الديوان بضمير الغائب ، كالآتي :
هنالك إن يُستَخْبَلُوا المَالَ يُخْبَلُوا وإن يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإن يَسِيرُوا يُغْلُوا
انظر : ديوانه : ١١٢ . كما ورد منسوباً له في الخصائص ١/١٠٩٧ ، واللسان (خبل) ٢/١٠٩ ،
(خول) ٣/١٢٩٣ . وروايته في الخصائص : « هنالك إن يُسْتَحْوَلُوا المال يُخُولُوا ... » . وفي اللسان
(خول) ٣/١٢٩٣ : « ... وإن يُسْأَلُوا يُعْصُوا ... » . و(يُسْتَحْوَلُوا) من قولهم : (أَحْبَلْتُ الرجلَ ،
أَحْبَلُهُ ، إِحْبَالاً) ، و(اسْتَحْبَلُهُ إِحْبَالاً وَغَنّاً ، فَأَحْبَلُهُ) ، و(يُسْتَحْوَلُوا) بمعناها ؛ أي إن تُطْلَبَ منهم إبلهم
أو غنمهم على سبيل الاستعارة ؛ لِيَتَفَعَّ بِأَلْبَانِهَا وَأُوبَارِهَا ، أو تستعار منهم خيلهم للغزو ، فإنهم
(يُجْبَلُوا) ؛ أي يتكرموا ويفضلوا بإعارتها . ومعنى (يَسِيرُوا) : من (يَسَرَ ، يَسَرُّ ، يَسَرّاً) ، وهو المقامر
بالميسر ، أو هو تجزئة الجُزُور ، واقتسام أعضائها . يقال : (يَسَرَ القومُ الجزورَ) ، وهو المراد في البيت هنا
- والله أعلم - نظراً لمناسبتها لما سبقه من أبيات يمدح فيها الشاعرُ سنان بن أبي حارثة المُرِّي ، والمعنى :
إنهم يأخذون سنانَ الجُزُرَ والغالية منها وينحرونها ، ويقسمونها على ذوي الحاجات .
ومعنى : (يُعْصُوا) كما في رواية اللسان ؛ أي - والله أعلم - يجمعونهم من قولهم : عصوت القومَ إذا
جمعتهم على الخير أو الشر ؛ أي إنهم إذا سُئِلُوا الخيرَ ، جمعوا الناس على خيرهم وزادهم . وقبله :
إذا السنةُ الشهباءُ بالناسِ أجمعتُ ونالَ كرامَ المالِ في الجَحْرَةِ الأكلُ
رأيتُ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتهم قطيناً بها حتى إذا نبتَ البقلُ
والذي دعاني لسوق الأبيات أن المَعْلَقَ على الديوان فسّر (يسروا) بقوله : (يقامروا بالميسر) ، وإن كان
المعنى صحيحاً لغة ، إلا أن المعنى الآخر الذي ذكرته أصح في رأيي لمناسبته لسياق الأبيات .

يَحْتَمِلُ (هَنَالِكُ) أَنْ يَكُونَ^(١) لِمَحَلٍّ ، وَأَنْ يَكُونَ لَوْقَتٍ .

و(هَنَالِكُ) ، و(هَنَاكَ) ، و(هَنَا)^(٢) ، و(هَاهُنَا) شيء واحد ، إِلَّا أَنَّ (هَنَا) ، و(هَاهُنَا) لَمْ يُذْكَرَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَإِنَّمَا ذُكِرَا فِي الْمَحَالِّ^(٣) الْقَرِيبَةِ مِنْكَ .

قَالَ الزَّجَّاجُ^(٤) : و(هَنَالِكُ) فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ ؛ لِأَنَّهُ ظَرَفٌ ، وَيَقَعُ فِي الْمَكَانِ مِنَ الزَّمَانِ وَالْحَالِ^(٥) .

[وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿هَنَالِكَ دَعَا﴾ ؛ أَيِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الزَّمَانِ وَالْحَالِ]^(٦) دَعَا .

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ : لَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا مَا أُوتِيَ^(٧) مَرِيَمَ مِنْ فَاكِهَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفَاكِهَةِ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ عَلَى خِلَافِ مَجْرَى الْعَادَةِ ، طَمَعَ فِي رِزْقِ الْوَلَدِ مِنَ الْعَاقِرِ ، عَلَى خِلَافِ مَجْرَى الْعَادَةِ ، فَدَعَا اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ : ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ ؛ أَيِ مِنْ عِنْدِكَ^(٨) . و(لَدُنْ) اسْمٌ غَيْرُ مَتَمَكِّنٍ^(٩) ، وَنَذَكَرَ حَقِيقَتَهُ ، وَمَا قِيلَ فِيهِ ، فِي سُورَةِ الْكَهْفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

= انظر : اللسان (جبل) ١٠٩٧/٢ ، و(خول) ١٢٩٣/٣ ، و(عصا) ٢٩٨٠/٥ ، و(يسر) ٤٩٥٩/٨ - ٤٩٦٠ . والشاهد في البيت : قوله : (هَنَالِكُ) المحتملة أن تكون لوقت ومكان .

(١) في (ب) : (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَنَالِكُ) .

(٢) و(هَنَا) : ساقطة من (ج) .

(٣) (ج) : (المحل) .

(٤) في معاني القرآن له ٤٠٤/١ ، ونقله بتصريف يسير جداً .

(٥) في (ج) (وأحوال الزمان) ، بدلاً من (من الزمان والحال) .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) ومن معاني القرآن للزجاج .

(٧) في (د) : (أولي) .

(٨) ممن قال بذلك ابن عباس ، والسُّدِّي ، وابن جبير ، والحسن . انظر : تفسير الطبري ٢٤٩/٣ ، وتفسير

ابن أبي حاتم ٦٤١/٢ ، والدر المنثور ٣٧/٢ .

(٩) الاسم غير المتمكن هو الاسم المبني الذي لا يتغير آخره بتغير العوامل في أوله ؛ أي لا يتمكن من =

وقوله تعالى : ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ؛ أي ^(١) نسلًا مباركًا تقيًا ^(٢) . والذُرِّيَّة يكون ^(٣) واحدًا وجمعًا ، وذكرًا وأنثى ^(٤) .

والمراد بالذرية هاهنا : ولدٌ واحدٌ ؛ لقوله : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم : ٥] .

قال الفرّاء ^(٥) : وأنت الطَّيِّبَةُ ؛ لتأنيث لفظ الذرية ؛ كما قال الشاعر :

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتُهُ أُخْرَى

وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الْكَمَالُ ^(٦)

تحمّل الحركات المختلفة . انظر : معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور محمد اللبدي ٢١٣ .
(وَلَدُنْ) : اسم جامد يُعرب ظرفاً للمكان أو الزمان ، مبني على السكون ، في محل نصب مفعول فيه ، وهي تلازم الإضافة الاسم ، أو الضمير ، أو الجملة ، وإذا أُضيفت إلى ياء المتكلم اتصلت بها نون الوقاية ، فيقال : (لَدُنِّي) ويقل تجريدها منها ، فيقال : (لَدُنِّي) وهي في المعنى والإضافة كـ (عند) ، إلا أنها أقرب مكاناً من (عند) وأخصُّ منها . انظر : معجم الأدوات النحوية للدكتور محمد التونجي : ١٠١ ، معجم النحو للدكتور الدقر ٣٠٩ ، وموسوعة النحو والصرف للدكتور أميل يعقوب ٥٧٦ .
(١) من قوله : (أي ...) إلى (فهب لي من لدنك ولياً) : نقله بتصريف يسير عن تفسير الثعلبي ٣ / ٤٤٤ أ .

(٢) عند الثعلبي : (تقياً) .

(٣) في (ب) و(د) ، وعند الثعلبي : (تكون) ، وفي (ج) غير منقوطة .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١ / ٢٠٨ ، وتفسير الطبري ٣ / ٢٤٩ ، وتهذيب اللغة ٢ / ١٢٧٤ .

(٥) في معاني القرآن له ١ / ٢٠٨ . نقله عنه بالمعنى .

(٦) البيت نسبته ابن الأباري لَنُصَيْبِ بن رباح . انظر : المذكر والمؤنث ٢ / ١٦٣ . وقال محقق الكتاب : إن البيت ليس في مجموع شعره . وقد ورد غير منسوب في معاني القرآن للفرّاء ١ / ٢٠٨ ، وتفسير الطبري ٣ / ٢٤٨ ، والزاهر ٢ / ٢٤٢ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٤٤٤ ، المحرر الوجيز ٣ / ٩٦ ، واللسان (فلج) ٦ / ٣٤٥٩ ، و(خلف) ٢ / ١٢٣٥ .

فَأَنْتَ فَعَلَ الْخَلِيفَةِ ؛ لِتَأْنِيثِ لَفْظِهِ^(١) . وَقَالَ آخَرُ :

فَمَا تَزْدَرِي مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ
سُكَاتٍ^(٢) إِذَا مَا عَضَّ لَيْسَ بِأَذْرَدَا^(٣)

فجمع التأنيث ، والتذكير : مَرَّةً عَلَى اللَّفْظِ ، وَمَرَّةً عَلَى الْمَعْنَى .

قال : وهذا يجوز في أسماء الأجناس ، دون التي معناها : فلانٌ ؛ نحو :
(طَلْحَة) ، و(حَمْزَة) ، و(مُغِيرَة) . لا يجوز (جاءت طلحة) ؛ من قَبْلِ أَنَّ التَّذْكَيرَ
الحقيقي يغلب على تأنيث اللفظ .

(١) أي قال : (ولدتة أخرى) ؛ نظراً لأن لفظ الخليفة مؤنث ، والوجه أن يقول : ولده آخر . قال ابن الأنباري : «ويقال : قال الخليفة ، وقالت الخليفة ، ويقال : قال الخليفة الآخر ، والخليفة الأخرى ؛ فمن ذَكَرَ ، قال : الخليفة ، معناه : فلان ؛ ومن أَنْثَ ، قال : هو وصف قد دخلته علامة التأنيث ، فحمل الفعل على لفظ المؤنث . . . ومن استعمل لفظ المؤنث ، قال في الجمع : خلائف ، ومن استعمل المعنى المذكر ، قال في الجمع : خلفاء . . . » . الزاهر ٢/٢٤٢ ، وانظر : المذكر والمؤنث : له ٢/١٦٣ .

(٢) في النسخ جميعها : سُكَاتٌ ، ولم أر لها وجهاً ، والتصويب من المصادر التي أوردت البيت ، وسيأتي بيانها .

(٣) لم أهدأ إلى قائله ، وقد ورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ١/٢٠٨ ، وتفسير الطبري ٣/٢٤٨ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١/١٢٥ ، وتهذيب اللغة (سكت) ٢/١٧١٨ ، والصحاح (سكت) ١/٢٥٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/٤٤٤ ، والمحرم الوجيز ٣/٩٦ ، واللسان (سكت) ٤/٢٠٤٦ . وقوله : (سُكَاتٌ) : وصف للحية ، يقال : (حية سُكَاتٌ ، وسَكُوتٌ) ، إذا لم يشعر بها الملسوع حتى تلسعه . وقوله : (أذردا) ؛ أي ليس في فمه سنٌّ ، والدَّرْدُ : هو ذهاب الأسنان ، والأثني : دَرْدَاءُ .

انظر : الصحاح (درد) ٢/٤٧٠ ، واللسان (سكت) ٤/٢٠٤٦ ، والقاموس (سكت) : ١٥٣ .

والبيت في وصف رجل داهية يقول عنه : كيف تستخف به ، وهو كالحية الجبلية الفاتكة ، التي لا يشعر الملسوع بعضها حتى تعضه بناب لم يسقط ، ولم يذهب سُمُّه . والشاهد فيه كونه أَنْثَ (جبلية) ؛ نظراً لورود الموصوف مؤنثاً في اللفظ ، وهو (حية) ، وذَكَرَ (عضَّ) ؛ لأنه أراد المعنى ؛ أي حية ذَكَرًا .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ . قيل ^(١) : مجيب الدعاء في التفسير ؛ وذلك أن مَنْ لَا يُجَابُ ^(٢) كلامه ، صار بمنزلة مَنْ لَمْ يُسْمَعْ ^(٣) ، فقليل لمن أجيب في سؤاله : سَمِعَ دَعَاؤَهُ . وعلى هذا دَلَّ كلام ابن عباس في تفسير هذه الآية ؛ لأنه قال في قوله ^(٤) : ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ؛ يريد : لأنبيائك ، وأهل طاعتك ^(٥) .

وهذا يدل على أنه أراد بالسمع : الإجابة ؛ لأن دعاء غير هؤلاء مسموع لله -تعالى- على الحقيقة .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ، يقال : نادى ، مُنَادَاً ، ونداءً . فالكسر : مصدرٌ ^(٦) ، والضم اسمٌ ^(٧) . وأكثر ما جاءت الأصوات على ضَمٍّ أولها ؛ نحو : (الرُّغَاء) ^(٨) ، و(البُكَاء) ، و(الصُّرَاخ) ، و(الهُتَاف) ^(٩) .

-
- (١) لم أقف على صاحب هذا القول ، وقد حكاه الثعلبي في تفسيره ٣ / ٤٤٤ أ ، والبغوي في تفسيره ٢ / ٣٣ ، وابن الجوزي في الزاد ١ / ٣٨٠ .
- (٢) في (أ) و(ب) : (الإيجاب) ، والمثبت من (ج) و(د) .
- (٣) في (أ) و(ب) : (يَسْمَع) ، والمثبت من (ج) و(د) .
- (٤) في (أ) : قولك ، والمثبت من (ب) و(ج) و(د) .
- (٥) لم أقف على مصدر قول ابن عباس هذا .
- (٦) انظر : جوهرة اللغة (ندى) ٢ / ١٠٦١ .
- (٧) ويردُ الاسمُ منه كذلك بالكسر ؛ فيقال : (نداء) ، و(نداء) . وجعل الجوهرِيُّ الكسرَ هو الأصل ، فقال : «النَّداء : الصوت ، وقد يُضَم» . الصحاح ٦ / ٢٥٠٥ . انظر (ندى) : في تهذيب اللغة ٤ / ٣٥٤٥ ، واللسان ٧ / ٤٣٨٨ ، والتاج ٢٠ / ٢٣٣ .
- (٨) في (ج) و(د) : (الدعاء) . والرُّغَاء : صوت البعير ، والضبع ، والنَّعام . انظر : القاموس (رغى) : ١٢٨٩ .
- (٩) في جميع النسخ : (والهتات) ، ولم أجدها في معاجم اللغة التي رجعت إليها ، ولم أرها وجهاً ، وما أثبتته هو ما رجَّحتُ ؛ لأن (الهُتَاف) ، و(الهُتَف) : هو الصوت الجافي العالي ، أو الصوت الشديد . انظر : المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل ١ / ٢٩٤ ، واللسان (هتف) ٨ / ٤٦١٢ .

وفي قوله : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قراءتان : التذكير ، والتأنيث ^(١) .

قال الفراء ^(٢) : الملائكة ، وما أشبههم من الجمع ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ .

وقرأت القراء : (يعرُج الملائكة) ، و﴿تَعْرُجُ﴾ ^(٣) [المعارج : ٤] ، و﴿تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾ و﴿يَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ^(٤) ^(٥) [النحل : ٢٨] ، فمن ذكَّر ؛ ذهب إلى معنى التذكير ، ومن أنث ؛ فلتأنيث الاسم .

قال الزَّجَّاج ^(٦) : الجماعة ، يلحقها التأنيث ؛ للفظ الجماعة ، ويجوز أن يُعَبَّرَ عنها بلفظ التذكير ؛ لأنه يقال : جمع الملائكة ، وهذا كقوله : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف : ٣٠] .

وقال أهل المعاني ^(٧) : أراد بالملائكة ^(٨) هاهنا : جبريل وحده ^(٩) ، وذلك جائز في العربية أن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع ، كما تقول في الكلام : ركب

(١) قرأ حمزة والكسائي من السبعة ، وخلف من العشرة (فناداه) ، بإمالة الدال ، وتروى هذه القراءة عن علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن زيد وابنيه ، وجعفر بن محمد . القطع والائتناف : ٢٢٢ . والباقون : (فنادته) . انظر : السبعة : ٢٠٥ ، والحجة للفارسي ٣٧ / ٢ ، والنشر ٢٣٩ / ٣ .

(٢) في معاني القرآن له ٢٠٩ / ١ ، ونقله بنصه .

(٣) والقراءة بالياء : للكسائي ، وبالتاء : للباقيين . انظر : كتاب الإقناع لابن مهران ٢٩٧ ، وحجة القراءات لابن زنجلة : ٧٢١ ، والتبصرة ٧٠٨ .

(٤) الملائكة : ليست في (ج) و(د) .

(٥) القراءة في الموضعين بالياء : لحمزة ، وبالتاء : للباقيين . انظر : الكشف ٣٦ / ٢ ، وحجة القراءات ٣٨٨ .

(٦) في معاني القرآن له ٤٠٥ / ١ . نقله عنه بتصريف يسير .

(٧) نقل المؤلف هنا عبارة الفراء باختصار عن معاني القرآن ٢١٠ / ١ ، ومن قال بذلك الطبري في تفسيره ٢٥٠ / ٣ ، والزَّجَّاج في المعاني ٤٠٥ / ١ ، والنحاس في المعاني ٣٩٠ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ٤٥٠ / ٣ .

(٨) قوله : «المعاني أراد بالملائكة» : مكانها بياض في (د) .

(٩) ممن قال بأن المنادي جبريل وحده عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، والسدي ، ومقاتل . =

السفنَ ، وخرجَ على البغالِ ، وإنما ركب بغلاً واحداً . وهذا^(١) جائز في ما لم يُقصد فيه قصد^(٢) واحدٍ بعينه .

قال الزَّجَّاج^(٣) : المعنى : أتاه النداءُ من هذا الجنس ، الذين هم الملائكة^(٤) ، كما تقول : ركب فلانٌ في السفنِ ، وإنما ركب في سفينةٍ واحدةٍ ؛ تريد بذلك : جعلَ ركوبه في هذا الجنس .

ومثل^(٥) هذا مما في القرآن قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، وهو نُعَيْمُ بن مسعود^(٦) ، ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ ، يعني : أبا سُفْيَانَ^(٧) .

قال المفضل : إذا كان القائل رئيساً ، فيجوز الإخبار عنه بالجمع ؛ لاجتماع أصحابه معه ؛ فلما كان جبريل - عليه السلام - رئيس الملائكة ، وقلما يُبعثُ إلاّ ومعه جمعٌ منهم ، جُرِيَ على هذا . وهذا قول ابن عباس^(٨) ، والأكثرين^(٩) : إنّ المناادي جبريل وحده .

- انظر : تفسير مقاتل ٢٧٤ / ١ ، وتفسير الطبري ٤٤٩ / ٢ ، ٤٥٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٤١ / ٢ ، والقطع والائتناف للنحاس ٢٢٢ ، وزاد المسير ٣٨١ / ١ ، والدر المنثور ٣٧ / ٢ .
- (١) (ج) : (وهو) .
- (٢) في (أ) و(ب) : (وقصد) ، والمثبت من (ج) و(د) ومن معاني القرآن .
- (٣) في معاني القرآن له ٤٠٥ / ١ ، ونقله عنه بتصريف يسير جداً .
- (٤) في (ج) : (ملائكة) . وقوله : (الذين هم ملائكة) : ليس في معاني القرآن .
- (٥) من قوله : (ومثل ...) إلى (... جرى على هذا) : نقله بتصريف يسير عن تفسير الثعلبي ٤٥ / ٣ أ .
- (٦) هو أبو سلمة ، نُعَيْمُ بن مسعود بن عامر الأشجعي . صحابي مشهور ، هاجر إلى الرسول يوم الخندق ، وهو الذي خذَلُ المشركين واليهود حتى صرف الله المشركين . سكن المدينة ، وقتل في وقعة الجمل في أوّل خلافة علي ، وقيل : مات في خلافة عثمان - رضي الله عنه - . انظر : الاستيعاب ٧٠ / ٤ (٢٦٥٨) ، والإصابة ٥٦٨ / ٣ (٨٧٧٩) .

- (٧) سيأتي بيان قصة الآية في موضعها من هذه السورة ، عند تفسير آية ١٧٣ إن شاء الله تعالى .
- (٨) لم أقف على مصدر قوله .
- (٩) قوله : (والأكثرين) ، سبق أن بينت أنه لم يقل بهذا القول غير ابن مسعود - رضي الله عنه - والسدي ، ومقاتل ، بناءً على المصادر التي رجعت إليها .

وقال غيره : ناداه جماعة من الملائكة^(١) .

وقوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ يُقْرَأُ بِ (إن)^(٢) : مكسوراً ومفتوحاً^(٣) ؛ فمن فتح^(٤) ، كان المعنى : (فنادته بِأَنَّ اللَّهَ) ، فلَمَّا حذف الجارَّ منها^(٥) ، وصل الفعلُ إليها فنصبها ؛ فد (إن)^(٦) في موضع [نصب]^(٧) . وعلى قياس قول الخليل : في موضع^(٨) [جَرَّ]^(٩) . وقد ذكرنا هذه المسألة في ما تقدم .

ومن كَسَرَ ، أضمَر القولَ ، كأنه : (ناداه ، فقال : إِنَّ اللَّهَ) فحذف القولَ . وإضمار القول كثير في هذا النحو ، كما قال : ﴿وَالْمَلَكُ يُدْخِلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(١٠) سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ﴿[الرعد: ٢٣ ، ٢٤] ، ﴿وَالْمَلَكُ بَاسِطُونَ أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا﴾ [الأنعام: ٩٣] ،

(١) وَرَجَّحَ هذا الطبري ؛ حملاً لتأويل القرآن على الأظهر الأكثر من كلام العرب ، دون الأقل ، ما وُجد إلى ذلك سبيل . وَيَبَيِّنُ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ هُنَا لَصَرْفِهِ إِلَّا أَنَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَيَبَيِّنُ أَنَّ هَذَا قَوْلَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمْ : قَتَادَةُ ، وَالرَّبِيعُ ، وَعُكْرَمَةُ ، وَمَجَاهِدٌ ، وَغَيْرُهُمْ . تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٣ / ٢٥٠ ، وَانْظُرْ : تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١ / ١٢٠ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٢ / ٦٤١ ، وَالدِّرَ الْمَشْهُورُ ٢ / ٣٧ ، وَرَجَّحَ كَذَلِكَ النُّحَاسُ فِي الْقَطْعِ وَالِاتِّئَانِ ٢٢٣ .

(٢) فِي (ج) وَ(د) : (إِنْ) . وَفِي (د) بَدَلًا مِنْ (بِإِنْ) .

(٣) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ، وَحِزَّةٌ : (إِنْ) بِالْكَسْرِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ : ﴿أَنَّ﴾ بِالْفَتْحِ . انْظُرْ : السَّبْعَةُ ٢٠٥ ، وَالْحِجَّةُ لِلْفَارِسِيِّ ٣ / ٣٨ ، وَالْكَشْفُ لِمَكِّي ١ / ٣٤٣ .

(٤) مِنْ قَوْلِهِ : (فَمَنْ) . . . إِلَى (. . .) فَأَضْمَرَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ كَلَهُ : نَقْلُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ عَنِ الْحِجَّةِ لِلْفَارِسِيِّ ٣ / ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) (مِنْهَا) : سَاقِطَةٌ مِنْ (ج) .

(٦) فِي (ج) : (بِأَنَّ) .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ زِيَادَةٌ مِنْ (د) ، وَمِنْ الْحِجَّةِ . يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ .

(٨) (فِي مَوْضِعٍ) : مَكَانَهَا بِإِضَاحٍ فِي (د) .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ زِيَادَةٌ مِنَ الْحِجَّةِ لِلْفَارِسِيِّ ، يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ . وَانْظُرْ : كِتَابُ سَيَبَوِيهِ ٣ / ١٢٦ -

١٢٩ ، ١ / ٣٧ - ٣٩ ، ٩٢ ، وَالْمَحَلُّ وَوُجُوهُ النِّصْبِ لِابْنِ شَقِيرٍ ٧٦ ، وَسِرُّ صَنَاعَةِ الْإِعْرَابِ ١٣٠ ، وَالْكَشْفُ لِمَكِّي ١ / ٣٤٣ . وَانْظُرْ : تَفْسِيرُ آيَةِ ١٩ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ، وَمَا سَيَذْكُرُهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ ﴿أَن يُؤْتَى﴾ أَحَدُ آيَةِ ٧٣ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ، فأضمم القول في ذلك كله^(١).

وقوله تعالى : ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ ، قد^(٢) ذكرنا معنى التبشير في قوله : ﴿وَيَبْشِرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥] .

وقرأ حمزة والكسائي^(٣) :

(يُبَشِّرُكَ)^(٤) ، مُحَفَّفًا ، من (البَشْرِ)^(٥) وهو بمعنى : التبشير^(٦) .

(١) هذا على مذهب البصريين القائلين بإضمار القول ، أما على مذهب الكوفيين ، فإنهم أجروا النداء مجر القول . انظر : البحر المحيط ٤٤٦/٢ ، والدر المصون ١٥٢/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر للبنا : ١٧٤ .

(٢) من قوله : (قد ...) إلى (....) وقرأ حمزة والكسائي : يبشرك : ساقط من (د) .

(٣) انظر : السبعة ٥٠٢ ، والحجة للفارسي ٤١/٣ . وقد قرأ حمزة : (يُبَشِّرُ) بالتخفيف في كل القرآن ، إلا في قوله : [﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا يُبَشِّرُونَ﴾ آية : ٥٤ من سورة الحجر] ، فقرأها بالتشديد (يُبَشِّرُونَ) . أما الكسائي فقد قرأها بالتخفيف في خمسة مواضع : [آل عمران ٣٩ ، و٤٥] و[الإسراء ٩] و[الكهف ٢] و[الشورى ٢٣] . وأما نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، فقد قرأوها بالتشديد في كل القرآن . وكذا قرأها ابن كثير ، وأبو عمرو في المواضع كلها ، إلا في آية (٢٣) من [الشورى] . انظر : السبعة ٢٠٥ ، والحجة للفارسي ٢٣٩/٣ ، والغاية لابن مهران ١٢٥ ، والتيسير للداني ٨٧ ، والنشر ٢٣٩/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر : ١٧٤ .

(٤) وردت في (أ) (يُبَشِّرُكَ) بكسر الشين المخففة ، وأهملت حركاتها في بقية النسخ ، ولم ترد بها قراءة ، والصواب من قراءتها ما أثبتته ، وما سبق الإشارة إليه ، وقد ورد في قراءة مجاهد ، وحيد بن قيس الأعرج : (يُبَشِّرُكَ) بضم الباء ، وتسكين الباء ، وكسر الشين المخففة . انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٥/١ ، والمحتسب ١/١٦١ ، وتفسير الثعلبي ٤٥/٣ ب . وانظر : ترجمة حميد بن قيس في غاية النهاية ٢٦٥/١ برقم (١٢٠٠) .

(٥) في (أ) : (البَشَرُ) ، ولم أر لها وجهاً ، وأهملت حركاتها في بقية النسخ ، وما أثبتته هو ما استصوبته . قال في اللسان (بشر) ٦١/٤ : «وقد بَشَرَهُ بالأمر ، يَبْشُرُهُ بالضم بَشْرًا ، وَبُشُورًا ، وبَشْرًا ، وبَشَرَهُ به بَشْرًا ... وَبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْرًا وَبُشُورًا» ، وانظر : الصحاح (بشر) ٥٩٠/٢ .

(٦) قال القراء في معاني القرآن ٢١٢/١ : «وكان المشدّد على : بشارات البُشْرَاء ، وكان التخفيف من وجهة الإفراح والسرور ، وهذا شيء كان المشيخة يقولونه» .

قال أبو زيد: يقال: (بَشَّرَ، يُبَشِّرُ)، و[أُبَشِّرَ يُبَشِّرُ]^(١) [إِبْشَاراً]، و(بَشَّرَ، يَبَشِّرُ، بَشَرًا)، ثلاث لغات^(٢). ونحو هذا قال ابن الأعرابي في ما روى عنه ثَعْلَبُ^(٣).

وقال أهل اللغة^(٤): أصل معنى (البَشَر) : إصابة البَشَرَةِ يقال: بَشَرْتُ الأَدِيمَ^(٥): إذا أخذتُ بَشَرَتَهُ بَشْفَرَةً، وبَشَرَ الجَرَادُ الأرض: إذا أكلَ ما عليها، [فأخذَ بَشَرَتَهَا]^(٦)، فاستَعْمَلَ هذا في إيراد الخبر^(٧) السَّارُّ؛ لأنه يصيب البَشَرَةَ بالهَشَاشَةِ^(٨) [٨]^(٩).

-
- (١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د)، ومن الحجة للفارسي .
- (٢) لم أقف على قول ابن زيد في ما رجعت إليه من مصادر، ويبدو أن هذا قول أبي الحسن (الأخفش)، كما في الحجة للفارسي ٣/ ٣٧، ونصه: «قال أبو الحسن: في (يبشر) ثلاث لغات: . . .» وذكر ما دُوِّنَ أعلاه، ثم بعدها نقل الفارسي قولاً آخر لأبي زيد مغايراً لما هنا، فقال: «قال أبو زيد . . .» .
- (٣) انظر: تهذيب اللغة (بشر) ١/ ٣٣٨ .
- (٤) انظر: (بشر) في إصلاح المنطق: ٢١، ٢٢، ٤١، و٢٧٧، والجمهرة: ٣١٠، وتهذيب اللغة ١/ ٣٣٨، والصحاح ٢/ ٥٩٠، ومقاييس اللغة ١/ ٢٥١ .
- (٥) الأديم هنا: الجلد. انظر: القاموس (أدم): ص ١٠٧٤ .
- (٦) أخذ بشرتها؛ أي أكل ما ظهر من نباتها، فجعل ظاهر الأرض كأنه بشرة لها .
- (٧) في (د): هذا إيراد في الخبر .
- (٨) الهَشَاشَةُ والهَشَاشُ: الارتياح، والخَفَّةُ، والنشاط، يقال: هَشَشْتُ إليه، أَهَشُّ، هَشَاشَةٌ: إذا خففت إليه، وارتحت له . انظر: إصلاح المنطق ٢٠٠، والقاموس المحيط (هش) ٦١٠ .
- (٩) ما بين المعقوفين زياد من (ج) و(د) .

وقال الرَّجَّاجُ^(١) :

معنى ﴿يُبَشِّرُكَ﴾^(٢) بالتخفيف : يُسْرُكُ ، ويُفْرِحُكَ ، يقال : بَشَرْتُ الرَّجُلَ ، أبَشُرُهُ : إذا أفرحته ، ف(بَشِرَ)^(٣) ، يَبْشِرُ : إذا فرح .

وقال ابن الأعرابي^(٤) : «بَشَرْتُ بكذا ، وأَبَشَرْتُ به» ؛ أي فرحت^(٥) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت : ٣٠] .

(١) في معاني القرآن له ٤٠٥ / ١ . ولكن النص في معاني القرآن المطبوع المتداول يختلف بعض اختلاف في ضبط الكلمات عما أورده الواحدي ، ونصه في معاني القرآن : «ومعنى : يُبَشِّرُكَ : يسرك ويفرحك ، يقال : بَشَرْتُ الرجلَ أبَشُرُهُ ، وأَبَشُرُهُ : إذا أفرحته ، ويقال : بَشَرَ الرجلَ يَبْشِرُ» ، وما أورده المؤلف مطابق لما في تهذيب اللغة ٣٣٨ / ١ (بشر) ، وأورده كذلك ابن الجوزي في الزاد ٣٨٢ / ١ ، وصاحب اللسان (بشر) ٢٨٧ / ١ ، مما يعني أن يكون الأزهري ، والواحدي ، قد نقلوا من نسخة أخرى غير المعتمدة في المطبوعة ، أو يكون الواحدي ، نقل النص عن الأزهري ، وهو ما أرجحه ؛ نظراً لأن التهذيب من مصادره الأساسية ، التي اعتمد عليها كثيراً .

(٢) في (أ) : يَبْشِرُكَ . أما بقية النسخ فقد أهملت حركاتها . وفي معاني القرآن المطبوع يُبَشِّرُكَ . وما أثبتته هو ما استصوبته ، وهو موافق لما في زاد المسير حيث ضبط الحركات بالحروف ، واللسان ؛ لأن الواحدي أراد أن يبين معنى القراءة بالتخفيف (يُبَشِّرُكَ) ، وما في معاني القرآن المطبوع لا أستبعد الخطأ المطبعي في ضبط حركاتها .

(٣) في (أ) : (فَبَشِرْ) وهو موافق لما في معاني القرآن . وما أثبتته يوافق ما في تهذيب اللغة ، واللسان ، وبقية مصادر اللغة ، ولم أعر على (بَشِرْ) في معاجم اللغة .

(٤) قوله في تهذيب اللغة ٣٣٨ / ١ ، وهو ما أشار إليه المؤلف سابقاً .

(٥) نقله المؤلف باختصار ، ونصه : «يقال : بَشَرْتُه ، وبَشَرْتُهُ ، وبَشَرْتُهُ ، وأَبَشَرْتُهُ» . قال : «وبَشَرْتُ بكذا ، وبَشَرْتُ وأَبَشَرْتُ : إذا فرحت به» .

وقوله تعالى : ﴿يَحْيَى﴾ . (يحيى) ^(١) لا ينصرف ، عربياً كان ، أو عجمياً ^(٢) ؛ لأنه إن كان عجمياً فقد اجتمع فيه العُجْمَةُ والتعريف ، وإن كان عربياً : لا ^(٣) ينصرف ؛ لِشِبْهِهِ ^(٤) بالفعل ، وأنه معرفة .

قال المفسرون : «سَمَّاهُ الله - تعالى - بهذا الاسم قبل مولده» ^(٥) .

قال الحسين ^(٦) بن الفضل ^(٧) : إِنَّمَا سُمِّيَ (يَحْيَى) ^(٨) ؛ لأن الله - تعالى - ^(٩) أحياه بالطاعة ، حتى لم يَعْص ، ولم يَهْم بمعصية . فمعنى (يحيى) : أنه يعيش مطيعاً لله عمره ، ألا ترى أَنَّ الكافر يُسَمَّى (مَيْتاً) ؛ قال الله تعالى : ﴿أَوْمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأَنْعَام : ١٢٢] ، قيل في تفسيره : ضالاً فهديناه ^(١٠) .

وقوله تعالى : ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ . نصب على الحال ؛ لأنه نكرة ، و(يحيى) معرفة .

-
- (١) من قوله : (يحيى . . .) إلى (. . . وأنه معرفة) : نقله بتصرف عن معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٠٦ / ١ .
 - (٢) في (ج) ، ومعاني القرآن : (أعجمياً) .
 - (٣) في (ج) معاني القرآن : (لم) .
 - (٤) في (د) : لتشبيهه .
 - (٥) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٥٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٤٢ ، والنكت والعيون ١ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
 - (٦) في (ج) : (الحسن) .
 - (٧) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٤٦ أ ، وانظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب ٢٦٩ ، ٢٧٠ . وهو أبو علي ، الحسين بن الفضل بن عمير بن كَيْسَانَ البَجَلِي ، تقدم .
 - (٨) في (د) : (بيحيى) .
 - (٩) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .
 - (١٠) وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسُّدِّي ، وابن زيد ، وعكرمة ، وغيرهم . انظر : تفسير الطبري ٨ / ٢١ - ٢٤ ، والدر المنثور ٣ / ٨١ .

قال ابن عباس^(١) : يريد : مُصَدِّقاً بَعِيسَى أَنَّهُ رُوحُ اللَّهِ ، وَكَلِمَتُهُ .

وُسُمِّيَ (عِيسَى) كَلِمَةُ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ حَدَّثَ عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ كُنْ ﴾ ، فَوَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ (الْكَلِمَةِ) ؛ لِأَنَّهُ بِهَا كَانَ .

قال المفسرون : وَكَانَ يُحْيِي أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَصَدَّقَهُ ، وَكَانَ يُحْيِي أَكْبَرَ مِنْ عِيسَى^(٢) .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ يُحْيِي ﴾ . (السَّيِّد) مِنْ بَابِ : (الصَّيَّبِ) ، وَ(الْمَيِّتِ) . وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا فِيهَا^(٣) . وَيُقَالُ^(٤) : سَادَ فُلَانٌ قَوْمَهُ ، يَسُودُهُمْ ، سُودَدًا ، وَسِيَادَةً : إِذَا صَارَ رَأْسَهُمْ^(٥) .

(١) الأثر عنه في تفسير الطبري ٢٥٣/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٥١/٢ ، وتفسير ابن كثير ٣٨٧/١ ، والدر المنثور ٣٨/٢ ، ونسب إخراجَه كذلك للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . وهو قول مجاهد ، والرقاشي ، وقتادة ، والربيع ، والسدي ، والضحاك . انظر : المصادر السابقة .
 وذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٩١/١ إلى أن (كلمة الله) : كتاب الله ، كما تقول العرب للرجل : أنشدني كلمة كذا وكذا ؛ أي قصيدة فلان ، وإن طالت . وأنكر عليه الطبري ذلك إنكاراً شديداً ، وردّه . انظر : تفسير الطبري ٢٥٤/٣ .

(٢) قال به ابن عباس ، والربيع ، والضحاك . انظر : تفسير الطبري ٢٥٣-٢٥٠/٣ ، وتفسير الثعلبي ٤٦/٣ ب .

(٣) في (ج) : فيها . انظر : تفسير البسيط للدكتور الفوزان عند آية ١٩ من سورة البقرة . انظر : ما سبق عند تفسير آية ٢٧ من سورة آل عمران . ويعني : أن (سَيِّدً)، أصلها : (سَيُّودً)، مثل : (صَيِّبً)، و(مَيِّتً) حيث إنَّ أصلها : (صَيُّوبً) و(مَيِّوتً) . انظر : بيان هذه المسألة ، والخلاف فيها ، في كتاب سيبويه ٣٦٥/٤ ، وسر صناعة الأعراب ١٥٣ ، و٥٨٥ ، والإنصاف : ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند تفسير آية ٢٧ من سورة آل عمران .

(٤) (ويقال) : ساقطة من (ج) .

(٥) وفي لغة طيء : (سُودَدَ) بضم الدال ، وورد من مصادره : (سَيِّدُودَةً) . انظر (سود) في العين ٢٨١/٧ ، والصحاح ٤٩٠/٢ ، واللسان ٢١٤٤/٤ .

قال أبو إسحاق^(١) : (السَّيِّد) : الذي يفوق في الخير قومه .

وقال بعض أهل اللغة : (السيد) : المالك الذي^(٣) يجب^(٤) طاعته ؛ ولهذا يقال : سيّد الغلام ، ولا يقال : سيّد الثوب .

سَلَمَة^(٥) عن الفرّاء^(٦) : (السَّيِّد) : المالك^(٧) ، و(السَّيِّد) : الرئيس ، و(السَّيِّد) : الحليم ، و(السَّيِّد) : السَّخِي ، و(السَّيِّد) : الزوج ، ومنه قوله : ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا﴾ [يوسف: ٢٥] [أي زوجها]^(٨) .

وقال أبو خيرة^(٩) : سُمِّيَ (سَيِّدا) ؛ لأنه يَسُودُ سَوَادَ النَّاسِ ؛ أي عَظَمَهُمْ^(١٠) . هذا قول أهل اللغة في معنى (السَّيِّد) .

-
- (١) في (ب) : (ابن) .
 (٢) في معاني القرآن له ٤٠٦ / ١ .
 (٣) من قوله : (الذي ...) إلى (...) والسيد الرئيس) : ساقط من (د) .
 (٤) في (ج) : (تجب) .
 (٥) هو أبو محمد ، سَلَمَة بن عاصم . تقدم .
 (٦) قوله في تهذيب اللغة ٣٥ / ١٣ .
 (٧) في التهذيب ، واللسان (سود) : الملك .
 (٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) ، ومن تهذيب اللغة ١٥٩٠ / ٢ . انظر في : تفسير سيّدتها بزوجه تفسير البيضاوي : ٢٤٣ ، وتفسير أبي السعود ٢٦٧ / ٤ ، وفتح القدير ٢٧ / ٣ .
 (٩) في (د) : (أبو حيوة) . وقوله في تهذيب اللغة ١٥٩٠ / ٢ ، واللسان ٢١٤٤ / ٤ ، ٢١٤٥ . وأبو خيرة ، هو نeshل بن زيد البصري ، أعرابي بدوي من بني عَدِيّ ، دخل الحاضرة ، وأخذ عنه الناس ، وصنف في الغريب كتاباً . انظر : الفهرست : ٧٢ ، وإنباه الرواة ١١٧ / ٤ ، ومعجم الأدباء ٢٤٣ / ١٩ ، وبغية الوعاة ٣١٧ / ٢ .
 (١٠) في تهذيب اللغة : (معظمهم) .
 و(عُظْمَهُمْ) : أكثرهم ، ومعظمهم . انظر : الصحاح (عظم) ١٩٨٧ / ٥ .

فأما أهل^(١) التفسير فقال ابن عباس^(٢) : السَّيِّدُ : الكريم على رَبِّهِ عز وجل . وقال قتادة^(٣) : السَّيِّدُ هو العابد ، الورع ، الحليم . وقال عكرمة^(٤) : السيد : الذي لا يغلبه غضبه .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ ، (الحَصْر) في اللغة : الحَبْسُ^(٥) . يقال : حَصَرَهُ ، يَحْصُرُهُ ، حَصْرًا . وَحَصَرَ الرجلُ : إذا اعتَقَلَ بطنه^(٦) ، وَحَصَرَ الرجلُ عن النساء ، فهو حَصُورٌ .

-
- (١) (أهل) : ساقطة من (ب) .
- (٢) لم أهتم إلى مصدر قوله ، وقد أورده ابن الجوزي في الزاد ١/ ٣٨٣ ، وهو قول مجاهد ، والرقاشي . انظر : تفسير الطبري ٣/ ٢٥٤ ، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٤٣ ، والبغوي ٢/ ٣٤ ، والدر المنثور ٢/ ٣٨ أورده عن مجاهد ، ونسب إخراج كذا إلى عبد بن حميد . والوارد عن ابن عباس ، تفسيره بـ (الحليم النقي) ؛ كما في تفسير الطبري ٣/ ٢٥٤ ، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٤٢ ، وزاد المسير ١/ ٣٨٣ ، والدر المنثور ٢/ ٣٩ ، ونسب إخراج كذا لعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن عساكر .
- (٣) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٢٥٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٤٢ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٥٩٠ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٧أ ، وتفسير البغوي ٢/ ٣٤ .
- (٤) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٢٥٥ ، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٤٢ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٥٩٠ ، والدر المنثور ٢/ ٣٩ ، وزاد نسبه لابن أبي الدنيا في ذم الغضب .
- (٥) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (حصر) : «الحاء ، والصاد ، والراء ؛ أصل واحد ؛ وهو الجمع والحبس والمنع» ٢/ ٧٢ . انظر : غريب القرآن لليزيدي ٣٤ ، والصحاح ٢/ ٦٣٠-٦٣٢ ، وما سيأتي من مراجع .
- (٦) في الصحاح ٢/ ٣٦٢ (حصر) : «والْحَصْرُ بالضم : اعتقال البطن ، تقول فيه : (حَصَرَ الرجل) ، وَ(أَحْصَرَ) ، على ما لم يُسَمِّ فاعله» .
- (٧) ورد ضَبَطُهَا في تهذيب اللغة : (حَصَرَ) ، حيث قال : «ورجل حَصُورٌ : إذا حَصَرَ عن النساء . . .» ١/ ٨٣٨ ، وانظر : ١/ ٨٣٩ ، وكذا ورد في اللسان (حصر) ٢/ ٨٩٦ . ولكن ورد في الصحاح (حصر) : «كل من امتنع عن شيء ، فلم يقدر عليه ، فقد حَصَرَ عنه ، ولهذا قيل : حَصَرَ في القراءة ، وَحَصَرَ عن أهله» ٢/ ٦٣١ .

والْحَصُورُ: الضَّيِّقُ^(١)، البخيل، الذي يمنع ماله، فلا يُخْرِجُ مع الندامى^(٢) شيئاً للشراب^(٣)، ومنه:

لا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَوَّارٍ^(٤)

- (١) من قوله: (الضيق...) إلى (... ولا فيها بسوار): ساقط من (ب).
- (٢) الندامى هنا: هم الذي يجتمعون على الشراب، وهذا هو الأصل فيها، ثم استعملت في كل اجتماع للمسامرة. يقال: نادمه على الشراب، مُنادمة، ونداماً. والمفرد: نديم، ونَدَمَان. والجمع: نَدَامَى، ونَدَمَاء، وندام. انظر في أساس البلاغة (ندم) ٤٣٢/٢، والتاج ٦٨٣/١٧.
- (٣) انظر: التهذيب (حصر) ٨٣٨/١. وقال ابن سيده في المخصص ٢٥/١٤: «والْحَصِير... الذي لا يشرب مع القوم لبخله، وهو الْحَصُور»، وكذا ورد في مجالس ثعلب ٥٠٩.
- (٤) قوله: (فيها بسوار): بياض في (د). وهذا عجز بيت وصدرة:
- وشارب مُرِيحٍ بالكأس نادمني
وهو للأخطل، في شعره ١٦٨، وكما ورد منسوباً له في أغلب المصادر الآتية: مجاز القرآن ٩٢/١، وطبقات فحول الشعراء ٥٠١، ومجالس ثعلب ٣١٥، و٥٠٩، ومعاني القرآن للزجاج ٤٠٧/١، وتفسير الطبري ٢٥٥/٣، والقطع والاستئناف للنحاس ٢٢٣، وجمهرة أشعار العرب: ٣٢٨، وتهذيب اللغة (حصر) ٨٣٨/١، والمحتسب ٢٤١/٢، والصحاح (حصر) ٦٣١/٢، ومقاييس اللغة (حصر) ١١٥/٣، وتفسير الثعلبي ٤٨/٣، والمخصص ٢٥/١٤، وتفسير القرطبي ١٥٨/٣، واللسان (حصر) ٨٩٦/٢، و(سور) ٢١٤٧/٤. وورد في مجالس ثعلب برواية أخرى، وذكرها ابن جني في المحتسب: «... ولا فيها بسار» بتشديد الألف، وقال ابن جني: «وأجود الروايتين: (بسوّار)؛ أي بمعريد»، وفي القطع والاستئناف: «وصاحب مريح...». ومعنى (مُريح)؛ أي يصف نديمه في الشراب، بأنه يُربح بائعها، ولا يبالي بأن يشتريها بثمن غال، وهو هنا يمدحه بحب اللّهُو والكرم، أو تكون (مريح) من: أَرَبَحَ الرجلُ: إذا نحر لأضيافه (الرَّبْح)، وهي الفصلاَن الصغار. وقوله: (لا بالحصور)؛ أي ليس بخيلاً ممسكاً. ومعنى: (ولا فيها بسوّار)؛ السّوّار: الذي تَسُورُ وتَدبُّ الخمرُ في رأسه سريعاً، فتشبه به وتُشبَّ المعرِد على من يُشارِبُه. أما الرواية الثانية (ولا فيها بسار)؛ أي لا يُبقي في الإناء سُوراً، أي بقية، بل يشتمُّه كلّهُ.
- انظر: اللسان (ريح) ١٥٥٣/٣، و(حصر) ٨٩٦/٢، و(سور) ٢١٤٧/٤.

و(الحَصُور)، و(الحَصْرُ) أيضاً: الذي يكتُم السِّرَّ، ويحبسه في نفسه . قال جرير :

ولَقَدْ تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فصادفوا حَصْرًا بِسِرِّكَ^(١) يا أُمَيِّمَ ضَنِينَا^(٢)
قال ابن قتيبة^(٣): الحَصُور: الذي لا يأتي النساء، وهو (فَعُولٌ) بمعنى: (مفعول)، كأنه^(٤) محصور عنهن؛ أي مأخوذ^(٥) محبوس^(٦)، ومثله: (رَكُوب)، بمعنى: مَرْكُوب^(٧)، و(حَلُوب)، بمعنى: مُحْلُوب^(٨). ويجوز أن يكون (فَعُولًا) بمعنى: (فاعل)؛ يعني: أنه حَصَرَ نفسه عن الشهوات.

(١) في (ج) و(د): (يسرك).

(٢) في نسخة (ب) دمج بيت الأخطل مع بيت جرير، كآلآتي:

لا بالحصر ولا عنها بسوار بسرك يا أُمَيِّمَ ضَنِينَا
وقد ورد بيت جرير، في ديوانه ٤٧٦. كما ورد منسوباً له في مجاز القرآن ٩٢/١، وتفسير الطبري ٢٥٥/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٠٧/١، وتهذيب اللغة ٨٣٩/١، ومعجم مقاييس اللغة ٧٣/٢، وتفسير الثعلبي ٤٨/٣، والمخصص ٢٠/٣، واللسان (حصر) ٨٩٦/٢، و(سقط) ٢٠٣٨/٤. وورد عند الطبري: (تَسَاقَطَنِي)، وفي اللسان ٢٠٣٨/٤: (... حَجَّأَ بِسِرِّكَ). و(تَسَقَّطَه)، و(استسقطه)، و(تساقطه)؛ بمعنى: طلب سَقَطَه؛ أي خطأه وعثرته، وعالجه على أن يخطئ، وفي البيت: عالجه على أن يسقط فيخطئ أو ييوح بها عنده. أما في الرواية الثانية: (... حَجَّأَ بِسِرِّكَ)؛ أي مستمسكاً به، من قولهم: (حَجَّأَ بالشيء، وحَجَّأَ به، حَجَّأَ)؛ أي تمسك به ولزمه. ومعنى (الضَّنين): البخل، الحريص على الشيء. انظر: اللسان (سقط) ٢٠٣٨/٤، و(حجأ) ٧٧٧/٢، والقاموس (ضنن) ١٢١٢.

(٣) في تفسير غريب القرآن له ٩٩، ونقله مع اختصار قليل.

(٤) في (ج): (فكأنه)، وفي (د): (وكأنه).

(٥) في (د): (أحود).

(٦) قال ابن قتيبة بعدها: «وأصل الحصر: الحبس».

(٧) (بمعنى مركوب): ساقط من (ج) و(د).

(٨) انظر: معاني القرآن للنحاس ٣٩٤/١.

وجميع المُفسِّرين : على أن (الحَصُور) هاهنا : الذي لا يأتي النساء ، ولا يقربهن ^(١) .

قال ابن عباس : هو الذي لا يجامع النساء ، إنما له فَرْجٌ كَفَرْجِ الصَّبِيِّ الصغير ^(٢) وقال سعيد بن المسيَّب ^(٣) : هو العِنين .

وروي عن النبي ﷺ ، أنه ذكر يحيى بن زكريا ، ثم أهوى بيده إلى قَدَاة ^(٤) من الأرض فأخذها ، وقال : «كَانَ ذَكَرُهُ مِثْلَ هَذِهِ الْقَدَاةِ» ^(٥) .

(١) وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جبير ، وقتادة ، وعطاء ، وأبي الشعثاء ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد ، وعطية العوفي انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٤٣ ، ٦٤٤ ، وتفسير الثعلبي ٣/٤٨٨ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٨٧ ، وتفسير القرطبي ٤/٧٨ .

(٢) الذي في تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٤٣ : «عن ابن عباس ، قال : الحصور : الذي لا يأتي النساء» ، وأورده السيوطي في الدر ٢/٣٩ ، ونسب إخراجه إلى عبدالرزاق ، وابن المنذر ، وابن عساكر .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣/٢٥٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/٤٨٨ . وقد تقدمت ترجمته .

(٤) القداة : هي الشيء الصغير جداً ، مما يقع على العين والماء والشراب من تراب ، أو تُبن ، أو وسخ ، أو غير ذلك . وجمعها : (قَدَاةٌ) ، وجمع الجمع : (أَقْدَاءُ) . انظر : اللسان (قذ) ٦/٣٥٦٢ .

(٥) الحديث : أخرجه الطبري في تفسيره ٣/٢٥٥ ، ويسنده عن سعيد بن المسيب عن ابن العاص ؛ إما عبدالله أو أبيه ، من طرق مختلفة ، مرفوعاً وموقوفاً ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٣ عن ابن المسيب عن ابن العاص مرفوعاً وموقوفاً ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٣٧٣ ، وقال : «صحيح على شرط مسلم» ، وافقه الذهبي ، وأورد ابن كثير في تفسيره ١/٣٨٧ رواية ابن أبي حاتم المرفوعة والموقوفة ، وقال عن المرفوعة : إنها غريبة جداً ، وقال عن الموقوفة : «فهذا موقوف ، أصح إسناداً من المرفوع» ، وقال : «رواه ابن المنذر في تفسيره من طريق آخر عن سعيد بن المسيب ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص» . وأخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيريهما عن أبي هريرة مرفوعاً . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٤٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/٤٨٨ . وأورده السيوطي في الدر ٢/٣٩ ، ونسب إخراجه كذلك إلى ابن المنذر وابن عساكر ، وقال : «وأخرجه ابن أبي شيبة ، وأحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر ، عن أبي هريرة من وجه آخر عن ابن عمر ، موقوفاً ، وهو أقوى إسناداً من المرفوع» . وقد نقل ابن كثير بعد أن أورد بعضاً من هذه الآثار قول القاضي عياض حولها ، ونصه كما في (الشفاء) : «فاعلم أن ثناء الله - تعالى - على يحيى بأنه حَصُورٌ ، ليس كما قال بعضهم : إنه كان هَيُوباً [أي يهاب الفعل المعروف] ، أو لا ذَكَرَ له ، بل قد أنكر هذا حدائق المفسرين ، ونقّاد العلماء ، =

فعلى هذا القول : (الحَصُور) ، بمعنى : (المحصور) ، وهو الذي حُصر عنهن ، على ^(١) قول الجمهور ، وهو (فَعُول) بمعنى (فاعل) ؛ لأنه حَبَسَ نفسه عنهن . وقد استقصينا هذا الحرف عند قوله : ﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْتَ يَكُونُ لِي عُلْمٌ ﴾ ، ذهب كثير من المفسرين إلى أن زكريّا خاطب بهذا جبريل عليه السلام ، فقال : (رَبِّ) ؛ أي يا سيّدي ^(٢) . وذهب جماعة إلى أنه خاطب الله تعالى ^(٣) .

وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، وإنما معناه : أنه معصوم من الذنوب ؛ أي لا يأتيها ، كأنه حُصر عنها ، وقيل : مانعاً نفسه من الشهوات ، وقيل : ليست له شهوة في النساء . فقد بان لك من هذا أنّ عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها موجودة ، ثم قمّعها ؛ إمّا بمجاهدة ، كعيسى عليه السلام ، أو بكفاية من الله تعالى ، كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة ؛ لكونها مُشغلة في كثير من الأوقات ، حاطة إلى الدنيا ، ثم هي في حقّ من أقدر عليها ، ومُلكها ، وقام بالواجب فيها ، ولم يشغله عن ربه درجةً علياء ، وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم تشغله كثرتهم عن عبادة ربّه ؛ بل زاده ذلك عبادة ؛ لتحصينهنّ ، وقيامه بحقوقهنّ ، واكتسابه لهنّ ، وهدايته إياهنّ ؛ بل صرّح أنها ليست من حظوظ دنياه هو ، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره ، ثم ساق القاضي عياض الأدلة على ذلك . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض : ٨٨ . ثم يقول ابن كثير : « والمقصود ، أنه مدّح ليحيى بأنه حَصُورٌ ، ليس أنه لا يأتي النساء ؛ بل معناه : . . . أنه حصور عن الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال ، وغشيانهنّ ، وإيلادهنّ ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم ، حيث قال : ﴿ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ، كأنه قال : ولدًا لَهُ ذرية ونسل وعقب . والله أعلم » . تفسير ابن كثير ١/ ٣٨٨ . وانظر : تفسير الفخر الرازي ٨/ ٤٠ وقال بأنه : « اختيار المحققين » ، وغرائب القرآن للنيسابوري ٣/ ١٨٣ ، وتفسير الخازن ١/ ٢٨٩ .

- (١) في (ج) : (وعلى) .
- (٢) وهذا قول الكلبي ، كما في تفسير الثعلبي ٣/ ٤٨ ب ، وقال الثعلبي بأنه قول أكثر المفسرين ، تفسير القرطبي ٤/ ٧٩ ، الخازن ١/ ٢٩٠ .
- (٣) وهو الظاهر من الآية .

وقوله: ﴿أَنْتَ يَكُونُ﴾ ، إن قيل : كيف أنكر زكريّا الولدَ مع تبشير الملائكة إيّاه به ؟ وما معنى هذه المراجعة ؟ ولم عجب ^(١) من ذلك بعد إخبار الله - تعالى - بأنه يكون ، إذ يقول عز وجل : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ ؟ فالقول في ذلك : ﴿أَنْتَ يَكُونُ لي﴾ ^(٢) أن معنى قوله : ﴿أَنْتَ يَكُونُ﴾ على أي حال يكون ذلك ؛ أيرُدني إلى حال الشباب ، وامرأتي أم من حال الكبر ؟ فقال ما قال من هذا مستتبّاً ، ومستعلماً ، لا متعجباً ، ولا منكراً ^(٣) .

والْعُلَامُ : الشابُّ من الناس . وأصله من (الْعُلْمَةِ) . و(الاغْتلام) ؛ وهو شِدَّةُ طَلَبِ النِّكَاحِ . ويقال : غُلَامٌ بَيْنَ ^(٤) الْعُلُومِيَّةِ ، وَالْعُلُومَةِ ، وَالْعُلَامِيَّةِ ^(٥) .

قال الفراء ^(٦) : والعرب تجعل مصدر كل اسم ليس له فعل ^(٧) معروف على هذا المثال . فتقول : هذا [عبدٌ] ^(٨) بَيْنَ ^(٩) الْعِبُودِيَّةِ ، وَالْعِبْدِيَّةِ ^(١٠) ، وَالْعِبُودَةِ .

(١) في (ج) : (اعجب) .

(٢) (لي) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٣) ومن قال بهذا الحسن ، وابن كيسان ، وابن الأنباري . انظر : زاد المسير ١ / ٣٨٤ . وقيل : بأي منزلة أَسْتَوْجِبُ هذا ؟ قاله على سبيل التواضع لله ، والشكر له ، والاستعظام لقدرته - تعالى - التي لا يعجزها شيء . انظر : معاني القرآن للنحاس ١ / ٣٩٥ ، والنكت والعيون ١ / ٣٩١ ، وغرائب القرآن ٣ / ١٨٤ ، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل للرازي ٦١ .

(٤) في (د) : (من) .

(٥) انظر : كتاب خلق الإنسان ١١ ، وتهذيب اللغة (علم) ٣ / ٢٦٩١ ، والصحاح (علم) ٥ / ١٧٩٧ .

(٦) لم أعتد إلى مصدر قوله ، وقد ورد بعضه في تهذيب اللغة (عبد) ٣ / ٢٣٠١ ونُصّه : وقال الفراء : يقال : فلان عبدٌ بَيْنَ الْعِبُودَةِ ، وَالْعِبُودِيَّةِ ، وَالْعِبْدِيَّةِ .

(٧) (فعل) : ساقط من (ب) .

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٩) في (أ) و(ب) : (من) ، والمثبت من (ج) و(د) ، ومن تهذيب اللغة ٣ / ٢٣٠١ .

(١٠) (والعبدية) : ساقط من (ج) و(د) .

وقوله تعالى : ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ . الْكِبَرُ مصدرٌ : (كَبَرَ الرجلُ ، يَكْبُرُ) : إذا أَسَنَّ^(١) .

قال أهل المعاني^(٢) : معنى ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ : وقد بَلَغْتُ الْكِبَرَ ؛ وذلك أن كلَّ^(٣) شيءٍ صَادَقْتَهُ وبلغته ، فقد صادفك وبلغك . وكان نسبةُ الفعلِ إلى الكبر ، كنسبته^(٤) إلى الرجل ؛ يدل على هذا قولُ العرب : تَلَقَّيْتُ الحائِطَ ، وتَلَقَّاني^(٥) الحائِطُ .

فإن قيل : أيجوز^(٦) (بلغني البلدُ) في موضع (بلغتُ البلدَ) ؟ قيل : إنما جاز في الْكِبَرِ ؛ لأن الْكِبَرَ بمنزلة الطالب ، فهو يأتيه بحدوثه^(٧) فيه ، والإنسان^(٨) أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه ، ولا يجوز مثل ذلك في البلد ، وليس الْكِبَرُ بمنزلة البلد ، إنما هو بمنزلة : القول ، والعطاء ، والإفضال^(٩) ، والعقاب ، فكما يجوز : (بلغني

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٢/٣٥٧ ، والقاموس المحيط (كبر) : ٤٦٨ . والقياس أن (فَعَلَ) من الثلاثي المجرد ، يأتي مضارعها على (يَفْعَلُ) . انظر : المظهر ٢/٣٧ . أما (كَبَرَ ، يَكْبُرُ) ، فهي إذا ما أردت عَظُمَ الشيء والأمر ، فهي مثل : (عَظُمَ ، يَعْظُمُ) . انظر : تهذيب اللغة (كبر) ٤/٣٠٩٠ ، ٣٠٩١ .
- (٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/٤٠٨ ، ومجاز القرآن ١/٩٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/٤٨ ب .
- (٣) من قوله : (كل . . .) إلى (. . . وبلغك) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزجاج ١/٤٠٨ .
- (٤) في (أ) : (كنسبة) ، والمثبت من بقية النسخ .
- (٥) في (ج) : (فتلقاني) .
- (٦) في (ج) : (تحوز) ، وفي (د) (لا يجوز) .
- (٧) من قوله : (بحدوثه . . .) على : (. . . أيضاً يأتيه) : ساقط من (ج) .
- (٨) في (د) : (والإنصاف) .
- (٩) في (د) : (والاتصال) .

عطاؤك) ، و(بَلَعْتُ زَيْدًا^(١) جَائِزُكَ) ، (وبلغ عبد الله عقابك) ، جاز أن يكون^(٢) البلوغ منسوباً^(٣) إلى الكبر^(٤) .

قال ابن عباس في رواية الضحاك^(٥) : كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن عشرين ومائة سنة ، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة .

وقوله تعالى : ﴿وَأَمْرًا قَاقِرًا﴾ . العاقر^(٦) من النساء : التي لا تلد . يقال : عَقُرَتْ ، تَعْقُرُ ، عَقْرًا ، وَعَقَارَةٌ^(٧) .

أنشد الفراء :

إِرْزَامَ نَابٍ عَقُرَتْ أَعْوَامًا فَعَلَقْتُ بَنِيهَا^(٨) تَشَامًا^(٩)

- (١) في (ج) : (زيد) .
- (٢) (أن يكون) : ساقط من (ج) .
- (٣) في (أ) و(ب) : (منصوباً) ، والمثبت من (ج) و(د) .
- (٤) انظر : تأويل مشكل القرآن ١٩٣-١٩٨ ، وفقد جعل هذا من المقلوب ، وهو أن يقدم ما يوضحه التأخير ، ويؤخر ما يوضحه التقديم .
- (٥) الأثر في تفسير الثعلبي ٤٨/٣ ب ، تفسير البغوي ٣٥/٢ ، وزاد المسير ٣٨٥/١ .
- (٦) (العاقر) : ساقطة من (د) .
- (٧) في (ب) : (وعقاراً) .
- (٨) في (د) : (فعقرت بنتها) .
- (٩) في (ج) : (تساماً) . لم أقف على قائله ، وقد أورد الثعلبي في تفسيره ٤٨/٣ ب ، قائلاً : « وأنشد الفراء » وذكره ، وأورده السمين الحلبي في الدر المصون : وقال : « وأنشد الفراء » وذكره . وروايته في الدر المصون .
أِرْزَامَ نَابٍ عَقُرَتْ أَعْوَامًا فَعَلَقْتُ بَنِيهَا تَشَامًا
ومعنى (الإرزام) : الصوت الذي لا يُفْتَحُ به الفم ، ومنه : (الرَّزْمَة) ، وهو ضرب من حنين الناقة على ولدها حين تراه ، يقولون : أَرَزَمَتِ الناقةُ إِرْزَامًا . وقيل : هو دون الحنين ، والحنين أشد من الرَّزْمَةِ .
(و(الناب) ، و(النَّيْب) : الناقة المسنة ، سُمِّيَتْ بذلك حين طال نابها وعَظُمَ .
انظر : اللسان (رزم) ١٦٣٧/٣ ، و(ناب) ٤٥٩١/٨ .
أي أنَّ هذه الناقة المسنة التي تُنَجَّتْ بعد أن كانت عاقراً أعواماً ، فإنها تحن على وليدها ، مصدرة صوتاً يدل على رحمتها ، وشغفها وتعلقها به ، ولا تنشب تشمُّ هذا الوليد تشاماً مرة بعد الأخرى .

ويقال أيضاً: عَقَرَ الرجلُ، وعَقَرَ، وعَقِرَ^(١): إذا لم يُحمل له. ورجلٌ عاقِرٌ^(٢).
قال عامرُ بن الطُّفَيْلِ^(٣):

لبئس الفتى إن كنتُ أعورَ عاقراً
جباناً فما عذري لدى كلِّ مُحَضَّرٍ^(٤)

قال أبو إسحاق^(٥): قوله: ﴿وَأَمَرَآتِي عَاقِرٌ﴾، في هذا دليل على أن (عاقراً)^(٦) وقع على جهة النسب^(٧)؛ لأنَّ (فَعَّلْتُ) أسماء^(٨) الفاعلين فيه على (فَعِيلَة)؛ نحو:

- (١) (وعقر): ساقط من (د).
- (٢) انظر (عقر): في تهذيب اللغة ٣/ ٢٥١٤، واللسان ٥/ ٣٠٣٤. والقياس في (فَعَّلَ) الثلاثي المجرد أن يكون مضارعه (يَفْعُلُ)، أما (فَعَلَ) من المجرد الثلاثي الصحيح، الذي عينه أو لامه ليست من حروف الحلق، فمضارعه يأتي على (يَفْعُلُ) و(يَفْعَلُ). انظر: الزهر ٢/ ٣٧، ٣٨.
- (٣) هو عامر بن الطفيل بن مالك العامري. أحد فرسان العرب المشهورين، وابن عم كبيد الشاعر، أدرك النبي ﷺ، ولم يُسلم، وهو الذي غدر بالصحابه عند بئر معونة سنة (٤هـ)، وحاول قتل النبي فعصمه الله منه، ودعا عليه النبي ﷺ، فأهلكه الله. انظر: الشعر والشعراء: ٢٠٧، ومعجم الشعراء ٣٧ والأعلام ٣/ ٢٥٢.
- (٤) البيت في ديوانه ٦٤، وكما ورد منسوباً له في مجاز القرآن ٢/ ٩٢، وتفسير الطبري ٣/ ٢٥٧، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٠٣، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٨ ب، المحرر الوجيز ٣/ ١٠٧، وتفسير القرطبي ١١/ ٧٩، والدر المصون ٣/ ١٦٢. وورد غير منسوب في الزاهر ٢/ ٥٨٢. وروايته في الديوان: (فبئس...)، وفي الزاهر: (... فما أغني لدي كل مشهد)، وفي المذكر والمؤنث: (... فما أغني لدي كل محضر). قال الشاعر هذا البيت ضمن أبيات في وثقة دارت في موضع يُسمَّى قَيْفَ الرِّيح، وقد ذهب عَيْنُهُ في هذه المعركة، فاجتمع له العَوْرُ والعَقْمُ، فيقول هنا: إنه بئس الفتى إن كان يجمع إلى العور والعقم، الجبن، والمهابة من العدو، حيث لا يُعَدَّر بعدها.
- (٥) في معاني القرآن له ١/ ٤٠٨، ونقله عنه بنصه.
- (٦) في (ب): (عاقِر).
- (٧) أي مما جاءت النسبة فيه على صيغة (فاعل)، مثل: تامر، ولابن، وحائك، وكاس؛ بمعنى: صاحب ثمر، وصاحب لبن، وصاحب حياكة، وصاحب كساء. فعاقِر، بمعنى: ذات عَقَر.
- (٨) في (ج): (اسما)، وفي (د): (اسم).

(ظَرِيفَة) ^(١)، و(كَرِيمَة)، وإِنَّا (عَاقِر) عَلَى : (ذَاتِ عُقْرٍ) ^(٢)، و(رَجَالٌ وَنِسَاءٌ عُقْرٌ) ^(٣)، وفي الحديث : (عُجْزُ عُقْرٍ) ^(٤).

ويقال : أَعْقَرَ اللَّهُ [رَحْمَهَا] ^(٥)، فَهِيَ مُعْقَرَةٌ. ورمل ^(٦) عَاقِرٌ : لَا يُبْتِ شَيْئاً ^(٧).

(١) في (أ) و(ب) : (طَرِيقَة)، والمثبت من (ج) و(د) ومن معاني القرآن للزَّجَّاج ؛ لأن (طَرِيقَة) من (طَرَقَ) وليست من (طَرَّقَ)، كما أن (طَرِيقَة) تأتي على (مفعولة) بمعنى (مطروقة).

(٢) في (أ) : (عُقْرٌ). وفي بقية النسخ، مهملة من الشكل. وما أثبتُّ هو ما استصوبته. والعُقر : العُقم. يقول السمين الحلبي بعد أن نقل كلام الزَّجَّاج السابق : «وهذا نصٌّ من أن الفعل المسند للمرأة، لا يقال فيه إلَّا (عُقِّرَتْ) بضم القاف ؛ إذ لو جاز فتحها أو كسرهما لجاز منها (فاعل) من غير تأويل على النسب». الدر المصون ١٦٢/٣. ولكن ورد في اللسان (عقر) : «وقد عَقَّرَتِ المرأة عَقَارَةً، وعقارة، وعَقَرَتْ تَعْقِرُ عَقْرًا، وعُقْرًا، وعَقِرَتْ عَقَارًا، وهي عاقِر» ٣٠٣٣/٥. وعليه فإنه يصح أن يأتي منها صفة مشبهة باسم الفاعل.

(٣) عقر : ساقطة من (ج). و(عُقْرٌ)، و(عُقَّرَ) و(عواقِر)، جمع : عاقِر. انظر : العين ١٥٠/١، والنهاية في غريب الحديث ١٨٦/٣، واللسان (عقر) ٣٠٣٣/٥.

(٤) العُجْزُ : جمع عَجُوز. ولم أهتم إلى مصدر الحديث بهذا اللفظ في كتب السنة. وقد أورده الخليل في كتاب العين ١٥٠/١، وقال : وفي الحديث : عُجْزُ عُقْرٍ بتسكين العَيْنِ في (عجْز)، وورد في النهاية في غريب الحديث ١٨٦/٣، وبلغف : إِيَّاكُمْ والعُجْزُ والعُقْرُ، ولم يخرِّجه. وقد وقفت على حديث آخر قريب من معنى هذا الحديث، وهو عن عياض بن غنم الفهري، عن النبي ﷺ، قال : «يا عياض لا تَزَوَّجَنَّ عَجُوزًا وَلَا عَاقِرًا، فَإِنِّي مَكَاثِرُ بِكُمْ الْأُمَمَ». أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٩٠/٣، ٢٩١. كتاب معرفة الصحابة، وصححه، وتعبه الذهبي بأن في سنده معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٦٨/١٧ رقم (١٠٠٨). قال الهيثمي : «وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف»، مجمع الزوائد ٢٥٨/٤، وأورده ابن حجر في الإصابة ٥٠/٣ وضعفه؛ لأن في سنده عمرو بن الوليد الأغضف، وزاد نسبة إخراج له لأبي نعيم، وأورده ابن حجر الهيثمي المكي في كتاب الإفصاح، عن أحاديث النكاح ١٦٠.

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب) : (امراته)، والمثبت من (ج) و(د)، ومن اللسان (عقر) ٣٠٣٤/٥. والعبارة في (ج) : (أعقرها الله رحمها)، وفي (د) : (أعقر رحمها).

(٦) في (ج) : (ورجل).

(٧) انظر : اللسان (عقر) ٣٠٣٤/٥.

وذكر^(١) زكريا - عليه السلام - عُفِّرَ زوجته مع كِبَرِ نفسه ؛ لزيادة ترجيح في الاستبعاد ، فلما استفهم عن^(٢) كيفية حال الولادة قيل له : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ؛ أي مثل ذلك من الأمر ، وهو هبة الله الولد على الكِبَرِ ، يفعل الله^(٣) الذي يشاءه ، فسبحان من لا يعجزه شيء .

٤١ . قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ ، قال المفسرون : إِنَّ زكريا - عليه السلام - لما بُشِّرَ بالولد ، سأل الله - تعالى - علامةً يعرف بها وقت حمل امرأته ؛ ليزيد في العبادة ؛ شكراً^(٤) على هبة الولد^(٥) ، فقال الله تعالى : ﴿إِنَّا نُنَكِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ ؛ أي^(٦) : علامة ذلك أن تمسك^(٧) لسانك عن الكلام ، وأنت صحيح سوي ؛ لأنه قال في موضع آخر : ﴿إِنَّا نُنَكِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سِوَاكَ﴾ [مريم : ١٠] ؛ أي وأنت سوي .

(١) في (ج) : (وذكرنا) .

(٢) في (أ) : غير مقروء ، وفي (ب) : (استبعد من) . والمثبت من (ج) و(د) .

(٣) (الله) : ليس في (ج) .

(٤) في (ب) : (ذكرنا) .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٤٩/٣ أ ، وتفسير البغوي ٣٦/٢ ، وزاد المسير ٣٨٦/١ .

(٦) من قوله : (أي . . .) إلى : (أي وأنت سوي) : نقله عن معاني القرآن للزجاج ٤٠٩/١ .

(٧) في معاني القرآن للزجاج : (يُمَسِّكُ لِسَانُكَ) ، وهي الأصوب ؛ لأن قوله بعدها : (وأنت صحيح سوي) لا تتناسب مع فعل (تمسك) ، المبني للمعلوم ، ولأن الآثار بعدها تدل على ذلك ، وكذلك ما رواه الحاكم عن ابن عباس قال : «يُعْتَقَلُ لِسَانُكَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَأَنْتَ سَوِيٌّ» المستدرک ٢٩١/٢ في كتاب التفسير . وصححه ، وافقه الذهبي . وروى عن نوف البكالي : «فتحتم على لسانه ثلاثة أيام ولياليهن ، وهو صحيح لا يتكلم» . المرجع السابق ٥٩١/٢ في كتاب التاريخ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٣٨٨/١ .

قال الحسن^(١)، وقتادة^(٢)، والربيع^(٣): أُمِسِكَ لِسَانُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فلم يقدر أن يكلم الناس إِلَّا إِيَّاهُ، وجعل ذلك علامة حمل امرأته .

وَالرَّمْزُ: الإِيَّاءُ بِالشَّفَتَيْنِ، وَالْحَاجِبَيْنِ، وَالْعَيْنَيْنِ؛ يُقَالُ: (رَمَزَ، يَرْمِزُ، وَيَرْمِزُ)، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْفَاجِرَةِ: (رَامِزَةٌ)، وَ(رَمَّازَةٌ)^(٤)؛ لِأَنَّهَا تَرْمِزُ وَتُؤَمِّى^(٥)، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَنَّهُ (نَهَى عَنْ كَسْبِ الرَّمَّازَةِ)^(٦).

- (١) لم أقف على مصدر قوله .
- (٢) قوله في تفسير عبدالرزاق ١٢/١، وتفسير الطبري ٣/٢٥٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٤٦، وتفسير البغوي ٢/٣٤، وأورده السيوطي في الدر ٢/٤٠، ونسب إخراجَه إلى عبد بن حديد، وابن المنذر .
- (٣) قوله في تفسير الطبري ٣/٢٥٩، والمحذر الوجيز ٣/١٠٨ .
- (٤) (ورمازة): ساقطة من (د) .
- (٥) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٢١٣، وتأويل مشكل القرآن ٤٨٩، ومعاني القرآن للزجاج ١/٤٠٩، وتفسير الطبري ٣/٢٦٠، وتهذيب اللغة (رمز) ٢/١٤٦٧، والصحاح (رمز) ٣/٨٨٠ .
- (٦) الحديث ورد بلفظ آخر، أخرجه البيهقي في السنن ٦/١٢٦ . ولفظه عنده: «عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب، ومهر الزمارة». وأخرجه البغوي في شرح السنة ٨/٢٢، ٢٣ رقم (٢٠٣٨)، عن أبي هريرة بنحوه إِلَّا أَنَّهُ فِيهِ (. . .) وكسب الزمارة). وأخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١/٢٠٤ بنحوه . وذكر محقق الكتاب في الهامش سند الحديث، من نسخة أخرى لكتاب الغريب .
- وأورده اليزيدي في ما اتفق لفظه واختلف معناه ١٥٥، والأزهري في تهذيب اللغة (زم) ٢/١٤٦٨، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢٠/٣١٢. وفي كل المصادر السابقة ورد الزمارة بدلاً من الرمّانة. وأشار البغوي، وأبو عبيد، وابن الأثير، والأزهري إلى أن الحديث رواه البعض بلفظ: الرمّانة. وقال أبو عبيد: (قال الحجاج: الزمارة: الزانية . . . وقال بعضهم: الرمّانة. وهو عندي خطأ في هذا الموضع. أما الرمّانة ففي حديث آخر؛ وذلك أن معناها مأخوذ من الرمز، وهي التي تؤمى بشفتيها أو عينيها، فأى كسب لها هاهنا ينهى عنه؟ ولا وجه للحديث إِلَّا ما قال الحجاج: الزمارة. وعقب ابن قتيبة على هذا الكلام بقوله: «الصواب الرمّانة؛ لأن من شأن البغي أن ترمز بعينها أو حاجبها». تهذيب اللغة ١٣/٢٠٧. وصوب الأزهري قول أبي عبيد، وكذا قال البغوي: «والأصح تقديم الزاي». شرح السنة ٨/٢٣. ومن الناحية اللغوية، فإن الزمارة والرمّانة كلامها هنا بمعنى الفاجرة، إِلَّا أَن (الزمارة) يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ بِمَعْنَى الْمَرْأَةِ الْمُغْنِيَّة. انظر: تهذيب اللغة

قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرَنَّكَ كَثِيرًا﴾ . إن^(١) قيل : إذا مُنِعَ من^(٢) الكلام ، واضطُرَّ إلى الإشارة ، كيف يقدر على التسبيح ؟ قيل^(٣) : إنَّ الله - تعالى - حبس لسانه عن التَّكَلُّم بأُمُور^(٤) الدنيا ، وما يدور بين الناس ، ولم يُحبس لسانه عن التسبيح . فكانت هذه أبلغ في الأعجوبة من أن يُمنع من^(٥) كلِّ ما يجري به اللسان^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ ؛ أي صَلَّ لله تعالى . والصلاة تُسَمَّى تسبيحاً^(٧) ، لأن الصلاة يُوحَّد فيها الله تعالى ، ويُتَزَّه ، ويُوصف بكلِّ ما يُبرِّئه من السوء^(٨) .

(رمز ، وزمر) ١٤٦٧/٢ ، و١٥٥٥ ، وانظر : قول ابن قتيبة في هامش غريب الحديث لأبي عبيد :

١/٣٤٢ نقله المحقق عن كتابه إصلاح الغلط مخطوط : ٣ ، وفقد أسهب في بيان هذا المعنى .

وورد الحديث بلفظ : الزمارة في كتاب أحاديث ذم الغناء في الميزان لعبدالله الجديع ٥٠ ، ٥١ وعزا تخريجه للمحاملي في الأمالي ، وابن عدي ، وابن طاهر في كتاب السماع . وأورده في ص ١٥٥ بلفظ : «أحببت الكسب كسب الزمارة» ، وعزا إخراج لابين أبي الدنيا في ذم الملاحية . وذكر الجديعُ إسناده ، وحكم عليه بأنه ضعيف جداً .

(١) في (ج) : (أي) .

(٢) (من) : ساقطة من (ب) .

(٣) في (ج) و(د) (فيقال) .

(٤) في (ب) : (بكلام) .

(٥) في (د) : (عن) .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٤٤/٨ ، و١٩١/٢١ ، وغرائب القرآن ١٨٥/٣ ، وأضواء البيان ٣٤١/١ .

(٧) في (ج) و(د) : (سبحة) .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٩/١ ، وفقد نقل عنه المؤلف بعض العبارات في تفسير التسبيح .

قال الراغب : «والتسبيح تنزيه الله تعالى . وأصله : المرُّ السريع في عبادة الله تعالى . . . وجُعِلَ التسبيح عامّاً في العبادات ؛ قولاً كان ، أو فعلاً ، أو نيةً» . مفردات ألفاظ القرآن (سبح) ٣٩٢ . وتفسير

التسبيح هنا بالصلاة ، قال به مجاهد ، ومقاتل . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٦٤٦/٢ ، وزاد المسير ٣٨٦/١ .

و(العشي): آخر النهار، جمع (عَشِيَّة) ^(١). و(الإبكار) مصدر: (أَبْكَرَ: إذا صار في وقت البُكرة) ^(٢)، أو سار ^(٣) فيه، ومثله: (بَكَرَ)، و(ابْتَكَّرَ) ^(٤)، و(بَكَرَ)، قال عمر بن ^(٥) أبي ربيعة:

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَدٍ ^(٦) فَمُبْكَرٍ ^(٧)

(١) قال الخليل: «العشي: آخر النهار. فإذا قلت: (عَشِيَّة) فهي ليوم واحد، تقول: لقيته عَشِيَّة يوم كذا، وعَشِيَّة من العَشِيَّات»، كتاب العين (عشى) ١٨٨/٢. وفي القاموس (عشا): «والعشي، والعَشِيَّة: آخر النهار، والجمع: عَشَايا، وعَشِيَّات»، ١٣١١. وعند الراغب: أن العشي من زوال الشمس إلى الصباح. وعند الطبري: أن العشي من زوال الشمس إلى المغيب. وقال السمين الحلبي عن هذا القول: «هو المعروف». وعند الجوهري: أن العشي (من صلاة المغرب إلى العتمة، تقول: أتيت عشيَّ أمس، وعشيَّة أمس). انظر: تفسير الطبري ٢٦٢/٣، والصحاح للجوهري (عشا) ٢٤٢٦/٦، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (عشا) ٥٦٧، والدر المصون ١٦٧/٣، وتاج العروس (عشا) ٦٧٧/١٩.

(٢) البكرة: هي أول النهار. انظر: عمدة الحفاظ للحلبي (بكر) ٥٩ وقال: «وقد اشتق منها لفظ الفعل، ف قيل: بكر فلان في حاجته؛ أي خرج بُكرةً. والبُكور: الخروج بُكرةً، والبكور بالفتح: المبالغ في البكور. ولتَقْدُمها على سائر أوقات النهار استعمل منها كل متعجل، وإن لم يكن في ذلك الوقت، ف قيل: بكر فلان في حاجته، وابتكر، وياكر مُبَاكَرَةً».

(٣) في (ب): (صار).

(٤) في (د): (فابتكر).

(٥) في (د): (عمرو ابن).

(٦) في (أ) و(ب): (حا)، في (د): (عاد). والمثبت من (ج) لموافقه للديوان، وبقيّة المصادر.

(٧) في (ج): (فمنكر)، وفي (د): (فمسكر). البيت في ديوانه ٩٢. وورد في تفسير الطبري ٢٦٢/٣، والمحزر الوجيز ١١١/٣. وتماه:

عَدَاةُ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهْجَرٌ

و(نُعْم): امرأة من قريش من بني جُمَح. و(غاد): أي سائر في وقت العَدَاة، وهو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، وأراد أول النهار. و(مُبْكَرٌ)، من (التبكير) وهو الخروج بُكرةً، وهو أول النهار. و(مُهْجَرٌ)، من التهجير؛ أي السير في وقت الهاجرة، وهو نصف النهار، عند زوال الشمس، حال اشتداد الحر. انظر: القاموس (بكر): ٣٥٢، و(غدو): ١٣١٧، و(هجر): ٤٩٥.

وقال أيضاً :

أيُّها الرائِحُ المُجِدُّ ابتكاراً^(١)

وقال زهير :

بَكَرَنَ بُكُوراً وَاسْتَحَزَنَ بِسُحْرَةٍ^(٢)

وبكرت الشيء : إذا بكرت له ، قال لبيد :

[باكرتُ حاجَتَهَا الدجاجَ بِسُحْرَةٍ^(٣)

هذا معنى (الإبكار) ، ثُمَّ يُسَمَّى ما بين طُلُوعِ^(٤) الفجر إلى الضحى : إِبْكاراً ، كما يُسَمَّى : إصباحاً^(٥) .

(١) من الشعر المنسوب لعمر بن أبي ربيعة . انظر : ديوانه ٤٩٣ وتمامه :

قَدْ قَضَى مِنْ تَهَامَةِ الْأَوْطَارِ

(٢) في (أ) : (حرة) بدلاً من (بسحرة) ، والمثبت من بقية النسخ ، ومن ديوانه : ١٠ ، وقد سبق ورود البيت عند قوله تعالى : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران : ١٧] .

(٣) (باكرت حاجتها الدجاج بسحرة) : ساقط من (د) . وهذا شطر بيت ، وتمامه :

لَأَعْلَ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا

وهو في ديوانه ٣١٥ . وقد ورد البيت منسوباً له ، في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٧٧ ، وتهذيب اللغة (بكر) ٣٧٦/١ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٦٣ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٢٤٤ ، واللسان (دجج) ١٣٢٨/٣ ، و(بكر) ٣٣٢/١ ، و(زهف) ١٨٧٩/٣ . وروايته في الديوان : (بادرت حاجتها) ، ويروى : (بادرت لذتها) ، و(أن هب نيامها) .

قال الأزهري في معناه : «أي بادرته صقيع الديك سحراً إلى حاجتي» ؛ أي حاجتي في الخمر ، وأضاف الحاجة إلى الخمر اتساعاً ؛ أي بادرته بشرها صباح الديكة . و(لأعل منها) ؛ أي أشرب مرة بعد مرة ، من (العَلَل) ، وهو الشرب مرة ثانية . و(حين هب نيامها) ؛ أي وقت استيقاظ النيام بالسحر ، يعني : أنه ذهب بليل .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٥) انظر : المعاني السابقة في تفسير الطبري ٢٦٢/٣ ، واللسان ٣٣٢/١ .

٤٢. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ﴾. هذا عطف على قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾^(١)، وذكرنا العامل في ﴿إِذْ﴾ هناك. وأراد بـ ﴿الْمَلَأِكَةُ﴾: جبريل وحده كما ذكرنا^(٢). وهذا كقوله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَأِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ﴾ [النحل: ٢]، يعني: جبريل وحده^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾؛ أي بما لطف لك [حتى]^(٤) انقطعت إلى طاعته، وصرت متوفرة^(٥) على اتباع مرضاته.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾. قال ابن عباس^(٦): أي من ملامسة الرجال. وقيل: من الحيض، والنفاس، كانت مريم لا تحيض^(٧). ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) فيكون العامل في ﴿إِذْ﴾، هو ﴿سَمِعَ عَلَيْكُمْ﴾ من آية ٣٤، وإليه ذهب الطبري في تفسيره ٢٦٣/٣. وقيل العامل فيها فعلٌ مُضْمَرٌ تقديره (واذكر) ورجَّح هذا ابن عطية. انظر: المحرر الوجيز ١١٢/٣، والبيان للعكبري ١٨٨.

(٢) (ذكرنا): ساقط من (د)، انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَأِكَةُ﴾ من آية ٣٩ من سورة آل عمران.

(٣) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه، كما في المحرر الوجيز ٣٦٧/٨، وغرائب القرآن ١٩٠/٣، وتفسير أبي السعود ٩٥/٥.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د).

(٥) في (ب): (متفرغة).

(٦) لم أهتد إلى مصدر قوله، وهو مذكور في زاد المسير ٣٨٧/١.

(٧) هذا قول السدي، وعكرمة، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٦٤٧/٢، وتفسير الثعلبي ٤٩/٣ ب. وفي زاد المسير ٣٨٧/١ أنه قول لابن عباس. وقال مجاهد: «جعلك طيبة إيماناً»؛ أي طهر دينك من الرِّبِّ والدَّنَس. انظر: تفسير مجاهد ١٢٧/١، وتفسير الطبري ٢٦٤/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٤٧/٢، وأورده السيوطي في الدر ٤٢/٢، وعزا إخراجَه كذلك لعبد بن حميد، وابن المنذر. قال الآلوسي: «والأولى: الحمل على العموم؛ أي طهرَك من الأقدار الحسَّية والمعنوية والقَلْبِيَّة والقَالِبِيَّة». روح المعاني ١٥٥/٣.

قال الأكثرون^(١) :

معناه : على عالمي زمانها ؛ بأن فضلت عليهن^(٢) .

قال أبو إسحاق^(٣) : وجائز أن يكون على نساء العالمين كلهم ؛ لأنه ليس في النساء امرأة ولدت من غير أب^(٤) غير مريم ؛ ولأنها^(٥) قبلت في التحرير للمسجد^(٦) ، ولم يكن التحرير في الإناث ، فهي مختارة على النسوان كلهن بما لها من الخصائص^(٧) . وكرّر الاصطفاء^(٨) ؛ لأن كلا^(٩) الاصطفاءين مختلف^(١٠) معناه ؛ فالاصطفاء الأول : عمومٌ يدخل فيه صوالح النساء ، والثاني : اصطفاء بما اختصت به من خصائصها .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿يَمْرَيْمُ أَفْتَىٰ لِرَبِّكِ﴾ . ذكرنا معنى القنوت في ما تقدم^(١١) .
قال مجاهد : معناه : أطيلي القيام في الصلاة^(١٢) .

- (١) ممن قال بذلك ابن عباس ، والحسن ، وابن جريج ، والسدي ، واختاره ابن جرير في تفسيره ٢٦٢ / ٣ ، وانظر : تفسيره كذلك : ٢٦٣ / ٣ ، وزاد المسير ٣٨٧ / ١ ، وقال : «قال ابن الأنباري : وهذا قول الأكثرين» ، وقال الشوكاني عن هذا القول : «وهذا هو الحق» . فتح القدير ٥١٠ / ١ .
- (٢) في (ج) : (عليهم) .
- (٣) في معاني القرآن له ٤١٠ / ١ .
- (٤) في (د) شطب على كلمة (أب) ، وكتب عليها : (زوج) . ويراد هنا : أنها ولدت عيسى من غير أب .
- (٥) في (ج) : (لأنها) .
- (٦) في (ج) و(د) : (في التحرير للمسجد) .
- (٧) وقد رجّح هذا الفخر الرازي في تفسيره ٤٨ / ٨ ، والقرطبي في تفسيره ٨٢ / ٤ .
- (٨) في (د) : (وذكر الاصطفاء عموم) .
- (٩) في (أ) و(ب) و(د) : (كلي) ، والمثبت من (ج) ، ومن الدر المنصون ١٧٠ / ٣ حيث نقل عبارة الواحدي .
- (١٠) في (ج) و(د) : (يختلف) .
- (١١) انظر : تفسير آية ١١٦ ، و٢٣٨ من سورة البقرة ، و١٧ من سورة آل عمران .
- (١٢) قوله في تفسير الطبري ٢٦٥ / ٣ ، ولكن لفظه : «قال : أطيلي الركود ؛ يعني : القنوت» . وأورد الأثر عنه السيوطي في الدر ١٩٥ / ٢ ونسب إخراجَه كذلك إلى عبد بن حميد . ومعنى الركود : السكون والثبات . انظر : القاموس المحيط (ركد) ٢٨٣ . وعند الطبري ، عن الربيع قال : «القنوت : الركود =

وقال ابن عباس : يريد : قومي للصلاة بين يدي ربِّك^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَسْجُدْ وَازْكَرْ﴾ . يقال : لمَ قَدَّم الأمر بالسجود على الركوع ، وهو قبل السجود ؟ قيل : (الواو) عند النحويين للجمع لا للترتيب^(٢) ، وليس فيه دليل على المبدوء به .

يقول : قومي لربك في الصلاة ، يقول : اركدي لربك ؛ أي انتصبي له في الصلاة» تفسير الطبري ٢٦٥/٣ ، وكذا رواه الربيع عن أبي العالية كما في تفسير ابن أبي حاتم ٦٤٨/٢ . وقال ابن عطية : «معناه : أطيل القيام في الصلاة . وهذا هو قول الجمهور . . . وبه قال مجاهد وابن جريج والربيع» . المحرر الوجيز ١١٥/٣ .

(١) الذي وقفت عليه عن ابن عباس ، قوله في الآية : «يعني : صلي لربك» من رواية إسحاق بن بشر ، وابن عساكر ، وأوردها السيوطي في الدر ٤٣/٢ . وقد ورد عن سعيد بن جبير في معنى ﴿أَقْنُيْ﴾ : قوله : «أخلصي لربك» . وعن قتادة ، والسدي ، وابن زيد : «أطيعي ربك» ، وعن الحسن : «اعبدي ربك» . انظر : تفسير الطبري ٢٦٥/٣ ، ووزاد المسير ٣٨٧/١ . وقد جمع بينهما الطبري ، فقال : «فتأويل الآية إذا : يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصاً ، واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه ؛ شكراً له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس ، والتفضيل على نساء عالم دهر» تفسيره ٢٦٦/٣ . انظر : ما سبق من تعليق على قوله تعالى : ﴿وَالْقَنِينَ﴾ في آية ١٧ .

(٢) هذا هو مذهب جمهور النحويين وأئمة الأصول والفقه . وذهب آخرون إلى إفادتها للترتيب ، ومن هؤلاء قطرب (ت ٢٠٩هـ) ، وهشام بن معاوية الضرير (ت ٢٠٩هـ) ، وأبو جعفر الدينوري (ت ٢٨٩هـ) ، والربيعي (ت ٤٢٠هـ) ، وقد عزاه بعض المؤلفين إلى الإمام الشافعي . إلا أن صلاح الدين العلائي قال : «والحق أن ذلك ليس قولاً له ، بل هو وجه في المذهب ، قال به جماعة من الأصحاب» ، الفصول المفيدة في الواو المزیدة للعلائي ٦٩ . وانظر : بيان هذا الأمر في المقتضب للبرد ١٠/١ ، والكمال له ١٨/٢ ، و١٨٥/٣ ، والأصول في النحو لابن السراج ٥٥/٢ ، وكتاب معاني الحروف للرماني ٥٩ ، ٦٠ ، والبسيط في شرح جمل الزجاجي ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ورصف المباني ٤٧٤-٤٧٥ ، وارتشاف الضرب لأبي حيان ٦٣٣/٢ ، والجنى الداني للرمادي ١٥٨-١٦٠ ، ومغني اللبيب ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، والبرهان للزركشي ٤٣٦/٤ ، وجمع الهوامع ١٢٩/٢ .

قال أبو الفتح الموصلي^(١) :

واو العطف^(٢) ، ليس فيها دليل على المبدوء به في المعنى ؛ لأنها ليست مُرتَّبةً ، يدلُّ على ذلك قولُ لَبِيد :

أُغْلِي السَّبَاءَ^(٣) بِكَلِّ أَدَكْنَ عَاتِقِ^(٤)
أَوْ جَوْنَةٍ قُدَحَتْ وَفُضَّ خَتَامُهَا^(٥) .

(١) في سر صناعة الإعراب ٦٣٢ ، ونقله عنه باختصار وتصرف . وأبو الفتح الموصلي ، هو عثمان بن جني . من أئمة النحو والأدب والتصريف ، تتلمذ على أبي علي الفارسي وصحبه أربعين سنة ، استوطن بغداد ، ودرَّس بها إلى أن مات ، من كتبه الخصائص ، والمنصف ، وغيرهما . توفي ببغداد سنة (٣٩٢هـ) . انظر : نزهة الألباء ٢٤٤ ، وإنباه الرواة ٢/٣٣٥ ، ومعجم الأدباء ٣/٤٦١ .

(٢) في (ج) : (الفتح) .

(٣) في (أ) و(ب) : (أعلى السب) . وفي (ج) : (أعلى النسا) . والمثبت من (د) ، ومن سر صناعة الإعراب ، والديوان .

(٤) في (ج) : (عايق) .

(٥) البيت في ديوان لبید ٣١٤ . وقد ورد في سر صناعة الإعراب ٦٣٢ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٦٢ ، وشرح المفصل ٩٢/٨ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني : ١٠٩ ، ورفض المباني ٤٧٤ ، والفصول المفيدة للعلائي ٧٧ ، واللسان (قدح) ٦/٣٥٤٥٢ ، و(عتق) ٥/٢٨٠٠ ، و(دكن) ٣/١٤٠٦ .

ومعنى قوله : (السَّبَاءُ) : شراء الخمر ، من (سَبَأَ الخمر) : إذا اشتراها للشرب . ومعنى قوله : (أُغْلِي) ؛ أي أشتريها غالية . وقوله : (أَدَكْنَ عَاتِقِ) : العاتق : زَقُّ الخمر الواسع . والأَدَكْنَ : الأغبر اللون بين الحمرة والسود ، أو أراد : بكلِّ أَدَكْنَ عَاتِقِ خمره التي فيه . و(الجَوْنَةُ) : الزَّقُّ الأسود المطَّيُّ بالقار .

وقوله : (قُدَحَتْ) : (عُرِفَتْ) .

وقوله : (فُضَّ خَتَامُهَا) ؛ أي كُسِرَ خَاتَمُهَا ، وهو الطين الذي خُتِمَ به فوهها .

والشاهد فيه قوله : «قُدَحَتْ وَفُضَّ خَتَامُهَا» ، على أَنَّ واو العطف هنا لا تعني ترتيب الفضِّ بعد القدح وهو الغرف ، حيث إنها تُفَضُّ أولاً ثُمَّ تُغَرَفُ .

وإنما يُفْتَح ويُفَض الختم قبل الغَرْف^(١) ، فقد علمت أن (قُدِحَتْ) مُقَدَّم في اللفظ ، مُؤَخَّر في المعنى ، كذلك هاهنا بدأ بالسجود لفظاً ، وهو مؤَخَّر معنى ، والكلام في هذه المسألة يُذكر^(٢) عند قوله : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾ الآية [المائدة : ٦] .

قال^(٣) ابن الأنباري^(٤) : أَمَرها أَمراً عاماً ، وحَضَّها على أفعال الخير ، فكأنه قال : استعملي السجود في حال ، واستعملي الركوع في حال ، ولم يذهب إلى أنها يجتمعان ، ثُمَّ يُقَدَّم السجود على الركوع ، بل أراد العموم بالأمر على اختلاف الحالين^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ مَعَ الزَّكَاةِ ﴾ . ولم يقل مع الركعات ؛ لأن الراكعين أَعْم ؛ لوقوعه على الرجال والنساء إذا اجتمعوا ، والركعات يختصُّ بالنساء ، فكان^(٦) الأعم أولى .

ومعنى قوله : ﴿ مَعَ الزَّكَاةِ ﴾ ؛ أي افعلي كفعلهم . وقيل : المراد به الصلاة في الجماعة^(٧) .

(١) في (ج) : (الغرق) .

(٢) في (ب) : (نذكر) . وفي (ج) : (نذكره) .

(٣) في (ج) و(د) : (وقال) .

(٤) لم أهدت إلى مصدر قوله . وقد أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٨ / ١ .

(٥) وقال أبو سليمان الدمشقي : إنه كذلك كان في شريعتهم ، يُقَدَّم السجود على الركوع . ويرى الفخر الرازي أنه قُدِّم لرتبته وفضيلته ؛ حيث إنَّ غاية قرب العبد من الله أن يكون ساجداً . انظر : زاد المسير ٣٨٨ / ١ ، وتفسير الفخر الرازي ٤٨ / ٤ .

(٦) في (ج) : (وكان) .

(٧) وهو قول ابن عباس ومقاتل . ولفظ ابن عباس : «مع المصلين ، مع قراء بيت المقدس» . أورده السيوطي في الدر ٤٣ / ٢ ، ٤٤ ونسب إخراجهم لإسحاق بن بشر وابن عساكر . ولفظ مقاتل : (يعني مع المصلين في بيت المقدس) . تفسير مقاتل ٢٧٦ / ١ .

قال المفسرون^(١) : كَلَّمَتِ الْمَلَائِكَةُ بِهَذَا مَرْيَمَ شَفَاهَا ، فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى وَرَمَتْ قَدَمَاهَا ، وَسَالَتَا دَمًا ، وَقِيحًا .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ . أشار إلى ما قَصَّ من حديث زكريا ، ومريم ، ويحيى .

وقوله تعالى : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ . [أي]^(٢) : نَلْقِيهِ إِلَيْكَ^(٣) . و(الإيحاء) في اللغة : إلقاء معنى الكلام إلى من تريد إعلامه ؛ إما بإرسال رسول ، أو بإلهام ، أو بكتابة ، أو بإشارة^(٤) . فمن الإرسال قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ﴾^(٥) [النساء : ١٦٣] .

ومن الإلهام : قوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل : ٦٨] ، وقوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص : ٧] ، ومن الإشارة قوله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا ﴾ [مريم : ١١] ؛ أي أشار إليهم ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] ؛ أي يُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْوَسْوَسَةِ^(٦) .

(١) هو قول ابن إسحاق ، والأوزاعي . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٦٥ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٤٩ ب ، وتفسير القرطبي ٤ / ٨٤ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٣) (إليك) : ساقطة من (د) .

(٤) انظر : مقاييس اللغة (وحي) ٦ / ٩٣ ، واللسان (وحي) ٨ / ٤٧٨٧ .

(٥) في (ج) ورد بدلاً من هذه الآية ، قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾

(٦) جعل ابن قتيبة والثعلبي ، وابن الجوزي الإعلام بالوسوسة من الشيطان وجهاً مستقلاً من وجوه الوحي ، وأوردوا هذه الآية دليلاً عليه ، ويشهد لقولهم : أن الوحي لغة هو : إعلام في خفاء ، كما أن إيحاء الجن والشياطين يكون عن طريق الوسوسة ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ [الناس : ٥] . أما مقاتل ، وهارون بن موسى ، وابن العباد ؛ فجعلوا هذه الآية شاهداً على أن الوحي هنا يعني الأمر .

انظر : تأويل مشكل القرآن ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، والوجوه والنظائر لهارون بن موسى ١٦٦ . والزاهر ٣٥٣ / ٢ ، وتهذيب اللغة (وحي) ٤ / ٣٨٥٢ ، والأشباه والنظائر للثعلبي ٢٦٧ ، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٦٢٢ ، والوجوه والنظائر في القرآن للدكتور القرعاوي ٦٤٩ - ٦٥١ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ﴾ . الأعلام : جمع القلم ، والقلم ^(١) أصله من القلم ، وهو قطع للطرف ^(٢) ، يقال منه : قَلَمْتُ الظُّفْرَ ^(٣) . والقلم : الذي يُكْتَبُ به بمعنى : مَقْلُوم ؛ لأنه يُبْرَى طرفه . والقلم : القِدْحُ ^(٤) ؛ لانه يُسَوَّى بأن يُقْطَع طرفاه ^(٥) .

قال ابن عباس في رواية عطاء ^(٦) : هؤلاء كانوا جماعة من الأنبياء ، اختلفوا واختصموا في مريم ، كل واحد يقول : أنا أولى بها ، فقال زكريا : هي بنت عمي ، وخالتها عندي . قالوا : فتعالوا حتى نَسْتَهَم ^(٧) ، فجمعوا سهامهم ، ثم أتوا بها إلى العين ، وقالوا : اللهم ، مَنْ كان أولى بها فَلْتَقُمْ سَهْمُهُ ، ويغرق ^(٨) البقية . وألقوا سهامهم ، فارتز ^(٩) قلم زكريا ، وانحدرت ^(١٠) أقلام الآخرين ^(١١) ، فقرعهم زكريا ^(١٢) .

(١) (والقلم) : ساقطة من (ب) .

(٢) في (ب) : (الظفر) .

(٣) ويقال كذلك : قَلَمْتُ الظُّفْرَ . انظر : القاموس (قلم) ١١٥١ .

(٤) القِدْح بالكسر : السهم قبل أن يُرَاش ويُصَل ، والجمع : قِدَاح ، وأقْدَاح ، وأقْدُح ، وأقْدِج ، وهي جمع الجمع . انظر : تاج العروس (قدح) ١٦٤ / ٤ .

(٥) انظر (قلم) : في تهذيب اللغة ٣ / ٣٠٣٧ ، ومقاييس اللغة ٥ / ١٥ .

(٦) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه .

(٧) في (أ) و(ب) : (فتعالوا حتى نستهيم) ، والمثبت من (ج) و(د) .

(٨) في (ج) : (وتغرق) .

(٩) في (ب) : (فارتد) . وفي (ج) : (فأدبر) . وفي (د) مكانها بياض .

(١٠) في (ب) : (وانحدرت) .

(١١) في (ب) : (الباقيين) .

(١٢) وقد وردت رواية قريبة من هذه الرواية عن ابن عباس ، من طريق أبي مالك ، وأبي صالح عنه ، أخرجها البيهقي ، وفيها : أن هؤلاء المستهين كانوا ممن يكتبون التوراة ، ولم يرد فيها أنهم كانوا جماعة من الأنبياء . وورد فيها أنهم ألقوا أقلامهم التي يكتبون فيها في نهر الأردن ، فَجَرَت أقلامهم ، وقام قلم زكريا كأنه مرتز في طين . انظر : سنن البيهقي ١٠ / ٢٨٦ ، ٢٨٧ . كما ورد عن ابن عباس من طريق عطية العوفي ، أنه : « اقترع عليها أهل المصلّى ، وهم يكتبون الوحي ، فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها » . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٦٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٤٩ .

وقال الرَّجَّاجُ^(١) : هي قِدَاحٌ جعلوا عليها علامات ، يعرفون بها مَنْ يَكْفُلُ مريمَ على جهة القرعة .

وقوله تعالى : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ . مختصر^(٢) ؛ أي لينظروا أيُّهم تجب له كفالة مريم^(٣) .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ ﴾ ، قال ابن عباس : يريد : جبريل^(٤) .

﴿ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ . يعني عيسى ؛ لأنه في ابتداء أمره كان كلمةً من الله ألقاها إلى مريم ، ثُمَّ كَوَّنَ تلك الكلمة بَشَرًا . قال الحسن^(٥) ، وقتادة^(٦) : لأنه كان بكلمة الله [تعالى]^(٧) ، وهو : ﴿ كُنْ ﴾ ، ومعنى هذا : أنه أوجده بالكلمة ، وكَوَّنَه بها ، وهي قوله : ﴿ كُنْ ﴾ من غير توليد من فَعْل ، أو تنسيل من ذَكَر ، وهو معنى قوله : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، ولم يُرَدْ - والله أعلم - أنَّ عيسى هو الكلمة نفسها ؛ ألا تراه يقول : ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ ، ولو أراد الكلمة لقال^(٨) : اسمها المسيح^(٩) .

(١) في معاني القرآن ١ / ٤١٠ ، ونقله بنصه .

(٢) في (د) : (مختصر) .

(٣) نقله بنصه عن معاني القرآن للزجاج ١ / ٤١١ . وانظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٦٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ١ / ٤٠٠ .

(٤) لم أقف على مصدر قوله ، وقد ورد في زاد المسير ٤ / ٤٢٨ ، وغرائب القرآن ٣ / ١٩٠ ، و ٤ / ٤٤ ، وانظر : المحرر الوجيز ٨ / ٣٦٧ .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وأورده ابن الجوزي في الزاد ١ / ٣٨٩ .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٨) في (أ) و (ب) : (يقال) . والمثبت من (ج) و (د) .

(٩) وهذا ما رجَّحه في تفسيره ٣ / ٢٧٠ ، وثم قال بعده : « ومعنى ذلك : أنَّ الله يبشِّرُك ببشْرِي ، ثم بين عن البشري أنها ولد اسمه المسيح » .

وقيل : إنما سَمَّاه كلمةً ؛ لأن الله - تعالى - بَشَّرَ به في الكتب السالفة ، فلمَّا أوجده سَمَّاه كلمة ، كما يقول الذي يُخْبِرُنَا بأمر كائن إذا وُجِدَ ذلك الأمر : قد جاء قولي^(١) وكلامي ؛ وقيل : لأن الله - عز وجل - يهدي به كما يهدي^(٢) بكلمته .

وقيل : لأنه كان (يُكَلِّمُ)^(٣) عن الله تعالى ، فَيُبَشِّرُ ، ويُنذِرُ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ اِسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ ، ذَكَرَ^(٥) الكناية^(٦) ؛ لأنه عنى بالكلمة : عيسى ، أو الولد ، فرجعت الكناية إلى معنى الكلمة ، لا إلى اللفظ .

فإن قيل : كيف أخبر أن اسمه المسيح ، وقَدَّمَهُ على اسمه المعروف ، وهو : عيسى ، وإنما لُقِّبَ بالمسيح بعد نفاذ التسمية له بعيسى ؟

قيل : إنَّ الأسماء ألقاب عُلِّقَتْ على المُسَمَّيات ؛ للفصل بين الأعيان ، فإذا عُلِّقَ الاسم على المولود في وقت ولادته ، ثُمَّ شُهر بعد عُلُوِّ سَنَتِهِ^(٧) بلقب ، كان اللقبُ أغْلَبَ عليه من الاسم ؛ لأن من يعرفه به أكثر ممن يعرفه باسمه الحقيقي ؛ فلهذه العلة قُدِّمَ المسيح على عيسى ؛ ألا ترى أنَّ ألقاب الخلفاء أشهر وألزم لهم من أسمائهم^(٨) .

(١) في (أ) و(ب) : (في قولي) . والمثبت من (ج) و(د) . وهو الصواب ؛ لأن المؤلف يريد أنَّ الأمر الكائن المتحقق هو الكلام نفسه والقول الذي قاله .

(٢) (كما يهدي) : ساقط من (د) .

(٣) في (ج) : (تكلم) .

(٤) لم أهدت إلى أصحاب الأقوال السابقة المصدر بقوله : (قيل) ، ولا إلى مصادرها .

(٥) (ذكر) : ساقطة من (د) .

(٦) الكناية : الضمير .

(٧) في (أ) و(ب) : (سته) . والمثبت من (ج) و(د) .

(٨) نقل هذا القول ابن الجوزي في الزاد ٣٨٩ / ١ ، ونسبه لابن الأنباري .

فأما معنى المسيح فقال أبو عبيد^(١) والليث^(٢) : المسيح أصله بالعبرانية : [مسيحا] . فعربته العربُ وغيّرت لفظه ، وكما قالوا^(٣) : موسى ، وأصله : (موشى) ، أو (ميشى) بالعبرانية^(٤) ، فلما أعربوه^(٥) غيَّروه^(٦) ، فعلى هذا لا اشتقاق^(٧) له ، وأكثر العلماء على أنه مشتق .

قال ابن عباس في رواية عطاء والضحاك^(٨) : وإنما^(٩) سُمِّيَ عيسى - عليه السلام - مسيحاً ؛ لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلّا برئ^(١٠) .

وقال أحمد بن يحيى^(١١) : سُمِّيَ مسيحاً ؛ لأنه كان يمسح الأرض ؛ أي يقطعها .

فعلى قول هؤلاء ، هو : (فعليل) بمعنى : (فاعل) ، وقيل : إنه^(١٢) (فعليل) بمعنى : (مفعول)^(١٣) ، على أنه مُسِح من الأوزار ، وطُهر^(١٤) .

-
- (١) قوله في الزاهر ١/ ٤٩٣ ، وتهذيب اللغة (مسح) ٤/ ٣٣٨٩ .
 - (٢) قوله في تهذيب اللغة (مسح) ٤/ ٣٣٨٨ .
 - (٣) في (د) : (قال) . والمثبت من (ج) .
 - (٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .
 - (٥) في (ج) و(د) : (عربوه) . ويجوز لغة : عربوه ، وأعربوه . انظر : اللسان (عرب) ٥/ ٢٨٦٥ .
 - (٦) في (د) : (وغيَّروه) .
 - (٧) في (ج) : (الاشتقاق) .
 - (٨) ورد قوله هذا في الزاهر ١/ ٣٩٤ ، وتهذيب اللغة (مسح) ٤/ ٣٣٨٨ ، وتفسير البغوي ٢/ ٣٨ ، وزاد المسير ١/ ٣٨٩ ، وقال : (رواه الضحاك عن ابن عباس) .
 - (٩) في (د) : (إنما) .
 - (١٠) في (ج) : (برأ) .
 - (١١) هو ثعلب ، وقوله في الزاهر ١/ ٤٩٣ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٨٨ ، وزاد المسير ١/ ٣٨٩ .
 - (١٢) (إنه) : ساقطة من (د) .
 - (١٣) في (أ) وردت عبارة مكررة هي : (وقيل : إنه فعليل بمعنى فاعل) .
 - (١٤) ممن قال بذلك الطبري في تفسيره ٣/ ٢٧٠ ونص قوله : «إنما هو ممسوح يعني : مسحه الله فطهره من الذنوب ؛ ولذلك قال إبراهيم : المسيح الصديق» فجعل الطبري من لوازم معنى الصديق . ويعني إبراهيم ، إبراهيم النخعي كما سيأتي معنا .

وقيل : لأنه خرج من بطن أمّه ممسوحاً بالدهن^(١) .

وقال الحسن^(٢) ، وسعيد^(٣) : لأنه مُسَح بالبركة . وبهذا^(٤) قال مِنْ^(٥) أهل اللغة : شَمِر^(٦) . وقال ابن الأعرابي^(٧) ، وأبو الهيثم^(٨) : المسيح بن مريم : الصديق .

قال أبو الهيثم^(٩) : وضدّ الصديق المسيح الدجال ؛ أي الضليل ، الكذاب ، خلق الله المسيحين ، أحدهما ضد الآخر ، فكان^(١٠) المسيح بن مريم يُرَى الأكمّة ، والأبرص^(١١) ، ويحيى الموتى بإذن الله ، وكذلك الدجال ، يحيى الميت ، ويميت الحيّ ، وينشئ السحائب^(١٢) ، [وينبت^(١٣) النبات ، فهم المسيحان^(١٤) : مسيح الهدى ، ومسيح الضلالة .

-
- (١) قال ابن الجوزي عن هذا القول : «قاله أبو سليمان الدمشقي ، وحكاه ابن القاسم» . وزاد المسير ٣٨٩/١ .
- (٢) لم أقف على مصدر قوله ، وهو مذكور في النكت والعيون ١/٣٩٤ ، وزاد المسير ١/٣٨٩ .
- (٣) تفسير الطبري ٣/٢٧٠ ، وذكره ابن الجوزي في الزاد ١/٣٨٩ .
- (٤) في (ب) : (بهذا) .
- (٥) (من) : ساقطة من (د) .
- (٦) تهذيب اللغة ٤/٣٣٨٩ .
- (٧) في (د) : الأعرابي . قوله في تهذيب اللغة (مسح) ٤/٣٣٨٨٩ .
- (٨) في (ج) : أبو الهيثم ، من دون واو العطف . وقوله في المصدر السابق . وأبو الهيثم ، هو خالد بن يزيد الرازي .
- (٩) قوله في التهذيب ٤/٣٤٨ .
- (١٠) في (ج) : (وكان) .
- (١١) الأكمّة هو الذي يولد أعمى . وقد يقال لمن لم تذهب عينه . انظر : معجم المفردات للراغب (كمه) ٤٥٩ . والبرص : مرض جلدي معروف ، يصيب الجلد ببياض . انظر : القاموس (برص) ٦١٣ .
- (١٢) في (د) تهذيب اللغة : (السحاب) .
- (١٣) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) ، ومثبت في بقية النسخ ، ومن تهذيب اللغة .
- (١٤) في (ج) و(د) والتهذيب : (فهما مسيحان) .

قال [المنذري]^(١): فقلت^(٢) له: بلغني أن عيسى [عليه السلام]^(٣)، إنما سُمِّيَ مسيحاً؛ لأنه [مُسح بالبركة، وسُمِّيَ الدجال مسيحاً؛ لأنه]^(٤) ممسوح العين. فأنكره، وقال: إنما المسيح ضدَّ المسيح، يقال: مَسَحَهُ الله؛ أي خلقه حسناً مباركاً، وَمَسَحَهُ^(٥)؛ أي خلقه قبيحاً ملعوناً.

وكان إبراهيم النخعي يذهب أيضاً^(٦) إلى أن المسيح، معناه: الصِّدِّيق^(٧).

قال ابن الأنباري^(٨): وهذا القول لا يعرف^(٩) اللغويون مذهبه؛ إذ^(١٠) كانت لا تصف كلَّ صِدِّيق بالمسيح، ولعل كان هذا مستعملاً^(١١) في بعض الأوقات في وصف الصِّدِّيقين، فدرَسَ مع ما درَسَ من الكلام؛ لأن الكسائي قال^(١٢): قد درس من كلام العرب شيء كثير. ثم فسرَّ المسيح وبَيَّنَّه من هو، فقال: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. معنى (الوجيه): ذو الجاه والشرف والقدْر،

- (١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). ومثبت من بقية النسخ، ومن تهذيب اللغة. وقول المنذري في التهذيب ٣٣٨٩/٤. وقد تقدمت ترجمته.
- (٢) في (ب): (قلت).
- (٣) ما بين المعقوفين زيادة من (د).
- (٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د)، ومن التهذيب.
- وقول المنذري في التهذيب ٣٤٨/٤.
- (٥) في (ب): (ومسحه).
- (٦) (أيضاً): ساقطة من (ج).
- (٧) تفسير الطبري ٢٧٠/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٥١/٢، والزاهر ٤٩٣/١، والتهذيب (مسح) ٣٣٨٩/٤، والدر المنثور ٤٥/٢، وعزاه كذلك لابن المنذر.
- (٨) قوله في تهذيب اللغة (مسح) ٣٣٨٩/٤.
- (٩) في (ج): (لا يعرفه).
- (١٠) في (أ) و(ب): (إذا). والمثبت من (ج) و(د).
- (١١) في (ج) والتهذيب: (ولعل هذا كان مستعملاً)، (د): (ولعل هذا مستعملاً).
- (١٢) قوله في تهذيب اللغة (مسح) ٣٣٨٩/٤، وقوله من تمة كلام ابن الأنباري.

يقال : وَجْهَ الرجلُ ، يُوْجِّهُهُ ، وَجَاهَةً ، فهو وَجِيْهُ : إذا صارت له منزلة رفيعة عند السلطان والناس^(١) .

وقال بعض أهل اللغة^(٢) : الوجيه : الكريم ، عند من لا يسأله ؛ لأنه لا يرده لكرم^(٣) وجهه عنده^(٤) ، خلاف من يبذل وجهه للمسألة^(٥) ، فيرده^(٦) .

قال الزَّجَّاجُ^(٧) : ﴿ وَجِيْهًا ﴾ ، منصوب على الحال ، المعنى : إِنَّ اللهَ يَبْشُرُ بهذا الولد ، وجيهاً في الدنيا والآخرة . والفَرَّاءُ^(٨) يسمي هذا قطعاً ، كأنه : كان^(٩) عيسى بن مريم الوجيه ، قُطِعَ منه التعريف^(١٠) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ؛ أي إلى ثواب الله وكرامته .

-
- (١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٤١٢ ، واللسان (وجه) ٨/ ٣٧٧٦ .
 (٢) لم أقف على هذا القائل .
 (٣) في (أ) و(ب) : (الكرم) . والمثبت من (ج) و(د) ، ومن البحر المحيط ٢/ ٤٦١ ، وهو أنسب لسياق الكلام .
 (٤) في (ج) : (عند) . قال الفخر الرازي : «الوجيه ، هو الكريم ؛ لأن أشرف أعضاء الإنسان وجهه ، فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال» . تفسيره ٨/ ٥٥ .
 وقال الطبري عن قوله -تعالى- عن موسى عليه السلام : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيْهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] : «الوجيه في كلام العرب : المُحَبَّبُ المقبول» . تفسيره : ٢٢/ ٥١ .
 (٥) في (ج) : (للمسلمة) .
 (٦) في (ج) و(د) : (فيرد) . ولم أقف على هذا الذي ذكره المؤلف في معنى (الوجيه) في ما رجعت إليه من مراجع .
 (٧) في معاني القرآن ١/ ٤١٢ .
 (٨) في معاني القرآن ١/ ٢١٣ .
 (٩) في (ج) : (قال) . وكذا في الدر المصون ٣/ ١٧٩ ، وحيث نقل عبارة الواحدي هذه .
 (١٠) وقد علّق السمين على قول الفرّاء هذا ، بعد أن نقله عن الواحدي ، بقوله : «فظاهر هذا يؤذن بأن (وجيهاً) من صفة عيسى في الأصل ، فُقِطِعَ عنه ، والحالُ وَصِفٌ في المعنى» . الدر المصون ٣/ ١٧٩ . وانظر : ما سبق من تعليق على إعراب قوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ من آية ١٨ من سورة آل عمران .

٤٦. قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ ، موضع ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ منصوب ؛ في التأويل بالتَّسْقِيق^(١) على (وجيهه) ، كأنه قال : «وجيهاً ، ومُكَلِّماً الناس» ، ولا يُنْكَرُ وضع^(٢) المستقبل موضع الحال . ومثله قوله : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يَرْثُنِي ﴿مريم: ٥٦﴾ في قراءة مَنْ رَفَعَ^(٣) . وهذا أحد ما يضارع به الفعل المستقبل الاسم .

وأنشد النحويون على هذا :

بَتُّ أَعْشِيَّهَا^(٤) بَعْضُ بَاتِرٍ يَقْصِدُ^(٥) فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرِ^(٦)

(١) النسق ، هو عطف اللفظ على نسق الأول وطريقته . ويسمى في النحو عطف النسق ، وهو التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف . انظر : معجم المصطلحات النحوية للدكتور اللبدي ٢٢٤ .

(٢) (ولا ينكر وضع) : ساقط من (ج) .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمة : ﴿يَرْثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفعهما . والتقدير : (وليّاً وارثاً) ، على أنَّ (يرثني) صفة لـ (وليّاً) . قال مكّي : «وهو الاختيار ؛ لأنَّ الجماعة عليه ، ويقوي الرفع : أنَّ (وليّاً) رأس آية ، فاستغنى الكلام عن الجواب» . الكشف ٨٤ / ٢ . وقرأ أبو عمرو ، والكسائي : ﴿يَرْثُنِي وَيَرِثُ﴾ بجزمهما ؛ على أنها جواب للأمر ، والتقدير : «هب لي من لدنك وليّاً فإنك إن وهبته لي ورثني» . انظر : الحجة لابن خالويه ٢٣٤ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٣٨ .

(٤) في (ج) : (أعشيها) ، وفي (د) : (أعشيها) .

(٥) يعصله .

(٦) البيت في نسخة (ب) ورد هكذا :

سبت أميتها بقضيبي باترٍ بقصدٍ في أسوفها وجايرٍ

ولم أقف على قائل هذا البيت . وقد ورد في معاني القرآن للفراء ٢١٣ / ١ ، ١٩٨ / ٢ ، وتفسير الطبري ٤١٦ / ٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤١٤ / ١ ، وتهذيب اللغة (كهل) ٣١٩٩ / ٤ ، وشرح الأبيات المشككة للفراسي ٤٦٥ ، والمحرم الوجيز ١٢١ / ٣ ، وأمالى ابن الشجري ٤٣٧ / ٢ ، و٢٠٥ / ٣ ، ووضح البرهان للنيسابوري ٢٤٣ ، واللسان (عشا) ٢٩٦٣ / ٥ ، وشرح ابن عقيل ٢٤٥ / ٣ ، والمقاصد النحوية للعيني ١٧٤ / ٤ ، ومنهج السالك للأشموني ١٢٠ / ٣ ، وخزانة الأدب ١٤٠ / ٥ ، ١٤٣ . وقد ورد البيت بألفاظ أخرى ، هي : (بات يعشيها) ، و(بات يغشيها) و(بات يعيها) ، و(أسوقها) ، و(أسواقها) . ومعنى (أعشيها) ؛ أي أطعمها العشاء ، وأما رواية (يعشيها) =

على معنى : قاصدٌ^(١) ، وجائرٌ .

وقوله تعالى : ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾ ؛ أي صغيراً . والمهْدُ : الموضع الذي مُهِّدَ لنوم الصبي^(٢) .

بالغين المعجمة ، فهي من الغشاء ، كالغطاء ؛ أي يشملها ويعمُّها . و(عَضْبٌ باتر) (العَضْب) هنا : السِّيف . والكلمة ، أصلها : صفة ، بمعنى : قاطع من عَضْبَةٍ ؛ أي قطعه . و(باتر) : قاطع . و(يَقْصِدُ) : يتوسط ، ولا يتجاوز الحد في القطع . و(أَسْوَقُها) جمع : ساق ، وتجمع كذلك على (سُوق) و(سَيِّقَان) (وأَسْوَقُ) ، والساق : ما بين الكعب والركبة . و(جائر) : ظالم ، مجاوز للحد . والشاعر هنا على هذه الرواية : يمدح نفسه بأنه رجل كريم مضياف ، يقول : بأنه بات يعثي إبله عقرًا لها بسيف قاطع ، فأقام الشاعرُ السيفَ مقامَ العشاء ، وعلى الرواية الثانية (يَغْشِيها) ؛ أي يشملها بسيفه القاطع ؛ أي يضرها به ، فهو يقصد ويتوسط في عقر سيقان إبل تستحق العقر ، ويجوز ويتجاوز الحد في عقر سيقان إبل لا تستحق العقر ، كالحوامل ، وذوات الفصال . وعلى رواية (بات يعثيها) يصف به رجلاً آخر بالكرم . انظر : القاموس (عضب) : ١١٦ ، و(بتر) : ٣٤٥ ، و(سوق) : ٨٩٥ ، والخزانة ١٤١ ، ١٤٥ ، ومنحة الجليل لمحمد محيي الدين عبد الحميد (مطبوع مع شرح ابن عقيل) ٢٤٥ ، ٢٤٦ . والشاهد فيه كما قال الأزهرى : «والعرب تجعل (يفعل) في موضع (فاعل) ، إذا كان في عُطوف مجتمعين» . التهذيب : ٣١٩٩ .

(١) في (د) : (قصد) .

(٢) سبق بيان معاني (المهد) في التعليق على قوله تعالى : ﴿ وَيَسَّأَلُهَاذُ ﴾ آية ١٢ من هذه السورة . وانظر (مهد) في الجمهرة لابن دريد ٦٨٥ ، والقاموس : ٣٢٠ .

قال ابن عباس في رواية عطاء^(١): يريد الحَجَر^(٢). ويعني بكلامه ﴿فِي الْمَهْدِ﴾: تبرئة أمّه ممّا قُرِفَتْ^(٣) به^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَكَهَلًا﴾. هو عطف على الظرف من قوله: ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، كأنه قيل: ويكلّم الناس صغيراً وكهلاً^(٥).

والكَهْلُ في اللغة: الذي اجتمع [فيه]^(٦) قوّته، وتَمَّ^(٧) شبابه، وهو من قول العرب: اكْتَهَلَ النَّبْتُ: إذا قَوِيَ وتَمَّ^(٨).

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه من طريق عطاء. والذي في تفسير الطبري ٣/ ٢٧١ من طريق ابن جرير عن ابن عباس، قال: «مضجع الصبي في رضاعه». وأوردها السيوطي في الدر ٢/ ٤٥ ونسب إخراجها كذلك لابن المنذر.

(٢) الحَجَر بفتح الحاء وقد يقال بكسرها، وهو الخضن، وما بين يديك من ثوبك. والجمع حُجُور. انظر (حجر): في اللسان ٢/ ٧٨٢، والقاموس: ٣٧١، وعمدة الحفاظ للسمين: ١١١.

(٣) في (ب) و(ج): (قذفت). وفي (د): مكانها بياض. ومعنى (قُرِفَتْ به)؛ أي قُذِفَتْ به وأُتِهِمَتْ، من (قَرَفَه بكذا)؛ أي اتَّهِمَه به وأضافه إليه. انظر (قرف): في اللسان ٦/ ٣٦٠، والقاموس ٨٤٤، وتفسير الطبري ٣/ ٢٧٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٧٢.

(٥) أي أنه حال من الضمير في ﴿وَيُكَلِّمُ﴾. وقد يكون معطوفاً على ﴿وَجِئَهَا﴾، فيكون في الآية خمسة أحوال، هي: ﴿وَجِئَهَا﴾ و﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ و﴿وَيُكَلِّمُ﴾ و﴿وَكَهَلًا﴾ و﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. انظر: البيان للأنباري ١/ ٢٠٣، ٢٠٤، والبيان للعكبري: ١٨٩.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) في (ج): (وثم).

(٨) في (ج): (وعم). انظر: خلق الإنسان ٢١، والزاهر ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠.

قال الأعشى :

يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ، بَعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهَلٌ^(١)
أراد بالمكتهل : المتناهي في الحسن والكمال .

واختلفوا في كهولة عيسى عليه السلام ، فقال بعضهم : إنه رفع إلى السماء حين^(٢) دخل في الكهولة ؛ وذلك ، أنه كان قد أربى^(٣) على الثلاثين ، ومن أربى^(٤) عليها فقد دخل في الكهولة ، وتقضى أكثر شبابه^(٥) . وعلى هذا القول :

(١) البيت في ديوانه : ١٤٥ . وقد ورد منسوباً له في العين للخليل (كهل) : ٣/ ٣٧٨ ، وتأويل المشكل ، لابن قتيبة ١٣٦ ، والزاهر ٢/ ٢٧٠ ، وتهذيب اللغة (كهل) ٤/ ٣١٩٩ ، وأمالى الزَّجَاجي ١٣٥ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٢٩٢ ، واللسان (كوكب) ٧/ ٣٩٥٧ ، و(أرز) ١/ ٧٢ ، و(شرق) ٤/ ٢٢٤٤ ، و(كهل) ٧/ ٣٩٤٨ ، و(عمم) ٥/ ٣١١٢ . والشاعر هنا يصف روضة . وقوله : «يضاحكُ الشمسَ» ؛ أي يدور معها ، ومضاحكته إيّاها : حسنٌ لها نَصْرَةٌ . و«كوكبٌ شَرِقٌ» : «الكوكب» : معظم النبات ، و«الشَّرِقُ» : الريّانُ الممتلئ ماءً . و«مؤَزَّرٌ» ؛ أي صار النبات كالإزار للكوكب ، فهو يغطيه . و«عَمِيمِ النَّبْتِ» : النبات الكثير الحسن ، ويقال : نبات عَمِيم ، ومُعْتَمٌ ، وعَمَمٌ : إذا كان بالغاً حسناً كثيراً . و(المكتهل) : التأمُ الحسن . انظر : الزاهر ٢/ ٢٧٠ ، وتهذيب اللغة (كهل) ٤/ ٣١٩٩ .

(٢) في (ج) : (أنه) .

(٣) في (ج) : (أرمى) .

ومن قوله : (أربى ...) إلى (...) ومن أربى) : ساقط من (د) .

(٤) في (ج) : (أرمى) .

(٥) وردت عن علماء اللغة أقوال في بيان عُمر الكهل : فقليل : إنّه من وَخَطَهُ الشَّيْبُ ورأيت له بَجَالَةً . قاله الخليل ، والليث بن المظفر . وقيل : هو ما بين الأربعين إلى الخمسين . قاله ابن أبي ثابت . وقيل : إذا بلغ الخمسين ، قاله الأزهري . وقيل : ابن ثلاث وثلاثين سنة ، قاله ابن الأعرابي . وقيل : هو من جاوز الثلاثين ، قاله ابن الأباري . وقيل : منتهى الحُلُم ؛ أي منتهى سن البلوغ ، قاله يزيد بن أبي حبيب . انظر : العين (كهل) ٣/ ٣٧٨ ، وخلق الإنسان لابن أبي ثابت ٢٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٤٠١ ، وتهذيب اللغة (كهل) ٦/ ١٩ ، والصاح (كهل) ٥/ ١٨١٣ ، واللسان (كهل) ٧/ ٣٩٤٧ .

يَكْلَمُ النَّاسَ كَهَلًا ، قبل أن يُرْفَعَ إِلَى السَّمَاءِ . وهذا معنى قول مقاتل^(١) ، وابن عباس في رواية عطاء^(٢) ؛ لأنه قال^(٣) في قوله : (وَكَهَلًا)^(٤) ، يريد : أنه يتكلم بكلام النبوة .

وقال بعضهم : المراد بقوله : ﴿وَكَهَلًا﴾^(٥) : بعد أن ينزل من السماء يكلم الناس بعد نزوله إلى الأرض كهلاً^(٦) . وهذا اختيار الحسين بن الفضل^(٧) ، قال^(٨) : وفي هذا بيان نزوله في نص القرآن^(٩) .

-
- (١) قوله في تفسيره ٢٧٦/١ . وما نقله المؤلف هو نص كلام مقاتل .
- (٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية . والذي في زاد المسير ١/ ٣٩٠ خلاف هذه الرواية ، قال : «وقد روي عن ابن عباس ، أنه قال : ﴿وَكَهَلًا﴾ ، قال : ذلك بعد نزوله من السماء» .
- (٣) في (ب) : (وقال) .
- (٤) الواو زيادة من (ج) و(د) .
- (٥) في (ب) : (كهلاً) .
- (٦) في (ب) : (من السماء كهلاً إلى الأرض كهلاً) .
- (٧) انظر : قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٥٠ ، وتفسير البغوي ٢/ ٣٨ .
- (٨) (قال) : ساقطة من (د) .
- (٩) وهذا كذلك قول ابن زيد ، كما في تفسير الطبري ٣/ ٢٧٣ ، والمحزر الوجيز ٣/ ١٢٢ ، وقول أحمد بن يحيى ، ثعلب ، كما في تهذيب اللغة (كهل) ٦/ ١٨ . وقال محمد بن جعفر بن الزبير ، وقتادة ، والربيع ، والحسن ، وابن إسحاق : إنه يكلمهم صغيراً أو كبيراً ، وهو إخبار لمريم - عليها السلام - أنه يعيش إلى سن الكهولة . ويُنَّ الطبري - رحمه الله - أن كلام هؤلاء الأئمة يعني : أن عيسى - عليه السلام - كسائر بني آدم ، يتقلب في الأحداث ، ويتغير بمرور الأزمنة عليه ، من صغر إلى كبر ، ومن حال إلى حال ، وفي هذا احتجاج على النصارى القائلين بألوهية عيسى عليه السلام . انظر : تفسير الطبري ٢٧٢/٣ ، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٥٣ ، والقطع والائتناف للنحاس ٢٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ . قال عطاء^(١) : يريد : مثل موسى ، وإسرائيل^(٢) ، وإسحاق ، وإبراهيم^(٣) .

٤٧ . قوله تعالى^(٤) : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ ، قال أهل المعاني^(٥) : إنَّ مريم لا تستنكر في قدرة الله - تعالى - خلق الولد من غير مَسِّيسٍ بَشَرٍ^(٦) ، وإنَّما قالت هذا ؛ لأنَّ في البشرية التعجب مما خرج عن العادة ، كما يقول الإنسان : كيف تَهَبُ ضِيعَتَكَ ، وهي أنْفَسُ أملاكك ؟ ليس يشك في هبته ، وإنما يتعجب من وجوده . و(البَشَر) : الخلق . واحدهُ وجمعه سواء ؛ لأنه بمنزلة المصدر^(٧) ، نحو^(٨) : الخَلْقُ ، يقال^(٩) : هذا خَلَقٌ ، وهؤلاء خَلَقٌ^(١٠) . وإنما وجب في المصدر ذلك ؛ لأنه جنس في الفعل ، كما وجب في الماء والرمل ، وما هو من أسماء الأجناس .

وأصله من (البَشَرَة) التي هي ظاهر الجِلْد ؛ لأنه الذي من شأنه أن يَظْهَرَ الفرْحُ والغَمْ في بَشَرَتِهِ^(١١) .

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) إسرائيل ، هو يعقوب عليه السلام . انظر : تفسير الطبري ٢٤٨ / ١ ، وفتح القدير ١١٧ / ١ .

(٣) في (ج) : (ويعقوب) . قال الطبري في تفسير هذه الآية : «يعني : من عدادهم وأوليائهم ؛ لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل» تفسيره ٢٧٣ / ٣ .

(٤) في (د) : (عزَّ وجل) .

(٥) لم أقف عليه . وقد أورد هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٠ / ١ ، ونسبه للجمهور .

(٦) (بشر) : ساقطة من (ج) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (بشر) ٣٣٨ / ١ .

(٨) من قوله : (نحو . . .) إلى (. . . في المصدر) : ساقط من (د) .

(٩) في (ج) : (يقول) .

(١٠) (وهؤلاء خلق) : ساقط من (ج) .

(١١) انظر (بشر) : في التهذيب ٣٣٨ / ١ ، واللسان ٢٨٦ / ١ .

وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ؛ أي يخلق الله ^(١) ما يشاء مثل ذلك من الأمر ، وهو خلق الولد من غير مَسِيس .

وقوله تعالى : ﴿إِذَا فَضَّيْ أَمْرًا﴾ إلى آخر الآية . ذكرنا ما فيه في سورة البقرة ، عند قوله : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا فَضَّيْ أَمْرًا﴾ الآية [البقرة: ١١٧] .

٤٨ . قوله ^(٢) تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ الآية . قال ابن جريج ، وغيره : أراد الكتابة والخط ^(٣) . وقيل : أراد كتاباً آخر غير التوراة والإنجيل ، من نحو الزبور وغيره ^(٤) .

٤٩ . [و] ^(٥) قوله تعالى : ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ . قال أبو إسحاق ^(٦) : ينتصب على وجهين ؛ أحدهما : ويجعله ^(٧) رسولاً . قال : والاختيار

(١) لفظ الجلالة (الله) : ليس في : (ج) و(د) .

(٢) في (د) : (وقوله) .

(٣) قول ابن جريج في تفسير الطبري ٢٧٤ / ٣ ، ولفظه : «قال : بيده» . وقد ورد هذا التفسير عن عكرمة ، يرويه عن ابن عباس ، ولفظه : «الخطُّ بِالْقَلَمِ» ، وقد ورد كذلك عن يحيى بن أبي كثير ، ومقاتل ، وعثمان بن عطاء . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٦٥٣ / ٢ ، ومن رجَّح هذا البغوي في تفسيره ٣٩ / ٢ ، والفخر الرازي في تفسيره ٥٩ / ٨ ، واستظهره ابن كثير في تفسيره ٣٩١ / ١ .

(٤) لم أهتد إلى قائل هذا القول . وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٣ / ٢ عن الحسن قوله : «الكتاب : القرآن» . وفي زاد المسير ٣٩١ / ١ ذكر في المراد بـ ﴿الْكِتَابَ﴾ قول ابن جريج ، وقولاً آخر ، وهو : «أنه كُتِبَ النَّبِيُّ ، وعلمهم» ، وقال : «قاله ابن عباس» . وذكر ابن عطية هذا القول الذي أورده الواحدي ، وقال عنه : «وهو دَعَوَى لَا حُجَّةَ عَلَيْهَا» . المحرر الوجيز ١٢٥ / ٣ .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٦) في معاني القرآن له ٤١٣ / ١ ، ونقله عنه بتصرف واختصار .

(٧) في (د) : (ونجعله) .

عندي : أنه وَيَكَلِّمُ النَّاسَ رَسُولًا ؛ لقوله : ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾ ، والمعنى :
يَكَلِّمُهُمْ رَسُولًا بَأَنِّي ^(١) قَدْ جِئْتُكُمْ ^(٢) .

وقال الأخفش ^(٣) : إن شئت جعلت الواو في ﴿وَرَسُولًا﴾ مُقَحَّمَةً ^(٤) ،
و(الرسولاً) ^(٥) حالاً للهاء ^(٦) ، تقديره : وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ رَسُولًا ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، ذكر آية واحدة ، وإنما
جاءهم ^(٨) بآيات ، وهي خلق الطير ، وإبراء الأكُمه والأبرص ، وإحياء الموتى ،
وإنباء ^(٩) بما يأكلون ؛ وذلك أنه أراد بالآية خلق الطير ، ثم عطف عليه إبراء ^(١٠)
الأكُمه والأبرص على جهة الاستئناف .

-
- (١) في (د) : (أني) .
(٢) أي أَنَّ الوجه الأول تقديره : (ويجعله رسولاً) : ف ﴿رَسُولًا﴾ منصوب على المفعولية . والتقدير الثاني
وهو اختيار الزَّجَّاج : «ويكلم الناس رسولاً» ، على أَنَّ ﴿رَسُولًا﴾ حال .
(٣) من قوله : (قال الأخفش . . .) إلى (. . .) ونعَلِّمُهُ الْكِتَابَ رَسُولًا : نقله بنصه عن تفسير الثعلبي
٣/ ٥١ ب . والوارد في معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٠٥ في قوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ﴾ ، كالآتي : «موضع نصب على ﴿وَجِئَهَا﴾ . و ﴿رَسُولًا﴾ معطوف على ﴿وَجِئَهَا﴾ ؛ أي
أنها عنده حال منتصبة عن قوله تعالى : ﴿يَكَلِّمُهُ﴾ في آية ٤٥ . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٠٤ .
(٤) أي (زائدة) أو (لغو) ، وهي عبارة البصريين ، وتسمى (صلة) أو (حشو) عند الكوفيين . انظر :
البرهان ٣/ ٧٢ .
(٥) في (ج) : (ورسولاً) .
(٦) في (ب) : (لها) . وقوله : (للهاء) ؛ أي في (ويعلِّمُهُ) .
(٧) وللآية توجيهات نحوية أخرى ، انظرها في البحر المحيط ٢/ ٤٦٤ ، والدر المصون ٣/ ١٨٦-١٨٩ .
(٨) في (د) : (جاههم) .
(٩) في (ج) و(د) : (والأنباء) .
(١٠) في (ج) : (وإبراء) .

وقوله تعالى : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾ ، مِنْ ^(١) فتح ﴿أَنِّي﴾ ^(٢) ، جعلها بدلاً مِنْ ﴿ءَايَةٍ﴾ ^(٣) ، كأنه قال : وجئتكم بأني أخلق لكم من الطين ، ويكون موضع ﴿أَنِّي﴾ خفصاً على البدل مِنْ ﴿ءَايَةٍ﴾ ^(٤) ، ويجوز أن يكون رفعاً على معنى : الآية أني أخلق لكم ^(٥) . وَمَنْ كَسَرَ ^(٦) ، فله وجهان ؛ أحدهما : الاستئناف ، وقطع الكلام مما قبله .

والوجه الآخر : أنه ^(٧) فسر الآية بقوله : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾ ^(٨) ، ويجوز أن يفسر الجملة المقدمة بما يكون على وجه الابتداء ، كقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة : ٩] ، ثُمَّ فسر الموعود بقوله : ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ^(٩) ، وكقوله : ﴿إِنِّ مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ ^(١٠) [آل عمران : ٥٩] ، ثُمَّ فسر المثل بقوله : ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ . وهذا الوجه أحسن ؛ لأنه في المعنى كقراءة مَنْ فتح (أَنِّي) ، وأبدل من (آية) ^(١١) .

(١) من قوله : (من ...) إلى (أني أخلق لكم من الطين) : نقله بتصريف يسير جداً عن الحجة للفارسي ٤٣/٣ . وقد قرأ جميعهم بفتح الهمزة في ﴿أَنِّي﴾ ، إلّا نافعاً وأبا جعفر ، فقد كسرا ﴿أَنِّي﴾ . انظر : النشر ٢/ ٢٤٠ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) في (ج) : (أنا) .

(٣) (من آية) : ساقط من (د) .

(٤) في (ج) : (أنه) .

(٥) أي هي خبر لمبتدأ مضمرة ، تقديره : هي أني أخلق ؛ أي الآية التي جئت بها أني أخلق . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٣٤ .

(٦) من قوله : (ومن كسر ...) إلى (... وأبدل من آية) : نقله بتصريف عن الحجة للفارسي ٣/ ٤٣٤٤ .

(٧) (أنه) : ساقط من (ج) .

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) ومن الحجة .

(٩) ومن قوله : (لهم مغفرة ...) إلى (... فسر المثل بقوله) : ساقط من (ج) .

(١٠) (كمثل آدم) : ساقط من (ب) .

(١١) وهناك وجه ثالث ، وهو كسرُها على إضمار القول ؛ أي فقلت : إنني أخلق .

انظر : هذه الوجوه في البحر المحيط ٢/ ٤٦٥ ، والدر المصون ٣/ ١٩١ .

وقوله تعالى: ﴿أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾؛ أي أقدر، وأصور. والخلق، معناه: التقدير في اللغة^(١).

وقوله تعالى: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، الهيئة: الصورة المهيأة؛ من قولهم: هيأت الشيء: إذا قدرته^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنْفَخُ فِيهِ﴾؛ أي في الطير، والطير: يجوز تذكيره على معنى الجمع، وتأنيثه على معنى الجماعة.

ولا يجوز أن تعود^(٣) الكناية^(٤) إلى الطين؛ لأن النفخ إنما يكون في طين مخصوص، وهو ما كان مهيأً منه، والطين المتقدم ذكره عام، فلا تعود إليه الكناية؛ ألا ترى أنه لا ينفخ في جميع الطين^(٥)؟ ويجوز أن تعود الكناية على ذي

(١) وقد قال ابن قتيبة: إن الأصل في (الخلق)، هو التقدير. وفي تهذيب اللغة: الخلق في كلام العرب على ضربين؛ الأول: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه. والآخر: التقدير. وقد ذكر أصحاب الوجوه والنظائر أن من وجوه (الخلق) في القرآن: الإيجاد، والبعث، والتصوير، وذكروا هذه الآية (٤٩) من آل عمران) شاهداً على هذا المعنى، والكذب، والجعل، والنطق، والدين، والموت، والبناء. وهذا الوجهان الأخيران ذكرهما الثعلبي، وابن الجوزي. انظر: تأويل مشكل القرآن ٥٠٧، وتهذيب اللغة (خلق) ١/ ١٠٩٣، والوجوه والنظائر لهارون بن موسى ٢٨١، وقاموس القرآن للدماغاني: ١٦٢، والأشباه والنظائر للثعلبي ١٣١.

(٢) قال الثعلبي: «هيأت الشيء: إذا قدرته، وأصلحته». تفسيره ٣/ ٥٢، وانظر في: الصحاح (هيأ) ١/ ٨٥، واللسان ٨/ ٤٧٣٠.

(٣) في (ج): (يعود).

(٤) يعني بالكناية هنا: الضمير؛ لأنه يُكنى به؛ أي يرمز عن الظاهر، اختصاراً، وتسميته الكناية من إطلاقات الكوفيين عليه. انظر: النحو الوافي ١/ ٢١٧، ومعجم المصطلحات النحوية للدكتور اللبدي ٧٤.

(٥) قال السمين الحلبي، بعد أن ذكر قول الواحدي هذا: «وفي هذا الردّ نظر؛ إذ لقائل أن يقول: لا نسلم عموم الطين المتقدم، بل المراد بعضه؛ ولذلك أدخل عليه (من) التي تقتضي التبعض. وإذا صار المعنى: (أي أخلق بعض الطين) عاد الضمير عليه من غير إشكال، ولكن الواحدي جعل (من) في ﴿مِنَ الطِّينِ﴾ لابتداء الغاية، وهو الظاهر». الدر المنثور ٣/ ١٩٤.

الهيئة . وأريد بـ(الهيئة) : ذو الهيئة ، كما أريد بـ(القسمة) : المقسوم ، في قوله : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء : ٨] ؛ لأنه قال : ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾^{(١)(٢)} .

كذلك أراد بـ(الهيئة) : المهياً ، وذا^(٣) الهيئة .

و^(٤) يجوز أن تعود الكناية إلى ما وقعت الدلالة^(٥) عليه في اللفظ ، وهو^(٦) : أَنَّ (يَخْلُقُ) يدل على الخَلْقِ ، فيكون قوله : ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ؛ أي في الخَلْقِ ، ويكون الخلق بمنزلة المخلوق .

ويجوز أن تعود إلى ما دلَّ عليه الكافُ من معنى المثل ؛ لأن المعنى : أخلق من الطين مثلَ هيئة الطير ، ويكون الكافُ في موضع نصب على أنه صفة^(٧) للمصدر المُراد ، تقديره : (أني أخلق لكم من الطين خَلْقًا مثلَ هيئة الطير) . وهذه الوجوه ذكرها أبو علي الفارسي^(٨) .

(١) (منه) : ساقط من (ج) .

(٢) [النساء : ٨] . والشاهد هنا : أَنَّ الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يعود على القسمة . ولما كان الضمير مذكراً ، والقسمة مؤنثة ، دلَّ على أن المراد بالقسمة هنا المقسوم . وهذا رأي في مرجع الضمير هنا . وقيل : إنه يعود على المال ؛ لأن القسمة تدلُّ عليه بطريق الالتزام . وقيل : إنه يعود على (ما) في قوله : ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ من آية ٧ في سورة النساء . انظر : مشكل إعراب القرآن ١ / ١٩٠ ، وتفسير البضاوي ١ / ٨٥ ، والبحر المحیط ٣ / ١٧٦ ، والدر المصون ٣ / ٥٨٩ .

(٣) في (د) : (وذو) .

(٤) الواو زيادة من (ج) .

(٥) في (ب) : (الكناية الدلالة) .

(٦) من قوله : (هو . . .) إلى (أي في الخلق) : ساقط من (د) .

(٧) (صفة) : ساقطة من (ج) .

(٨) لم أقف على مصدر قوله .

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، وقرأ^(١) نافع^(٢) : (طائراً)^(٣) ، على معنى : يكون^(٤) ما أنفخ فيه طائراً ، أو^(٥) ما أخلقه طائراً ، أو أراد أن^(٦) يكون كل واحد من ذلك طائراً ، كما قال تعالى : ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور : ٤] ؛ أي كل واحد منهم .

وقال بعضهم^(٧) : ذهب نافع^(٨) إلى نوع واحد من الطير ؛ لأنه لم يخلق غير الخفّاش . وإنّما خصّ الخفّاش^(٩) ؛ لأنه أكمل الطير خلقاً . وقد زدنا بيانا على هذا في سورة المائدة^(١٠) .

(١) في (ج) : (وقري) .

(٢) هو أبو رُويم ، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم ، تقدمت ترجمته .

(٣) وقرأ بها كذلك أبو جعفر ، ويعقوب . وقرأ باقي القراء العشرة (طيراً) . انظر : المبسوط في القراءات العشر ١٤٣ .

(٤) من قوله : (يكون ...) إلى (...) أي كل واحد منهم) : نقله بتصريف يسير عن الحجة للفارسي ٤٤ / ٣ .

(٥) في (د) : (و) .

(٦) ساقطة من (د) .

(٧) هو الثعلبي في تفسيره ٥٢ / ٣ أ .

(٨) عبارة الثعلبي : «وقرأ أهل المدينة (طائراً) بالألف على الواحد ؛ ذهبوا إلى نوع ...» ، وبقية العبارة كما هي عند الواحدي .

(٩) (وإنما خصّ الخفّاش) : ساقط من (ج) . ورد خَلَقَهُ للخفّاش ، عن ابن جريج ، كما في تفسير الطبري ٢٧٦ / ٣ . وعن ابن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، كما في زاد المسير ٣٩٢ / ١ . وأورده السيوطي في الدر ٥٧٥ / ٢ عن ابن عباس ، ونسب إخراج له لأبي الشيخ .

(١٠) قول المؤلف في ما سبق عن توجيه قراءة نافع : (أو أراد أن يكون ...) ، وقوله : (ذهب نافع ...) ، قد تشعر هذه العبارات أن قراءة نافع ، وغيرها من القراءات الصحيحة ، إنّما هي مذهب اجتهادي في القراءة يذهب القارئ بناء على موازنات ذوقية ، ومقاييس منهجية ، لا علاقة لها بالتلقي عن طريق الرواية الصحيحة . وليس الأمر كذلك ؛ فالذي يعرفه الجميع أن القراءات القرآنية إنّما هي متلقاة عن النبي ﷺ عن طريق التواتر ، فهي موقوفة لا مجال فيها للاجتهاد ، وإنّما للإمام القارئ فقط أن يختار ما روي ، وعلم وجهه من القراءات .

ولذا يقول ابن الجزري عن نسبة القراءة إلى القارئ ، بأنها : «إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة =

قال وَهَبْ : كان يطير ما دام الناس ينظرون ، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَأُتِرِئْتُ أَلَاكُمَہَ وَالْأَبْرَصَ﴾ . قال الأصمعي^(٢) : بَرِئْتُ من المرض : لغة تميم ، وَبَرَأْتُ : لغة أهل الحجاز^(٣) .

وقال أبو زيد^(٤) : بَرَأْتُ من المرض : لغة أهل الحجاز . وسائر العرب : بَرِئْتُ^(٥) .

اختراع ورأي واجتهاد ؛ أي أن إضافة القراءات إلى أئمة القراءة وروايتهم ، يُرادُ بها فقط أن الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة ، حسبما قرأ به ، فأثره على غيره وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر وعرف به . فللإمام أن يختار من القراءات ما وافق العربية ، سواء أكان ذلك الوجه فصيحاً أم أفصح ، حسبما يترجح عنده ، إذا تحققت بقية الشروط ، وهي صحة السند ، وموافقة المصحف الإمام ولو احتمالاً . وهذا المجال الاختياري في ما يبدو لي -والله أعلم- هو الذي يعنيه الواحدي ، ومن نقل عنهم عباراته السابقة . انظر : النشر ٥٢/١ ، والقراءات القرآنية للدكتور عبدالحادي الفضلي ١٠٥ ، ١٠٦ ، ودفاع عن القراءات المتواترة للدكتور لبيب السعيد ١٣ ، ١٤ .

(١) ورد هذا الأثر في تفسير الثعلبي ٥٢/٣ أ ، وزاد المسير ٣٩٢/١ ، وتفسير القرطبي ٩٤/٤ .

(٢) قوله في تهذيب اللغة (برأ) ٣٢٤/١ .

(٣) في تهذيب اللغة ، وقال الأصمعي : «بَرَأْتُ من المرض بُرُوءاً» ، لغة تميم ، وأهل الحجاز يقولون : «بَرَأْتُ من المرض بُرْءاً» ، و«أبرأه الله من مرضه إبراءً» . ويبدو أن هذا النص من النسخة المطبوعة من التهذيب فيها خطأ مطبعي ، لأنها لم تفرّق بين برأ وبرئ . وقد أورد السمين الحلبي النص نفسه في الدر المنصون ٣/١٩٨ موافقاً لما أورده الواحدي .

(٤) قوله في تهذيب اللغة (برأ) ٣٢٤/١ .

(٥) قال في اللسان ١/٢٤٠ : «وَبَرِئْتُ من المرض ، وَبَرَأَ المريض ، يَبْرَأُ ، وَيَبْرُؤُ ، بَرَاءً ، وَبُرُوءاً... وأصبح بارئاً من مرضه ، وبرئاً ، من قومٍ برّاء» . انظر : العين (برأ) ٢٨٩/٨ ، والمقاييس (برأ) ٢٣٦/١ .

والأَكْمَهُ^(١)، قال ابن عباس، وقتادة^(٢): هو الذي وُلِدَ أَعْمَى، لم يبصر ضوءاً قط^(٣).

يقال: كَمَهُ الرجلُ، يَكْمُهُ، كَمَهَا^(٤). والأَبْرَصُ: الذي به وَضَحٌ^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَخِي الْمَوْقِنَ يُدْنِي اللَّهُ﴾، قال الكلبي^(٦): كان^(٧) عيسى - عليه السلام - يحيي الأموات بـ (يا حيُّ يا قيُّوم)، أحيا عازراً^(٨)، وكان صديقاً له، ودعا سام بن نوح من قبره، فخرج حياً، ومُرَّ عليه بـ ابن عجزوز على سرير مَيْتاً، فدعا الله عيسى، فنزل عن سريرهِ حياً، ورجع إلى أهله، وبقي، ووُلِدَ له^(٩).

(١) في (ج): (الأَكْمَهُ) من دون واو.

(٢) قولهما في تفسير الطبري ٢٧٦/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٥٥/٢، وأخرجه في ٦٥٥/٢ بلفظ: (الأَعْمَى: الممسوح العين)، تفسير الثعلبي ٥٢/٣ أ.

وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ١٢١/١ عن مقاتل قوله: (الأَكْمَهُ: الأَعْمَى). وأورد السيوطي في الدر ٥٧/٢ قول ابن عباس، وعزاه كذلك لابن المنذر.

(٣) وفي معنى (الأَكْمَهُ) أقوال أخرى، وهي أن الأَكْمَهُ هو الأَعْمَى، أو الأَعْمَش، أو الأَعشى الذي يبصر بالنهار لا بالليل. ولكن المعنى الذي ذكره الواحدي هو الأرجح، وقد قال به أبو عبيدة، والطبري، وغيرهما، وهو الذي عليه الجمهور، كما يقول ابن حجر في فتح الباري؛ لأن إبراء الذي يولد أَعْمَى هو الذي فيه المعجزة، أمّا من يُصِيب عينيه مرض عارض؛ فهذا قد يُعالجه الطب البشري. انظر: صحيح البخاري ١٣٨/٤ في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾، وتفسير الطبري ٢٧٦/٣، ٢٧٨، وفتح الباري ٤٧٢/٦، والدر المنثور ٥٧/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٧٦/٣، والصحاح (كمه) ٢٢٤٧/٦.

(٥) الوَضَح، هو البياض من كلِّ شيء، والضوء، ويكنى بالوضوح عن البرص، وهو المرض الجلدي المعروف؛ لأنه يصيب الجلد ببياض. انظر: اللسان ٨/٨٥٥.

(٦) ورد قوله في تفسير الثعلبي ٥٣/٣، ونهاية قوله إلى: بـ (يا حي يا قيوم).

(٧) في (ب): (إن).

(٨) هكذا ضُبِطت في القاموس المحيط (عزر) ٤٣٩، وورد في تفسير الثعلبي (عازر) ٥٢/٣ ب.

(٩) أورد هذا الثعلبي في تفسيره ٥٢/٣، وذكره البغوي ٤٠/٢ عن ابن عباس. وانظر: روايات أخرى في هذا المعنى في الدر المنثور ٥٨/٢. وهذه الأخبار بصرف النظر عن إمكان وقوع ما ورد فيها، فإنها لا تعدو أن تكون من الإسرائيليات، التي وإن لم يكن عندنا ما ينفيها، فليس عندنا ما يصدقها من =

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ . (ما) بمعنى :
الذي ؛ أي بالذي تأكلونه ، والذي تَدْخُرُونَهُ^(١) .

وجاء^(٢) في التفسير : بما تأكلون في غُدُوكُمْ [وتدّخرون لباقي يومكم]^(٣) .
و(تدّخرون) : (تفتعلون) ، من (الدُّخْر)^(٤) .

يقال : (ذَخِرَ ، يَذْخَرُ ، ذُخْرًا) ، و(ادْخَرَ ادْخَارًا) : وأصله : (ادْخَرَ)^(٥) ،
فَأُبْدِلَ^(٦) التَّاءُ دالًا^(٧) ؛ لأن الدَّالَ حَرْفٌ مَجْهُورٌ^(٨) والتَّاءُ مَهْمُوسٌ^(٩) ،
فَأُبْدِلَ بحرفٍ يُشَبِّهُ الدَّالَ^(١٠) في الجَهْرِ ، وهو الدَّالُ ، ثم أُدْغِمَتِ الدَّالُ^(١١) في

- =
خبر صحيح عن الصادق المعصوم عليه السلام . والاكتفاء بإجمال القرآن في مثل هذه المواطن أولى من السير
وراء تفصيلات أخبار الله أعلم بصحتها ووقوعها .
- (١) وقد استحسّن هذا الوجه الزّجّاج ، وقال : «ويجوز أن يكون (ما) وما وقع بعدها بمنزلة المصدر ،
المعنى : أنبئكم بأكلكم ، وادّخركم» . معاني القرآن ١ / ٤١٤ .
- (٢) من قوله : (جاء) إلى (غُدُوكُمْ) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزّجّاج ١ / ٤١٤ .
- (٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .
- (٤) وقوله : (في غُدُوكُمْ) ؛ أي في وقت البكرة ، أو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس . انظر : القاموس
(غدا) ١٣١٧ .
- (٥) أي أن أصل (تدّخرون) : تدّخرون .
- (٦) في (ب) : (اندخر) .
- (٧) في (ب) : (فأبدلت) .
- (٨) في (أ) و(ب) : (ذالًا) . والمثبت من (ج) و(د) ، وهو الصواب . انظر : اللسان (ذخر) ٣ / ١٤٩٠ .
- (٩) في (ج) : (مجهورة) .
- (١٠) الحروف المهموسة عشرة أحرف هي الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والصاد ، والتاء ،
والسين ، والثاء ، والفاء . ويجمعها قولك : (سَتَشْحُكُ خَصَفَهُ) . وباقي الحروف مجهورة .
- انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٦٠ ، وقد ذكر كذلك سبب تسميتها بذلك ، الممتع لابن عصفور
٦٧١ / ٢ .
- (١١) في (ج) : (الدال) . وفي (د) : (الجهر) .
- (١٢) في (أ) و(ب) : (الدال) . والمثبت من (ج) و(د) . وهو الصواب .

الذال فصار : (تَدَخِرُونَ)^(١) ، وهذا أصل الإدغام ؛ وهو : أن يدغم^(٢) الأولى في الثانية ، ومثل^(٣) هذا في التعديل بين الحروف^(٤) : (ازْدَجِر)^(٥) ، و(اضْطَرَّ) ، و(اضْطَبِر)^(٦) .

قال الخليل^(٧) : الحرف^(٨) المجهور : الذي أُشْبِعَ^(٩) الاعتماد^(١٠) عليه في موضعه ، وَمَنَعَ^(١١) النَّفْسَ أن يخرج معه ، والمهموس : حرف أضعِفَ الاعتماد عليه في موضعه ، وجرى معه النفس^(١٢) .

(١) ويرى العكبري أن أصل الكلمة : (تَدَخِرُونَ) ، إلّا أن التاء أبدلت دالاً لتقارب مخرجها مع الذال ، ثم أبدلت الذال دالاً ، ثم أُدْغِمَتِ الدال في الدال . انظر : التبيان في إعراب القرآن ١ / ١٩١ .

(٢) في (ج) و(د) : (تدغم) .

(٣) في (د) : (ومثال) .

(٤) في (ج) : (الحرفين) . وقوله : (التعديل بين الحروف) يعني به : الإبدال الصرفي ، وهو جعل حرف مكان حرف غيره ؛ لتسهيل اللفظ وتيسيره . انظر : شرح الشافية ٣ / ١٩٧ ، وموسوعة النحو والصرف للدكتور أميل يعقوب ١٧ .

(٥) (ازدجر) : ساقط من (د) .

(٦) (ازْدَجِر) وردت في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَجْئُونٌ وَازْدَجِرٌ ﴾ [القمر : ٩] ، وأصلها : (ازنجر) ، فقلبت فيها التاء دالاً . و(اضْطَرَّ) وردت في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٧٣] ، وانظر : آية ٣ من سورة المائدة . وأصلها : (اضْطَرَّ) . و(اضْطَبِر) وردت في قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] ، وأصلها : (اصْطَبِر) فقلبت التاء طاءً في الكلمتين . انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٢١٥٢١٦ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ١٨٥ ، و٢١٧ ، والوجيز في علم التصريف للأنباري ٥٥ ، والمتع في التصريف ١ / ٣٥٦ ، و٣٦٠ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٢٢٦ ، و٢٢٧ .

(٧) قوله في معاني القرآن للزجاج ١ / ٤١٤ ، وقد ورد هذا النص في كتاب سيبويه ٤ / ٤٣٤ ، ولم يعزه للخليل ، كما ورد في سر صناعة الإعراب ١ / ٦٠ ولم يعزه كذلك للخليل .

(٨) في (ج) : (والحرف) .

(٩) في (ب) : (اتسع) .

(١٠) في (ب) : (للإعتماد) .

(١١) من قوله : (ومنع ...) إلى (في موضعه) : ساقط من (ج) .

(١٢) وقد شرح ذلك سيبويه ، وابن جنبي ، وبيّن أن المهموس يُعرف بترديد الحرف مع جَرِي النفس ، =

٥٠. قوله تعالى : ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ . [قال الفراء^(١) ، والزجاج^(٢) : نصب ﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال ؛ المعنى : (وجئتكم مصدقاً لما بين يديّ)^(٣) . وجاز إضمار (جئتكم) ؛ لأن أول الكلام يدلُّ عليه ، وهو قوله : ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران : ٤٩] . ومثله في الكلام : جئته بما يُحب ، ومُكرماً له^(٤) .

قال الفراء^(٥) : ولا يجوز أن يكون ﴿مُصَدِّقًا﴾ عطفاً على ﴿وَجِيهًا﴾ ؛ لأنه لو كان كذلك لقال : (وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)^(٦) ، ولا يحسن أيضاً أن يتابع قوله : ﴿وَرَسُولًا﴾^(٧) ؛ لأنه لو كان مردوداً عليه لقال : (وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْكَ) ؛ لأنه خاطب بذلك مريم ، أو قال : (بين يديه)^(٨) .

ومعنى ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ؛ أي للكتاب^(٩) الذي أنزل قبلي^(١٠) . وإذا كان يُصَدِّقُ التوراة ، كان أخرى أن يُتَّبَعَ .

ويصعب ذلك في المجهور ، فيمكن تكرير المهموس مع جري الصوت ، نحو : (سَسَسَس ، كَكَكَكَ ، هَهَهَه) ، ولو تكلفت ذلك في المجهور لما أمكن . انظر : كتاب سيبويه ٤ / ٤٣٤ ، وسر صناعة الإعراب ٦٠ / ١ .

(١) في معاني القرآن له ٢١٦ / ١ . ونسب النحاس كذلك القول بهذا لأحمد بن يحيى (ثعلب) . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ٣٣٥ .

(٢) في معاني القرآن له ٤١٥ / ١ .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٤) في (ب) : (ومكر حاله) .

(٥) في معاني القرآن له ٢١٦ / ١ ، ونقله عنه بتصرف .

(٦) أي إنه لو كان معطوفاً على ﴿وَجِيهًا﴾ ؛ لجاء بضمير الغيبة ، لا بضمير المتكلم .

(٧) أي يمتنع أن يتبع ﴿وَرَسُولًا﴾ في الإعراب .

(٨) قال أبو حيان في البحر ٤٦٨ / ١ : «وقد ذكرنا أنه يجوز في قوله : ﴿وَرَسُولًا﴾ أن يكون منصوباً بإضمار فعل ؛ أي (وأرسلت رسولا) فعلى هذا التقدير ، يكون ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ معطوفاً على ﴿وَرَسُولًا﴾» .

(٩) في (ج) : (الكتاب) .

(١٠) في (ب) : (قيل) . وفي (ج) : (قيل) . وفي (د) : (من قبلي) .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ﴾ ، قال الفراء^(١) : الواو هاهنا زائدة مُقَحِّمَةٌ ، كهي في قوله : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]﴾^(٢) ، المعنى : يُرِيهِ^(٣) لِيَكُونَ^(٤) .

وأهل التحقيق من النحويين قالوا : الواو لا تُقَحِّمُ إِلَّا مَعَ (حتى إذا) ، ومع (لَمَّا)^(٥) .

(١) في معاني القرآن له ٢١٦ / ١ . نقله عنه بالمعنى .

(٢) سورة الأنعام ٧٥ . وما بين المعقوفين زيادة من (ب) ، وكذا وردت في معاني القرآن . وانظر : مذهب الفراء في زيادة الواو ، في معاني القرآن ١ / ١٠٧ ، و ٢٣٨ ، و ٥٠ / ٢ ، و ٢١١ ، و ٣٩٠ ، و ٢٤٩ / ٣ .

(٣) في (ج) : (نريد) . وفي (ب) و(د) نريه .

(٤) قيل في قوله تعالى : ﴿وَلِيَكُونَ﴾ ثلاثة أقوال ؛ الأول : إن الواو زائدة . والثاني : إنها عِلَّةٌ لمحذوف ؛ أي وليكون . . . أريناه ذلك . والثالث : إنها عطف على عِلَّةٍ محذوفة ؛ أي ليستدل وليكون ، أو ليقيم الحجة على قومه . وقال صلاح الدين العلائي : «تقديره : لَنُبَصِّرْهُ أو لَنُرْشِدْهُ ، ونحو ذلك ، ثم عطف عليه ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾» . الفصول المفيدة في الواو الزائدة للعلائي ١٤٧ . وانظر : التبيان للعكبري ١ / ٣٤٢ ، والفريد للهمداني ٢ / ١٧٧ ، والدر المصون ٥ / ٧ .

(٥) قال الفراء في معاني القرآن ١ / ٢٣٨ عن الواو في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾ آل عمران ١٥٢ : «وهو في (حتى إذا) و(فلما أن) مقول ، لم يأت في غير هذين» . وقال في ٢ / ٣٩٠ : «والعرب تدخل الواو في جواب (فلما) و(حتى إذا) (وتلقيها)» . وفي ٣ / ٢٤٩ بَيَّنَّ أَنَّ العرب لم تجاوز هذين الموضعين . وانظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٨٢ . وبيان هذا الأمر : أن مذهب الكوفيَّ هو : جواز وقوع الواو زائدة لغير معنى . وشاركهم من البصريين في هذا المذهب الأخفش ، وأبو القاسم بن برهان ، وتبعهم ابن مالك . ونَسَبَ الرَّمَائِي في كتابه معاني الحروف ٦٣ ، وأبو البركات الأنباري في كتابه الإنصاف : ٣٦٦ القول بهذا الرأي للمبرِّد وهو من البصريين . ولكن المبرِّد في كتابه المقتضب ٢ / ٨٠ قال عن مذهب القائلين بزيادة الواو لغير معنى : «وهو أبدع الأقاويل ؛ أعني زيادة الواو» مما يؤكد أنه لم يشذ عن مذهب البصريين . واستدل الكوفيون على مذهبهم هذا بأدلة من القرآن ولغة العرب ، منها : زيادة الواو في ﴿وَفُتِحَتْ﴾ في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر : ٧٣] وزيادتها في ﴿وَأَقْرَبَ﴾ في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(١) وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ^(٢) الأنبياء ٩٦ ، ٩٧ . وزيادته في ﴿وَتَذَيَّنَّتْ﴾ في قوله : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا لِلجِينِ﴾^(٣) وَتَذَيَّنَّتْ أَنْ يَتَأَيَّرَ بِهِ^(٤) . سورة الصافات ١٠٣ ، ١٠٤ ، وغيرها من الآيات . ومن شعر العرب ، قول امرئ القيس :

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى
بَنَّا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ =

قالوا : أو ، والواو هاهنا للعطف على معنى الكلام الأول^(١) ؛ لأن معناه : (وجئتكم لأصدق ما بين يدي من التوراة ، ولأحل لكم) . ومثله من الكلام : جئت مُعْتَذِراً إليه ، لأجتلب رضاه ؛ أي لأعتذر ، ولأجتلب^(٢) .

وقال ابن الأنباري^(٣) : اللام في قوله : ﴿وَلَأَحِلَّ لَكُمْ﴾^(٤) صلة لفعل مضمّر ، كأنه قال : (ولأحل لكم جئتكم) ، وكذلك قوله : ﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، تقديره : وليكون من المؤمنين نُريه^(٥) ذلك^(٦) .

وغيرها من الأدلة . أمّا البصريون فلا يميزون وقوع الواو مزيدةً ، لأن الحروف عندهم «وضعت للمعاني ، فذكرها دون معنى يقتضي مخالفة الوضع ، ويورث اللبس . وأيضاً فإن الحروف وضعت للاختصار نائية عن الجمل ، كالهزمة ، فإنها نائية عن (أستفهم) ، وزيادتها يُنقصُ المعنى» . الفصول المفيدة للعلائي ١٤٧ . وتأول البصريون أدلة الكوفيين ، وقالوا بأن الواو فيها عاطفة ، وأن الجواب محذوفٌ مقدّرٌ . يقول ابن جني : «فأما أصحابنا فيدفعون هذا التأويل ألبتةً ، ولا يميزون زيادةً هذه الواو ، ويرون أن أجوبة هذه الأشياء محذوفة للعلم بها والاعتیاد في مثلها» . سر صناعة الإعراب ٦٤٦/٢ . فمثلاً قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ قال البصريون : إن الواو فيها عاطفة ، وجواب (إذا) محذوف ، والتقدير فيه : حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ، فازوا ونعموا . وهكذا ردوا على بقية الأدلة . انظر : هذه المسألة ، إضافة إلى المراجع التي ذكرت ، في معاني القرآن للأخفش ١٢٤/١ ، ١٢٥ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٥٢-٢٥٤ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٥ ، والإنصاف للأنباري : ٣٦٦ ، وشرح المفصل ٩٣/٨ ، ورصف المباني ٤٨٧ ، والجني الداني ١٦٤ ، والمغني ٤٧٣ ، والحروف لأبي الحسين المزني : ١١٠ .

=

- (١) أي للعطف على معنى ﴿مُصَدِّقًا﴾ .
- (٢) في (ج) : (لأجتلب) من دون واو .
- (٣) لم أقف على مصدر قوله .
- (٤) (لكم) : ساقطة من (د) .
- (٥) في (ج) : (بربه) .
- (٦) وفي التوجيه الإعرابي لقوله : ﴿وَلَأَحِلَّ﴾ أقوال أخرى ، هي : أنها مردودة على قوله : ﴿يَتَايَعُونَ رَبِّكُمْ﴾ من آية ٤٩ ؛ أي جئتكم بآية من ربكم ، ولأحل لكم . أو معطوفة على علة مقدّرة ؛ أي جئتكم بآية لأوسع عليكم ولأحل لكم ، أو نحوها . أو أنها متعلقة بقوله : ﴿وَأَطِيعُوا﴾ في آخر الآية ٥٠ ؛ أي أتبعوني لأحل لكم . وقد استبعد هذا الوجه السمينُ الحلبيُّ وجعله ممنوعاً . أو أنها معمولة لفعل مضمّر بعد الواو ؛ أي وجئتكم لأحل . . . انظر : هذه الوجوه ، في إعراب القرآن للنحاس ١/٣٣٥ ، =

قوله تعالى : ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ . قال المفسرون ^(١) : أُحِلَّ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَسِيحِ لَحُومُ الْإِبِلِ ، وَالثَّرْوَبُ ^(٢) ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الطَّيْرِ ، وَالْحَيْتَانِ ، مِمَّا كَانَ مُحَرَّمًا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فِطْرَتِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ ^(٣) . وَإِنَّمَا قَالَ ^(٤) : ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ لِأَنَّ عَيْسَى لَمْ يَأْتِهِمْ بِتَحْلِيلِ الْفَوَاحِشِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَالسَّرْقِ ، وَالزِّنَا .

وذهب أبو عبيدة ^(٥) إِلَى أَنَّ (بَعْضَ) هَاهُنَا بِمَعْنَى الْكُلِّ ، وَاحْتِجَّ بَيْتٌ لَبِيدٌ :

أَوْ يَعْتَلِقُ ^(٦) بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا ^(٧)

والكشفاف ٤٣١/١ ، والتبيان للعكبري ١٩١/١ ، والبحر المحيط ٢٦٨/٢ ، ٢٦٩ ، والدر المصون ٢٠٢/٢ ، ٢٠٣ ، وروح المعاني ١٧١/٣ .

(١) مَنْ قَالَ بِذَلِكَ : قَتَادَةُ ، وَالرَّبِيعُ ، وَابْنُ جَرِيرٍ . انْظُرْ : تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٢٨٢/٣ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٦٥٧/٢ ، وَزَادَ الْمَسِيرَ ٣٩٣/١ ، وَالدَّرُ الْمَشُورَ ٦٢/٢ .

(٢) فِي (ب) : (الشُّرُوبُ) . وَ(الثَّرُوبُ) : شَحْمٌ رَقِيقٌ يُغْتَنَّى الْكَرْشُ وَالْأَمْعَاءُ ، وَالْمُفْرَدُ : ثَرْبٌ . انْظُرْ : الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (ثَرْبٌ) : ٦٢ .

(٣) سُورَةُ النِّسَاءِ ١٦٠ . وَبَقِيَّتُهَا : ﴿وَصِدَّاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ .

(٤) فِي (ج) : (قِيلَ) .

(٥) فِي جِزَازِ الْقُرْآنِ ٩٤/١ .

(٦) فِي (د) : (وَتَعْلِيقٌ) .

(٧) عَجَزَ بَيْتٌ ، وَأَوَّلُهُ :

تَرَأَى أُمُكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا

وَهُوَ مِنْ مَعْلَقَتِهِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي دِيْوَانِهِ ٣١٣ . كَمَا وَرَدَ فِي جِزَازِ الْقُرْآنِ ٩٤/١ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ٤١٥/١ ، وَالزَّاهِرِ ٢٣٧/٢ ، وَلَمْ يَنْسِبْهُ ، شَرْحُ الْقَصَائِدِ السَّبْعِ لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ٥٧٣ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٤٠٣/١ ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٣٦٠/١ ، وَالْخَصَائِصُ ٧٤/١ ، وَالْمَحْتَسَبُ ١١١/١ ، وَتَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ ٥٢/٣ ، شَرْحُ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ لِلزَّوْزَنِ : ١٠٩ ، وَشَرْحُ الْقَصَائِدِ الْعَشْرِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ١٦٠ ، وَتَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ ٤١/٢ ، وَاللِّسَانُ (بَعْضُ) ٣١٢/١ . وَوَرَدَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ فِي الْمَوْضِعِ فِي التَّفْسِيرِ لِلْحَدَّادِيِّ ٣٧ ، وَالْمَخْصَصِ ١٧/١٣١ . وَيُرْوَى (مَنْزِلَةٌ) بَدَلًا مِنْ (أُمُكْنَةَ) ، وَ(أَوْ يَرْتَبُطُ) ، وَ(أَوْ يَعْتَقِي) بَدَلًا مِنْ (أَوْ يَعْتَلِقُ) . وَ(يَرْتَبُطُ) ، وَ(يَعْتَقِي) ، مَعْنَاهُمَا : يَحْتَبِسُ . وَ(يَعْتَلِقُ) : مِنْ (اعْتَلَقَهُ) ؛ أَيْ أَحَبَّهُ ، وَيُقَالُ : (عَلِقَ بَقَلْبِهِ) ؛ أَيْ تَشَبَّهَ بِهِ . وَعَلَيْهِ يَكُونُ مَعْنَاهَا هُنَا مَعْنَى : يَرْتَبُطُ ، وَيَعْتَقِي .

وأنكر عليه الآخرون أشدَّ^(١) الإنكار^(٢) .

وسنستقصي الكلام في (بعض) عند قوله : ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] ، وأنه هل يجوز أن يكون بمعنى الكل ، أم لا ؟
إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، قال أبو إسحاق^(٣) : أي لم أحل لكم شيئاً بغير برهان ، فهو حقيق^(٤) عليكم أتباعي ؛ لأنني أتيتكم^(٥) ببرهان ، وتحليل طيبات كانت^(٦) حُرِّمَتْ عليكم .

(والحمام) : الموت . انظر : شرح القصائد السبع ٥٧٣ ، واللسان (عقا) ٣٠٥٣ / ٥ .
ومعنى البيت : إني أترك الأماكن التي أجتوبها ، إذا رأيت فيها ما أكره إلا أن يربط الموت نفسي فلا يمكنها البراح . وتحرير المعنى : إني لا أترك الأماكن التي أجتوبها إلا أن أموت . انظر : شرح المعلقات السبع ٢٤٢ ، وشرح القصائد العشر ١٦٠ . والشاهد فيه عند أبي عبيدة أن (بعض) هنا تعني (كل) . وقد خالفه آخرون كما ذكر المؤلف ، حيث إنَّه في هذا البيت لا داعي لإخراج لفظ (بعض) عن مدلوله مع إمكان صحته معناه ؛ لأن لبيد يريد بـ (بعض) هنا نفسه هو ، من بين نفوس الناس .

(١) في (ج) : (ابتدا) .

(٢) ومن أنكر عليه ذلك الزَّجَّاجُ ، حيث قال : «وأنشد أبو عبيدة في ذلك بيتاً غلط في معناه» ثم قال : «وهذا كلام تستعمله الناس ، يقول القائل : بعضنا يعرفك ، يريد : أنا أعرفك ، فهذا إنما هو تبعض صحيح» معاني القرآن ١ / ٤١٥ ؛ أي إن (بعض) هنا مستعملة في موضعها ؛ لأن المتكلم بعض الناس . وقال ثعلب : «أجمع أهل النحو على أنَّ البعض شيء من أشياء ، أو شيء من شيء» ثم ردَّ على من زعم أن المراد بـ (بعض) في بيت لبيد : (كل) ، فقال عنه : «فادَّعى وأخطأ أنَّ (البعض) هاهنا جمع . . . وإنما أراد لبيد بـ (بعض النفوس) نفسه» . تهذيب اللغة ١ / ٣٦٠ . وكذا رده النحاس في معاني القرآن ١ / ٤٠٣ ، وابن سيده ، كما في اللسان ١ / ٣١٢ ، والزوزني في شرح المعلقات السبع : ١٠٩ .

(٣) في معاني القرآن له ١ / ٤١٥ ، ونقله عنه بنصه .

(٤) في معاني القرآن : (حق) .

(٥) في معاني القرآن : (أنبئكم) .

(٦) (كانت) : ساقطة من (د) .

وإنَّها وَحْدٌ^(١) الآية ، وكان قد أتاهم بآيات ؛ لأنها كُلُّها جنسٌ واحدٌ في الدلالة على رسالته .

٥١ . وقوله تعالى : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ؛ أي طريق من طرق الدين مستوٍ . ومضى الكلام في معنى (الصراط المستقيم)^(٢) .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ ، معنى (الإحساس) في اللغة : وجودُ الشيء بالحاسة ، من جهة الملاسة . هذا أصله ثم يختلف في الفرع ، والأصل واحد^(٣) .

قال الفراء^(٤) : معنى ﴿ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾^(٥) ؛ أي وجد . والإحساس^(٦) : الوجود .

وقال ابن المظفر^(٧) : ﴿ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ ؛ أي رأى . يقال : أَحَسَّتُ من فلان أمراً ؛ أي رأيت .

وقال معمر^(٨) : أَحَسَّ ؛ أي عرف .

(١) من قوله : (وحد . . .) إلى (. . . رسالة) : نقله بتصرف عن تفسير الثعلبي ٣ / ٥٤ أ .

(٢) انظر : تفسير آية ٦ من الفاتحة في تفسير البسيط : (تح د . الفوزان) .

(٣) قال السمين الحلبي : «وأصله من الحاسة القوة التي تُدرك الأعراض الحسية . (الحواس) : المشاعر . . . ويقال : (حَسَّتُ) بمعنى : فهمت وعلمت ، ولكن لا يقال إلا في ما كان من جهة الحاسة ، وأما (أَحَسَّتُ) ، فحقيقته : أدركته بحاستي . قوله : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ ، تنبيه : أنه قد ظهر منهم الكفر ، ظهوراً بأن للحس ، فضلاً عن التفهم . . . » عمدة الحفاظ (حس) ١٢٣ .

(٤) في معاني القرآن له ١ / ٢١٦ .

(٥) (منهم الكفر) : ساقطة من (د) .

(٦) في (د) : (الإحساس) من دون واو .

(٧) هو الليث بن المظفر ، وقد سبقت ترجمته . ولم أقف على مصدر قوله هذا .

(٨) هو أبو عبيدة ، معمر بن المثنى . وقوله في مجاز القرآن ١ / ٩٤ .

وقال الزَّجَّاجُ^(١) : أَحَسَّ في اللغة : عَلِمَ ، وَوَجَدَ ، ورَأَى^(٢) . يقال^(٣) : هل أَحَسَّتَ صاحبَكَ ؟ أي : هل رأيته ؟ هذا كلام أهل اللغة .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : أَحَسَّ : عَلِمَ^(٤) .

وقال مقاتل^(٥) : رأى ، نَظِيرُ^(٦) قوله^(٧) : ﴿ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [مريم : ٩٨] .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْهُمْ الْكُفَرُ ﴾ . يريد : القتل ؛ وذلك أَنَّهُمْ أرادوا قتله حين دعاهم إلى الله^(٨) [تعالى]^(٩) ، فاستنصر عليهم ، وقال :

﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ . و(الأنصارُ) : جمع (نَصِير) ، مثل : (شريف) ، و(أشراف)^(١٠) .

(١) في معاني القرآن له ٤١٦/١ .

(٢) (ورأى) غير مذكورة في معاني القرآن للزَّجَّاج . وقد أورد الأزهري في التهذيب ٨١٧/١ قولَ الزَّجَّاجِ هذا ، ولم يذكر فيه (رأى) .

(٣) من قوله : (يقال . . .) إلى (. . . رأيته) : غير موجود في معاني القرآن للزَّجَّاج ، ولكن ذكره الأزهري في التهذيب ٨١٧/١ وعزاه للزَّجَّاج ، مما يعني أن قولَ الزَّجَّاجِ هذا نقله المؤلف إمَّا عن تهذيب اللغة أو عن نسخة أخرى لمعاني القرآن لم يعتمد عليها محقق الكتاب .

(٤) لم أقف على مصدر هذه الرواية عن ابن عباس .

(٥) قوله في تفسيره ٢٧٨/١ . ويبدو أن المؤلف نقل قوله عن تفسير الثعلبي ٣/ ٥٤ ؛ نظراً لاتفاق عبارته معه .

(٦) في (ب) و(ج) و(د) ، تفسير الثعلبي : (نظيره) .

(٧) في (ج) : (وقوله) . وعن ثعلب ، قال في معنى هذه الآية : «معناه : هل تبصر ؟ هل ترى ؟» . تهذيب اللغة (حس) ٨١٧/١ . وقال ابن الأنباري في الزاهر ٣٣١/١ : «معناه : هل تجد منهم من أحد ؟» .

(٨) الكفر هنا بمعناه الأصلي الحقيقي ، وإنما قال المؤلف : القتل ؛ لأنهم أرادوا قتله ، نظراً لكفرهم وجحودهم دعوته ، فكانت إرادة القتل من دوافع كفرهم وتكذيبهم به . هذا ، والله - تعالى - أعلم . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٥٩ ، وتفسير الطبري ٣/ ٢٨٣ ، وتفسير القرطبي ٤/ ٩٧ .

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(١٠) انظر : تفسير الطبري ٣/ ٩٢ ، و٢٨٦ ، والصحاح (نصر) ٢/ ٨٢٩ .

قال الحسن^(١)، ومجاهد^(٢) : إنَّما استنصر طلباً للحماية من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة ، ولم يستنصر للقتال ؛ لأنه لم يُبعث بالحرب .

وقوله تعالى : ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ . أكثر أهل التفسير على أن المعنى : مع الله^(٣) .

قال الفرَّاء^(٤) : وهو وجه حسن ، وإنَّما يجوز أن تجعل (إلى) في موضع (مع) ؛ إذا ضمنت الشيء إلى الشيء^(٥) ، مما لم يكن معه ؛ كقول العرب : الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ ؛ إِبِلٌ^(٦) ؛ أي^(٧) : إذا ضمنت الذَّوْدَ إلى الذَّوْدِ^(٨) ، صارت إِبِلًا . فإذا كان الشيء

(١) قوله في تفسير الطبري ٢٨٦/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٥٩/٢ ، ولفظه عندهما : «استنصر ، فنصره الحواريون ، وظهر عليهم» ، وورد قوله كذلك في النكت والعيون ٣٩٦/١ .

(٢) قوله في تفسير الطبري ٢٨٦/٣ ، والنكت والعيون ٣٩٦/١ ، وزاد المسير ٣٩٤/١ ، ولفظه عند الطبري : «قال : كفروا وأرادوا قتله ؛ فذلك حين استنصر قومه» .

(٣) هو قول السدِّي ، ومقاتل ، وابن جريج ، وسفيان بن عيينه ، والكسائي ، وابن قتيبة ، والطبري ، ومكي بن أبي طالب . انظر : تفسير مقاتل ٢٧٨/١ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٧١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٠٦ ، وتفسير الطبري ٢٨٤/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٠٥/١ ، وتفسير الثعلبي ٣/٥٥٥ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ٤٩ . ويبدو أن المؤلف نقل هذه العبارة عن معاني القرآن للفرَّاء ٢١٨/١ ، ونصَّها عند الفرَّاء : «المفسرون يقولون : من أنصاري مع الله» .

(٤) في معاني القرآن له ٢١٨/١ . نقله عنه مع تصرف يسير جداً .

(٥) (إلى الشيء) : ساقطة من (ج) .

(٦) في (ج) : الذود إلى الذود . وفي معاني القرآن : إنَّ الذود إلى الذود . و(الذَّوْدُ) من الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، أو من الثلاثة إلى التسعة ، وقيل غير ذلك . ولفظ (الذود) مؤنث . انظر : المذكر والمؤنث للفرَّاء ٧٧ ، والمنتخب لكراع النمل ٢٩١/١ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥٢٢/١ ، والمجمل (ذود) ٣٦٢ ، واللسان (ذود) ١٥٢٥/٣ . وهذا القول مثَّل من أمثال العرب ، وهو في كتاب الأمثال لأبي عبيد بن سلام ١٩٠ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٧١ ، وجهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٤٥٨/١ ، ٤٦٢ ، ٢٢٦/٢ ، ٢٨٩ ، والمخصص ١٢٩/٧ ، ١٢٩/٧ ، ٦٧/١٤ ، ٩/١٧ ، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ٢٨٢ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢٨٨/١ . والمستقصى من أمثال العرب للزنجشري ٤٢٢/١ ، واللسان (ذود) ١٥٢٥/٣ .

(٧) من قوله : (أي ...) إلى (الذود) : ساقط من (د) .

(٨) في (ج) : (الذود إلى الذود) .

مع الشيء، لم يصلح مكان (مع) (إلى)^(١)، ألا ترى أنك تقول: قَدِمَ فلانٌ ومعه مالٌ كثيرٌ، ولا تقول في هذا الموضع: وإليه مالٌ كثير^(٢). وكذلك تقول: قَدِمَ فلانٌ إلى أهله، ولا تقول: مع أهله، ومنه قوله^(٣): ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ معناه: لا^(٤) تُضيفوا^(٥) أموالهم إلى أموالكم في الأكل^(٦).

وقال أبو إسحاق^(٧): (إلى) هاهنا إنما قاربت معنى (مع)، بأن صار اللفظ لو^(٨) عُبِّرَ عنه بـ(مع)^(٩) أفاد مثل هذا المعنى، لا أن (إلى) في معنى (مع)^(١٠). لو قلت: ذهب زيدٌ إلى عمرو، لم يجوز أن تقول: مع عمرو في^(١١) هذا الموضع؛ لأن (إلى) غاية، و(مع) تضم الشيء إلى الشيء، والمعنى في الآية: من يضيف نُصْرَتَه إِيَّايَ إلى نُصْرَةِ اللَّهِ. والحروف^(١٢)، إنما يقع بعضها مكان بعض؛ لنوع تقارب في المعنى؛ لا أن^(١٣) أحدهما يقوم مقام الآخر، كقوله: ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي على. وأصل (في): إنما هو للوعاء^(١٤)، وأصل (على): لما

(١) (إلى): ساقطة من (د).

(٢) في معاني القرآن: (قدم فلان وإليه مال كثير).

(٣) في (أ): (قوله). والمثبت من بقية النسخ، ومن معاني القرآن.

(٤) في (ج) و(د)، معاني القرآن: (ولا).

(٥) في (ب): (لا تضيفوا).

(٦) (في الأكل): غير موجودة في معاني القرآن.

(٧) في معاني القرآن له ٤١٦/١ نقله عنه بالمعنى.

(٨) في (د): (إذ).

(٩) في (ب): (مع)، من دون الباء.

(١٠) (مع): ساقطة من (ج).

(١١) في (ج) و(د): (وفي).

(١٢) في (ج): (والحروف).

(١٣) في (ج): (لأن) بدلاً من (لا أن).

(١٤) في (ب): (الدعاء).

علا [على] ^(١) الشيء ، تقول : التمرُّ في الجِراب ؛ المعنى فيه : أنَّ الجِراب مشتمل عليه ، ولو ^(٢) قلت : التمرُّ على الجِراب ، لم يصلح ^(٣) في هذا المعنى .

وجاز ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ بمعنى : على ؛ لأن الجُدُع مشتمل على المصلوب ، ولو قلت : زيدٌ في الجبل ، وعلى الجبل . [يصلح] ^(٤) ؛ لأن ^(٥) الجبل قد اشتمل على زيد ، فعلى هذا مجاز هذه الحروف ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ الْخَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ، اختلفوا في (الحواريين) ، فقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ^(٧) : كانوا صيادين ، سُمُّوا حواريين ؛ لبياض ثيابهم .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (د) . وفي معاني القرآن ١٧/٤ : (وأصل (على) لما مع الشيء) .

(٢) في (ج) : (لو) من دون واو .

(٣) (لم يصلح) : ساقطة من (ج) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من معاني القرآن ل يتم بها المعنى .

(٥) في (ج) : (أن) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣/٢٨٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ١/٤٠٥ . وقد سبق الحديث عن تناوب حروف الجر في التعليق على تفسير المؤلف لقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، آية ٩ من آل عمران . انظر : كذلك في هذا المعنى إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٨٠٦ ، والخصائص لابن جني ٢/٣٠٦٣١٥ .

وقد قال ابن الأثيري كما نقل عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١/٣٩٣ : «يجوز أن يكون المعنى : من أنصاري إلى أن أبين أمر الله» . وذكر الماوردي في النكت والعيون ١/٣٩٥ بقية الأقوال في الآية إضافة إلى ما سبق ، وهي : من أنصاري في السبيل إلى الله . وقيل : من ينصرني إلى نصر الله . وقيل : من ينقطع معي إلى الله .

(٧) هذه الرواية في تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٥٩ ، وتفسير الثعلبي ٣/١٥٥ ، والنكت والعيون ١/٣٩٥ ، وزاد المسير ١/٣٩٤ ، وأوردها السيوطي في الدرر ٢/٦٢ ، وزاد نسبة إخراجها للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . وأخرجها البخاري تعليقاً ، فقال : «وقال ابن عباس : . . . وَسُمِّيَ الْخَوَارِثُوتُ لبياض ثيابهم» ، الفتح : ٧/٧٩ كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب الزبير بن العوام .

قال السُّدِّيُّ^(١) : وذلك أَنَّ عيسى [-عليه السلام-] ^(٢) مرَّ بهم وهم يصطادون السمك ، فقال : ما تصنعون ؟ فقالوا ^(٣) : نصطاد السمك . قال : أفلا تمشون حتى نصطاد الناس ؟ قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : من أنصاري إلى الله ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم ، عبد الله ورسوله ، فآمنوا به ، وانطلقوا ، فهم الحوارئون .

قال ابن الأنباري^(٤) : وهذا قول بعض اللُّغَوِيِّين^(٥) ، يقول : الحوارئون : النَّظَافُ الثِّيَاب ؛ من قول العرب : قد حُرَّتِ الثَّوبُ ، إذا غسلته ، ونَظَّفْتَهُ ، قال : وإنما يراد بنظافة الثياب : نظافة الأديان والأعمال . يقال : فلان نظيف الثياب ، إذا كان صالحاً ، و(دَنَسُ الثَّيَابُ) ، إذا كان غادراً و^(٦) فاجراً . قال امرؤ القيس :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ^(٧)

(١) قوله هذا جزء من أثر طويل أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨٤-٢٨٦ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(٣) في (ج) : (قالوا) من دون فاء .

(٤) في الزاهر ١/ ١٢١ ، ١٢٢ ، ونقله عنه بالمعنى ، ولكن قوله : «وإنما يراد . . .» وما بعده ، غير موجود في كتابه الزاهر في هذا الموضع ، وإنما ورد معناه في الكتاب نفسه في ١/ ٥٣٩ ، وفيما أن يكون المؤلف نقل بالمعنى من الموضعين ولَفَّقَ بينهما ، أو يكون نقله من كتاب آخر لابن الأنباري .

(٥) في (ج) : (الكوفيين) . وقد عزا ابن الأنباري هذا القول لقطرب ، وهو محمد بن المستنير .

(٦) في (ج) و(د) : (أو) .

(٧) في (ج) : (نظيفة) . وهذا صدر بيت ، وعجزه :

وَأَوْجُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانُ

وقد ورد في ديوانه : ١٦٧ ، وكما ورد منسوباً له في الزاهر ١/ ٥٣٩ ، وتهذيب اللغة (طهر) ٣/ ٢٢٢٦ ، و(غرر) ٣/ ٢٦٥٢ ، والصاح (غرر) ٢/ ٧٦٧ ، واللسان (طهر) ٥/ ٢٧١٢ ، و(غرر) ٦/ ٣٢٣٤ ، والتاج ٧/ ٣٠١ .

وترويه بعض المصادر السابقة : (. . . وَأَوْجُهُمْ بَيضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ) . و(طهاري) و(أطهار) : جمع طاهر ، وترد (طهاري) نادرة . و(غُرَّان) : جمعٌ ، ومفردُها : (أَغَرٌ) . و(رجل أغر الوجه) : إذا كان أبيض الوجه ، و(هو من قوم غُرٍّ ، وغُرَّان) . و(مَسَافِرُ الوجه) : ما يظهر منه . انظر : تهذيب اللغة (غرر) ٣/ ٢٦٥٢ ، واللسان (طهر) ٥/ ٢٧١٢ ، و(سفر) ٤/ ٢٠٢٤ . قال ابن الأنباري : «وهم يكونون بالثياب عن النفس والقلب . . .» ، ثم قال عن البيت : «معناه : هم في أنفسهم طاهرون» . الزاهر ١/ ٥٣٩ . وقال =

أراد بالثياب : الأفعال .

وقال [ابن عباس] ^(١) في رواية عطاء ^(٢) : كانوا قَصَّارين ^(٣) ، وكانوا يُحَوِّرون الثياب ؛ أي يُبَيِّضُونَهَا ^(٤) .

وهو قول مصعب ^(٥) ، قال ^(٦) : كانوا مع عيسى ، اتَّبَعُوهُ وَصَدَّقُوهُ ^(٧) ، وكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام أو ^(٨) الشراب ، دعا الله تعالى ، فيخرج ^(٩) من الأرض ما يأكلون ، وما يشربون ، أينما كانوا . فقالوا له ^(١٠) : من ^(١١) أفضل منا ؟ إذا شئنا أطعمتنا ، وإذا شئنا سقيتنا ، وقد آمنا بك ! فقال : أفضل ^(١٢) منكم من يعمل

عنه الزبيدي : «أي إذا اجتمعوا الغُرم حمالة ، أو لإدارة حرب ، وجدت وجوههم مستبشرة ، غير منكرة» .
التاج ٣٠١ / ٧ .

- (١) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .
- (٢) ورد معنى هذه الرواية عن عطاء من دون رفع إلى ابن عباس في تفسير الثعلبي ٣ / ٥٥ ، وفي تفسير البغوي ٢ / ٤٢ . وورد هذا القول عن أبي أرطاة يرويه عن ابن أبي نجيج ، كما في تفسير الطبري ٣ / ٢٨٧ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٥٥ . وورد عن الضحاك ومقاتل ، كما في زاد المسير ١ / ٤٩٤ ، وغرائب القرآن ٣ / ٥٠١ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٧١ .
- (٣) قَصَرَ الثَوْبَ قَصَارَةً : حَوَّره ودَقَّه . وقَصَرَه تقصيراً ، مثله . والقَصَّار ، والمَقْصَرُ : المَحْوَر للثياب ؛ لأنه يدُقُّها بالقَصْرَةِ ؛ وهي قطعة من الخشب ، وحرفته القَصَارَةُ . والمَقْصَرَةُ : خشبة القَصَّار . انظر : اللسان (قصر) ٦ / ٣٦٤٩ .
- (٤) انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ١ / ٢١٧ ، وتهذيب اللغة (حور) ١ / ٦٩٦ ، ومقاييس اللغة (حور) ٢ / ١١٦ ، واللسان (حور) ٢ / ١٠٤٤ .
- (٥) هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، أبو زرة المدني ، تابعي ، ثقة كثير الحديث . توفي سنة (١٠٣هـ) . انظر : الجرح والتعديل ٨ / ٣٠٣ ، والمراسيل ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٤ / ٨٤ .
- (٦) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٥٥ ب .
- (٧) في (ب) : (وصل وقوه) .
- (٨) في (ب) و(د) : (و) .
- (٩) في (ج) : (ليخرج) .
- (١٠) في (ب) : (أيا ال) بدلاً من (له) .
- (١١) (من) : ساقطة من (ب) .
- (١٢) في (أ) و(ب) : (يال) ، والمثبت من (ج) و(د) .

بيده ، ويأكل من [كسبه]^(١) . قال : فصاروا يغسلون الثياب بالكراء ، ثم صار هذا الاسم مُستعملاً في من أشبههم^(٢) من المُصدِّقين بأنبيائهم^(٣) ؛ تشبيهاً بهم .

وروى جُوَيْرٍ^(٤) عن الضَّحَّاك ، قال^(٥) : مرَّ عيسى - عليه السلام - بغَسَّالين ، يغسلون الثياب ، فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل ، فأمنوا ، فسماهم الله : حواريين . قال : وهي^(٦) بلغة النَّبُط^(٧) : هواري^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين غير مقروءة في (أ) . والمثبت من بقية النسخ ، ومن تفسير الثعلبي .

(٢) في (ب) : (أشباههم) .

(٣) (بأنبيائهم) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٤) هو أبو القاسم ، جوَيْر بن سعيد الأزدي البلخي . تقدمت ترجمته .

(٥) الأثر في تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٥٩ ، والدر المنثور ٢/ ٦٣ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٦) (وهي) : ساقطة من (د) .

(٧) في (ب) : (وهي بلغة القيطي) .

و(النَّبُط) : جِيل ينزلون سواد العراق ، ويقال : النَّبِيط ، والأنباط . والمفرد : نَبْطِي ، ونُبَاطِي ، ونَبَاط ، ويقال كذلك : نَبَاطِي . انظر (نبط) : في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٩٧ ، والتاج ١٠/ ٤٢٥ . وفي الموسوعة العربية الميسرة : أنهم قبائل بدوية كانت تعيش في الصحراء في شرق الأردن ، وقامت لهم دولة قديماً ، سنة (١٦٩ ق . م) ، وعاصمتهم البتراء ، ولغتهم العربية . ٢٣٢ ، ٢٣١ .

(٨) انظر : المهذب في ما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي ٨٦ ، وقد أورد هذا الأثر عن الضحَّاك ، وأورد عن ابن جريج في ما يرويه عنه ابن المنذر : «الحواريون : الغَسَّالون للثياب ، وهي بالنبطية : الحوار» ، وأشار محقق الكتاب الدكتور التهامي الهاشمي إلى أن هذه اللفظة في اللغة الحبشية تعني : (رسول) ، ولها أصل في الآرامية ، وتعني عندهم : (الأبيض) .

قال أبو بكر^(١) : فمن أخذ بهذا القول ، قال : هذا حرفٌ اشتركت فيه لغة العرب ولغة^(٢) النَّبِطِ . وهذا قول مقاتل بن سليمان : إنّ الحواريين القصارون^(٣) . قال أبو بكر^(٤) :

ويقال^(٥) : الحواريون : المجاهدون ، وسُمِّيَ أصحابُ عيسى حواريين ؛ لمجاهدتهم معه ، وصبرهم على منازعة أهل الكفر ، وأنشد :

ونحن أناسٌ يملأُ البَيْضَ هَامُنًا ونحن حواريون حين نُزاحِفُ
جماعنا يومَ اللقاءِ ترأسنا

إلى الموت نمشي^(٦) ليس فيها تحائفُ^(٧)

(١) هو ابن الأنباري ، وقد ورد التصريح باسمه في الدر المصون ٣ / ٢١٠ . ولم أقف على مصدر قوله .

(٢) في (ب) : (واللغة) .

(٣) قوله في تفسيره ١ / ٢٧٨ . قال : «فمرَّ عيسى -عليه السلام- على الحواريين ، يعني : على القصارين غسالي الثياب» .

(٤) في (ج) : (قال أبو بكر ومقاتل) .

ولكن لم أجد هذا القول لمقاتل في تفسيره ، ولا في بقية المصادر التي رجعت إليها ، ولم يعزه أحد فيها إليه ، ولم تذكره بقية النسخ ؛ لذا أهملته ، ولم أثبت في الأصل ؛ لما ترجح عندي أنه سبق قلم من الناسخ . وقول أبي بكر بن الأنباري ، في الزاهر ١ / ١٢١ ، ونصّه : «وقال آخرون : الحواريون : المجاهدون ، واحتجوا بقول الشاعر : . . . » ، ثم ذكر الشعر ، وبقية العبارات غير موجودة في الزاهر ؛ فقد يكون المؤلف نقل قوله هذا عن كتاب آخر له ، أو أنه أضاف هذه العبارات من عنده ، توضيحاً وشرحاً . والله أعلم .

(٥) في (ج) : (يقال) من دون واو .

(٦) في (ج) : (نمشي) .

(٧) لم أهدت إلى قائله . وهما في الزاهر ١ / ١٢١ ، وزاد المسير ١ / ٣٩٤ وقد ورد البيت الثاني فيها برواية : (. . . ليس فينا . . .) .

ومعنى (البَيْضُ) هنا : الحديد الذي يوضع على الرأس لحمايته في الحرب ، وهي الخُوذة ، ومفردُها : بَيْضَةٌ .

وقوله (هَامُنًا) : جمع (هامة) ، وهي الرأس . وقوله : (نُزاحِفُ) من (الزَّحْفُ) ، وهو المشي قليلاً ، قليلاً . ويراد به هنا الزحف لقتال العدو . و(الجماجم) ، جمع : جُمَّمَةٌ ، وقد يريد بها هنا جمجمة =

والمختار من هذه الأقوال عند أهل اللغة : أنَّ هذا الاسم لزمهم للبياض .
قال^(١) أبو عبيد^(٢) : سُمِّي أصحاب عيسى الحواريين ؛ للبياض ، وكانوا قصَّارين .
قال الفرزدق^(٣) :

فقلت إنَّ الحوارِيَّات مَعْطَبَةٌ
إِذَا تَقَتَّلْنَ^(٤) مِنْ تَحْتِ الْجَلَابِيْبِ^(٥)
يعني : النساء^(٦) .

- =
- الرأس ، أو يريد : هاجم القوم ؛ أي ساداتهم ورؤساؤهم ، ويكون معنى البيت في هذه الحال : أن ساداتهم يتقدمونهم للحرب ، ويكونون لهم كالترس الواقي . و(التراسُ) ، جمع : (تُرْس) ، وتجمع كذلك على (أتراس) و(ترسة) و(تروس) ، هي ما يُتَوَقَّى به في الحرب . و(تجأف) : تمأيل . وهي مصدر : (تجأف) ؛ أي مال . وقد وردت في المخطوطة (تجائف) بكسر النون ، وأثبت ما رأيته صواباً ؛ لأن (تفاعَلَ) يأتي مصدرها على (تفاعل) بضم العين . انظر : الزهر للسيوطي ٨١ / ٢ . وانظر : اللسان (هوم) ٤٧٢٣ / ٨ ، و(زحف) ١٨١٦ / ٣ ، و(جهم) ٦٨٦ / ٢ ، و(ترس) ٤٢٨ / ١ ، و(جنف) ٧٠٠ / ٢ ، والمعجم الوسيط (بيض) ٧٨ / ١ ، و(هوم) ١٠١١ .
- (١) من قوله : (قال ...) إلى (...) هم خاصة الصحابة) : نقله بتصرف قليل واختصار في بعض المواضع عن تهذيب اللغة ٦٩٦ / ١ .
- (٢) قوله في غريب الحديث ٢١٧ / ١ ، وقد نقله عنه الأزهرى بمعناه ، ونقله الواحدي عن الأزهرى .
- (٣) هو : أبو فراس ، هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي . تقدمت ترجمته .
- (٤) في (د) : (تقتلن) .
- (٥) البيت في ديوانه ٢٥ . كما ورد في تهذيب اللغة (حور) ٦٩٦ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٥٦ / ٣ ، اللسان (حور) ١٠٤٣ / ٢ ، والدر المصون ٢٠٩ / ٣ . ومعنى (مَعْطَبَةٌ) : مَهْلَكَةٌ من (عَطَبَ) ؛ أي هلك . و(تَقَتَّلْنَ) : تمأيلن ، وتَلَوَّيْن ، وأصلها من (قَتَلَ الحبلَ ، وَفَتَّلَهُ) ، إذا لواه . و(الجلابيب) : جمع (جلباب) : القميص أو الثوب الواسع . انظر في : القاموس (عطب) : ١١٦ ، وفي اللسان (قتل) ٣٣٤٤ / ٦ ، والقاموس : ١٠٤١ ، وفي القاموس (جلب) : ٦٨ .
- (٦) انظر : هذا المعنى في جهرة اللغة لابن دريد (حور) ٢٥٨ ، وتهذيب اللغة (حور) ٦٩٦ / ١ . قال ابن دريد : «الحواريَّات : النساء الحَصَرِيَّات ؛ سُمِّنَ بذلك لثقافتهن وبياضهن» .

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الزَّبِيرُ»^(١) ابْنُ عَمَّتِي، وَحَوَارِيٍّ مِنْ أُمَّتِي»^(٣).

قال أبو عبيد^(٤): أصل هذا إنما كان بُدُوهُ^(٥) الحواريُّون^(٦)، أصحاب عيسى؛ سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا يحوِّرون الثياب، وهو^(٨) التبييض، فلما كانوا

(١) في (ب): (النصر).

(٢) في (ب): (بين بن).

(٣) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣١٤، وانظر: الفتح الرباني للبنا ٢٢/٢٤٠، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/٣٧٩ (٣٢١٥٤). وورد في غريب الحديث ١/٢١٧، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ١١/٦٨٢، وعزاه لأحمد.

وورد بلفظ: إن لكل نبي حواريٍّ، وإن حواريَّ الزبير بن العوام. أخرجه البخاري (٣٧١٩) في كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الزبير بن العوام (٤١١٣) وفي كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (٢٨٤٦) وباب فضل الطليعة، (٢٨٤٧) وباب هل يبعث الطليعة وحده، (٢٩٩٧) وباب السير وحده من كتاب الجهاد. وأخرجته الكتب الآتية بنصه أو قريباً منه: صحيح مسلم: (٢٤١٥) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير. وسنن الترمذي: (٣٧٤٤) (٣٧٤٥) كتاب المناقب، باب ٢٤، ٢٥، ومسنند أحمد ١/٨٩، و٣/٣٠٧. (انظر: المسند بشرح أحمد شاكر ٢/٧٩). وسنن ابن ماجه: (١٢٢)، والمقدمة، باب: فضل الزبير. وانظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ١/٢٧). المستدرک ٣/٣٦٢ في كتاب معرفة الصحابة، والحلية لأبي نعيم ٤/١٨٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٥١، والمتقي الهندي في كنز العمال ١١/٦٨٢.

والزبير، هو: ابن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، تقدمت ترجمته.

(٤) قوله في غريب الحديث ١/٢١٧، وقد نقله عنه الأزهر في تهذيب اللغة ١/٦٩٦ بمعناه، ونقله الواحدي عن الأزهر.

(٥) في (د): (يكون).

(٦) في (ب): (بد). وفي تهذيب اللغة: بُدُوهُ وليس موجودة في غريب الحديث، وأثبتها كما هي أعلاه؛ لاتفاق النسخ عليها، ولصحة معناها؛ لأن (البُدُو)، يعني الظهور، من (بدا)؛ أي ظهر، (يبدو)، بَدَوًا، وبَدَأَ. أما (بُدُوهُ)؛ فهي من (بَدَأَ، يَبْدَأُ، بَدَأَ)، و(البَدْءُ): فعل الشيء أولاً. انظر: اللسان (بدا) ١/٢٣٤، و(بدا) ١/٢٢٣.

(٧) في (ب): (الحواريين).

(٨) في (ج): (وهي).

هؤلاء أنصار عيسى دون الناس ، قيل لكل ناصرٍ نبيُّه : (حواريٌّ) ؛ تشبيهاً بأولئك .

وروى ^(١) ثعلب عن ابن الأعرابي : الحواريُّون الأنصار ، وهم خاصّة الصحابة ^(٢) ، وهذا معنى قول قتادة ^(٣) ، والكلبي ^(٤) ، وأبي رَوْق ^(٥) ، قالوا : الحواريُّون : خواصُّ عيسى ، وأصفياءه ^(٦) . واختاره الفرّاء ^(٧) .

وروى شمر عن ابن الأعرابي ، أنه قال ^(٨) : الحواري الناصح ، وأصله : الشيء الخالص . وكلُّ شيءٍ خلَصَ لونه ، فهو حواري . والحواريّات من النساء : النّقيّات الألوان والجلود .

قال أبو عبيدة ^(٩) : يقال لنساء الأمصار : حواريات ؛ لأنهنّ تباعدن عن قَشَفِ الأعرايات ، وأنشد :

فَقُلْ للحواريّات يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا يَبْكِينَا إِلَّا الْكَلَابُ النَّوَابِجُ ^(١٠)

(١) في (ج) : (روي) من دون واو .

(٢) في تهذيب اللغة : (أصحابه) . وأشار محققه في الهامش إلى ورود (الصحابة) في نسخة أخرى للتهذيب .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٦ / ٤٥٠ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٥٦ ب ، تفسير البغوي ٢ / ٤٣ .

(٤) قوله في تفسير البغوي ٢ / ٤٣ .

(٥) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٢٨٧ ، ويروي عن الضحاك .

(٦) في (ج) : (وأصفيائه) .

(٧) في معاني القرآن له ١ / ٢١٨ .

(٨) لم أهدت إلى مصدر رواية شمر عن ابن الأعرابي .

(٩) من قوله : (قال أبو عبيدة . . .) إلى نهاية بيت الشعر . نقله عن تهذيب اللغة ١ / ٦٩٧ ، والأزهري في التهذيب ذكر معنى قول أبي عبيدة .

ونص قوله كما في مجاز القرآن ١ / ٩٥ : «والحواريات من النساء : اللاتي لا ينزلن البادية ، وينزلن القرى . قال الحادي : «لما تَضَمَّنَتِ الحواريات» . وقال أبو جلدة اليشكري : . . . » وذكر بيت الشعر .

(١٠) البيت لأبي جلدة بن عبيد اليشكري . وقد ورد منسوباً له ، في مجاز القرآن ١ / ٩٥ ، وتفسير الطبري

٢٧٨ / ٣ ، ومعاني القرآن للزجاج : ١ / ٤١٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ١ / ٤٠٧ ، والمؤتلف =

واختار الزَّجَّاج هذا القول ، وقال ^(١) : الحُذَّاقُ باللغة يقولون : الحواريون : صفوة الأنبياء ، الذين خَلَصُوا ^(٢) ، وأخلصوا في التصديق بهم ، ونُصِرْتهم ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ تَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ ؛ أي أنصار دين الله ، آمناً بالله ، واشهد يا عيسى بأننا مسلمون .

٥٣ . وقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَصَبْرِ الشَّاهِدِ ﴾ ، قال عطاء ، عن ابن عباس ^(٤) : يريد من النبيين ^(٥) ؛ لأن كل نبي شاهد أُمَّتِهِ .

= والمختلف للآمدي : ١٠٦ ، و ١٠٧ ، والصحيح (حور) ٢ / ٦٤٠ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٥٦ ، وفيه (ابن حلزة) ، والمحرم الوجيز ٣ / ١٣٩ ، واللسان (حور) ٢ / ١٠٤٤ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٧٠ . وورد غير منسوب في غريب الحديث لأبي عبيد ١ / ٢١٧ ، والجمهرة لابن دريد (نبح) ٢٨٥ ، والزاهر ١ / ١٢١ ، وتهذيب اللغة (حور) ١ / ٦٩٧ ، ومعجم مقاييس اللغة (حور) ٢ / ١١٦ ، وأساس البلاغة (حور) ١ / ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ٤ / ٩٨ . وقد ورد البيت في أكثر المصادر بلفظ : (. . . ولا تبكنا) ، وفي التهذيب : (ولا يَبْكِينَ) ، وفي المؤتلف والمختلف : (فقل لنساء مصر . . .) . ومعنى البيت : قل للنساء الحضريات ، المترفات ، البيضاوات ، يبكين غيرنا ، أما نحن فغير مترفين ولا مرفهين ، بل من أهل البدو ، فلا تبك علينا إلا الكلاب النوايح التي تخرج معنا للصيد .

(١) معاني القرآن له ١ / ٤١٧ ، ونقله عنه بتصريف يسير .

(٢) في (د) : (أخلصوا) .

(٣) هذا الذي قاله الزَّجَّاج ، إنما هو من اطرادات كلمة (حواري) ، وتقدير حال أولئك الذي أطلقت عليهم هذه الكلمة ، وليس تفسيراً لفظياً لها ؛ لأن أصل كلمة (حَوْر) هو شدة البياض ، وكما بين المؤلف أن أصحاب عيسى - عليه السلام - وخاصته سُمُّوا بذلك ؛ لتبييضهم الثياب ، فجرى هذا الاسم لهم ، ثم أطلق على خاصة الأنبياء وناصريهم . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٨٧ ، والمحرم الوجيز ٣ / ١٣٨ .

(٤) ورد الأثر عن عطاء من دون أن يُرفع إلى ابن عباس ، في تفسير الثعلبي ٣ / ٥٧ ، وتفسير البغوي ٢ / ٤٣ ، وزاد المسير ١ / ٣٩٥ . وورد من رواية عكرمة عن ابن عباس : « قال : مع محمد وأُمَّته ، فإنهم قد شهدوا أنه قد بلغ ، وشهدوا للرسول على أنهم قد بلغوا » أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١ / ٢٧٩ ، ورقم (١١٧٣٢) .

(٥) هكذا جاءت في النسخ جميعها (من النبيين) ، وعند الثعلبي : (مع النبيين) . وقد ورد عن ابن عباس في هذا المعنى قوله : « من محمد ﷺ وأُمَّته أنهم قد شهدوا له أنه قد بلغ ، وشهدوا للرسول أنهم قد

قال : فَبَيَّاهُمْ الله - تعالى - أجمعين ، إجابة^(١) لهم ، فأحيوا الموتى ، وصنعوا كل ما صنع عيسى^(٢) .

وقال أكثر أهل التفسير^(٣) : « اكتبنا [مع الشاهدين] »^(٤) : مع الذين شهدوا للأنبياء بالصدق . ومعنى (اكتبنا معهم) : أثبت أسماءنا مع أسمائهم ؛ لنفوز بمثل^(٥) ما فازوا ، وننال من الكرامة مثل ما نالوا .

٥٤ . [و] قوله تعالى : ﴿ وَمَكُرُوا ﴾ . أصل (المكر) في اللغة : السعي في الفساد^(٧) في خفية ، ومُداجاة^(٨) .

- =
- بَلَّغُوا . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٦٠ ، ومعاني القرآن للنحاس : ١/ ٤٠٧ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٥٧ ، تفسير البغوي ٢/ ٤٣ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩٢ ، والدر المنثور ٢/ ٦٣ ، وزاد نسبة إخراجهم للفرابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .
- (١) في (ج) : (أجابهم) .
- (٢) من قوله : (قال : فَبَيَّاهُمْ . . .) إلى (. . . ما صنع عيسى) : هذه الزيادة لم أقف عليها في ما رجعت إليه من مصادر .
- (٣) ممن قال بهذا الطبري في تفسيره ٣/ ٢٨٨ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن ١/ ٤١٨ ، والنحاس في معاني القرآن ١/ ٤٠٧ .
- (٤) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .
- (٥) في (د) : (مثل) .
- (٦) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .
- (٧) في (ج) و(د) : (بالفساد) .
- (٨) انظر (مكر) : في كتاب العين ٥/ ٣٧٠ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٥٧ ، واللسان ٧/ ٤٢٤٧ ، والتاج ٧/ ٤٩٣٤٩٤ . و(المُداجاة) : من (داجى الرجل) : سآثره بالعداوة ، وأخفاها عنه ، فكأنه أتاه في الظلمة . و(المُداجاة) : المداراة ، و(داجِيته) : داريته ، وكأنك سآثرته العداوة . انظر : اللسان (دجا) ٣/ ١٣٣٢ .

قال الزَّجَّاجُ^(١) : يقال : مَكَرَ الليلُ ، وأَمَكَرَ : إذا أَظْلَمَ^(٢) .

قال ابن عباس^(٣) : يريد : أَنَّ عَامَّةَ بني إسرائيل كفروا به ، وهُمُّوا بقتله ، وتواطؤوا على الفتك به ، فذلك مكرهم به .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ . قال أهل المعاني^(٤) : المَكْرُ من^(٥) المخلوقين : خِبٌّ^(٦) وَخِدَاعٌ ، وهو من الله استدراجه العِبَادَ . قال الله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٧) .

قال ابن عباس في تفسيره^(٨) : كَلَّمَا أَحْدَثُوا خَطِيئَةً ، جَدَّدْنَا^(٩) لهم نعمة . وليس المراد بـ(مَكَرِ الله) في هذه الآية ، هذا الوجه . ووجه مكر الله بهم في هذه

(١) لم أقف على مصدر قوله ، وقد ذكره كذلك السمين الحلبي في الدر المصون ٣/ ٢١٢ ، ولم يبين مصدره .

(٢) لم أعر على هذا المعنى في ما رجعت إليه من مصادر اللغة ، وقد ذكره الثعلبي في تفسيره ٣/ ٥٧ قائلاً : « قال أهل المعاني : المكر : السعي بالفساد في ستر ومُدَاجاة ، وأصله من قول العرب : مَكَرَ الليلُ ، إذا أَظْلَمَ » .

(٣) لم أقف على مصدر قوله وقد أورد معناه ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٣٩٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٤١٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٤٠٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٧ .

(٥) في (د) : (في) .

(٦) في (د) : (خبث) . (الخبُّ) بكسر الخاء : الخداع ، والخبُّبُ ، والغشُّ . و(الخبُّ) - يفتح الخاء ، وقد تُكسر - الخداعُ ، الذي يسعى بين الناس بالفساد ، والفعل منه : (خَبَّ) ؛ أي خَدَعَ وغَشَّ غشاً منكراً ، وخبَّبه تخبيباً : خدعه وأفسده .

انظر : (خب) في المجموع المغني في غريب القرآن والحديث ١/ ٥٤١ ، والقاموس ٧٧ .

(٧) سورة الأعراف ١٨٢ ، والقلم ٤٤ .

(٨) في (ج) : (تفسير) . وقوله أوردته الثعلبي في تفسيره ٣/ ٥٧ ، وذكره المؤلف في تفسيره البسيط ، (تح د . الفوزان) : ٢/ ٥٤١ ، والقرطبي في تفسيره ٤/ ٩٨ .

(٩) في (ج) : (حددنا) .

القصة ، ما قال الزَّجَّاج ، وهو أنه قال ^(١) : المكر من الله - عز وجل - المجازاة على ذلك ، فسُمِّي باسمه ؛ كقوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، وقد مرَّ ^(٢) .

قال المفسرون : ومكَّرُ الله بهم في هذه القصة : إلقاء شَبِّهِ عيسى على ^(٣) من دَلَّ عليه ، حتى صُلِبَ بَدَلَهُ . قال ابن عباس : وذلك أن أحد الإنجيلية ^(٤) ممن آمن به ، نافقَ ، فدَلَّ ^(٥) عليه ، فجعله ^(٦) الله - تعالى - في صورة عيسى ، فأخذ فُصِّلَ ^(٧) .

(١) في معاني القرآن له ٤١٩/١ ، ونقله عنه باختصار .

(٢) انظر : تفسير البسيط للمؤلف : [البقرة : ١٥] . والواحد في تفسيره لهذه الآية أول الاستهزاء الوارد في الآية بالمجازة ؛ أي يجازيهم جزاء استهزائهم ، وأجراه على المجاز ، لا على الحقيقة ، وما ذكره المؤلف حول معنى الاستهزاء ، والمكر الوارد في هذه الآيات إنما هو من لوازم معانيها ، والواجب في مثل هذه الألفاظ الاستهزاء ، والمكر ، والخديعة ، والسخرية الواجب فيها أن تثبت على الحقيقة ، كما أثبتها الله لنفسه من دون تأويل . ونجى وفق ما يليق به تعالى ، ولكن لا يُشَقُّ من هذه الأفعال التي أطلقها الله على نفسه أسماء منها ، فلا يقال : ماكر ، ولا مستهزي ، حاشاه عن ذلك ؛ وذلك أن هذه الأفعال في إطلاقاتها ، أوسع من إطلاقات الأسماء . انظر : تفسير الطبري ١٣٢/١ ، ١٣٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١١١/٧ ، ١١٢ ، وإعلام الموقعين لابن القيم ٢١٧/٣ ، ٢١٨ ، ومدارج السالكين ٤١٥/٣ .

(٣) من قوله : (على . . .) إلى (. . . في صورة عيسى) : ساقط من (ج) .

(٤) في (د) : (أصحابه) .

(٥) في (ج) : (يدل) .

(٦) في (أ) و(ب) : (جعل) ، وهي ساقطة من (ج) . والمثبت من (د) .

(٧) الذي وقفت عليه مما ورد عن ابن عباس أن اليهود لما أرادوا قتل عيسى عليه السلام ، حاصروه وحواريه ، ثم بعث رأس اليهود رجلاً خبيثاً ليدخل ويقتل عيسى عليه السلام ، فرفع الله عيسى ، وألقى شبهه على هذا الرجل ، فلما خرج الرجل إلى أصحابه بعد أن لم ير عيسى ، ظنَّ أصحابه أنه عيسى ، فقتلوه وصلبوه . وقد أورد هذه القصة عن ابن عباس الثعلبي في تفسيره ٥٧/٣ ب ، والبغوي في تفسيره ٤٤٤٥/٢ ، وابن الجوزي في الزاد ٣٩٥/١ ، وأوردها القرطبي في تفسيره ، ولم يعزها إلى ابن عباس . وكذا ورد عن السدي بمعناه كما في تفسير البغوي ٤٥/٢ ، وعن مقاتل في تفسيره ٢٧٨/١ .

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير قصة ، مُلخصها : أن عيسى - عليه السلام - لما خرج على أصحابه ، وهم اثنا عشر رجلاً ، قال لهم : «أيكم سيُلقي عليه شَبِّي ، فيقتل =

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ ؛ أي أفضل المجازين بالسيئة العقوبة .

٥٥ . قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ الآية . العامل في (إذ) قوله :
﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(١) .

واختلف أهل التأويل في هذه الآية على طريقين ؛ أحدهما : إجراء الآية^(٢) على سياقها من غير تقديم ولا تأخير . وهو قول الحسن^(٣) ، والكلبي^(٤) ، وابن

مكاني ، فيكون معي في الجنة ؟ فتطوع أحدهم ، فألقي عليه شبه عيسى عليه السلام ، ثم رفع عيسى إلى السماء ، ولما جاء طلب اليهود ، أخذوا الشبيه ، فقتلوه وصلبوه .

انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٣/٤٢٦ . وكذا ورد بهذا المعنى عن السدي ، كما في تفسير الطبري ٣/٢٨٩ ، وورد مثله عن قتادة في تفسير البغوي ٢/٤٥ ، فليس في هذه الروايات عن ابن عباس وغيره ، أن الذي دلَّ عليه كان ممن نافق من أصحابه ، ولكن ورد ذلك عن وهب ، وهو : أن الذي دلَّ اليهود عليه أحد الحواريين من أصحاب عيسى - عليه السلام - بعد أن أخذ رشوة من اليهود ، فلما دخل هذا الرجل إلى البيت الذي فيه عيسى ، رفع الله عيسى عليه السلام ، وألقي شبهه على الرجل ، فأخذه بعدها اليهود ، وقتلوه وصلبوه ، ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام . انظر : هذه الرواية عن وهب في تفسير الثعلبي ٣/٥٧ ب ، وتفسير البغوي ٢/٤٦ .

(١) أي أنها منصوبة بقوله : ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ ؛ أي ومكر الله بهم في هذا الوقت . وقيل : إن الناصب لها قوله : ﴿خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ . وقيل : إن الناصب لها فعل مقدر ، هو (اذكر) . انظر : تفسير الكشاف ١/٤٣٢ ، وغرائب القرآن ٣/٢٠٣ ، والدر المصون ٣/٢١٣ .

(٢) في (ج) : (الإجراء) .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣/٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٦١ ، وتفسير الثعلبي ٣/٥٨ ب ، والنكت والعيون ١/٣٩٧ ، وتفسير البغوي ٢/٤٥ ، وزاد المسير ١/٣٩٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٢/٦٤ .

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ٣/٥٨ ب ، وتفسير البغوي ٢/٤٥ .

جُريج^(١)، وابن زيد^(٢)، ومَطَر^(٣)، قالوا: معنى ﴿مُتَوَفِّيك﴾: قابضك من غير موت. و(التَّوَفَّى): أخذ الشيء وافياً^(٤). وقد ذكرنا هذا في ما تقدم^(٥).

يدل على هذا القول قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]؛ أي قبضتني إلى السماء^(٦).

فعلى هذا، معنى قوله: ﴿مُتَوَفِّيك﴾: قابضك وافياً، لم ينالوا منك شيئاً^(٧).

- (١) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٢٩٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٨ ب، والنكت والعيون ١/ ٣٩٧، وتفسير البغوي ٢/ ٤٥، وزاد المسير ١/ ٣٩٦.
- (٢) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٢٩٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٨ ب، والنكت والعيون ١/ ٣٩٧.
- (٣) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٢٩٠، ومعاني القرآن للنحاس: ١/ ٤١٠، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٨ ب، تفسير ابن كثير ١/ ٣٩٣. ومطر، هو ابن طهَّان الورَّاق، أبو رجاء السلمي مولاهم، الخراساني، سكن البصرة، قال ابن حجر: «صدوق كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف». مات سنة (١٢٥هـ)، وقيل: (١٢٩هـ). انظر: ميزان الاعتدال ٥/ ٢٥١، ٢٥٢، وتقريب التهذيب ٥٣٤ (٦٦٩٩).
- (٤) انظر في: تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٢، ٣٩٣، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ٨٧٨، والتاج ٢٠/ ٣٠٠.
- (٥) انظر: تفسير البسيط للمؤلف ٣/ ٨٠٤، ٨٠٥، وانظر في موضع آخر عند تفسير آية ٢٨١ من البقرة.
- (٦) انظر: تفسير الطبري ٧/ ١٣٩، وأبي السعود ٣/ ١٠١، والبيضاوي ٦٨.
- (٧) وهذا الذي رجحه الطبري في تفسيره ٣/ ٢٨٩، ٢٩٠، وحيث قال: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قول من قال: معنى ذلك: أُنِي قابضك من الأرض، ورافعك إلي؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة، ذكرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصل عليه المسلمون ويدفنونه، ثم ذكر ابن جرير روايات في ذلك».

وقال ^(١) الربيع ^(٢) : معناه : متوفيك وفاة نوم ^(٣) ، للرفع ^(٤) إلى السماء ، يدلُّ عليه قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] . قال ابن عباس في رواية الوالبي ^(٥) : معناه : إني مميتك . ووجه هذا القول ؛ ما قال وهب ^(٦) : توفَّى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ، ثم أحياه ، ورفعته إليه ^(٧) .

- (١) في (ج) : (قال) .
- (٢) قوله في تفسير الطبري ٢٨٩/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٤٠٩/١ ، والنكت العيون ٣٩٧/١ ، وتفسير البغوي ٤٥/٢ ، وتفسير ابن كثير ٣٩٣/١ .
- (٣) (نوم) : ساقطة من (ج) . وقد وردت في النسخ جميعها (يوم) بدلاً من (نوم) ، وما أثبتُّه هو الصواب ؛ لأن المقصود بها أن الله رفعه إليه بعد أن نام ، وقد سمَّى الله النوم وفاة ، كما جاء في الدليل بعدها ، وهو ما تدل عليه روايات الأثر في مصادره المذكورة سابقاً .
- (٤) في (د) : (الرفع) .
- (٥) هذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه تعليقاً ١٩٠/٦ في كتاب تفسير القرآن ، سورة المائدة ، باب ١٣ . وهي كذلك في تفسير الطبري ٢٩٠/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٦١/٢ ، وتفسير الثعلبي ٥٨/٣ ، وتفسير البغوي ٤٥/٢ ، وتفسير ابن كثير ٣٩٣/١ . وأوردَها السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ ، وزاد نسبت إخراجها لابن المنذر . انظر : تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ١٦٩/١ .
- (٦) قوله في تفسير الطبري ٢٩٠/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٦١/٢ ، ومستدرک الحاكم ٥٩٦/٢ ، وتفسير الثعلبي ٥٨/٣ ، وتفسير البغوي ٤٥/٢ ، والمحزر الوجيز ١٤٣/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٩٣/١ .
- (٧) أخرج الحاكم عن وهب ، قوله : «توفى الله عيسى ثلاث ساعات من نهار ، ثم رفعه إليه ، والنصارى تزعم أنه توفاه سبع ساعات من النهار ، ثم أحياه . . .» . وقال الذهبي عن هذه الرواية : «رواه عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عنه ، قلت : وعبد المنعم ، ساقط» . المستدرک ٥٩٦/٢ ، في تواريخ المتقدمين . وأورد السيوطي عن وهب ، قوله : «أما الله ثلاثة أيام ، ثم بعثه ورفعته» . الدر المنثور ٦٤/٢ ، ونسب إخراجها لابن عساكر . قال الطبري راداً على من قال بأن الله أماته في الدنيا ثم رفعه : «ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل ، لم يكن بالذي يميتة ميتة أخرى ، فيجمع عليه ميتتين ؛ لأن الله - عز وجل - إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم . . .» . تفسيره ٢٩٢/٣ .

وقال الواسطي^(١) : معناه : إني متوفيك عن شهواتك و[عن]^(٢) حظوظ نفسك ؛ وذلك^(٣) أن عيسى لما رُفِعَ إلى السماء ، صارت حاله^(٤) كحال الملائكة^(٥) . والطريق^(٦) الآخر في هذه الآية : أنها على التقديم والتأخير .

قال ابن عباس في رواية عطاء^(٧) : هذا مقدّم ومؤخّر ، يريد : إني رافعك إليّ ، ومتوفيك بعد أن أهبطك إلى الأرض حتى تكون فيها ، وتزوج ، ويولد لك ، وتكون في أمة محمد ، ومعهم حتى تموت .^(٨) وفي حديث أبي هريرة : أنه يُدفن في حجرة النبي ﷺ ، فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين رسولين ؛ محمد وعيسى عليهما السلام^(٩) .

(١) قوله في تفسير الثعلبي ٥٩/٣ ب . وساء الثعلبي : (أبو بكر الواسطي) . وهو أبو بكر ، يوسف بن يعقوب بن الحسين الأصم ، الواسطي . الإمام المجوّد ، مقرئ واسط ، وإمام جامعها ، إمام جليل القدر ، ثقة ، محقق كبير ، توفي سنة (٣١٣هـ) ، وقيل : (٣١٤هـ) . انظر : تاريخ بغداد ٣١٩/١٤ ، ومعرفة القراء الكبار ٢٥٠/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١٨/١٥ ، وغاية النهاية ٤٠٤/٢ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) من قوله : (وذلك ...) إلى (...) كحال الملائكة) ، هذا التعليل ذكره الثعلبي تعليقا على قول الواسطي ، ولفظ الثعلبي في تفسيره ٥٩/٣ ب ، بعد أن ذكر قول الواسطي : «ولقد أحسن في ما قال ؛ لأن عيسى ...» ، ثم ذكره .

(٤) في (ج) : (حالته) .

(٥) ورد هذا في تفسير البغوي ٤٥/٢ ، وعن قتادة من دون سند قال : «ورفعه إليه ، وكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لدّة الطعام والمشرب ، وطار مع الملائكة ، فهو معهم حول العرش ...» وقد أورده القرطبي في تفسيره ١٠٠/٤ ، وعن الضحاك ولم يسنده .

(٦) في (ج) : (الطريق) من دون واو .

(٧) لم أقف على مصدر هذه الرواية .

(٨) ورد هذا القول عن الضحاك . انظر : تفسير الثعلبي ٥٩/٣ .

(٩) حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في نزول عيسى عليه السلام ، ورد عنه من طرق وألفاظ مختلفة ، فقد أخرج البخاري في الصحيح : (٣٤٤٨) في كتاب الأنبياء ، باب ٤٩ ، و(٢٤٧٦) في كتاب المظالم ، باب ٣١ . ومسلم في الصحيح : (انظر : صحيح مسلم : (١٥٥) كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما) . والترمذي (٢٢٣٣) في كتاب الفتن ، باب ٥٤ . وأحمد في المسند : انظر ، والفتح الرباني للبنا ٨٧/٢٤ ، و٨٨ في كتاب الفتن ، أبواب ظهور العلامات الكبرى) ، والحاكم في =

قال الفراء^(١) : يقال : إنَّ هذا مَقَدَّمٌ ومَوْخَرٌ ؛ المعنى^(٢) : إني رافعك إليَّ ، ومُطَهَّرُكَ من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد إنزالي إِيَّاكَ إلى^(٣) الدنيا .

ومثله من المَقَدَّم والمَوْخَر ، قوله : ﴿ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [الكهف : ١]^(٤)

المستدرک ٥٩٥ / ٢ كتاب التواريخ ، والطبري في تفسيره ٢٩٢ / ٣ . وقد ورد فيها أنه يُتَوَقَّى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ، ولكن لم أقف فيها على كونه يتزوج ويولد له ، أو كونه يُدفن في حجرة النبي ﷺ . . . إلخ ؛ إلا في رواية أوردها الثعلبي في تفسيره ٥٩ / ٣ ب ، عن أبي هريرة ، ولم يسندها ، قال : « . . . ثم يتزوج ويولد له ، ثم يتوفى ، ويصلي المسلمون عليه ، ويدفونونه في حجرة النبي ﷺ » . وفي سنن الترمذي ، عن عبدالله بن سلام : « مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم يدفن معه ، قال : فقال أبو داود [أحد الرواة في السند] : وقد بقي في البيت موضع قبر » وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » . السنن : (٣٦١١) كتاب المناقب ، باب ١ . وفي الدر المنثور ٦٥ / ٢ قال : « وأخرج البخاري في تاريخه ، والطبراني ، عن عبدالله بن سلام ، قال : (يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبيه ، فيكون قبره رابعاً) . وقد جمع ابن كثير والسيوطي روايات كثيرة في نزول عيسى - عليه السلام - آخر الزمان ، انظر : تفسير ابن كثير ٣٩٣ / ١ ، والدر المنثور ٦٥ / ٢ .

(١) في معاني القرآن له ٢١٩ / ١ . نقله عنه بنصه .

(٢) في معاني القرآن : (المعنى فيه) .

(٣) في معاني القرآن : (في) .

(٤) ويعني المؤلف بالتقديم والتأخير في الآية ، على أن معناها : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّماً ، ولم يجعل له عوجاً . وهو مروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وإليه ذهب الطبري ، والفراء ، والزجاج . وقيل : ليس فيه تقديم ولا تأخير ، والمعنى : ولم يجعل له عوجاً ، ولكن جعله قَيِّماً . وهو مروي عن قتادة . وكذلك ذهب إليه الفخر الرازي ، وقال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ يدل على كونه كاملاً في ذاته ، وقوله : ﴿ قَيِّمًا ﴾ يدل على كونه مكماً لغيره ، وكونه كاملاً في ذاته ، متقدم بالطبع على كونه مكماً لغيره ، فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى ، وهو قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا ﴾ ، فظهر أن ما ذكره من التقديم والتأخير فاسد ، يمتنع العقل من الذهاب إليه « تفسير الفخر الرازي ٧٦ / ٢١ . انظر : تفسير الطبري ، (ط : دار الفكر) ١٥ / ١٩٠ ، ١٩١ ، ومعاني القرآن للفراء ١٣٣ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦٧ / ٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢١١ / ٤ ، ٢١٢ ، وتفسير القرطبي ٣٥١ / ١٠ .

[الآية] ^(١)، وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ﴾ [أي] ^(٣): و ^(٤) إلى سمائي ومحل كرامتي .
فجعل ذلك رَفْعاً إليه ؛ للتفخيم ^(٥) والتعظيم ، ومثله قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصفات ٩٩] ، وإنما ذهب إبراهيم -عليه السلام- من العراق إلى الشام ،
والتقدير : إلى أمر ربي ؛ لأنه أمره بذلك المكان .

وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ أي مُخْرِجُكَ مِنْ بَيْنِهِمْ ؛ لأن
كونه في جملتهم بمنزلة التنجيس له بهم .

وقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ . قال ابن
عباس في رواية عطاء ^(٦): يعني بالذين اتبعوه : الحواريين ، وَمَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

(٢) سورة طه ١٢٩ . والمعنى على التقديم والتأخير فيها : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى
لكان لزاماً . . . وهو قول قتادة ، وأبي زيد ، وأهل التفسير . انظر : تفسير الطبري ، (ط . دار الفكر)
٢٢ / ٢٣٢ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٢ / ١٣٣ ، وتفسير البضاوي ٢ / ٦٥ .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٤) الواو : ساقطة من (ج) و(د) .

(٥) في (ب) : (إلى التفخيم) .

(٦) لم أقف على مصدر هذه الرواية . وورد في تفسير الثعلبي ٣ / ٦٠ أ ، وتفسير البغوي ٢ / ٤٦ : أن
الضحاك ، ومحمد بن أبان ، قالوا : «يعني : الحواريون فوق الذين كفروا» .

وقال قتادة^(١)، والربيع^(٢)، والكلبي^(٣)، ومقاتل^(٤) : هم أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، أتبعوا دين المسيح، وصدّقوه بأنّه^(٥) رسول الله وكلمته ألّقاها إلى مريم، وروح منه . فوالله ما^(٦) أتبعه من دعاه^(٧) ربّاً .

وقوله تعالى : ﴿فَوَقَّ الذِّينَ كَفَرُوا﴾ . يحتمل أن يكونوا فوقهم بالبرهان والحجة، ويحتمل بالعزّ والغلبة .

وقال ابن زيد^(٨) : وجاعل النصارى فوق اليهود، فاليهود مُستذلّون مقهورون، والنصارى وأهل الروم لهم الملك والبسطة .

و(الاتباع) على هذا القول، بمعنى : الادّعاء والمحبة، لا بمعنى : اتباع الدين والملة^(٩) . والاختيار ما سبق من القولين .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ . عدّل عن الغيبة إلى الخطاب ؛ لتغليب الحاضر على الغائب، لما دخل معه في المعنى، وهو محمد عليه السلام . ووجه

(١) قوله في تفسير الطبري ٢٩٢/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٦١/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٤١١/١، وتفسير الثعلبي ٦٠/٣، والنكت والعيون ٣٩٨/١، وتفسير البغوي ٤٦/٢، وزاد المسير ٣٩٧/١، والدر المنثور ٦٤/٢ وزاد نسبة إخراج له عبد بن حميد .

(٢) قوله في تفسير الطبري ٢٩٢/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٦١/٢، وتفسير الثعلبي ٦٠/٣، والنكت والعيون ٣٩٨/١، وتفسير البغوي ٤٦/٢، وزاد المسير ٣٧٩/١ .

(٣) قوله في تفسير الثعلبي ٦٠/٣، تفسير البغوي ٤٦/٢، وزاد المسير ٣٧٩/١ .

(٤) قوله في تفسيره ٢٧٩/١، وتفسير الثعلبي ٦٠/٣، وتفسير البغوي ٤٦/٢ .

(٥) في (ب) : (أنه) .

(٦) في (ب) : (وربما) .

(٧) في (د) : (ادعاه) .

(٨) قوله في تفسير الطبري ٢٩٢/٣، وتفسير الثعلبي ٦٠/٣، وتفسير ابن عطية ١٤٤/٣، وزاد المسير ٣٧٩/١ .

(٩) يعني : أنه بناء على قول ابن زيد يكون معنى أتباع النصارى لعيسى الوارد في الآية إنّها هو ادّعاؤهم أتباعه ومحبته، وليس المراد به الالتزام الحقيقي باتباع دينه وملته ؛ لأن واقع النصارى يخالف ذلك .

اتصال هذا الكلام بما قبله من المعنى ، كأنه قيل : أمّا الدنيا ؛ فالحال فيها ما ذكرنا ، وأما الآخرة فيقع فيها الحكم في^(١) اختلافكم في الدين وأمر عيسى .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا : القتل الذي ناله^(٣) ، وينالهم^(٤) ، وسبى الذراري ، وأخذ الجزية . ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ؛ أي ما لهم من يمنعهم من عذاب الله .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿ فَيُوقِفُهُمْ أَجُورُهُمْ ﴾ . التَّوْفِيقُ : التكميل^(٥) في الأداء .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ؛ أي^(٦) : يعذبهم ، ولا يرحمهم ، ولا يُثْنِي عليهم^(٧) .

(١) في (ج) : (على) .

(٢) من قوله : (العذاب . . .) إلى (. . . الجزية) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزجاج ٤٢٠ / ١ .

(٣) في (ب) : (أصا بهم) .

(٤) في (ب) : (ونالهم) .

(٥) في (ج) : (التمليك) .

(٦) من قوله : (أي . . .) إلى (. . . ولا يثني عليهم) : نقله بتصرف يسير عن معاني القرآن للزجاج ٤٢١ / ١ .

(٧) المحبة هنا وفي غيرها من الآيات ، صفة من صفات الله تعالى ، وصف بها نفسه ، وصفه بها رسوله الكريم ﷺ ، وهي من صفاته - تعالى - الاختيارية المتعلقة بمشيئته . ومنهج السلف الكرام وجوب إثبات ما أثبتته الله لنفسه من صفات ، وفق ما يليق به تعالى ، من دون تأويل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه منها . وقد وردت صفة المحبة في آيات كثيرة منها ما ورد بالإيجاب ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، ومنها ما ورد بالسلب ، كآية السابقة في الأصل ، التي هي موضوع هذا التعليق . والمؤلف هنا أثبت لازم الصفة ، وثمرتها وفق مذهب الأشاعرة ، وإثبات اللازم غير إثبات الصفة ، فالله - تعالى - لا يحب الظالمين على الحقيقة ، ومن نتيجة ولازم وعدم محبتهم أن يعذبهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم . والأشاعرة والمعتزلة ينفون هذه الصفة بدعوى إيهامها النقص في الخلق ؛ لأنها عندهم مئول المخلوق إلى ما يناسبه أو يستلذه ، ويرجعها الأشاعرة إلى صفة الإرادة ، فيقولون بأن محبة الله للعبد هي إرادة إكرامه ومثوبته . والمعتزلة بها أنهم لا يشبتون إرادة قائمة به فإنهم يفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله . وكلا المذهبين خالف الحق =

٥٨. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾. ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدّم من النبأ عن^(١) عيسى ومريم والحواريين.

وقوله تعالى: ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾. قال ابن عباس^(٢): يريد: نخبرك به. جعل إخباره به^(٣)، وإظهاره له^(٤) تلاوة؛ لأن التلاوة إظهار وإخبار^(٥). ويجوز أيضاً أن تكون^(٦) التلاوة^(٧) لجبريل عليه السلام، والله - تعالى - يضيفها إلى نفسه^(٨)؛ لأن تلاوة جبريل بأمر الله [تعالى]^(٩).

وجانب الصواب والعدل. والصراط السوي هو مذهب السلف الكرام، الذي أثبت هذه الصفة وغيرها من الصفات الواردة في الكتاب والسنة لله على الحقيقة، ويثبت معها نتائجها ولوازمها. انظر: مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٣٥٤، وشرح العقيدة الواسطية ٤٤-٤٦، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ١/ ٣٩٦-٣٩٩.

- (١) في (د): (من).
- (٢) لم أقف على مصدر قوله.
- (٣) (به): ساقطة من (د).
- (٤) (له): ساقطة من (ج).
- (٥) (وإخبار): ساقطة من (د). قال ابن فارس: «التاء، واللام، والواو، أصل واحد، وهو الاتباع. يقال: تَلَوْتُهُ؛ إِذَا تَبَعْتَهُ. ومنه تلاوة القرآن؛ لأنه يُتَّبَعُ آية بعد آية». معجم مقاييس اللغة (تلو) ١/ ٣٥١. وقال الراغب: «والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزل؛ تارة بالقرآن، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة. ولا يقال: تلوت رُفْعَتَكَ، وإنما يقال في القرآن، في شيء إذا قرأته وجب عليك اتّباعه». مفردات ألفاظ القرآن للراغب (تلو) ١٦٧، وانظر: اللسان (تلو) ١/ ٤٤٤.
- (٦) في (ب): (يكون).
- (٧) (التلاوة): ساقطة من (ب).
- (٨) (إلى نفسه): ساقطة من (ب).
- (٩) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

ومثله : ﴿تَحْنُ^(١) نَقْضُ عَلَيْكَ^(٢)﴾ ، وأمثاله كثيرة . ومعنى ﴿مِنَ الْآيَاتِ^(٣)﴾ : من العلامات الدالة على تثبيت رسالتك^(٤) ؛ لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب أو من يوحى إليه ، وقد علموا أنك أمي لا تقرأ .

وقوله تعالى : ﴿وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ^(٥)﴾ . يعني القرآن . ولـ ﴿الْحَكِيمُ^(٥)﴾ هاهنا معنيان :

أحدهما : أنه بمعنى الحاكم ، مثل القدير ، والعليم ، ومعناه : ذو الحِكْمَةِ^(٦) في تأليفه ونظمه ، وإبانة^(٧) الفوائد فيه . [والحِكْمَةُ أصله في اللغة المنع عن الفساد . والقرآن حاكمٌ ، على معنى : أنه بما فيه^(٨) من العِبَرِ والدَّلالات ، مانع عن الكفر والفساد . وهذا كما وُصِفَت الدَّلالةُ بأنها الدليل ؛ لأنها بمنزلة الناطق بما فيها من البيان . وهذا الوجه ، اختيار الزَّجَّاج^(٩) .

الثاني : أنه بمعنى : المُحْكَم ، (فَعِيل) بمعنى : (مُفَعَّل) .

-
- (١) (نحن) : ساقطة من (ج) .
 (٢) مقطع من آية ٣ في سورة يوسف ، وآية ١٣ من الكهف . وسياقها في سورة يوسف : ﴿تَحْنُ نَقْضُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ﴾ .
 (٣) من قوله : (أي ...) إلى (...) لا تقرأ) : نقله بتصرف واختصار عن معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٢١/١ .
 (٤) انظر : هذا المعنى لـ ﴿الْآيَاتِ^(٣)﴾ ، في الصحاح (أيا) ٢٢٧٥/٦ ، واللسان (أيا) ١٨٢/١ .
 (٥) في (ج) : (والحكيم) .
 (٦) في (ج) : (ذو القدرة) .
 (٧) في (ج) : (وآياته) .
 (٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) . قال الزَّجَّاج : «وأصل (ح ، ك ، م) في الكلام : المنع . وُسِّمِيَ الحاكمُ حاكماً ؛ لأنه يمنع الخصمين من النظام . و(حَكْمَةُ الدَّابَّةِ) ، سُمِّيت (حَكْمَةً) ؛ لأنها تمنعه من الجحاح . وفي كتب السلاطين القديمة : (واحكم فلاناً عن ذلك الأمر) ؛ بمعنى : امنعه . تفسير أسماء الله الحسنی للزَّجَّاج ٤٣ . وانظر : مقاييس اللغة (حكم) ٩١/٢ ، والزاهر ٢٠٧/١ .
 (٩) في معاني القرآن له ٤٢١/١ . وانظر : معاني القرآن للنحاس : ٤١٣/١ .

قال الأزهري^(١) : وهو سائغ^(٢) في اللغة ؛ لأن (حَكَمْتُ) يجري مجرى (أَحَكَمْتُ) في المعنى ، فَرُدَّ إلى الأصل .

ومعنى (المُحَكَّم) في القرآن : أنه أُحْكِمَ بالأمر والنهي ، وبيان الحلال والحرام . قال الله تعالى : ﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ ﴾ [هود: ١] . وهذا قول مقاتل^(٣) . قال : الحكيم هو المُحَكَّم من الباطل . قال الليث^(٤) : وَسَمِيَ الْأَعَشَى الْقَصِيدَةَ الْمُحَكَّمَةَ : (حكيمة) ، فقال^(٥) :

وْغَرِيْبَةٌ تَأْتِي الْمُلُوكَ حَكِيْمَةً قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ مَنْ ذَا قَالَهَا^(٦) .

٥٩ . و^(٧) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾^(٨) الآية .

(١) في تهذيب اللغة (حكم) ١ / ٨٨٥ ، ونقله عنه بالمعنى .

(٢) في (د) : (شائع) .

(٣) في تفسيره ١ / ٢٧٩ .

(٤) قوله في تهذيب اللغة (حكم) ١ / ٨٨٥ .

(٥) في (ج) : (وقال) .

(٦) البيت في ديوانه ١٤٤ ، وتهذيب اللغة (حكم) ١ / ٨٨٥ ، واللسان (حكم) ٢ / ٩٥١ . وأراد بالغريبة : القصيدة .

(٧) الواو : زيادة من (د) .

(٨) كمثل آدم) : ليست في (ب) و(د) .

نزلت في وفدِ نجران ، حين قالوا للنبي ﷺ : (وهل رأيت ولدًا من غير ذكر ؟) ؛ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية ^(١) . وقد ذكرنا معنى (المثَل) في ما تقدم ^(٢) ، وأن المراد به بيان أن سبيلَ الثاني سبيلُ الأول .

فالله - تعالى - قد ذكر في القرآن قصّة آدم ، وإنشاءه إِيَّاه من غير والدٍ ، ثم دلّ في هذه الآية على أن سبيلَ الثاني ^(٣) - وهو عيسى ، في إنشائه ، وخلقِه من غير ذَكَرٍ - سبيلُ الأول ، وهو آدم .

وفي هذه الآية حجةٌ على من أنكر القياس ؛ لأن الله - تعالى - احتجّ فيها على المشركين ، ولا يجوز أن يدّهم إلّا بما فيه دليلٌ . فقياس ^(٤) خَلَقَ عيسى من غير ذَكَرٍ ، كقياسِ خَلَقَ آدم ، بل الشأن فيه أعجب ؛ لأنه خُلِقَ من غير ذَكَرٍ ولا أنثى .

وقوله تعالى : ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ؛ أي في الخلق والإنشاء . خَلَقَ عيسى من غير أب ، كما خَلَقَ آدم من غير أب ولا أم . وتمّ الكلام عند قوله : ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ ^(٥) ، وهو جملة تامّة ، وتشبيهٌ كاملٌ . ولَوْ اقتصر عليه حصل المراد . ثم قال : ﴿خَلَقَهُ﴾ .

(١) ورد هذا السبب بألفاظ مختلفة في تفسير الطبري ٣/ ٢٩٥ ، و٤٧١ ، ويرويه عن قتادة ، والسدي ، وابن زيد ، ولفظه عن قتادة : «ذكر لنا أن سيدي أهل نجران وأسقفيهم ؛ السيد ، والعاقب ، لقيا نبي الله ﷺ فسألاه عن عيسى ، فقالا : كل آدمي له أب ، فما شأن عيسى لا أب له ؟ فأنزل الله - عز وجل - فيه الآية ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ . وأورده السيوطي في الدر ٢/ ٦٦ وزاد في نسبته إلى عبد بن حميد . ووردت روايات أخرى من طرق أخرى في سبب نزول هذه الآية ، قريبة من السابقة ، انظرها في تفسير الطبري ٦/ ٤٦٨ - ٤٧١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٦٥ ، وأسباب النزول للواحدي ٩٩ ، ولباب النقول للسيوطي : ٥٢ ، والدر المنثور ٢/ ٦٧ .

(٢) انظر : تفسير البسيط : البقرة : ٢٦ ، تحقيق د . الفوزان .

(٣) (الثاني) : ساقطة من (ج) .

(٤) في (ب) : (فيقياس) .

(٥) ممن قال بأن الوقف تامّ يعقوب ، وقال أبو بكر ابن الأنباري : إن الوقف هنا حسنٌ ، وليس بتامٌ ولا كاف . انظر : كتاب إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢/ ٥٧٨ ، والقطع والانتاف للنحاس ٢٢٦ ، ومنار الهدى للأشموني ٦٣ .

من تُرَابٍ ﴿١﴾ ، وهذا ليس بِصِلَةٍ لـ ﴿ءَادَمَ﴾ ، ولا صِفَةٍ ؛ لأن الصلة للمبهات ^(١) ، والصفة للنكرات ^(٢) ، ولكِنَّهُ خبرٌ مستأنفٌ على جهة التفسير لحال آدم ^(٣) .

قال الزَّجَّاج ^(٤) : وهذا كما تقول في الكلام : مَثْلُكَ مَثْلُ زيدٍ . تريد : أنك تشبهه في فعلٍ ، ثم تخبر بقصّة زيد ، فتقول : كذا وكذا .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . اختلفوا في المَقُولِ له ﴿كُنْ﴾ ، فالأكثر ^(٥) على أنه (آدم) ، وعلى هذا يقع الإشكال في لفظ الآية ؛ لأنه إنما يقول له : (كُنْ) قبل أن يخلقه لا بعده ، وهاهنا يقول : ﴿خَلَقَهُ﴾ ، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ .
والجواب :

أَنَّ الله - تعالى - أخبرنا أولاً أنه خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، ثم ابتدأ خبراً آخرَ ، أراد أن يُخبرنا به ، فقال : ثم ^(٦) إني أخبركم أيضاً بعد خبري الأول : أني

(١) لأن (آدم) معرفة ، والمعارف لا تُوصَل ، وإنما الصلات للنكرات . انظر : معاني القرآن للفراء ٢١٩/١ ، وتفسير الطبري ٢٩٦/٣ .

(٢) لأن الجُمْلَ بعد النكرات صفات ، وآدم مَعْرُفَةٌ ؛ لذا لا تكون الجملة بعده صفة له ؛ لأن الجمل لا تكون إلا نكرات ، فلا توصف بها معرفة .

(٣) أي أنها جملة مفسرة لوجه التشبيه ، فلا وجه لها من الإعراب ، وهذا الوجه هو الأظهر .
وقيل : إنها في محل نصب على الحال من (آدم) ، مع تقدير (قَدْ) معها لتقريبه من الحال ؛ لأن الفعل الماضي لا يتصل بالأعلام إلا إذا أضمر معه (قَدْ) ، والعامل فيها معنى التشبيه . وقال أبو البركات ابن الأنباري في كتابه البيان : «إنها جملة مفسرة للمَثَل ، وهي في موضع رفع ؛ لأنها خبر لمبتدأ محذوف ؛ كأنه قيل : ما المثل ؟ فقال : خلقه من تراب ؛ أي المثلُ خَلَقَهُ من تراب . . . » . انظر : معاني القرآن للفراء ٢١٩/١ ، وتفسير الطبري ٢٩٦/٣ ، والبيان للأنباري ٢٠٦/١ ، والدر المصون ٢١٨/٣ ، ومنار الهدى ٦٣ .

(٤) في معاني القرآن له ٤٢٢/١ ، ونقله عنه بتصريف يسير . والزَّجَّاج هنا يوضح كيف كانت ﴿خَلَقَهُ﴾ جملة مفسرة .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٦/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٦٥/٢ وقد رواه عن ابن إسحاق ، والمحرر الوجيز ١٤٨/٣ .

(٦) (ثم) : ساقطة من (ج) و(د) .

قلت له ﴿كُنْ﴾ ، فكان ، [فجاء] ^(١) [ثم] ^(٢) لمعنى ^(٣) الخبر الذي تقدم ، والخبر الذي تأخر في الذكر ، لا أن ^(٤) الخَلَقَ تقدم على قوله : ﴿كُنْ﴾ ، وهذا كما تقول للرجل : أخبرك أني أعطيتك اليوم ألفاً ، ثم إني أخبرك [أنى] ^(٥) قد أعطيتك ^(٦) أمس قبل هذا ألفاً ، ف(أمس) متقدم ^(٧) لـ (اليوم) ، وإنما جاء (ثم) ؛ لأن خبرَ اليوم متقدمٌ خبرَ ^(٨) أمس ، وجاء خبرُ أمس بعد مُضَيَّ ^(٩) خبر اليوم ، ومثله قوله : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦] ، وقد خُلِقَتْ ^(١٠) بعد خلق زوجها ، ولكن هذا واقع على الخبر دون الخلق ؛ لأن التأويل : أخبركم أني قد خلقتكم من نفس واحدة ؛ لأن حوَّاء أيضاً خُلِقَتْ من ضلعه ، ثم إني أخبركم أني ^(١١) خلقت زوجها منها ، ومثل هذا مما جاء في الشعر ، قوله :

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثم قد سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ ^(١٢)

- (١) ما بين المعقوفين زيادة من (د) ، وهي كذلك في الدر المصون ٣ / ٢٢٠ ؛ حيث نقل السمينُ الحلبيُّ قولَ الواحدي كاملاً .
- (٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) ، وكذلك هي في الدر المصون ٣ / ٢٢٠ ، ولكن وردت فيه : (بشم) .
- (٣) في (ج) و(د) : (بمعنى) .
- (٤) في (ب) و(ج) و(د) : (لأن) بدلاً من (لا أن) ، وكذلك وردت في الدر المصون ٣ / ٢٢٠ : (لأن) . وما في هذه النسخ له وجاهته ؛ حيث يعني أنه جيء بـ (ثم) لأن الإخبار عن قوله (كن) تأخر عن الإخبار عن الخلق . وما أثبتته في الأصل من نسخة (أ) ، يتناسب كذلك مع الكلام السابق واللاحق .
- (٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) و(ج) و(د) ، الدر المصون .
- (٦) (أعطيتك) : ساقطة من (د) .
- (٧) في (د) : (متقدماً) .
- (٨) (خبر) : ساقطة من (ب) .
- (٩) في (ب) : (فأخبر أمس بفعل مضى) .
- (١٠) في (ج) و(د) : (خلقتنا) .
- (١١) في (ب) : (أنى قد) .
- (١٢) البيت لأبي نواس وهو في ديوانه ٤٩٣ . وورد البيت غير منسوب في غرائب التفسير للكرمانى ١ / ٢٦٠ ، ورصف المباني ٢٥٠ ، والجنى الداني ٤٢٨ ، ومغني اللبيب ١٥٩ ، ومنهج السالك ٣ / ٩٤ ، =

ومعلوم أن الأبَّ متقدم له ، والجذَّ متقدم للأب ، ولكنه أخبر عن سيادته أولاً ، ثم عن سيادة أبيه ، ثم عن سيادة جدّه ؛ فالترتيب يعود إلى الخبر ، لا إلى الوجود . ويجوز أن يكون المراد : أنه خلقه قالباً من تراب ، ثم قال له : (كن بشراً) ، فيصح النظم ^(١) . وقال بعضهم : المقول له : ﴿كُنْ﴾ عيسى عليه السلام ^(٢) ، ولا إشكال على هذا .

وفي قوله : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ وجهان من التأويل ؛ أحدهما : أن هذا دلالة على أنه - تعالى - يخلق الشيء من غير نصب ولا تعب ، لا أنَّه يخلقه بقوله : ﴿كُنْ﴾ ؛ لأنه لو أراد خلق شيء وجد ذلك الشيء ، وإن لم يقل له : (كن) .

والثاني : أن قوله : ﴿كُنْ﴾ ، علامة لما يريد خلقه وإنشاءه .

وهمع الهوامع ٢٣٦/٥ (١٦٠٥) ، خزانة الأدب ٣٧/١١ ، و ٤٠ ، والدرر اللوامع ١٧٣/٢ . وقد وردت روايته في المصادر السابقة : (إنَّ من ساد . . .) .
وروايته في الديوان :

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثَمَّ سَادَ أَبُوهُ قَبْلَهُ ثَمَّ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ
وقال البغدادي في خزانة الأدب ٤٠/١١ : «وهذا البيت من شعر موكِّد لا يوثق به ، وأوله مغيرٌ اشتهر به ، وهو أول أبيات سبعة مدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر» وهو عم هارون الرشيد .
(١) يعني المؤلف بقوله : (فيصح النظم) - والله أعلى - أن الذهاب في تفسير الآية إلى هذا الوجه الأخير الذي ذكره يغني عن تأول إجابة كالتي سبقت في تفسيرها بالوجه الأول ، وأنه لا إشكال في لفظ الآية .

(٢) روى أسباط عن السدي عن أبي مالك (غزوان الغفاري) أنه قال عن المعني بالآية : «فهو أمر عيسى والقيامة» . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٦٦٦/٢ ، وبه قال البغوي في تفسيره ٤٧/٢ ، وهذا القول مذكور في تنوير المقباس ٤٨ . قال الألوسي : «والضمير المجرور عائد على ما عاد عليه الضمير المنصوب ، والقول بأنه عائد على عيسى ، ليس بشيء ؛ لما فيه من التفكيك الذي لا داعي إليه ، ولا قرينة تدل عليه» . روح المعاني ١٨٧/٣ . ويعني بـ (الضمير المجرور) الضمير في ﴿لَهُ﴾ ، ويعني بـ (الضمير المنصوب) الضمير في ﴿خَلَقَهُ﴾ ، انظر : البحر المحيط ٤٧٨/٢ .

وقوله تعالى : ﴿فَيَكُونُ﴾ . قال بعض النحويين ^(١) : هو بمعنى : كان . وكذا فسّره ابن عباس ، فقال ^(٢) : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ ، فَكَانَ ، فجرى عليه ^(٣) الروح . وقد ذكرنا أنه يجوز أن يراد بمثال المستقبل الماضي ، مستقصى عند قوله : ﴿تَتَلَوُا الشَّيْطَانُ﴾ ^(٤) .

وقال آخرون ^(٥) : المعنى : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ ، فيكون كما يأمر الله تعالى . وقوله : ﴿فَيَكُونُ﴾ ، حكاية لتلك الحالة التي يكون فيها آدم كما شاء الله .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ ، ارتفع ﴿الْحَقُّ﴾ عند الفراء ^(٦) والزرّاج ^(٧) بخبر ابتداءٍ محذوف . المعنى : [(الذي أنبأناك من قصة)] ^(٨) عيسى ، الحق . أو : (ذلك النبأ في أمر عيسى ، الحق) . فحذف ؛ لتقدم ذكره ، وأغنى حضور المعنى للنفس عن الإشارة إليه .

(١) ومنهم الأخفش في معاني القرآن له ٢٠٦/١ ، وقال : «ومعناه : (كن فكان) ، كأنه قال : فإذا هو كائن» . والنحاس في إعراب القرآن ٣٣٨/١ .

(٢) لم أقف على مصدر قوله ، وأورده الخازن في تفسيره ٣٠٢/١ .

(٣) في (ج) و(د) : (فيه) .

(٤) سورة البقرة ١٠٢ . ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا﴾ . قال النحاس : «والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عُرف المعنى» ، إعراب القرآن له ٣٣٨/١ . وذكر الحدادي أن الماضي يذكر بلفظ المستقبل في موضعين : أحدهما : إذا كان حالاً .

والثاني : إذا كان الفاعل يدوم على الفعل ، وكان من سبيله إتيان ذلك الفعل . انظر : المدخل لعلم تفسير كتاب الله له ٢٢٨ .

(٥) لم أقف عليهم .

(٦) انظر : معاني القرآن له ٢٢٠/١ .

(٧) انظر : معاني القرآن له ٤٢٢/١ .

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . ومثبت من بقية النسخ .

وقال أبو عبيدة^(١) : هو استئناف بعد انقضاء الكلام ، وخبره في قولك^(٢) : ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ [و]^(٣) هذا كما تقول : الحقُّ من الله تعالى^(٤) ، والباطل من الشيطان^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ، الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد : نهي غيره عن الشك ، كما قال : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٦) ، ويحتمل أن يكون المعنى : فلا تكن من الممترين أيها السامع للبرهان ، من المكلفين كائناً مَنْ كان .

والامتراء : الشك^(٧) . قال ابن الأنباري^(٨) : وهو مأخوذ من قول العرب : مَرَيْتُ الناقةَ والشاةَ : إِذَا حَلَبْتَهُمَا^(٩) . فكأنَّ الشاكَّ يَحْتَذِبُ بِشَكِّهِ^(١٠) سَرّاً ، كاللبن^(١١) الذي يُحْتَذَبُ^(١٢) عند الحلب . ويقال : قد ماري فلاناً فلاناً إِذَا جَادَلَهُ واستخرج غضبه^(١٣) .

(١) في مجاز القرآن له ٩٥ / ١ . نقله عنه .

(٢) في (ب) و(ج) و(د) : (قوله) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٤) (تعالى) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٥) وقيل : هو فاعل ؛ أي جاءك الحقُّ . انظر : تفسير القرطبي ١٠٣ / ٤ .

(٦) سورة الطلاق : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ . قال الزَّجَّاج : «والخطاب للنبي خطاب للخلق ؛ لأن النبي لم يشكك في قصّة عيسى» معاني القرآن له ٤٢٢ / ١ .

(٧) في (ب) : (الشاك) .

(٨) في الزاهر ٤٥٥ / ١ نقله عنه بالمعنى .

(٩) في (ج) : (حلبتها) .

(١٠) من قوله : (بشكه . . .) إلى (يحتذب) : ساقط من (د) .

(١١) في (أ) : (كاللبن) . والمثبت من بقية النسخ .

(١٢) في (ج) : (يحتلب) .

(١٣) ونصُّ قول ابن الأنباري : «وقولهم : قد ماري فلاناً فلاناً ، قال أبو بكر : معناه : قد استخرج ما عنده من الكلام الحجة ، وهو مأخوذ من قولهم : مَرَيْتُ الناقةَ والشاةَ ، أمرِيها مَرِيّاً : إِذَا مَسَحَتْ ضُرُوعَهَا لَتَدْرَأَ» .

٦١. قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ ؛ أي في عيسى عليه السلام . وقيل ^(١) :

الهاء تعود إلى ﴿الْحَقُّ﴾ ، في قوله : ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ . ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أن عيسى عبد الله ورسوله . ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ . أصله ، (تعالوا) ؛ لأنه (تفاعلوا) من (العلو) ، فاستثقلت الضمة على الياء ، فسُكُنَتْ ، ثم حُذِفَتْ لاجتماع الساكنين . وأصله : العلو والارتفاع .

فمعنى (تعال) : ارتفع . إلا أنه أكثر ^(٢) في الاستعمال حتى صار لكل مجيء ، وصار بمنزلة (هلم) ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ . فقال المفسرون ^(٤) : لما احتجَّ الله -تعالى- على النصارى من طريق القياس بقوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ [آل عمران : ٥٩] الآية ؛ أمر ^(٥) النبي ﷺ ، أن يحتجَّ عليهم من طريق الإعجاز وهو المباهلة .

ومعنى المباهلة الدعاء على الظالم من الفريقين ^(٦) . فلما نزلت هذه الآية ، دعا رسول ﷺ وفد نجران إلى المباهلة ، وخرج رسول الله ﷺ محتضناً الحسين ^(٧) ،

(١) لم أقف على القائل ، وقد حكى المفسرون القولين من دون بيان الذهاب إلى القول الثاني . وقد ذهب الطبري إلى الأول ، وأجاز الثاني . انظر : تفسيره ٢٩٨/٣ ، وتفسير البغوي ٤٨/١ ، وزاد المسير ٣٩٩/١ .

(٢) في (ب) و(د) : (كثر) .

(٣) انظر : الزاهر ٢٧٧/٣ ، ومفردات ألفاظ القرآن (علا) ٥٨٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٢٣/١ .

(٥) (أمر) : ساقطة من (د) .

(٦) انظر : تأويل مشكل القرآن ٥٥٦ ، والزاهر ٢١٩/١ ، ومقاييس اللغة (بهل) ٣١١/١ . وقد ذكر ابن فارس أن (بهل) أصل لثلاثة معان : الابتهال ، والتضرع ، والدعاء ، ثم قال : «والمباهلة يرجع إلى هذه ، فإن المتباهلين يدعوا كل واحد منهما على صاحبه ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ . [آل عمران : ٦١]» .

(٧) هو أبو عبد الله ، الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، حفيد رسول الله ﷺ ، ابن بنته فاطمة رضي الله عنها ، اختلف في سنة ولادته ما بين سنة (٤هـ - ٦هـ) ، وكان رضي الله عنه ديناً فاضلاً كثيراً =

أَخَذَ أَبِيدَ الْحَسَنِ^(١)، وفاطمة^(٢) تمشي خلفه، وَعَلَى خَلْفِهَا، وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فَاْمَنُوا. فقال: أَسْقُفُ^(٣) نَجْرَان: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً عن مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. ثُمَّ قَبِلُوا الْجَزِيَّةَ وانصرفوا. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَان، وَلَوْ تَلَاعَنُوا، لَمْ يَسْخَوْا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَا ضَطْرِبَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً، وَلَا سَتَأَصِلَ اللَّهُ نَجْرَانَ وَأَهْلَهُ، حَتَّى الطَّيْرَ عَلَى الشَّجَرِ، وَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى حَتَّى هَلَكُوا»^(٤).

الصيام والصلاة والحج، وقُتِل -رضي الله عنه- بكربلاء من الكوفة سنة (٦١هـ)، إثر خروجه على بني أمية. انظر: الاستيعاب ١/ ٤٤٢، والإصابة ١/ ٣٣٢.

(١) هو أبو محمد، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حفيد رسول الله ﷺ، ابن بنته فاطمة رضي الله عنها، وُلِدَ سنة (٣هـ)، كان حليماً ورعاً فاضلاً، ترك المُلْكَ والدنيا حرصاً على دماء المسلمين، ورغبة في ما عند الله، اختلف في سنة وفاته ما بين (٤٩هـ - ٥١هـ)، فن بالقيع. انظر: الاستيعاب ١/ ٤٣٦، والإصابة ١/ ٣٢٨.

(٢) هي الزهراء، بنت رسول الله ﷺ، وزوج علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ابن عم رسول الله ﷺ، وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما. انظر: الاستيعاب ٤/ ٤٤٧، والإصابة ٤/ ٣٧٧.

(٣) الْأَسْقُفُ بتشديد الفاء، وتخفيفها: لقب دينيٌّ لأخبار النصارى، فوق القسيس، ومن دون المطران. ويقال: سَقُفٌ. والجمع: أساقفة، وأساقف. انظر في: القاموس المحيط (سقف): ٨٢٠، والمصباح المنير ١٠٦، والمعجم الوسيط: ٤٣٨. وقد سَمَّى ابنُ إِسْحَاقَ هذا الْأَسْقُفَ، وهو أبو حارثة بن عَلَقَمَةَ، أحد بني بكر بن وائل، وصفه بأنه أَسْقُفُهُمْ وَحَبْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ، وصاحبُ مَدْرَاسِهِمْ. وذكر في موضع آخر أن الذي قال ذلك هو العاقب، واسمه عبدالمسيح، وصفه بأنه أميرُهُمْ، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلّا عن رأيه. وفي دلائل النبوة لأبي نُعَيْمٍ أن الذي نصحه هو السَّيِّدُ، واسمه الأيهم، وهو صاحب رحلهم ومجتمعهم، والذي يقوم بأمرهم. انظر: السيرة لابن هشام ٢/ ٢١٥، ودلائل النبوة ٣٥٥.

(٤) وردت قصة المباهلة في كتب السنة، والتفسير بالمأثور، بروايات وألفاظ مختلفة تتفق في مضمونها مع ما ذكره المؤلف، ولكن لم أجد الرواية بهذا اللفظ الذي ساقه المؤلف إلّا عند البغوي في تفسيره ٢/ ٤٨، وذكرها الزمخشري في الكشاف ١/ ٤٣٤. وتتفق بعض ألفاظ رواية المؤلف مع بعض الروايات الواردة في كتب السنة، وتقرب من بعضها، كما أن بعض ألفاظها بالمعنى. انظر: روايات =

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ . قال أهل المعاني : يعني بالأنفس : بني العم . والعرب لا تستنكر أن تخبر عن ابن العم بأنه نفسه ابن عمه ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) ؛ أراد إخوانكم من الدين^(٢) ، فأجرى^(٣) الأخوة في^(٤) الدين مجرى الأخوة في^(٥) القرابة^(٦) . وإذا^(٧) وقعت النفس على البعيد في النسب ، كان أجدر أن تقع على القريب في النسب والدين ؛ وإنما قلنا هذا ؛ لأن المتكلم لا يقول ادعوا فلاناً وفلاناً ونفسي ؛ لأنه يكون حاضراً .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ ، الابتهاال في اللغة يكون على معنيين :

المباهلة في صحيح البخاري : (٤٣٨٠) في كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران ، وصحيح مسلم : (٢٤٠٤) في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي ، وسنن الترمذي : (٢٩٩٩) ، كتاب التفسير ، باب من سورة آل عمران ، وقال عنه : (حسن صحيح) . مسند أحمد ٢٤٨/١ ، ومستدرک الحاكم ٥٩٤/٢ ، وفاقه الذهبي . مصنف ابن أبي شيبة ٣٨١/٦ رقم الحديث (٣٢١٧٥) ، وسيرة ابن هشام ٢/٢١٥ ، وتفسير الطبري ٣/٢٩٩-٣٠١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٦٧ ، و٦٦٨ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، وأسباب النزول للواحدي ١٠٧ ، ١٠٨ . وأوردها السيوطي في الدر ٢/٦٧-٧٠ ، ونسب إخراج بعض روايات البيهقي في الدلائل ، وابن مردويه ، وعبد بن حميد ، وسعيد ابن منصور . وأوردها ابن كثير في تفسيره ١/٣٩٥ من لفظ ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ، ومن رواية البيهقي في الدلائل ، ومن غيرها من كتب السنة .

(١) سورة الحجرات ١١ وبعدها : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَتَمُّ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰلِغُونَ﴾ .

(٢) في (ج) و(د) : (من المؤمنين) .

(٣) في (ج) : (وأجرى) .

(٤) في (ب) : (من) .

(٥) في (ب) : (من) .

(٦) وقد ذكر ابن خالويه أن من معاني (النفس) : الأخ . ثم استدلل له بقوله -تعالى- في آية ٢٩ من النساء : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ، وقال : (أي إخوانكم) . وقد نقل صاحب اللسان قول ابن خالويه ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ آية ٦١ سورة النور . انظر : (ليس) في كلام العرب ، لابن خالويه ١٩٦ ، ولسان العرب (نفس) ٦/٢٣٤ . وكذا فسرها ابن قتيبة ، فقال : «أي إخواننا وإخوانكم» . تفسير غريب القرآن ١٠٦ .

(٧) في (ج) : (إذا) ، من دون واو .

أحدهما : التضرع إلى الله .

و الثاني : الالتهان ، والدعاء بالبهلة ، وهي اللعنة . يقال : عليه بهلة الله ، وبهلتة ؛ أي لعنته ^(١) .

قال لبيد :

في قُرومٍ سادةٍ من قومهم نَظَرَ الدهرُ إليهم فابْتَهَلَ ^(٢)

(١) ما ذكره المؤلف من معاني الابتهاال ترجع إلى (البهْل)، وهو اللعن . والبَهْلَة بفتح الباء وبضمها تعني : اللعنة . وباهل القوم بعضهم بعضاً ، وتباهلوا ، وابتهلوا ؛ أي تلاعنوا ، وذلك بأن يجتمعوا ويقولوا : لعنة الله على الظالم منّا ؛ وذلك إذا ما اختلفوا في شيء . ومن معاني (بَهْل) : التخلية . ويقولون : (بَهْلْتُهُ) ؛ إذا خلّيته وإرادته ، وأبهل الراعي إبله : إذا تركها ترعى ، أو تركها من الحلب . والباهل من الإبل : التي لا صرّار على صرعها . وأبهلّ الوالي رعيته : إذا أهملها . والمعنيان من واد واحد ؛ لأن اللعن في حقيقته إهمال وإبعاد ، فبَهْلَهُ الله : لعنه وأبعده من رحمته . وهذا هو أصل الابتهاال ، ثم استعمل في كل دعاء يُجْتَهَد فيه ، ويُسَرَّسَل ، ويُتَضَرَّع ، وإن لم يكن التعاناً . و(البَهْلُ) أيضاً الشيء الحقير البسير ، ومنه المال القليل ، والماء القليل . و(التَّهْلُ) : العناء في الطلب . انظر : مجاز القرآن ١/ ٩٦ ، وغريب القرآن لليزيدي ٤٢ ، والزاهر ١/ ٢١٩ ، والصحاح (بهل) ٤/ ١٦٤٢ ، ١٦٤٣ ، ومقاييس اللغة (بهل) ١/ ٣١٠ ، ٣١١ ، والفائق للزنجشري ١/ ١٤٠ ، والكشاف ١/ ٤٣٤ ، واللسان (بهل) ١/ ٣٧٥ .

(٢) البيت ، في ديوانه ١٩٧ ، وقد ورد منسوباً له في تفسير الطبري ٣/ ٢٩٨ ، والزاهر ١/ ٢١٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٤١٥ ، والنكت والعيون للماوردي ١/ ٣٩٨ ، وأساس البلاغة (بهل) ١/ ٧١ ، وتفسير القرطبي ٤/ ١٠٤ . وقد وردت روايته في بعض المصادر السابقة : (في كهول سادة) ، وورد في المصادر السابقة كلها : (. . . من قومه) بدلاً من (. . . من قومهم) . و(قُروم) ، مفرداها : (قُرْم) ، وهو السيد المقدم في الرأي والمعرفة وتجارب الأمور . ويقال كذلك للسيد الرئيس : (مُقَرَّم) . انظر : أساس البلاغة (قرم) ٢/ ٢٤٨ ، والنهاية في غريب الحديث (قرم) ٤/ ٤٩ ، و ٥٠ . وقد فسر الزنجشري في أساس البلاغة : (ابتهل) الواردة في البيت ، فقال : فاجتهد في إهلاكهم . وفسرها د . إحسان عباس محقق الديوان : «سبح ، أو وقف متضرعاً ؛ أي أنه وقف معجباً وهو ينظر إليهم ، أو استشعر ذلة حاله بالنسبة إليهم . . .» .

- أي دعا عليهم بالهلاك . وكلا^(١) المعنيين مروى عن ابن عباس .
- قال^(٢) في رواية الكلبي^(٣) : قوله ﴿ نَبَتَهْل ﴾ ؛ أي نجتهد في الدعاء .
- وقال في رواية عطاء^(٤) : ندع^(٥) الله باللَّعنة على الكاذبين .
- ٦٢ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصَصُ الْحَقُّ ﴾ الآية ؛ أي^(٦) : هذا الذي أوحيناه إليك من الآيات والحجج .
- ف ﴿ هُوَ ﴾^(٧) هاهنا يصلح أن يكون فصلاً وعماداً^(٨) ، ويكون ﴿ الْفَصَصُ ﴾ خبرٌ ﴿ إِنَّ ﴾ . ويصلح أن يكون ﴿ هُوَ ﴾ ابتداءً ، وخبره : ﴿ الْفَصَصُ ﴾ . وهما جميعاً خبرٌ إنَّ^(٩) .
-
- (١) في (ب) : (وكان) ، وفي (ج) و(د) : (وكلي) .
- (٢) (قال) : ساقطة من (ج) .
- (٣) أخرج هذه الرواية أبو نعيم في دلائل النبوة ٣٥٤ ، وهي في تفسير البغوي ٤٨ / ٢ من قول الكلبي من دون أن يرفعها لابن عباس ، وأوردها السيوطي في الدر ٦٩ / ٢ ونسب إخراجها لأبي نعيم . وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٨ / ٢ عن ابن عباس من رواية ابن جريج عنه : « ثَمَّ نَبَتَهْل » : نجتهد .
- (٤) أوردها السيوطي في الدر ٦٩ / ٢ من طريق الكلبي عن ابن عباس ، وعزاها لأبي نعيم في الدلائل ، ولم أجدها فيه ، وقال البغوي في تفسيره ٤٨ / ٢ « قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي يتضرع في الدعاء » .
- (٥) في (د) : (ندعوا) .
- (٦) من قوله : (أي ...) إلى (...) وهما جميعاً خبر إنَّ : نقله بتصرف عن معاني القرآن للزجاج ٤٢٤ / ١ .
- (٧) في (ب) و(ج) : (وهو) . وفي (د) : (هو) ، من دون واو .
- (٨) أي ضمير زائد لا محل له من الإعراب ، وضمير الفصل يسميه الكوفيون العماد ، ويسمى كذلك الدعامة ، هو أحد ضمائر الرفع المنفصلة ، يأتي لإزالة اللبس في الكلام ، فيفصل بين ما أصله مبتدأ وخبر ؛ ليُعلم أن ما بعده خبر عما قبله ، وليس نعتاً له ، وهو يفيد الكلام ضرباً من التوكيد ، ويغلب على الاسم الواقع بعده أن يكون معرفة . انظر : النحو الوافي ٢٤٢ / ١ - ٢٥٠ ، ومعجم الشوارد النحوية ٣٥٥ ، ومعجم المصطلحات النحوية ١٧٣ .
- (٩) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣٣٩ / ١ ، والتبيان للعكبري : ١٩٤ ، الفريد في إعراب القرآن ٥٨٣ / ١ .

وَالْقَصَصُ : مصدر قولهم : قَصَّ فلانُ الحديثَ ، يَقْصُهُ قِصًّا ، وَقَصَصًا^(١) .
وأصله^(٢) : اتَّبَعَ الأثر ؛ يقال : خرج فلانٌ قِصَصًا في أثر فلان ، وَقَصًّا^(٣) ؛
وذلك إذا اقتَصَّ أثره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص : ١١] .
وقيل للقاصِّ يَقْصُ^(٤) لأتباعه خبراً بعد خبر^(٥) ، وَسَوَّاهُ الكلامَ سَوًّا .

فمعنى^(٦) (الْقَصَصُ) : الخبر الذي تَتَابَعُ^(٧) فيه المعاني .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . (مِنْ)^(٨) دخلت توكيداً^(٩) لنفي جميع من
ادَّعى المشركون أَنَّهُم آلهة^(١٠) ؛ أي أن عيسى ليس بإله كما زعموا ، وإِنَّمَا اقتضت
(مِنْ) توكيد النفي ؛ لأن أصلها لا ابتداء الغاية ، فدلَّت^(١١) على استغراق النفي
لا ابتداء الغاية إلى انتهائها^(١٢) .

- (١) قال في اللسان (قصص) ٣٦٥٠/٦ : «والْقَصَّةُ : الخبر ، وهو (الْقَصَصُ) . و(قَصَّ عليَّ خبره ، يَقْصُهُ قِصًّا ، وَقَصَصًا) : أوردته . و(الْقَصَصُ) : الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر ، حتى صار أغلب عليه . و(الْقَصَصُ) بكسر القاف : جمع (الْقَصَّة) التي تكتب» .
(٢) من قوله : (وأصله) إلى (سوقاً) : نقله بتصريف عن تهذيب اللغة (قص) ٢٩٧٧/٣ .
(٣) في (د) : (وقصصا) .
(٤) في (د) : (يقصه) . والمثبت من (ج) . وفي (تهذيب اللغة) : (يَقْصُ الْقَصَصَ) .
(٥) ما بين المعقوفين زيادة لازمة لتمام المعنى ، من (ج) و(د) ، وتهذيب اللغة .
(٦) في (ب) : (لمعنى) .
(٧) في (ب) : (شايع) .
(٨) من قوله : (من ...) إلى (...) : نقله باختصار وتصرف من معاني القرآن للزجاج ٤٢٤/١ .

- (٩) في (ب) : (توكيد) .
(١٠) في (د) : (إله) .
(١١) (فدلَّت على استغراق النفي لا ابتداء الغاية) : ساقط من (د) .
(١٢) (من) هنا جارةٌ . وصلةٌ (أي زائدة) تفيد استغراق نفي الجنس ، أو توكيد العموم .
انظر : كتاب حروف المعاني للزجاجي ٥٦ ، والجنى الداني ٣١٦ ، ٣١٧ .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ أَعَزُّزُ الْحَكِيمُ﴾ . معناه هاهنا^(١) : أنه لا أحد يستحق إطلاق هذه الصفة^(٢) له إلا هو .

٦٣ . قوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ الآية ؛ أي^(٣) : فإن أعرضوا عما أتيت به من البيان ، فإن الله يعلم من يُفسد^(٤) خلقه فيجازه على إفساده .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾ الآية^(٥) . الخطاب لنصارى نجران ؛ عند الحسن^(٦) ، والسدي^(٧) ، وابن زيد^(٨) ، ومحمد بن جعفر بن الزبير^(٩) .

وليهود المدينة ؛ عند قتادة^(١٠) ، والربيع^(١١) ، وابن جريج^(١٢) .

-
- (١) في (ب) : (هنا) .
 (٢) في (ج) : (القصة) .
 (٣) من قوله : (أي ...) إلى (...) على إفساده) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزجاج ٤٢٤ / ١ .
 (٤) في معاني القرآن : (يفسد من خلقه) .
 (٥) (الآية) : ساقطة من (د) .
 (٦) قوله في النكت والعيون ٣٩٩ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٠٥ / ٤ .
 (٧) قوله في تفسير الطبري ٣٠٢ / ٣ ، والنكت والعيون ٣٩٩ / ١ ، والمحزر الوجيز ١٥٤ / ٣ ، وزاد المسير ١ / ٤٠٠ ، والقرطبي ١٠٥ / ٤ ، والدر المنثور ٧١ / ٢ .
 (٨) قوله في تفسير الطبري ٣٠٢ / ٣ ، والنكت والعيون ٣٩٩ / ١ ، والمحزر الوجيز ١٥٤ / ٣ ، وتفسير القرطبي ١٠٥ / ٤ .
 (٩) قوله في سيرة ابن هشام ٢ / ٢١٥ من رواية ابن إسحاق عنه ، تفسير الطبري ٣٠٢ / ٣ ، والمحزر الوجيز ٣ / ١٥٤ ، والدر المنثور ٧١ / ٢ .
 (١٠) قوله في تفسير الطبري ٣٠٢ / ٣ ، والنكت والعيون ٣٩٩ / ١ ، والمحزر الوجيز ١٥٤ / ٣ ، وزاد المسير ١ / ٤٠٠ ، وتفسير القرطبي ١٠٥ / ٤ ، والدر المنثور ٧١ / ٢ وزاد نسبة إخراج له عبد بن حميد .
 (١١) قوله في تفسير الطبري ٣٠٢ / ٣ ، والنكت والعيون ٣٩٩ / ١ ، والمحزر الوجيز ١٥٤ / ٣ ، وزاد المسير ١ / ٤٠٠ ، والدر المنثور ٧١ / ٢ .
 (١٢) قوله في تفسير الطبري ٣٠٢ / ٣ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٦٦٩ ، والنكت والعيون ٣٩٩ / ١ ، والمحزر الوجيز ٣ / ١٥٤ ، وزاد المسير ١ / ٤٠٠ ، والدر المنثور ٧١ / ٢ .

وعند بعضهم^(١) : الخطاب لهما جميعاً^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ . معنى^(٣) الكلمة : كلامٌ فيه شرح قصّة ، وإن طال ؛ ولذلك يقول^(٤) العرب للقصيدة : (الكلمة)^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿سَوَّيْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ . [يريد بـ(السواء) : العدل ، وكذلك في قراءة عبدالله (إلى كلمة عدل بيننا وبينكم)]^(٦) .

(١) ومنهم عمر بن عبدالعزيز ، كما في تفسير ابن أبي حاتم ٦٦٩ / ٢ ، ونُسب القول به إلى الحسن ، كما في زاد المسير ٤٠٠ / ١ ، وكذلك جعلها الطبري عامّة لأهل الكتابين . انظر : تفسيره ٣ / ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وإليه ذهب المؤلف الواحد في تفسيره (الوجيز) (مطبوع بهامش تفسير مراح ليبد) ١ / ١٠٢ .

(٢) رجح الطبري هذا الرأي ، مستدلّاً بعدم تخصص من أثر صحيح لأحد الفريقين من دون الآخر ، وليس أحدهما أولى بأن يُقصد من دون الآخر ، وقال : «فالواجب أن يكون كل كتابي معنىً به ؛ لأن أفراد العبادة لله وحده وإخلاص التوحيد له ، واجب على كل مأمور منهي من خلق الله ، واسم أهل الكتاب يلزم أهل التوراة والإنجيل ، فكان معلوماً بذلك أنه عني به الفريقان جميعاً» . تفسيره ٣ / ٣٠٢ ، ٣٠٣ . وإليه ذهب ابن كثير في تفسيره ٣٩٨ / ١ ، والشوكاني في فتح القدير ١ / ٥٢٥ . واستظهر ابن عطية أن الآية نزلت في وفد نجران ، إلا أن لفظ (أهل الكتاب) يعمهم ، ويعم سواهم من النصارى واليهود . انظر : المحرر الوجيز ٣ / ١٥٤ .

(٣) من قوله : (معنى) إلى (الكلمة) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٢٤ .

(٤) في (ج) و(د) : (تقول) .

(٥) وهو من باب إطلاق الجزء ، ويراد به الكلُّ ، وسُمّيت القصيدة بذلك ؛ لأنها بمجموعها وارتباط بعضها ببعض ، صارت في قوة الكلمة الواحدة . وقد تطلق الكلمة وهي واحد (الكلم) ، ويراد بها الكلام ، وذلك على سبيل المجاز . يقول ابن مالك :

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقم اسمٌ وفعلٌ ثمَّ حرفٌ الكَلِم
واحدٌ كَلِمَةٌ والقَوْلُ عَم وكَلِمَةٌ بها كلامٌ قد يُؤم

فالكلمة قد يُؤمُّ بها الكلام ؛ أي قد تطلق على الكلام ، وهو اللفظ المفيد المتركب من كلمتين أو أكثر . انظر : شرح ابن عقيل ١ / ١٦ ، والنحو الوافي ١ / ١٧ . ومن ذلك قول النبي ﷺ : «أصدق كلمة قالها الشاعر كبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل» . أخرجه البخاري في صحيحه : (٣٨٤١) في كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية ، وأخرجه ابن ماجه في سننه : (٣٧٥٧) في كتاب الأدب باب الشعر .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (د) . وانظر : قراءة عبدالله بن مسعود ، وهي قراءة تفسيرية ، في معاني =

قال ابن قتيبة^(١) : ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ ؛ أي نَصَفٍ . يقال : دعا إلى السواء ؛ أي إلى النَّصْفَةِ ؛ وإنما قيل لـ (النَّصْفَةِ) : (سواءً) ؛ لأنَّ أعدل الأمور أوساطها^(٢) .

وقال الزَّجَّاج^(٣) : ﴿سَوَاءٌ﴾ : نعتٌ للكلمة ، يريد : ذات سواء . وذكرنا الكلام في معنى ﴿سَوَاءٌ﴾ في ابتداء سورة البقرة .

والمعنى : إلى كلمة عادلة مستقيمة مستوية ، إذا أتيناها نحن وأنتم كنَّا على السواء والاستقامة . ثم قال : ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ . موضع^(٤) ﴿أَنَّ﴾ : خَفُضٌ على البدل من ﴿كَلِمَةٍ﴾ ، المعنى : تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله . وهذا تفسير للكلمة^(٥) .

قال الزَّجَّاج^(٦) : وجائز أن تكون في موضع (رفع) ؛ كأن قائلًا قال : ما الكلمة ؟ فأجيب ، فقيل : هي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ ، أي لا نعبد معه غيره . يقال : أشرك معه فلاناً ؛ أي جعله شريكه ، وأشرك بالله غيره ؛ أي عبده مع عبادة الله ، فمعنى

= القرآن للفراء ١/ ٢٢٠ ، وتفسير الطبري ٣/ ٣٠٣ ، والمحزر الوجيز ٣/ ١٥٥ ، والبحر المحيط ٢/ ٤٨٣ .

(١) في تفسير غريب القرآن له ١٠٦ ، ونقله عنه بتصريف واختصار .
(٢) وعبارة ابن قتيبة أوضح ، وهي : «وسواء كل شيء وسطه . ومنه يقال للنَّصْفَةِ : (سواء) ؛ لأنها عدلٌ . وأعدل الأمور : أوساطها» . والنَّصْفَةُ ، والنَّصْفُ : العدل . والمصدر : الإنصاف . انظر : القاموس (نصف) ٨٥٦ .

(٣) في معاني القرآن له ١/ ٤٢٥ ، ونقله عنه بالمعنى .
(٤) من قوله : (موضع ...) إلى (...) فقيل : هي أن لا نعبد إلا الله : نقله بنصه مع تصرف يسير عن معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٤٢٥ .

(٥) قوله : (وهذا تفسير للكلمة) : من قول المؤلف وليس من قول الزَّجَّاج .
(٦) في المصدر السابق .

(٧) وهناك توجيهات إعرابية أخرى لها ، انظرها في الدر المصون ٣/ ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

الباء ، معنى (مع)^(١) ، وفي الباء وجه آخر ، ذكرنا^(٢) عند قوله : ﴿سُئِلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٥١] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس^(٣) : يريد : كما اتخذت النصراني عيسى ، واتخذت بنو إسرائيل عزيراً .

قال الزَّجَّاج^(٤) : أي نرجع إلى أنَّ^(٥) معبودنا الله عز وجل ، وأن عيسى بشر ، كما أننا بشر ، فلا نتَّخذُه^(٦) ربّاً .

وقال بعضهم^(٧) : معناه : لا نطيع في المعاصي أحداً . والله - تعالى - أخبر عن اليهود والنصارى لما^(٨) أطاعوا في معصيته^(٩) علماءهم ، فإنهم اتخذوا^(١٠) من دونه

(١) انظر في إتيان الباء بمعنى (مع) : رصف المباني ٢٢٢ ، ومغني اللبيب ١٤٠ ، وتناوب حروف الجر ٩٤ .

(٢) في (د) : (ذكرناه) .

(٣) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه .

(٤) في معاني القرآن له ٤٢٦ / ١ . نقله عنه بنصه .

(٥) (أن) : ساقطة من (د) .

(٦) في (ج) : (نتخذوه) .

(٧) ومنهم ابن جريج ، كما في تفسير الطبري ٣ / ٣٠٤ وإليه ذهب الطبري ، تفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٧٠ ، والنكت والعيون ١ / ٣٩٩ ، وزاد المسير ١ / ٤٠٢ ، والدر المنثور ٢ / ٧١ ، وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر .

(٨) في (د) : (بها) .

(٩) في (ج) : (في معصية الله) .

(١٠) اتخذوا : غير مقروءة في (أ) ، ومثبتة من بقية النسخ .

آلِهَةً ، فقال : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(١) . وفي الخبر : (من أطاع مخلوقاً في معصية الله ، فكأنما سجد سجدة لغير الله) ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ قَوْلُوا ﴾ ؛ أي إنْ أعرضوا عن الإجابة ^(٣) ، فقابلوا أنتم إعراضهم عن الحقِّ بخلافه ؛ للإنكار عليهم ، وقولوا : ﴿ أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . أي مقرون بالتوحيد مستسلمون لما أتنا به الأنبياء .

٦٥ . قوله تعالى : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْمُكَتَبَ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية ^(٤) .

قال ابن عباس ^(٥) ، والسدي ^(٦) ، وقتادة ^(٧) : اجتمعت اليهود ، ونصاري نجران عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا في إبراهيم ، فقالت اليهود : ما كان إلّا يهودياً ، وقالت النصاري : ما كان إلّا نصرانياً ؛ فنزلت هذه الآية .

وقوله ^(٨) تعالى : ﴿ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . يريد : إن اليهودية حدثت بعد نزول التوراة ، والنصرانية بعد نزول الإنجيل .

(١) سورة التوبة : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] . انظر في : تفسيرها تفسير الطبري ١٠/ ١١٤ .

(٢) لم أقف على مصادر هذا الخبر .

(٣) في (أ) : (عن الآية) . وفي (ب) : (عن الحق) ، والمثبت من (ج) و(د) والتفسير الوسيط للمؤلف .

(٤) الآية : ساقطة من (د) .

(٥) قوله في سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٥ ، وتفسير الطبري ٣/ ٣٠٥ ، وزاد المسير ١/ ٤٠٢ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩٩ ، والدر المنثور ٢/ ٧٢ ، وزاد نسبة إخراجها إلى البيهقي في الدلائل ، وأورده السيوطي في لباب النقول ٥٣ .

(٦) قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٧١ ، وزاد المسير ١/ ٤٠٢ ، والدر المنثور ٢/ ٧٢ .

(٧) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٠٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٧١ .

(٨) (قوله) : ساقطة من (ج) .

وإنما أنزلت التوراة والإنجيل بعد مهلك إبراهيم بزمان طويل ، وليس في الكتابين اسمه بواحد من [دين]^(١) اليهود والنصارى .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ؛ أي فساد هذه الدعوى ؛ إذ العقل يزجر عن الإقامة على دعوى بغير حجة ، فكيف بها ظهر فسادها بالمناقضة ؟

٦٦ . وقوله تعالى : ﴿ هَتَأْتُمْ ﴾ ، اختلفوا فيه ؛ فقرأ ابن كثير^(٢) من طريق قُنبَل^(٣) : ﴿ هَتَأْتُمْ ﴾^(٤) ، بِوَزْنِ (هَعْتُمْ)^(٥) ، أُبْدِلَ^(٦) من همزة الاستفهام الهاء ؛ أراد : أنتم^(٧) . والهمزة قد تُبدل هاء^(٨) ، كقولهم : (أرقت الماء) ، و(هرقته)^(٩) ، و(إبرية) و(هبرية)^(١٠) .

-
- (١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .
- (٢) هو أبو معبد ، عبدالله بن كثير الداري المكي . إمام المكيين في القراءة ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، توفي سنة (١٢٠ هـ) . انظر : الفهرست ٤٨ ، ومعرفة القراء الكبار ٨٦ / ١ ، والنشر ١٢٠ / ١ .
- (٣) في (أ) : (قتيل) . والمثبت من بقية النسخ .
- وقُنبَل ، هو أبو عمر ، محمد بن عبدالرحمن المخزومي مولاهم المكي . ولد سنة (١٩٥ هـ) ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز ، أحد رواة قراءة ابن كثير ، توفي سنة (٢٩١ هـ) . انظر : معرفة القراء الكبار ٢٣٠ / ١ ، والنشر ١٢٠ / ١ ، والبدور الزاهرة ٨ .
- (٤) في (ج) و(د) : (هاتم) .
- (٥) انظر : الحجة للفارسي ٤٦ / ٣ ، والكشف لمكي ٣٤٦ / ١ .
- (٦) من قوله : (أبدل . . .) إلى (. . . الاستفهام في أنتم تقرير) : نقله عن الحجة للفارسي ٤٦٤٧ / ١ ، ونقل بعض عباراته بالنص ، وبعضها بالمعنى ، وتصرف وزاد في بعضها .
- (٧) في (د) : (أنتم) .
- (٨) في (ج) : (نبدها) .
- (٩) في (ج) : (وأهرقته) .
- (١٠) في (أ) و(ب) : (إبريه ، وهيريه) . وفي (ج) : (إبره وهبره) ، وفي (د) : (اره وهيريه) . وما أثبتته هو ما استصوبته ؛ نظراً لقربه من رسم الكلمتين في نسخة (ج) . أما (إبريه وهيريه) فلم أقف عليها في كتب اللغة التي رجعت إليها ، ولم ترد مثلاً في ما رجعت إليه من كتب الاختصاص في باب الإبدال ، إلا ما ورد في سر صناعة الإعراب لابن جني ٥٥٣ ، ومن تمثيله لهذا الإبدال بـ(هبر ، وهير) و(أير وإير) وهي من أساء الصبأ ، وقيل : من أساء ريح الشمال . ولكنني استبعدتها ، وأثبت ما هو أقرب إلى رسم =

وهذا كإبدالهم من الباء^(١)، الواو في قولهم: (والله)، ومن الواو التاء في (تالله)^(٢)، فهذه حروف مفردة قد وقع الإبدال منها.

ولا^(٣) يجوز أن يكون أراد ﴿هَاتِنْتُمْ﴾، و(ها) للتنبيه، ثم حذف الألف، فصار: (هاتنتم)، كما حذف الألف من (ها) في (هَلَمْ)؛ لأن الحروف لا يحذف منها إلا إذا كان فيها تضعيف، وليس ذلك في (ها)، وإنما حذفت من (هَلَمْ)؛ لأن اللام التي هي فاء، في تقدير السكون؛ لأن (تَلَمْ)؛^(٤) كان في الأصل: (تَلُمُّم)^(٥)، و(لَمْ) أصله^(٦): (المُّم)، فهي^(٧) متحركة بحركة منقولة إليها، والحرف المتحرك

الكلمة المثبتة، وهي: ال(إبرية) وال(هبرية)، وهي ما تعلق بأسفل الشعر مثل النخالة من وسخ الرأس، أو ما طار من الريش ونحوه. وقد تكون الكلمة المرادة، هي: (أبرته)، و(هبرته)، فكتب الناسخ النقط تحت التاء فكانت ياء. ومعناها: قطعته، من (هبر، يهبر، هبراً): قطع قطعاً كبيراً. والهبر: قطع اللحم، وهبرت له من اللحم هبرة: قطعت له قطعة، ومنه: هبره بالسيف؛ أي ضربه وقطعه. انظر: اللسان (هبر) ٨/٤٦٠٣، و(هير) ٨/٤٧٣٥، والممتع ١/٣٩٩، وارتشاف الضرب ١/١٣٠، ونزهة الطرف لابن هشام ١٥٨.

(١) في (ب) و(د): (التاء).

(٢) الأصل فيها (باله)، ثم أبدلت الواو من الباء، ثم أبدلت التاء من الواو، ويدل على ذلك: أولاً: أن الباء توصل القسم إلى المقسم به؛ كقولنا: أحلف بالله.

ثانياً: أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر؛ كقولنا: بالله لأقومن، وبه لأقعدن. والواو لا تدخل على المضمر ألبة، فقتول: والله لأضربنك. فإذا رجعنا إلى المضمر قلنا: به لأضربنك. وهذا هو رأي الجمهور. ونقل ابن هشام عن قطرب وغيره أن التاء غير مبدلة من الواو، وإنما هي حرف مستقل. انظر: سر صناعة الإعراب ١٢١، و١٤٣، و١٤٤، و٦٤٥، والممتع في التصريف ١/٣٨٤، وارتشاف الضرب ١/١٥٦، ونزهة الطرف لابن هشام ١٦١.

(٣) في (ج): (لا)، من دون واو.

(٤) في (د): (لم).

(٥) في (د): (لمم).

(٦) في (ج): (بصله).

(٧) يعني: اللام، الذي هو فاء الكلمة (لم).

بالحركة المنقولة ، قد تكون في نيّة السكون ؛ كقولهم : (الْحَمْرُ)^(١) ، فاللام^(٢) في تقدير^(٣) سكون ؛ بدلالة تقدير الهمزة التي للوصل معها ، وكذلك اللام في (هَلُمَّ) ، وإذا كان في نية سكون ، استقام حذف الألف من (ها) كما يُحذف لالتقاء الساكِنَيْن ، وليس ذلك في (هَأَنْتُمْ)^(٤) ؛ فإذا كان كذلك لم يستقم الحذف فيه ، كما جاء في (هَلُمَّ) .

ومعنى الاستفهام في (أَنْتُمْ)^(٥) : تقرير^(٦) .

وقرأ نافع وأبو عمرو (ها أنتم)^(٧) استفهاماً من غير همز ولا مَدَّ^(٨) . و(ها)^(٩) في هذه القراءة للتنبيه ، دخلت على (أَنْتُمْ) ، وخُفِّفَتْ^(١٠) الهمزة في (أَنْتُمْ) ؛ لوقوعها بعد أَلِفٍ ، كما تقول في (هَبَاءَةٍ) : (هَبَايَةٍ)^(١١) ملئنة الهمزة ، وفي

(١) (الحمر) : ساقطة من (د) . وضبطها في الحجة بضم الراء .

(٢) في (د) : (اللام) ، من دون واو .

(٣) (تقدير) : ساقطة من (د) .

(٤) في (ب) : (ها أَنْتُمْ) .

(٥) هكذا وردت في النسخ جميعها . وفي الحجة : (أَنْتُمْ) ، وهي الأصوب .

(٦) في (أ) و(ب) و(ج) : (تقدير) . وفي (د) : (تقديره) . والمثبت من الحجة ، وهو الصواب .

(٧) في (ج) : (هَأَنْتُمْ) .

(٨) الذي أوردته كتب القراءات من قراءة نافع وأبي عمرو : أنها كانا يقرأنها ممدودة ، من غير همز ، على الاستفهام . وقول المؤلف : (بلا مَدَّ) ؛ يعني : بلا مَدَّ كثير . فقد كانا يمدان قليلاً بقدر خروج الألف الساكنة . فهذا هو توجيه قول المؤلف والله أعلم . انظر : السبعة ٢٠٧ ، والحجة للفارسي ٤٦/٣ ، وحجة القراءات ١٦٥ ، والكشف لمكي ٣٤٦/١ ، وتفسير الفخر الرازي ٩٨/٤ .

وقال ابن مجاهد في السبعة ٢٠٧ : «وروى علي بن نصر عن أبي عمرو استفهاماً مُخَفِّفاً بلا همز . وقال أحمد بن صالح عن ورش وقالون عن نافع : ممدوداً غير مهموز» .

(٩) من قوله (و(ها) . . .) إلى (وكذلك في كثير من المواضع البدل يكون في حكم المبدل منه) : نقله عن الحجة للفارسي ٤٧/١-٥٠ نقل بعض عباراته بالنص وبعضها بالمعنى ، وتصرف في بعضها بالاختصار والزيادة .

(١٠) في (ج) : (فخففت) .

(١١) (هباية) : مطموسة في (أ) . وفي الحجة : (هباة) . والمثبت من بقية النسخ .

(المسائل)^(١) : (المسائل) . ويجوز أيضاً على^(٢) هذه القراءة : أن يكون^(٣) الهاء بدلاً من همزة الاستفهام ، كما ذكرنا في قراءة ابن كثير ، ودخلت الألف التي تدخل للفصل بين الهمزتين في مثل قولك : (أأأنتم)^(٤) ، و(قُلْ أأالذكرين)^(٥) [الأنعام: ١٤٣] في قراءة أبي عمرو^(٦) .

فإن قيل : إن الألف إنما تدخل للفصل بين المثليين ، واجتماع المثليين قد زال هاهنا بإبدال الهاء من الهمزة^(٧) ، فلا يحتاج إلى الألف ؛ ألا ترى أن من قال : (هراق) ، قال : (أهريق) ، ولم يحذف^(٨) الهاء مع الهمزة ، كما يحذف^(٩) إذا قال : (أريق) ؛ لزوال اجتماع المثليين . قيل : إن البديل قد يكون في حكم المبدل عنه ، ألا ترى أنك لو سميت رجلاً : بـ(هريق) ، لم تصرفه كما لا تصرف مع الهمزة ؛ لأن حكم الهاء حكم الهمزة ، وكذلك في كثير من المواضع ، البديل يكون في حكم المبدل عنه .

والهباء : القطعة من الهباء . والتراب الذي تطيره الريح ويلزق على الأشياء ، ويرى في ضوء الشمس . انظر : اللسان (هبا) ٨ / ٤٦٠٩ ، والمعجم الوسيط (هبا) ٩٨٠ .

- (١) (المسائل) : ساقطة من (ج) .
- (٢) في (ج) : (من) .
- (٣) في (د) : (تكون) . وفي (ج) : مهملة في النقط .
- (٤) في (د) : (انتم) . وقد وردت هذه المفردة في الآية ١٤٠ من سورة البقرة ، و١٧ من الفرقان ، و٥٩ ، و٦٤ ، و٦٩ ، و٧٢ ، ومن الواقعة ، و٢٧ من النازعات .
- (٥) في (ب) : (أأالذكرين) وفي (د) : (الذكرين) . وهي مقطع من الآيتين ١٤٣ ، و١٤٤ من سورة الأنعام .
- (٦) انظر : حجة القراءات ١٦٥ ، والكشف ١ / ٣٤٦ ، والنشر ١ / ٣٦٤ .
- (٧) في (د) : (الهمز) .
- (٨) في (ب) و(ج) : (تحذف) .
- (٩) في (ب) : (تحذف) .

وقرأ أهل الكوفة^(١): (ها أنتم)^(٢) بالمد في (ها)، وتحقيق الهمزة في (أنتم)، ويكون^(٣) (ها) في قولهم، حرف التنبيه، ولا يكون الهاء بدلاً من همزة الاستفهام، كما يجوز^(٤) أن يكون بدلاً منها في قراءة أبي عمرو؛ ولأنهم^(٥) لا يرون إدخال الألف بين الهمزتين.

فإن قيل: ما وجه التنبيه^(٦) بـ ﴿هَآأَنْتُمْ﴾ مع أنه لا يُنبّه الإنسان على نفسه، وإنما يُنبّه على ما أغفله؟ قيل: إن التنبيه^(٧)، وإن كان على ما أغفله من حاله، فإنه يُنبّه بذكر ما يعلم على ما لا يعلم، فلذلك خرج التنبيه على النفس، والمعنى: على حال النفس.

وقوله تعالى: ﴿هَآؤَآءَ﴾ في موضع النداء، يعني: يا هؤلاء^(٨). وقد ذكرنا زيادة بيان عند قوله: ﴿هَآأَنْتُمْ أَوْآءَ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

(١) يعني بهم عاصماً، وحمزة، والكسائي، وهم من أهل الكوفة، وقرأ بها كذلك ابن عامر. انظر: السبعة ٢٠٧، والحجة للفراسي ٤٦/٣.

(٢) في (د): (هانتهم).

(٣) من قوله: (ويكون...) إلى (... إدخال الألف بين الهمزتين): نقله مع التصرف عن الحجة للفراسي ٥١/٣.

(٤) في (ج): (لا يجوز).

(٥) في (ج): (لأنهم)، من دون واو.

(٦) في (د): (التثنية).

(٧) في (ج): (قيل خرج التنبيه).

(٨) لا يجوز عند البصريين حذف حرف النداء من أسماء الإشارة، وأجازه الكوفيون. انظر: كتاب سيبويه ٢٢٩/٢، والمقتضب ٢٥٨/١، وشرح المفصل ١٥/٢، والتبيان ١٩٥، وفي الآية وجوه أخرى من الإعراب، استوعبها السمين الحلبي في الدر المصون ٣/٢٤٠-٢٤٢، وانظر المرجع نفسه ١/٤٧٤-٤٧٨.

وقوله تعالى : ﴿ حَبِجَّتُمْ ﴾ ؛ أي جادلتهم ، وخاصمتهم ^(١) . وَيُسَمَّى الجِدَال بِحُجَّةٍ أو شبهة حجاجاً ؛ لأن صاحب الشبهة ^(٢) يُوهِم أن معه حُجَّة .

وقوله تعالى : ﴿ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ . قال السدِّي ^(٣) : هو ما وجدوه في كتبهم ، وأنزل عليهم [بيانه] ^(٤) وقصته ^(٥) .

وقال آخرون ^(٦) : يعني : في أمر محمد عليه السلام ^(٧) ؛ لأنهم كانوا يعلمونه بما يجدون من نعته في كتبهم ، وحاجُّوا ^(٨) فيه بالباطل .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ؛ أي لم تجادلون في شأن إبراهيم ، وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً ، والله يعلم شأن إبراهيم ، وأنه لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، وأنتم لا تعلمون ؟ فينبغي أن [تلتمسوا] ^(٩) حَقُّهُ من باطله ؛ إذ لا تعلمون أنه كان يهودياً ونصرانياً . ثم بين حال إبراهيم ، فقال :

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢٨٣/١ ، وتفسير الطبري ٣٠٦/٣ .

(٢) في (ب) : (المشبهة) .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣٠٦/٣ تفسير ابن أبي حاتم ٦٧٢/٢ .

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وفي (ب) : (خبره) . والمثبت من (ج) و(د) .

(٥) ونص قول السدي ، كما في تفسير الطبري : «أما الذي لهم به علم ؛ فما حُرِّم عليهم ، وما أمروا به ، وأما الذي ليس لهم به علم ؛ فشأن إبراهيم» . ولعل المؤلف ساقه هنا بمعناه ؛ أي ما وجدوه محرماً ، وما أمروا به في كتبهم . . . إلخ .

(٦) قد يعني بهم قتادة ، وأبا العالية ، والربيع ، فقد ورد عنهم في معناها : (في ما شهدتم ورأيتم وعانيتم) . انظر : تفسير الطبري ٣٠٦/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٧٢/٢ ، والذي شهدوه ورأوه وعانوه هو أمر النبي ﷺ ورسالته .

(٧) في (د) : (ﷺ) .

(٨) في (ج) و(د) : (فحاجوا) .

(٩) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . ومثبت من بقية النسخ .

٦٧. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ الآية . نَزَّهَهُ وَبَرَّاهُ مِنَ الدِّينَيْنِ ،
ووصفه بدين الإسلام .

واليهودية والنصرانية صفتا دَمٍّ ، ما تَعَبَّدَ^(١) بهما قط ؛ [لأنَّ موسى لم يكن
يهودياً^(٢)] ^(٣) ، وعيسى لم يكن نصرانياً ، مع قوله : ﴿إِنَّ أَلَدَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
[آل عمران : ١٩] .

فاليهودية^(٤) مِلَّةٌ مُحَرَّفَةٌ عن شريعة موسى ، والنصرانية مِلَّةٌ مُحَرَّفَةٌ عن شريعة
عيسى عليهما السلام .

فإن قيل : الله - تعالى - أخبر^(٥) أن^(٦) إبراهيم كان^(٧) مُسْلِماً ، فهل كان
إبراهيم على جميع ما نحن عليه من شريعة الإسلام ؟ قيل : إنه كان مسلماً ، وإن
كان على بعض شريعتنا ؛ لأنَّ تلاوة القرآن واجبة في صلاتنا ، ولم ينزل القرآن إلَّا
على نبينا ﷺ^(٨) ، والدليل على أنه كان مسلماً بإقامة بعض الشريعة أن أصحاب
النبي ﷺ كانوا مسلمين في الابتداء قبل استكمال الشريعة^(٩) .

(١) في (ج) : (لم يتعبد) .

(٢) (لم يكن يهودياً) : ساقطة من (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) ، ومثبت من بقية النسخ .

(٤) في (ج) : (واليهودية) .

(٥) في (ب) : (أخبر الله تعالى) .

(٦) في (ج) : (عن) .

(٧) في (ج) : (أنه كان) .

(٨) يعني المؤلف بقوله هذا : أن إبراهيم - عليه السلام - كان مسلماً ، وإن لم توافق فروع شريعته فروع
شريعتنا جميعها ، حيث لا يمكن ذلك بوجه أصلاً ، فَمَنْ فروع شريعتنا وجوب تلاوة القرآن في
صلاتنا ، ولم يكن ذلك من فروع شريعته ؛ لأنه معروف بديهية أن القرآن نزل على النبي محمد ﷺ ، ولم
ينزل على نبي غيره .

(٩) انظر : بيان ذلك في روح المعاني ٣ / ١٩٦ .

٦٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ . أَوْلَى : أفعل ، من (الْوَلَّى) الذي هو الْقُرْبُ^(١) ؛ أي أقرب الناس إلى إبراهيم ، وأحقهم به الذين^(٢) اتَّبَعُوهُ على دينه وَمِلَّتِهِ . ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ . يعني محمداً عليه السلام . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ . يعني بمحمد^(٣) ﷺ من المهاجرين والأنصار والتابعين .

قال الزَّجَّاجُ^(٤) ؛ أي فهم الذين ينبغي أن يقولوا : إِنَّا على دين إبراهيم . وفي هذا بيان أَنَّ^(٥) الْأَوَّلَى بِالْإِنْسَانِ الْمُوَافِقَ لَهُ فِي دِينِهِ ، دون ولده ، ومن يرجع إليه في نسبه ، ممن يخالفه في مذهبه ، ولا يُعْتَدُّ^(٦) بالولادة أو نحوها من القرابة في عقد الولاية .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . ذكرنا ما فيه عند قوله : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٧) الآية^(٨) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (ولي) ١٥ / ٤٤٨ ، والمجمل (ولي) ٩٣٦ .

(٢) في (ب) و(ج) و(د) : (للذين) .

(٣) في (ج) و(د) : (لمحمد) .

(٤) في معاني القرآن له : ١٠ / ٤٢٧ ، ونقله عنه بنصه .

(٥) (أَنْ) : ساقطة من (ج) .

(٦) في (ج) و(د) : (لثلا يعتبر) .

(٧) سورة البقرة ٢٥٧ . ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ﴾ .

(٨) (الآية) : ساقطة من (د) .

٦٩. قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ؛ أي تَمَنَّتْ^(١) . وذكرنا الكلام فيه عند قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾^(٢) الآية^(٣) .

﴿طَائِفَةٌ﴾ ، الطائفةُ ، معناها في اللغة : القطعة من كل شيء . يقال : طائفةٌ من الناس ، وطائفة من الليل^(٤) .

قال بعض أهل اللغة : الطائفة الفرقة ؛ سُمِّيَتْ بها لتصرفها في الإقبال والإدبار ، كأنها تطوف^(٥) ؛ كقولهم : الإنسان^(٦) دَيُّورٌ ودَيَّارٌ ؛ لكثرة دورانه^(٧) .

- (١) انظر : تفسير الطبري ٦/ ٥٠٠ ، ومفردات ألفاظ القرآن (ودد) ٨٦٠ .
- (٢) سورة البقرة ٩٦ . ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَجِّحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعْمَرَ وَاللَّهُ بِصِيرُهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ .
- (٣) (الآية) : ساقطة من (ج) و(د) .
- (٤) انظر (طوف) : في تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٤ ، واللسان ٥/ ٢٧٢٢ . قال الراغب : «الطائفة من الناس : جماعة منهم ، ومن الشيء : القطعة منه . . . وقال بعضهم : قد يقع ذلك على واحد فصاعداً» .
- مفردات ألفاظ القرآن (طوف) ٥٣٢ . ويبيِّن ابن فارس : «أن كل جماعة يمكن أن تحفَّ بشيء فهي عندهم طائفة . ولا يكاد هذا يكون إلَّا في اليسير ثم يتوسعون في ذلك من طريق المجاز ، فيقولون : أخذت طائفةً من الثوب ؛ أي قطعة منه . وهذا على معنى المجاز ؛ لأن الطائفة من الناس ، كالفرقة والقطعة منهم» مقياس اللغة (طوف) ٣/ ٤٣٣ .
- (٥) لم أقف على من قال بهذا القول ، ولكن معناه صحيح ، قال ابن فارس : «الطاء والواو والفاء ، أصل واحدٌ صحيح ، يدل على دوران الشيء على الشيء وأن يحفَّ به» ثم قال : «فأما الطائفة من الناس ، فكأنها جماعة تطيف بالواحد أو بالشيء» . المقياس (طرف) ٣/ ٤٣٢ .
- (٦) في (ج) و(د) : (للإنسان) .
- (٧) في (ب) : (مداراته) . وفي اللسان (دور) : « . . . وما بالدَّارِ دُورِيٌّ ولا دَيَّارٌ ، ولا دَيُّورٌ على إبدال الواو من الياء ؛ أي ما بها أحدٌ ، لا يُستعمل إلَّا في النفي ، وجمع الدَّيَّارِ ، والدَّيُّورُ لو كُسِرَ : دواويرٌ» ٣/ ١٤٥٠ . انظر : الزاهر ١/ ٣٦٦ ، والصحاح (دور) ٢/ ٦٦٠ . ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَ نوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح : ٢٦] . وانظر : تفسير أبي السعود ٩/ ٤١ .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ . ولم يقل : أَنْ يُضِلُّونَكُمْ ؛ لأن (لو)^(١) أوفق مع التمني^(٢) ، فإنَّ^(٣) قولك : لو كان كذا ، تَمَنَّ [منك]^(٤) تمنيته^(٥) لِكُونِهِ^(٦) . ومثله قوله : ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦] ، وقد مرَّ .

والإضلال^(٧) في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد . يقال : أضللت فلاناً ، إذا وجَّهته للضلال عن الطريق فلم ترشده .

نزلت هذه الآية في نَفَرٍ من اليهود . قال ابن عباس^(٨) : هم قُرَيْظَةُ والنَّصِير وبنو قَيْنِقَاع ؛ أرادوا أَنْ يَسْتَنْزِلُوا^(٩) المسلمين عن دينهم ويردوهم إلى الكفر^(١٠) .

(١) في (ج) : (أو) .

(٢) في (ج) : (التمني) .

(٣) في (ب) : (وإن) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و(د) .

(٥) (تمنيته) : ساقطة من (ج) و(د) .

(٦) انظر : رصف المباني ٣٦٠ ، والجنى الداني ٢٨٨ .

(٧) من قوله : (والإضلال ...) إلى (...) عن الطريق) : نقله بنصه عن تهذيب اللغة (ضلل) ٣/ ٢١٢٨ . وقال الطبري : «والإضلال في هذا الموضع : الإهلاك» ، ولم يختلف المعنى ؛ لأن الإهلاك من نتائج الإضلال ولوازمه . وقد بيَّن الطبري نفسه هذا الأمر فقال في الصفحة نفسها : «... لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الإسلام ، ويصدونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر ، فيهلكونكم بذلك» . تفسيره ٣/ ٣٠٤ .

لذا قال ابن عطية عن تفسير الطبري لهذه اللفظة بالهلاك : «وهذا تفسير غير خاص باللفظة ، وإنما أطرد له ؛ لأن هذا الضلال في الآية اقترن به الهلاك ، وأما أن تفسر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم» . المحرر الوجيز ٣/ ١٦٣ .

(٨) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه .

وقد أورد ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤٠٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤٨٨ عن ابن عباس أنَّ المقصود بالطائفة هم اليهود حين دعوا معاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر إلى دينهم .

(٩) في (د) : (يستزلوا) .

(١٠) قيل : إن المقصود بـ ﴿طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ : هم النصارى ، وبه قال سفيان بن عيينة ، فقد ورد عنه قوله : «كل شيء في آل عمران من ذكر أهل الكتاب ، فهو في النصارى» .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(١)؛ لأن المؤمنين لا يقبلون قَوْلَهُمْ، وما يدعونهم إليه فيحصل عليهم الإثم بتمنيهم إضلال المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي وما يعلمون أن هذا يضرهم، وما يضر المؤمنين.

٧٠. قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، الخطاب لليهود^(٢). وقوله: ﴿لَيْمَ﴾ أصلها: (لِمَا)؛ لأنها^(٣) (ما) التي للاستفهام، دخلت عليها اللام فحذفت الألف استخفافاً؛ لأن حرف الجر صار عوضاً منها

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧١/٢، وأورده السيوطي في الدر ٢٣٩/٢، وزاد في نسبته إلى ابن المنذر.

ودفع هذا القول الشوكاني في الفتح ٣٥٢/١، وقال: «ويدفع هذا أن كثيراً من خطابات أهل الكتاب المذكورة في هذه السورة، لا يصح حملها على النصارى ألبتة، ومن ذلك هذه الآيات»، ثم بين أن المقصود بالطائفة هم اليهود خاصة.

وقيل: هم اليهود، كما سبق أن روي عن ابن عباس، وهو قول مقاتل في تفسيره ٢٨٣/١. وذكر هذا القول بعض المفسرين من دون عزو إلى قائل، ومنهم البغوي في تفسيره ٥٠/٢، والواحدي في أسباب النزول: ١١٠. وقال أبو حيان: إن عليه إجماع المفسرين. انظر: البحر المحيط ٤٨٨/٢. وعلى هذين القولين تكون ﴿مَنْ﴾ في الآية تبعيضية.

وقيل: هم اليهود والنصارى، ولفظ ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعمهم، وتكون حينها ﴿مَنْ﴾ في الآية لبيان الجنس. وبه قال أبو سليمان الدمشقي، كما في زاد المسير ٤٠٤/١. وإليه ذهب الطبري في تفسيره ٣/٣٠٤، والنحاس في معاني القرآن ٤١٩/١. ونقل ابن عطية عن مكّي أنهم يهود بني قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، ونصارى نجران. انظر: المحرر الوجيز ١٦٤/٣.

(١) إلى هنا انتهى ما وقفت عليه من نسخة (د).

(٢) وذهب الطبري إلى أن الخطاب لليهود والنصارى. انظر: تفسيره ٣/٣٠٩، والمحرر الوجيز ١٦٤/٣.

(٣) في (ج): (أنها).

مع وقوعها طَرَفًا^(١)، تدل^(٢) عليها الفتحة^(٣)؛ وعلى هذا قوله :
﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١]، و﴿فِيمَ بُشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] .

والوقف على هذه الحروف يكون بالهاء^(٤)، نحو: فَبِمَهْ، و(لَمْه) . ولا يجوز حذف الألف [من (ما)، إذا كانت موصولة]^(٥)؛ لأن [الألف في]^(٦) الموصولة [بمَنْزِلَة حرف في وسط الاسم؛ لأن الموصولة]^(٧) لا تتم^(٨) إلا بِصِلَتِهَا، والطَّرَف^(٩) أقوى على التغيير من وسط الاسم، كما قوي على التغيير بالإعراب^(١٠) والتنوين^(١١) .

(١) في (ب) : (ظرفا) .

(٢) في (ج) : (يدل) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٢٧، ٤٢٨ . ويجب حذف ألف (ما) بعد دخول حرف الجر عليها، مع إبقاء الفتحة دليلاً عليها، إلا في الشعر، حال الضرورة الشعرية . انظر : المغني لابن هشام ٣٩٣ . وذكر أبو حيان أن قوماً يحذفون الألف من (ما) الاستفهامية في الوصل، فيقولون : (مَ صنعت ؟) . وذكر كذلك أن من العرب من يثبت الألف إذا دخل عليها حرف الجر، وقال : «وذلك قليل وقبيح» . ارتشاف الضرب ١/ ٥٤٤، وانظر : شرح المفصل ٨/ ٤ .

(٤) في (ج) : (كأنها) . انظر في هذا المعنى : شرح المفصل ٦/ ٤، وارتشاف الضرب ١/ ٥٤٤ .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج) .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج) .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج) .

(٨) (لا تتم) ساقطة من (ج) .

(٩) في (ب) : (والظرف) .

(١٠) (بالإعراب) : في (أ) غير واضحة، وفي (ب) : (للإقرب) . والمثبت من (ج) .

(١١) في (ب) : (وللتنوين) . انظر في هذا المعنى : شرح المفصل ٩/ ٤ .

وزعم الكسائي^(١) أن أصل (كَمْ) ^(٢) كما ، وهذا غلط منه عند البصريين ؛ لمخالفة ^(٣) (كَمْ) (ما) في اللفظ والمعنى . أما في اللفظ فكان يجب أن تبقى الفتحة ^(٤) لتدل على الألف ، كما بقيت في (لَمْ) ونحوه . وأما في المعنى فإن (كم) سؤال عن العدد ، و(ما) سؤال عن الجنس ، فليس بينهما مشابة ، ولا لكاف التشبيه في (كَمْ) معنى .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ . يعني القرآن ^(٥) .

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ، قال قتادة ^(٦) ، والربيع ^(٧) ، والسُّدِّي ^(٨) : أي تشهدون بما يدل على صحة القرآن من كتابكم ؛ لأن فيه نعت محمد وذكره .

وقيل ^(٩) : ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها . فحذف من الكلام ما يشهدون به ويقرون ؛ لأن الكلام كان توبيخاً ، فدلَّ على (وَأَنْتُمْ تشهدون بما عليكم فيه الحجة) فحذف ؛ للإيجاز ، مع الاستغناء عنه بالتوبيخ .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٢٨ / ١ ، والجنى الداني ٢٦١ ونسب هذا الرأي للكسائي والفرأ .

(٢) أي أن (كم) مركبة من كاف التشبيه ، و(ما) الاستفهامية محذوفة الألف ، وسُكِّنَتْ ميمُها لكثرة الاستعمال .

(٣) لمخالفة : غير واضحة كاملاً في (أ) ، وفي (ب) : (لمحل أداة) . والمثبت من (ج) .

(٤) في (ج) : (العدد الفتحة) .

(٥) ممن قال بهذا مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢٨٣ / ١ . وفسر السدي (آيات الله) بمحمد ﷺ . وفسرها مقاتل بن حيان بالحجج . أما الطبري ؛ فقد فسرهما بما أنزل عليهم من كتب الله على ألسن أنبيائه . انظر : تفسير الطبري ٥٠٣ / ٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٧٦ / ٢ .

(٦) قوله في الطبري ٣٠٩ / ٣ ، وابن أبي حاتم ٦٧٦ / ٢ .

(٧) السابق .

(٨) السابق .

(٩) لم أقف على هذا القائل . وقد أورده الماوردي في النكت والعيون ٨٥٤ / ٢ ، ولم يعزه لأحد .

والحجة عليهم إقرارهم بالبشارة لمحمد ، ثم الكفر به ، والإقرار بمثل آياته
للأنبياء ، ثم كفرهم بما جاء به محمد ، وجحدهم ؛ فكان^(١) ذلك مناقضةً منهم .

٧١ . قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ، ذكرنا معنى
(اللَّيْسُ) في ما تقدم^(٢) .

و(الحق) هاهنا : التوراة التي أنزلت على موسى ، و(الباطل) : ما كتبوه
بأيديهم وغيره وحرفوه من نعت محمد ﷺ ، وخبره^(٣) ، في قول الحسن^(٤) ،
وابن زيد^(٥) .

وقال قتادة^(٦) : لم تخلطون^(٧) الإسلام باليهودية والنصرانية ؛ وذلك أنهم
تداعوا إلى إظهار الإسلام في صدر النهار ، والرجوع عنه في آخره ؛ لتشكيك
الناس فيه .

وقوله تعالى : ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ﴾ يعني أمر محمد عليه السلام . قاله [قتادة]^(٨) ،
ومقاتل^(٩) .

(١) في (ج) : (وكان) .

(٢) عند تفسير الآية ٤٢ من سورة البقرة .

(٣) في (ب) و(ج) : (وغيره) .

(٤) قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٦٧٧/٢ ، والنكت والعيون ٤٠١/٢ زاد المسير ٤٠٥/١ ، والبحر المحيط
٤٩١/١ .

(٥) قوله في تفسير الطبري ٣١٠/٣ ، والنكت والعيون ٤٠١/٢ ، وزاد المسير ٤٠٥/١ ، والبحر المحيط
٤٩١/١ .

(٦) قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٦٧٧/٢ ، وزاد المسير ٤٠٥/١ ، والبحر المحيط ٤٩١/١ .

(٧) في (ب) : (تختلطون) .

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

وقوله في تفسير الطبري ٣١٠/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٧٧/٢ ، وزاد المسير ٤٠٥/١ .

(٩) قوله في تفسيره ٢٨٤/١ . وهو مروي كذلك عن الحسن والربيع ومقاتل بن حيان ، انظر : تفسير
الطبري ٣١٠/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٧٧/٢ .

وقال عطاء^(١) : يريد بـ ﴿الْحَقَّ﴾ النبي ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني : تعلمون الحق ، وأنه رسول الله ، وأن الإسلام دين الله . ونظير هذه الآية قوله في البقرة : ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾^(٢) الآية .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية ، قال الحسن^(٣) ، والسدي^(٤) : تواطأ اثنا عشر خبراً من اليهود ، وقال بعضهم لبعض : أظهروا الإيذان بمحمد ﷺ في أول النهار ، وارجعوا عنه في آخر النهار ؛ فإنه أحرى أن ينقلب أصحابه عن دينهم ويشكوا فيه ؛ إذا قلتم : نظرنا في كتبنا فوجدنا محمداً ليس بذاك . وقال مجاهد^(٥) ، ومقاتل^(٦) ،

(١) لم أقف على مصدر قوله . وهو مروي كذلك عن مجاهد والسدي ، كما في تفسير الطبري ٣/٣٠٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٧٦ ، ولا أرى فرقاً بين القولين ، وقد جعلها ابن أبي حاتم في تفسيره بمعنى واحد .

(٢) سورة البقرة ٤٢ ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُّوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

(٣) قوله في تفسير البغوي ٢/٥٣ ، وزاد المسير ١/٤٠٥ البحر المحيط ١/٤٩٣ .

(٤) قوله في تفسير الطبري ٣/٣١١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٧٨ ، وتفسير البغوي ٢/٥٣ ، وزاد المسير ١/٤٠٥ ، والبحر المحيط ١/٤٩٣ .

(٥) قوله في تفسير الطبري ٣/٣١٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٧٩ ، وتفسير البغوي ٢/٥٣ ، والبحر المحيط ١/٤٩٣ ، والدر المنثور ٢/٧٥ وزاد نسبة إخراجة لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٦) قوله في تفسيره ١/٢٨٤ ، ولكن ليس فيه أن مرادهم بفعلهم هذا التشكيك في أمر القبلية ، بل جعله للتشكيك في نعت النبي ﷺ في التوراة ، فقال : «وإذا كان العشي قولوا لهم : نظرنا في التوراة فإذا النعت الذي في التوراة ليس بنعت محمد ﷺ . . .» . وفي تفسير البغوي ٢/٥٤ ، والبحر المحيط ١/٤٩٣ بنحو الذي عند المؤلف .

والكلبي^(١) : قال بعض اليهود لبعض : أظهروا الإيمان بالذي^(٢)
[أنزل]^(٣) على محمد في أمر الكعبة ، والصلاة إليها ، أول النهار ،
ثم اكفروا به آخر النهار^(٤) ، وارجعوا إلى قبلتكم ؛ لعلهم يَشْكُونَ
فيرجعون إلى قبلتكم ؛ فأطلع الله نبيّه على سرّ اليهود ومكرهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ ، قال ابن عباس^(٥) : أول النهار . والوجهُ في
اللغة : مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ لأنه أول ما يُواجهُ منه ؛ كما يقال لأول الثوبِ : وجهُ
الثوب^(٦) .

(١) أخرج عبدالرزاق في تفسيره ١٢٣ / ١ عن قتادة والكلبي ، أنها قالا : « قال بعضهم : أعطوهم الرضى
بدينهم أول النهار ، واكفروا آخره ، فإنه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أن قد رأيتهم فيهم ما تكرهون ،
وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم » . فليس في هذا الأثر ما يتعلق بأمر القبله . وفي تفسير البغوي
٥٤ / ٢ ، والبحر المحيط ٤٩٣ / ١ ، وبنحو الذي عند المؤلف .

(٢) في (ب) : (الذي) .

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٤) (ثم اكفروا به آخر النهار) : ساقطة من (ج) .

(٥) أخرج قوله ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩ / ٢ بمعناه ، ولفظه عنده : « قال : يكونون معهم أول النهار
يمارونهم ويكلمونهم » . وأورده السيوطي في الدر ٧٦ / ٢ وزاد نسبة إخراجهم إلى ابن المنذر ، وابن
مردويه ، والضياء في المختارة .

وكذا ورد عنه في حديث آخر أخرجه الطبري في تفسيره ٣١٢ / ٣ حيث ورد ضمناً تفسيره لـ (وجه
النهار) : بأوله ، وقد فسره بذلك قتادة ، والربيع ، ومجاهد .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (وجه) ٣٨٤٢ / ٤ .

روى^(١) ثعلب عن ابن الأعرابي : أتته بوجه نهار ، وصدر نهار ، وشباب نهار ؛ أي أول النهار ، وأنشد للربيع بن زياد^(٢) :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ^(٣)
وقوله تعالى : ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي عن دينهم^(٤) . وقال الكلبي^(٥) : إلى القبلة الأولى .

٧٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ الآية .

-
- (١) في (ج) : (وروي) .
ومن قوله : (روي ...) إلى نهاية بيت الشعر ، نقله باختصار وتصرف عن تهذيب اللغة (وجه) ٣٨٤٢/٤ .
- (٢) هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان العبسي ، شاعر جاهلي ، وفارس ، وسيد من سادات قومه ، يقال له الكامل ، مات سنة (٣٠) قبل الهجرة .
- انظر : العمدة لابن رشيقي ١٢٨/١ ، و ٨٨١/٢ ، و ٨٩١ ، والأعلام ١٤/٣ .
- (٣) ورد البيت منسوباً له في مجاز القرآن ٩٧/١ ، والحامسة لأبي تمام ٤٩٤/١ ، والفاخر للمفضل الضبي ٢٢٣ ، والطبري ٣١٢/٣ ، والدر المصون ٢٤٨/٣ ، وخزانة الأدب ٣٦٩/٨ .
- وورد غير منسوب في معاني القرآن للزجاج ٢٤٩/١ ، ومجالس العلماء ٢٣٤ ، وتهذيب اللغة (وجه) ٣٨٤٢/٤ ، والموضح في التفسير ٣٨ ، وتذكرة النحاة ١٣٩ ، واللسان (وجه) ٥٥٦/١٣ ، والتاج (وجه) ٤١٨/٩ .
- والبيت ضمن أبيات قالها في مالك بن زهير العبسي الذي قتله بنو فزارة ، وبعده :
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبُهُنَّ يَلْطِمُنَّ أَوْجُهُنَّ بِالْأَسْحَارِ
ومعناه : أن من سره قتل مالك ، فليأت لنا في أول النهار ، ليجدنا قد أخذنا بثأره مباشرة ، وعلامة ذلك أن يجد النساء حواسرأ يندبهن ويلطمن وجوههن بالأسحار ، وذلك أن العرب لا تندب قتلاها إلا بعد أن تأخذ ثأرها .
- (٤) وهو قول قتادة ، والربيع ، وابن عباس ومجاهد ، وغيرهم . انظر : تفسير الطبري ٣١٣/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٨٠/٢ .
- (٥) لم أقف على مصدره . وقد ورد في البغوي ٥٤/٢ ، والبحر المحيط ٤٩٣/١ .
والذي في تفسير عبد الرزاق ١٢٣/١ عنه وعن قتادة قالوا : «... وهو أن يرجعوا عن دينهم» .

قتادة^(١)، والرَّبِيعُ^(٢)، والسُّدي^(٣)، والحسن^(٤)، وابن زيد^(٥)، وأكثرهم على أن هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض، والمعنى: لا تصدّقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية، وقام بشرائعكم.

﴿أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من العلم، والحكمة، والكتاب، والحجة، والمنّ والسّلوى، والفضائل والكرامات. والتقدير: ^(٦) لا تُصدّقوا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أُوتِيتُمْ، إلا لمن تبع دينكم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ اعتراضٌ بين المفعول وفعله، وهو من كلام الله تعالى.

قال ابن عباس^(٧): ومعناه: إن الدين دينُ الله. ومثله في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَلْهَدَىٰ﴾^(٨) [البقرة: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ﴾، التقدير: (بأن يؤتى)؛ لأن الإيذان يتعدّى بالجارّ، فلما حذف الجار من ﴿أَنْ﴾، كان موضع ﴿أَنْ﴾ على ما ذكرنا من الخلاف؛ في قول الخليل: يكون جرّاً^(٩)، وفي قول سيبويه: يكون نصباً^(١٠). وقد ذكرنا هذا الخلاف في مواضع.

(١) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣١٣.

(٢) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣١٤.

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣١٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٨١، والنكت والعيون ١/ ٤٠٠.

(٤) لم أقف على مصدر قوله وهو في زاد المسير ١/ ٤٠٦، والنكت والعيون ١/ ٤٠٠.

(٥) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣١٤، والنكت والعيون ١/ ٤٠١.

(٦) في (ج): (ولا).

(٧) لم أقف على مصدر قوله، وفي تنوير المقباس ١/ ٥٠: «إنّ دينَ الله هو الإسلام، وقبله الله هي الكعبة».

(٨) في (ج): (قل إن الهدي هدى الله).

(٩) في (ج): (خبراً).

(١٠) انظر: ما ذكره عند تفسير: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَشْرِكُ﴾، آية ٣٩ من آل عمران.

فأما اللّام في ﴿لَمَنْ تَبِعَ دِينَكَ﴾ ، فقال أكثر النحويين ^(١) : إنها دخلت صلةً وتأكيذاً ^(٢) ؛ كهي في قوله : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ ^(٣) ، والمعنى : رَدِفَكُمْ . وأنشد ابن الأنباري ^(٤) على هذا :

ما كنتُ أَخْدَعُ للخليلِ بِخُلَّةٍ حتى يكونَ لي الخليلُ خَدوعاً ^(٥)
قال : أراد ما كنت أَخْدَعُ الخليلَ ؛ فزاد اللّام .

وقال الآخر :

يَذْمُونَ للنديا ^(٦) وهم يَحْلِبُونَهَا أَفَأَوَيْقَ ^(٧) حتى ما يَدُرُّ لها تُغْلُ ^(٨)

-
- (١) منهم الفراء في معاني القرآن ٢٢٢ / ١ ، وابن شقير في المحلى ٢٣٨ ، والزجاجي في اللامات ١٤٧ .
 (٢) حروف الصلة ، هي حروف الزيادة ، وأشهرها الباء ، والكاف ، واللام ، ومن . وتستعمل هذه الحروف أصلية ، وأحياناً زائدة . وهي لا تجلب معنى جديداً ، وإنما تؤكد المعنى العام في الجملة كلها ، وتقويه سواء أكان المعنى العام إيجاباً أم سلباً .
 انظر : النحو الوافي ٤٤٩ / ٢ ، ٤٥٠ ، وانظر : للتوسع في نقاش هذا الأمر في سر صناعة الإعراب ١٢٠ وما بعدها ، وشرح المفصل ١٢٨ / ٨ .
 (٣) [النمل : ٧٢] . ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ .
 ومن قال بزيادتها الفراء في معاني القرآن ٢٢٢ / ١ ، والطبري في تفسيره ٣ / ٣١٤ ، وابن شقير في المحلى ٢٣٨ ، والزجاجي في اللامات ١٤٧ .
 (٤) لم أقف على مصدره . وقد أورده ابن الجوزي في الزاد ١ / ٤٠٧ .
 (٥) لم أقف على قائله في ما رجعت إليه من مصادر . وقد ورد في زاد المسير ١ / ٤٠٧ ، والبحر المحيط ٤٩٤ / ١ .
 (٦) في (ج) : (لي الدنيا) .
 (٧) في (أ) و(ب) : (فاويق) . والمثبت من (ج) ، ومن مصادر البيت .
 (٨) في (أ) : (نعل) . وفي (ب) : (حتى لا يدرها نعل) ، والمثبت من (ج) ومن مصادر البيت .
 والبيت لعبدالله بن همام السلولي . وقد ورد منسوباً له في إصلاح المنطق ٢١٣ ، والكامل ١ / ٥٥ ، والصحاح (نعل) ١٦٤٦ ، والمخصص ٥٩ / ١٥ ، واللسان (وضع) ٨ / ٤٨٥٧ ، و(فوق) ٣٤٨٧ / ٦ ، و(نعل) ١ / ٤٨٤ .
 = وورد في المخصص ٢٥ / ١ ، ونسبه لهما بن مرة .

أراد : يذمون [الدنيا . فأكد الكلام باللام . ويُروى : (يَذْمُونَ لِي الدنيا) بالياء .

وقال^(١) أبو علي الفارسي^(٢) : (الإيمان) لا يتعدى إلى مفعولين ، فلا يجوز أيضاً أن يتعلّق^(٣) بجارّين ، وقد تعلق بالجارّ المحذوف من قوله : ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ ، فلا يتعلّق باللام من^(٤) قوله : ﴿لِمَنْ﴾ ، إلّا أن يُحمَل (الإيمان) على معناه ، فيتعدّى إلى مفعولين ، ويكون المعنى : ولا تقرّوا بأن يؤتّى أحدٌ مثل ما أوتيتم ، إلّا لمن تبع دينكم ؛ كما تقول : أقررت لزيد بألف ، فيكون اللام متعلقاً بالمعنى ، ولا تكون زائدة^(٥) على حدّ ﴿رَدَفَ لَكُمْ﴾^(٦) ، و﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٧) .

ورود غير منسوب في مجالس ثعلب ٤٤٧ ، وجهرة اللغة (وضع) ٧٤٦ ، والتهديب (وضع) ١٤١٨ / ٢ ، و(ثعل) ٤٨٢ / ١ ، ومعجم المقاييس (وضع) ٤٠١ / ٢ ، والمجمل (وضع) ٣٨٠ ، وزاد المسير ٤٠٧ / ١ ، والدر المصون ٢٥٠ / ٣ .

وفي المصادر السابقة كلها ما عدا زاد المسير ، ورد : (وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها . . .) ، وفي معجم المقاييس : (. . . الثعل) ، وفي الدر المصون : (ويروى : (بالدنيا) بالباء . و(الثعل) ، و(الثعل) ، و(الثعل) : زيادة في حلّات الناقة والشاة والبقرة . وقيل : هو خلف زائد في أخلاف الناقة وضرع الشاة . انظر : اللسان (فوق) ٣٤٨٧ / ٦ ، و(ثعل) ٤٨٤ / ١ .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٢) في الحجة : له ٥٣ / ٣ . نقله عنه بالمعنى .

(٣) في (ج) : (تعلق) .

(٤) في (ج) : (في) .

(٥) في (ج) : (زيادة) .

قال أبو حيان في البحر المحيط ٤٩٤ / ١ : «والأجود أن لا تكون اللام زائدة ، بل ضَمَنَ (آمن) معنى أقرّ ، واعترف ، فتعدى باللام» .

(٦) سورة النمل ٧٢ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ .

(٧) سورة يوسف ٤٣ . وقبلها : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ .

قال العكبري في التبيان ٤٧٢ (للرؤيا) : اللام فيه زائدة ، تقوية للفعل لما تقدم مفعوله عليه ، ويجوز حذفها في غير القرآن ؛ لأنه يقال : عبرت الرؤيا) .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ ، (أَحَدٌ)^(١) إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ^(٢) لتعميم النفي ؛ كقولك : ما رأيت أحداً مِنَ الناس^(٣) . وهاهنا دخل (أَحَدٌ) للنفي الواقع في أول الكلام ، وهو قوله : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ ، كما دخلت^(٤) (مِنْ) في صَلَاةٍ (أَنْ يُنَزَّلَ) في قوله : ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٥] . فكما دخلت (مِنْ) في صَلَاةٍ (أَنْ يُنَزَّلَ) ؛ لأنه مفعول للنفي اللاحق لأوّل الكلام^(٥) ، كذلك دخل (أَحَدٌ) في [صَلَاةٍ (أَنْ) في]^(٦) قوله : ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ ؛ لدخول النفي في أول الكلام . والكلام في معنى (أحد) ، قد تقدم عند قوله : ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ عطف على قوله : ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ ، المعنى : ولا تؤمنوا بأن يحاجوكم عند ربكم ؛ لأنكم أصح ديناً منهم ، فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله .

قوله : ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ ، الضمير^(٧) فيه ضمير الجماعة ، وهو خبر عن ﴿أَحَدٌ﴾ في قوله : ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ ، وجاز ذلك ؛ لأن الأسماء المنفردة قد تقع للشياع^(٨) في

- (١) (أحد) : ساقطة من (ج) . وفي (أ) و(ب) : (أحدأبأ) .
ومن قوله : (أحد ...) إلى (... لدخول النفي في أول الكلام) : نقله بتصريف من الحجة للفارسي ٥٥ ، ٥٤ / ٣ .
- (٢) في (ج) : (استعمل) .
- (٣) (أحد) الذي يلازم النفي ، تكون همزته أصلية ، وهو وإن كان لفظه مفرداً ، إلا أنه يدل على الجمع ويفيد العموم . أما (أحد) الذي بمعنى واحد ؛ فهمزته بدل من واو .
- (٤) (دخلت) : ساقطة من (ج) .
- (٥) (الكلام) : ساقطة من (ج) .
- (٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .
- (٧) من قوله : (الضمير ...) إلى : (... للمتقين إماماً) : نقله بالمعنى من الحجة للفارسي ٥٧ / ٣ .
- (٨) يريد بالشياع : الجمع والعموم ، وشمول اللفظ المفرد لأكثر من فرد .

المواضع التي يراد بها الكثرة ؛ كقوله : ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾^(١) ، وقوله : ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢) [الفرقان : ٧٤] ، وقوله : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٣) .

وقد مضى مثل هذا في قوله : ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾^(٤) .

وقرأ ابن كثير : ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾^(٥) بالمد^(٦) . وعلى هذه القراءة يحتاج أن يستأنف الآية في بيان المعنى والنظم . فقوله : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ معناه على هذه القراءة : ما ذكره الرَّجَاجُ ، قال^(٧) :

قالت اليهود بعضهم لبعض : لا تجعلوا تصديقكم للنبي ﷺ في شيء مما جاء به ، إلا لليهود ؛ أي لا تخبروا أحداً بصدق ما أتى به ، إلا أن يكون منكم ؛ فإنكم^(٨) إن قلتم ذلك للمشركين كان^(٩) عوناً لهم على تصديقه ، ويكون معنى

(١) سورة غافر ٦٧ . وقد وردت في (أ) و(ب) و(ج) : (ويخرجكم) .

والشاهد في الآية : أن (طفلاً) بمعنى أطفال ، وأفرد اللفظ وأراد به الجنس .

انظر : تفسير أبي السعود ٢٨٣ / ٧ ، وتفسير البياضوي ٣٤٥ / ٢ .

(٢) الشاهد هنا إفراد لفظ (إمام) ليدل على الجنس .

انظر : تفسير أبي السعود ٢٣١ / ٦ ، وتفسير البياضوي ٧٥ / ٢ .

(٣) سورة الحاقة ٤٧ . والشاهد هنا : أن حاجزين جمع ، وهو وصف لـ (أحد) الذي يدل على جماعة .

انظر : الكشف ٥٥ / ٤ .

(٤) مقطع من آية ١٣٦ ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ، وآية ٢٨٥ ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ . سورة البقرة .

(٥) في (ج) : (أن يؤتى) .

(٦) أي على الاستفهام . انظر : السبعة ٢٠٧ ، والحجة ٥٢ / ٣ ، والتيسير ٨٩ .

(٧) في معاني القرآن له ٤٣٠ / ١ . نقله عنه بتصرف .

(٨) في (ج) : (وإنكم) .

(٩) في (ج) : (كانوا) .

(الإيمان) : الإقرار ، كما ذكرنا ، وأحد مفعوليه محذوف ، والتقدير : لا تقروا إلا لليهود^(١) بصدق محمد .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدْنِي هُدَى اللَّهِ﴾ هو من كلام الله ، معترض من كلام اليهود على ما ذكرنا .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يُؤَقِّعَ أَحَدٌ﴾ ، ﴿أَنْ﴾^(٢) في موضع رفع بالابتداء^(٣) ، ولا يجوز أن يُحمل على ما قبله ؛ لقطع الاستفهام بينهما ، وخبره محذوف ، والمعنى : أأنَّ^(٤) يُؤْتَى أَحَدٌ ، يا معشر اليهود ، مثل ما أوتيتم من الكتاب والعلم ، تصدقون به ، أو تعترفون ، أو تذكرونه لغيركم ، أو تشيعونه في الناس ؟ أو نحو هذا مما دلَّ عليه قوله : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ . وهذا في قول من قال : أزيد ضربته^(٥) ؟

ومن قال : أزيداً ضربته ؟ ، كان (أَنْ) عنده في موضع نصب^(٦) .

(١) في (ج) : (اليهود) .

(٢) من قوله : (أَنْ في موضع ...) إلى (...) إن أحداً واحداً واحداً بمعنى) : نقله عن الحجة للفارسي ٥٧-٥٥/٣ ، ونقل بعض عباراته بالنص ، وتصرف في بعضها ، واختصر في بعض المواضع .

(٣) هذا التوجيه النحوي بناء على قراءة ابن كثير .

(٤) في (أ) و(ب) : (أَنْ) . وفي (ج) : (ان) . وما أثبتهُ هو الصواب .

(٥) فالاسم هنا واقع بعد همزة الاستفهام ، وقد قال عنه السمين الحلبي : «وهو وجه مرجوح» . الدر المصون ٢٥٧/٣ .

(٦) فالفعل هنا مضمَر بعد حرف الاستفهام ، وقد استحسن هذا ، وقال بوجوب اختياره مكِّي في الكشف ٣٤٨/١ وقال : «فهو أقوى في العربية ؛ لأن الاستفهام بالفعل أولى ؛ لأنك عنه تستفهم ، لست تستفهم عن شخص زيد ، إنما تستفهم عن الفعل ، هل وقع بزيد» . انظر : الدر المصون ٢٥٧/٣ ، ٢٥٨ .

وَمِثْلُ حَذْفِ خبر المبتدأ لدلالة ما قبل الاستفهام عليه حَذْفُ الفعل في قوله : ﴿أَلَمْ تَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ [يونس: ٩١] ، التقدير^(١) : آلآن أسلمت حين لا ينفعلك الإيمان من أجل المعاينة ؟ فحذف الفعل لدلالة ما قبل الاستفهام عليه . ومثل هذه الآية في المعنى قوله : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦] ، وَبَخَّ بعضهم بعضاً بالحديث بما علموه من أمر النبي ﷺ ، وعرفوه من صفته .

ولعل ابن كثير اعتبر هذه الآية في قراءته^(٢) .

فإن قيل : فكيف وجه دخول ﴿أَحَدٌ﴾ في هذه القراءة ، وقد انقطع من النفي [بلحاق]^(٣) الاستفهام^(٤) ، وإذا انقطع كان^(٥) الكلام إيجاباً وتقريراً ، فلا يجوز دخول ﴿أَحَدٌ﴾ ؟

قيل : يجوز أن يكون ﴿أَحَدٌ﴾ في هذا الموضع (أحداً) الذي في نحو : أحدٌ وعشرون ، وهذا يقع في الإيجاب ؛ ألا ترى أنه بمعنى واحد ؟

وقال أبو العباس^(٦) : إن (أحداً) ، و(وَاحِداً) ، و(واحدًا) بمعنى .

(١) (التقدير) : ساقط من (ج) .

(٢) أي اعتبر الآية السالفة ٧٦ من البقرة ، حيث إنها في معنى قراءة ابن كثير .

وقد سبق أن بينت أن القراءات المتواترة ، لا تقوم على مقاييسات ذوقية ، ولا على اعتبارات لغوية ، أو نظر عقلي ، إنها هي سنة متبعة ، متلقاة بالسند الصحيح عن النبي ﷺ . وابن كثير أحد أئمة القراء ، الذين تلقت الأمة قراءتهم بالقبول ، بعد أن تلقاها هو بالسند الصحيح عمّن قبله من القراء المعترين ، إلى النبي ﷺ . فهم اعتبروا السند الصحيح للقراءة قبل كل شيء ؛ لأن الإسناد الصحيح في القراءات هو (الأصل الأعظم والركن الأقوم) كما قال ابن الجزري في النشر ١٠ / ١ .

(٣) ما بين المعوفين زيادة من الحجة للفارسي ٥٦ / ٣ ليطم بها المعنى ويصح .

(٤) في (ج) : (والاستفهام) .

(٥) (كان) : ساقطة من (ج) .

(٦) هو أحمد بن يحيى ، ثعلب . كما في الحجة للفارسي ٥٧ / ٣ .

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَحْجُوكُمْ﴾ ، (أو) في هذه القراءة ^(١) بمعنى حتى ^(٢) ؛ ومعنى الكلام: أن ^(٣) يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أوتيتم ، تذكرونه لغيركم ؛ حتى يحاجوكم عند ربكم ؟

قال الفراء ^(٤) : ومثله في الكلام : قولك : تعلق به ، أو يُعْطِيكَ حَقَّكَ ؛ أي حتى . وقال امرؤ القيس :

فقلتُ له لا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ ^(٥) مُلْكاً أَوْ تَمُوتَ فَنُعْذِرُ ^(٦)

(١) أي في قراءة ابن كثير .

(٢) قال الرماني : «وتضم مع (أو) (أن) ؛ وذلك إذا كان معناها معنى حتى» . كتاب معاني الحروف له ٧٩ . وانظر : كتاب سيبويه ٤٧/٣ ، والمقتضب ٢٨/٢ ، وحروف المعاني والصفات للزجاجي ٥٨ .

(٣) في (ج) : (أن) .

(٤) في معاني القرآن له ٢٢٣/١ . نقله عنه بالمعنى . انظر : المصدر نفسه ٧٠/٢ ، ٧١ .

(٥) في (ب) : (نجدل) .

(٦) البيت في ديوانه ٦٦ . وقد نسبته إليه أكثر المصادر الآتية : كتاب سيبويه ٤٨/٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٧١/٢ ، والمقتضب ٢٨/٢ ، والزاهر ١٨٣/٢ ، وإيضاح الوقف والابتداء ٥٨٤/٢ ، والقطع والانتفاع للنحاس : ٢٣٣ ، ومعاني القرآن له ٢٤٣/١ ، وكتاب حروف المعاني للزجاجي ٥٨ ، واللامات للزجاجي ٦٨ ، ومعاني الحروف للرماني ٧٩ ، والخصائص ٢٦٣/١ ، والموضح في التفسير ٣٨ ، وأمالى ابن الشجري ٧٨/٣ ، وشرح المفصل ٢٢/٧ ، و٣٣ ، وتفسير القرطبي ١١٣/٤ ، ورسف المباني ٢١٢ ، ومنهج السالك ٥٥٨ ، والخزانة ٥٤٣/٨ . وقد ورد في المصادر السابقة كلها : « . . . أو نموت فنُعْذِرُ » .

والبيت من قصيدة له ، وقبله :

بَكَّى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقنَ أننا لاحقان بقيصر

وصاحبه هو عمرو بن قميئة الذي استصحبه معه في ذهابه إلى القيصر ، لاستنصاره على قتلة أبيه واستعادة ملكه ، فلما توسطوا الدرب بين بلاد العرب وبلاد الروم ، وأيقن صاحبه أنها لاحقان بقيصر ، حنَّ إلى بلاده فبكى ، فقال له الشاعر هذا القول .
والشاهد فيه : قوله : (أو نموت . . .) بمعنى : حتى تموت .

أي حتى تموت . ومن هذا قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، وسنذكره إن شاء الله .

فهذا^(١) وجهٌ ، وأجود منه : أن نجعله عطفاً على الاستفهام ، والمعنى : أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ، أو يُحاجَّكم^(٢) أحدٌ عند الله ، تصدَّقون به .

وهذه الآية من مشكلات القرآن ، وأصعبه تفسيراً ، ولقد تدبَّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية ، فلم أجِدْ قولاً يطرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى ، وصحة النظم . وقد يسر الله - تعالى - بفضله هاهنا سوق الآية في القراءتين على تفسيرٍ بيِّن ، ونظمٍ صحيحٍ ، وله المنّة في ذلك .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، قال ابن عباس^(٣) : يريد : ما تفضَّل به عليك ، وعلى أمتك .

(١) في (ب) : (وهذا) .

(٢) في (ب) : (يحاجوكم) .

(٣) لم أقف على مصدره . وفي زاد المسير ٤٠٨ / ١ : «قال ابن عباس : يعني النبوة ، والكتاب ، والهدى» . وهو بمعنى ما ذكره المؤلف عنه .

٧٤. قوله تعالى: ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ﴾، قال الحسن^(١)، ومجاهد^(٢)، والربيع^(٣): بُنِّيَّتُهُ. وقال^(٤) ابن عباس: بدينه^(٥).

وقال ابن جريج^(٦): بالقرآن والإسلام.

[و]^(٧) قال عطاء^(٨): يريد: اختَصَّكَ وتفضل عليك وعلى أُمَّتِكَ، بدينه ورحمته.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ﴾^(٩) على أوليائه وأهل طاعته.

﴿الْعَظِيمِ﴾؛ لأنه لا شيء أعظم عند الله من الإسلام.

والْفَضْلُ في اللغة: الزيادة. وأكثر ما يُستعمل في زيادة الإحسان^(١٠).

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في النكت والعيون ٨٥٧/٢، وتفسير القرطبي ١١٥/٤، والبحر المحيط ٤٩٧/٢.

والذي أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤٥/٢ عن الحسن قوله: «برحمته: الإسلام، يختص بها من يشاء».

(٢) قوله في تفسيره ١٢٩، وتفسير الطبري ٥١٧/٦، و٥١٨، وابن أبي حاتم ٣٤٥/٢، والنكت والعيون ٨٥٧/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٣/١، وزاد المسير ٤٠٨/١، والدر المنثور ٧٦/٢ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣١٦/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٨٢/٢، والنكت والعيون ٤٠٢/١.

(٤) في (ج): (قال).

(٥) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه. والذي في زاد المسير ٤٠٨/١، والبحر المحيط ٤٩٧/٢ قوله: (إنها الإسلام).

(٦) قوله في تفسير الطبري ٣١٦/٣، والنكت والعيون ٤٠٢/١، وزاد المسير ٤٠٨/١، وتفسير القرطبي ١١٥/٤، والبحر المحيط ٤٩٧/١.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٨) لم أقف على مصدر قوله.

(٩) والله: ليس في (ج).

(١٠) انظر: (فضل) في مقاييس اللغة ١٠٨/٤، واللسان ٣٤٢٨/٦.

والفاضل : الزائد على غيره في خصال الخير . ثم كثر استعمال الفضل حتى صار لكل نفع قَصْد به فاعلُهُ أن ينفع صاحِبَهُ .

٧٥ . قوله تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ﴾ الآية .

قال عَظُمُ^(١) أهل التفسير : أخبر الله - تعالى - في هذه الآية اختلاف أحوال أهل الكتاب ، في الأمانة والخيانة ؛ ليكون المؤمنون على بصيرة في ترك الركون إليهم ؛ لاستحلال أموالهم^(٢) .

قال^(٣) مقاتل^(٤) : يعني بالذي يُؤَدِّي : مؤمني أهل الكتاب ، وبالذي لا يُؤَدِّي : كُفَّارَهُمْ .

وقال ابن عباس في رواية الضحاك^(٥) : أودع رجلُ عبد الله بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب ، فأدَّاهُ إليه ، فمدحه الله عز وجل . وأودع رجلٌ فنحاص^(٦) بن عازورا^(٧) ديناراً فخانه .

وقوله تعالى : ﴿تَأْمَنُهُ بِقَنْطَارٍ﴾ .

-
- (١) عَظُمُ الشيء ، ومُعْظَمُهُ : جُلُّه وأكثرُهُ . انظر : اللسان (عظم) ٣٠٤ / ٥ .
 (٢) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٣١٧ .
 (٣) في (ج) : (وقال) .
 (٤) في تفسيره ١ / ٢٨٥ نقله عنه بالمعنى .
 (٥) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه . وقد وردت في تفسير البغوي ٢ / ٥٦ ، وزاد المسير ١ / ٤٠٨ ، والخازن ١ / ٣٠٩ .
 (٦) في (ب) : (فيحاص) .
 (٧) وردت في المصادر التي رجعت إليها : (عازوراء) بمد وهمز . انظر : تفسير البغوي ٢ / ٥٦ ، وزاد المسير ١ / ٤٠٨ ، وتفسير القرطبي ٤ / ١١٥ .
 وفنحاص ، سَيِّد بني قَيْنُقَاع اليهود ، ومن أحبارهم ، وعلمائهم . انظر : سيرة ابن هشام ١٣٧ ، و١٨٧ ، و٢٠١ ، وتفسير الطبري ٧ / ٤٥٥ .

يقال : أمتنهُ بكذا ، وعلى كذا ، كما يقال : مررت به ، وعليه^(١) . فمعنى الباء : إصاقتُ الأمانة^(٢) . ومعنى (على) : استعلاء الأمانة^(٣) . وهما يتعاقبان^(٤) هاهنا لتقارب المعنى .

وفي قوله : ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ وجوه من القراءة :

تسكين الهاء^(٥) ، وهو رديء عند أهل النحو ، خطأ عند الزَّجَّاج^(٦) ؛ لأن الجزم^(٧) ليس في الهاء ، وإنما هو في ما قبل الهاء ، والهاء اسم^(٨) المَكْنِي^(٩) ، والأسماء لا تجزم في الوصل^(١٠) .

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٥٢٠ .
- (٢) انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ١٢٣ ، ومغني اللبيب ١٣٧ .
- (٣) انظر : كتاب معاني الحروف للرماني ١٠٨ ، ومغني اللبيب ١٩٠ .
- (٤) في (ج) : (متعاقبان) .
- (٥) وهي قراءة أبي عمرو من رواية عبد الوارث واليزيدي عنه ، وقراءة حمزة ، وعاصم من رواية أبي بكر عنه . انظر : السبعة ٢٠٧-٢١٢ ، والتبصرة ٤٦١ ، وإتحاف فضلاء البشر : ١٧٦ .
- والخلاف هنا في حال الوصل ، أما في حال الوقف فلا خلاف على الإسكان .
- (٦) انظر : معاني القرآن له ١/ ٢٣٤ .
- (٧) في (ج) : (الحرف) .
- (٨) في (ج) : (الاسم) .
- (٩) (المكني) : ساقطة من (ج) .
- (١٠) ما ذكره المؤلف من كون هذه القراءة غير مرضية عند أهل النحو ، ومُحْطَاة ، فإنه لا يؤثر في صحة هذه القراءة ؛ لأن القراءات المعتمدة قرآنٌ ، فهي حجة على النحو واللغة ، وليس النحو واللغة حجة عليها . وما النحو واللغة إلا أداتان خادمتان لكتاب الله تعالى . يقول أبو عمرو الداني : «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل . والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياسٌ عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها والمصير إليها» . النشر ١/ ١٠ ، ١١ .
- ويقول القراء : «والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية ، فلا يقبحنَّ عندك تشنيعٌ مشنَّع مما لم يقرأه القراء مما يجوز» . معاني القرآن ١/ ٢٤٥ .
- فالقراءات (ما دام سندها الرواية ، ودعامتها السماع ، فهي من أجل هذا أقوى من المصادر الأخرى =

وقال الفرّاء^(١) : من العرب من يجزم الهاء ، إذا تحرك ما قبلها ، فيقول : ضربته ضرباً شديداً ، كما يسكنون ميم (أنتم) و(قمتم) ، وأصلها الرفع ، وأنشد :

لَمَّا رَأَى أَنْ لَا دَعَه وَلَا شَبَعَ^(٢)

كالشعر وغيره ؛ لأن رواية القراءات يتحرّجون من عدم الدقة فيها ، على حين لا يبالون بالخرج في غيرها ؛ حينئذ نخون الحافظة ، أو يستبد النسيان ، أو يقع على الألسنة التحريف . أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ٥٨ .

أما ما يتعلق بهذه القراءة ، ونخطة الزّجاج لها ، فقد دفع هذا أبو حيّان ، فقال : «وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان غلط ، ليس بشيء ؛ إذ هي قراءة في السبعة ، وهي متواترة . وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء ، فإنه عربي صريح ، وسماع لغة ، وإمام في النحو ، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا ، وقد أجاز ذلك الفرّاء ، وهو إمام في النحو واللغة ، وحكى ذلك لغة لبعض العرب ، تجزّم في الوصل والقطع . وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء ، إذا كانت بعد متحرك ، وأنهم يسكنون أيضاً . . . » .

البحر المحيط ٢/ ٤٩٩ ، وانظر : الكشف ١/ ٣٤٩ .

انظر : ما سبق بيانه عند التعليق على توجيه المؤلف لقراءة نافع الواردة في قوله تعالى : ﴿فَيَكُونُ طَيِّراً يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ من آية ٤٩ ، وعند تعليقي على توجيه المؤلف لقراءة ابن كثير لقوله تعالى : ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ من آية ٧٣ ، والتعليق على كلام المؤلف حول القراءة الواردة بتسكين الهاء في قوله : ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ من آية ٧٥ .

(١) في معاني القرآن له ١/ ٢٢٣ ، ونقله عنه بتصرف .

وليس في هذا الموضوع من كتابه بيت الشعر الآتي ، وإنما ذكره الفرّاء في ١/ ٣٨٨ عند قوله : ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ . الأعراف ١١١ .

(٢) صدر بيت من الرجز لمنظور بن حبة الأسدي ، وقبله :

يَارُبُّ أَبَا زٍ مِنَ الْعُفْرِ صَدَغَ تَقَبَّضَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ فَاجْتَمَعَ
لِمَا رَأَى أَنْ لَا دَعَه وَلَا شَبَعَ مَالَ إِلَى أَرْطَاةٍ حَفِيفٍ فَاضْطَجَعَ

وقد ورد في معاني القرآن للفرّاء ١/ ٣٨٨ ، وإصلاح المنطق ٩٥ ، والمحاسب ١/ ١٠٧ ، والخصائص ١/ ٦٣ ، و ٢٦٣ ، و ٣/ ١٦٣ ، والمنصف ٢/ ٣٢٩ ، والمخصص ٨/ ٢٤ ، وشرح المفصل ٩/ ٨٢ ، و ١٠/ ٤٦ ، واللسان (أبز) ١/ ٦ ، و(أرط) ١/ ٦٣ ، و(ضجع) ٥/ ٢٥٥٤ ، و(رطا) ٣/ ١٦٦٤ ، وأوضح المسالك ٣/ ٣١٣ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٨٥٤ ، والتصريح ٢/ ٣٦٧ ، ومنهج السالك ٤/ ٢٨٠ ، و ٣٣٢ ، والأشباه والنظائر : للسيوطي ٢/ ٣٤٠ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادي (مطبوع في آخر شرح الشافية) ٤/ ٢٧٤ .

والأَبَازُ : الْقَفَّازُ ، مِنَ (الْقَفَزِ) . و(العُفْرُ) ، جمع : (عُفْرَاء) أو (أَعْفَرُ) ، وهي مِنَ الطُّبَاءِ الَّتِي يَعْلُو =

وقرى باختلاس^(١) حركة الهاء ، اكتفاءً بالكسرة من الياء^(٢) ، وأنشدوا على هذا :

أنا ابنُ كلابٍ^(٣) وابنُ أوسٍ فَمَنْ يَكُنْ
قِنَاعُهُ مَعْطِيًا فَإِنِّي لَمُجْتَلِي^(٤)

بباضها حمرة .

و(الصَّدْعُ) : الوسط من الوعول ، ليس بالعظيم ولا الصغير . وقيل : هو الشيء بين الشئين من أي نوع كان .

يصف الذئب بأنه تَقَبَّضَ ؛ أي جمع قوائمه ليثب على الظبي . فلما رأى الذئب أن لا مجال لإدراك الظبي والشبع منه ولا مجال للدعة وهي الخفض ولين العيش ، فحينها مال إلى أُرْطَاة حَقَف فاضطجع . و(الأرطاة) : شجر ينبت في الرمل وجمعها : (أُرْطَى) . و(الحَقَف) بكسر الحاء وسكون القاف ، وهو : المعوج من الرمل ، وجمعه : (أحقاف) ، و(حُقوف) ، و(حقاف) ، و(حققة) .
انظر : اللسان (أبر) ٦/١ ، و(صدع) ٤/٢٤١٤ ، و(حقف) ٢/٩٣٩ ، وشرح شواهد الشافية ٤/٢٧٥ ، ٢٧٦ .

والشاهد فيه هنا : إبدال تاء التأنيث في (دعة) هاءً ، ومعاملة الكلمة في الوصل كما تعامل في الوقف . واعترض السمين الحلبي على الفراء في إيراد هذا البيت شاهداً في هذا الموضع ؛ لأن الهاء في البيت هي هاء التأنيث ، والكلام هنا عن هاء الضمير ، وهاء التأنيث لاحظ لها من الحركة ألبتة . انظر : الدر المصون ٣/٢٦٤ .

(١) اختلاس الحركة : الإسراع بها إسراعاً يحكم السامع له أن الحركة قد ذهبت ، وهي كاملة في الوزن . انظر : التمهيد لابن الجزري ٥٩ .

فالقارئ لا يكمل الحركة ، بل يأتي بثلاثيها فقط .

(٢) وهي قراءة نافع برواية الحلواني عن قالون عنه ، وقراءة يعقوب وأبي جعفر من العشرة . انظر : المبسوط لابن مهران ١٤٥ ، وحجة القراءات ١٦٧ ، وإتحاف فضلاء البشر : ١٧٦ .

(٣) جاءت في (أ) و(ب) و(ج) : (حلاب) . والمثبت من مصادر البيت .

(٤) لم أقف على قائله ، وقد ورد في معاني القرآن للفراء ١/٢٢٣ ، وتهذيب اللغة (غطى) ٣/٢٦٧٨ ، والصحاح (غطا) ٢٤٤٧ ، والإنصاف ٤٠٧ ، واللسان (غطى) ٦/٣٢٧٣ ، والدر المصون ٣/٢٦٤ . وقوله : (لمجتلي) وردت في الإنصاف ، اللسان : (مجتلى) ، وفي معاني القرآن : (لمجتلى) بفتح اللام وفي الإنصاف واللسان : لم تضبط اللام وما بعدها بالشكل . وما في المخطوط موافق لما في التهذيب ، والصحاح ، والدر المصون .

وقوله : (مَعْطِيًا) ؛ من (عَطَيْتُ الشيء) : سترته ، (أَغْطِيهِ عَطِيًّا) ، ف (هو مُعْطِيٌّ) ، وهي بمعنى : =

وَقُرِئَ بِإِشْبَاعِ الْكُسْرَةِ فِي الْهَاءِ ، وَهُوَ الْأَصْلُ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ .

أي بالإلحاح^(٢) والخصومة والتقاضى والمطالبة . عن ابن عباس^(٣) وقتادة^(٤) ومجاهد^(٥) .

(١) غَطَّى يُغَطِّي . ويقال : فلانٌ مَغْطِيٌّ القناع : إذا كان خامل الذِّكْر .

وقوله : (مُجْتَلِي) ؛ أي نابِه الذِّكْر محمود الأثر . انظر : اللسان (غطى) ٣٢٧٣ / ٦ .

والشاهد في البيت اختلاس ضمة الهاء في (قناعه) ، وعدم إشباعها حتى تنشأ عنها واو .

(١) وهي قراءة عاصم برواية حفص ، وقراءة ابن كثير ، والكسائي ، ونافع من رواية ورش عنه ، ورواية الكسائي عن إسماعيل بن جعفر عنه ، وقراءة ابن عامر .

انظر : السبعة ٢٠٧-٢١٢ ، والمبسوط لابن مهران ١٤٥ .

(٢) في (ج) : (بالإلحاح) .

(٣) لم أقف على مصدر قوله . وقد ورد في تفسير البغوي ٩٢ / ٢ .

(٤) قوله في تفسير عبدالرزاق ١ / ١٢٣ ، والطبري ٣ / ٣١٧ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٦٨٣ ، وزاد المسير ٤٠٩ / ١ .

(٥) قوله في تفسيره ١٢٩ ، وتفسير الطبري ٣ / ٣١٧ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٦٨٣ ، وزاد المسير ٤٠٩ / ١ .

قال ابن قتيبة^(١) : أصله أن المطالب للشيء يقوم فيه ويتصرف ، والتارك له يقعد عنه . دليله : قوله [عز وجل]^(٢) : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ [آل عمران : ١١٣] ؛ أي عاملة بأمر الله ، غير تاركة . ثم قيل لكل من واطب على مطالبة أمر : (قام به) ، وإن لم يكن ثم قيام^(٣) . ومثله قال ابن الأنباري^(٤) ، وأنشد^(٥) للأعشى :

يَقُومُ^(٦) عَلَى الْوَعْمِ فِي قَوْمِهِ فَيَعْفُو إِذَا شَاءَ أَوْ يَنْتَقِمُ^(٧)
أراد : يحققه ويتمسك بالمطالبة به ، وليس ثم قيام على الرجل .

(١) في تأويل مشكل القرآن ١٨١ . نقله عنه بتصرف واختصار .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) في (ج) : (تم) .

(٤) لم أقف على مصدر قوله .

(٥) قد يكون الضمير في (أنشد) يعود على ابن الأنباري ؛ لأنه أقرب متحدث عنه ، وقد يرجع إلى ابن قتيبة ؛ لأن المؤلف هنا ينقل كلامه ، وابن قتيبة قد أنشد هذا البيت في هذا الموضع استدلالاً على المعنى الذي ذهب إليه ، وحينها يكون قول المؤلف : «ومثله قال ابن الأنباري» جملةً معترضةً ، وهو الذي أرجّحه .

(٦) في (ج) : (نقوم) .

(٧) البيت في ديوانه ١٩٨ ، وتأويل مشكل القرآن ١٨١ ، والنكت والعيون ٨٥٩/٢ . وقد ورد في النكت : (على الرّغم) .

والشاعر يمدح قيس بن معديكرب . و(الوعم) : الحقد الثابت في الصدر ، والثأر ، والقهر . انظر : (وغم) في العين ٤/٤٥٦ ، واللسان ٨/٤٨٨٠ ، والقاموس ١١٦٧ . ومعناه : يقوم مطالباً بالثأر لقومه ، ولا يقعد ولا يتوانى عن ذلك .

وقال أبو علي الفارسي^(١) : القيام في اللغة بمعنى الدوام والثبات . وذكرنا ذلك في قوله : ﴿يُؤَيِّمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣] . وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ : ﴿دِينًا قِيمًا﴾^(٢) [الأنعام: ١٦١] ؛ أي دائماً ثابتاً لا يُنسخ كما نُسخَت الشرائع التي قبله . فمعنى قوله : ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ؛ أي دائماً ثابتاً في اقتضائك له ، ومطالبتك إياه .

ومن المفسرين من يجعل القيام هاهنا حقيقةً . قال السدّي^(٣) : يعني : إلّا ما دمت قائماً على رأسه^(٤) ، بالاجتماع معه ، والملازمة له . وهو اختيار أبي رَوْق ، قال^(٥) : [يعترف بها]^(٦) دفعت إليه ، ما دمت قائماً على رأسه ، [فإن أنظرته وأخرت]^(٧) ، أنكر وذهب به . والقول الأول اختيار الفراء^(٨) والزجاج^(٩) .

وقوله^(١٠) تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ﴾ ؛ أي ذلك الاستحلال والخيانة ، بأنهم يقولون : ليس علينا في ما أوْتَمْنَا^(١١) من أموال العرب

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) قُسر (قيماً) ؛ بمعنى : مستقيماً . ولا منافاة بين التفسيرين . قال الألوسي : «ولا فرق بين (القيم) و(المستقيم) في أصل المعنى عند الكثير . وفسروا (القيم) بالثابت المقوم لأمر المعاش والمعاد ، وجعلوا (المستقيم) من : استقام الأمر ؛ بمعنى : ثبت . وقيل : (المستقيم) مقابل (المعوج) . والقيم : الثابت الذي لا ينسخ» . روح المعاني ٨ / ٧٠ . انظر : تفسير الطبري ٨ / ١١١ ، وتهذيب اللغة (قام ٢٨٦٢ / ٣) .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣ / ١١٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٨٣ .

(٤) في (ب) : (على مطالبته) .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (بعته ما) . والمثبت من (ج) .

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وساقط من (ب) . والمثبت من (ج) .

(٨) انظر : معاني القرآن له ١ / ٢٢٤ .

(٩) انظر : معاني القرآن له ١ / ٤٣٣ .

(١٠) في (ب) : (قوله) .

(١١) في (ج) : (أصبنا) .

سبيل ؛ [لأنهم مشركون . فالأُمِّيُّون على هذا القول : العرب كلهم] ^(١) . وهو ^(٢) قول قتادة ^(٣) والسدي ^(٤) .

وكانت اليهود تستحل ظلم من خالفهم في دينهم ، وتقول ^(٥) : لا حرج علينا في جنس ^(٦) أموال العرب ، قد ^(٧) أحلها الله لنا ؛ لأنهم ليسوا على ديننا ^(٨) .

و ^(٩) روي في الخبر : أنه ^(١٠) لما نزلت هذه الآية ، قال النبي ﷺ : «كذب الله أعداء الله» ^(١١) ، ما من شيء كان في الجاهلية ، إلّا وهو [تحت] ^(١٢) قَدَمِي ، إلّا الأمانة ؛ فإنها مُؤَدَّاةٌ إلى البرِّ والفاجر ^(١٣) .

-
- (١) ما بين المعقوفين : غير مقروء في (أ) . وساقط من (ب) . والمثبت من (ج) .
- (٢) في (ب) : (وهذا) .
- (٣) قوله في تفسير الطبري ١١٧/٣ ، وابن أبي حاتم ٦٨٣/٢ ، والدر المنثور ٧٧/٢ وزاد نسبة إخرجه إلى عبد بن حميد .
- (٤) قوله في تفسير الطبري ١١٧/٣ ، وابن أبي حاتم ٦٨٣/٢ .
- (٥) في (ب) : (فتقول) .
- (٦) في (ب) : (أخذ) .
- (٧) (قد) : ساقطة من (ب) .
- (٨) في (ب) : (دين) .
- (٩) في (ب) : (لما) .
- (١٠) (أنه) : ساقطة من (ج) .
- (١١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وبياض في (ب) . والمثبت من (ج) .
- إلّا أن الحديث في مصادره كلها الآتية ، ورد بلفظ : (كذب أعداء الله) .
- (١٢) ما بين المعقوفين غير مقروء تماماً في (أ) ، وبياض في (ب) ، والمثبت من (ج) ومصادر الخبر .
- (١٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٧/٣ ، وابن أبي حاتم ٦٨٣/٢ ، والثعلبي ٦٠/٣ ب ، وابن كثير ٤٠١/١ ، وأورده السيوطي في الدر ٧٧/٢ وزاد نسبة إخرجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وقد أخرجه كلهم عن سعيد بن جبير مرسلاً . وقال الشيخ أحمد شاكر عن إسناده إلى سعيد بن جبير : «وإسناده إليه إسناده جيد» . هامش تفسير الطبري ٤٧٣/١ .

وقال ابن عباس في رواية عطاء^(١) : الأُمِّيُّون هاهنا : أصحاب النبي ﷺ ، والمسلمون .

وهو قول الحسن^(٢) ومقاتل^(٣) وابن جريج^(٤) ، قالوا : إن اليهود كانوا استدانوا من العرب وباعوهم ، ولزمتهم الأثمان ، فلما أسلم أصحابُ الحقوق ، [قالت]^(٥) اليهود حين تقاضوهم^(٦) ليس لكم علينا شيء ؛ لأنكم تركتم دينكم ، وتحولتم ، فسقطت عنا ديونكم ، وأدَّعوا أنَّ ذلك في التوراة ، فكذبهم الله عز وجل ، فقال : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم يكذبون .

٧٦ . قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ﴾ ، في ﴿ بَلَى ﴾ وجهان ؛ أحدهما : أنه جواب متصل بالجدِّ المتقدم ، وهو قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ ﴾ ، فقال الله - عز وجل - رادًّا عليهم^(٧) : ﴿ بَلَى ﴾ ؛ [أي بلى]^(٨) عليهم سبيل في ذلك . وهذا اختيار الزَّجَّاج ، قال^(٩) : وعندي وقف التمام على ﴿ بَلَى ﴾ . وما بعده استئناف^(١٠) .

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية .

(٢) قوله في النكت والعيون ١/ ٤٠٣ ، وتفسير البغوي ٢/ ٥٦ .

(٣) قوله في تفسيره ١/ ٢٨٥ .

(٤) قوله في الطبري ٣/ ١١٧ ، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٨٣ ، والنكت والعيون ١/ ٤٠٣ .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٦) في (ب) : (نقضوهم) .

(٧) عليهم : ساقطة من (ج) .

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٩) في معاني القرآن له ١/ ٤٣٤ . نقله عنه بالمعنى .

(١٠) في (ب) : (وما بعدها مستأنف) .

والوجه الثاني : أن ﴿بَلَى﴾ ابتداء كلام ، أتى به بياناً [وتصديقاً لما بعده]^(١) ، وهي^(٢) كلمة مصححة لحب الله - عز وجل - من اتَّقاءُ وعبدَه وخاف عقابه . وعلى هذا الوجه لا يحسن الوقف على ﴿بَلَى﴾ .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ . مضى الكلام في معنى (الوفاء) ، و(العهد)^(٣) .

قال المفسرون ؛ أي بما^(٤) عهد^(٥) الله إليه في التوراة ، من الإيمان بمحمد ، والقرآن ، وأداء الأمانة^(٦) .

والهاء^(٧) في (عهده) تعود على اسم الله ، في قوله : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ . ويجوز أن تعود على ﴿مَنْ﴾ ؛ لأن العهد مصدر يضاف إلى الفاعل وإلى المفعول^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَتَقَى﴾ ؛ أي الكفر^(٩) ، والخيانة ، ونقض العهد . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ . يريد : مَنْ كانت هذه صفته .

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وفي (ب) : (وفيت لما بعده) . والمثبت من (ج) .

(٢) في (ج) : (هو) .

(٣) انظر : تفسير البسيط : البقرة ، ٤٠ .

(٤) في (ج) : إنما . ومن قوله : (أي بما) إلى (. . . الأمانة) : نقله بنصه عن تفسير الثعلبي ٣ / ٦٠ ب .

(٥) في (أ) و(ب) : (عاهد) ، والمثبت من (ج) وتفسير الثعلبي .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٣٢٠ .

(٧) في (ج) : (والفاء) .

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٦٠ ب ، والدر المصون ٣ / ٢٧١ ٢٧٠ .

(٩) من قوله : (الكفر . . .) إلى (. . . هذه صفته) : نقله بتصرف يسير جداً عن تفسير الثعلبي ٣ / ٦٠ ب .

٧٧. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ الآية . أكثر أهل التفسير على أن هذه الآية نزلت في اليهود^(١) .

قال عكرمة^(٢) : إن جماعة من علمائهم^(٣) كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة من شأن محمد عليه السلام ، وبدّلوه ، وكتبوا غيره بأيديهم من عندهم ، في ما ادّعوه أنه ليس عليهم في الأميين سبيل ، وحلفوا أنه من عند الله ؛ لئلا تفوتهم الرّشى^(٤) والمآكل .

ودليل هذا قوله في سورة البقرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية^(٥) .

(١) ممن قال بذلك : عكرمة كما سيأتي ، ومقاتل ، والكلبي ، والحسن . انظر : تفسير مقاتل ٢٨٥ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٦١ / ٣ ب ، وأسباب النزول للمؤلف ١١٢ ، والنكت والعيون ٤٠٤ / ١ . ولم أقف على غيرهم قال بهذا القول . وفي الآية روايات أخرى صحيحة ، تخالف هذا القول ذكرها المفسرون ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله . انظر : تفسير الطبري ٣٢٠ / ٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٨٦ / ٢ ، وابن كثير ٤٠١ / ١ ، والدر المنثور ٧٧ / ٢ .

(٢) قوله في تفسير الطبري ٣٢١ / ٣ ، و٥٢٨ / ٦ ، وتفسير الثعلبي ٦١ / ٣ ب ، وأسباب النزول للمؤلف ١١٢ ، وتفسير البغوي ٥٦ / ٢ ، وزاد المسير ٤١١ / ١ .

(٣) هم أبو رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحُيي بن أخطب . كما في المراجع السابقة .

(٤) الرّشى - بكسر الراء ، وبضمها - جمع رَشوة بفتح الراء وبضمها وبكسرهما ، وهي الجُعَل الذي يُتوصل به إلى الحاجة ، وأصلها من الرّشاء ، وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ، والمصدر الرّشؤ . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٢٦ ، واللسان (رشا) ٣ / ١٦٤٨ .

(٥) سورة البقرة ١٧٤ . وهذه الآية نزلت في اليهود . انظر : تفسير الطبري ٨٩ / ٢ .

وقال ابن عباس في رواية باذان^(١): نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضَيْعَةٍ، فَهَمَّ الْمَدْعَى عليه أن يحلف، فنزلت هذه الآية، فَكَلَ الْمَدْعَى عليه عن اليمين، وأقر للمدعي بحقه، ودفعه إليه^(٢).

(١) في (ب): (بانوان). ولم أقف على مصدر هذه الرواية. وباذان، هو أبو صالح، مولى أم هانئ، يقال: باذان، وباذام، وقد سبق. ورواية باذان عن ابن عباس وردت في تفسير الثعلبي من طرق كلها عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) ورد عن ابن جريج أثر قريب من هذا القول أخرجه الطبري في تفسيره ٣/ ٣٢٢: «قال [يقصد جريجاً]: قال آخرون...» ثم ذكره. وملخصه أن الأشعث بن قيس اختصم مع رجل في أرض، فطلب الرسول ﷺ من الرجل البيئة، فقال: ليس يشهد لي أحد على الأشعث، قال: فلك يمينه. فقام الأشعث ليحلف، فأنزل الله هذه الآية، فنكل الأشعث، وقال: إني أشهد الله وأشهدكم أن خصمي صادق. فردَّ إليه أرضه، وزاده من نفسه زيادة كثيرة... قال الشيخ أحمد شاکر: «هذا حديث مرسل، لم يذكر ابن جريج من حدثه به، فهو ضعيف الإسناد». المرجع السابق. وورد في نزول هذه الآية أسباب أخرى، أصح من هذا الأثر، فقد ورد أنها نزلت في السبب الآتي: (قال رسول الله ﷺ: «من حلف يمين صبر؛ ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان.») فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ فَذَخِلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: فِيَّ أَنْزَلْتَ، كَانَتْ لِي بَثْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْتُكَ أَوْ يَمِينُهُ». فَقُلْتُ إِذَا يَحْلِفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْر... إلى آخره.

أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾، واللفظ له، انظر: فتح الباري ٨/ ٢١٢. وأخرجه مسلم في صحيحه ١٣٨ في كتاب الإيمان، باب (وعيد من اقتطع حق مسلم). وأبو داود في السنن ٣٢٤٣ في كتاب الإيمان والنذور، باب: (في من حلف يميناً ليقطع بها مالاً). والترمذي في السنن ٢٦٦٩ في كتاب التفسير، باب (ومن سورة آل عمران). وابن ماجه في السنن ٢٣٢٢ في كتاب الأحكام، باب (البيئة على المدعي). وأحمد في المسند ٥/ ٢١١، و٢١٢، وانظر: المسند شرح شاکر ٥/ ٢١٠ رقم ٣٥٩٧، و٥٨/ ٦ رقم ٤٠٤٩. والبيهقي في السنن ١٠/ ١٧٨، وأبو داود الطيالسي في مسنده ٣٥ رقم (٢٦٢)، ١٤١ رقم (١٠٥٠)، و١٠٥١، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ٢٣٤، والحميدي في مسنده ١/ ٥٣ رقم (٩٥)، والنسائي في تفسيره ١/ ٢٩٩، والطبري في تفسيره ٣/ ٢٢٠، وفيه أن الخصومة كانت بين الأشعث وبين رجل من اليهود، وأخرجه ابن أبي حاتم في ٢/ ٦٨٦. وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ سبباً آخر عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: (أن رجلاً أقام سلعة في السوق، فحلف فيها: لقد أعطيها بها ما لم يُعطه؛ ليقع فيها رجلاً من المسلمين. فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾). انظر: فتح الباري ٨/ ٢١٣، وأخرجه كذلك الطبري ٦/ ٥٣٣، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٨٦ =

ومعنى ﴿يَشْتَرُونَ﴾ : يستبدلون^(١) . وذكرنا هذا في قوله : ﴿أَشْتَرُوا
الضَّلَالَةَ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ . جاز^(٣) أن يكون^(٤) إسماع الله
- جلّ وعز - أولياءه كلامه بغير سفير خصوصيةً يُخَصُّ بها أولياءه ، فهو لا [يكلم
هؤلاء أصلاً . ويكون المحاسبة معهم بكلام الملائكة .

وجائز أن يكون معنى^(٥) [﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ : أي لا يكلمهم بكلام
يَسْرُهُمْ . ونفى الكلام أصلاً ؛ لأنه يتضمن^(٦) معنى الغضب ؛ كما يقال : فلان
لا يكلم فلاناً ، تأويله : أنه غضبان عليه ، وإن كلمه بكلام سوء ، لم ينقض ذلك .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ . أراد نظر الرحمة ؛ كما يقال : نظر فلان
لفلان ، ونظر الأمير لرعيته : إذا رحمهم ، وبهذا فسرّه ابن عباس ، فقال^(٧) : يريد :
لا^(٨) يرحمهم .

وقد وردت روايات أخرى ، ولكن هاتان الروايتان أصح ما ورد ، وعليهما الاعتماد ، وهما نصّان
في السببية ، ولا يمتنع أن يتعدد السبب والنازل واحد . وقال الكرمانى : «لعل الآية لم تبلغ ابن أبي
أوفى إلّا عند إقامته السلعة ، فظنّ أنها نزلت في ذلك ، أو أن القصتين وقعتا في وقت واحد ، فنزلت
الآية» . فتح الباري ١١ / ٥٦٠ . ولكن هذا لا يمنع أن يدخل اليهود فيها ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب كما هو معروف . انظر : بقية الروايات في تفسير الطبري ٦ / ٥٣٠ - ٥٣٤ .

(١) في (ب) : (يسترون : يستدلون) .

(٢) في (ج) : (واشترؤا) . سورة البقرة ١٦ .

(٣) في (ب) : (فإِما) .

(٤) من قوله : (أن يكون) إلى (لم ينقض ذلك) نقله عن معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٣٤ نقل بعض عباراته
بالنص ، وتصرف في بعض عباراته بالزيادة والاختصار .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٦) في (ج) : (يضمن) .

(٧) لم أقف على مصدر قوله .

(٨) في (ب) : (ولا) .

وروى جعفر بن سليمان الضُّبَيْعِي^(١) عن أَبِي عِمْرَانَ^(٢) الْجَوْنِي^(٣) ، أنه قال^(٤) : ما نظر الله - عز وجل - إلى شيءٍ إِلَّا رَحِمَهُ ، ولو قضى أن ينظر إلى أهل النار لَرَحِمَهُمْ ؛ ولكن قضى أن لا ينظر إليهم . ومضى الكلام في معنى تركية الله .

٧٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ . يعني : من اليهود^(٥) . وفي هذا دليل أن الآية المتقدمة نازلة^(٦) في اليهود ، حيث عطف عليها بهذه [الآية]^(٧) التي هي^(٨) نازلة فيهم بلا خلاف .

وقوله تعالى : ﴿يَلْوَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ . قال مجاهد^(٩) ، وقتادة^(١٠) ، والربيع^(١١) ، وابن جريج^(١٢) : يحرفونه^(١٣) بالتغيير والتبديل .

(١) هو أبو سليمان الحرشي البصري . قال عنه ابن حجر : «صدوق زاهد ، لكنه كان يتشيع» ، وعده من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين ، توفي سنة (١٧٨ هـ) . انظر : الجرح والتعديل ٢ / ٤٨١ ، وميزان الاعتدال ١ / ٤٠٨ ، وتقريب التهذيب ٩٤٢ .

(٢) في (ج) : (أبي عمر) .

(٣) في (ب) : (الجرني) . وهو أبو عمران ، عبد الملك بن حبيب ، البصري ، الأزدي ، الجوني . ثقة ، من التابعين ، توفي سنة ١٢٨ هـ ، وقيل : بعدها . انظر : الأنساب ٢ / ١٢٥ ، وتقريب التهذيب : ٤١٧٢ .

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٦٣ ، وقد أورده بسنده عنه .

(٥) وهذا قول ابن عباس في رواية عطية ، والربيع ، وقتادة ، وإليه ذهب الطبري ، وابن كثير . وذهب الحسن ، وابن عباس في رواية الضحاك إلى أنهم أهل الكتاب كلهم . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٣٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٨٨ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ٦٤ ب ، وتفسير البغوي ٢ / ٥٩ ، وزاد المسير ١ / ٤١١ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٤٠٤ .

(٦) في (ب) : (أولاً) .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٨) في (ب) : (أنها) .

(٩) قوله في تفسيره ١٢٩ ، وتفسير الطبري ٣ / ٣٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٨٩ .

(١٠) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٣٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٨٩ .

(١١) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٣٢٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٨٩ .

(١٢) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٣٢٤ .

(١٣) في (ب) : (يحرفون) .

وأصل (الْيَّ): [الْفَتْلُ ؛ من قولك : لَوَيْتُ يَدَهُ : إذا فتلتها^(١) ، و]^(٢) تحريف الكلام [وتقليبه]^(٣) عن وجهه ، و]^(٤) لِيُ اللِّسَانِ به ؛ لأن المحرّف^(٥) لَوَى لسانه^(٦) عن سَنَنِ^(٧) الصواب ، بما يأتي به من عند نفسه^(٨) .

ويحتمل أن يكون المعنى : يَلُؤُونَ بِالْأَلْسِنَةِ الْكُتَابَ^(٩) ؛ لأنهم^(١٠) يحرفون الكتاب عما هو عليه ، بِالْأَلْسِنَةِ ، فأتى به على الْقَلْبِ . وَالْقَلْبُ سَائِغٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ . ولهذا نظائر وأشباه .

وقوله تعالى : ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ ؛ أي لتحسبوا ما لَوُوا أَلْسِنَتَهُمْ به ، وما حرفوه من الكتاب .

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٣٢٤ ، وقال : «وأصل (الْيَّ) : الْفَتْلُ والقلب ، من قول القائل : لوى فلان يد فلان : إذا فتلها وقلبها» .
- (٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وساقط من (ب) . والمثبت من (ج) .
- (٣) في (ب) : (وتقلبه) . وقد جاءت في النسخ الثلاث : (وتقلبه) . وما أثبتته من تفسير الخازن ١ / ٣١١ ؛ حيث نقل عبارة الواحدي ، وفيها : (تقليبه) وهي الأليق بسياق الكلام .
- (٤) ما بين المعقوفين زيادة لازمة ليستقيم بها الكلام .
- (٥) في (ب) : (الحرف) .
- (٦) (لسانه) : ساقطة من (ج) .
- (٧) في (ب) : (حسن) .
- (٨) (بما يأتي به من عند نفسه) : ساقط من (ب) .
- (٩) (بالألسنتهم الكتاب) : الكتاب : غير مقروء في (أ) . وفي (ب) و(ج) : (الستهم بالكتاب) ، ولا يستقيم بها المعنى . وما أثبتته من تفسير الخازن ١ / ٣١١ ؛ حيث نقل عبارة الواحدي هذه ، وهي الأصح والأليق بسياق الكلام .
- (١٠) في (ب) : (أي) .

فرجعت^(١) الكناية^(٢) إلى مفعول ﴿يَلُؤْنَ﴾ ، وهو غير مذكور^(٣) ، ولكن الفعل يدل عليه^(٤) .

٧٩ . قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ الآية . لما ادعت اليهود والنصارى أنهم على دين إبراهيم ، أخبرهم النبي ﷺ أنهم ليسوا على دينه ، غضبوا ، وقالوا : ما يرضيك منا يا محمد إلا أن نتخذك رباً ونعبدك . فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غير الله ، ما بذلك بعثني ربي » . فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية . هذا قول ابن عباس^(٥) .

وقال الضحاك^(٦) ، ومقاتل^(٧) : كانت النصارى تقول : إن عيسى إله معبود ، وزعموا أن عيسى قال لهم ذلك ، فنزلت الآية فيهم .

فقوله^(٨) : ﴿مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ﴾^(٩) يعني محمداً - عليه السلام - على قول ابن عباس ، وعلى قول مقاتل يعني : عيسى .

(١) في (ب) : (ورجعت) .

(٢) الكناية ، هي الضمير ؛ لأنه يكتنى به ؛ أي يرمز به عن الظاهر .

(٣) في (ج) : (منكور) .

(٤) (وهو غير مذكور ولكن الفعل يدل عليه) : ساقط من (ب) .

(٥) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٤ ب ، وأسباب النزول للواحدي ١١٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٠٤ ، ولباب النقول ٥٤ ، والدر المنثور ٢/ ٨٢ وزاد نسبة إخراجهم إلى ابن إسحاق ، وابن المنذر ، والبيهقي في الدلائل .

(٦) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٦٤ ب ، وأسباب النزول للواحدي ١١٦ ، وتفسير البغوي ٢/ ٥٩ ، وزاد المسير ١/ ٤١٣ .

(٧) قوله في تفسيره ١/ ٢٨٦ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٤ ب ، وتفسير البغوي ٢/ ٥٩ زاد المسير ١/ ٤١٣ .

(٨) (فقوله) : ساقط من (ج) .

(٩) في (أ) : (وما) .

و(الحُكْم)^(١) في اللغة وفي التفسير: العلم والفقه ، قال الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَهُ
الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢] ، يعني العلم والفقه .

و(الحُكْم) : القضاء بالعدل^(٢) أيضاً ، ومنه قول النابغة :

وَاحْكُم كَحُكْمِ فَتَاةٍ^(٣) الْحَيِّ^(٤) . . . البيت .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ﴾ عطف على قوله : ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾ ؛ أي
ما كان لبشرٍ أن يجمع بين هذين ؛ بين التَّبَوُّة ، وبين دعاء الخلق إلى عبادة غير الله .

(١) من قوله : (والحكم . . .) إلى نهاية بيت الشعر من قول الليث بن المظفر ، نقله المؤلف بتصرف من تهذيب اللغة ٤ / ١١١ .

(٢) في (ب) : (والعدل) . وفي (ج) : (بالعذاب) .

(٣) في (ب) : (فتاة) . وفي (ج) : (فتادة) .

(٤) صدر بيت ، وتماه :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثمد
وهو في ديوانه ٣٤ ، وورد منسوباً له في كتاب سيبويه ١ / ١٦٨ ، والحيوان للجاحظ ٣ / ٢٢١ ،
وتهذيب اللغة (حكم) ١ / ٨٨٥ ، والصاحح (حكم) ٥ / ١٩٠٢ ، وأمالى ابن الشجري ٣ / ٢٩ ،
واللسان (حكم) ٢ / ٩٥١ ، و(حمم) ١٠٠٦ ، والتصريح ١ / ٢٢٥ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٧٥ .
ويروى : (. . . سراع) بدلاً من (شراع) .

والشاعر هنا يخاطب النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه ، ويطلب منه أن يحكم بالعدل في أمره ، كما
حكمت فتاة الحي ، وهي زرقاء اليمامة ، المشهورة بحدة النظر ، حيث نظرت إلى سرب حمام في الجو ،
فأحصتها ، ولم تخطئ في عددها . و(شراع) : مقبلة على شريعة الماء ؛ أي مؤرده . و(التمد) : الماء
القليل . انظر : اللسان (شرع) ٤ / ٢٢٣٨ ، والقاموس (تمد) ٢٧٠ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٧٦ ،
٧٧ . وقيل : إن معنى قوله : (احكم كحكم . . .) ؛ أي كن حكيماً كفتاة الحي ؛ أي إذا قلت فأصب
كما أصابت هذه المرأة في حكمها . انظر : التهذيب ١ / ٨٨٥ .

قال الزَّجَّاجُ^(١) : أي الله - عز وجل - لا يصطفي لنبوته الكَذْبَةَ^(٢) ، ولو فعل ذلك بشرٌ ، لَسَلَبَهُ الله - عز وجل - آياتِ النُّبُوَّةِ ، و^(٣)علاماتها . ونصب ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ على الاشتراك^(٤) بين أن يُؤْتِيَهُ وبين أن يقول^(٥) ؛ أي لا يجتمع لنبي إتيان^(٦) النُّبُوَّةِ والقول للناس : ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾ .

وقال صاحبُ النَّظْمِ : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ : نفسي ، والنفي واقع غير موقعه ؛ لأن التأويل : ما كان لبشرٍ يُؤْتِيَهُ الله الكتابَ والحكمَ والنبوةَ . وقوله تعالى^(٧) : ﴿يُؤْتِيهِ اللَّهُ﴾^(٨) صفة للنكرة^(٩) ، على تأويل : ما كان لبشرٍ يكون بهذه الحال ، أن يقول للناس : كونوا عباداً لي من دون الله .

فالمنفي^(١٠) قوله : (أن يقول الناس) . فلما^(١١) وقع ﴿أَنْ﴾ في غير موقعه ، نسق^(١٢) عليه بـ ﴿ثُمَّ﴾ . ففي الآية تقديم حرف حَقُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ ، ومثله من تقديم ما وجب أَنْ يُؤَخَّرَ في النظم : قوله تعالى^(١٣) : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ

(١) في معاني القرآن له ٤٣٥ / ١ ، ونقله عنه بتصرف .

(٢) في (ب) : (مثل ذا) بدلاً من (الكذبة) .

(٣) الواو ساقطة من (أ) و(ب) . والمثبت من (ج) ومعاني القرآن .

(٤) في (ج) : (الإشراك) .

(٥) في معاني القرآن : (يقول) ، من دون واو .

(٦) الأولى أن تكون (إيتاء النبوة) بدلاً من (إتيان) ؛ لأن الإتيان : المجيء ، وهو مصدر : (أتى يأتي) ، ومن مصادره أيضاً : (أُتِيَ ، وأُتِيَ ، وإِتياء ، ومأْتاة) . أما قوله تعالى : ﴿يُؤْتِيهِ﴾ ، فهو من (آتاه ، يُؤْتِيه) ؛ أي أعطاه ، يعطيه . والمصدر : إيتاء . انظر : تهذيب اللغة (أتى) ١ / ١١٥ ، واللسان (أتى) ١ / ٢١ .

(٧) (تعالى) : ساقطة من (ج) .

(٨) في (ب) : ﴿يَقُولُ لِلنَّاسِ﴾ .

(٩) صفة للنكرة : ساقطة من (ب) .

(١٠) في (ب) : (والمنفي) .

(١١) في (ب) : (وإنها) .

(١٢) أي عطف . وحروف النسق هي حروف العطف .

(١٣) (تعالى) : ساقطة من (ج) .

تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ^(١) ﴿الفتح: ٢٥﴾. التأويل: ولولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ لم تعلموهم؛ أي لم تعرفوهم.

وقوله تعالى: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾. قال ابن عباس^(٢): هذه لغة مُزَيْنَةٍ^(٣)، تقول للعبيد: عِبَاد^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ﴾؛ أي ولكن تقول: كُونُوا، فحذف القول؛ لدلالة الأولى عليه.

و(الرَّبَّانِي): العالم، في قول كلهم.

(١) (أن تطؤوهم): ساقطة من (ج).

(٢) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٦٥ أ.

(٣) قبيلة عربية مُضَرِّيَّة عدنانية، كانت مساكنهم بين المدينة ووادي القرى. وقد قاتلت مُزَيْنَةَ مع النبي ﷺ في غزوة حنين، واشتركوا في فتح مكة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر: معجم قبائل العرب ٣/ ١٠٨٣.

(٤) فرق الراغب بينها، فجعل (العبد) بمعنى (العابد)، وجعل (العبيد) جمع (العبد) الذي هو مسترق؛ أي أن (العباد) من العبادة، و(العبيد) من العبودية، وهي لا تمتنع أن تكون لغير الله. ثم قال: «ف (العبيد) إذا أضيف إلى الله، أعم من (العباد)؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمِيرٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، فنبه إلى أنه لا يظلم من يختص بعبادته، ومن انتسب إلى غيره من الذي تسموا بـ (عبد الشمس)، و(عبد اللات)، ونحو ذلك». المفردات (عبد): ٥٤٣. ويرى ابن عطية أن (العباد) (جمع عبد)؛ متى سبقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة، من دون أن يقرن بها معنى التحقير وتصغير الشأن، وضرب لذلك أمثلة، منها: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، و﴿عِبَادُ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. المحرر الوجيز ٣/ ١٨٧، وانظر: روح المعاني ٣/ ٢٠٧.

أخبرني العَرُوضِيُّ، عن الأزهري، قال^(١): أخبرني المنذري، عن أبي طالب^(٢)، قال: الرِّبَّانِي: العالم. والجماعة^(٣): الرِّبَّانِيُّونَ. وقال أبو العباس^(٤): الرِّبَّانِيُّونَ: العلماء.

وقال سيبويه: زادوا أَلِفاً ونوناً في (الرِّبَّانِي)، إذا^(٥) أرادوا تخصيصاً بعلم الرِّبِّ، دون غيره من العلوم، وهذا كما قالوا: (شُعْرَانِي)، و(لِحْيَانِي)، و(رَقَبَانِي)، إذا حُصِّنَ بكثرة الشَّعر، وطول اللِّحْيَةِ، وغِلِظَ الرَّقَبَةِ. فإذا نسبوا إلى الشَّعر، قالوا: (شُعْرِي)، وإلى الرَّقَبَةِ: (رَقَبِي)، وإلى اللِّحْيَةِ: (لِحْيِي)^(٦).

وقال ابن الأعرابي: الرِّبَّانِي: العالم المُعَلِّم، الذي يغدو الناس^(٧) بصِغار العلوم قبل كبارها.

وقال المبرِّد^(٨): الرِّبَّانِيُّونَ: أرباب العلم، وأحدهما: رِبَّانِي، وهو الذي يُرَبُّ العِلْمَ، ويُرَبُّ الناسَ؛ أي يعلمهم ويصلحهم، ويقوم بأمورهم^(٩).

(١) قوله هذا في تهذيب اللغة ١٣٣٦/٢.

ومن قوله: (قال... إلى... بصغار العلوم قبل كبارها): موجود مع اختلاف يسير في التهذيب ١٧٩/١٥.

(٢) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب الضَّيِّي، تقدمت ترجمته.

(٣) في (ب): (للجماعة).

(٤) هو ثعلب كما في تهذيب اللغة، قوله: «الرِّبَّانِي: العالم. والجماعة: الرِّبَّانِيُّونَ».

(٥) (إذا): ساقطة من (ج).

(٦) انظر: كتاب سيبويه ٣/٣٨٠. المقتضب ٣/١٤٤.

(٧) في (ج): (للناس).

(٨) قوله بنصه في تفسير الثعلبي ٣/٦٥ ب، تفسير القرطبي ٤/١٢٢.

(٩) انظر: الزاهر ١/٥٧٦، وتهذيب اللغة (رَبِّ) ٢/١٣٣٦، وتاج العروس (ربب) ٢/١٠.

والألف والتون : للمبالغة ، كما قالوا : (رَيَّان)^(١) ، و(عطشان) ،
و(شبعان) ، و(عُزَيَّان)^(٢) ، و(نَعْسَان) ، و(وَسْنَان)^(٣) ، ثم ضُمَّت إليه ياءُ
النسبة ، كما قيل : (لِحَيَّانِي) ، و(رَقَبَانِي) .

فعلى قول سيبويه الرَّبَّاني منسوب إلى الرَّبِّ ؛ على معنى التخصيص بعلم
الرَّبِّ ؛ أي يَعْلَمُ الشريعة ، وصفات الرب . وعلى قول ابن الأعرابي ، والمبرد
الرَّبَّاني من الرَّبِّ ، الذي هو بمعنى التربية ، على البيان الذي ذكر .

وقال أبو عبيدة^(٤) : لم تعرف العرب (رَبَّائِيَيْن)^(٥) . هذا قول أهل اللغة في
معنى^(٦) هذا^(٧) الحرف .

(١) في (أ) و(ب) و(ج) : (رَبَّان) . والمثبت من تفسير الثعلبي .

(٢) في (ب) : (وعرقان) ، وفي (ج) : (وعرثان) .

(٣) يقال : (وَسَنَ ، يَوْسَنُ ، وَسَنًا) ، و(سَنَةً) ، و(وَسْنَةً) ؛ أي أخذ في النَّعاس ، فهو : (وَسْنٌ) ،
و(وَسْنَان) ، و(مِيسَان) . والاسم : (الْوَسْن) ، وهو النَّعاس . انظر : (وسن) في المجمل ٩٢٥ ،
والقاموس ١٢٣٨ ، والمعجم الوسيط ١٠٣٣ .

(٤) قوله في مجاز القرآن ٩٧/١ .

(٥) ونص قول أبي عبيدة كما في مجاز القرآن : «لم يعرفوا رَبَّائِيَيْن» . وفي تهذيب اللغة ١٣٣٦/٢ : «قال أبو
عبيدة : وأحسب الكلمة ليست بعربية ، وإنما هي عبرانية أو سريانية ؛ وذلك أن أبا عبيدة زعم أن
العرب لا تعرف الرَبَّائِيَيْن . قال أبو عبيد : وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم» .

(٦) (معنى) : ساقطة من (ب) .

(٧) (هذا) : مطموسة في (أ) . ومثبتة من (ب) و(ج) .

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة^(١) : ربانين ؛ أي معلّمين^(٢) . وهو قول مُرّة الهَمْداني^(٣) ، واختيار عبد الله بن مُسلم^(٤) ، ويقوي هذا قول ابن الأعرابي والمبرّد^(٥) .

- (١) الرواية في تفسير الطبري ٣/ ٣٢٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٥ .
- (٢) في (ب) : (مسلمين) . واختلفت ألفاظ هذه الرواية عن ابن عباس في مصادرها ؛ فعند الطبري ورد : (حكماء فقهاء) ، وعند ابن أبي حاتم : (الفقهاء المعلمون) ، ومثله عند الثعلبي . وورد عن ابن عباس من رواية عطية العوفي : (حكماء فقهاء) ، هكذا عند الطبري . وعند الثعلبي : (حكماء علماء) . ومن رواية الضحاك عنه : (الفقهاء العلماء) . انظر : المراجع السابقة .
- (٣) هو أبو إسحاق عيسى ، مُرّة بن شراحيل ، الكوفي ، البجلي الهَمْداني ، تقدم ٢/ ٧٧ .
- (٤) هو ابن قتيبة . وقوله في تفسير غريب القرآن له ١٠٧ .
- (٥) قال الطبري : «وأولى الأقوال عندي بالصواب في (الرَّبَّانِيَّين) : أنهم جمع (رَبَّانِي) ، وأن (الرَّبَّانِي) المنسوب إلى (الرَّبَّان) الذي يربُّ الناس ، وهو الذي يُصلح أمورهم ، و(ويربُّها) ، ويقوم بها . . . » . ثم قال : «يقال منه : (رَبُّ أمري فلان ، فهو يربُّه رَبًّا ، وهو رَبُّه) . فإذا أريد به المبالغة في مدحه ، قيل : (هو رَبَّان) . . . » . ثم تابع قائلاً جامعاً بين الأقوال المختلفة : «فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا وكان (الرَّبَّان) ما ذكرنا ، و(الرَّبَّانِي) هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفتُ ، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يربُّ أمورَ الناس ، بتعليمه إياهم الخيرَ ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان كذلك الحكيمُ التقى لله ، والوالي الذي يلي أمورَ الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمورَ الخلق ، بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم ، وعائدة النفع عليهم في دينهم ، ودنياهم ، كانوا جميعاً يستحقون أن [يكونوا] مَن دَخَلَ في قوله : ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ . فالرَّبَّانِيُّون إِذَا هُمْ عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا ؛ ولذلك قال مجاهد : (وهم فوق الأخبار) ؛ لأن (الأخبار) هم العلماء ، و(الرَّبَّانِي) الجامع إلى العلم والفقه البَصَرُ بالسياسة والتدبير ، والقيام بأمور الرعية ، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم» . تفسيره ٣/ ٢٩٦ .

وقوله تعالى : ﴿يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾^(١) . ويُقرأ : (تَعْلَمُونَ)^(٢) ، من : العلم . والباء^(٣) في ﴿يَمَا﴾ ، متعلقة بقوله : ﴿كُونُوا﴾ . و(ما) في القراءتين ، هي التي بمعنى المصدر مع الفعل ، والتقدير : كونوا رَبَّانِيَّينَ ، بكونكم عالمين ؛ [أو : معلمين]^(٤) .

وعلى هذا التقدير أيضاً قوله تعالى^(٥) : ﴿وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ . ومثل هذا مِنْ كَوْنٍ^(٦) (ما) مع الفعل بمنزلة^(٧) المصدر قوله [تعالى]^(٨) : ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف : ٥١] ؛ أي كَنَسِيَانِهِمْ لقاء يومهم ، وككونهم^(٩) بآياتنا جاحدين .

(١) (الكتاب) : ساقطة من (ج) .

(٢) في (أ) : (تَعْلَمُونَ) . وفي (ب) و(ج) : مهمل ، لم يضبط بالشكل . وما أثبتته هو الصواب . وهذه القراءة بفتح التاء ، وإسكان العين وفتح اللام ، قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي : ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بضم التاء وتشديد اللام المكسورة . انظر : السبعة ٢١٣ ، والكشف ١ / ٣٥١ .

(٣) من قوله : (الباء ...) إلى (... أبلغ في هذا الوضع) : نقله باختصار وتصرف من الحجة للفارسي ٦١-٥٩ / ٣ .

(٤) ما بين المعقوفين : غير مقروء في (أ) ، وساقط من (ب) . ومثبت من (ج) .
إلا أنه ورد في (ج) : (أي معلمين) ، بدلاً من (أو معلمين) ، ولم أر لها وجهاً . والصواب ما أثبتته ؛ لأن المؤلف هنا يذكر التقدير في القراءتين باعتبار أن (ما) مصدرية فيها . ففي القراءة الأولى (تَعْلَمُونَ) ، يكون التقدير : (بكونكم عالمين) ، أو يكون التقدير : (بكونكم مُعَلِّمين) على اعتبار القراءة الثانية ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ .

ويعزز هذا ما ورد في التفسير الوسيط للمؤلف ؛ حيث أورد في هذا الموضع القراءتين ، فقال عن قراءة (تَعْلَمُونَ) ؛ (أي بكونكم عالمين) . وقال عن قراءة ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد : (بكونكم معلمين) . الوسيط تحقيق بالطيور ٢٥٥ .

(٥) لفظة (تعالى) : ساقطة من (ج) .

(٦) في (ب) : (من تكون فيه) .

(٧) في (ب) : (بمعنى) .

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٩) في (ج) : (ولكونهم) .

فأما قوله : ﴿تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ ، من قرأه ^(١) بالتخفيف ؛ فهو من (العِلْم) الذي يراد ^(٢) به : المعرفة ، فيتعدى إلى مفعول واحد ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥] ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ، وحجته ما رُوي عن عمرو ^(٣) أنه احتج بقوله : ﴿تَذَرِّسُونَ﴾ ، ولم يقل : (تَذَرِّسُونَ) ، وأيضاً فإن التشديد يقتضي مفعولين ، والمفعول هاهنا واحد ، فالتخفيف أولى .

ومن قرأ بالتشديد : فالمفعول الثاني محذوف ، تقديره : بما كتتم تُعَلِّمُونَ النَّاسَ الكتابَ ، أو غيركم الكتابَ . وحُذِفَ ؛ لأن المفعول به قد يُحذف من الكلام كثيراً .

وحجته في التشديد : أن التعليم ^(٤) يَدُلُّ على العِلْم ؛ لأن الذي يُعَلِّم لا يكون إلا عالماً بما يُعَلِّم ، والعِلْم لا يدل على التعليم ، فالتشديد أبلغ في هذا الموضع . وأيضاً فإن الرِّبَّانِيَّين لا يقتصرون على أن يَعْلَمُوا لأنفسهم حتى يتقربوا إلى الله بالتعليم ، يدل عليه قول مُرَّة بن شراحيل ^(٥) : كان عِلْقَمَةُ من الرِّبَّانِيَّين الذي يُعَلِّمُونَ النَّاسَ القرآنَ .

قال الزَّجَّاج ^(٦) : معنى قوله : ﴿كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ : كونوا معلِّمي الناس بعِلْمِكُمْ ودرِّسِكم ، عَلِّمُوا النَّاسَ وَيُنِّوْا لَهُمْ ؛ كما تقول :

(١) في (ج) : (قرأ) .

(٢) في (ج) : (يريد) .

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء عن قرأ (تُعَلِّمُونَ) .

(٤) في (ج) : (العلم) .

(٥) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٦٥ ، حلية الأولياء ٢/ ٩٨ ، وصفة الصفوة ٢/ ١٦ .

(٦) في معاني القرآن له ١/ ٤٣٥ . نقله عنه بالمعنى .

انفعوهم بهالكم . وقيل ^(١) : كونوا ممن يستحق أن يُطلق ^(٢) له صفة عالم بعلمه ؛
لإخلاصه وقيامه بحقه .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ؛ أي تقرؤون ^(٣) ، ومنه قوله تعالى :
﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩] . وشرح معنى الدرس والدراسة ، يُذكر عند
قوله : ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] .

٨٠ . قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية . أكثر القراء على رفع : (ولا
يأمرُكم) ^(٤) .

قال سيبويه ^(٥) : (ولا يأمرُكم) : منقطعة مما قبلها ؛ لأن المعنى : ولا ^(٦) يأمرُكم
الله .

(١) هذا القول يدخل ضمن معنى قول الزجاج في المصدر السابق .

(٢) في (ب) : (تطلق) .

(٣) في (ج) : (تقرون) .

(٤) القراءة برفع الراء ، هي لابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، والكسائي ، وأبي جعفر ، وعاصم برواية
الأعشى والبرجي عن أبي بكر . وكان أبو عمرو يختلس حركة الراء تخفيفاً . والقراءة بالفتح ، لعاصم
برواية حفص وحماد ويحيى عن أبي بكر ، وهي كذلك قراءة ابن عامر ، وحمزة ، ويعقوب ، وخلف .
انظر : السبعة ٢١٣ ، والمبسوط لابن مهران ١٤٥ ، ١٤٦ ، وحجة القراءات ١٦٨ ، والإقناع ٦٢١ ،
وإتحاف فضلاء البشر ١٧٧ .

(٥) في الكتاب ٥٢ / ٣ .

(٦) من قوله : (ولا ...) إلى (ابن جريج وجماعة) : ساقط من (ج) .

وقال ابن جريج^(١)، وجماعة^(٢) : ولا يأمركم محمدٌ . وما يدل على الانقطاع من الأول ما روي عن ابن مسعود ، أنه قرأ : (ولن يأمركم)^(٣) .

قال الفرّاء^(٤) : فهذا دليل على انقطاعها من النَّسَقِ ، وأنها مستأنفة فلما وقعت (لا) موقع (لن) رفعت ، كما قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩] ، وفي قراءة عبدالله : (ولن تُسأل)^(٥) .

وَمَنْ نَصَبَ ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ كان^(٦) وجهه ما قال سيبويه : إن المعنى وما كان لبشر أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة . فيكون نصباً بالنَّسَقِ على قوله : ﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ﴾ . ويقوي هذا الوجه ما ذكرنا أن اليهود قالت للنبي ﷺ : أتريد يا محمد أن نتخذك رباً ؟ فقال الله سبحانه : ما كان لبشر أن يأمر بذلك^(٧) .

(١) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٢٩ .

(٢) لم أقف على المراد بهم . وقد وردت هذه العبارة بنصها في تفسير الثعلبي ٣/ ٦٦ أ . قال : «وقال ابن جريج وجماعة» .

(٣) ذكر هذه القراءة الطبري في تفسيره ٣/ ٣٢٩ ، والفارسي في الحجة ٣/ ٥٨ ، والثعلبي في تفسيره ٣/ ٦٦ أ . وقال الطبري عن سند هذه القراءة : «فذلك خبر غير صحيح سنده» . تفسيره ٣/ ٣٢٩ .

(٤) في معاني القرآن له ١/ ٢٢٥ . نقله عنه بنصه .

(٥) انظر : هذه القراءة في تفسير الطبري ١/ ٥١٦ ، والمحزر الوجيز ١/ ٤٦٩ .

(٦) من قوله : (كان ...) إلى (لبشر أن يأمركم) : ساقط من (ج) .

(٧) سبق تخريج هذا الأثر في التعليق على تفسير آية ٧٩ من هذه السورة .

قال الرَّجَّاجُ^(١) : معنى الآية^(٢) : ولا يأمركم أن تعبدوا الملائكة والنبیین ؛ لأن الذين قالوا : إن عيسى إلهٌ ، عبدوه واتخذوه ربّاً . وقال قوم من الكفار : إن الملائكة أربابنا^(٣) ، يقال^(٤) : إنهم الصابئون^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ ﴾ استفهام معناه : الإنكار ؛ أي لا يفعل^(٦) ذلك ، وإنما جاز أن يُنْقَلَ إلى الإنكار ؛ لأنه مما أَقَرَّ بِهِ المخاطَبُ ، [و]^(٧) ظهر افتضاحه ، وبأن سقوطه ؛ لأنه مما لا يَخْفَى فسادُه ؛ فلذلك^(٨) جاء الكلام على السؤال ، وإن لم يكن معناه تَعَرَّفَ الجواب .

وقوله تعالى : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ؛ أي بعد إسلامكم .

(١) في معاني القرآن له ٤٣٦ / ١ ، ونقل عنه بنصه .

(٢) في معاني القرآن : (أي) .

(٣) في (ج) : (أرباباً) .

(٤) في المعاني : (ويقال) .

(٥) (الصابئ) هو الذي خرج من دينه ودخل في دين آخر ؛ ولذا سَمِيَ كفارُ قريش النبي ﷺ وصحابته بذلك بزعمهم ؛ لأنهم تركوا دينهم ودخلوا في دين آخر . و(الصابئة) هنا لفظة قديمة من لغة عرب ما بين النهرين من العراق ، وهو دين قديم ظهر في بلاد الكلدانيين في العراق ، واشتهر في (حرّان) من بلاد الجزيرة الفراتية ، ويُسمَّون لذلك بالحرّانية على غير قياس . ودينهم من أقدم الأديان ، ولما بعث الله إبراهيم عليه السلام ، كان الناس على دين الصابئة . وقد ترك هؤلاء دين التوحيد وعبدوا النجوم والكواكب وعظموها ، مدعين أن البشر عاجزون عن الوصول إلى جلال الخالق ، فلزم التقرب إليه بواسطة مخلوقات مقربة لديه ، وهي الأرواح الطاهرة المقدسة ، وزعموا أن هذه الأرواح تسكن الكواكب ، وأنها تنزل إلى النفوس الإنسانية بمقدار تقرب النفوس إليها ، فعبدوا الكواكب بقصد الاتجاه إلى روحانياتها . وبنوا للكواكب هياكل وجعلوا لها تماثيل . انظر : حول تفصيل معتقدهم الملل والنحل للشهرستاني ٥ / ٢ وما بعدها ، واعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين للفخر الرازي ١٤٣ ، ولسان العرب (صبا) ٢٣٩٨ / ٤ ، والمختصر في أخبار البشر ٨١ / ١ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٥٣٣ / ١ .

(٦) في (ج) : (نفعل) .

(٧) الواو : زيادة لازمة ليستقيم بها المعنى .

(٨) في (ج) : (فكذلك) .

٨١. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ ، قال أبو إسحاق^(١) : موضع (إِذْ) : نَصَبٌ . المعنى : واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله ميثاقَ النَّبِيِّينَ .

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ ، قرأ^(٢) حمزة : (لَمَّا) بكسر اللام^(٣) . ووجهه^(٤) هذه القراءة أَنَّ اللامَ في (لَمَّا) متعلق بالأخذ ، كأنَّ^(٥) المعنى : أخذ ميثاقهم لهذا ؛ لأنَّ من يُوْتَى الكتاب والحكمة ، يُؤْخَذُ عليهم الميثاق ؛ لِمَا أوتوه^(٦) من الحكمة ، وأنهم الأفاضل ، وأمائل^(٧) الناس . و(ما) على هذه القراءة تكون موصولةً بمعنى الذي . والراجع إلى (ما) مِنْ صِلَتِهَا محذوفٌ ، تقديره : لِمَا آتَيْتَكُمْوه . فَحُذِفَ الرَّاجِعُ ، كما حُذِفَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان : ٤١] . ونحو ذلك .

فإن قيل^(٨) : إذا كانت (ما) موصولةً ، لزم أن يرجع من الجملة المعطوفة^(٩) على الصلة ذِكْرٌ إلى الموصول ، وإلَّا لم يُجْزَ . ألا ترى أنك لو قلت : الذي قام أبوه^(١٠) ثم انطلق زَيْدٌ ، ذاهبٌ^(١١) لم يُجْزَ ؛ إذ لم يكن [راجعٌ مذكورٌ]^(١٢) .

(١) في معاني القرآن له ٤٣٦ / ١ . نقله عنه بنصه .

(٢) في (ج) : (وقراً) .

(٣) انظر : السبعة ٢١٣ ، وحجة القراءات ٦٢ / ٣ ، والمبسوط لابن مهران ١٤٦ .

(٤) من قوله : (ووجه . . .) إلى (. . . والمفعول لا يحتاج إلى عائد ذكر) : نقله باختصار وتصرف عن الحجة للفراسي ٦٢ / ٣ .

(٥) (أ) و(ب) و(ج) : (كان) . والمثبت من الحجة .

(٦) (أ) و(ب) و(ج) : (أتوه) . والمثبت من الحجة .

(٧) في (ب) : (وأفاضل) .

(٨) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٩) في (ب) : (الموصولة) .

(١٠) في (ب) : (أثره بدلاً من أبوه) .

(١١) (إليك) بدلاً من (ذاهب) .

(١٢) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) والحجة .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [تَتَوَمَّنَنَّ بِهِ] ^(١) ﴿ليس فيه ^(٢) راجعٌ إلى الموصول . قيل : يجوز ^(٣) أن يكون المظهر بمنزلة المضمّر . فقوله : ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ هو في المعنى : ما أتوه ^(٤) مِنْ الكتاب والحكمة ، فكأنه ^(٥) قال : ثم جاءكم رسولٌ مُّصَدِّقٌ له ؛ أي ^(٦) لِمَا آتَيْتَكُمْ مِنْ كتابٍ وَحِكْمَةٍ ، وهو ما معكم .

والصلة المظهرّة تقوم مقام المضمرة ^(٧) عند أبي الحسن الأخفش ، ومثل هذا قوله : ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٩٠] . المعنى كأنه قال : لا يضيع أجرهم ؛ لأن الذي يتقي ^(٨) ويصبر يكون من المحسنين ، وكذلك قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ^(٩) [الكهف : ٣٠] . المعنى عنده : إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ ؛ لأن مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ^(١٠) .

ووجه آخر ، وهو : أَنَّ الرَّاجِعَ هَاهُنَا مَحذُوفٌ ، وَحُسْنُ الحذف للطول ، كما حكاه الخليل ^(١١) من قولهم : ما أنا بالذي قائل لك شيئاً ، والتقدير : بالذي هو قائل .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٢) ليس فيه) : ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (ورجوعه) بدلاً (قيل يجوز) .

(٤) (أ) ، (ب) : (أتوه) . والمثبت من (ج) والحجة .

(٥) في (ج) : (وكأنه) .

(٦) له أي) : ساقط من (ج) .

(٧) في (ج) : (المضمّر) .

(٨) في (ب) : (يتق) .

(٩) من (إنا لا نضيع . . .) إلى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) : ساقط من (ج) .

(١٠) انظر : معاني القرآن للأخفش ٣٩٦/٢ .

(١١) انظر : قوله في كتاب سيبويه ٤٠٤/٢ .

كذلك ها هنا يكون التقدير : ثم جاءكم رسولٌ به ؛ أي بتصديقه ؛ أي بتصديق ما أتيتكم .

وأما من قرأ ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام ^(١) ، ف(ما) ^(٢) في هذه القراءة يحتمل ^(٣) تأويلين :

أحدهما : أن تكون موصولة . والآخر : أن تكون للجزاء ^(٤) . فمن قدرها موصولةً كان القول فيها كما ذكرنا في قراءة حمزة .

واللام في (لَمَّا) ، لام الابتداء ، وهي المتلقية ^(٥) لِمَا أُجْرِي مجرى القَسَم ؛ لأن قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ بمنزلة القَسَم ، كأنَّ المعنى : استحلفهم .

وموضع (ما) رفع بالابتداء . والخبر : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ . و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ متعلق بقَسَم محذوف . المعنى : والله لتؤمنن به . فإن قدرت (ما) للجزاء ، كانت (ما) في موضع نصب بـ ﴿ءَاتَيْتُكُمْ﴾ . و﴿جَاءَكُمْ﴾ في موضع جزم بالعطف على ﴿ءَاتَيْتُكُمْ﴾ ، واللام الداخلة على (ما) لا تكون المتلقية ^(٦) للقسم ، ولكن تكون بمنزلة اللام في قوله : ﴿لَئِنْ لَرَيْنَهُ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ [الأحزاب : ٦٠] والمتلقية للقسم ؛

(١) هم باقي القراء ، ما عدا حمزة الذي قرأ بكسرها كما سبق . انظر : السبعة ٢١٣ ، والمبسوط لابن مهران ١٤٦ ، والكشف ١ / ٣٥١ .

(٢) في (أ) و(ب) : (في ما) . والمثبت من (ج) . وفي الحجة : (فإن ما) .

(٣) في (ب) و(ج) ، الحجة : (تحتمل) .

(٤) الجزاء : هو الجواب في أسلوب الشرط ؛ لأنه جزاء مترتب على حصول الشرط .

(٥) في (ب) و(ج) : (المتلقية) .

(٦) ولتؤمنن : ساقط من (ج) .

(٧) في (ج) : (المتلقية) .

قوله ^(١): ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ ، كما أنها في قوله : ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ﴾ ^(٢) ؛ قوله ^(٣) ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ﴾ [الأحزاب: ٦٠] .

وهذه اللام الداخلة على (إن) في ﴿لَئِنْ﴾ لا يعتمد القسم عليها ؛ فلذلك جاء حذفها تارة ، وإثباتها تارة ؛ كما قال ^(٤) : ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [المائدة: ٧٣] فَتَلَحَّقَ هذه اللام مرة [(إن)] ^(٥) ، ولا تَلَحَّقُ أخرى ، كما أنَّ (أن) كذلك في قولهم : والله أن لو فعلت لفعلت ، [و] ^(٦) والله لو فعلت لفعلت ^(٧) . وهذه اللام بمنزلة (أن) الواقعة مع (لو) . وهذا مذهب سيبويه ^(٨) ، وهو يُقدَّر (ما) هاهنا للجزاء ^(٩) ، وإنما لم يحملها على أن (ما) موصولة بمنزلة الذي ؛ لأنه لو حمله على

(١) (قوله) : ساقط من (أ) و(ب) . وفي (ج) : (وقوله) . والمثبت من الحجة للفارسي .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) ومن الحجة للفارسي .

(٣) في (ب) : (وقوله) .

(٤) (قال) : ساقطة من (ج) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من الحجة للفارسي ؛ ليتضح بها المعنى .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من الحجة .

(٧) (والله لو فعلت لفعلت) : ساقطة من (ج) .

(٨) انظر : كتاب سيبويه ١٠٧/٣ .

(٩) بالرجوع إلى كتاب سيبويه يظهر ابتداءً خلاف ما ذكره المؤلف هنا ، ونص عبارة سيبويه : «وسألتني يعني الخليل» عن قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ . فقال : (ما) هاهنا بمنزلة (الذي) ، ودخلتها اللام ؛ كما دخلت على (إن) حين قلت : والله لئن فعلت لأفعلن ، واللام التي في (ما) كهذه التي في (إن) ، واللام التي في الفعل ، كهذه التي في الفعل هنا . . . » . وذكر الفارسي في الحجة : ٦٦/٣ أنَّ المازني قال : «زعم سيبويه أن (ما) بمنزلة (الذي) ، ثم فسّر تفسير الجزاء» . ثم بين الفارسي وجه قول سيبويه ، فقال : «والقول في ما قاله من أن (لما) بمنزلة (الذي) : أنه أراد أنه اسم ، كما أن (الذي) اسم ، وليس بحرف ، كما كان حرفاً في قوله : ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِكُتَهُمْ﴾ [هود: ١١١] ، ﴿وَأَنْ كَلَّا لَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥] ، فهذا المعنى أراد بقوله : إنه بمنزلة الذي ، ولم يرد أنها موصولة كـ (الذي)» . وبهذا يتضح كلام المؤلف الذي اختصره من الحجة للفارسي . انظر في هذا كذلك : الإغفال للفارسي ١/ ٥٧٩-٥٨٦ ؛ فقد نقل هنا قول سيبويه والمازني ، وناقش هذه المسألة .

ذلك ، للزم أن يكون في الجملة المعطوفة على الصلة ، ذِكْرٌ يعود على الموصول ، فلما لم ير^(١) ذلك ، ولم ير أن يضع المظهر موضع المضمر ، كما يراه أبو الحسن ، عدَلَ عن القول : بأن (ما) موصولة ، إلى أنها للجزاء ، ولم يحملها على الحذف من المعطوف على الصلة ؛ لأنه ليس بالكثير ، ولا بموضع^(٢) يليق به الحذف . و(ما) إذا كانت للجزاء ، لا تحتاج إلى عائدٍ ذِكْرٍ ، كما تحتاج إليه (ما) التي بمنزلة (الذي) ؛ لأن (ما) إذا كانت جزاءً ، مفعولٌ بها ، والمفعول لا يحتاج إلى عائدٍ ذكر . وهذا الوجه اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال^(٣) : أجود الوجهين أن يكون^(٤) (ما) للشرط والجزاء ؛ لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسول^(٥) فهذه طريقته .

وأبو عثمان المازني أيضاً اختار هذا الوجه ، فقال^(٦) : الوجه عندي : أن يكون^(٧) (ما) للجزاء ؛ لأن الفعل الماضي إنما يكون في معنى المستقبل في الجزاء لا في غيره ، والمعنى : أنه أخذ ميثاقهم على أن ينصروه ويؤمنوا بما يأتيهم في ما يستقبل من كتاب وغيره .

والدليل على أن ﴿ءَاتَيْتُكُمْ﴾ ، ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ ، معناه مستقبل قوله : ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، وإذا كان جزاءً كانت اللام تأكيداً .

(١) في (ج) : (نر) .

(٢) في (ب) : (موضع) وفي (ج) : (الموضع) .

(٣) في معاني القرآن له ٤٣٦ / ١ . نقله عنه بتصرف .

(٤) في (ب) و(ج) : (تكون) .

(٥) في (ج) ومعاني القرآن : (الرسول) . أما (الرسول) فقد وردت في كتاب الإغفال للفارسي ٥٧٩ / ١ حيث نقل قول الزَّجَّاج هذا . ويبدو أن المؤلف نقل العبارة عن الإغفال ، أو عن نسخة أخرى لمعاني القرآن ورد فيها لفظ (الرسول) .

(٦) قوله في الإغفال ٥٨٥ / ١ . وقد نقله المؤلف بنصه .

(٧) في (ب) و(ج) والإغفال : (تكون) .

وقد قال سيبويه^(١) : ومثل هذه الآية قوله : ﴿لَنْ يَنَالَكَ مِنْهُمْ لَأْمَلَانَّ جَهَمَّ﴾ [الأعراف: ١٨] ، فهذا جزاء ، والفعل^(٢) الماضي في معنى المستقبل ، ولام القسم التي تعتمد عليها اللام في ﴿لَأْمَلَانَّ﴾ وهي ، وإن كانت مؤخرة ، فمعناها التقديم .

وقوله تعالى : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ تقديره^(٣) أول الكلام ، في قول من قَدَّر (ما) جزاء ، والتمثيل : (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لتؤمنن به) ، وجواب الشرط محذوف مستغنى عنه ؛ لدلالة لتؤمنن به الذي هو جواب القسم عليه ، كما أن قولك : لَا تَيْتَنَّكُ إِنِ أَتَيْتَنِي ، كذلك . والمعنى : والله ، لَا تَيْتَنَّكُ إِنِ أَتَيْتَنِي . فيكفي جوابُ القسم من جواب الجزاء ، وإذا كانت بمعنى الجزاء على ما^(٤) وصفنا فيكون تقدير المعنى : لأنْ آتَيْتَكُمْ شيئاً من كتاب وحكمة ، ومهما آتَيْتَكُمْ ثم جاءكم رسول ، لتؤمننَّ به .

فإن قيل : ميثاق الإيمان بمحمد ﷺ ، وسائر الرسل ، مأخوذ على جميع النبيين ما^(٥) أوتوا الكتاب ، وإنما أوتي^(٦) بعضهم .

قيل : هذا على التغليب ؛ فالذكر ذكر الأنبياء الذين أوتوا الكتاب ، والمراد : هم ، وغيرهم ممن لم يؤت الكتاب ، ودخلوا في جملتهم ؛ لأنهم بمنزلة من أوتي الكتاب بما أوتوا من الحكم والنبوة ، وأيضاً فإن الذين لم ينزل عليهم الكتاب

(١) في الكتاب له ١٠٨/٣ . ونص قوله : «ومثل ذلك : ﴿لَنْ يَنَالَكَ مِنْهُمْ لَأْمَلَانَّ﴾ ، إنها دخلت اللام على نية اليمين» . وقول سيبويه هنا من تنمة نقل المؤلف لكلام المازني من الإغفال .

(٢) من قوله (والفعل ...) إلى (...) فمعناها التقديم) : نقل المؤلف هذه العبارات بالمعنى ، وهي من تنمة كلام المازني في الإغفال .

(٣) من قوله : (وتقديره ...) إلى (...) لَا تَيْتَنَّكُ إِنِ أَتَيْتَنِي كذلك) : نقله بتصريف عن الإغفال للفارسي ٥٨٧/١ .

(٤) في (ب) : (كما) بدلاً من (على ما) .

(٥) في (ج) : (عما) .

(٦) في (ج) : (أولى) .

أمروا بأن يأخذوا بكتاب نبي^(١) قبلهم ، ورزقوا علم ذلك الكتاب ، فدخلوا تحت صفة أبناء الكتاب .

وقرأ^(٢) نافع : (أتيتكم)^(٣) ، وحجته قوله : ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] ، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] ، ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ﴾ [الصافات: ١١٧] .

ومن قرأ : ﴿ءَاتَيْتُكُمْ﴾ ، فحجته قوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَاتِيَّ يَتَنَبَّئُ﴾ [الحديد: ٩] ، و﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣] ، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١] .

والقراءة الأولى أشبه بكلام البلغاء والملوك ، ومن الفصاحة تغيير العبارة عن الواحد إلى الجمع ، وعن الجمع إلى الواحد ، كقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾^(٤) [الإسراء: ٢] ولم يقل : من دوننا ، كما قال : ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ .

والقراءة الثانية أشبه بما قبله من قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ ، وبما بعده من قوله : ﴿إِصْرِي﴾ .

(١) (بأن يأخذوا بكتاب نبي) : مطموس في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٢) من قوله : (وقرأ . . .) إلى نهاية قوله : ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ : نقله بتصرف عن الحجة للفارسي ٦٩/٣ .

(٣) في (ب) : (أتيتكم) .
وهذه القراءة أيضاً لجعفر ، وقرأ الباقر ﴿ءَاتَيْتُكُمْ﴾ . انظر : المبسوط لابن مهران ١٤٦ ، والكشف لمكي ٣٥١/١ .

(٤) كُتِبَ (أَلَّا تَتَّخِذُوا) بضمير الغائب ، وهي قراءة أبي عمرو . وقرأ الباقر : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ بضمير الخطاب ، على الالتفات .
انظر : إتحاف فضلاء البشر : (٢٨١) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ، قال ابن الأنباري ^(١) : وإنما خاطب ، فقال : ﴿ءَاتَيْتُكُمْ﴾ بعد أن ذكر النبيين وهم غيب ؛ لأن في الكلام معنى قول وحكاية ، يراد : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ، فقال مخاطباً لهم : ﴿لَمَّا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ .

قال ^(٢) : ونظائر هذا كثيرة ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ .

دخلت ﴿مِنْ﴾ تبيناً لـ (ما) ؛ كقولك : ما عندي من الورق ^(٤) والعين ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ .

يقال : ما وجه ^(٦) قوله : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ ، والنبيون لم يأتهم الرسول ؛ وإنما يُبْعَثُ الرُّسُلُ إلى الأمم ، لا إلى الرُّسُلِ ؟

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) في (ج) : (وقال) .

(٣) في (ج) : (وتظاهر هذا كثرة) .

(٤) الورق ، والورق ، والورق ، والرقة : الدراهم المضروبة . وقيل : الفضة ، أكانت مضروبة أم لا . وقيل : المال بعمومه . وجمع الورق : أوراق . وجمع الرقة : رُقُون .

انظر في : الصحاح (ورق) ٤ / ١٥٦٤ ، واللسان ٨ / ٤٨١٦ ، والتاج ١٣ / ٤٧٦ .

(٥) في (ج) : (والخبر) .

و(العين) : من معانيها في اللغة مما يصلح في هذا الموضع : المال العتيد الحاضر ، والنقد ، والدينار ، والذهب عامة .

انظر (عين) : في اللسان ٦ / ٣١٩٨ ، والقاموس : ١٢١٨ .

(٦) من قوله : (ما وجه ...) إلى (وهذا من جهة المعنى) : نقله بتصريف عن الحجة للفارسي ٣ / ٦٧ ، ٦٨ .

قيل : يجوز أن يُعنى بذلك أهل الكتاب في المعنى ^(١) ؛ لأن الميثاق إذا أُخذ على النبيين ، فقد أخذ على الذين أوتوا ^(٢) كُتُبُهُمْ من أمهم .

وعامة ما يُشرع للأنبياء ^(٣) قد ^(٤) شُرِعَ لأمهم وأتباعهم ؛ يبين ذلك أن الفروض التي تلزمنا تلزم نبينا ^(٥) عليه السلام ؛ وإذا كان كذلك ؛ فأخذ ^(٦) الميثاق على النبيين ، كأخذ الميثاق على الذين أوتوا كتبهم من أمهم ، ومن ثم جاء : ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] ، فجمع النبي ﷺ ومن تبعه في الخطاب الواحد ، وهذا من جهة المعنى .

قال ابن الأنباري ^(٧) : إنما أخذ الله ميثاق النبيين ^(٨) ، بأن يؤمنوا برسول الله - جل وعز - بعدهم ، فإذا آمنوا بهم ، لزم أمهم الاقتداء بهم ، والسلوك لمنهاجهم .

وجواب آخر من طريق اللفظ ^(٩) ، وهو أن يكون المراد : وإذا أخذ ميثاق أمم النبيين وأتباع النبيين ، شرط عليهم أنبيأؤهم أن يؤمنوا بكل نبي يبعثه الله عز وجل ، ولا يكذبوه ، ولا يدخلوا في جملة أعدائه ، وأخذوا بذلك عهددهم ، فقال

(١) ممن قال بذلك طاوس ، وقتادة .

انظر : تفسير عبدالرزاق ١/ ١٢٤ ، وتفسير الطبري ٣/ ٣٣٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩٤ .

(٢) في (ب) : (أوتوا) . والمثبت من (ج) والحجة .

(٣) في (أ) و(ب) : (الأنبياء) . والمثبت من (ج) والحجة .

(٤) في (ب) و(ج) : (فقد) .

(٥) في (ج) : (نبيهم) .

(٦) في (أ) و(ب) و(ج) : (وأخذ) . والمثبت من الحجة للفارسي ؛ لأنه الأليق بالعبرة ، ودخول الواو يخل بالمعنى .

(٧) لم أقف على مصدر قوله .

(٨) في (ج) : (الميثاق على النبيين) .

(٩) وهذا الجواب قد ذكره الفارسي في الحجة ٣/ ٦٨ ، وإنما ذكر المؤلف معناه هنا .

الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ ، وهو يريد : ميثاقُ تَبَاعِ النَّبِيِّينَ ، فَحَذَفَ المضاف .

وقال صاحب النظم : معنى النَّبِيِّينَ هاهنا : معنى أُمَمِهِمْ ، وصار ذكرهم كالقبيلة للأُمم ؛ كما يقال : قَيْسٌ ، وَتَيْمٌ ، وَبَكْرٌ ، وهي أسماء رجال بأعيانهم ، نُسِبَ أولادهم إليهم ، فصاروا قبائل .

ومنه قول الشاعر :

أَتَسْأَلُنِي السَّوِيَّةَ وَسَطَ زَيْدٍ أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا^(١)
ف(زيد) هاهنا قبيلة لأصحابه ؛ لذلك قال : وَسَطَ زَيْدٍ .

وقوله تعالى : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ .

إن قيل : ما معنى أَخَذَ ميثاقَ النَّبِيِّينَ بِنُصْرَةٍ مَنْ لَمْ يَلْقَوْهُ ، ولم يدركوا زمانه ؟

قلنا : قد بَيَّنَّا^(٢) أن المراد بـ ﴿النَّبِيِّينَ﴾ : أتباعهم وأممهم . فعلى هذا ؛ لا كلام .

وإن^(٣) قلنا : المراد : هُمْ ، ثم^(٤) تتبعهم الأُمم ؛ فمعنى النصر هاهنا : أن ينصروه بتصديقه عند قومهم .

(١) البيت ورد في اللسان (سوا) ٢١٦٢ / ٤ ، ونسبه إلى البراء بن عازب الضَّبِّي .
(والسَّوِيَّةُ ، والسَّوَاءُ) : العدل ، والنَّصْفَةُ . وقوله : (تُضَامُوا) من (ضَامُهُ حَقُّهُ) (يَضِيْمُهُ ، ضَيْئاً) ؛ أي انتقصه حقه ، وظلمه .

انظر : اللسان (سوا) ٢١٦٢ / ٤ ، و(ضميم) ٢٦٢٩ / ٥ .

(٢) (قد بينا) : ساقط من (ج) .

(٣) في (ج) : (فإن) .

(٤) (ثم) : ساقط من (ج) .

قال المفسرون في هذه الآية : إن الله - تعالى - أخذ الميثاق على الأنبياء بتصديق بعضهم بعضاً . وهذا قول : سعيد بن جبير^(١) ، وقتادة^(٢) ، وطاوس^(٣) ، والحسن^(٤) ، والسدي^(٥) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٦) : لم يبعث الله - عز وجل - نبياً ، آدمَ ومن بعده ، إلا أخذ^(٨) عليه العهد في محمد وأمره^(٩) ، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ، ولئن بُعث وهم أحياء لينصرونه .

وقال ابن عباس : يريد بـ ﴿مِثْقَ الثَّنِيثِ﴾ : عَهْدُهُمْ ؛ ليشهدوا بمحمد ﷺ ، بأنه رسول الله .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ . يريد : محمداً ﷺ .

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ، يريد : إن أدركتموه . فالآية^(١٠) عامة في جميع النبيين ؛ على قول سعيد بن جبير ومن تابعه ، وخاصّة في النبي ﷺ ، على قول

- (١) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٣١ يرويه عن ابن عباس ، وفي الثعلبي ٣/ ٦٧ أ .
- (٢) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٣٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٧ أ ، والدر المنثور ٢/ ٨٤ ، وزاد نسبة إخرجه إلى عبد بن حيد .
- (٣) قوله في تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٤ ، وتفسير الطبري ٣/ ٣٣١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٧ أ .
- (٤) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٣١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٧ أ ، تفسير ابن كثير ١/ ٤٠٥ ، وانظر : تفسيره ٢١٩/١ .
- (٥) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٣٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩٤ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٧ أ .
- (٦) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٣٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٧ أ .
- (٧) (عز وجل) : ساقطة من (ج) .
- (٨) في (أ) : (خذ) . والمثبت من (ب) و(ج) ، وتفسير الطبري : والثعلبي .
- (٩) في (ب) : (وإمره) . وهكذا جاءت العبارة : (. . . وأمره ، وأخذ العهد . . .) عند المؤلف ، والثعلبي الذي نقل قول الإمام علي ، ومن سبق من التابعين ، عن كتاب نظم القرآن ، كما أشار هو إلى ذلك . ولكن عبارة الطبري أصح في المعنى ، وهي : « ويأمره فيأخذ العهد على قومه » .
- (١٠) في (أ) و(ب) : (بالآية) . والمثبت من (ج) .

عَلِيٍّ، وابن عباس رضي الله عنهما . وهذا هو الأصح ؛ لأن المراد بالآية : التَّنْوِيهِ
بذِكْرِ محمد ﷺ بما أَخَذَ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنَ التَّصْدِيقِ بِهِ ، واعتقاد النصره له ، مع
الاحتجاج على أهل الكتاب بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ النَّبِيِّينَ فِيهِ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ ﴾ ؛ أَي قَالَ اللَّهُ - تعالى - لِلنَّبِيِّينَ : أَأَقْرَرْتُمْ
بِالْإِيْمَانِ بِهِ وَالنَّصْرَةَ لَهُ ؟

و(الإقرار) في اللغة منقول بالألف ^(٢) ، من : (قَرَّ الشَّيْءُ ، يَقَرُّ) ^(٣) : إِذَا ثَبَتَ ،
ولزم مكانه ، و(أَقْرَهُ غَيْرُهُ) . والمُقَرُّ بالشَّيْءِ : يُقَرُّهُ عَلَى نَفْسِهِ ؛ أَي يُثَبِّتُهُ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ ؛ أَي قَبِلْتُمْ عَهْدِي ^(٥) . والأخذ
بمعنى (القَبُول) ^(٦) كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة : ٤٨] ؛
أَي لَا يُقْبَلُ فِدْيَةٌ ^(٧) . وقال : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَتِ ﴾ [التوبة : ١٠٤] ؛ أَي يَقْبَلُهَا .

ومضى الكلام في معنى (الإصر) ^(٨) .

(١) وقد رجَّح الطبري القول الآخر ؛ أن الآية عامَّة في النَّبِيِّينَ جَمِيعِهِمْ بأن يَصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وأخذ
على الأنبياء الميثاق على أمهم وأتباعهم بنحو الذي أخذ عليهم ربه بتصديق أنبيائه ورسله . انظر :
تفسيره ٣/ ٣٣٣ .

(٢) أي منقول بالهمزة للتعدية .

(٣) في (أ) و(ب) : (يقرو) . وفي (ج) : (يفرا) . وما أثبتته هو ما رجحت صوابه . يقال : (قَرَّ بِالْمَكَانِ ، يَقَرُّ ،
وَيَقَرُّ) بالكسر والفتح ، وبالكسر أكثر . انظر : المصادر الآتية .

(٤) انظر (قرر) : في اللسان ٦/ ٣٥٧٩ ، والتاج ٧/ ٣٨٠ .

(٥) تفسير (الإصر) بـ (العهد) ، قال به ابن عباس ، ومحمد بن إسحاق ، ومجاهد ، والربيع ، والسدي ،
وابن جريج ، وقتادة . انظر : تفسير الطبري ٣/ ٣٣٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩٥ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣/ ٣٣٤ .

(٧) انظر : تفسير البسيط ٨٦٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٧ أ .

انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٨٣ ، ١٩٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٧٦ ب .

(٨) انظر : تفسير البسيط للمؤلف عند تفسير آية ٢٨٦ من سورة البقرة .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ ؛ أي ^(١) : قال الله - عز وجل - للنبيين : فاشهدوا ^(٢) أأنتم على أنفسكم ، وعلى أتباعكم ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم . وهذا القول يُروى عن علي رضي الله عنه ^(٣) .

وقال الزَّجَّاج ^(٤) : ﴿فَاشْهَدُوا﴾ ؛ أي فبينوا ^(٥) ؛ لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي ، ويبينها ، وشهادة الله - عز وجل - للنبيين : تبيينه ^(٦) أمر نبوتهم بالآيات المعجزات ^(٧) .

وحكي عن سعيد بن المسيَّب أنه قال ^(٨) : هذا الخطاب للملائكة ، قال الله - تعالى - للملائكة ^(٩) : اشهدوا عليهم بإقرارهم ؛ فيكون خطاباً لمن لم يتقدم ذكره ^(١٠) .

٨٢. قوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ، هذا شرط ^(١١) ، وقد ذكرنا أن الفعل الماضي معناه الاستقبال في الشرط والجزاء ، وإنما جاز وقوع

(١) من قوله : (أي . . .) إلى (عليكم وعليهم) : نقله بنصه عن تفسير الثعلبي ٧٦/٣ ب .

(٢) (أي قال الله - عز وجل - للنبيين فاشهدوا) : ساقط من (ج) .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٣/٣٣٤ ، وزاد المسير ١/٤١٦ .

(٤) في معاني القرآن له ٤٣٧ . نقله عنه بتصريف يسير .

(٥) في معاني القرآن : (فبينوا) . وما كتبه المؤلف أصح من ناحية المعنى ، وأنسب لما بعده من كلام .

(٦) في (ب) و(ج) : (تبيينه) .

(٧) في (ب) : (والمعجزات) .

(٨) قوله في تفسير الثعلبي ٧٦/٣ ب ، وتفسير البغوي ٣/٦٢ ، وزاد المسير ١/٤١٦ ، وتفسير القرطبي ١٢٦/٤ .

(٩) قال الله تعالى للملائكة : (ساقط من (ج) .

(١٠) في (ج) : (لم يتقدم) .

(١١) ويجوز أن تكون ﴿مَنْ﴾ موصولة ، وتكون ﴿تَوَلَّى﴾ : صلة ، لا محل لها . ويكون ﴿فَأُولَئِكَ﴾ في هذه الحالة : في محل رفع ؛ لوقوعها خبراً .
انظر : الدار المصون ٣/٣٩٥ .

الماضي موقع المستقبل في الجزاء ؛ لأن حرف^(١) الجزاء لما كان يعمل في الفعل ، قوي على نقله من معنى المضي إلى الاستقبال ، وذلك إشارة إلى أخذ الميثاق .

قال ابن عباس^(٢) : يريد : فمن أعرض عما جئت به ، وأنكر ما عاهد الله عليه .

وقال الزَّجَّاج^(٣) : فمن تولى ؛ أي أعرض عن الإيمان بعد أخذ الميثاق ، وظهور آيات النبي ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، دخلت الفاء في (أولئك) ؛ لأنه جواب الشرط ، وإنما تدخل^(٤) الفاء في جواب الشرط ؛ لأن الثاني يجب بوجود الأول بلا فصل ؛ كقولك : إن تأتيني فلَكَ درهمٌ ، فوجوب الدرهم ، بالإتيان عقيبه بلا فصل ؛ فلذلك جاء بالفاء .

و﴿أُولَٰئِكَ﴾ ابتداء ، و﴿هُمُ﴾ ابتداءً ثانٍ ، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾ خبره ، و﴿هُمُ﴾^(٦) مع خبره خبرٌ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ ، ويصلح أن يكون ﴿أُولَٰئِكَ﴾ ابتداء ؛ و﴿الْفَاسِقُونَ﴾ خبره ، و﴿هُمُ﴾ عِمَادٌ وَفَضْلٌ ؛ لا موضع له . ومعنى (الفاسيقين) هاهنا ؛ أي الذين خرجوا عن القصد ، وعن جملة الإيمان . قاله الزَّجَّاج^(٧) .

(١) في (ج) : (حروف) .

(٢) لم أقف على مصدر قوله .

(٣) في معاني القرآن له ٤٣٨ / ١ . نقله عنه بتصريف .

(٤) في (ج) : (يدخل) .

(٥) (الواو) : زيادة من (ج) .

(٦) من قوله : (وهم ...) إلى (والفاسيقون خبره) : ساقط من (ج) .

(٧) في معاني القرآن له ٤٣٨ / ١ .

٨٣. قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ ، دخلت الفاء في ﴿أَفَغَيْرَ﴾ ؛ لأنه عطف جملة على جملة^(١) ، وكذلك^(٢) لو قيل : (أَوْ غَيْرَ) ، إِلَّا أَنَّ الْفَاءَ تُرْتَّبُ^(٣) ؛ كأنه قيل : أَبَعْدَ أَخَذِ الْمِيثَاقِ ، غَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ؟ واختلفوا في الياء والتاء ، من قوله : (تَبْغُونَ) :

فمن قرأ بالتاء^(٤) ؛ فلأن ما قبله خطاب ؛ كقوله : ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ﴾ .

ومن قرأ بالياء^(٥) فوجهه أن الله - تعالى - أخبر في الآية السابقة ، عن أخذ الميثاق على اليهود والنصارى وغيرهم ، فلما كفروا ، أخبر عنهم على جهة الاستنكار ، فقال^(٦) : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ .

وقرأ أبو عمرو : ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء ، و (تُرْجَعُونَ) بالتاء^(٧) ؛ لأن الأول : خاص لليهود^(٨) وغيرهم^(٩) ، والثاني : عام لجميع المكلفين^(١٠) .

(١) (على جملة) : ساقط من (ج) .

(٢) في (ج) : (ولذلك) .

(٣) في (ج) : (نزلت) .

(٤) القراءة بالتاء في (تبغون) ، لابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر عنه ، وحمة ، والكسائي . انظر : علل القراءات للأزهري ١/ ١٢٢ ، ١٢٣ ، والحجة للفارسي ٣/ ٦٩ ، والتيسير ٨٩ ، والتبصرة ٤٦٢ .

(٥) القراءة بالياء في ﴿يَبْغُونَ﴾ ، لأبي عمرو ، وعاصم برواية حفص ، ويعقوب . انظر : المصادر السابقة .

(٦) في (ج) : (قال) .

(٧) قرأ عاصم برواية حفص : ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء المضمومة ، وقرأ الباقر : (تُرْجَعُونَ) بالتاء المضمومة . انظر : المصادر السابقة .

(٨) في (ب) : (باليهود) .

(٩) (باليهود وغيرهم) : ساقط من (ج) .

(١٠) انظر : توجيه هذه القراءة في علل القراءات للأزهري ١/ ١٢٣ ، والحجة للفارسي ٣/ ٦٩ ، ٧٠ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٧٠ ، والكشف لمكي ١/ ٣٥٣ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ .

روى ^(١) أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ ، قال في هذه الآية : «الملائكة أطاعوه في السماء ، وعبد القيس في الأرض» ^(٢) .

وبهذا ^(٣) قال ابن عباس في رواية عطاء ^(٤) ، قال : يريد بأهل السموات : الملائكة . وبأهل الأرض : المهاجرين والأنصار وعبد القيس ، طوعاً ، والناس كرهاً . وهذا قول الحسن ^(٥) .

(١) في (ج) : (وروي) .

(٢) الحديث أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٤ / ٤٠٧ ، والثعلبي في تفسيره ٣ / ١٦٨ ، وأورده من دون سند القرطبي في تفسيره ٤ / ١٢٨ . وفيه زيادة عندهم « والأنصار وعبد القيس أطاعوه في الأرض » . وفي سنده عند الديلمي والثعلبي الكندي ، وهو محمد بن يونس القرشي . قال عنه ابن حبان : « كان يضع على الثقات الحديث وضعاً ، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث » . وقال عنه الذهبي في الميزان : « أحد المتروكين » ، وقال عنه في المغني في الضعفاء : (هالك) . وعند ابن حجر في التقریب : (ضعيف) . انظر : المجروحين لابن حبان ٢ / ٣١٣ ، وميزان الاعتدال ٥ / ١٩٩ ، والمغني في الضعفاء له ٢ / ٢٨٣ ، وتقریب التهذيب : ٥١٥ (٦٤١٩) .

وعبد القيس قبيلة عربية كبيرة ، تنسب إلى عبد القيس بن أفصى بن دُعْمَي بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . وكان موطنهم بتهامة ، ثم خرجوا إلى البحرين واستوطنوها ، وقدم وفدهم على النبي ﷺ عام (٩هـ) ، وثبت عبد القيس على إسلامها عندما ارتدت قبائل البحرين عام (١١هـ) .

انظر : جهرة أنساب العرب ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٤٦٩ ، وصبح الأعشى ١ / ٣٣٧ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢ / ٢٧٦ .

(٣) في (ب) : (وعلى هذا) .

(٤) لم أقف على مصدر هذه الرواية .

(٥) قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٩٦١ ، وورد المعنى نفسه عن مطر الوراق ، أخرجه الطبري في تفسيره ٣ / ٣٣٧ .

وقال قتادة^(١): المؤمن أسلم طائعاً فنفعه^(٢) ذلك ، وقبل منه ، والكافر أسلم كرهاً في وقت البأس والمعاناة ، حين^(٣) لا ينفعه ذلك ، ولا يُقبل منه ؛ يدل عليه قوله : ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر : ٨٥] .

وقال ابن كيسان^(٤) ، والزجاج^(٥) : أي خضعوا وانقادوا من جهة ما فطهرهم عليه ، ودبرهم به ، لا يمتنع مُتَنَعٌ مِنْ جِبَلَةٍ جُبَلٍ^(٦) عليها ، ولا يَقْدِرُ على تغييرها ، أحب تلك الجبلّة أو كرها ؛ يدل على تصديق هذا القول قوله تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ؛ لأن المعنى : أنه بدأكم على إرادته ، شئتم أو أبيتم ، وهو يبعثكم كما بدأكم ، والتأويل : أتبعون ديناً غير دين^(٧) ؛ الذي هذه صفته .

وفي قوله : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ وعيد لهم ؛ أي أتبعون غير دين الله ، وتزيغون عن الله ، مع أن مرجعهم إليه ، فيجازيهم على رفضهم دينه ، وأخذهم سواه .

وقوله : ﴿ طَوْعاً وَكَرْهًا ﴾ . الطَّوْعُ : الانقياد ؛ يقال : (طاعه ، يطوعه ، طوعاً)^(٨) : إذا انقاد له ، وخضع . فإذا مضى لأمره (فقد أطاعه) ، وإذا وافقه (فقد طأوعه)^(٩) .

(١) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٣٧ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٩ أ .

(٢) في (ب) : (ففقه) .

(٣) (حين) : ساقطة من (ج) .

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٦٩ أ ، والبحر المحيط ٢/ ٥١٥ .

(٥) في معاني القرآن له ١/ ٤٣٨ . وهذا النص - هنا - له ، من (أي خضعوا . . .) إلى (الذي هذه صفته) .

(٦) الجبلّة : الخليقة ، والطبيعة ، والغريزة . ويقال للخلق : (الجبلّة ، والجبلّ ، والجبلّ ، والجبلّ ، والجبلّ) . (وَجَبَلَهُ اللهُ عَلَى كَذَا) ؛ أي فطره عليه .

انظر : الزاهر ١/ ٣٢١ ، والمجمل (جبل) ٢٠٦ ، والمصباح المنير (جبل) ٣٥ .

(٧) في معاني القرآن : (الدين) .

(٨) (طوعاً) : ساقطة من (ج) .

(٩) انظر (طوع) : في تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٣ ، والصحاح ٣/ ١٢٥٥ ، والمقاييس ٣/ ٤٣١ .

وقال ابنُ السَّكَيْتِ^(١) : يقال : (طَاعَ لَهُ ، وأطَاعَهُ) سواء ، فَمَنْ قال : (طَاعَ) ، قال : (يَطَاعُ) ، ومن قال : (أطَاعَ) ، قال : (يُطِيعُ) . فحصل في (الطَّوْع) لغتان : (طَاعَ يَطْوَعُ) ، و(طَاعَ يَطَاعُ) .

وانتصب ﴿طَوَّعًا وَكَرَّهًا﴾ ، على أنه مصدرٌ وقع موقع الحال ؛ وتقديره : طائعاً^(٢) أو كارهها^(٣) ؛ كقولك : أتاني ركضاً ؛ أي راكضاً ، ولا يجوز : أتاني كلاماً ؛ أي متكلماً ؛ لأن الكلام ليس بِضَرْبٍ لِلإِثْنَانِ .

٨٤ . قوله تعالى : ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ الآية . في هذه الآية إنكارٌ^(٤) على الكفار من اليهود والنصارى ، في ما ذهبوا إليه^(٥) من الإيذان ببعض النبيين دون بعض ، وأمرٌ للنبي ﷺ ، وأمته ، أن يقول : آمنا بالله وبجميع الرسل ، وما أنزل عليهم ، لا نفرق بين جميع الرسل في الإيذان^(٦) بهم ، كما فعلت اليهود والنصارى .

وأجرى أوَّل الآية على التوحيد ، وآخرها على الجمع ، في قوله : ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ ، ﴿وَنَحْنُ﴾ ؛ لدخول أمة محمد ﷺ في هذا الإقرار معه .

٨٥ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ الآية .

(١) في إصلاح المنطق ٢٥٧ ، ٢٥٨ مع اختلاف في العبارة .
والعبارة - هنا - تتفق مع ما في تهذيب اللغة ٣ / ٢١٥٢ عن ابن السكيت ؛ مما يدل على أن المؤلف نقل النص عن التهذيب .

(٢) طائعاً : ساقطة من (ب) .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢٩ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ١٦٧ .

(٤) في (ج) : (ان كان) .

(٥) (إليه) : ساقطة من (ب) .

(٦) في (ب) : (بالإيذان) .

قال ابن عباس^(١) : يريد : خَسِرَ^(٢) ثوابَ الله ، وصارَ إلى عَذَابِهِ ، وَخَسِرَ الحُورَ العِينَ .

وقال الزَّجَّاج^(٣) : يعني : خَسِرَ عَمَلَهُ ؛ حيث لم يُجَازَ بِهِ^(٤) الجنةَ والثوابَ .

٨٦ . قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ .

قال ابن عباس^(٥) : نزلت في اليهود^(٦) ؛ قَرِيظَةُ والنَّصِير ، وَمَنْ دَانَ بدينهم ؛ كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا قبل مَبْعَثِهِ مؤمنين ، وكانوا يَشْهَدُونَ له بالنبوة ، فلما بُعِثَ ، وجاءهم بالآيات المعجزات ، كفروا بغياً وَحَسَداً^(٧) . وأصل (كيف) أنها

(١) من قوله : (قال ابن عباس . . .) إلى نهاية (كفروا بعد إيمانهم) : ساقطة من (ج) . ولم أقف على مصدر قول ابن عباس .

(٢) في (ب) : (حسن) .

(٣) في معاني القرآن له ٤٣٩ / ١ .

(٤) في (أ) و(ب) : (يجازيه) . وأثبت ما رأيته صواباً .

(٥) ورد قوله في تفسير الطبري ٣ / ٣٤١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٩٩ ، وزاد المسير ١ / ٤١٨ .

(٦) الذي وقفت عليه عنه ، أنها نزلت في أهل الكتاب ، ولم يجعل نزولها في اليهود فقط .

(٧) وقد ورد في سبب نزولها إضافة إلى ما ذكره المؤلف : أن رجلاً من الأنصار ، أسلم ، ثم ارتدَّ ، ولحق بالمشركين ، ثم ندم فأرسل إلى قومه ؛ ليسألوا رسول الله ﷺ ، هل له من توبة ؟ فلما سألوا الرسول ﷺ ، نزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴾ ، فأرسل إليه فأسلم .

وقد ورد هذا الأثر بسند صحيح عن ابن عباس من رواية عكرمة عنه ، وقد أخرجه النسائي في سننه ٧ / ١٠٧ . في كتاب تحريم الدم . باب (توبة المرتد) ، وأخرجه - كذلك - النسائي في تفسيره ١ / ٣٠٨ . وأحمد في المسند ١ / ٢٤٧ ، وابن حبان في صحيحه ، انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ١٠ / ٣٢٩ ، و٤٤٧٧ ، وموارد الظمان ٢٧٤ ، والحاكم في المستدرک ٢ / ١٤٢ ، و٤ / ٣٦٦ ، وقال : (صحيح) ، وافقه الذهبي .

وأخرجه البيهقي في السنن ٨ / ١٩٧ . والطبري في تفسيره ٣ / ٣٤٠ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٦٩٩ ، والواحدي في أسباب النزول : ١١٦ ، ١١٧ .

وقد ذكر مجاهد والسدي أن المرتد هو الحارث بن سويد .

وعن عكرمة أنهم اثنا عشر رجلاً ، منهم أبو عامر الراهب ، والحارث بن سويد ، ووضَّحَ بن الأُسَلت . =

للاستفهام والاستخبار عن الحال . ودخلت هاهنا للإنكار ؛ وذلك أن المسئول يُسأل لأغراضٍ مختلفة ، فقد يُسأل للتعجيز عن إقامة البرهان ، وقد يُسأل لتوبيخ ، بما يظهر من معنى الجواب .

وقد ذكرنا في ما مضى ^(١) : لم جاز أن يَقَعَ الاستفهام موقع الإنكار . ومثل هذا قول ابن الرُّقَيَّات ^(٢) :

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا يَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةً شَعَوَاءُ ^(٣)

وقيل : إنها نزلت في أهل الكتاب ، عرفوا نعت النبي ﷺ في كتبهم ، ثم كفروا به بعد بعثته . وقد روي هذا عن ابن عباس والحسن .

انظر : تفسير عبدالرزاق ١/ ١٢٥ ، وتفسير الطبري ٣/ ٣٤٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٩٩ ، وأسباب النزول للمؤلف ١١٨ ، وتفسير الحسن ١/ ٢٢١ ، والدر المنثور ٢/ ٨٨ .

ومما سبق تبين أن الأثر الأول في كونها نزلت في الحارث بن سويد أصح ؛ ولذا يُقدّم ويُعتمد سبباً لنزول الآية مع عموم حكمها لكل من عَرَفَ الْحَقَّ وارتد عنه ، ثم تاب ورجع إليه ، فدخل في حكمها أهل الكتاب الذين شهدوا بأن النبي ﷺ حق ، ثم كفروا به بعد بعثته ؛ حسداً منهم .

(١) من هذه المواضع ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَيَا مَرْكُم يَالْكَافِرِينَ ﴾ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ . [آل عمران : ٨٠] .

(٢) هو عبيدالله بن قيس الرُّقَيَّات . أحد بني عامر بن لؤي ، من الشعراء الإسلاميين ، كان يوالي مصعب بن الزبير ، ضد بني أمية .

انظر : الشعر والشعراء : ٣٦١ ، وخزانة الأدب ٧/ ٢٨٠ .

(٣) البيت في ديوانه ٩٥ . وورد منسوباً له ، في أكثر المصادر الآتية : إصلاح المنطق ٢١١ ، والمنصف ٢/ ٢٣١ ، والعقد الفريد ٤/ ٤٠٦ ، والأمالى للقالى ١/ ٩٥ ، واللسان ٤/ ٢٢٨٢ ، والمقاييس (شع) ٣/ ١٩٠ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٦٩ ، وأساس البلاغة (شعو) ١/ ٤٩٥ ، وأمالى ابن الشجري ٢/ ١٦٣ ، وشرح المفصل ٩/ ٣٦ ، واللسان (شامل) ١١/ ٣٦٨ ، و(شعا) ١٤/ ٤٣٥ ، وخزانة الأدب ٧/ ٢٨٧ ، و١١/ ٣٧٧ .

ونسبه في معجم الشعراء ، (تحقيق : عبدالستار فراج) ٤٠٦ إلى محمد بن الجهم بن هارون السُّمري ، صاحب الفراء .

والشعواء الفاشية المتفرقة ، يقال : أشعى القومُ الغارة إشعَاءً : إذا أشعلوها . وشَعِيَتِ الغارة ، تَشَعَّى شعاً : إذا انتشرت .

أَي لَا نَوْمَ لِي ، وَلَا أَنَام . ومثله قوله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٧] ؛ أَي لَا يَكُونُ لَهُمْ عَهْد .

قال ^(١) الزَّجَّاج ^(٢) : أعلم الله - عز وجل - أنه لا جهة لهدايتهم ؛ لأنهم قد استحقوا أن يُضَلُّوا بكفرهم ؛ لأنهم قد كفروا بعد البَيِّنَات .

وقوله تعالى : ﴿ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ .

عطف بالفعل على المصدر ؛ لأنه أراد بالمصدر الفعل ، تقديره : (كفروا بالله بعد أن آمنوا) . فهو عطفٌ على المعنى كما قال :

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ ^(٣)

انظر : معجم المقاييس (شعي) ٣/ ١٩٠ ، واللسان (شعا) ٤/ ٢٢٨٢ .

والبيت من قصيدة يمدح فيها الشاعرُ مصعبَ بن الزبير ، ويعرِّضُ بني أمية أعداء ابن الزبير ، ويقول بأنه لا يمكن أن ينام ، ولن يأتيه النوم حتى تُعَمَّ الشام - وهي معقل بني أمية - غارةٌ فاشية مكتسحة . وبعد هذا البيت :

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْذِي عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعِذْرَاءُ
(وَبُرَاهَا) ؛ أَي خَلَاخِيلَهَا . يريد : أن النساء يكشفن عن خلاخيلهن وسيقانهن ، حال الهروب من شدة الفرع من الغارة .

(١) في (ج) : (وقال) .

(٢) في معاني القرآن له ١/ ٤٣٩ . نقله عنه بنصه .

(٣) البيت لميسون بنت بحدل الكلية . زوج معاوية بن أبي سفيان ، وأم ولده يزيد . وقد ورد في كتاب سيبويه ٣/ ٤٥ ، والمقتضب ٢/ ٢٧ ، والأصول في النحو ٢/ ١٥٠ ، والمحاسب ١/ ٣٢٦ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٧٣ ، والإيضاح العضدي ٣٢١ ، والصاحبي ١٤٦ ، وشرح المفصل ٧/ ٢٥ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ١/ ٢٣٣ ، وشرح شذور الذهب : ٣٨١ ، وشرح بن عقيل ٤/ ٢٠ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٣٩٧ ، ومنهج السالك ٣/ ٣١٣ ، والتصريح ٢/ ٢٤٢ ، وشرح شواهد المغني ٦٥٣ ، و٧٧٨ ، وجمع الهوامع ٤/ ١٤١ ، والخزانة ٨/ ٥٠٣ ، و٥٧٤ ، والدرر اللوامع ٢/ ١٠ .

الشفوف : الثياب الرقاق . وسميت بذلك ؛ لأنها تشف عما تحتها ، واحداً : (شَفَّ) بفتح الشين وبكسرهما . وقد قائلته ميسون ضمن أبيات ، تحنُّ فيها إلى وطنها البادية ، وتُفَضِّلُ فيها حياة البدواة وشَطْلَفَ العيش ، على نعيم المدينة وعيشة القصور .

معناه : لأن ألبس عباءة ، وتَقَرَّ عيني ^(١) .

وزاد ^(٢) صاحبُ النظم لهذا بياناً ، فقال ^(٣) :

قوله : ﴿وَشَهِدُوا﴾ منسوق على ما يمكن في التقدير ؛ وذلك أن قوله : ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ يمكن أن يكون : (بعد أن آمنوا) ، و(أن) الخفيفة مع الفعل ، بمنزلة المصدر ؛ كقوله : ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؛ أي والصوم .

ومثل هذا ممّا حُمِلَ عَلَى الإمكان ^(٤) قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِإِسْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ﴾ ^(٥) ، فهو ^(٦) عطف على قوله : ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾ ، ويمكن فيه : إِلَّا أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ . فلما كان قوله ^(٧) : ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾ بمعنى يوحى إليه ، حمّله على ذلك . ومثله من الشعر قوله :

فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ ^(٨) شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلٍ ^(٩)

(١) ذكر النحويون البيت السابق شاهداً على انتصاب الفعل المضارع بـ (أَنْ) المضمرة جوازاً ، بعد واو عاطفة على اسم صريح ؛ أي (وَأَنْ تَقَرَّ عيني) بمعنى : قرّة عيني . فهذا المصدر ، معطوف على المصدر الأول ، فيكون : (ولبس عباءة وقرّة عيني) ، وهذا خلاف ما ذكره المؤلف حيث أوّل الاسم الوارد في الآية : ﴿وَيُؤْمِنُ بِهِمْ﴾ ، وفي البيت : (لبس) ، من أجل الفعل ، فقال : (أن آمنوا) ، و(أن ألبس) والأوّل أن نتأول الفعل باسم ليصح عطفه على الاسم الصريح قبله ، فيكون التقدير في الآية : (بعد إيمانهم ، وأن شهدوا . . .) ؛ أي وشهادتهم . فعطف الشهادة على الإيمان . وكذا في البيت ، يكون التقدير : (ولبس عباءة وأن تقر عيني) ؛ أي وقرّة عيني .

انظر : المصادر النحوية السابقة التي أوردت البيت ، والدر المصون ٣/ ٣٠٣ .

(٢) في (ج) : (وأراد) .

(٣) أورد هذا النص عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٣/ ٣٠٣ .

(٤) في الدر المصون : (المعنى) .

(٥) [الشورى : ٥١] . وبقيتها : ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ .

(٦) من قوله : (فهو . . .) إلى (إِلَّا وَحِيًّا) : ساقط من (ج) .

(٧) في (ب) : ما كان يوحى . بدلاً من (فلما كان قوله) .

(٨) في (أ) و(ب) : (ضعيف) . والمثبت من (ج) ومصادر البيت .

(٩) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . وساقط من (ب) . ومثبت من (ج) ومصادر البيت . =

خَفَضَ قَوْلَهُ : (قَدِيرٌ)^(١) ؛ لَأَنَّهُ عَطَفَ عَلَى مَا يُمْكِنُ فِي قَوْلِهِ : (مُنْضِجٌ) ؛ لَأَنَّهُ أُمْكِنَ أَنْ يَكُونَ مُضَافاً إِلَى الصَّفِيفِ^(٢) ، فَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ^(٣) .

وقوله^(٤) تعالى : ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ .

يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بـ ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ : مَا بُيِّنَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ . وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥) .

وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ : مَا أَتَى بِهِ^(٦) النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ وَالْآيَاتِ الْمَعْجَزَاتِ . وَفِي هَذَا تَبْعِيدٌ لَهُمْ مِنْ حَالِ الْهَدَايَةِ ، وَبَيَانٌ لَاسْتِحْقَاقِهِمُ الْكُفْرَ بِفَعْلِهِمْ .

والبيت لامرئ القيس ، من معلقته ، وقد ورد في ديوانه ١٢٠ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٩٧ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٣٦ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٤٦ ، واللسان (صف) ٢٤٦٣/٤ ، و(طها) ٢٧١٥/٤ ، ومغني اللبيب ٦٠٠ ، و٦١٧ ، والمقاصد النحوية ١٤٦/٤ ، ومنهج السالك ١٠٧/٣ ، وجمع الهوامع ٢٧٨/٥ ، وشرح شواهد المغني ٨٥٧ . الصفييف : هو اللحم المصفوف على الجمر على شكل شرائح مُرَفَّقة ؛ لِيُشَوَّى .

وقدير : أي المطبوخ في القدور ، فصرفه من (مفعول) إلى (فعل) . ومعنى البيت : أنه نظراً لكثرة الصيد ، فقد ظل الطَّبَّاخُونَ ما بين من يقوم بإنضاج اللحم بشوائه على الجمر ، وما بين من يقوم بطبخه في القدور . وقوله : (معجل) ؛ لأنهم كانوا يستحبون تعجيل كل ما كان من الصيد يُستظرف .

(١) خفض قوله قدير غير مقروء في (أ) . وساقط من (ب) . ومثبت من (ج) والدر المصون .

(٢) في (ب) : (الخفيف) .

(٣) أي حَلَّ (قدير) على (صفييف) ؛ لأنه أمكن أن يكون (صفييف) مجروراً بالإضافة إلى (منضج) .

(٤) من قوله : (وقوله . . .) إلى (الكفر بفعلهم) : ساقط من (ب) .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) (أتى به) : غير مقروء في (أ) . ومثبت من (ج) .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، قال ابن عباس^(١) : يريد : لا يرشد من نقض عهود^(٢) الله ، وظلم نفسه .

وهذا خاص في من^(٣) علم الله - عز وجل - منهم أنهم لا يؤمنون ، وأراد ذلك منهم .

٨٧ . قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .

قال ابن عباس^(٤) : يريد : المؤمنين^(٥) . فعلى هذا ﴿وَالنَّاسِ﴾ خاص ، ولكنه لما ذكر الثلاثة قيل : ﴿أَجْمَعِينَ﴾ .

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) في (ج) : (عهد) .

(٣) في (ب) : (بمن) .

(٤) لم أقف على مصدر قوله .

(٥) ورد هذا - كذلك - عن قتادة ، والربيع .

وقيل : اللفظ على إطلاقه ، وأن الكافر يلعنه الناس جميعاً يوم القيامة . وهو قول أبي العالية . وكذا قال مقاتل بالعموم .

وقيل : هي قول القائل : لعنة الله على الظالم ، فتجب تلك اللعنة للكافر ؛ لأنه ظالم ، فكل أحد من الخلق يلعنه . وهو مروي عن السدي .

ورجح هذا الطبري ، وجعل بمعناه قول أبي العالية السابق . واستدل له بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ . [هود : ١٨] .

انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٨٨ ، وتفسير الطبري ٣/ ٣٤٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٤٣٤ ، والمحرق الوجيز ٣/ ٢٠٦ ، والدر المنثور ٢/ ٨٧ ، وروح المعاني ٢/ ٢٩ وعند تفسير آية ١٦١ من سورة البقرة ، وهي نظير هذه الآية .

وقال الزَّجَّاج^(١) : معنى (لَعْنُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ لَهُمْ) : أن بعضهم يوم القيامة يَلْعَنُ بعضاً ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ يلعنهم في الدنيا . فقد استقرَّت عليهم لعنةُ الجميع ، وإن كان على التفريق .

٨٨ . قوله تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ نصبٌ على الحال مما قبله ، وهو قوله : ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فِيهَا﴾ ، قال ابن عباس^(٣) : في جهنم .

فعلى هذا الكناية^(٤) عن^(٥) غير مذكور^(٦) .

وقال الزَّجَّاج^(٧) : أي في ما توجبه اللعنة ؛ [أي في عذاب اللعنة]^(٨) .

وقال بعضهم^(٩) : الكناية راجعة إلى اللعنة .

ومعنى (خلودهم في اللعنة) : استحقاقهم دائماً لها ، مع ما^(١٠) توجبه من أليم العقاب ؛ بدوامها .

(١) في معاني القرآن له ١ / ٤٤٠ . نقله عنه بنصه .

(٢) انظر : المشكل لمكي ١ / ١٦٩ ، والتبيان للعكبري ٢٠٠ .

(٣) لم أقف على مصدر قوله ، وقد ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٨ / ١٤٢ .

(٤) الكناية هي الضمير .

(٥) في (ج) : (من) .

(٦) قال ابن عطية : «وقرائن الآية تقتضي أن هذه اللعنة مخلدة لهم في جهنم ، فالضمير عائد على النار ، وإن كان لم يجر لها ذكر ؛ لأن المعنى يُفهمها في هذا الموضع . » المحرر الوجيز ٣ / ٢٠٧ .

(٧) في معاني القرآن له ١ / ٤٤٠ . نقله عنه بتصريف .

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٩) ممن قال بذلك مقاتل في تفسيره ١ / ٢٨٨ .

(١٠) في (أ) و(ب) و(ج) : (معاً) . وما أثبتته هو الموافق للرسم الإملائي ؛ لأن (ما) اسمية موصولة ، ولا توصل بـ(مع) ، وإنما قيل : إن (ما) الحرفية الزائدة توصل بـ(مع) . انظر : كتاب الإملاء لحسين والي ١٠٦ ، و١١٠ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ، معنى (الإنظار) : تأخير العبد ؛ لِيُنْظَرَ في أمره^(١) ؛ أي لا^(٢) يُؤخرون عن وقتهم المؤقت^(٣) لعذابهم .

٨٩ . قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ . موضع ﴿الَّذِينَ﴾ نصب ؛ استثناء من قوله : ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، والتوبة لا تكون إلا بعد الذنب ، ولكن فيه دلالة على معنى تابوا منه ؛ وذلك أن التوبة من غير الردّة لا ينفع^(٤) في التخلّص منها^(٥) ، كما أن التوبة من ذنب لا ينفع في التخلّص من ذنب آخر^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ، قال ابن عباس^(٧) : يريد : راجعوا الإيثار بالله ، والتصديق بنبّيه ، وأصلحوا أعمالهم .

وقال الزّجاج^(٨) : معنى ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ : أظهروا للناس أنهم كانوا على ضلال ، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه من تغريهم من تبعهم^(٩) ، ممّن لا علم

(١) الإنظار لغة : التأخير والإمهال . يقال : أنظرته ، أنظرته . وتقول : (أنظرني) : أمهلني . انظر : نزهة القلوب للسجستاني ٧٢ ، والعمدة في غريب القرآن لمكي ٨١ ، واللسان (نظر) ٧ / ٤٤٦٧ .
قال ابن عطية : «ولا يجوز أن يكون ﴿يُنْظَرُونَ﴾ - هنا - نظر العين ، إلا على توجيه غير فصيح ، لا يليق بكتاب الله تعالى» . المحرر الوجيز ٣ / ٢٠٧ .

(٢) في (ب) : (ما) .

(٣) في (ب) : (الوقت) .

(٤) في (ب) و(ج) : (لا تنفع) .

(٥) أي من الردة .

ومن قوله : (منها ...) إلى (من ذنب آخر) : ساقط من (ج) .

(٦) انظر : لوامع الأنوار ١ / ٣٨٤ .

(٧) لم أقف على مصدر قوله .

(٨) في معاني القرآن له ١ / ٤٤٠ . نقله عنه بتصرف .

(٩) (تبعهم) : غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (بعدهم) . وفي معاني القرآن : (أتبعهم) . والمثبت من (ج) .

عنده . وشرط مع ^(١) التوبة الإصلاَح ؛ لإزالة الإيهام ؛ أنهم إذا تابوا من الارتداد ، [لم] ^(٢) يضرهم غيره من الفساد ؛ وعلى ذلك ، قال ^(٣) : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ^(٤) ؛ لإزالة الإيهام ؛ أنَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ^(٥) ، لم ^(٦) يضره ما عمل بعد ذلك من الجُرْم .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ ﴾ . دخلت الفاء في : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ ﴾ ؛ لِشَبِّهِ الْجَزَاء ؛ إذ ^(٧) كان الكلام قد تضمن معنى : (إن تابوا ؛ فإن الله يغفر لهم) .

وقوله تعالى : ﴿ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴾ ، قال الزَّجَّاج ^(٨) : أعلم الله أنَّ من سَعَةٍ ^(٩) رحمته وتفضله ، أن يغفر لمن اجتراً عليه هذا الاجتراء ؛ وذلك أنَّ الذي ^(١٠) فعلوا ، لا غاية وراءه في الكفر ، وهو أنهم كفروا بعد ^(١١) تَبَيَّنَ الْحَقُّ .

(١) في (ب) : (شرائع) . بدلاً من (شرط مع) .

(٢) زيادة لازمة من (ج) .

(٣) (قال) : ساقطة من (ب) .

(٤) مقطع من سورة الشعراء ٢٢٧ ، و سورة ص ٢٤ ، والانشقاق ٢٥ ، والبروج ١١ ، والتين ٦ ، والبينة ٧ ، والعصر ٣ .

(٥) (مؤمنًا) : غير مقروء في (ج) .

(٦) في (ب) : (لا) .

(٧) في (ج) : (إذا) .

(٨) في معاني القرآن له ١ / ٤٤٠ . نقله عنه بتصريف .

(٩) في (ب) : (مَنَّهُ) .

(١٠) (الذي) : غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (الذين) . والمثبت من (ج) .

(١١) (بعد) : ساقطة من (ج) .

٩٠. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ ، قال ابن عباس^(١) : نزلت

في اليهود ؛ كفروا بعد إيمانهم بمحمد ، وتصديقهم إياه قبل^(٢) بعثته^(٣) .

﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بالإقامة على كفرهم حتى هلكوا عليه . قاله مجاهد^(٤) .

وقال الحسن^(٥) : ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ ؛ أي كلما نزلت آية على محمد ﷺ ،

كفروا بها .

وقال قتادة^(٦) : إِنَّ اليهود كفروا بعيسى والإنجيل ، بعد إيمانهم بأنبيائهم

وكتبهم ، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن . ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبُهُمْ﴾ .

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) في (ج) : (وقيل) .

(٣) أورد ابن كثير عن ابن عباس - من رواية الكلبي - أن سبب نزول الآية ، هو أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام ، فأرسلوا إلى قومهم يسألون إن كان لهم من توبة ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية .

ونسب ابن كثير إخراجَه إلى البزار مسنداً ، وقال : «هكذا رواه ، وإسناده جيد» . تفسيره ٤٠٨ / ١ . ولكن السيوطي قال بعد أن أورد هذه الرواية عن البزار : «هذا خطأ من البزار» ؛ وذلك أن ابن عباس ورد عنه بالسند نفسه الذي عند البزار أن هذا كان سبباً لنزول قوله تعالى : ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ آية ٨٦ . وقد مر بيانه عند تفسيرها .

وورد عن الحسن وأبي العالية أنها نزلت في اليهود والنصارى ؛ كفروا بعد إيمانهم . ثم ازدادوا كفراً بذنوب عملوها ، ثم يتوبون من تلك الذنوب بعد كفرهم . وفي أثر لأبي العالية أضاف لهم المجوس . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٣٤٣ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٧٠١ ، وأسباب النزول للواحدي ١١٨ ، والدر المنثور ٢ / ٨٨ .

(٤) قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٧٠١ ، والثعلبي ٣ / ١٧٠ ، والبغوي ٢ / ٦٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٢ / ٨٨ ، ونسب إخراجَه إلى عبد بن حميد والطبري .

(٥) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ١٧٠ ، تفسير البغوي ١ / ٦٥ ، وزاد المسير ١ / ٤١٩ .

(٦) قوله في تفسير الطبري ٣ / ٣٤٣ ، وابن أبي حاتم ١ / ٧٠١ ، والثعلبي ٣ / ١٧٠ ، والنكت والعيون ١ / ٤٠٨ ، وتفسير البغوي ٢ / ٦٥ ، وزاد المسير ١ / ٤١٩ .

قال الحسن^(١)، وقتادة^(٢)، وعطاء^(٣): لأنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت، والله - تعالى - يقول: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٤) الآية.

وقال ابن الأنباري^(٥): لن تُقبل توبتهم التي تقدمت في حال إيمانهم وتصديقهم محمداً عليه السلام؛ لأن الله - عز وجل - لا يقبلُ مع الإقامة على الشرك توبةً متقدمة^(٦)، ولا عملاً حسناً ماضياً مرجوعاً عنه إلى ضده.

٩١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا﴾ إلى قوله: ﴿مِلْءُ الْأَرْضِ﴾. (مِلْءُ^(٧) الشيء): قدر ما يملؤه، وهو اسمٌ يُثنى ويُجمع، يقال:

(١) قوله في تفسير الطبري ٣/ ٣٤٤، وابن أبي حاتم ١/ ٧٠٢، والثعلبي ٣/ ٧٠، وزاد المسير ١/ ٤١٩، وتفسير الحسن البصري ١/ ٢٢٢.

(٢) قوله في تفسير عبدالرزاق ١/ ١٢٥، وتفسير الطبري ٣/ ٣٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٧٠٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٧٠، النكت والعيون ١/ ٤٠٨، وزاد المسير ١/ ٤١٩.

(٣) قوله في تفسير عبدالرزاق ١/ ١٢٦، وتفسير الطبري ٣/ ٣٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٧٠٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٧٠، وزاد المسير ١/ ٤١٩.

وعطاء هنا هو أبو عثمان، عطاء بن أبي مسلم، (اسمه: ميسرة)، البلخي الخراساني. تابعي، مشهور بالعبادة والفتوى والجهاد والتفسير، صاحب رحلة، قال ابن حجر: «صدوق، يهيم كثيراً، ويرسل ويدلس». مات سنة (١٣٥هـ).

انظر: الجرح والتعديل ٦/ ٣٣٤، وحلية الأولياء ٥/ ١٩٣، والميزان ٣/ ٤٧٠، وتقريب التهذيب ٣٩٢ (٤٦٠٠).

(٤) [سورة النساء: ١٨]، وتماها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ لَكَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) في (ب): (مقدمة).

(٧) في (ب): (بمثل).

(مِلءُ الْقَدَحِ) ، و(مِلْءٌ) ، و(ثلاثة أملائيهِ)^(١) . والفرق بين (المِلءِ) و(المَلءِ)^(٢) ، كالفرق بين (الرَّغِي) و(الرَّغِي)^(٣) .

وانتصب ﴿ذَهَبًا﴾ على التفسير^(٤) .

قال المفضل^(٥) : ومعنى التفسير : أن يكون الكلام تاماً وهو مُبْهِم ؛ كقولك : (عندي عشرون) ؛ فالعدد^(٦) معلوم ، والمعدود^(٧) مُبْهِم .

-
- (١) انظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ملا) ٧٧٦ ، واللسان (ملا) ٧ / ٤٢٥٢ .
- (٢) في (ب) : (الملاء والملاء) . وهكذا رسمت (مل) في نسخة (ب) في ما سيأتي .
المِلءُ - بالكسر - اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ .
والمَلءُ - بالفتح - المصدر . (ملا الشيء ، يملؤه ملاً) .
انظر (ملا) : في اللسان ٧ / ٤٢٥٢ ، والقاموس ١٣٣٥ .
- (٣) في (ب) : (والري) .
الرَّغِي - بالكسر - الكلاء ، والجمع : أرعاء . والرَّغِي - بالفتح - المصدر .
انظر (رغى) : في اللسان ٣ / ١٦٧٦ ، ١٦٧٧ ، والقاموس ١٢٨٩ .
- (٤) التفسير - هنا - بمعنى التمييز ، ويقال له كذلك : التبيين .
وكونه منصوباً على التمييز ، هو قول عامة أهل النحو .
انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٢٢٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٤٤٢ .
وذهب الكسائي إلى أنه منصوب بنزع الخافض .
انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٧١ ، وتفسير القرطبي ٤ / ١٣١ .
وقال السمين الحلبي عن هذا القول : «وهذا كالأول ؛ لأن التمييز مقدر بـ (من)» . الدر المصون ٣ / ٢٠٦ .
- (٥) من قوله : (قال المفضل . . .) إلى (ما لا عامل فيه) : نقله بنصه عن تفسير الثعلبي ٣ / ٧٠ ب . وأورده القرطبي في تفسيره ٤ / ١٣١ .
- (٦) في (ب) : (العدد) ، وفي (ج) : (والعدد) .
- (٧) في (ج) : (والمعدوم) .

فإذا قلت : (درهماً)^(١) ، فَسَرَّ العددَ . وكذلك إذا قلت : (هو أَحْسَنُ الناس) ، فقد أخبرت عن حُسْنِهِ ، ولم يبين^(٢) في أي شيء هو ، فإذا قلت : (وَجْهًا) ، أو [فِعْلًا]^(٣) ، فقد بينته ، ونصبته [على التفسير ، وإنما نصبته]^(٤) ؛ لأنه ليس له ما يخفضه ولا ما يرفعه ، فلما خلا من هذين ، نُصِبَ ؛ لأنَّ النصب أخفُّ^(٥) الحركات ، فجُعِلَ لكل ما لا عامل فيه .

وقال سيبويه^(٦) : انتصب (ذهباً) ؛ لأنَّ الاسم المخفوض قد حال بين الذهب وبين المِلءِ أن يكون جَرًّا^(٧) ؛ ومعنى هذا أنَّ العامل^(٨) اشتغل بالإضافة في ﴿مِلءُ الْأَرْضِ﴾^(٩) ، وبما يعاقبُ الإضافة من النون الزائدة في (عشرون درهماً) ، فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها^(١٠) ، ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ .

- (١) في (ج) : (درهم) . وعند الثعلبي : (عشرون درهماً) .
 - (٢) في (ب) و(ج) وتفسير الثعلبي : (تبين) .
 - (٣) ما بين المعقوفين غير مقروءة في (أ) . وفي (ب) : (فضلاً) . والمثبت من (ج) ، وتفسير الثعلبي .
 - (٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) ، وتفسير الثعلبي .
 - (٥) في (ب) : (أحد) .
 - (٦) لم أقف على موضع قوله في كتابه ، وقد ذكره الزَّجَّاج في معانيه ١ / ٤٤٢ .
 - (٧) في (ب) : (خبراً) .
 - (٨) في (ب) : (الملاء) .
 - (٩) أي أننا شغلنا الإضافة بالاسم الذي قبل ﴿ذَهَبًا﴾ ، وهو ﴿الْأَرْضُ﴾ ، فانجرت ﴿الْأَرْضُ﴾ بالإضافة ، ثم جاء ﴿ذَهَبًا﴾ فانصب كما ينتصب الحال ، أو المفعول إذا جاء من بعد الفاعل .
 - (١٠) في (ج) : (لصاحبها) .
- أي بصاحب الحال ؛ كقولنا : جاء عبدُ الله راكباً فشغلنا الفعل بـ (عبد الله) وهو صاحب الحال فرفعه ، فبقيت (راكباً) ليس لها ما يرفعها ولا ما يجرها ، فانصببت .

قال الفرّاء^(١): الواو زائدة، كهي في قوله: ﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. المعنى: لن يُقبلَ من أحدهم ملء الأرض ذهباً، لو افتدى به.

وَعَلَّطَهُ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ^(٢)، وقالوا: الواو هاهنا للعطف؛ لأن المعنى: لو^(٣) عمل من الخير، وقَدَّمَ ملء الأرض ذهباً؛ يتقرب به الله عز وجل، لم ينفعه ذلك مع كفره، ولو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهباً، لم يُقبل منه. فالواو دخلت لفعلٍ مُضْمَرٍ، وهو^(٤): (القبُول)؛ أي ولا يُقبل منه لو افتدى به^(٥).

قال ابن الأنباري: وهذا آكد في التغليظ عليهم، إذ كانوا لا يُقبل منهم [ملء الأرض ذهباً، على جهة الصدقة والتَّقَرُّبِ إلى الله جل وعز، ولا يُقبل منهم]^(٦) أيضاً على جهة فدية^(٧).

وقد أشار الفرّاء إلى هذا القول أيضاً، فقال^(٨): والواو [هاهنا كأن لها فعلاً]^(٩) مُضْمَراً بعدها.

(١) في معاني القرآن له ٢٢٦/١.

(٢) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٤١/١، ومعاني القرآن للنحاس ٤٣٧/١.

(٣) في (ب): (ولو).

(٤) هو بياض في (ج).

(٥) انظر: الكامل للمبرِّد ٢٧٧/١، وتفسير الطبري ٣٤٦/٣، والمحزر الوجيز ٢١١/٣.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أَرَأَيْتَ لو كان لك ملء الأرض ذهباً، أَكُنْتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سُئِلْتَ ما هو أيسر من ذلك». رواه البخاري في صحيحه: (٦٥٣٨) في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب فقد عُذِبَ، ومسلم في صحيحه: (٢٨٠٥) في كتاب صفات المنافقين، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، رقم (٢٨٠٥) وفي لفظه عنده: «قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صُلْبِ آدم: أن لا تشرك -وأحسبه قال- ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشُّرك».

(٨) في معاني القرآن له ٢٢٦/١.

(٩) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). ومثبت من (ب) و(ج)، ومعاني القرآن.

وقال بعض النحويين^(١) : السواو هاهنا دخلت لتفصيل نفى القبول بعد الإجمال ؛ وذلك^(٢) أَنَّ ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ [قد عمَّ وجوه القبول]^(٣) بالنفي ، ثم أتى بالتفصيل ؛ لئلا يتطرق عليه سوء التأويل^(٤) .

٩٢ . قوله تعالى : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ ، قال شَمِر^(٥) : اختلف العلماء في تفسير ﴿ الْبِرَّ ﴾ ، فقال بعضهم : البرُّ الصلاح . وقال بعضهم : الخير ، ولا أعلم تفسيراً [أجمع منه ؛ لأنه]^(٦) يُحيط بجميع ما قالوا .

قال : وجعل لبيد^(٧) (البر) : التَّقَى ؛ حيث يقول :

وما البرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقَى^(٨)

(١) لم أقف عليهم .

(٢) وذلك : ساقطة من (ج) .

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء تماماً في (أ) . وفي (ب) : (قد أجل القبول) . والمثبت من (ج) .

(٤) أي أنه نفى جميع وجوه القبول ، ثم خص من تلك الوجوه أليقها وأحراها بالقبول ، وهو الافتداء ، فنفاه كذلك .

(٥) من قوله (قال شمر) إلى (في غير طاعة وخير) : نقله عن تهذيب اللغة (بر) ٣٠٧/١ .

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (أجمع سيرة لأنه) . والمثبت من (ج) ، وتهذيب اللغة .

(٧) في (ب) : (لنيل) .

(٨) صدر بيت ، وبقيته :

وما المالُ إِلَّا مُعَمَّرَاتٌ ودائع

وهو في ديوانه ١٦٩ . وورد في تهذيب اللغة (بر) ٣٠٧/١ ، واللسان (بر) ٢٥٢/١ .

والمُضْمَر : الهزيل . من (ضَمَر ، يَضْمُر ، ضُموراً) ، و(الضُمْر ، والضُمُر) : الهزال .

والمعمرات : من قول العرب : هذه الدار لك عُمرى ؛ أي لك ما عمرت ، فإذا مت ، فلا شيء .

التهذيب (ضم) ٢/٣١٣٣ ، والقاموس ٤٢٩ .

وقول الشاعر :

نُحِزُّ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ^(١)

معناه : في غير طاعة وخير . وعلى هذا دار كلام المفسرين .

قال عطاء^(٢) ومقاتل^(٣) : الرُّ التَّقْوَى في هذه الآية . وقال أبو رَوْق^(٤) :
الخير .

(١) صدر بيت ، وبقيته :

فما يدرون ماذا يَتَّقُونَا

وهو لعمر وبن كلثوم من معلقته . انظر : شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٩٧ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني : ١٢٦ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٢٣٠ .
وورد غير منسوب في تهذيب اللغة (بر) ٣٠٧/١ ، واللسان (بر) ٢٥٢/١ .
وورد (نَحِزُّ) ، و(نَجِدُّ) ، و(نَحْدُّ) ، و(نَحْر) .

(٢) قوله في تفسير الثعلبي ٣/٧١ ، وزاد المسير ١/٤٢٠ ، وتفسير القرطبي ٤/١٣٣ . ونص قوله :
«لن تنالوا شرف الدين والتقوى ، حتى تتصدقوا ، وأنتم أصحاب أشقاء ، تأملون العيش ، وتحشون الفقر» .

(٣) ورد هذا القول عن مقاتل بن سليمان ، وهو في تفسيره ١/٢٩٠ .
وورد عن مقاتل بن حيان ، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٣/٧٠٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/٧١ ، وتفسير البغوي ٢/٦٦ ، وزاد المسير ١/٤٢٠ .

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ٣/٧١ ، وزاد المسير ١/٤٢٠ .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمَجَاهِدٍ ، وَالسَّيِّدِ ، أَنَّهُمْ قَالُوا ^(١) : [الْبَرُّ ؛ الْمَرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْجَنَّةُ . وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعَانِي ^(٢) : مَعْنَى الْآيَةِ : لَنْ تَنَالُوا ^(٣) الْبِرَّ مِنْ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالثَّوَابِ فِي الْجَنَّةِ .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، قال ابن عباس في رواية الضحاك ^(٤) : أراد بهذه الآية الزكاة ؛ يعني : حتى تخرجوا زكاة أموالكم .

وقال الحسن ^(٥) : كل شيء أنفقهُ الْمُسْلِمُ مِنْ مَالِهِ ؛ يبتغي به وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ مِنَ الَّذِي عَنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - بقوله : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، حَتَّى التَّمَرَّةِ .

وقال مجاهد ، والكلبى ^(٦) : هذه الآية منسوخة ، نسختها آية الزكاة ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ .

(١) قول ابن عباس ، ومجاهد في تفسير الثعلبي ٣/ ٧١أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٦٦ ، وتفسير القرطبي ٤/ ١٣٣ .

وقول السدي في تفسير الطبري ٣/ ٣٤٧ ، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٠٣ ، والثعلبي ٣/ ٧١أ ، والبغوي ٣/ ٦٦ ، والقرطبي ٤/ ١٣٣ .

(٢) لم أقف عليهم .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٤) هذه الرواية عنه في تفسير الثعلبي ٣/ ٧١أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٦٦ ، وزاد المسير ١/ ٤٢١ .

(٥) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٧١أ ، وتفسير البغوي ٢/ ٦٦ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

(٧) آية الزكاة ، هي : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِمْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . [التوبة : ٦٠] . قال الفخر الرازي راداً على من قال : إن هذه الآية منسوخة : « وهذا في غاية البعد ، لأن إيجاب الزكاة كيف ينافي الترفع في بذل المحبوب لوجه الله ؟ » . تفسيره ٨/ ١٤٨ .

[تأويلها^(١) تأويل الشرط والجزاء ، وموضعها نَصَبٌ بـ ﴿تُنْفِقُوا﴾ ، والفاء في ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٢) جوابُ المجازاة .

وتأويل الآية : وما تنفقوا من شيء فإن الله يجازيكم به قلّ أو كثر ، فإنه عليم به ، لا يخفى عليه شيء منه .

نظير هذه الآية^(٣) في المعنى قوله : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، وقوله تعالى^(٤) : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾^(٥) .

٩٣ . قوله تعالى : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الآية .

قال أهل التفسير : لما ادّعى النبي ﷺ أنه على ملة إبراهيم قالت اليهود : كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها ؟ فقال النبي ﷺ : «كان ذلك حلالاً»^(٦) لإبراهيم ، فنحن نحله .

فقلت اليهود : كل شيء أصبحنا اليوم نُحرّمه ، فإنه كان مُحَرَّمًا على نوح وإبراهيم ؛ فأنزل الله - عز وجل - تكذيباً لهم : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي

(١) من قوله : (تأويلها . . .) إلى (جواب المجازاة) : نقله بتصرف عن معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٤٣ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) في (ج) : (وهذا) بدلاً من (وهذه الآية) .

(٤) (تعالى) : ساقطة من (ج) .

(٥) [البقرة : ٢٧٠] وبقيتها : ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ .

(٦) (حلالاً) : ساقطة من (ج) .

إِسْرَءِيلَ ﴿١﴾ [الآية] (٢). و(الحِلُّ)، و(الحَلَالُ)، و(المُحَلَّلُ) : واحد . قال ابن عباس في زمزم (٣) : (هي حِلٌّ وَبِلٌ) (٤). رواه سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (٥) عن عَمْرِو بْنِ دِينَار عنه ، فُسِّئِلَ سُفْيَانُ : ما (حِلٌّ) (٦) ؟ فقال : مُحَلَّلٌ .

وروى ابن عباس (٧) أن النبي ﷺ قال : «إِنَّ يَعْقُوبَ مَرَضٌ مَرَضاً شَدِيداً» (٨) ، فنذر لئن عافاه الله لِيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ . وكان أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لَحْمَانِ الْإِبِلِ ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا .

(١) ورد هذا القول عن أَبِي رَوْقٍ ، والكَلْبِيِّ من دون سند ، كما في تفسير الثعلبي ١٧٣/٣ ، وأسباب النزول للواحدي ١١٨ ، وزاد المسير ٣٢٦/١ ، وأورده البغوي - كذلك - من دون عزو لقائل في تفسيره ٦٧/٢ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) هذه الرواية عنه ، في تهذيب اللغة (حل) ٩٠٥/١ .

(٤) قال في اللسان (بلل) ٣٤٩/١ : (والبَلَّةُ : الخَيْرُ وَالرِّزْقُ . وَالبَلُّ : الشِّفَاءُ . وَالبَلَّةُ : العَافِيَةُ . وَالبَلُّ : الْمَبَاحُ . وَقَالُوا : (هُوَ لَكَ حِلٌّ وَبِلٌ) ، فَ(بِلٌ) : شِفَاءٌ ، وَيُقَالُ : (بَلٌّ) : مَبَاحٌ مُطْلَقٌ ، يَمَانِيَةٌ حَمِيرِيَّةٌ) .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) في التهذيب : (ما حل وبِل) .

(٧) هذه رواية شهر بن حوشب عنه ، أخرجه أحمد في المسند ٢٤٧/١ . والطيالسي في المسند ٤٥٠/٤ (٢٨٥٤) ، والطبري في تفسيره ٤٣١/١ ، و٥/٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٤/٣ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤٦/١٢ برقم (١٣٠١٢) ، وأوردها الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٨ ، وقال : «رواه أحمد والطبراني ، ورجلها ثقات» .

وورد بنحوه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ، أخرجه أحمد في المسند ٢٧٤/١ ، والبخاري في التاريخ الكبير ١١٤/٢ ، والترمذي في سننه ٣١١٧ في كتاب التفسير ، باب سورة الرعد ، والحاكم في المستدرک ٢٩٢/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي . والطبري ٤/٤ ، وابن أبي حاتم ٧٠٥/٣ ، وأبو نعيم في الحلية ٣٠٤/٤ ، وقال : غريب من حديث سعيد ، تفرد به بكير [ابن شهاب] .

(٨) وفي المروي عن ابن عباس في المراجع السابقة أن الألم الشديد هو عَرَقُ النَّسَا .

وهذا قول : أبي العالية^(١) ، وعطاء^(٢) ، ومقاتل^(٣) ، والكلبي^(٤) أن الذي حرّم إسرائيل^(٥) على نفسه كان^(٦) لحوم الإبل وألبانها^(٧) .

قالت العلماء^(٨) : إنما حرّم إسرائيل ذلك على نفسه بإذن الله - عز وجل -^(٩) له^(١٠) [فيه]^(١١) ، كما جاز^(١٢) الاجتهاد في الأحكام لما أذن الله فيه^(١٣) .

- (١) قوله في تفسير الثعلبي ٧٣/٣ ب ، والبغوي ٦٨/٢ ، وزاد المسير ٤٢٢/١ .
- (٢) قوله في تفسير الطبري ٤/٤ ، والمصادر السابقة .
- (٣) قوله في تفسيره ٢٦٠/١ ، وتفسير الثعلبي ٧٣/٣ ب ، وتفسير البغوي ٦٨/٢ .
- (٤) قوله في بحر العلوم ١٠٩/٢ ، وتفسير الثعلبي ٧٣/٣ ب ، والبغوي ٦٨/٢ .
- (٥) إسرائيل ، هو يعقوب عليه السلام .
- (٦) من قوله : (كان . . .) إلى (ذلك على نفسه) : ساقط من (ج) .
- (٧) وورد - كذلك - أنه حرم عروق اللحم . وهذا مروى - كذلك - عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وأبي مجلز . انظر : تفسير الطبري ٤/٢ - ٤ .
- وعن ابن عباس أنه حرم زائدتي الكبد والكلتين والشحم ، إلا ما كان على الظهر .
- وعن مجاهد أنه حرم الأنعام . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٧٠٥/٣ .
- ورجح الطبري أنه حرم العروق ولحوم الإبل ، وقال : «لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمها ، كما كان عليه أوالها» . تفسيره : ٤/٥ .
- (٨) لم أقف على من قال ذلك ممن سبق المؤلف .
- (٩) عز وجل : ليس في (ج) .
- (١٠) (له) : ساقطة من (ب) .
- (١١) ما بين المعقوفين غير مقروء تماماً في (أ) . وساقط من (ب) و(ج) . والمثبت هو ما رجحته .
- (١٢) (كما جاز) : ساقطة من (ب) .
- (١٣) يُردُّ على كلام المؤلف - هنا - الآتي : إذا كان التحريم بإذن الله ، فأين مجال الاجتهاد هنا ؟ ولذا عرَّضَ الماوردي تحريم إسرائيل ذلك على نفسه ، كالاتي : (هل كان بإذن الله تعالى ، أم لا ؟ على اختلافهم في اجتهاد الأنبياء على قولين :
- أحدهما : لم يكن إلا بإذنه ، وهو قول من زعم أنه ليس لنبِي أن يجتهد . الثاني : بغير إذن ، بل باجتهاده ، وهو قول من قال إنَّ للنبِيِّ أن يجتهد) . النكت والعيون ٤٠٩/١ ، ٤١٠ .

وللنبي^(١) أن يجتهد في الأحكام ؛ لأنه إذا كان بالدين أعلم ، ورأيه أفضل ، كان بالاجتهاد أحق ، ولا^(٢) يجوز لأئمة أن يخالفوه في اجتهاده ، كما لا يجوز مخالفة الإجماع^(٣) .

وإن^(٤) كان من طريق الاجتهاد ، فعلى هذا لم تكن لحوم الإبل محرمة عليهم في التوراة ، وإنما لزمهم ذلك التحريم من جهة يعقوب .

وقال الحسن^(٥) : حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ لَحْمَ الْجَزُورِ ؛ تَعْبُدًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فسأل ربه أن يميز ذلك له ، فحرّمه الله على ولده .

(١) في (ج) : (للنبي) ، من دون واو .

(٢) في (ج) : (ثم لا) .

(٣) وهذه مسألة وقع فيها خلاف بين الأصوليين : هل كان النبي ﷺ مُتَعَبِّدًا بِالْاجْتِهَادِ فِي مَا لَا نَصَّ فِيهِ ؟ قال بذلك الإمام أحمد وأبو يوسف ، وجوز الشافعي من غير قطع ، وبه قال بعض أصحابه ، واختاره الأمدئي .

انظر : المحصول للرازي ١٨٤/٤٣/٢ وما بعدها ، وأفعال الرسول ﷺ ، للدكتور محمد الأشقر ١١٨/١ وما بعدها .

وهناك مسألة أخرى ، هي هل يجوز أن يكلّ الله (يفوض) إلى نبيّه أن يَحْكُمَ في بعض الأمور بما يراه من دون نَصٍّ ولا قياس على منصوص ، ويُعَدُّ ذَلِكَ شَرْعَ اللَّهِ ، وَيَكُونُ مُكَلَّفًا بِهِ ؟ ترددت هذه المسألة عند الأصوليين بين المنع والجواز ؛ فمنعها أكثر المعتزلة ، والجصاص من الحنفية . ومن أجازها الأمدئي ، وابن السمعاني ، والشيرازي . وكانت هذه الآية من أدلتهم على الجواز . ولم يقطع بذلك الشافعي . انظر : أفعال الرسول ﷺ ١٢٣/١-١٢٦ .

(٤) في (أ) و(ب) : (فإن) (بالفاء) . ولم أر لها وجهاً ، ولا يستقيم بها المعنى المراد . والمثبت من (ج) ؛ لاستقامة المعنى وصحة السياق .

(٥) قوله في تفسير الطبري ٤/٤ بمعناه . وبنصه في تفسير الثعلبي ٣/١٧٤ .

وقال عَطِيَّةٌ^(١) : إنما كان ذلك حراماً عليهم ، بتحريم إسرائيل ذلك عليهم ؛ وذلك أَنَّهُ^(٢) قال : لئن عافاني الله لا يأكل لي ولِدُ لحم الجزور^(٣) . ولم يكن ذلك محرماً عليهم في التوراة .

وقال الضَّحَّاكُ^(٤) : لم يكن شيءٌ من ذلك عليه^(٥) حراماً ، ولا حَرَمَهُ الله عليهم في التوراة ، وإنما هو شيءٌ حرموه على أنفسهم ؛ اتِّباعاً لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمَهُ إلى الله عز وجل ، فكذبهم الله عز وجل ، فقال : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ﴾ .

وقال السُّدِّيُّ^(٦) : إِنَّ الله - تعالى -^(٧) لما أنزل التوراة ، حرَّم عليهم ما كانوا يُحرِّمونه قبل نزولها ؛ اقتداءً بأبيهم يعقوب عليه السلام .

فالمفسرون مختلفون كما ترى في أن هذا التحريم هل ثبت عليهم من الله - تعالى - في التوراة ، أم لا ؟

وكيفما^(٨) كان ، ففي التوراة بيان أن ابتداء هذا التحريم من جهة يعقوب ، وقبله كان حلالاً لإبراهيم عليه السلام . والنبى ﷺ كان يدَّعي دين إبراهيم .

(١) قوله في تفسير الثعلبي ١٧٤ / ٣ ، كما ورد في تفسير الطبري ٢ / ٤ من رواية عطية عن ابن عباس .

(٢) في (ب) : (لأنه) .

(٣) نص قوله عند الثعلبي والطبري يفيد أن يعقوب - عليه السلام - حرم على نفسه العروق ؛ حيث قال عطيةٌ - كما عند الثعلبي - : « وذلك أن إسرائيل قال حين أصابه عرق النسا : والله ، لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولِدُ ، ولم يكن ذلك محرماً عليهم في التوراة » ؛ أي أصابه عرق النسا ، والضمير في (لا يأكله) يعود على العرق .

(٤) قوله بمعناه ، في تفسير الطبري ٢ / ٤ ، وبحر العلوم ١١٠ / ٢ .

(٥) عليهم) : ساقطة من (ج) .

(٦) قوله بمعناه في تفسير الطبري ١ / ٤ . وبهذا النص في تفسير الثعلبي ١٧٤ / ٣ .

(٧) لفظة (تعالى) : ساقطة من (ب) .

(٨) في (أ) و(ب) و(ج) : (كيف ما) . وأثبتها وفق الرسم الإملائي الحديث .

٩٤. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، الافتراء: اختلاق الكذب^(١). والفِرْيَةُ: الكذب والقذف^(٢). وأصله مِنْ (فَرَى) الأديم، وهو قِطْعَةٌ^(٣)، ف قيل للكَذِبِ: افتراء؛ لأن الكاذب يقطع به على التقدير، من غير تحقيق.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ أي من بعد ظهور الحُجَّة بأنَّ التحريم إنما كان من جهة يعقوب، ولم يكن محرماً قبله.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أنفسهم، ومن يدعونهم إلى مذهبهم.

٩٥. قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾؛ أي في جميع ما أخبر به، وفي ما أخبر^(٤) مِنْ أَنْ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية]^(٥).

٩٦. قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الآية. قال أبو إسحاق^(٦): معنى (الأول) في اللغة: ابتداء الشيء. ثم جائز أن يكون له ثان، وجائز أن لا يكون، كما تقول: هذا أول مال^(٧) كَسَبْتُهُ. جائز أن يكون بعده كسب، وجائز أن لا يكون، ولكن إرادتك: هذا ابتداء كَسْبِي.

(١) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٠٣، وغريب القرآن لليزدي ٤٠، ونزهة القلوب للسجستاني ١٢٤، و١٢٥، والتاج (فري) ٤٧/٢٠.

(٢) انظر: الصحاح (فرا) ٦/٢٤٥٤، والتاج (فري) ٤٧/٢٠.

(٣) (وهو قطعة): ساقطة من (ب).

انظر: هذا المعنى في جمهرة اللغة (فري) ٨٧٩، والمقاييس (فري) ٤٩٦.

(٤) (به وفي ما أخبر): ساقط من (ج).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) في معاني القرآن له ١/٤٤٥. نقله عنه بتصرف واختصار.

(٧) في (ج): (ما).

ومضى الكلام في معنى (الأول) واشتقاقه عند قوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١] .

واختلفوا في تأويل قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ فقرأت على الشيخ أبي حسان ، محمد بن أحمد بن جعفر ، فقلت : أخبركم أبو سهل ، هارون بن محمد ^(١) بن هارون الإستراباذي ^(٢) أبنا ^(٣) أبو محمد ، إسحاق بن أحمد الخزاعي ^(٤) ، أبنا ^(٥) أبو الوليد ، محمد بن عبدالله الأزرقى ^(٦) ، حدثني مهدي بن أبي المهدي ^(٧) ، ثنا

-
- (١) في مصادر ترجمته الآتية : (هارون بن أحمد) بدلاً من (محمد) .
- (٢) هو أبو سهل ، هارون بن أحمد بن هارون بن بندار بن حريش - أو خدّاش - بن الحكم ، والإستراباذي . شيخ فاضل ، مكثّر من الحديث ، ارتحل إلى العراق والحجاز ، وحدث سنين في نيسابور وبخارى ونسف وسمرقند ، مات سنة (٣٦٤هـ) . انظر : الأنساب ٢١٦/١ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٣١/٢٦ وفيات (٣٥١-٣٨٠هـ) .
- (٣) في (ج) : (أخبرنا) . قال السيوطي : «ويكتبون من (أخبرنا) : (أنا) ؛ أي الهمة والضمير . ولا تحسن زيادة الباء قبل النون ، وإن فعله البيهقي وغيره ، لثلا يلتبس برمز حدّثنا» . تدريب الراوي ٨٧/٢ .
- (٤) في (ب) : (أبو محمد إسحاق بن محمد بن أحمد) . وهو أبو محمد ، إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي ، شيخ الحرم ، من كبار أهل القرآن ، وأحد فضحاء مكة ، ثقة حجة ، توفي سنة (٣٠٧هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٨٩/١٤ ، ومقدمة محقق أخبار مكة للأزرقى ١٦/١ ، ١٧ .
- (٥) في (ج) : (أخبرنا) .
- (٦) مؤرّخ ، من أهل مكة ، أصله من اليمن ، له كتاب أخبار مكة ، اختلف في سنة وفاته ، ورجح محقق أخبار مكة القول بأنه كان حيّاً في عهد الخليفة العباسي ، المنتصر ، الذي حكم سنة (٢٤٧-٢٤٨هـ) . انظر : الفهرست ١٥٨ ، ومقدمة محقق أخبار مكة ١٣/١-١٥ ، والأعلام ٢٢٢/٦ ، ومعجم المؤلفين ٤٢٩/٣ .
- (٧) هو مهدي بن حرب العبدي ، الهجري ، قال أبو حاتم : (شيخ ليس بمنكر الحديث) . وقال ابن حجر : (مقبول) .
- انظر : الجرح والتعديل ٣٣٥/٨ ، وتقريب التهذيب ٥٤٨ (٦٩٢٨) .

أبو أيوب البصري^(١)، ثنا هشام^(٢)، عن حميد^(٣)، قال : سمعت مجاهدًا يقول :
(خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرضين)^(٤).

وبه عن الأزرقى، قال : حدثني يحيى بن سعيد^(٥)، عن محمد بن عمر بن إبراهيم^(٦)، عن عثمان بن عبد الرحمن^(٧)، عن هشام، عن مجاهد، قال : (لقد خلق الله موضع هذا البيت، قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى)^(٨).

-
- (١) لم أقف على ترجمته .
(٢) هو أبو عبدالله، هشام بن حسان القُرْدُوسِي البصري . ثقة ، إمام كبير الشأن ، توفي سنة (١٤٧ هـ) ، أو (١٤٨ هـ) .
انظر : الجرح والتعديل ٥٤ / ٩ ، وتهذيب الكمال ١٨١ / ٣٠ ، وميزان الاعتدال ٤٢٠ / ٥ ، وتقريب التهذيب ٥٧٢ (٧٢٨٩) .
(٣) هو أبو صفوان ، حميد بن قيس الأعرج ، المكي ، القارئ ، تقدمت ترجمته .
(٤) أخرجه الأزرقى ، في أخبار مكة ٣١ / ١ ، ٣٢ ، وانظر : معناه في تفسير الطبري ٢٠ / ٧ ، ٢١ ، وتفسير البغوي ٣٢٨ / ١ ، وزاد المسير ٤٢٤ / ١ .
(٥) لم أقف على ترجمته .
(٦) في أخبار مكة : (محمد بن عمر بن إبراهيم الجبيري) . ولم أقف على ترجمته .
(٧) لم أقف على ترجمته .
(٨) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة ٣٢ / ١ ، والطبري في تفسيره ٥٤٨ / ١ ، وأورده السيوطي في الدر ٢٣٦ / ١ ، وزاد نسبة إخراجهِ إلى الحميدي وعبدالرزاق ، ولم أقف عليه في مُصنّفه ، ولا في تفسيره .

وبه عن الأزرقى ، ثنا علي بن هارون العجلي^(١) ، ثنا [عن أبيه]^(٢) ، [قال]^(٣) : ثنا [القاسم]^(٤) بن عبد الرحمن الأنصاري^(٥) ، حدثني محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٦) ، عن أبيه^(٧) ، قال : (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مَلَائِكَتَهُ ، فَقَالَ : ابْنُوا لِي فِي الْأَرْضِ بَيْتًا بِمِثَالِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَقَدْرِهِ ، وَأَمَرَ اللَّهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَهَذَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ)^(٨) .

وقال ابن عباس^(٩) : هو أول بيت بناه آدم في الأرض .

- (١) لم أقف على ترجمته .
- (٢) ما بين المعقوفين زيادة من أخبار مكة ١ / ٣٢ .
- وهو هارون بن مسلم بن هُرْمُز العجلي ، أبو الحسين البصري ، صاحب الحنَاء . من أتباع التابعين ، قال ابن حجر : « صدوق » ، وقال أبو حاتم : « فيه لين » ، وثقه الحاكم ، وابن حبان ، مات بعد المائتين . انظر : ميزان الاعتدال ٥ / ٤١١ ، ولسان الميزان ٧ / ٢٤١ ، وتقريب التهذيب ٥٦٩ (٧٢٤٠) .
- (٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .
- (٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) وأخبار مكة .
- (٥) قال عنه ابن معين : « ضعيف جداً » ، وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، مضطرب الحديث » . انظر : الجرح والتعديل ٧ / ١٤ ، ١٥ ، ولسان الميزان ٥ / ٥٠٠ ، ٥٠١ .
- (٦) هو أبو جعفر الباقر ، ثقة فاضل ، من فقهاء المدينة ، وكان يتولى الشيخين ؛ أبا بكر وعمر ، وبرأ من عدوهما ، ويقول : « فإنها كانا إمامي هدى » وقال : « ما أدركت أحداً من أهل بيتي ، إلّا وهو يتولاهما » ، توفي سنة مائة و يضع عشرة .
- انظر : تهذيب التهذيب ٣ / ٦٥٠ ، والتقريب ٤٩٧ (٦١٥١) .
- (٧) هو الملقب بـ (زين العابدين) ، الثقة الثبت العابد الفاضل ، المتفق على جلالته . قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه ، توفي سنة (١٩٣ هـ) .
- انظر : الجرح والتعديل ٦ / ١٧٨ ، والتقريب ٤٠٠ (٤٧١٥) .
- (٨) جزء من أثر طويل ، أخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١ / ٣٢-٣٤ ، وورد في تفسير البغوي ٢ / ٧٠ .
- (٩) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٧٥ ب ، والبغوي ٢ / ٧٠ ، وزاد المسير ١ / ٤٢٤ .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١) : هو أول بيت مبارك وهدى وُضِعَ^(٢) للناس . وهو قول الضحاك^(٣) .

وروي عن ابن عباس أيضاً قال^(٤) : هو أول بيت وُضِعَ للناس يُحْجُّ إليه . واختاره الزَّجَّاج^(٥) .

(١) قوله في أخبار مكة ١ / ٦١ ، وتفسير الطبري ٧ / ٤ ، والثعلبي ٣ / ٧٥ ب ، والمطالب العالية ١٤ / ٥٣٩ (٣٥٥٦) ونسب إخراج له لابن راهويه في مسنده .

(٢) وضع : ساقطة من (ب) .

(٣) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٧٥ ب ، وتفسير البغوي ٢ / ٧٠ .

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ٧٥ ب .

(٥) في معاني القرآن له ١ / ٤٤٦ ، وهو قوله : «فجائز أن يكون أول بيت هو البيت الذي لم يكن الحج إلى غيره» .

وأخبرنا أبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي^(١)، أبنا أحمد^(٢) بن محمد البُستي، ثنا^(٣) إسماعيل بن محمد الصفار^(٤)، ثنا^(٥) سعدان^(٦)، ثنا^(٧) أبو معاوية^(٨)،

(١) هو أبو الحسين، عبد الغافر بن محمد (أبي عبد الله) بن عبد الغافر بن أحمد الفارسي، الفسوي. أحد رواة صحيح مسلم، وأحد رواة غريب الحديث للخطابي، يرويه عن مؤلفه. كان عدلاً جليلاً القدر. قال عنه حفيده عبد الغافر الفارسي صاحب كتاب السياق لتاريخ نيسابور: «الثقة الأمين الصالح الدين». توفي سنة (٤٤٨هـ). انظر: المنتخب من السياق ٣٦١، وسير أعلام النبلاء ١٩/١٨، وشذرات الذهب ٢٧٧/٣.

وقد أثبت محقق تفسير الوسيط، (من أول آل عمران- إلى آخر المائدة) اسمه كآلآي: (أبو الحسن الفسوي)، وأشار إلى وروده في نسخة أخرى للوسيط: (أبو الحسين القشيري)، وقد وهم المحقق فعرف الفسوي هذا بأنه: (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الفارسي)، وهو خطأ ظاهر. انظر: تفسير الوسيط من أول آل عمران إلى آخر المائدة ٢٧٥.

(٢) في (ج): (حمد). وهو الأصوب في اسم هذا الإمام؛ فقد قال رحمه الله: «اسمي الذي سُميت به: (حمد) [بتسكين الميم]، ولكن الناس كتبوا (أحمد)، فتركته عليه». وفيات الأعيان ٢/٢١٥. وهو الإمام أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُستي، الخطابي.

(٣) في (ب): (أبنا).

(٤) نقل الحافظ العراقي قول ابن حزم فيه: إنه (مجهول)، ودفع هذا ابن حجر، وسأه: (الثقة، الإمام النحوي المشهور)، وذكر أنه حدث عن الكبار، وانتهى إليه علو الإسناد، وأنه روى عنه الدارقطني، وابن منده، والحاكم، وثقوه. صاحب المبرّد وأخذ عنه. قال الدارقطني: (وكان متعصباً للسنة)، مات سنة (٣٤١هـ)، وله ٩٤ سنة. انظر: تاريخ بغداد ٦/٣٠٢، وإنباه الرواة ١/٢٤٦، وذيل ميزان الاعتدال ١٤٠، ولسان الميزان ١/٦٦٦.

(٥) في (ب): (أبنا).

(٦) هو أبو عثمان، سعدان بن نصر بن منصور البغدادي، الثقفى، البزار. ثقة صدوق، توفي سنة (٢٦٥هـ)، وقد جاوز التسعين.

انظر: الجرح والتعديل ٤/٢٩٠، وتاريخ بغداد ٩/٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/٣٥٧. في (ب): (أبنا).

(٨) هو: محمد بن خازم التميمي السعدي مولا هم، الضرير، الكوفي. ثقة، أحفظ الناس لحديث الأعمش، وحديثه عنه فيه اضطراب، اتهم بالإرجاء، والتدليس، مات سنة: (١٩٥هـ). انظر: الجرح والتعديل ٧/٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٩/٧٣، وتهذيب التهذيب ٣/٥٥١.

ثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي^(١)، عن أبيه^(٢)، عن أبي ذر^(٣)، قال : قلت : يا رسول الله ﷺ^(٤)، أيُّ مسجد وُضِعَ في الأرض أوَّلاً؟ قال : «المسجد الحرام». قال : قلت^(٥) : ثم أي؟ قال : «المسجد الأقصى». قال : قلت كم بينهما؟ قال : «أربعون سنة». قال : «فأينما^(٦) أدركتك الصلاة فَصَلِّ^(٧)؛ فهو مسجد»^(٨).

وقوله تعالى : ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ .

- (١) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي الكوفي، أبو أسماء. ثقة عابد، ولكنه يرسل ويدلس، قتله الحجاج سنة (٩٢هـ)، وله أربعون سنة.
- انظر : الجرح والتعديل ٢/ ١٤٥، والميزان ١/ ٧٤، والتقريب ٩٥ (٢٦٩).
- (٢) هو يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي. ثقة، عدّه ابن حجر من طبقة كبار التابعين، وكان عريف قومه، يقال : إنه أدرك الجاهلية، مات في خلافة عبد الملك.
- انظر : الجرح والتعديل ٩/ ٢٧١، والتهذيب ٤/ ١٧، والتقريب ٦٠٢ (٧٧٢٩).
- (٣) اختلف في اسمه، وأصح ما قيل فيه : جُنْدُب بن جُنَادَة، الغفاري. من كبار الصحابة، قديم الإسلام، يقال : أسلم بعد أربعة، وتوفي بالرَّيْذَة سنة (٣١هـ) أو (٣٢هـ) وليس له عقب.
- انظر : المعارف لابن قتيبة ٢٥٢، والاستيعاب ٤/ ٢١٦، وصفة الصفوة ١/ ٢٩٨، والإصابة ٦٢/ ٤.
- (٤) ﷺ : ليس في (ج).
- (٥) في (ج) : (ثم قلت).
- (٦) (فأينما) : كتبت في (أ) و(ب) و(ج) : (فأين ما). وكذا رسمت في صحيح البخاري ٤/ ١١٧، وأثبتها وفق الرسم الإملائي الحديث.
- (٧) في (ب) : (فصلي).
- (٨) أخرجه البخاري في الصحيح : (٣٣٦٦) في كتاب الأنبياء باب (١٠)، ومسلم في الصحيح : (٥٢٠) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة. وأحمد في المسند ٥/ ١٥٠، و١٥٦، و١٥٧، و١٦٠، و١٦١، والطبري في تفسيره ٤/ ٨، ٩، والبغوي في تفسيره ٢/ ٧٠، والثعلبي في تفسيره ٣/ ١٧٦، وأورده السيوطي في الدر ٢/ ٩٣، وزاد نسبة إخرجه لابن أبي شيبه، وعبد بن حيد، والبيهقي في الشعب.

بَكَّةَ : هي (١) مكة في قول الضحاك (٢)، ومجاهد (٣)، والمؤرج (٤). فأبدلت الميم بَاءً، كقوله (٥): سَبَدَ (٦) رأسه، وسَمَدَ رأسه (٧)، وأَغْبَطَتِ الحُمَّى، وأَغْمَطَتِ (٨)،

(١) في (ج): (قال هي).

(٢) قوله في تفسير الطبري ١٠/٤، وتفسير الثعلبي ١٧٦/٣، وزاد المسير ٤٢٥/٣.

(٣) قوله في مصنف ابن أبي شيبة ٢٦٢/٣ (١٤١٢٥)، وتفسير الطبري ٨/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٠٩/٣، والنكت والعيون ٤١٠/١، وتفسير القرطبي ٣١٨/٤، والدر المنثور ٩٤/٢، وزاد نسبة إخراجهم إلى سعيد بن منصور، والبيهقي في الشعب، وعبد بن حميد.

وأورد السيوطي في الدر المنثور ٩٤/٢ عن مجاهد، أن بكة هي الكعبة، ومكة: ما حولها. ونسبة إخراجهم إلى عبد بن حميد.

ونص قول مجاهد كما في الطبري: «إنما سميت بكة؛ لأن الناس يتباكون فيها، الرجال والنساء»؛ أي يزدحمون. إلا أن الطبري أتى بقول مجاهد شاهداً على أن المراد ببكة موضع مُزْدَحِم الناس للطواف، وأن ما كان خارج المسجد فمكة لا بكة؛ لأن ما كان خارج المسجد لا يوجب على الناس التباك فيه؛ أي التزاحم.

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ١٧٦/٣.

(٥) في (ج): (كقولك).

(٦) في (ب): (وشهد).

(٧) (رأسه، وسمد رأسه): ساقط من (ب).

التسييد أو التسميد هنا: ترك التدهن، وغسل الرأس، وقيل: هو الخلق واستئصال الشعر حتى يلصق بالجلد، وقيل: تطويل الشعر وتكثيره. فهو حرف من الأضداد. ويقال: (سَبَدَ شعره وسَبَبَه) بالتخفيف: إذا حلقة، ويقال: (سَبَدَ شعره): إذا نبت بعد الخلق، أول ما يظهر.

انظر: الأضداد لقطرب ١٤٤، والأضداد للسجستاني ٩١، وغريب الحديث لأبي عبيد ١٦٢/١، والأضداد لابن الأنباري ٣٠٩، وتهذيب اللغة ١٦١٢/٢، وذيل كتاب الأضداد للصاغاني ٢٣٢.

(٨) في (ب): (وأغطش).

ومعنى: (أَغْبَطَتِ الحُمَّى وأَغْمَطَتِ)؛ أي لزمته الحُمَّى ولم تفارقه. وهو مأخوذ من وَضَعَ الغَبِيط على الجَمَل، والغَبِيط: ما يوطأ للمرأة من هودج وغيره، ويقال: أَغْبَطْتُ الرَّحْلَ على الدابة إقباطاً: إذا ألزمته إياه.

انظر: غريب الحديث لابن سلام ٩٩/١، وتهذيب اللغة (غبط) ٢٦٣١/٣، والفائق ٤٧/٣، والنهاية في غريب الحديث ٣٤١/٣.

وَضَرْبَةٌ لَازِمٌ، وَلَا زَبٌ^(١). وَمَكَّةٌ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِقَلَّةِ مَائِهَا، وَعَدَمِ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ بِهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ^(٢): مَكََّ الْفَصِيلُ ضَرْعًا^(٣) أُمَّهُ، وَامْتَكَّهُ^(٤): إِذَا امْتَصَّ كُلَّ مَا فِيهِ.

وَقَالَ [ابن الأنباري]^(٥): سُمِّيَتْ مَكَّةُ لِاجْتِدَابِهَا النَّاسَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ وَفَجٍّ، مِنْ قَوْلِهِمْ^(٦): (وَقَالَ تَمَكَّكْتُ الْمَخَّ مِنَ الْعَظْمِ): إِذَا اسْتَقْصَيْتَ عَلَيْهِ فِي جَذِيهِ^(٧)، وَكَذَلِكَ (تَمَكَّكَ^(٨) الْفَصِيلُ مَا فِي الضَّرْعِ)^(٩).

(١) اللَّزْبُ: اللَّصُوقُ، وَالثَّبُوتُ. وَ(طِينٌ لَازِبٌ): أَيُّ لَاصِقٍ وَثَابِتٍ. وَ(الَّلَّازِبُ وَالَّلَّاتِبُ وَالَّلَّاصِقُ)، وَاحِدٌ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ: «صَارَ الْأَمْرُ ضَرْبَةً لَازِبًا»؛ أَيُّ شَدِيدًا لَازِمًا ثَابِتًا. وَيَقُولُونَ: (لَيْسَ هَذَا بِضَرْبَةٍ لَازِبٍ) وَ(لَازِمٌ)؛ بِمَعْنَى: مَا هَذَا بِوَاجِبٍ لَازِمٌ؛ أَيُّ (مَا هَذَا بِضَرْبَةِ سَيْفٍ لَازِبٍ)، وَهُوَ مَثَلٌ. انْظُرْ: إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ ٢٨٨، وَالتَّاجُ (لَزْب) ٢/٤٠٢.

(٢) (مِنْ قَوْلِهِمْ): سَاقِطٌ مِنْ (ج).

(٣) فِي (ج): (زَرْعٌ).

(٤) وَامْتَكَّهُ: سَاقِطَةٌ مِنْ (ج).

(٥) قَوْلُهُ فِي الزَّاهِرِ ١١٢/٢. نَقَلَهُ عَنْهُ بِالْمَعْنَى.

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ج).

(٧) فِي (ب): (حَدِيهِ)، فِي (ج): (حَذْبِهِ). وَفِي الزَّاهِرِ: (تَمَكَّكَتِ الْعَظْمُ: إِذَا أُجْدِيتَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ). وَمَا أُثْبِتُهُ صَوَابَ لُغَةٍ؛ لِأَنَّ (جَذِيَّ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَذْمُهُ): أَصْلُهُ. انْظُرْ: اللِّسَانُ (جَذَا) ١/٥٨١.

(٨) فِي (ج): (امْتَكَّاكَ). وَالتَّمَكُّكَ، مُصَدَّرٌ (تَمَكَّكَ)؛ أَيُّ امْتَصَّ مَا فِي الضَّرْعِ.

أَمَّا (مَكََّ)، فَمُصَدَّرُهَا: (الْمَكَّ). انْظُرْ: اللِّسَانُ (مَكَّكَ) ٧/٤٢٤٨.

(٩) فِي (ب): (الدَّرْعُ).

انْظُرْ: الْمَعَانِي السَّابِقَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِابْنِ سَلَامٍ ١/٤٣٢، وَتَهْذِيبِ اللُّغَةِ (مَكَّ) ٤/٣٤٣٥، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥/١٨١، وَاللِّسَانُ (مَكَّكَ) ٧/٤٢٤٨، ٤٢٤٩.

وقال الآخرون^(١) : مَكَّة : اسم البلد كله^(٢) ، وَبَكَّة : موضع البيت والمطاف .
سُمِّيَتْ بَكَّة ؛ لآزدحام الناس بها ، يُبَكُّ بعضهم بعضاً ؛ أي يدفع ويصلي بعضهم
بين يدي بعض ، وَيَمُرُّ بعضهم بين يدي بعض ، لا يصلح ذلك إلا هناك .

وقال الليث^(٣) : سميت مَكَّة : بَكَّة^(٤) ؛ لأنها تَبَكُّ أعناق الجبابرة ، إذا أُلحدوا
فيها ؛ أي تَدُقُّ . والبَكُّ : دَقُّ العُنُقِ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿مُبَارَكًا﴾ معناه^(٦) : كثير الخير ؛ أن جعل فيه وعنده البركة ،
ومعنى البركة : الكثرة في كل خير .

وقال بعض أهل المعاني : أصل البركة : الثُّبُوت ؛ من قولك : (بَرَكَ بَرَكًا ،
وَبُرُوكًا) : إذا ثبت على حاله^(٧) . فالبركة : ثُبُوت الخير ؛ بُنْمُوهُ وَتَزْيِيدُهُ .

(١) في (ب) و(ج) ، وتفسير الثعلبي : (آخرون) .

ومن قوله : (وقال الآخرون . . .) إلى (لا يصلح ذلك إلا هناك) : نقله - بتصرف يسير - عن تفسير
الثعلبي ٦٧/٣ .

ومن هؤلاء الآخرين القائلين بهذا القول مالك بن أنس ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم ، وعطية العوفي ،
وضمرة بن ربيعة ، وإبراهيم النخعي ، ومقاتل بن حيان ، والطبري .

انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٣/٢٦١-٢٦٢ تفسير الطبري ٤/٧-١٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم
٣/٧٠٨-٧٠٩ ، وتفسير الثعلبي ٣/٧٦ ، تفسير القرطبي ٤/١٣٨ ، ومعجم البلدان ٥/١٨١ .

(٢) في (ب) : (اسم البيت) .

(٣) قوله في تهذيب اللغة ١/٣٧٧ .

(٤) (بكة) : ساقطة من (ج) .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٩٧ ، وتفسير الطبري ٤/٩ ، والصحاح (بك) ٤/١٥٧٦ ، ومعجم البلدان
١/٤٧٥ ، واللسان (بك) ١/٣٣٥ .

(٦) (معناه) : ساقطة من (ج) .

(٧) قال ابن فارس : «الباء ، والراء ، والكاف ، أصل واحد ، وهو ثبات الشيء ، ثم يتفرع فروعاً يقارب
بعضها بعضاً» . مقاييس اللغة (برك) ١/٢٢٧ .

ومنه : (البراكاء) في القتال^(١) ، ومنه : (البركة) ، شِبْهُ الحوض ؛ لثبوت الماء فيها . و(تبارك الله) ؛ لثبوته ، لم يزل ولا يزال^(٢) .

وقال اللّخيانى^(٣) : باركت على التجارة ، وغيرها ؛ أي داومت وواظبت عليها^(٤) .

وانتصب ﴿مُبَارَكًا﴾ على الحال . قال الزّجاج^(٥) : المعنى : للذي^(٦) استقر بمكة في حال بركته ، وقال^(٧) : هو حالٌ مِنْ ﴿وُضِعَ﴾ ؛ أي وُضِعَ مباركاً .

وقوله تعالى : ﴿وَهْدَىٰ لِلْعَلَمِينَ﴾ ، قال أبو إسحاق^(٨) : المعنى : وذا هدى^(٩) . قال : ويجوز أن يكون ﴿وَهْدَىٰ﴾ في موضع رفع ؛ على معنى : وهو هدى .

(١) البراكاء : الثبات في الحرب ، والجدّ ، ويقال - كذلك - لساحة الحرب ، وأصله من البروك . انظر (برك) : في الصحاح ٤ / ١٥٧٥ ، واللسان ١ / ٢٦٧ .

(٢) قال ابن الأنباري : «قال قوم : معنى (تبارك) : تَقَدَّسَ ؛ أي تطهر وقال قوم : معنى (تبارك اسمك) : تفاعل من (البركة) ؛ أي البركة تُكتسب وتنال بذكر اسمك» . الزاهر ١ / ١٤٨ . وفي تهذيب اللغة ١ / ٣١٨ أن (تبارك) : ارتفع . والمتبارك : المرتفع . وينقل عن الزّجاج : أنه (تفاعل) من (البركة) .

انظر : المعاني السابقة لـ (البركة) ، في (برك) في تهذيب اللغة ١ / ٣١٩ ، والصحاح ٤ / ١٥٧٤ ، و١٥٧٥ ، واللسان ١ / ٢٦٦ .

(٣) قوله في تهذيب اللغة ١ / ٣١٩ .
(٤) وفي مقاييس اللغة ١ / ٢٢٩ ، وينقل عن ابن السكيت قوله : «برك فلانٌ على الأمر ، وبارك ، جميعاً : إذا واطب عليه» .

(٥) في معاني القرآن له ١ / ٤٤٥ .
(٦) في (ج) ومعاني القرآن : (الذي) .

(٧) هذا القول ليس في معاني القرآن عند الموضع السابق ، وقد يكون نقله المؤلف من موضع آخر في كتاب المعاني ، لم أقف عليه ، وقد يكون المؤلف حكى معنى قول الزّجاج .

(٨) في معاني القرآن له ١ / ٤٤٥ . نقله عنه بتصريف قليل .
(٩) هذه العبارة غير موجودة في معاني القرآن في الموضع السابق .

ومعنى كونه ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ : أنه قبلة صلاتهم ، ودلالة على الله - تعالى - من حيث هو المدبر له ^(١) بما لا يقدر عليه غيره ، من أمّن الوحوش فيه ، حتى يجتمع الكلبُ والظَّبْيُ ^(٢) فلا يعدو عليه ، وحتى يأنّس الطيرُ فلا يمتنع كما يمتنع في غيره ، إلى غير ذلك من الآثار البينة فيه ، مع البركة التي يجدها من حج البيت .

٩٧ . قوله تعالى : ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ قال ابن عباس ^(٣) : يريد : المناسك والمشاعر كلها . وقال آخرون ^(٤) : الآيات التي فيها : أمّن الخائف ، وإحقاق الجمار ^(٥) على كثرة الرّامي ، وامتناع الطير من العلوّ عليه ^(٦) ، واستشفاء المريض به ، وتعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة ^(٧) ، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا [الإحراقه] ^(٨) .

(١) في (ب) : (الذي) بدلاً من (له بما) .

(٢) في (ج) : (والصبي) .

(٣) الذي وقفت عليه عن ابن عباس من رواية عطية أنه فسرّه بمقام إبراهيم والمشرع . إلّا أنه ورد عنه من رواية عطاء بن أبي رباح ، عنه أنه قرأ (فيه آية بيّنة) ، وفسره بـ (مقام إبراهيم) ، وفسر مقام إبراهيم بأنه الحج كله . انظر : الطبري ١ / ٥٣٥ ، و٤ / ١٠ ، وابن أبي حاتم ٣ / ٧١٠ ، والدر المنثور ٢ / ٩٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ١ / ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، والنكت والعيون ١ / ٤١١ ، وتفسير البغوي ٢ / ٧١ .

(٥) في (ب) : (الجمار) .

(٦) قال ابن عطية : «وهذا كله عندي ضعيف ، والطير تُعائِنُ تعلوه» . المحرر الوجيز ٣ / ٢٢٨ .

(٧) في (ب) : (حرمة فيه) .

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) ، وفي (ج) : (الإحراقه) ، والمثبت من (ب) .

فعلى ^(١) هذا، تفسير الآيات ^(٢) وبيانها ^(٣) غير مذكور ^(٤) في الآية . ومذهب جماعة من المفسرين ^(٥) أن تفسير الآيات مذكورة ، وهي قوله : ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ ؛ أي هي مقام إبراهيم ، يعني : الآيات . وقال بعضهم ^(٦) : المعنى : منها مقام إبراهيم .

فإن قيل : (الآيات) جماعة ، ولا يصح تفسيرها بشيء واحد . قلنا : يجوز ذلك ؛ كما يقول القائل : في بلدة كذا ، لي أصدقاء وقرابات ، ثم يقتصر على ذكر واحدٍ منهم ، على معنى تخصيص له .

وعند الزجاج : أن قوله : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ من تفسير الآيات ؛ لأنه قال ^(٧) : ومن الآيات ^(٨) - أيضاً - آمِنٌ مَنْ دَخَلَهُ . قال : ومعنى (آمِنٌ مَنْ دَخَلَهُ) : أن إبراهيم - عليه السلام - سأل الله - عز وجل - أَنْ يُؤَمِّنَ سَكَانَ مَكَّةَ ، قال : ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة : ١٢٦] ، فجعل [عز وجل -] ^(٩) آمِنَ مَكَّةَ آيَةً لإبراهيم ، فلم يطمع في أهلها جبار ، فكان في ما ^(١٠) عطف الله - تعالى - من قلوب العرب في الجاهلية على مَنْ لاذَ بِالْحَرَمِ حَتَّى يُؤْمِنُوا ^(١١) ، آيَةً بَيِّنَةً ، يدل على هذه الجملة قول قتادة في قوله :

(١) في (ب) : (وعلى) .

(٢) في (ج) : (الآية) .

(٣) من قوله : (وبيانها ...) إلى (الآيات مذكورة) : ساقط من (ج) .

(٤) في (أ) و(ب) : (منكور) . وفي (ج) : ساقطة . وما أثبتته هو الصواب .

(٥) ومنهم مجاهد ، والسدي ، ومقاتل ، وقول ابن عباس على حسب القراءة المروية عنه (فيه آية بيّنة) ؛ حيث فسرها بـ ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ .

انظر : تفسير الطبري ١١ / ٤ ، وابن أبي حاتم ٧١٠ / ٣ ، وتفسير مقاتل ٢٩١ / ١ .

(٦) منهم مجاهد ، وقتادة ، والطبري . انظر : تفسير عبدالرزاق ١٢٧ / ١ ، وتفسير الطبري ١١ / ٤ ، والدر المنثور ٩٦ / ٢ .

(٧) في معاني القرآن له ٤٤٦ / ١ .

(٨) في (ج) : (ومن تفسير الآيات) . وكلمة (تفسير) غير موجودة في معاني القرآن .

(٩) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وساقط من (ب) . والمثبت من (ج) ومعاني القرآن .

(١٠) في (ج) : (فيها) .

(١١) في (ج) : (يؤمنوه) .

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ، قال ^(١) : كان ذلك في الجاهلية ، فأما اليوم ، فإن سرق فيه [أحد] ^(٢) قُطِعَ ، وإن قُتِلَ فيه قُتِلَ .

وقد ذكرنا الحكم في هذا عند قوله : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] .

وقال الضحاك في قوله : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ، قال ^(٣) : مَنْ حَجَّه فدخله كان آمناً من الذنوب التي اكتسبها قَبْلَ ذلك .

وعن يحيى بن جعدة ^(٤) في قوله : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ، قال : مِنَ النَّارِ .

(١) قوله في تفسير عبدالرزاق ١٢٧/١ ، وتفسير الطبري ١١/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧١٢/٣ ، والأزرقي في أخبار مكة ١٣٩/٢ ، والدر المنثور ٩٣/٢ وزاد نسبة إخراجهم إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) . وهي موجودة في رواية الأثر في المصادر السابقة ، وورد في تفسير عبدالرزاق : (وأخذ قطع) .

(٣) قوله في تفسير الثعلبي ٧٧/٣ ب .

وقوله : «من حججه فدخله كان آمناً» : ساقط من (ج) .

(٤) قوله في تفسير الطبري ١٤/٤ ، وابن أبي حاتم ٧١٢/٣ ، وتفسير الثعلبي ٧٧/٣ ب ، النكت والعيون ٤١١/١ ، وأورده السيوطي في الدر ٩٨/٢ ، وزاد نسبة إخراجهم إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . ويحيى بن جعدة بن هُبيرة ، بن أبي وَهْب المخزومي القرشي . تابعي ، ابن أخت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، قال عنه أبو حاتم : «حجازي ثقة» ، روى عن بعض الصحابة ، وأرسل عن ابن مسعود وأبي بكر . انظر : الجرح والتعديل ١٣٣/٩ ، والمراسيل ٢٤٥ ، وتقريب التهذيب : ٥٨٨ (٧٥٢٠) .

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [ويقرأ ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾] ^(١) بالكسر ^(٢). فالفتوح: مصدرٌ، وهو لغة أهل الحجاز. والمكسور: اسم العمل ^(٣).

قال سيبويه ^(٤): ويجوز أن يكون مصدرًا كالذكر والعلم.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

قال الزجاج ^(٥) موضع ﴿مَنْ﴾: خفض على البدل من ﴿النَّاسِ﴾، المعنى هو ^(٦): [و] ^(٧) الله على من استطاع [إليه سبيلًا] ^(٨) من الناس، حِجُّ البيت ^(٩).

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٢) قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿حِجُّ﴾ بالكسر وقرأ الباقون: (حِجَّ) بالفتح. انظر: علل القراءات للأزهري ١/١٢٣، والحجة للفارسي ٣/٦٩، والكشف لمكي ١/٣٥٣.

(٣) في (ج): (للمعمل). قال أبو زرعة بن زنجلة: «الفتح، لأهل الحجاز وبني أسد، والكسر لغة أهل نجد. وقيل: إن الفتح مصدر، والكسر اسم». حجة القراءات ١٧٠. انظر: تفسير الطبري ٤/١٨، والصحاح (حجج) ١/٣٠٣، والقاموس (حجج): ١٨٣.

(٤) في الكتاب له ٤/١٠، ونقله عنه بمعناه. ونص سيبويه: «وقالوا: حِجَّ حِجًّا، كما قالوا: ذكر ذكراً».

(٥) في معاني القرآن له ١/٤٤٧، ونقله عنه بنصه. وانظر: الكامل للمبرِّد ٣/١٨.

(٦) (هو): ساقطة من (ج). وليست في معاني القرآن.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) ومعاني القرآن.

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج). وهي ليست في معاني القرآن.

(٩) (من الناس حج البيت): ساقطة من (ج).

وهذا التوجيه النحوي هو قول أكثر النحويين. انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/٣٥٣.

قال الفرّاء^(١) : وإنْ نويت الاستئناف بـ ﴿مِنْ﴾ ، كان جزاء ، وكان الفعل به بعدها جزءاً ، واكتفيت بما جاء قبله من جوابه ، [والتأويل]^(٢) فيه : [من استطاع]^(٣) إلى الحج سبيلاً ، فَلِلَّهِ^(٤) عليه حِجُّ البيت^(٥) . فقدم الجواب وهو مؤخر في المعنى ، على مذهب العرب في التقديم والتأخير .

وقال ابن الأنباري^(٦) : ويجوز أن يكون في موضع رَفْعٍ ؛ على الترجمة للناس ؛ على معنى : (هُمُ)^(٧) : مَنْ استطاع إليه سبيلاً .

وأما معنى الاستطاعة في اللغة :

(١) لم أقف على مصدر قوله ، وقد أورده الفخر الرازي في تفسيره ١٦٦/٨ ، ونصه عنده : «إن نويت الاستئناف بـ (مَنْ) كانت شرطاً ، وأسقط الجزاء ؛ لدلالة ما قبله عليه» . وبقية العبارة كما هي عند المؤلف .

(٢) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . وساقط من (ب) . والمثبت من (ج) .

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . وفي (ب) : (كالاستطاع) . والمثبت من (ج) .

(٤) في (ج) : (ولله) .

(٥) ونسب هذا الرأي للكسائي ، كما في إعراب القرآن للنحاس : ٣٥٣/١ ، ٣٥٤ ، ومشكل إعراب القرآن ١٦٩/١ .

(٦) لم أقف على مصدر قوله وقد أورده الفخر الرازي في تفسيره ١٦٦/٨ .

(٧) في (أ) و(ب) : (بهم) . والمثبت من (ج) .

فالاستطاعة مأخوذة من : (طاع له^(١) الشيء يُطَوِّعُ) ، و(طاع يُطِيع) : إذا انقاد له^(٢) . يقال : فَرَسَ طَوَّعُ الْعِنَانِ^(٣) : إذا انقاد لك . وتطاول لي الأمر ؛ أي سهل حتى تمكنت منه . فمعنى قولهم : استطعت : استمكنت منه ووجدت السبيل إلى فعله ؛ لمطاوعته لي وسهولته عليّ^(٤) . وكلُّ من تَوَصَّلَ إلى مُرَامِهِ ، وتمكَّنَ من مطلبه ، قالوا : (قد استطاعه ، واسطاعه)^(٥) ؛ لانقياد ذلك المطلوب له . والعرب تستعمل لفظ الاستطاعة^(٦) في من يصل إلى مراده من غير مباشرة لذلك الفعل ؛ كما يقولون : استطاع الأمير فتحَ بلدٍ كذا ، وإن لم يتَوَلَّ بنفسه ، وإنما توصل إليه برجاله وأمواله ، فليس كل الاستطاعة بالمباشرة بالأعضاء .

(١) (له) : ساقط من (ج) .

(٢) وردت في معاجم اللغة التي رجعت إليها : (طاعَ له يطوع طَوْعاً) : إذا انقاد . أما (طاع يُطِيع) ، فلم أجدها . وإنما الذي وقفت عليه ، ما ورد في تهذيب اللغة عن ابن السكيت : (يقال : (طاع له وأطاع) ، سواء . فمن قال : (طاع) ، قال : (يُطاع) . ومن قال : (أطاع) ، قال : (يُطِيع) . تهذيب اللغة (طوع) ٣ / ٢١٥٢ . وكذا نقله ابن دريد عن أبي زيد . انظر : الجهمرة (طوع) ٩١٧ ، و ١٣١٠ . وانظر (طوع) : في العين ٢ / ٢٠٩ ، والصحاح ٣ / ١٢٥٥ ، والمقاييس ٣ / ٤٣١ . وانظر : تفسير قوله تعالى : ﴿طَوَّعًا وَكَرْهًا﴾ من الآية ٨٣ من هذه السورة . في (ب) : (القتال) .

وعنان اللجام : السير الذي تمسك به الدابة . وجمعه : (أعنة) . انظر : اللسان (عنن) ٥ / ٣١٤١ . يقال : (طَوَّعَ الْعِنَان) . ويقال : (ناقة طَوَّعَ الْقِيَادَ ، وطِيعَةُ الْقِيَادَ ، وطَوَّعَ الْقِيَادَ) ؛ أي لينة لا تنازع قائدها . انظر (طوع) : في تهذيب اللغة ٣ / ٢١٥٣ ، واللسان ٥ / ٢٧٢٠ .

(٤) في (ب) : (له) .

(٥) في (ج) : (وأطاعه) .

والعرب تحذف التاء من (استطاع) ، فتقول : (اسطاع) ، ومن (يستطيع) ، فتقول : (يسطيع) ؛ لأن التاء والطاء من مخرج واحد ، فيحذفون التاء استقلاً لها مع الطاء . وبعض العرب يقول : (استاع يَسْتِيع) ؛ أي (استطاع يستطيع) . وبعضهم يقول : (أسطاع يُسْطِيع) بهمزة قطع ، يريدون : أطاع يُطِيع ، فيزيدون السين . انظر : (طوع) في التهذيب ٣ / ٢١٥٣ ، والصحاح ٣ / ١٢٥٥ .

(٦) في (ج) : (الإطاعة) .

وأما التفسير : فقال ابن عباس في رواية عطاء^(١) : يريد بالاستطاعة القوة . واختلف الناس في الاستطاعة الموجبة للحج : [فالذي عليه الجمهور أن معنى الاستطاعة هاهنا ، هو القوة . والمستطيع للحج]^(٢) : هو القوي الذي لا يلحقه مشقة غير محتملة في الكَوْن على الرحلة ، فهذا إذا ملك الزاد والراحلة ، لزمه فرضُ الحج بنفسه . وإن^(٣) عدم الزاد والراحلة ، أو أحدهما ، سقط فرضُ الحج عنه ، فوجوده^(٤) الزاد والراحلة شرطٌ في وجوب الحج^(٥) . وهذا قول عمر بن

(١) لم أقف على مصدر ، هذه الرواية ، وفي المحلى لابن حزم ٥٤ / ٧ : «قد رويناه من طريق عبدالرزاق عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ، قال في الحج : سبيله من وجد له سعة ، ولم يُحَلْ بينه وبينه» .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) في (ب) : (وإذا) .

(٤) في (ج) : (فوجود) . والوجود : مصدر (وَجَدَ) بفتح الجيم وكسرها . ومن مصادرها كذلك : (جَدَة ، وُجْد) ، و(وُجْدان) ، و(إُجْدان) . انظر : القاموس (وجد) ٣٢٤ .

(٥) هذا مع مراعاة انتفاء عوائق أخرى من مرض مقعد ، أو خوف طريق ، أو غيره من الأعذار التي تُعَد مانعاً من الاستطاعة ، ذكرها وفصلها الفقهاء في كتبهم . انظر : تفسير القرطبي ١٤٩ / ٤ .

الخطاب^(١)، وابنه^(٢)، وابن عباس^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، ومجاهد^(٥)، ومذهب الشافعي^(٦)، وإبي حنيفة^(٧)، وأحمد بن حنبل^(٨)، وإسحاق^(٩).

- (١) في (ج): (وعلى قول ابن عباس، وعمر بن الخطاب).
- وقول عمر رضي الله عنه، في تفسير الطبري ١٥/٤، والمحلى لابن حزم ٥٤/٧، وسنن البيهقي ٣٣١/٤، وأورده السيوطي في الدر ٩٩/٢، وزاد نسبة إخراج له لابن أبي شيبة.
- (٢) قول ابن عمر هذا أورده ابن حزم في المحلى ٥٤/٧، ومن طريق إسرائيل عن مجاهد عن ابن عمر، قال: «مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قال: ملء بطنه، وراحلة يركبها». وقد أخرج عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٥/٣، وقوله: «مَنْ كَانَ يَجِدُ، وَهُوَ مُوسِرٌ صَحِيحٌ لَمْ يَجْعَلْ، كَانَ سِيَاهَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرًا»، ثم تلا هذه الآية: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ». وأورده السيوطي في الدر ٩٩/٢ وزاد نسبة إخراج له لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد. وفيه بيان أَنَّ الْغَنَى، وَالسَّعَةَ من موجبات الحج عنده.
- كما وردت روايته المشهورة لحديث النبي ﷺ، الذي فُسِّرَ فيه (السبيل) بالزاد والراحلة، وسيأتي التنبيه عليها.
- (٣) (ابن عباس): ساقط من (ج). وقوله في تفسير الطبري ١٥/٤، والمحلى ٥٤/٧، وسنن البيهقي ٣٣١/٤، وتفسير ابن كثير ٤١٤/١، والدر المنثور ١٠٠/٢، وزاد نسبة إخراج له لابن أبي شيبة.
- وورد من رواية علي بن أبي طلحة عنه: «السبيل: أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يحجف به». انظر: تفسير الطبري ١٥/٤، وسنن البيهقي ٣٣١/٤، والدر المنثور ١٠٠/٢ وزاد نسبة إخراج له لابن المنذر.
- وفي رواية سعيد بن جبير عنه: «من ملك ثلاثمائة درهم فهو السبيل». الطبري ١٦/٤.
- (٤) قوله في تفسير سفيان الثوري ٧٩، وتفسير الطبري ١٦/٤، وابن أبي حاتم ٧١٣/٣، والمحلى ٥٤/٧، والدر المنثور ١٠٠/٢ ونسب إخراج له لابن أبي شيبة.
- (٥) قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٧١٣/٣، والمحلى ٥٤/٧، والدر المنثور ١٠٠/٢ ونسب إخراج له لابن أبي شيبة.
- (٦) انظر: أحكام القرآن للشافعي (جمع البيهقي) ١١٣/١، والألم ١٢٦/٢، و١٢٧، و١٣٢، و١٣٣، والرسالة ١٩٧، والمجموع للنووي ٦٣/٧، وأحكام القرآن للهراسي ٢٩٤/١، ومغني المحتاج للشربيني ٤٦٣/١.
- (٧) انظر: فتح القدير لابن الهمام ٤١٥/٢ وما بعدها، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزبيدي ٣/٣.
- (٨) انظر: مسائل الإمام أحمد لأبي داود ٩٧، و١٠٦، والمغني لابن قدامة ١٦٩/٣، والمقنع لابن قدامة ٣٨٩/١، وحاشية الروض المربع (جمع: عبدالرحمن العاصمي) ٥١٤/٣.
- (٩) انظر: تفسير القرطبي ١٤٧/٤، والمغني لابن قدامة ١٦٩/٣.

[وروى جماعة من الصحابة^(١) عن النبي ﷺ أنه فسّر استطاعة السبيل إلى الحجّ، بوجود الزاد والراحلة^(٢) .

- (١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (وروى بعض الصحابة) . والمثبت من (ج) .
- (٢) ورد في ذلك أحاديث رواها ابن عمر ، وعلي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وغيرهم .
- فحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو أشهرها : أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، فقال : ما السبيل ؟ فقال ﷺ : الزاد والراحلة .
- أخرجه الترمذي في السنن : (٢٩٩٨) في كتاب التفسير ، باب : (٤) من سورة آل عمران (٨١٣) ، وفي كتاب : الحج ، باب : (٤) ، وقال فيه : «هذا حديث حسن ، والعمل عليه عند أهل العلم ، أن الرجل إذا ملك زاداً وراحلة وجب عليه الحج» .
- وأخرجه الإمام الشافعي في الأم ١٢٦/٢ ، ١٢٧ ، وفي مسنده (بترتيب السندي) ٢٨٤/١ ، وسفيان الثوري في تفسيره ٧٨ ، وابن ماجه في السنن : (٢٨٩٦) في كتاب المناسك ، باب : (٦) ، والدارقطني في السنن ٢/٢١٨ ، والطبري في تفسيره ٣٩/٧ ، و٤٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٤٢٢ ، والبغوي في شرح السنة ٧/١٤ ، والبيهقي في السنن ٤/٣٢٧ .
- وأورده السيوطي في الدر ٢/٩٩ ، وزاد نسبة إخراجها لابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن عدي ، وابن مردويه .
- إلا أن الحديث في سنده إبراهيم بن يزيد الحوزي ، وقد تكلم فيه أهل العلم . انظر : سنن الترمذي في المواضع السابقة ، ونصب الراية ٨/٣ ، والتلخيص الحبير ٢/٢٢١ ، تفسير ابن كثير ١/٤١٥ .
- كما ورد من رواية الإمام علي رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : «من ملك زاداً وراحلة ، حتى تبلغه إلى بيت الله ؛ فلم يحج ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ، إن الله يقول في كتابه : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾» .
- أخرجه الترمذي في سننه : (٨١٢) في كتاب المناسك ، باب (٣) .
- وفي سنده هلال بن عبدالله ، والحارث الأعور . قال الترمذي : «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي إسناده مقال» . وقال عن هلال : «مجهول» ، وعن الحارث : «يُضَعَّفُ في الحديث» .
- انظر : تقريب التهذيب ١/٣٤٥ ، و٢/٣٢٤ . وأخرجه الطبري في تفسيره ٤/١٦ ، وابن أبي حاتم ٣/٧١٣ ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٠٩ ، والسيوطي في الدر ٢/١٠٠ ، وزاد نسبة إخراجها للبيهقي في الشعب وابن مردويه .
- كما ورد الحديث من رواية الحسن البصري ، أخرجه الطبري في تفسيره ٤/١٥ ، ١٦ ، والدارقطني في السنن ٢/٢١٨ ، والبيهقي في السنن ٤/٣٣٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٢/٩٩ ، وزاد نسبة إخراجها لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .
- قال عنه ابن حجر : «وسنده صحيح إلى الحسن ، ولا أرى الموصول إلا وهمًا» . التلخيص الحبير ٢/٢٢١ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، قال ابن عباس^(١)، والحسن^(٢)، وعطاء^(٣):

أي أن سند الحديث إلى الحسن صحيح، إلا أنه منقطع وليس موصولاً. كما ورد الحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، عند ابن ماجه في سننه ٩٦٧/٢ رقم (٢٨٩٧) في كتاب المناسك، باب (٦)، والدارقطني في سننه ٢١٨/٢، وقال عنه ابن حجر: (وسنده ضعيف أيضاً). والتلخيص الحبير ٢٢١/٢.

كما ورد عن عائشة، وأنس رضي الله عنهما. انظر: سنن الدارقطني ٢١٦/٢، و٢١٧، وسنن البيهقي ٣٣٠/٤.

ولكن أكثر روايات الأحاديث - في هذا المعنى - فيها مقال. انظر: نصب الراية ٣/٧-١٠. قال ابن حجر: «ورواه ابن المنذر من قول ابن عباس، ورواه الدارقطني من حديث جابر، وحديث علي بن أبي طالب، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة، ومن حديث محمد بن شعيب عن أبيه عن جده، وطرقها كلها ضعيفة. وقال عبدالحق: إن طرقها ضعيفة، وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت في ذلك مسند، والصحيح من الروايات: رواية الحسن المرسلة». التلخيص الحبير ٢٢١/٢. أي أن سندها صحيح إلى الحسن، مع إرساله.

وقال البيهقي: «وروي فيه أحاديث أخرى لا يصح شيء منها، وحديث إبراهيم بن يزيد أشهرها، وقد أكدناه برواية الحسن البصري، وإن كان منقطعاً». السنن الكبرى ٣٣٠/٤.

إلا أن الشوكاني قال: «ولا يخفى أن هذه الطرق يقوي بعضها بعضاً، فتصلح للاحتجاج بها، وبذلك استدلل من قال: إن الاستطاعة المذكورة في القرآن هي الزاد والراحلة». نيل الأوطار ٣٢٢/٤.

وقد قال ابن تيمية في شرح العمدية عن الأحاديث السابقة، كما نقله عنه الصنعاني في سبل السلام: «فهذه الأحاديث مسندة من طرق حسان ومرسلة وموقوفة، تدل على أن مناط الوجوب: الزاد والراحلة، مع علم النبي ﷺ أن كثيراً من الناس يقدرّون على المشي، وأيضاً فإن الله قال في الحج: ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ إما أن يعني القدرة المعتبرة في العبادات جميعها، وهو مطلق المكنة، أو قدرّاً زائداً على ذلك؛ فإن كان المعبر هو الأول، لم يحتج إلى هذا التقييد، كما لم يحتج إليه في آية الصوم والصلاة، فعلم أن المعبر قدر زائد في ذلك، وليس هو إلا المال؛ وأيضاً، فإن الحج عبادة مفتقرة إلى مسافة، فافتقر وجوبها إلى ملك الزاد والراحلة كالجهاد. ودليل الأصل قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [٩١-٩٢: التوبة]. سبل السلام ١٨٠/٢.

(١) قوله في تفسير الطبري ١٩/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧١٥/٣، وتفسير الثعلبي ٨٢/٣ ب، والنكت والعيون ٤١١/١، والدر المنثور ١٠١/٤ وزاد نسبة إخراج لابن المنذر، والبيهقي.

(٢) قوله في تفسير الطبري ١٩/٤، وابن أبي حاتم ٧١٥/٣، والثعلبي ٨٢/٣ ب.

(٣) قوله في تفسير الطبري ١٩/٤، وتفسير الثعلبي ٨٢/٣ ب، وعنه رواية أخرى، قال: «قال: ومن كفر بالبيت». في الطبري ٢١/٤، والثعلبي ٨٣/٣ أ.

جَحَدَ فَرَضَ الْحَجِّ .

وقال الضحَّاك^(١) : لما نزلت آية الحج ، جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلَّهم ، فخطبهم ، وقال : «إن الله - عز وجل - كتب عليكم الحجَّ فحُجُّوا» . فأَمَنَ بِهِ المسلمون ، وكفر [بِهِ]^(٢) الباكون ، فأنزل الله قوله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلِكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ .

وقال في هذه السورة : ﴿يَتَاهَلْ أَلِكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(٣) وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ^(٤) [آل عمران : ٧٠] .

هناك خاطبهم تَلَطُّفًا في استدعائهم^(٥) إلى الحق ؛ بأن وجه الخطاب إليهم ، وهاهنا وَجَّهَ الخطاب إلى غيرهم إهانة لهم لصدهم عن الحق .

فإن قيل : لمَ جاز أن يقال لليهود والنصارى أهل الكتاب ، وهم لا يعملون^(٦) به ، ولم يجز^(٧) مثل ذلك في أهل القرآن ؟

(١) قوله في تفسير الطبري ٢٠ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ٨٢ ب ، والدر المنثور ١٠١ / ٢ وزاد نسبة إخرجه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٤) (وأنتم تشهدون) : ساقطة من (ب) .

(٥) في (ب) : (اسم تداعيهم) .

(٦) في (أ) و(ب) : (يعلمون) . والمثبت من (ج) .

(٧) في (ج) : (نجز) .

قيل : إن القرآن [اسمٌ] ^(١) خاصٌ لما أنزل الله على محمد ﷺ ، فأما الكتاب فيجوز أن يذهب به إلى معنى : يا أهل الكتاب المحرف عن جهته .

وأيضاً فإنهم نُسبوا إلى الكتاب احتجاجاً عليهم بالكتاب لإقرارهم به ، كأنه قيل : يا من يُقرُّ بأنه من أهل الكتاب ، لم تكفرونَ بآيات الله ؟

وقوله تعالى : ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ توبيخٌ ^(٢) لهم على لفظ الاستفهام ؛ لأنه كسؤال التعجيز عن إقامة البرهان . وقد ذكرنا مثل هذا ^(٣) .

والمراد بـ(الآيات) هاهنا : الآيات التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ ، والمعجزات التي كانت له ، والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ، قال ابن عباس ^(٥) : يريد : حاضرٌ لأعمالكم .

(١) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) : (انتم) . والمثبت من (ج) .

(٢) في (ب) : (توبيخاً) .

(٣) انظر : تفسير البسيط آية ٢٨ من سورة البقرة . وانظر : تفسير الآية ٧٠ من سورة آل عمران : ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ ، والآية ٨٠ ﴿أَيَاكُمْ يَكْفُرُ بَعْدَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، والآية ٨٦ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ .

(٤) ورد عن ابن عباس تفسيره لـ(الآيات) بأنها القرآن ، ومحمد ﷺ . انظر : زاد المسير ١/ ٤٢٩ . وجعلها ابن عطية محتملة للقرائن العلامات الظاهرة على يدي النبي ﷺ . انظر : المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٠ .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

ومعنى الآية يؤول إلى أن^(١) الله وبخهم على الكفر^(٢)، وأخبر أنه لا ينفع [الاستسارُ به]^(٣)؛ لأن الله شهيدٌ عليه، مع أن شهادته توجب ردعهم عن الكفر.

٩٩. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

قال الفراء^(٤): [يقال]^(٥): (صَدَّدْتُهُ، أَصَدَّهُ صَدًّا)، و(أَصَدَّدْتُهُ إِصْدَادًا)^(٦)، وأنشد:

أَنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمْ
صُدُّوا السَّوَاقِي عَنْ أَنْوَافِ الْحَوَائِمِ^(٧)

(١) (أن): ساقطة من (ج).

(٢) في (ج): (الكافرين).

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (الأخرائية). والمثبت من (ج).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) قال الجوهري: «صَدَّ عَنْهُ، يَصُدُّ صُدُودًا»: أَعْرَضَ، و(صده عن الأمر صَدًّا): منعه وصرف عنه. و(أَصَدَّهُ)، لُغَةٌ. الصحاح (صدد) ٢/ ٤٩٥، وانظر: اللسان (صدد) ٤/ ٢٤٠٩، والبحر المحيط ٣/ ١٤.

وقال الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَا﴾ القصص ٨٧: «وقرئ (يُصَدُّنَا) من: أَصَدَّهُ بمعنى: صَدَّهُ، وهي لغة كلب». الكشف ٣/ ١٩٤.

(٧) البيت لذي الرِّمَّة، وهو في ديوانه ٧٧١. وورد في الصحاح (صدد) ٢/ ٤٩٥، والكشاف ٢/ ٣٦٦، و٣/ ١٩٤، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١/ ٦٠٨، واللسان (صدد) ٤/ ٢٤١٠، والبحر المحيط ٣/ ١٤.

وروايته في الديوان:

أَنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالضَّرْبِ عَنْهُمْ
صُدُّوا السَّوَاقِي عَنْ رُؤُوسِ الْمَخَارِمِ

ويروى: (السواقي) بالفاء وهي الرياح التي تسفي التراب.

و(الحوائم)، جمع: (حائم). من (حام حول الشيء، يُحَوِّمُ حَوِّمًا وَحَوِّمَانًا): دار. وكلُّ مَنْ رام أمراً فقد (حام عليه حَوِّمًا، وَحِيَامًا، وَحُوِّمًا، وَحَوِّمَانًا). وكلُّ عطشان: (حائم). و(إبلٌ حوائم وَحُوِّمٌ): عطاش جدًّا، وهي التي تحوم حول الماء من شدة العطش. انظر (حوم) في اللسان

٢/ ١٠٦١، والقاموس ١٠٩٨.

وقرأ الحسنُ : (تُصِدُّونَ) بضم التاء ، من : أَصَدَّ^(١) .

قال المفسرون^(٢) : وكان صدهم عن سبيل الله بالكذب بالنبي ﷺ ، وأنَّ صِفَتَهُ ليست في كتابهم ، ولا البشارة به متقدِّمةٌ عندهم .

وقوله تعالى : ﴿ تَبْعُونَهَا عِوَجًا ﴾ ، قال اللّحياني^(٣) : «بَعَى الرجلُ في كل ما يطلبه من خير وشر ، يَبْغِي ، بُعَاءً وَبُغْيَةً»^(٤) .

وقال الفرّاء^(٥) : العرب تقول : «ابغني كذا ؛ يريدون : ابتغ لي . فإذا أرادوا : ابْتَغ معي ، وأَعْنِي على طلبه ، قالوا : أَبْغِنِي ، ففتحوا الألف ، وكذلك يقولون :

وقيل : الحوائم : الإبل الغرائب ، انظر : شرح شواهد الكشف لمحب الدين أفندي . ٥٢٨/٤ .
وعليه يكون معنى البيت : أنهم صدوا أعداءهم كما يصد السقاة الإبل الغرائب عن إبلهم .
أما على رواية الديوان ؛ فقد قال في اللسان (صدد) ٢٤١٠/٤ : قال ابن بري : وصواب إنشاده :
«صدود السواقي عن رؤوس المخارم» .

و(السواقي) : مجاري الماء . و(المخرم) ، منقطع أنف الجبل . يقول : صدُّوا الناس عنهم بالسيف ، كما صُدَّتْ هذه الأنهار عن المخارم ، فلم تستطع أن ترتفع إليها) .
قال الزمخشري مبيناً الشاهد في البيت : «والهمزة فيه داخل على (صد صدوداً) ؛ لتثقله من غير التعدي إلى التعدي» . الكشف ٣٦٦/٢ .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٨٣/٣ ، وتفسير القرطبي ١٥٤/٤ ، والبحر المحيط ١٤/٣ ، وفتح القدير ٥٥٣/١ .

(٢) منهم السدي ، وقتادة ، والربيع . انظر : تفسير الطبري ٢٢/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧١٧/٣ ، وفتح القدير ٥٥٥/١ .

(٣) قوله في تهذيب اللغة ١/٣٦٧ . وفيه (وبُغْيَةً ، وبُغْيَ مصدر) . وقد نقله المؤلف عنه بتصرف .

(٤) ويقال : (بُغْيَةً ، وبُغْيَةً ، وبُغْيَ ، وبُغْيَاةً) . انظر : اللسان (بغا) ١/٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٥) في معاني القرآن له ١/٢٢٧ . نقله عنه بتصرف واختصار .

أُحْلِبْنِي وَأَحْلِبْنِي^(١)، وَأَحْمِلْنِي وَأَحْمِلْنِي، وَأَعْكُمْنِي وَأَعْكُمْنِي^(٢)، على هذا القياس».

و(العَوَجُ)^(٣) -بكسر العين- في الأُمْرِ، وفي الدين، والقول: المَيْلُ عن الاستواء في الطريق، وفي كُلِّ ما لا يُرى. وكلُّ قائمٍ مُتَّصِبٍ يُرَى عَوَجُهُ، يقال: (فيه عَوَجٌ)، بالفتح؛ كالحائط، والقناة^(٤)، والشجرة.

يقال: (عَوَجَ الشيءُ، يَعَوِجُ عَوَجاً)، فهو (أَعَوَجُ) لكل ما يُرى، [و(عَوِجاً)]^(٥) لما لا يُرى.

(١) فسرّها الفراء في سوقه لهذا القول فقال: «فقلوه: احلبنني؛ يريد: احلب لي؛ أي اكفني الحلب». وأحلبنني: أعني عليه. وأتبعها قائلاً: (وبقيته مثل هذا)؛ أي بقية الكلمات التي ذكرها. معاني القرآن ١/٢٢٨. وانظر: معاني القرآن للزجاج ١/٤٤٧.

(٢) في (ب) و(ج): (واعلمني، وأعلمني). وقوله: اعْكُمْنِي بضم الكاف، ويجوز بكسرها. يقال: (عَكَمَ المتاعُ، يَعْكُمُهُ عَكْماً): وهو أن يبسط ثوباً ويجعل فيه المتاعَ، ويشدّه، ويسمى بعدها: (العَكْمُ)، والجمع: (أَعكام) و(عُكوم). انظر: (عكم) في المجلد ٦٢٣، واللسان ٥/٣٠٦٠، ٣٠٦١.

(٣) من قوله: (العوج ...) إلى (فهو أعوج لكل ما يرى): نقله بتصريف واختصار من تهذيب اللغة ٣/٢٢٦٤، ٢٢٦٥.

(٤) القناة هنا: الرمح، وكل عصاً مستوية، وقيل: ولو مُعَوَّجَةً. انظر: القاموس (قنى) ١٧١٠.

(٥) مابين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (وهو جأ). والمثبت من (ج). وهذه الكلمة ليست في تهذيب اللغة، وإنما فيه: (والأنثى عوجاء).

وقيل: إن الكسر يقال في الأمرين؛ الأجسام المرئية وغير المرئية؛ كالرأي والقول.

انظر: مجاز القرآن ١/٩٨، والنهاية لابن الأثير ٣/٣١٥. اللسان (عوج) ٥/٣١٥٤، ٣١٥٥.

ولكن الراغب ذكر أن (العَوَجُ) بالكسر «يقال: في ما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرضٍ بسيطٍ يُعرف تفاوتُهُ بالبصيرة، والدين والمعاش». انظر: مفردات ألفاظ القرآن (عوج) ٥٩٢.

وأما المعنى ، فقال ابن الأنباري ^(١) : قوله تعالى : ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ، (البَغْيُ) : يُقْتَصَرُ ^(٢) له على مفعول واحد ، إذا لم يكن معه اللام ؛ كقولك : بَغَيْتُ الْمَالَ والأَجَرَ والثَوَابَ . [وأريد هاهنا] ^(٣) : تَبْغُونَ لها عِوَجًا . فلما سقطت اللام ، عمل الفعلُ في ما بعدها ؛ كما قالوا : وَهَبْتُكَ ^(٤) درهماً ، وأصله : وهبت ^(٥) لك درهماً ، ومثله : صِدْتُكَ ظَنِيًّا ، يعنون : صَدْتُ لك . وكذلك : جِئْتُكَ ، كما قد ^(٦) وَرَثْتُكَ من المال جملة ، وأنشد :

فَتَوَلَّى غَلَامُهُمْ ثُمَّ نَادَى ^(٧) أَظْلِيماً أَصِيدُكُمْ ^(٨) أم حِمَاراً ^(٩)
أراد : أصيد لكم .

والهاء في قوله : ﴿ تَبْغُونَهَا ﴾ عائدة على السبيل ؛ لأن السبيلَ يُؤَنَّثُ ويُذَكَّرُ ^(١٠) . و(العِوَجُ) ، يعنى به : الزَيْغُ والتحريف ^(١١) ؛ أي تَلْتَمِسُونَ لسبيله

(١) لم أقف على مصدر قوله . وقد أوردته كذلك الفخر الرازي في تفسيره ١٧٢ / ٨ .

(٢) في (ب) : (يقتدر) .

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (وارى أصله) . والمثبت من (ج) وتفسير الفخر الرازي .

(٤) في (ب) : (أوهبتك) .

(٥) في (ب) : (أوهبتك) .

(٦) (قد) : ساقطة من (ج) .

(٧) في (ب) : (الذي) .

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (أظليماً صيدكم) . والمثبت من (ج) .

(٩) لم أقف على قائله . وقد ورد في زاد المسير ٤٣٠ / ١ ، وتفسير الفخر الرازي ١٧٢ / ٨ ، ومغني اللبيب ٢٩١ ، وشرح شواهد المغني ٥٩٦ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٤٢٦ / ٣ . (الظليم) : ذَكَرُ النَّعَامِ .

(١٠) انظر : مجاز القرآن ٣١٩ / ١ ، وتفسير الطبري ٢٢ / ٤ ، والزاهر لابن الأنباري ١٠٨ / ٢ ، والمذكر والمؤنث له ٣٩٤ / ١ .

(١١) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٤ .

الزيف والتحريف بالشبه التي تُلَبَّسون بها ، وتُوهمون أنها تقدر فيها ، وأنها مُعَوَّجَةٌ بتناقضها^(١) .

ويجوز أن يكون ﴿عَوَجًا﴾ في موضع الحال ، والمعنى : تبغونها ضالين ؛ وذلك^(٢) أنهم كانوا يَدْعُونَ أنهم على دين الله وسبيله ، فقال الله : إنكم تبغون سبيلَ الله ضالين عنها . وهذا قول أبي إسحاق^(٣) ، ذكر ذلك في سورة إبراهيم ، عند قوله : ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(٤) . وعلى هذا القول ، لا يحتاج إلى إضمار اللام في ﴿تَبْغُونَهَا﴾ .

وقال بعض أهل المعاني^(٥) : تأويل^(٦) الآية : يطلبون أن يُعَوِّجُوا^(٧) سبيل الله ، وأن يكون فيها عِوَج ؛ لأن معنى (سبيل الله) : الطريق التي هي الوُصْلَةُ^(٨) إلى رضا الله ، فهم يطلبون أن يُعَوِّجُوا هذا الطريق ؛ حتى لا يصل إلى رضا الله من سلكها بدلالة اليهود .

(١) فإعراب ﴿عَوَجًا﴾ على هذا القول : مفعول به .

انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٧/١ ، وتفسير الطبري ٢٢/٤ .

(٢) في (ب) : (والمعنى) .

(٣) في معاني القرآن له ١٥٤/٣ .

(٤) [إبراهيم: ٣] . ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ .

وفي حالة إعرابها حالاً يكون معنى (تبغون) : تَتَعَدَّونَ . و(البغي) : التعدي .

انظر : الدر المصون ٣/٣٢٦ ، واللسان ١/٣٢٣ .

(٥) لم أقف عليهم .

(٦) في (ب) : (أصل) .

(٧) في (ج) : (تطلبون أن تعوجوا) .

(٨) في (ب) : (الموصلة) .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾، قال ابن عباس^(١): يريد بها: في التوراة. [قال المفسرون]^(٢): يعني: أنتم شهداء أن في التوراة مكتوباً أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام. وهذا معنى قول ابن عباس.

وقال الزجاج^(٣): أي أنتم تشهدون بما قد ثبت في نفوسكم أن أمر النبي ﷺ حق.

وقيل^(٤): معناه: وأنتم شهداء أن لا يجوز الصّد عن سبيل الله.

١٠٠. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا﴾ الآية.

قال المفسرون: نزلت في الأوس والخزرج، حين أغرى قوم من اليهود بينهم؛ ليفتنوهم^(٥) عن دينهم^(٦).

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده الفخر الرازي في تفسيره ١٧٢/٨.

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

ومن قال بهذا قتادة، والربيع، وأبو جعفر الرازي، وقريباً منه قال مقاتل. انظر: تفسير الطبري ٢٤/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧١٨/٣، وتفسير مقاتل ٢٩٢/١، والدر المنثور ١٠٤/٢.

(٣) في معاني القرآن له ٤٤٧/١. نقله عنه بنصه.

(٤) لم أقف على القائل. وأورده الفخر الرازي في تفسيره ١٧٣/٨.

(٥) في (ب): (ليغشوهم).

(٦) ورد ذلك في روايات عدة تتفق في مضمونها، وأكثرها تفصيلاً ما أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/٤، ٢٥، وعن زيد بن أسلم، وخلاصتها أن شاس بن قيس اليهودي - وكان عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم، وقد كبر في الجاهلية وأسَنَ - مرَّ يوماً على نفر من المسلمين من الأوس والخزرج، فغاظه ما رآهم عليه من الألفة وصلاح ذات البين، فأوعز إلى شاب من اليهود أن يجلس بينهم، ويُدكِّرهم يوم بُعث، وقد اقتتل فيه الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان الظفر فيه للأوس، وما كان قبله من معارك بين الحيين، وينشدهم بعض ما قالوا فيه من أشعار، ففعل الشاب، فتنازع الحيان، وثب كلٌّ من أوس بن قيطى من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا، وغضب الفريقان، وأخذتهم حية الجاهلية، ورباً الأمرُ بينهم وتداعوا إلى حمل السلاح، وتواعدوا للقتال، =

١٠١. وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ، هذا خطاب للمسلمين^(١) من الأوس والخزرج ، في قول ابن عباس ، وأكثر المفسرين^(٢) .

وإنَّا ﴿وَكَيْفَ﴾ هاهنا [استفهام في معنى]^(٣) التعجب وإنَّا [تَضَمَّنَتْ صِغَةً الاستفهام معنى]^(٤) التعجب ؛ لأنها طلبٌ للجواب عَمَّا حَمَلَ عَلَى الفساد مما لا يصح فيه اعتذار .

قال الزَّجَّاج^(٥) : أي على أي حال يقع منكم الكفر ، وآياتُ الله التي تدل على توحيده وُبُوءَ نَبِيِّهِ^(٦) محمد ﷺ تتلى عليكم .

وخرجوا إلى ظاهر المدينة ، وانحاز الأوس إلى بعضهم ، وكذلك الخزرج ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم في من معه من المهاجرين ، وعظهم ، فعرّف القوم أنها نَزْعَةٌ من الشيطان ، وَكَيْدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح ، وبكوا ، وتعانقوا ، وانصرفوا مع الرسول ﷺ سامعين مطيعين ، فأنزل الله قوله : ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وانظر : سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، وأسباب النزول للواحدي ١١٩ ، ١٢٠ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٨٣ ب ، وأورده السيوطي في الدر ٢/ ١٠٢ ، ١٠٣ وزاد نسبة إخراجها لابن المنذر ، وأبي الشيخ . وأورده السيوطي في لباب النقول ٥٥ .

وقد روى الواحدي بسنده إلى عكرمة نحو هذه الحادثة مع الاختصار . انظر : أسباب النزول له ١٢٠ ، وأوردها عنه - كذلك - السيوطي في الدر ٢/ ١٠٣ ، ونسب إخراجها لابن المنذر .

كما ورد عن ابن عباس ومجاهد نحو ذلك . انظر : تفسير عبدالرزاق ١/ ١٢٨ ، وتفسير الطبري ٤/ ٢٤ ، ٢٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧١٩ ، ومجمع الزوائد ٦/ ٣٢٦ ، والدر المنثور ٢/ ١٠٣ .

(١) في (ب) : (للمؤمنين) .

(٢) انظر : قول ابن عباس في تفسير الطبري ٤/ ٢٤ ، ٢٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧١٩ . انظر : أقوال بقية المفسرين في المصادر السابقة .

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (استفهام بمعنى) . والمثبت من (ج) .

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (تضمنت كيف الاستفهام ومعنى) . والمثبت من (ج) .

(٥) في معاني القرآن له : ١/ ٤٤٨ . نقله عنه بتصرف .

(٦) (نبيه) : ساقطة من (ب) .

وقوله تعالى : ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ ، قال الزَّجَّاجُ ^(١) : جائزٌ أن يقال : [فيكم رسوله ، والنبي ﷺ شاهد ، وهذا مختصٌ بأيَّامه . وجائزٌ أن يقال لنا] ^(٢) الآن : فيكم رسول الله ؛ لأن آثاره ، ومعجزته القرآن الذي أتى به ، فينا . فعلى هذا ، كونه فينا ، لا يختص بزمان دون زمان .

وقال الحسن ^(٣) : نزلت الآية في مشركي العرب .

وقوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ خطاب لهم ، وهو توبيخٌ لهم على الكفر بعد نصب الحجة ، وبعثة الرسول .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ﴾ ، الاعتصام في اللغة : الاستمسك بالشيء ، وأصله من (العِصْمَة) . و(العِصْمَةُ) : المنع في كلام العرب . و(العاصِمُ) : المانع . واعتصم فلانٌ بالشيء : إذا امتنع به ^(٤) .

قال ابن عباس ^(٥) في قوله : ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ﴾ ؛ يريد ^(٦) : يمتنع بسبيل الله . وقال الزَّجَّاجُ ^(٧) : يستمسك بحبل الله .

(١) في معاني القرآن له ٤٤٨ / ١ . نقله عنه بتصرف .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) لم أقف على مصدر قوله .

(٤) (العِصْمَة) الاسم . أما المصدر ، فهو (العِصْمُ) .

واعْتَصَم ، قد يتعدى بالباء ، فيقال : اعتصمت به ، وهي الأفصح ، وقد يقال : اعتصمته . انظر (عصم) في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٠٨ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٢٨ / ١ ، وتفسير الطبري ٢٦ / ٤ ، والزاهر ٥٧٩ / ١ ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ٥٦٩ ، واللسان ٢٩٧٦ / ٥ .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) من قوله : (يريد . . .) إلى (ومن يعتصم بالله) : ساقط من (ج) .

(٧) في معاني القرآن له ٤٤٨ / ١ . نقله عنه بنصه .

وقال ابن جريج^(١): ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ﴾؛ أي يؤمن بالله.

١٠٢. قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، قد ذكرنا ما في (التقاة) عند قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ومعنى ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ هو أَنْ يُطَاعَ فلا يُعصى، ويذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر. وهذا يروى عن عبدالله مرفوعاً، ورؤي موقوفاً عليه^(٢).

(١) قوله في تفسير الطبري ٢٦/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٠/٣، وتفسير البغوي ٧٧/٢، والدر المنثور ١٠٤/٢ وزاد نسبة إخرجه لابن المنذر.

(٢) أكثر الذين رووا الأثر عن عبدالله بن مسعود، روه موقوفاً. انظر: الزهد لابن المبارك ٨، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢٦٠، وتفسير سفيان الثوري ٧٩، وتفسير عبدالرزاق ١٢٩/١، وتفسير الطبري ٢٧/٤ تفسير ابن أبي حاتم ٧٢٢/٣، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٨٤، ٨٥، والمعجم الكبير للطبراني ٩٣/٩ رقم (٨٥٠١)، المستدرک للحاكم ٢٩٤/٢، وقال: (صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)، وافقه الذهبي.

وأورد البغوي طرقاتاً منه موقوفاً في تفسيره ٧٧/٢، وأورده ابن كثير ٤١٦/١ من رواية ابن أبي حاتم موقوفاً، وقال: (وهذا إسناد صحيح موقوف).

وأورده السيوطي في الدر ١٠٥/٢، وزاد نسبة إخرجه إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه.

أما المرفوع فقد أخرجه الثعلبي في تفسيره ٨٦/٣ بسنده إلى عبدالله بن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ. وأورده القرطبي ١٥٧/٤ مرفوعاً، ونسب إخرجه للبخاري، وهو تصحيف؛ لأن البخاري لم يرو هذا الأثر، والصواب نسبته للنحاس، حيث ورد ذلك في نسخة أخرى لتفسير القرطبي، أشار إليها محقق التفسير.

وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣١/١، وقال رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ. وأورده ابن كثير في تفسيره ٤١٦/١ مرفوعاً من رواية ابن مردويه، وذكر أن الحاكم رواه مرفوعاً في المستدرک كذلك، وعقب ابن كثير قائلاً: (والأظهر أنه موقوف. والله أعلم).

وأورده السيوطي في الدر ١٠٥/٢، ونسب إخرجه للحاكم، وابن مردويه. ولم أقف على المرفوع في مستدرک الحاكم.

وورد من رواية ابن عباس، أخرجه البيهقي في كتاب الزهد الكبير ٣٤٤ رقم (٨٧٣).

واختلفوا في هذه الآية ؛ فقال ابن عباس في رواية الوالبي^(١) : لَمْ تُنسخ هذه الآية ، ولكن ﴿حَقُّ تَقَائِهِ﴾ أن يجاهدوا في الله حق جهاده ، ولا تأخذهم^(٢) في الله لومة لائم ، ويقوموا^(٣) بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم^(٤) .

واختار الزَّجَّاج هذا الوجه ، وهو أن الآية مُحْكَمَةٌ غير منسوخة ؛ لأنه قال^(٥) في قوله : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَائِهِ﴾ ؛ أي اتَّقَوْهُ في ما يحقُّ عليكم أن تتَّقَوْهُ فيه .

وقال^(٦) في رواية عطاء^(٧) : هذا منسوخٌ ؛ لأنهم قالوا : يا رسول الله ، وما حَقُّ تَقَاتِهِ ؟ قال : «يُذَكَّرُ فلا يُنسى ، ويُطَاعُ فلا يُعصى» قالوا : وَمَنْ يَقْوَى على هذا ؟ وشقَّ^(٨) عليهم ؛ فأنزل الله : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦] .

-
- (١) هذه الرواية في الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢٦٠ ، وتفسير الطبري ٢٩/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٢/٣ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٨٥ ، الدر المنثور ١٠٦/٢ ، وزاد نسبة إخراج ابن المنذر .
- (٢) في (ج) : (بأخذهم) .
- (٣) في (ب) : (ويفرحوا) .
- (٤) ورد في الأثر عند أبي عبيد ، والطبري ، وابن أبي حاتم ، بزيادة في آخره : (وأبنائهم) . ولا توجد لفظة (أنفسهم) عند النحاس . وفي الدر : (وأمهاتهم) بدلاً من (أبنائهم) .
- (٥) في معاني القرآن له ٤٤٨/١ . نقله بنصه .
- (٦) أي ابن عباس .
- (٧) لم أقف على مصدر هذه الرواية . ولكن ورد عن ابن عباس بنحوه ، أخرجه ابن مردويه ، كما ورد عنه من طريق عكرمة ، أخرجه عبد بن حميد . انظر : الدر المنثور ١٠٦/٢ .
- (٨) في (ب) : (وحتى) .

وإلى هذا القول ذهب قتادة^(١) والرَّبيع^(٢) والسُّدي^(٣) وابن زيد^(٤)، وقال مقاتل^(٥): ليس^(٦) في آل عمران من المنسوخ إلا هذا^(٧).

(١) قوله في كتاب الناسخ والمنسوخ له ٣٨، وتفسير الطبري ٢٢٩-٢٢٧/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٢/٣ الناسخ والمنسوخ للنحاس ٨٥، وأورده السيوطي في الدر ١٠٥/٢، ونسب إخراجَه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبي داود في ناسخه.

(٢) قوله في تفسير الطبري ٢٩/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٢/٣.

(٣) قوله في المصادر السابقة.

(٤) قوله في الطبري ٢٩/٤، وزاد المسير ٤٣٢/١، والمحرم الوجيز ٢٤٦/٣.

(٥) لم أقف على نص قوله هذا في تفسيره، وقد أورده الثعلبي في تفسيره ٨٦/٣.

وقد نص مقاتل في تفسيره على نسخها بآية التغابن. انظر: تفسيره ٢٩٢/١.

(٦) في (ب): (آيتين). بدلاً من (ليس).

(٧) ممن قال بنسخها من الذين كتبوا في النسخ: هبة الله بن سلامة في الناسخ والمنسوخ له ٦٢، و١٨١، وأبو عبد الله محمد بن حزم في الناسخ والمنسوخ له ٣١، والبايزي في ناسخ القرآن ومنسوخه له ٢٨، وعبد القاهر البغدادي في الناسخ والمنسوخ له ٩٢. والكرمي في فائد المرحان ٨١.

ولكن ذهب آخرون إلى إحكام هذه الآية وعدم نسخها وهو الراجح؛ لأنه لا تعارض بين الآيتين؛ حيث إن آية سورة التغابن من قبيل المفسر والمبين للمُبهم الوارد في آية سورة آل عمران؛ وذلك أنَّ (حقَّ ثقاته) إنها هو بقدر الاستطاعة؛ لأنه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فمعنى الآية: أن نتقي الله حقَّ ثقاته ما استطعنا، ويُبَيِّن النَّحَاسُ هذا بقوله:

«محال أن يقع في هذا ناسخ ولا منسوخ، إلّا على حيلة؛ وذلك أن معنى (نسخ الشيء): إزالته بضده، فمحال أن يقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ منسوخ، ولا سيما مع قول رسول الله ﷺ، مما فيه بيان الآية» ثم ذكر رواية معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ: «قال لي رسول الله ﷺ: يا معاذ، أندري ما حق الله - عز وجل - على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه، فلا يشركوا به شيئاً». أفلا ترى أنه محال أن يقع في هذا نسخ؟».

ثم ذكر رواية ابن عباس من طريق الوالبي التي أوردها المؤلف سابقاً، وقال:

«فكل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه، ولا يقع فيه نسخ. وهذا هو قول النبي ﷺ: أن تعبدوه لا تشركوا به شيئاً، وكذا على المسلمين، كما قال ابن مسعود: أن تطيعوه فلا تعصوه، وتذكروهم فلا تنسوه، وتشكروهم ولا تكفروهم، وأن تجاهدوا فيه حق جهاده. فأما قول قتادة - مع محله من العلم: إنها نسخت، فيجوز أن يكون معناه نزلت ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بنسخ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، وأنها مثله؛ لأنه لا يُكَلِّفُ أَحَدٌ إِلَّا طاقته». الناسخ والمنسوخ له ٢٨٢-٢٨٤.

وقال مكِّي بن أبي طالب مؤكداً القول بإحكام الآية، وعدم نسخها:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، لفظ^(١) النَّهْيِ واقعٌ على الموت ، والمعنى واقعٌ على الأمر بالإقامة^(٢) على الإسلام .

المعنى : كونوا على الإسلام ، فإذا أُورِدَ^(٣) عليكم الموت ، صادفكم على ذلك^(٤) .

« وهذا القول حسن ؛ لأن معنى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ : اتَّقَوْه بغاية الطاقة ، فهو قوله : ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ ؛ إذ لا جائز أن يكلفَ الله أحداً ما لا يطيق ، وتقوى الله بغاية الطاقة واجب فرض لا يجوز نسخه ؛ لأن في نسخه إجازة التقصير من الطاقة في التقوى ، وهذا لا يجوز . الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ١٧١ .

ويؤكد هذا ما ورد عن طاوس بن كيسان في تفسير هذه الآية ، وهو قوله : « وهو أن يُطاع فلا يُعصى ، فإن لم تفعلوا ، ولن تستطيعوا ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ » ، قال : على الإسلام ، وعلى حرمة الإسلام . أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠ / ٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٣ / ٣ واللفظ له . ويرجح هذا المعنى أن معنى النسخ عند السلف أعم وأشمل من المعنى الاصطلاحي ، وهو : « رفع حكم شرعي متقدم بدليل شرعي متأخر عنه » ، بل يشمل ويشمل غيره ، وقد بين الشاطبي هذا الأمر فقال :

« الذي يظهر من كلام المتقدمين ، أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين ؛ فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً ، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً ، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل متأخر نسخاً ؛ لأن ذلك كله مشترك في معنى واحد ، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف ، وإنما المراد ما جيء به آخراً ، فالأول غير معمول به ، والثاني هو المعمول به » . الموافقات ١٠٨ / ٣ .

وبمثله قال ابن القيم في إعلام الموقعين ١ / ٣٥ .
ومن رَجَّح كون الآية محكمة غير منسوخة ، وأن المراد بها هو تقوى الله قدر الاستطاعة ، الطبري في تفسيره ٢٩ / ٤ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٦ / ٣ ، وابن الجوزي في المصنف بأكلف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ١٢٢ ، والكنيا الهراسي في أحكام القرآن ٢٩٨ / ١ ، والفخر الرازي في تفسيره ١٦٧ / ٨ . ومن المعاصرين د . مصطفى زيد في النسخ في القرآن ٦١٤ ، ٦١٥ .

(١) من قوله : (لفظ . . .) إلى (صادفكم على ذلك) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزجاج ٤٤٩ / ١ .

(٢) في (ب) : (والإقامة) .

(٣) في (ب) : (اود) . وفي معاني القرآن : (ورد) .

(٤) في (ب) : (الإسلام) بدلاً من (ذلك) .

وقال بعض أهل المعاني^(١): هذا - في الحقيقة - نهي عن ترك الإسلام . المعنى : لا تتركوا الإسلام فإن الموت لا بُدَّ منه ، فمتى^(٢) صادفكم ، [صادفكم]^(٣) عليه ، إلا أنه وضع كلاماً موضع كلام ؛ لحُسْنِ الاستعارة ؛ لأنه لما كان يمكنهم الثبات على الإسلام ، حتى إذا أتاهم الموت ، لاقاهم وهم على الإسلام ، صار الموت على الإسلام بمنزلة ما^(٤) قد [دَخَلَ]^(٥) في إمكانهم . وقد مضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ [البقرة: ١٣٢] الآية .

١٠٣ . وقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ الآية . ذكرنا معنى (الاعتصام)^(٦) . وأما (الحبل) ؛ فقال أبو عبيد^(٧) : أصل الحبل في كلام العرب ، ينصرف على وجوه منها العهد وهو الأمان^(٨) ؛ وذلك أن العرب كانت تخيف بعضها بعضاً في الجاهلية ، فكان^(٩) الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من^(١٠) سيّد القبيلة^(١١) ، فيأمن به ما دام في تلك

(١) لم أقف عليهم . وقد نقل هذا القول ، بتصرف : الفخر الرازي في تفسيره ١٧٧ / ٨ .

ونقله - بنصه - الخازن في تفسيره ٣٢٨ / ١ من دون أن ينسبها لقائل .

(٢) في (ب) : (التي) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) وتفسير الفخر الرازي ، وتفسير الخازن .

(٤) في (ب) : (من) .

(٥) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) و(ج) : (دخله) . ولكن لم أر لها وجهاً ، وأثبتها من تفسير الفخر الرازي ، وتفسير الخازن .

(٦) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ ﴾ الآية ١٠١ من هذه السورة .

(٧) في غريب الحديث له ٢ / ٢١٩ ، نقله عنه بتصرف . انظر : تهذيب اللغة (حبل) ١ / ٧٣٠ .

(٨) انظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه لليزيدي ١٢١ ، ١٢٢ .

(٩) في (ج) : (وكان) .

(١٠) في (ب) : (على) .

(١١) في (ب) و(ج) : (القبيل) .

القبيلة ، حتى ينتهي إلى الأخرى ، فيأخذ مثل ذلك أيضاً ، يريد به الأمان . وربما أعطاه حبلاً أو سهماً^(١) .

و^(٢) هذا المعنى ذَكَرَهُ الأَعَشَى في قوله يذكر مَسِيرًا له^(٣) :

وَإِذَا تَجَوَّزَهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْآخَرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا^(٤)

(١) في (ب) : (أن سهل) . بدلاً من (حبلاً أو سهماً) .

وقوله : (وربما أو سهماً) : غير موجودة في غريب الحديث .

وقال السمين الحلبي معلقاً على هذا القول : «وهذا معنى غير طائل ؛ بل سُمِّيَ العهد حبلاً للتوصل به إلى الغرض» . الدر المصون ٣/ ٣٣٢ .

(٢) في (ب) : (في) .

(٣) في غريب الحديث : «يذكر مسيراً له وأنه كان يأخذ الأمان من قبيلة إلى قبيلة ، فقال لرجل يمتدحه» وَذَكَرَ الْبَيْتَ .

(٤) البيت في ديوانه ١٥١ . كما ورد منسوباً له ، في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٢١٩ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٦٥ ، والمعاني الكبير ١١٢٠ ، وتفسير الطبري ٤/ ٣٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٤٥٠ ، والزاهر ٢/ ٣٠٧ ، وتهذيب اللغة (حبل) ١/ ٧٣٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٤٥٣ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٣١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٨٦ ب ، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى المدني ١/ ٣٩٤ ، واللسان (حبل) ٢/ ٧٦٠ ، والتاج (حبل) ١٤/ ١٣٤ ، وغيرها . وورد غير منسوب في الموضح في التفسير ٣٨ .

وروايته في الديوان : (فإذا تجوزها . . .) ، وعند الزَّجَّاج : (وإذا أجوزها . . .) .

وهذا بيت من قصيدة يمدح فيها الشاعر قيس بن معديكرب ، ويقول فيها مخاطباً له ، وذاكراً ناقته - أي ناقه الشاعر - إنها ، وهي تمر في أراضي القبائل ، قاصدةً إليك ، لا يُسَوِّغُ لها هذا المرور ، ولا يُسهِّلُ لها قطع هذه الطرق ، إلّا ما تأخذه من عهود الأمان من هذه القبائل ، وهكذا من قبيلة إلى قبيلة حتى تصل إليك .

انظر : المعاني الكبير ١١٢٠ ، والمقاييس ٢/ ١٣١ .

قال أبو عبيد: ^(١) فالاعتصام بحبل الله هو ترك الفرقة ، واتباع القرآن ؛ لأن المؤمن إذا اتبع القرآن ، أمِنَ العذاب ^(٢) ، كما أن الآخذ [عهد] ^(٣) سيّد القبيلة يأمنُ به .

قال ابن الأنباري ^(٤) : لَمَّا ذَكَرَ اللهُ - عز وجل - الاعتصامَ ، ذكرَ الحبلَ ، إذ كان العهد في التمسك به والتوصل ، يجري مجرى الحبل ، فأقامه الله - تعالى - مقامه ، وأجراه مجراه ، ولم تزل العربُ تُشَبِّهُ العهودَ بالحبال .

قال الشاعر :

ما زلتُ معتصماً بحبلٍ منكم مَنْ حَلَّ ساحتكم بأسبابٍ نَجَا ^(٥)
أي بعهد وذمّة .

فُسِّمِي عهدُ الله حبلاً ؛ لأنه سبب النجاة ، كالحبل الذي يَتمسك به للنجاة من [سبي] ^(٦) ، ونحوها ^(٧) .

(١) في غريب الحديث له ٢ / ٢١٩ . نقله عنه بالمعنى .

(٢) في (ب) : (العرب) .

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (عن) . والمثبت من (ج) .

(٤) لم أقف على مصدر قوله .

(٥) لم أقف على قائله ، وقد ورد في تهذيب اللغة (حبل) ١ / ٧٣١ ، واللسان ٢ / ٧٥٩ .

(٦) هنا كلمة غير مقروءة في (أ) و(ج) . وفي (ب) : (شيء) ، ولم أر لها وجهاً .

(٧) في (ب) : (ونحوهما) .

قال ابن الأنباري : «والحبل توقعه العرب على السبب تشبيهاً له بالحبل المعروف . والسبب المذكور في القرآن هو الحبل ، سمّاه الله - عز وجل - سبباً ؛ لأنه يوصل من تمسك به إلى الأمر الذي يؤمُّه . وكذلك الأسباب المعروفة هي وُصلات وأسباب تصل شيئاً بشيء . . . » . الزاهر ٢ / ٣٠٧ ، وانظر : تأويل مشكل القرآن ٤٦٤ - ٤٦٩ ، وتفسير الطبري ٤ / ٣٠ .

قال ابن عباس^(١)؛ أي تمسكوا بدين الله^(٢). وقال قتادة^(٣)، والسدي^(٤)، والضحاك^(٥): جبل الله هو القرآن^(٦).

- (١) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ٨٦ ب، وزاد المسير ١/ ٤٣٣.
 - (٢) وقد ورد هذا المعنى نفسه عن ابن زيد في تفسير الطبري ٤/ ٣٠، والنكت والعيون ١/ ٤١٤، وزاد المسير ١/ ٤٣٣.
 - (٣) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٣١، وتفسير الثعلبي ٣/ ٨٦ ب، والنكت والعيون ١/ ٤١٣، وزاد المسير ١/ ٣٣. وفي رواية أخرى عنه، فسر به بعد الله وأمره. انظر: تفسير الطبري ٤/ ٣١، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٢٤.
 - (٤) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٣١، والمصادر السابقة.
 - (٥) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٣١، وتفسير الثعلبي ٣/ ٨٦ ب.
 - (٦) ورد عنه عليه السلام تفسير (جبل الله)، بقوله: «كتاب الله جبل الله ممدود من السماء إلى الأرض». ورد ذلك من رواية أبي سعيد الخدري، أخرجها أحمد في المسند ٣/ ١٤، و١٧، و٢٦، و٥٩. والترمذي في السنن ٥/ ٦٦٣ رقم (٣٧٨٨) في كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت. وأورده من طريقين؛ الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد. والأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن أرقم. وقال: «هذا حديث حسن غريب».
- وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٣٤ (٣٠٠٧٢)، والطبري في تفسيره ٤/ ٣١، والثعلبي في تفسيره ٣/ ٨٧ ب، وابن أبي عاصم في السنة ٦٣٠ (١٥٥٤). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣، ونسب إخراجه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: «وفي سنده رجال مختلف فيهم»، وأورده السيوطي في الدر ٢/ ١٠٧. ومدار سنده عندهم على عطية العوفي، وهو ضعيف، ويخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً.
- انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٦، وتقريب التهذيب ٣٩٣ (٤٦١٦).
- وورد بلفظ: «إني تارك فيكم كتاب الله، هو جبل الله...»، من رواية يزيد بن حبان، عن زيد بن أرقم. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٣٤ (٣٠٠٦٩)، وابن حبان في صحيحه ١/ ٣٣٠، ٣٣١ (١٢٣)، والثعلبي في تفسيره ٣/ ٨٧ ب.
- وورد بالسند نفسه وبنحو لفظه، إلا أنه ليس فيه تفسيره بأنه جبل الله، وإنما ورد فيه: «وأنا تارك فيكم تَقْلِينَ: أولهما كتاب الله...». أخرجه مسلم في الصحيح: (٢٤٠٨) في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب. وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٦-٣٦٧، وابن أبي عاصم في السنة ٦٢٩ (١٥٥١)، والبيهقي في السنن ٤/ ٢٠٩٠ (٣٣٥٩)، والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن.
- ووردت تفسيرات أخرى لـ (جبل الله) عن بعض السلف، منها: أنه طاعة الله، وقيل: إخلاص =

والخطاب في هذه الآية للأوس والخزرج^(١).

وقوله تعالى : ﴿جَمِيعًا﴾ منصوب^(٢) على الحال . المعنى : اعتصموا بحبل الله مجتمعين على الاعتصام به .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ، قال ابن عباس^(٣) : أي كما كنتم في الجاهلية مقتتلين على غير دين الله .

وقال قتادة^(٤) : لا تفرقوا عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة ، والائتلاف على الطاعة .

وقال الزَّجَّاج^(٥) ؛ أي تناصروا على دين الله ، ولا تتفرقوا^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ، قال ابن عباس^(٧) : يريد : دين الإسلام .

التوحيد ، وقيل : الجماعة ، وقيل : عهد الله .

انظر : تفسير الطبري ٣١ / ٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٣ / ٣ ، و ٧٢٤ .

والاختلاف - هنا - من قبيل اختلاف التَّنوع ، وليس التَّضاد ، فإن من التزم القرآن فقد التزم الإسلام أصلاً ، وعليه ، فقد أطاع الله ، واستقام على عهده ، وهو ما عليه جماعة المسلمين .

(١) ويدخل فيه المسلمون عموماً ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، كما هو مقرر في أصول هذا الفن .

(٢) من قوله : (منصوب ...) إلى (الاعتصام به) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٤٥٠ .

(٣) لم أقف على مصدر قوله .

(٤) قوله في تفسير الطبري ٣٢ / ٤ بنحوه ، النكت والعيون ١ / ٤١٤ .

(٥) في معاني القرآن له ١ / ٤٥٠ نقله عنه بنصه . وقد فسر الزَّجَّاج بلازمه ؛ لأن التناصر من لوازم الوحدة وعدم التفرق .

(٦) (ولا تتفرقوا) : غير موجودة في معاني القرآن .

(٧) لم أقف على مصدر قوله .

﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ ، يريد : ما كان بين الأوس والخزرج من الحرب التي^(١) تناولت عشرين^(٢) ومائة سنة ، إلى أن أَلَفَ الله - عز وجل - بين قلوبهم بالإسلام ، فزالَت تلك الأحقاد ، وصاروا إخواناً في الإسلام ، مُتَوَادِّينَ على ذلك^(٣) .

قال الزَّجَّاج^(٤) : وأصل (الأخ) في اللغة [مِن] ^(٥) [التَّوَخَّى] ، وهو^(٦) الطَّلَبُ . فالأخ [مقصده مقصد]^(٧) أخيه ، وكذلك هو في الصداقة : أن تكون إرادة كل واحدٍ من الأخوين موافقةً^(٨) لما يُريد صاحبه^(٩) .

-
- (١) في (ج) : (الذي) .
 (٢) في (ج) : (عشرون) .
 (٣) انظر : حول ذلك تفسير الطبري ٣٣ / ٤ ، والكامل لابن الأثير : ٤٠٢ - ٤٢٠ .
 (٤) في معاني القرآن له ٤ / ٥١١ . نقله عنه بتصرف .
 (٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . ولكنه بعد التمعن والتدقيق قد يقرأ (من) كما أثبتته . وقد وجدته كذلك في تفسير الفخر الرازي ٨ / ١٧٩ ؛ حيث نقل عبارة الزَّجَّاج كما هي عند المؤلف هنا .
 (٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) . وقوله : (من التوخي ، وهو الطلب) ليس في معاني القرآن ، وإنما حكى المؤلف المعنى ، ونصها عند الزَّجَّاج في آخر كلامه ، كالآتي : «والعرب تقول : فلان يَتَوَخَّى مَسَارَ فلان ؛ أي يقصد ما يسره» .
 (٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (مقصد فمقصد) . والمثبت من (ج) .
 (٨) في (ج) : (مفارقة) .
 (٩) قال الأزهري : «وأصله من (وَخَى ، يَخِي) : إذا قصد . فقلبت الواو همزة» . تهذيب اللغة (أخو) ١ / ١٢٨ .
 ونقل عن أبي عمرو : (وَخَى فلان يَخِي وخياً : إذا توجه لأمر) . المصدر السابق (وخي) ٤ / ٣٨٥٦ .
 وانظر : معجم مقاييس اللغة (وخي) ١ / ٧٠ ، و ٦ / ٩٥ (أخو) . وجمع (أخ) : (أخون ، وإخوان ، وإخوة ، وأخوة ، وآخاء) . ويرى سيبويه أن (إخوة) اسم جمع . انظر : كتاب سيبويه ٣ / ٦٢٥ ، والصحاح (أخا) ٦ / ٢٢٦٤ ، واللسان (أخا) ١ / ٤٠ .

قال أبو حاتم^(١) : قال أهل البصرة : الإخوة في النَّسَبِ ، والإخوان في الصَّدَاقَةِ . قال : وهذا غلط^(٢) . يقال^(٣) للأصدقاء ، و[الأنساب]^(٤) : إخوة وإخوان . قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، ولم يعن^(٥) النَّسَبَ .

وقال عز وجل : ﴿ أَوْ يُبَيِّتَ إِخْوَانَكُمْ ﴾ [النور : ٦١] ، وهذا في النَّسَبِ .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ ، (شفا الشيء) : حَرْفُهُ ، مقصور^(٦) ، مثل شفا البئر . والجمع : (الأشفاء) . ويقال لما بين الليل والنهار ، عند غروب الشمس ، إذا غاب بعضها : (شفاً) .

قال الراجز :

أدركته قَبْلَ شَفَا أَوْ بِشَفَا والشمسُ^(٧) قد كادت تَكُونُ دَنَفًا^(٨)

(١) قوله في تهذيب اللغة (أخ) ١/ ١٢٨ ، ونقله باختصار وتصرف يسير . وقد تقدمت ترجمته .

(٢) في التهذيب ، وهذا خطأ وتخليط .

(٣) في (ج) : (فقال) .

(٤) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . وفي تهذيب اللغة : (وغير الأصدقاء) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٥) في (ب) : (يقول) .

(٦) في (ج) : (مقصورة) .

(٧) في (ج) : (فالشمس) .

(٨) البيت للعجاج ، وهو في ديوانه (تح : د . عزة حسن) ٤٩٣ . وورد أيضاً في مجاز القرآن ١/ ٣٨٨ ، والعين ٦/ ٢٨٨ ، و٨/ ٤٨ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٤٢٧ ، وإصلاح المنطق ٤٠٩ ، والجمهرة ٢٧٤ ، و٦٧٩ ، والخصائص ٢/ ١١٩ ، والمخصص ٩/ ٢٥ ، و١٧/ ٣١ ، والمقاييس ٢/ ٣٠٤ ، واللسان (دنف) ٣/ ١٤٣٢ ، و(شفي) ١٤/ ٤٣٧ . وورد في الديوان : (أشرفته قبل شفا) . وفي إصلاح المنطق ، والمخصص ، واللسان : (أشرفته بلا شفي) .

وقال في اللسان (شفي) ، في تفسير البيت : (بلا شفي) ؛ أي وقد غابت الشمس ، (أو بشفي) ؛ أي وقد بقيت منها بقية . ٢٢٩٤ / ٤ .

يقال : (شَفَّت الشمسُ ، تشفو ، وتشفي) ، و(شفيت شَفِيٌّ) ، فالكلمة واوية ويائية . انظر المصدر =

ومن هذا ، يقال : أشفى على الشيء : إذا أشرف عليه ؛ كأنه بلغ شفاؤه ؛ أي حَذَّه وَحَرَفَه ^(١) .

قال ابن عباس ^(٢) : يريد : لو مُتُّمَّ على ما كنتم عليه في الجاهلية ، لكنتم من أهل النار .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ ﴾ ، قال الأزهري ^(٣) : يقال : (نَقَذْتُه) ، و(أَنْقَذْتُه) ، و(اسْتَنْقَذْتُه) ، و(تَنْقَذْتُه) ؛ أي خَلَّصْتَه وَنَجَّيْتَه ، ومنه يقال ^(٤) : (النقائذ) ؛ للخليل التي ^(٥) تُنْقَذُ من أيدي الناس ^(٦) . وقوله تعالى : ﴿ مِّنْهَا ﴾ ، الكناية ^(٧) راجعة إلى النار ، لا إلى الشفا ؛ لأن القصد الإنجاء من النَّارِ لا من شفا الحفرة . هذا قول الزَّجَّاج ^(٨) .

السابق (شفى) ٢٢٩٤/٤ .

و(الدَّنْفُ) : هو المرض اللازم ، وقيل : مطلق المرض . ويقال : (رجلٌ دَنَفٌ ، ودَنَفٌ ، ومُدَنَفٌ ، ومُدَنَفٌ) ؛ أي براه المرض حتى أشفى على الموت . ويقال : (دَنَفَتِ الشمسُ وأدَنَفَتْ) : إذا دنت للمغيب أو اصفرت .

وأراد في البيت : مدانة الشمس للغروب ، فكأنها حينئذٍ كالشخصِ الدَّنَفِ ، وهو استعارة . انظر : اللسان (دنف) ١٤٣٢/٣ ، ١٤٣٣ .

(١) انظر : المعاني السابقة في تهذيب اللغة (شفا) ١٩٠٢/٢ ، وتفسير الطبري ٣٦/٤ ، ٣٧ ، والمخصص ٢٥/٩ ، واللسان ٢٢٩٤/٤ ، ٢٢٩٥ .

(٢) لم أقف على مصدر قوله . وقد ورد بنحوه عن السدي ، في تفسير الطبري ٣٨/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٦/٣ .

(٣) في تهذيب اللغة (نقذ) ٤٦٤٣/٤ . نقله عنه بنصه .

(٤) هذا قول أبي عبيد ، كما في المصدر السابق (نقذ) ٤٦٤٣/٤ .

(٥) في (ب) : (الذي) .

(٦) قال ابن دريد : «وكل شيء استرجعته من عدوك من بعير أو فرس ، فهو : (نُقَيْذٌ) ، والجمع : (نقائذ)» .
الجمهرة ٧٠٠ .

(٧) أي الضمير .

(٨) في معاني القرآن له ٤٥١/١ . وهو معنى قوله .

وقال غيره^(١) : الكِنَايَة تعود إلى الحفرة ، فإذا أنقذهم الله من الحفرة ، فقد أنقذهم من شَفَاها ؛ لأن شَفَاها منها . على أنه يجوز أن يُذَكَّر المضاف ، والمضافُ إليه ، ثم تعود الكِنَايَة إلى المضاف إليه دون المضاف ، فذكر الشفا ، وعادت الكِنَايَة إلى الحفرة ، كقول^(٢) جرير :

[أَرَى مَرَّ] ^(٣) السَّيْنِ أَخَذَنَ مِنِّي كما أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهِلَالِ ^(٤)
فَذَكَرَ (مَرَّ السَّيْنِ) ، ثم أخبر عن السنين .

- (١) ممن قال بذلك أبو عبيد في مجاز القرآن ٩٨/١ ، والطبري في تفسيره ٣٧/٤ ، ٣٨ .
 - (٢) من قوله : (كقول . . .) إلى (وكذلك شفا الحفرة) : ساقط من (ب) .
 - (٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ج) ، ومصادر البيت .
 - (٤) البيت في ديوانه ٣٤١ . وقد ورد منسوباً له في مجاز القرآن ٩٨/١ ، ٨٣/٢ ، والكمال للمبرّد ١٤١/٢ ، وتفسير الطبري ٣٧/٤ ، والأصول في النحو ٤٧٨/٣ ، والبحر المحيط ١٩/٣ ، والدر المحصن ٣٣٧/٣ ، والدر اللوامع ٢٠/١ .
- وورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ٣٧/٢ ، والمقتضب ٢٠٠/٤ ، وتهذيب اللغة ١٠٤٩/١ ، والصاحبي ٤٢٣ ، واللسان (خضع) ١١٨٧/٢ ، وجمع الهوامع ٤٧/١ . وروايته في الديوان وأكثر المصادر : (رأت مرَّ السنين . . .) .
- والسَّرَّارُ : هي آخر ليلة من الشهر . ويقال : (سَرَّرَ الشهر ، وسَرَّارُه ، وسرارُه) ، وهو مشتق من (استسر القمر) ؛ أي خفي ليلة السرار ، وقد يكون ذلك ليلةً ، أو ليلتين . انظر : الصحاح (سرر) ٦٨٢ .
- قال الأستاذ محمود شاکر : «وأراد جرير بـ (السرار) في هذا البيت : نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالاً ، حتى يخفى في آخر ليلة ، فهذا النقصان هو الذي يأخذ منه ليلة بعد ليلة ، أما (السَّرَّار) الذي شرحه أصحاب اللغة ، فهو ليلة اختفاء القمر ، وذلك لا يتفق في معنى هذا البيت » . هامش تفسير الطبري ٨٦/٧ (ط . شاکر) .
- قال ابن السراج : «فقال (أَخَذَنَ) ، فردّه إلى السنين ، ولم يردّ إلى (مَرَّ) ؛ لأنه لا معنى للسنين إلّا مرّها» . الأصول في النحو ٤٧٨/٣ .

وكذلك قول العجاج :

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرَضِي^(١)

وهذا إذا كان المضاف من جنس المضاف إليه^(٢). فإن (مَرَّ السنين) هو السنون . وكذلك (شَفَا الحفرة) . فَذَكَرَ الشَّفا وعادت الكناية إلى الحفرة^(٣) .

(١) البيت من الرجز ، في ملحق ديوانه (بناية : وليم بن الورد ، نشر ليسك ١٩٠٣م) ٨٠ ، مما نسب له . وقد ورد منسوباً له في كتاب سيبويه ٥٣/١ ، ومجاز القرآن ٩٩/١ ، وتفسير الطبري ٣٧/٤ ، والمخصص ٧٨/١٧ .

وقد نسبته بعض المصادر للأغلب العجلي ، ومنها المعمرون لأبي حاتم السجستاني ، (تح : عبد المنعم عامر ، ط : البابي الحلبي - مصر ١٩٦١م) ١٠٨ ، والأغاني ٢٨/٢١ ، والمقاصد النحوية ٣/٣٩٥ ، والتصريح للأزهري ٣١/٢ ، وخزانة الأدب ٤/٢٢٤-٢٢٦ .

وورد غير منسوب في البيان والتبيين للجاحظ ٦٠/٤ ، وقال فيه : «ورأى معاوية هُزاله وهو مُتَعَرٍّ ، فقال : . . .» وَذَكَرَهُ . ولا يدلُّ هذا على أنه لمعاوية ، بل قد يكون مما استشهد به من حفظه ، وورد في المقتضب ٤/١٩٩ ، والخصائص ٢/٤١٨ ، والأصول في النحو ٣/٤٨٠ ، والصاحبي ٤٢٣ ، ومغني اللبيب ٦٦٦ انظر : شرح شواهد المغني ٨٨١ ، ومنهج السالك ٢/٢٨٤ . وقد ورد برواية : (إن الليالي . . .) و(أرى الليالي . . .) ، ولا شاهد فيه - هنا - على هاتين الروایتين . وورد : (مَرُّ الليالي . . .) .

وورد الشطر الثاني برواية : (نَقَضْنَ كُلِّيَّ وَنَقَضْنَ بَعْضِي) ، و(أَخْلَدَنَّ بَعْضِي وَتَرَكْنَ بَعْضِي) . والشاهد فيه : أنه تكلم عن (طول الليالي) ، ولكن أخبر عن الليالي ، حيث أَثْنَتْ (أَسْرَعَتْ) ، و(طَوَيْنَ) مع أنه يعود على (طول) وهو مذكر ؛ وذلك لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه ، وهو (الليالي) ، وليس الطول شيئاً غيرها ، فأخبر عنها من دون الطول .

(٢) (إليه) : ساقطة من (ج) .

(٣) وذهب أبو حيان إلى عَوْدِ الضمير على (الشفَا) ، وَعَلَّلَ قائلًا : «لأن كينونتهم على الشفا ، هو أحد جزئي الإسناد ، فالضمير لا يعود إلَّا عليه ، وأما ذكر الحفرة فإنها جاءت على سبيل الإضافة إليها . . .» ثم أضاف : «وأما ذكر النار فإنها جيء بها لتخصيص الحفرة ، وليست - أيضاً - أحد جزئي الإسناد [و] لا مَحْدَثًا عنها ، وأيضاً فالإنقاذ من الشفا أبلغ من الإنقاذ من الحفرة ومن النار ، لأن الإنقاذ منه يستلزم الإنقاذ من الحفرة ومن النار ، والإنقاذ منها لا يستلزم الإنقاذ من الشفا ، فعَوْدُهُ على الشفا هو الظاهر من حيث اللفظ ومن حيث المعنى» . البحر المحيط ١٩/٣ .

وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْكَافُ^(١) فِي مَوْضِعٍ نَّصَبَ^(٢) ؛ أَيِ مِثْلَ الْبَيَانِ الَّذِي يُتْلَى عَلَيْكُمْ ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ؛ أَيِ لَتَكُونُوا عَلَى رَجَاءِ هِدَايَتِهِ .

١٠٤ . قوله تعالى : ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآية . (مِنْ) دخلت لتخص المخاطبين مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَاسِ ، و[ليس المراد]^(٣) به التبعض^(٤) ، [وهذا]^(٥) كما تقول : لِفُلَانٍ مِنْ أَوْلَادِهِ جُهْدٌ ، وَلِلْأَمِيرِ مِنْ غِلْمَانِهِ عِدَّةٌ ؛ تريد بذلك : جميع أَوْلَادِهِ وَغِلْمَانِهِ ، لا بعضهم . وقد قال الله تعالى^(٦) : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج : ٣٠] ، ليس^(٧) يأمرهم باجتنباب بعض الأوثان ، ولكن المعنى : اجتنبوا الأوثان ، فإنها رِجْسٌ^(٨) . ومثله من

-
- (١) من قوله : (الكاف) إلى (هدايته) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٥١ .
 (٢) وفي هذه الحالة ؛ إما أن تكون نعتاً لمصدر محذوف ، أو تكون حالاً ؛ أي (يُبَيِّنُ بَيَاناً مِثْلَ ذَلِكَ الْبَيَانِ) . أو : (يُبَيِّنُ لَكُمْ تَبْيِيْنًا مِثْلَ تَبْيِيْنِهِ لَكُمْ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ) .
 انظر : الفريد في إعراب القرآن ١ / ٦١٢ ، والدر المصون ٣ / ٣٣٨ .
 (٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (ومن يراد) . والمثبت من (ج) .
 (٤) قال المالقي : «وكثيراً ما تَقْرُبُ التي للتبعض من التي لبيان الجنس ، حتى لا يُفْرَقَ بينهما إلا بمعنى خفي ؛ وهو أن التي للتبعض تُقَدَّرُ بـ (بعض) ، والتي لبيان الجنس تُقَدَّرُ بتخصيص الشيء دون غيره» . رصف المباني ٣٨٩ .
 (٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .
 (٦) (تعالى) : ساقطة من (ج) .
 (٧) من قوله : (ليس . . .) إلى (اجتنبوا الأوثان) : ساقط من (ج) .
 (٨) ذكر ابن هشام أن بعض العلماء ذهب إلى أن (من) في قوله تعالى ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ للابتداء ، والمعنى : فاجتنبوا من الأوثان الرجس ؛ أي عبادتها . وقال معقّباً على هذا القول : (وهذا تكلف) . مغني اللبيب ٤٢٠ ، ٤٢١ .

الشعر قول الأعشى^(١) :

أَخُو رَغَائِبٍ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا
يَأْبَى الظَّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفْرُ^(٢)
وهو النَّوْفَلُ الزُّفْرُ لا بعضه^(٣) .

(١) هو أعشى باهلة ، أبو القُحْفَان ، عامر ، وقيل : عمر بن الحارث بن رياح الباهلي ، من همدان ، شاعر جاهلي .

انظر : المزهري ٢/ ٤٥٧ ، والحزانة ١/ ١٨٧ ، والأعلام ١/ ٢٥٠ .

(٢) ورد البيت منسوباً له في أكثر المصادر الآتية : الأصمعيات ٩٠ ، والكامل للمبرّد ١/ ٥٧ ، ومعاني القرآن للزّجاج ١/ ٤٥٢ ، وجمهرة أشعار العرب : ٢٥٥ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٥٢ ، وتهذيب اللغة (نفل) ٤/ ٣٦٣٧ ، وشرح الأبيات المشكّلة ٥٢١ ، وأمالي المرتضى ٢/ ٢١ ، وإعراب القرآن ، المنسوب للزّجاج ٢/ ٦٦٥ ، والتنبية والإيضاح لابن بري ٢/ ١٩٢ ، وزاد المسير : ١/ ٤٣٤ ، واللسان (زفر) ٣/ ١٨٤٢ ، و(قفر) ٦/ ٣٧٠١ ، و(نفل) ٨/ ٤٥١٠ ، وخزانة الأدب ١/ ١٨٥ ، و١٨٦ ، و١١٩٥ وردت روايته في الأضداد : (يعطاها) بدلاً من (يعطيها) ، ووردت روايته كذلك : (ويُسَلِّبُها) بالبناء للمعلوم ، من (السلب) بدلاً من (ويُسْأَلُها) .

والبيت من قصيدة قالها الشاعر في رثاء أخيه من أمه ، المنتشر بن وهب الباهلي .

والرغائب : هي العطايا الكثيرة . والمفرد : (رَغِيبة) ، وهي ما يُرْعَب فيه من أشياء .

والظَّلَامَةُ : هي ما تطلبه عند الظالم ، وهي اسمٌ لما أُخِذَ من الإنسان ظملاً . ويقال كذلك : (الظليمة) ، و(المظلمة) بكسر اللام وضمها .

والنوفل : السيد من الرجال الكثير الإعطاء للنوافل ، وهي العطايا . وفي اللسان (نفل) ٨/ ٤٥١٠ ينقل عن ابن الأعرابي : (النوفل : من ينفي عنه الظلم من قومه ؛ أي يدفعه) من (انتفل من الشيء) : انتفى وتبرأ منه ، و(انتفل) ، و(انتفى) بمعنى واحد ، كأنه إبدال منه . انظر : المرجع السابق .

والزُّفْرُ : السيد الذي يتحمل بالأموال في الحِمَالَات من دَيْن ، أو دِيَّة ، مطيقاً لها . وأصلها من (ازْدَفَر) ؛ أي حَمَلَ . والزُّفْرُ : الحَمَل من قولك : زَفَرَ الحَمْل ، يَزْفِرُهُ ، زَفْرًا ، و(ازْدَفَرُهُ) أيضاً ؛ أي حمله . ويقال كذلك : (زُفْر) للأسد ، والجمل الضخم ، والرجل الشجاع ، والجواد .

انظر : تهذيب اللغة (زفر) ٢/ ١٥٣٨ ، واللسان ٣/ ١٨٤١ .

(٣) قال ابن الأنباري : « ومستحيل أن تكون (من) -ها هنا- تبعيضاً ؛ إذ دخلت على ما لا يتبعض ، والعرب تقول : قطعت من الثوب قميصاً ، وهم لا ينوون أن القميص قطع من بعض الثوب من دون بعض ، إنما يدُلُّون بـ (من) على التجنيس . . . » . الأضداد ٢٥٢ ، ٢٥٣ . وانظر : التنبية والإيضاح لابن بري ٢/ ١٩٢ . ومَن ذهب إلى ذلك الزّجاج في معاني القرآن ١/ ٤٥٢ ، ولكنه جَوَّز أن تكون (من) في الآية تبعيضية . ومَن ذهب إلى أنها لبيان الجنس النحاس في معاني القرآن ١/ ٤٥٦ . وانظر في =

وفيه قول آخر ، وهو أن المراد تخصيص للعلماء والأمراء ، الذين هم أعلام ، في الأمر بالمعروف ، فهو أمر لجماعة من جملة المسلمين ، على الكفاية ؛ كأنه قيل : لِيَقُمْ بذلك بعضكم ، فأَيُّ بعض قام به سقط عن الآخر . ولو كان الأمر للجميع على غير الكفاية لم ^(١) [تسقط] ^(٢) الفريضة بقيام البعض به ^(٣) .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ يعني : اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين ^(٤) . ومعنى ﴿تَفَرَّقُوا﴾ ؛ أي بالعداوة .

هذا الموضوع : إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج ٦٤٤/٢ . ومن ذهب كذلك إلى أن الأمر في هذه الآية عام لكل الأمة أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن ٢٩٠/٢-٣٤ ، وأطال النفس في بيان ذلك والاستدلال له . وانتصر لهذا الرأي الشيخ محمد عبده ، وأسهب في بيان ذلك . انظر : تفسير المنار ٢٣/٤ وما بعدها .

(١) في (ب) : (ثم) .

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (تكون) . والمثبت من (ج) .

(٣) ممن قال بأن المراد هنا بعض الأمة ، من العلماء : الضحاك ، كما في تفسير الطبري ٣٨/٤ ، ومقاتل بن حيان ، كما في تفسير ابن أبي حاتم ٧٢٦/٣ ، وبكفاية هذا الفرض قال الطبري ، والماوردي ، وأبو يعلى الفراء ، والزهري ، والقرطبي ، وأبو حيان ، وابن تيمية ، وابن كثير ، وهو رأي جمهور العلماء . انظر : الأحكام السلطانية للماوردي ٢٤٠ ، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٨٤ ، والكشف ٤٥٢/١ ، وتفسير القرطبي ١٦٥/٤ ، والحسبة في الإسلام لابن تيمية ٦ ، و٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٤١٩/١ ، والبحر المحيط ٢٠/٣ .

قال ابن تيمية : «ويصير فرض عَيْن على القادر ؛ إذا لم يقم به غيره» . الحسبة ٦ .

(٤) منهم ابن عباس ، والربيع ، والحسن ، ومقاتل بن حيان ، ومقاتل بن سليمان ، والطبري ، والزجاج . انظر : تفسير مقاتل ٢٩٣/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٥٣/١ ، وتفسير الطبري ٩٢/٧ ، ٩٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٢٨/٣ ، وزاد المسير ٤٣٥ .

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ، قائلًا : قال النبي ﷺ : «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وافترت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» .

أخرجه أبو داود في كتاب السنة ٤٥٩٦ ، وباب شرح السنة ، والترمذي ٢٦٤٠ في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وقال : (حديث حسن صحيح) . وابن ماجه ٣٩٩١ كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ، وقال عنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣٦٤/٢ (حسن صحيح) . والحاكم =

وقوله تعالى : ﴿وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ يعني : اختلفوا في الديانة . ولا اختلافهم وجوه :

أحدها : أنَّ اليهود اختلفوا من بعد موسى ، فصاروا فِرَقاً ، والنصارى اختلفوا من بعد عيسى ، فصارت ^(١) فِرَقاً ، فأمر الله - عز وجل - بالاجتماع على كتابه ، وأعلم أنَّ التَّفَرُّقَ ^(٢) فيه يُفْضِي بأهله إلى مثل ما أفضى بأهل الكتاب إليه من الكفر .

والثاني : أنَّ المراد بالاختلاف هاهنا اختلاف ^(٣) أهل الكتاب في الإيمان ^(٤) بمحمد ﷺ ؛ فبعضهم آمَنَ ، وبعضهم كفر .

والثالث : أنَّ الاختلاف هاهنا اختلاف اليهود والنصارى ، و ^(٦) كتابهم جميعاً ^(٧) التوراة ، وهم يختلفون ، كل فرقة ^(٨) منهم ليست على شريعة الأخرى .

في المستدرك ٦/١ ، ١٢٨/١ ، وصححه ووافقه الذهبي . وأخرجه أحمد في المسند ٣٣٢/٢ ، وابن حبان في صحيحه الإحسان ١٤٠/١٤ رقم (٦٢٤٧) ، والآجري في الشريعة ١٥ . وأورده السخاوي في المقاصد الحسنة : ١٩٠ ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٢٠٣) .

ورود بنحوه بروايات أخرى فيها زيادات ، أخرجها أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والآجري ، والحاكم ، كلهم في المواضع السابقة .

انظر : الدر المنثور ١١٠/٢ ، ١١١ ، وكشف الخفاء للعجلوني ٣٦٩/١ ، والفوائد المجموعة للشوكاني ٥٠٢ ، وفتح القدير له ٥٥٩/١ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة : (٢٠٣) ، و(٢٠٤) .

(١) في (ب) : (فصاروا) .

(٢) في (ب) : (التفريق) .

(٣) في (ب) : (اختلفوا) .

(٤) في الإيمان : ساقطة من (ج) .

(٥) في (ج) : (عليه السلام) .

(٦) في (ب) : (في) .

(٧) جميعاً : ساقطة من (ب) .

(٨) في (ب) : (حرفة) .

فإن قيل ^(١) : إذا ^(٢) كان الاختلاف في الدين مذموماً منهياً عنه ، فلم اختلفت هذه الأمة في المذاهب والديانات ؟

قلنا : ذاك اختلاف في المجتهَدَاتِ ، وجميع ذلك مدلول على صحته ، فيصير كاختلاف الأحكام المنصوص عليها ، مثل : حُكْم المقيم والمسافر في الصلاة والصيام ، ونحو ذلك من الأحكام ، في أن كلاً منها مأذون فيه بالشرع .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، ولم يقل (جاءت) ؛ لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم ؛ تشبيهاً بعلامة التثنية والجمع ^(٣) . وقد فسرنا ﴿ الْبَيِّنَاتُ ﴾ في مواضع ^(٤) .

١٠٦ . قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ . انتصاب اليوم على الظرف ، والعامل فيه معنى قوله : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ؛ أي يثبت لهم العذاب يوم تبيض وجوه ، و ^(٥) يعذبون يوم تبيض وجوه ^(٦) .

(١) (فإن قيل) : ساقطة من (ب) .

(٢) (ب) : (إذا) .

(٣) وقال العكبري : «إننا حذف التاء ؛ لأن تأنيث البينة غير حقيقي ، ولأنها بمعنى الدليل» . التبيان ٢٠٣ .

(٤) انظر : تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ من الآية ٨٦ .

(٥) (ج) : (أو) . بدلاً من (و) . و(أو) أولى هنا من (و) ؛ لما تتضمنه من معنى المغايرة .

(٦) أو يكون منصوباً بفعل محذوف ، تقديره : اذكر يوم . . .

انظر : البيان للأنباري ١/ ٢١٤ ، والتبيان ٢٠٣ ، ومحاسن التأويل للقاسمي ٩٣٣/ ٤ .

ومعنى ابيضاض الوجوه : إشراقها^(١) ، واستنارتها ، وسرورها ، واستبشارها^(٢) ؛ لما تصير إليه من ثواب الله ورحمته ؛ كقوله : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] ، وقوله : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩] .

ومعنى اسودادها : حزنها ، وكآبتها ، وكسوفها ؛ لما تصير إليه من العذاب ؛ كقوله : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَتَرَهَقُمُ ذُلٌّ﴾ [يونس: ٢٧] .

قال ابن عباس في رواية عطاء^(٣) : تبيض وجوه المهاجرين والأنصار ، وتسود وجوه بني قريظة والنضير والذين كذبوا بمحمد ﷺ .

وقال في رواية سعيد بن جبير^(٤) : تَبْيَضُّ وجوه أهل السنة ، وتَسْوَدُّ وجوه أهل البدعة .

(١) في (ج) : (وإشراقها) . ومن قوله : (إشراقها . . .) إلى (عليها غبرة) : موجود بمعناه في معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٥٢ .

(٢) (سرورها واستبشارها) : ساقط من (ج) .

(٣) لم أقف على مصدر هذه الرواية . وقد أورد الثعلبي والقرطبي هذا القول وعزواه لعطاء من دون رفع لابن عباس .

انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٩٦ ب ، وتفسير القرطبي ٤/ ١٦٧ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٢٩ ، والثعلبي بسنده في تفسيره ٣/ ٩٦ ب . وأوردها البغوي في تفسيره ٢/ ٨٧ ، والسيوطي في الدر ٢/ ١١١ ، ١١٢ ونسب إخراجها لأبي نصر في الإبانة ، والخطيب في تاريخه ، والألكائي في السنة .

(٥) في (ج) : (وتبيض) .

وقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ ، قال الفراء^(١) والزجاج^(٢) : جواب (أما) محذوف مع القول ، وهو : [الفاء]^(٣) مع قول مضمّر ، فلما سقط القول ، [سقط]^(٤) الفاء معه^(٥) ، والمعنى : فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم ؟ وحذف القول ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه .

ومثله كثير في التنزيل ؛ كقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٦) سَلِّمْ عَلَيْكُمْ^(٧) ، وقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾^(٨) ، وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا﴾^(٩) الآية .

(١) في معاني القرآن له ٢٢٨ / ١ .

(٢) في معاني القرآن له ٤٥٤ / ١ .

وانظر : معاني القرآن للأخفش ٢١١ / ١ ، وتفسير الطبري ٤٠ / ٤ ، وإعراب القرآن ، المنسوب للزجاج ٣٨ / ١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٥٧ / ١ ، الصاحبي ٣٩٠ ، والإكسير في علم التفسير للطوفي ١٨٥ ، و ١٩٣ ، وارتشاف الضرب ٦٣ / ٢ ، و ٥٧٠ ، و ١٥١ / ٣ .

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . وفي (ب) : ساقط . والمثبت من (ج) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) . وفي معاني القرآن للفراء : (سقطت) .

(٥) انظر : البسيط في شرح جمل الزجاجي ٨٣٤ / ٢ .

(٦) سورة الرعد ٢٤ . وتماها : ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عَقَبَى النَّارِ﴾ . والمعنى : يقولون : سلامٌ عليكم .

(٧) سورة البقرة ١٢٧ . وتماها : ﴿نَقَبَلْ مِنْآ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . والمعنى : يقولان : ربنا . . .

(٨) سورة السجدة ١٢ . وتماها : ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ . والمعنى : يقولون : ربنا . . .

وقوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، قال ابن عباس في رواية عطاء^(١) :
يعني : اليهود ؛ شهدوا لمحمد - عليه السلام -^(٢) بالنبوة ، فلما قدم عليهم كذبوه
وكفروا به . وهذا قول عكرمة^(٣) واختيار الزجاج^(٤) .
وقال قتادة : هم أهل البدع كلهم^(٥) .

وقد روي عن النبي ﷺ مرفوعاً في قوله : ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ؛ أي بعد
الإقرار بالميثاق الأول^(٦) .

-
- (١) لم أقف على مصدر هذه الرواية .
(٢) في (ب) : (ﷺ) .
(٣) قوله في تفسير الثعلبي ٩٧/٣ ب ، وتفسير القرطبي ١٦٧/٤ ، وأروده السيوطي في الدر ١١٢/٢
ونسب إخراجها للفريابي ، وابن المنذر .
(٤) في معاني القرآن له ٤٥٥/١ .
(٥) أورده هذا النص الثعلبي في تفسيره ٩٧/٣ ب . وهو معنى قول قتادة الذي أخرجه الطبري في تفسيره
٤٠/٤ ، ونصه عنه ، بعد أن قرأ الآية : لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون ، ولقد ذكر لنا أن النبي
ﷺ كان يقول : «والذي نفس محمد بيده ، ليردنَّ عليَّ الخوض ممن صبحني أقوام ، حتى إذا رُفِعوا إليَّ
ورأيتهم ، اختلجوا دوني ، فلا قولن : ربِّ ، أصحابي ! أصحابي ! فليقلنَّ : إنك لا تدري ما أحدثوا
بعدك» .
وقد ذكر الثعلبي هذا النص الذي أخرجه الطبري مستنداً به على معنى قول قتادة الذي ذكره ، قائلاً :
«ودليل هذه التأويلات» ثم أورد الخبر السابق .
وأورد - كذلك - قول قتادة كما هو عند المؤلف : البغوي في تفسيره ٨٨/٢ ، وابن الجوزي في الزاد
٤٣٦/١ . انظر : هذا الخبر وأحاديث أخرى نحوه في لوامع الأنوار للسفاريني ١٩٧/٢ .
(٦) أي المذكور في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ . [الأعراف : ١٧٢] .

أخبرنا أبو علي بن أبي القاسم المذَّكر^(١)، ابنا محمد بن حمدوية النيسابوري^(٢)، [حدَّثنا علي بن حمَّشاذ^(٣)، ثنا حميد بن حَكيم الدَّقَّاق^(٤)، ثنا عباس بن الوليد الخلال^(٥)^(٦)، ثنا^(٧) أبو صفوان، القاسم بن [يزيد العامري]^(٨)، ثنا يحيى بن كثير،

- (١) لم أقف على ترجمته .
 - (٢) هو أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم الصَّبِّي الطهماني، الحاكم النيسابوري، المعروف بابن البيَّع . ولد سنة (٣٢١هـ)، الإمام الجليل الحافظ المتفق على جلالة قدره، صاحب المستدرك على الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث، وغيرها من التصانيف الكثيرة . توفي سنة (٤٠٥هـ) .
 - انظر : تاريخ بغداد ٤٧٣/٥، وسير أعلام النبلاء ١٦٢/١٧، وطبقات الفقهاء الشافعية ١/١٩٨، ولسان الميزان ٦/٢٥٠ .
 - (٣) هو أبو الحسن، علي بن حمشاذ بن سحتويه بن نصر النيسابوري . ولد سنة (٢٨٥هـ)، إمام عدل ثقة حافظ عابد . قال عنه الحاكم : «ما رأيت في مشايخنا أثبت في الرواية والتصنيف من علي بن حمشاذ» . توفي سنة (٣٣٨هـ) .
 - انظر : تاريخ الإسلام ١٦٥/٢٥؛ وفيات (٣٣١-٣٥٠هـ)، وسير أعلام النبلاء ٣٩٨/١٥، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٥٥، وشذرات الذهب ٢/٣٤٨ .
 - (٤) لم أقف له على ترجمة، إلَّا ما ورد في ذيل ميزان الاعتدال، للحافظ العراقي، حيث قال : «حميد بن حَكيم . حديثه في سنن الدارقطني، قال ابن القطان : لا تُعرف حاله» . الذيل ٢٠٣ .
 - (٥) هو أبو الفضل، عباس بن الوليد بن صُبَّح الخلال السُّلَمي الدمشقي . قال ابن حجر : صدوق، وثقه ابن حبان، قال أبو داود : كان عالماً بالرجال والأخبار، لكنه لم يحدث عنه . توفي سنة (٢٤٨هـ) . انظر : الجرح والتعديل ٦/٢١٥، والميزان ٣/١٠٠، وتهذيب التهذيب ٢/٢٩٥ .
 - (٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .
 - (٧) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، وجاء فيه : (ثنا أبو صفوان القاسم بن يزيد العامري، ثنا يحيى بن كثير أبو النضر، ثنا عاصم) .
 - (٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وساقط من (ب) . ومثبت من (ج) .
- وقد وردت رواية القاسم هذا عن يحيى بن كثير، في تفسير ابن أبي حاتم ٧٧/١، و١٠٩ باسم أبي صفوان، القاسم بن يزيد بن عوانة . ولم أقف له على ترجمة .

أبو النصر^(١)، ثنا عاصم الأحول^(٢)، وداود بن أبي هند^(٣)، عن أبي العالية الرِّياحي، قال :

قال أبي بن كعب^(٤) :

(قال)^(٥) النبي ﷺ في قوله ، فذكره^(٦) .

(١) في (ب) : (ثنا أبو النصر) . وفي (ج) : (أبو النصر) . عَدَّ ابن حجر من الطبقة الصغرى من أتباع التابعين ، شيعي ، قال ابن حجر : ضعيف ، وقال أبو حاتم : «ضعيف ذاهب الحديث جداً» ، وقال الدارقطني : متروك .

انظر : المجروحين لابن حبان ١٣٠ / ٣ ، وميزان الاعتدال ٧٧ / ٦ ، والمغني في الضعفاء ٤١٠ / ٢ ، التقريب : ٥٩٥ (٧٦٣١) .

(٢) هو أبو عبد الرحمن ، عاصم بن سليمان الأحول ، البصري . تابعي ، ثقة حافظ ، توفي بعد سنة (١٤٤٠هـ) .

انظر : الجرح والتعديل ٣٤٣ / ٦ ، وتهذيب التهذيب ٢٥٢ / ٢ .

(٣) هو أبو بكر أو أبو محمد ، داود بن أبي هند ، (دينار) ، القُشيري بالولاء ، البصري . تابعي ، ثقة متقن ، إلا أنه يهيم إذا حدث من حفظه ، توفي سنة (١٤٠هـ) .

انظر : الجرح والتعديل ٤١١ / ٣ ، وميزان الاعتدال ٢٠١ / ٢ ، وتهذيب التهذيب ٥٧٢ / ١ ، والتقريب : ٢٠٠ (١٨١٧) .

(٤) هو أبو المنذر ، أبي بن كعب بن قيس ، الأنصاري الخزرجي . ويكنى بأبي الطفيل أيضاً ، من فضلاء الصحابة ، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها ، سيد القراء ، وأحد كتّاب النبي ﷺ ، توفي سنة (٢٢هـ) ، وقيل : (٣٠هـ) ورجحه ابن الأثير .

انظر : المعارف لابن قتيبة ٢٦١ ، وأسد الغابة ٦١ / ١ ، وصفة الصفوة ٢٤٥ / ١ ، والإصابة ١٩ / ١ .

(٥) في (أ) : (قال قال) .

(٦) في (ج) : (رسول الله) .

(٧) الأثر : أخرجه الطبري في تفسيره ٤٠ / ٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٠ / ٣ ، وأورده الثعلبي في تفسيره ٨٨ / ٢ ، والبغوي في تفسيره ٣٤٠ / ١ ، والماوردي في النكت والعيون ٤١٥ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٦ / ١ ، والسيوطي في الدر ١١٢ / ٢ وزاد نسبة إخراج ابن المنذر .

وقد أورده كلهم موقوفاً على أبي بن كعب . رضي الله عنه ولم أر من رفعه سوى المؤلف .

ونصه كما عند الطبري : «قال صاروا يوم القيامة فريقين ؛ فقال لمن أسودَّ وجهه ، وعيرهم : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ يَمِينِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾» ، قال : هو الإيهان الذي كان قبل الاختلاف =

١٠٧ . قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتِغَتْ وُجُوهُهُمْ فَنُفِىَ رَحْمَةُ اللَّهِ﴾ ، قال ابن عباس^(١) : يريد : ففي جنة الله .

قال أهل المعاني^(٢) : وإنما قيل [لـ(الجنة) : رحمة]^(٣) الله ؛ إعلماً أنَّ العبد لا يدخلها إلا برحمته^(٤) ، وإن اجتهد في طاعته .

وقال آخرون^(٥) : رحمة الله هاهنا : ثوابه لأهل طاعته .

وقوله تعالى : ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، قال أبو إسحاق^(٦) : كرّر (في) للتأكيد الذي هو تمكين المعنى في النفس .

وقال غيره^(٧) : كرّر (في) للبيان عن الصفتين^(٨) ؛ المعنى : أنهم في رحمة الله ، وأنهم خالدون فيها ، فكل واحدةٍ منهما قائمةٌ بنفسها .

في زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقرّوا كلهم بالعبودية ، وفطّرهم على الإسلام ، فكانوا أمةً واحدةً مسلمين . يقول : ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، يقول : بعد ذلك الذي كان في زمان آدم وعلى هذا ؛ فالآية عامةٌ في الكفار جميعهم ، ورجّح هذا الطبري .

(١) لم أقف على مصدر قوله ، وقد أورده ابن الجوزي في الزاد ١ / ٤٣٧ .

(٢) ممن قال ذلك : ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٤٥ .

انظر : الوجوه والنظائر لهارون بن موسى ٥٣ ، وتفسير الطبري ٤ / ٤٠ ، والأشباه والنظائر للشعلبي ١٦٢ ، وقاموس القرآن للدماغي ١٩٩ ، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٣٣١ ، وتفسير الكريم المنان للسعدي ١ / ١٩٤ ، ومحاسن التأويل ٤ / ٩٣٢ . حيث فسروها جميعاً بالجنة .

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٤) في (ج) : (رحمة الله) .

(٥) ممن قال بذلك : الزّجاج في معاني القرآن ١ / ٤٥٥ ، والنحاس في معاني القرآن ١ / ٤٥٨ .

(٦) في معاني القرآن له ١ / ٤٥٥ . وعبارته هنا بالمعنى .

(٧) لم أقف على هذا القائل .

(٨) في (ج) : (البيان عن الصفتين) .

١٠٨ . قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ ؛ أي ^(١) : تلك التي جرى ذكرها ، حُجِّجَ الله وعلاماته .

وَصَلَحَ ﴿ تِلْكَ ﴾ هاهنا في موضع (هذه) ؛ لانقضاء الآيات ؛ فلما انقضت ، صارت كأنها بَعُدَتْ ، فقليل فيها : ﴿ تِلْكَ ﴾ ^(٢) .

وقال ابن عباس ^(٣) : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ ، يعني : القرآن ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ نَتْلُوها عَلَيْكَ ﴾ ؛ أي نُعَرِّفُك إِيَّاهَا . قال ابن عباس ^(٥) : نُبَيِّنُهَا .

وقوله تعالى : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ؛ أي بَأَنَّها ^(٦) حَقٌّ ، كما تقول : أعاملك بالحق ؛ أي معاملتني حقًّا .

ويموز أن يكون المعنى : نتلوها بالمعنى الحق ؛ لأن معنى المتلَّو حَقٌّ .

(١) من قوله : (أي . . .) إلى (وعلاماته) : نقله بنصه عن معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٤٥٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ١٠ ، و٢٢٩ ، وتفسير الطبري ١/ ٩٦ .

(٣) لم أقف على مصدر قوله . وهو مذكور في تنوير المقباس المنسوب له ٥٣ .

وقد قال بهذا القول قتادة . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٦٨ .

(٤) (القرآن) : مطموسة في (ج) .

وقد اختار المؤلف هذا القول في تفسيره الوجيز المطبوع بهامش (مراح لبيد) ١/ ١١٣ . وذهب إليه

القرطبي . انظر : تفسيره ٤/ ١٦٩ .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

واختره المؤلف في تفسيره (الوجيز) (المطبوع بهامش مراح لبيد) ١/ ١١٣ .

(٦) في (ب) : (بيانها) .

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعاقبهم بلا جُرم . (قاله) ^(١) ابنُ عَبَّاس . وقال أبو إسحاق ^(٢) : أعلم الله - جل وعزَّ - أنه ^(٣) يُعَذِّبُ مَنْ يُعَذِّبُهُ بِاسْتِحْقَاقٍ .

[وَحَسُنَ] ^(٤) هاهنا نفى إرادة الظلم للعالمين ؛ لأن ذكر العقوبة قد تقدم ، فبينَ أنه لا يُعَاقِبُ أحداً ^(٥) ظالماً إيَّاهُ .

فإن قيل : أليس لو فعل ذلك ، لم يكن ظالماً عندكم ؟ فلم ^(٦) قال : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر : ٣١] ؟ ولو أَرَادَهُ لم يكن ظالماً ؟ ^(٧)

قلنا : سمَّاه ظالماً ؛ لأنه في صورة الظلم ^(٨) ، ولو عَذَّبَ غير ^(٩) مُسْتَحِقٍّ ^(١٠) للعذاب ، لم يكن منه ظالماً حقيقياً ، ولكنه يكون في صورة الظلم ، وقد يُسمَّى الشيءُ بالشيء ، إذا أشبهه ، وكان في صورته ، كجزاء السيئة ، يُسمَّى : (سيئةً) ^(١١) ، وجزاء الاستهزاء ، يُسمَّى : (استهزاءً) في التنزيل ^(١٢) ، ومثله كثير .

(١) في (أ) ، وفي باقي النسخ : (قال) .

(٢) في معاني القرآن له ١ / ٤٥٥ . نقله عنه بمعناه .

(٣) في (ج) : (أَنَّ) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٥) في (أ) و(ب) : (أحد) . والمثبت من (ج) . وهي أليق بالعبارة هنا ، وأوجه .

(٦) في (ج) : (فلما) .

(٧) في (ب) : (ظالماً) .

(٨) انظر : حول هذا الموضوع شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٣ - ٤٥٥ .

(٩) في (ج) : (غيره) .

(١٠) في (ج) : (مستحقاً) .

(١١) كقوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ . سورة الشورى ٤٠ .

(١٢) في (ج) : (سمي) .

(١٣) يعني المؤلف قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ . [البقرة : ١٤ ، ١٥] .

وقد ذكر الطبري هذا المعنى في تفسيره ، وردَّه ، ف (الاستهزاء) في هذه الآية صفة من صفات الله على =

١١٠ . قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ ، اختلف قول أهل المعاني في هذا :

فقال الفراء^(١) والزجاج^(٢) ، وغيرهما^(٣) : كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ . وقال^(٤) أيضاً : معنى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ : أنتم خير أمة ؛ كقوله : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٦] . وإضمار (كان)^(٥) وإظهارها في مثل هذا ، سواء ، إلا أنها إذا ذكرت كانت للتأكيد ووقوع الأمر لا محالة .

قال ابن الأنباري^(٦) : وهذا القول ظاهر الاختلال ؛ لأن (كان) يلغى^(٧) مُوسِطاً ومَوْخِراً ، ولا يلغى^(٨) مُقَدِّماً ؛ تقول العرب : (عبد الله كان قائم) ، و(عبد الله قائم كان) ؛ على أَنَّ (كان) مطروحة ، ولا يقولون : (كان عبد الله قائم) ،

الحقيقة ، تليق بجلال الله تعالى ، وليس المقصود بـ (الاستهزاء) هنا مجازاتهم في الآخرة على استهزائهم بأوليائهم في الدنيا ، فهذا صرف للصفة عن حقيقتها . انظر : تفسير الطبري ١ / ١٣٢ - ١٣٤ . وانظر : ما سبق من تعليق على تفسير المؤلف لقول الله تعالى : ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ من الآية ٥٤ .

- (١) في معاني القرآن له ١ / ٢٢٩ .
- (٢) في معاني القرآن له ١ / ٤٥٦ . وقد أورد الزجاج بلفظ (قيل : . . .) .
- (٣) ممن جوز هذا القول النحاس في إعراب القرآن ١ / ٣٥٧ .
- (٤) قائل هذا القول ، هو الفراء في المرجع السابق . والعبارات التالية له نقلها المؤلف بتصرف يسير . أما الزجاج فلم يذكر هذا المعنى في هذا الموضع .
- ومن قال بهذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٩٥ . وجعله من باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، قال : « ومنه أن يأتي الفعل على بنية الماضي وهو دائم أو مُسْتَقْبَل » وذكره . وقال به الطبري في تفسيره ٤ / ٤٥ - ٤٦ ، وابن فارس في الصحابي ٣٦٤ ، ويرويه أبو العباس عن ابن الأعرابي ، كما في تهذيب اللغة (كون) ٤ / ٣٠٨٤ ، وجوزه النحاس في إعراب القرآن ١ / ٣٥٧ .

(٥) في (ج) : (كل) .

(٦) لم أقف على مصدر قوله .

(٧) في (ب) و(ج) : (تلغى) .

(٨) في (ب) و(ج) : (تلغى) .

على إلغائها ؛ لأنَّ سبيلهم أن يبدؤوا بها [تنصرف الغاية إليه ، والمُلغى غير معني به ، على أنَّه لا يجوز] ^(١) إلغاء الكَوْنِ في الآية ؛ لانتصاب خبره ، وإذا (أَعْمِلَ) ^(٢) الكَوْنُ في الخبرِ ، فنصبه ، لم يكن مُلغىً .

وقال بعضُ النحويين ^(٣) : إنما قال : ﴿ كُتِبَ ﴾ ، ولم يقل : (أنتم) ؛ لتَقْدُم ^(٤) البِشَارَةِ بهذه الأُمَّة ، ولَمَّا قد ^(٥) كان يُسمَعُ مِنَ الخيرِ في هذه الأُمَّة ، فكأنَّه ^(٦) قيل : كنتم خير أُمَّةٍ بُشِّرَتْ بها . وهذا القول يُروى معناه عن الحسن ^(٧) .

وقال بعضهم ^(٨) : الكَوْنُ هاهنا بمعنى الوقوع والحدوث ، وهي التَّامَّةُ التي لا تحتاج إلى خبر ، فمعنى ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ : حَدَّثْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ، ووُجِدْتُمْ وَخُلِقْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ، فيكون ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ حينئذٍ بمعنى الحالِ . وهذا معنى قول [ابن] ^(٩) جَرِير ^(١٠) .

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٢) في (أ) : (عمل) .

(٣) لم أقف عليهم .

(٤) في (ج) : (فتقدم) .

(٥) في (أ) و(ب) : (قدم) . والمثبت من (ج) .

(٦) في (ج) : (وكأنه) .

(٧) قوله في تفسير الطبري ٤ / ٤٥ ، والنكت والعيون ١ / ١٦٦ .

(٨) منهم الطبري ، كما سيأتي .

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(١٠) في تفسيره ٧ / ١٠٦ .

وحكى الزَّجَّاجُ^(١) عن بعضهم : كنتم [منذ]^(٢) آمتم خير أمة^(٣) .

فأمَّا المخاطبون بهذا ، فقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٤) : هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة . وعلى هذا^(٥) عكرمة^(٦) ، ومقاتل^(٧) ، والضَّحَّاك^(٨) : أن هذا خاصة لأصحاب محمد ﷺ . يدل على هذا القول ما

- (١) في معاني القرآن له ٤٥٦/١ . أورد هذا القول ، وصدَّره بلفظ (قيل . . .) .
 - (٢) في (أ) و(ب) و(ج) : (قد) . ولم أر لها وجهاً . وأثبتها من معاني القرآن للزَّجَّاج . وقد تكون (مُذ) فحرِّفَتْ إلى (قد) .
 - (٣) قد يكون القائل ابن الأنباري ؛ حيث أورد ابن الجوزي في الزاد نحو هذا القول ، وقال : (ذكره ابن الأنباري) ونصه : (مذ كنتم) . انظر : زاد المسير ٤٣٩/١ .
 - (٤) هذه الرواية في مصنف ابن أبي شيبة ٣٩٨/٦ رقم (٣٢٣٤٩) ، ومسند أحمد : (شرح الشيخ أحمد شاكر) ١٥٣/٤ رقم (٢٤٦٣) ، ٣٣٥ (١٩٢٨) ، ٣٥٥ (٣٩٨٩) ، ١١٢/٥ (٣٣٢١) ، وصححه الشيخ شاكر ، وتفسير النسائي ٣١٩/١ ، وتفسير الطبري ٤٥/٤ ، وتفسير عبدالرزاق ١٣٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٣٢/٣ ، والمعجم الكبير للطبراني ٦/١٢ رقم (١٢٣٠٣) ، ومستدرک الحاكم ٢/٢٩٤ . وصححه ووافقه الذهبي ، وتفسير الثعلبي ٣/٩٨ ، وذكرها ابن حجر في المطالب العالية ٣/٣١٥ رقم (٣٥٧٠) وعزاها للحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن عباس ، وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢٧ وقال : «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح» ، وأوردها ابن حجر في فتح الباري ٨/٢٢٥ وعزاها لمن سبق وقال عن إسنادها : (جيد) ، وأوردها السيوطي في الدر ٢/١١٣ ، وزاد نسبة إخراجها لعبد بن حميد ، والفريابي ، وابن المنذر ، عن ابن عباس موقوفاً .
 - (٥) في (ج) : (ذلك) .
 - (٦) قوله في تفسير الطبري ٤/٤٣ ، وتفسير الثعلبي ٣/٩٨ ، وأسباب النزول للواحدي ١٢١ ، وتفسير البغوي ٢/٨٩ ، وزاد المسير ١/٤٣٨ ، والدر المنثور ٢/١١٣ ، وزاد نسبة إخراجها لابن المنذر .
 - (٧) قوله في تفسيره ١/٢٩٥ ، والمصادر السابقة ما عدا الطبري .
- وقد ورد قول مقاتل وعكرمة في معرض بيانها لسبب نزول الآية ، فقد قال مقاتل في تفسيره : «وذلك أن مالك بن الصَّيْف ، وهب بن يهودا ، قالاً لعبدالله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة : إن ديننا خيرٌ ممَّا تدعوننا إليه فأنزل الله - عز وجل - فيهم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ في زمانكم ، كما فضل بني إسرائيل في زمانهم» . انظر : المصادر السابقة .
- (٨) قوله في تفسير الطبري ٤/٤٤ ، وتفسير الثعلبي ٣/٩٨ ، ولكنه فيه : (عن الضحَّاك عن ابن عباس) ، تفسير البغوي ٢/٨٩ .
 - (٩) في (ب) : (النبي) .

روي عن عمر رضي الله عنه ، أنه قال في هذه الآية^(١) : هي لأَوْلِنا ، ولا تكون لآخرنا .

وقال^(٢) في رواية عطاء^(٣) : يريد أُمَّة محمد ﷺ . فعلى هذا ، هم جميع المؤمنين من هذه الأُمَّة .

قال الزَّجَّاجُ^(٤) : هذا الخطاب أصله أنه خوطب به أصحابُ رسول الله ﷺ ، وهو يَعُمُّ سائر أُمَّتِهِ .

وقوله تعالى : ﴿أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ﴾ ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ مِنْ صَلَةِ ﴿أُمَّةٍ﴾ ؛ أي كُتِمَ خير أُمَّةٍ لِلنَّاسِ أُخْرِجَت ؛ يعني أنهم^(٥) خير أُمَّةٍ لِلنَّاسِ ، تَجِيئونَ بهم في السلاسل ، فَتُدْخِلُونَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ . وهذا المعنى يُروى عن أبي هريرة^(٦) .

(١) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٤٣ ، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٣٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٩٨ ، وتفسير البغوي ٨٩/ ٢ .

(٢) أي ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) لم أقف على مصدر هذه الرواية .

(٤) في معاني القرآن له ١/ ٤٥٦ ، ونقله عنه بتصرف يسير جداً .

(٥) في (ج) : (أنتم) .

(٦) ورد هذا عنه مرفوعاً وموقوفاً ، أما المرفوع فقد أخرجه البخاري في الصحيح ٣٠١٠ في الجهاد ، باب الأسارى في السلاسل ، ولفظه عنده من رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال عجب ربنا من قوم يدخلون الجنة في السلاسل .

وأخرجه أحمد مرفوعاً بنحو لفظ البخاري . انظر : المسند : (شرح الشيخ شاكر) ١٥/ ١٦٨ (٨٠٠٠) ، ١٨/ ٤٨ (٩٢٦٠) ، ١٩/ ٣٣ (٩٧٨١) ، ٦٦ (٩٨٩٠) ، وأبو داود في السنن ٢٦٧٧ كتاب الجهاد ، باب : في الأسير يوثق . وابن حبان في صحيحه : الإحسان ١/ ٣٤٣ رقم (١٣٤) .

أما الموقوف ، فقد أخرجه البخاري ٤٥٥٧ في التفسير ، سورة آل عمران ، باب : ٧ ولفظه : ﴿كُتِمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ﴾ قال : خير الناس للناس ، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام .

وأخرجه عنه كذلك النسائي في تفسيره ١/ ٣١٨ ، والطبري في تفسيره ٤/ ٤٤ ، وابن أبي حاتم في =

وقال قتادة^(١): لم يُؤمر نبيٌّ وأُمَّتُه بالقتال، إلا هذه الأُمَّة ونبيها، يُقاتِلون، فيَسُبُّونَ الرُّومَ والثُّرُكَ والعَجَمَ، فيُدْخِلُونَهُمْ في دينهم، فهم خير أُمَّةٍ للنَّاسِ.

وَيُحْتَمَلُ^(٢) أن يكون ﴿لِلنَّاسِ﴾^(٣) مِنْ^(٤) صَلَـةٍ ﴿أُخْرِجَتْ﴾، ومعناه: ما أُخْرِجَ^(٥) [الله]^(٦) لِلنَّاسِ أُمَّةٌ خَيْرًا^(٧) مِنْ أُمَّةٍ أَحْمَدَ^(٨)؛ فهم^(٩) خير أُمَّةٍ أُظْهِرَتْ^(١٠) وَأُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، الظاهر أنَّ^(١١) هذا مَدْحٌ لهذه الأُمَّة بهذه الخصال، وإخبارٌ عنهم بهذه الجملة، وحُكي عن مجاهد

تفسيره ٧٣٢/٣، والثعلبي في تفسيره ٩٨/٣ ب، وأورده البغوي في تفسيره ٩٠/٢، والسيوطي في الدر ١١٣/٢ وزاد نسبة إخراجهِ للفرابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم. ولكني لم أجده في مستدركه.

قال ابن حبان في معناه: «والقصد في هذا الخبر: السَّيِّ الذي يسيبهم المسلمون من دار الشرك مكْتَفِينَ في السلاسل يُقادون بها إلى دور الإسلام، حتى يُسَلِّمُوا، فيدخلوا الجنة». الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١/٣٤٣، ٣٤٤.

وقد نقل ابن حجر أقوال أهل العلم في شرحه. انظر: فتح الباري ٦/١٤٥، ٨/٢٢٥.

(١) قوله في تفسير الثعلبي ٩٩/٣، وتفسير البغوي ٨٩/٢.

(٢) من قوله: (ويحتمل...) إلى (أخرجت للناس): نقله بتصريف يسير عن تفسير الثعلبي ٩٩/٣.

(٣) في (ج): (من الناس).

(٤) (من): ساقطة من (ج).

(٥) في (ب): (فلا تخرج).

(٦) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب): (إليه). وهي ساقطة من (ج). وليست في تفسير الثعلبي. ورجَّحتُ أن أصلها كما أثبتته، وقد حُرِّفَتْ إلى (إليه).

(٧) في (ج): (خير).

(٨) في (ج): (محمد).

(٩) (من أمة أحمد فهم): ساقطة من (ب).

(١٠) في (ج): (ظهرت).

(١١) في (ج): (من).

أنه قال ^(١): الْخَيْرِيَّةُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ ^(٢)؛ يعني كنتم خير أمة ما أمَرْتُمُ بالمعروف، ونَهَيْتُمُ عن المنكر، وآمَنتُم بالله، وهذا أيضاً اختيار الزَّجَّاج ^(٣).

والمَعْرُوفُ: كُلُّ حَسَنٍ جَمِيلٍ، يُعْرَفُ بِجَلَالَتِهِ، وَعُلُوِّ قَدْرِهِ ^(٤). ولا يجوز إطلاق هذه الصفة على القبيح، وإنْ كان يُعْرَفُ؛ لأنه بمنزلة ما لا يُعْرَفُ؛ لَحُمُولِهِ وَسُقُوطِهِ.

١١١. قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾، هذا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ -تعالى- ^(٥) للمؤمنين في أهل الكتاب، أَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَنَالُهُمْ مِنْهُمْ غَلَبَةٌ. ومعنى ﴿إِلَّا أَذًى﴾؛ أي أذى باللسان، مثل ^(٦): الوعيد، والْبُهْتُ ^(٧).

(١) قوله في الطبري ٤/ ٤٤، والدر المنثور ٢/ ١١٣، وزاد نسبة إخراج له لابن المنذر.

(٢) في (ب): (الطريقة).

(٣) في معاني القرآن له ١/ ٤٥٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٤٤، واللسان (عرف) ٥/ ٢٨٩٩، ٢٩٠٠، والتعريفات للجرجاني ٢٢١، والتوقيف على مهمات التعاريف ٦٦٦.

(٥) تعالى: ساقطة من (ب) و(ج).

(٦) في (ج): (ثم).

(٧) البُهْت بضم الباء، والْبَهْتَةُ، والْبَهْتَان: الكذب والافتراء.

والبُهْت بفتح الباء: أن يقول المرء في غيره ما لم يفعله. يقال: (بَهْتَهُ، يَبْهَتُهُ، بَهْتًا، وَبَهْتًا، وَبُهْتَانًا). والْبَهْتُ: الانقطاع والخيرة، يقال: (بَهْتُ، وَبَهْتُ، وَبُهْتُ): إذا تَحَيَّرَ. وهو أصل معنى الكلمة. فالْبُهْتَان: هو الباطل الذي يُتَحَيَّرُ من بطلانه. انظر: مقاييس اللغة (بُهت) ١/ ٣٠٨، والنهاية في غريب الحديث ١/ ١٦٥، واللسان ١/ ٣٦٧، ٣٦٨.

وقال الحسن^(١) وقتادة^(٢) : أي دعاء إلى الضلالة .

وموضع ﴿إِلَّا أَذَى﴾ نصبٌ بالاستثناء المتصل ؛ المعنى : لن يضرّوكم إلاَّ ضَرَرًا يسيرًا . ف(الأذى) وقع موقع الضَّرَر^(٣) .

والأذى : مصدر (أَذَيْتُ بالشيء أذىً)^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَنْتَلُوكُمُ الْيُدُومُ الْأَذَى﴾ ، قال أبو علي^(٥) : (وَلَا) منقول من (فَعَلَ) ؛ تقول : داري نَلي دارَه ، وَوَلَيْتُ^(٦) داري دارَه ، فإذا^(٧) نَقَلْتُ^(٨)

(١) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٤٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٣٤ ، وزاد المسير ١/ ٢٤٠ .

(٢) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٤٦ ونصه عنده : (لن يضرّوكم إلاَّ أذى تسمعون منه) . تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٣٤ .

(٣) وقيل : هو استثناء منقطع ؛ أي لن يضرّوكم بقتال أو غلبة ، ولكن بكلمة أذى أو نحوها . ومن قال بهذا الأخفش ، والطبري ، والنحاس ، ومكي ، وأبو بكر الأنباري .
انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢١٣ ، وتفسير الطبري ٤/ ٤١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٥٨ ، والبيان للأنباري ١/ ٢٨٥ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٣/ ٣٥٢ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ١٧٠ .

(٤) الأذى : هو ما تسمعه من مكروه . يقال : (أَذَيْتُ بالشيء ، آذَى أذىً وأذاةً وأذيةً) ، فـ (أنا أذى) . أمّا (أذى) ، فمصدرها : إيذاء ، وأذية . وتأذيت به تأذياً .

انظر : تهذيب اللغة (أذا) ١/ ١٤٠ ، والصاحح (أذا) ٦/ ٢٢٦٦ ، واللسان ١/ ٥٤ .

(٥) هو الفارسي ، ولم أقف على مصدر قوله في ما رجعت إليه من مؤلفاته ، وقد وجدته - مع اختلاف يسير جداً - في إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/ ٤٤٧ في كلام طويل نقله عن أبي علي في تعليقه على قوله تعالى : ﴿فَلَنُؤَيِّدَنَّكَ قَبْلَهُ تَرْضَاهَا﴾ [الآية : ١٤٤ من سورة البقرة] .

(٦) في (ب) : (ووليته) .

(٧) في (ج) : (وإذا) .

(٨) في إعراب القرآن المنسوب للزجاج (نقلته) .

إلى (فَعَلَ)، قلت: وَلَآني مَآخِرُهُ^(١)، وَلَآني مَيَامِنُهُ^(٢)، فهو مثل: (فَرِحَ) و(فَرَحْتُهُ)^(٣)، ومثل هذا قوله: ﴿لِيُوَلِّبَ الْأَدْبَرَ﴾ [الحشر: ١٢]، وقوله: ﴿وَيُوَلِّبُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، إِلَّا أَنَّ الْمَفْعُولَ الثَّانِي الزَّائِدَ فِي نَقْلِ (فَعَلَ)^(٤) إِلَى (فَعَلَّ) محذوفٌ مِنَ الْآيَتَيْنِ، ولو لم يُحذفْ لكان كقوله: ﴿يُوَلِّبُكُمْ الْأَدْبَارَ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ محمول^(٦) على الاستئناف، لا على العطف^(٧)، والتقدير: ثم هم لا ينصرون.

وإنَّما لم يُحتمَلْ^(٨) على العطف؛ لأنه غير مشاكِل للمعطوف عليه؛ وذلك أن سبب التولية: القتال، وليس كذلك منع النصر؛ لأن^(٩) سببه الكفر^(١٠). وأيضاً فإنه

(١) في (أ) و(ب): (ما أخيره). والمثبت من (ب) و(ج) وإعراب القرآن.

وفي إعراب القرآن: «قلت: وَلَيْتُ مَآخِرَهُ، وَلَآني مَآخِرَهُ».

والمآخير: لم أفق على المراد بها في معاجم اللغة التي رجعت إليها، وقد ورد فيها (المتخار)، وهي النخلة التي يبقى حملها إلى آخر الصَّرام، أو يبقى إلى آخر الشتاء، وجمعها: مآخير. انظر: كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني ٩٢، وانظر (آخر) في اللسان ١/٤٠، والتاج ٦/١٧. ولكن هذا المعنى ليس هو المراد هنا، وإنما يراد بها هنا - والله أعلم - جهة الخلف من الإنسان: الظهر وما يليه. ويعزز هذا قوله بعده: «وولاني ميامنه».

(٢) ورد في إعراب القرآن المنسوب للزَّجَّاج: (ووليت ميامنه، ولاني ميامنه).

والميامن: جمع (مَيْمَن)، وهي خلاف الميسرة في الإنسان. انظر: اللسان (يمن) ٨/٤٩٦٧.

(٣) في إعراب القرآن السابق، أضاف بعدها: (وليس مثل: لقي وألقيته ولقيته).

(٤) في (أ): (فَعَلَ). وفي (ب) و(ج): (غير مشكولة). وما أثبتته هو الصواب.

(٥) ف(الأدبار) مفعول ثان. انظر: التبيان للعكبري: ٢٠٤، والدر المصون ٣/٣٥٢.

(٦) من قوله: (محمول...) إلى (ثم لا ينصرون): ساقط من (ج).

(٧) انظر: إعراب الحديث النبوي للعكبري ١٧٢.

(٨) في (ج): (يحمل).

(٩) في (ج): (لأنه).

(١٠) أي لو قلنا يعطفه على جواب الشرط، للزم تقييد عدم نصرهم في حالة مقاتلتهم لنا فقط. ولكن -في الحقيقة- هم غير منصورين مطلقاً؛ لكفرهم، سواءً أقاتلوا أم لم يقاتلوا.

آخر آية ، فكان الرفع فيه أقوى ؛ ليشاكل ^(١) سائر الفواصل بالنون ^(٢) ، كما قال : ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ ^(٣) [المرسلات : ٣٦] .

قال المفسرون : صدق الله وعده بالنصر ، فلم يقاتل يهود ^(٤) المدينة رسول الله ﷺ والمسلمين ^(٥) ، إلّا ولّوا منهزمين ، وكانت الدّبرة ^(٦) عليهم ، ففيه أعظم دلالة على (صحة) ^(٧) نبوة محمد ﷺ .

١١٢ . قوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ ، قد مضى الكلام في معنى ضَرْبِ الذِّلَّةِ والمسكنة على اليهود في سورة البقرة ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿أَيُّ مَآ ثِقُفُوا﴾ ؛ أي وُجدوا ، وُصِدِفُوا ^(٩) . ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿حَيْثُ تُفْنِمُوهُمْ﴾ [البقرة : ١٩١] .

(١) في (ج) : (لتشاكل) .

(٢) في (ب) : (والنون) .

(٣) في رفع ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ هنا وجهان :

أ- أنها معطوفة على ما قبلها ﴿وَلَا يُؤْذَنُ﴾ فهي نفى ؛ أي فلا يعتذرون . فلم يجعل الاعتذار متسبباً عن الإذن ؛ إذ لو كان كذلك لُنُصب وحذف النون . وذهب الفراء إلى أن الرفع فيها لمراعاة الفواصل .

ب- أنها مستأنفة ؛ أي فهم يعتذرون . ومعناها : أنهم ينطقون في مواقف دون أخرى .

انظر : معاني القرآن للفراء ٢٢٩/١ ، و ٢٢٦/٣ ، والتبيان للعكبري ٢٠٤ ، والبيان للأنباري ٤٨٨/٢ ، والبحر المحيط ٤٠٨/٨ .

(٤) في (ب) : (بعد) بدلاً من (يهود) .

(٥) (والمسلمين) : ساقطة من (ج) .

(٦) في (ج) : (الدائرة) . الدّبرة : العاقبة ، والهزيمة في القتال . أمّا الدّبرة - بكسر الدال المشددة - فهي خلاف القبلة . انظر : (دبر) القاموس المحيط ٣٨٩ .

(٧) زيادة من (أ) .

(٨) انظر : تفسير البسيط عند تفسير آية ٦١ من سورة البقرة .

(٩) انظر (ثقف) في اللسان ٤٩٢/١ ، والقاموس ٧٩٥ .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ آلَهِ﴾ ، قال الفراء^(١) : يقول : «إِلَّا أَنْ يَعْتَصِمُوا بحبل من الله» ، فأضمر ذلك ، وأنشد :

رَأْتَنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وفي الحبلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ^(٢)
قال أراد : أَقْبَلْتُ^(٣) بحبلَيْهَا^(٤) .

وقد نعي هذا عليه ، فقيل : لا يجوز حذف الموصول وإبقاء صلته^(٥) ؛ وذلك أن الموصول لما احتاج إلى الصلّة للبيان عنه ، فالحاجة إلى ذِكْرِهِ أَشَدُّ^(٦) ، وإنّما يجوز حذف الشيء للاستغناء بدلالة غيره عليه ، فلو دلّ دليل عليه لحذف مع صلته ؛

(١) في معاني القرآن له ٢٣٠ / ١ . نقله عنه بنصه .

(٢) البيت لحميد بن ثور ، وهو في ديوانه ٣٥ . وورد في معاني القرآن للفراء ٢٣٠ / ١ ، وتفسير الطبري ٤٩ ، وتهذيب اللغة ٧٣١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٠١ / ٣ ، وأساس البلاغة ٣٨١ / ١ ، واللسان ٧٦١ / ٢ ، و٤٤١٠ / ٧ ، و٣٤٠١ / ٦ . البحر المحيط ٣٢ / ٣ .

وروايته في الديوان :

فَجِئْتُ بِحَبْلَيْهَا فَدَّتْ مَخَافَةً إلى النفسِ رَوْعَاءُ الْجَنَانِ فَرُوقُ

ووردت روايته في اللسان ٤٤١٠ / ٧

رَأْتَنِي بِنِسْئِهَا فَدَّتْ مَخَافَتِي إلى الصدرِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ

وفي اللسان ٣٤٠١ / ٦ :

رَأْتَنِي مُجَلِّئَهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وفي الخيلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ

و(الرَّوْعَاءُ) : الناقة الحديدة الفؤاد . القاموس (روع) ٧٢٤ . و(الْفُرُوقُ) : الشديدة الفزع . من (الْفَرَقَ) : وهو الخوف . اللسان (فرق) ٣٣٩٧ / ٦ .

قال الأستاذ محمود شاكِر في تعليقه على البيت في هامش تفسير الطبري ١١٣ / ٧ (ط . شاكِر) : «مدح ناقته بحدة الفؤاد ، تفزع لكل نبأة ؛ من يقظتها ؛ كما قالوا : (مجنونة) ، يقول ذلك في ناقته : رأيتني أقبلت بالحبلين لأشد عليها راحلي ، فصَدَّتْ خائفة . يصفها بأنها كريمة لم تبتذلها الأسفار . ثم قال : فلما شددت عليها الرحل ، كانت في الحبل ذكية شهمة ، تتوجس لكل نبأة ؛ من يقظتها وتوقدها» .

(٣) في (ب) : (قبلت) .

(٤) في (ج) : (بحبلها) .

(٥) وهي -هنا- الجار والمجرور . ففي الآية ﴿بِحَبْلِ﴾ ، وفي البيت (بحبلها) .

(٦) في (ج) : (ذكر ما شد) .

لأنه معها بمنزلة شيء واحد . ويجوز حذف الصلة دون الموصول ؛ لأن الموصول [هو المعتمد عليه ، والصلة تبع له ؛ لأنها للبيان عنه ، فإذا حُذِفَ الموصول] ^(١) وجب حذف الصلة معه ؛ [لأنها تَبَعٌ] ^(٢) له .

وقد أخبرني العروضي - رحمه الله - عن ، عن الأزهرى ، قال ^(٣) : أخبرني المنذري عن ثعلب أنه قال : هذا الذي قاله الفراء ^(٤) بعيد ^(٥) ، ولكن المعنى إن شاء الله : ضربت عليهم الذلة أينما تُقْفُوا ؛ أي بكل مكان إلا بموضع حبل من الله ، وهو استثناء مُتَّصِلٌ ؛ كما تقول : (ضربت عليهم الذلة في الأمكنة ، إلا في هذا المكان) ، ثم حذف المضاف ^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٢) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) : (لا يتبع) . والمثبت من (ج) .

(٣) قوله في تهذيب اللغة (حبل) ١ / ٧٣١ ، ٧٣٢ إلى نهاية : (ومعنى (ألا) : لكن) . وقد نقله عنه بتصريف واختصار يسيرين .

(٤) (الفراء) : ساقطة من (ج) .

(٥) وفي تهذيب اللغة : (بعيد أن تحذف (أن) وتُبقِيَ صلتها) .

(٦) (ثم حذف المضاف) : ليس في تهذيب اللغة .

وقد ذهب إلى هذا الزمخشري ، وأيد كون الاستثناء متصلاً هنا ، وقال : «وهو استثناء من أتم الأحوال ؛ المعنى : ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حالة اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس . . .» .
الكشاف ١ / ٤٥٥ .

قال : وقول الشاعر : (رأتني بحبليها) ؛ هو كما تقول : (أنا بالله ، وبك)^(١) ؛ أي مُتَمَسِّك . فتكون الباءُ من صِلَة (رأتني متمسكاً بحبليها)^(٢) ، فاكتفى بالرُّؤْيَة^(٣) من التمسك .

قال الأزهري : والقول ما قال أبو العباس^(٤) .

(١) (وبك) : ليس في تهذيب اللغة .

بالنسبة لهذه الألفاظ مثل (أنا بالله ، وبك) وأمثالها ، وبغض النظر عن مجال الاستدلال النحوي بها ، فإن الآثار الشرعية قد وردت بالنهي عن استعمالها بهذه الصورة . فقد قال ﷺ : «إذا حلف أحدكم فلا يقل : ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل : ما شاء الله ، ثم شئت» . أخرجه ابن ماجه ٢١١٧ في كتاب الكفارات ، باب ١٣ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣٦٢ .

وورد في الحديث عنه ﷺ : «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء فلان» . رواه أبو داود في السنن ٤٩٨٠ في كتاب الأدب ، والبيهقي في السنن ٣/ ٢١٦ ، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٤ ، و٣٩٤ ، و٣٩٨ .

وعن ابن عباس : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فراجعته في بعض الكلام ، فقال : ما شاء الله وشئت . فقال ﷺ : «أجعلني والله عدلاً ، بل ما شاء الله وحده» .

أخرجه البيهقي في السنن ٣/ ٢١٧ ، والبخاري في الأدب المفرد ٣٤٤ رقم (٧٨٣) ، وغيرهما . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ حديث رقم (١٣٦-١٣٩) .

وقد ذكر العلماء أن قول الإنسان (ما لي غير الله وأنت) ، و(توكلت على الله وعليك) (وأنا بالله وبك) وأمثالها من عبارات ، تعد من ألفاظ الشرك التي يجب أن تُجتنَب ، كما دلت على ذلك الآثار السابقة . انظر : تيسير العزيز الحميد ٥٩٨-٦٠٢ .

(٢) في (ج) : (بحبليها) .

(٣) في (ب) : (بالراية) .

(٤) هو ثعلب .

وقال الأخفش^(١) : قوله : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ﴾ استثناء خارج عن^(٢) أول الكلام^(٣) ، ومعنى (إِلَّا) : لَكِنْ^(٤) .

واختار الزَّجَّاج هذا الوجه ، فقال^(٥) : ما بعد الاستثناء^(٦) ليس من الأول ؛ المعنى^(٧) : أنهم أذلاء ، إِلَّا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أُعْطوه .

ونَصَرَ محمدُ بن جَرِير هذه الطريقة أيضاً ، فقال^(٨) : إن أهل الكتاب (قد)^(٩) ضربت عليهم الذلة ، سواء كانوا على عهد من الله ، أو لم يكونوا على عهد ، فلا يخرجون بالاستثناء^(١٠) عن الذلة إلى العزة .

قال^(١١) : وتام الكلام عند قوله : ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ ، ثم قال : ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ﴾ ، أراد^(١٢) : لكن قد يعتصمون بحبل من الله ، أو قد يُنْقَفُونَ بحبل من الله ، وحبل من الناس كما قال : ﴿وَمَا كَأَنَّ لِّلْمُؤْمِنِينَ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾ [النساء : ٩٢] ، ف(الخطأ) وإن كان منصوباً بما عمل فيه ما قبل الاستثناء ، فليس

(١) قوله في معاني القرآن له ٢١٣ / ١ ، ولكنه هنا من تمة قول الأزهرى السابق في التهذيب .

(٢) في (ب) ، ومعاني القرآن ، وتهذيب اللغة : (من) .

(٣) أي أنه استثناء منقطع .

(٤) في معاني القرآن وتهذيب اللغة : (في معنى لكن) .

(٥) في معاني القرآن له ٤٥٧ / ١ نقله عنه بنصه .

(٦) في (ج) : (الاستثناء) .

(٧) (المعنى) : ليست في معاني القرآن .

(٨) في تفسيره ٥٠ / ٤ . نقله عنه بالمعنى .

(٩) زيادة من (أ) .

(١٠) في (ج) : (بالاستغناء) .

(١١) في المرجع السابق . نقله بالمعنى .

(١٢) من قوله : (أراد . . .) إلى (بحبل من الله) : مكرر في (أ) .

باستثناء مُتَّصِلٍ حَتَّى يَدُلَّ عَلَى أَنَّ قَتْلَهُ خَطَأٌ مَبَاحٌ^(١)، ولكن معناه : قد يقتله خطأ^(٢).

وَمَنْ نَصَرَ طَرِيقَةَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، قَالَ^(٣) : إِنَّ عِزَّ^(٤) الْمُسْلِمِينَ عِزٌّ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ ؛ لِأَنَّ أَخْذَهُمْ عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ يَحْقِنُ دِمَاءَهُمْ ، وَيَمْنَعُ فُرُوجَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَنِ الْاِغْتِنَامِ بِالسَّبْيِ ، ثُمَّ هَذَا [الْعِزُّ]^(٥) لَا يَخْرِجُهُمْ عَنِ الذِّلَّةِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، فَهُمْ عَلَى مَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ مِنَ الذِّلَّةِ أَيْنَمَا ثَقَفُوا ، وَإِنْ اعْتَصَمُوا بِالذِّمَّةِ^(٦) .

وأما التفسير ، فقد ذكرنا معنى (الحبل) عند قوله : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وبعض المفسرين يذهب إلى أن حبل الله هاهنا الإسلام^(٧) ؛ يعني [إِلَّا]^(٨) أَنْ يُسْلِمُوا . وهذا بعيد ؛ لعطف (حبل الناس) عليه ، وإذا أسلموا استغنوا عن حبل الناس ، ولو أراد الله - تعالى - بالحبل الأول : الإسلام ، وبالثاني : الذِّمَّة ؛ لَقَالَ : أَوْ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ، ولكن الصحيح : أن كلا^(٩) الحبلين المراد به العهد ، والذِّمَّة ، والأمان ، كما قال ابن عباس^(١٠) يريد : بعهد من الله ،

(١) في (ج) : (ماح) .

(٢) خطأ : ساقطة من (ب) .

(٣) لم أقف على هذا القائل . ومن ذهب إلى أن الاستثناء منقطع ، ونصر هذا الرأي ، ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٧٠ / ٣ .

(٤) في (ج) : (إن الله عز) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٦) وهو اختيار ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٧٠ / ٣ ، ٢٧١ .

(٧) ممن قال بذلك ابن زيد ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ٢٩٣ / ١ ، وتفسير الطبري ٧٣ / ٧ .

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٩) في (أ) و(ب) و(ج) : (كلي) .

(١٠) قوله في تفسير الطبري ٤٨ / ٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٣٥ / ٣ ، وأورده السيوطي في الدر ١١٥ / ٢ وزاد نسبة إخراج له لابن المنذر .

وعهد من المؤمنين ، وإنما ذكر الله - تعالى - حبلَ الله مع حبل المؤمنين ؛ لأن الأمان الذي يأخذونه^(١) من المؤمنين ، هو بإذن الله تعالى ، فهو أمانٌ من جهته .

وباقى الآية مشروح في سورة البقرة^(٢) .

١١٣ . قوله تعالى : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ، قال أبو الهيثم^(٣) : يقال : فلانٌ وفلانٌ سواء^(٤) ؛ أي متساويان ، وقوم سواء ؛ لأنه مصدر لا يُنتى ولا يُجمع . ومضى الكلام في (سواء) في أول سورة البقرة^(٥) .

قال ابن الأنباري^(٦) : يريد : ليس أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم وتقدم وصفهم ، سواء ؛ أي متساوين في دينهم ومذهبهم . ثم ابتداءً فقال^(٧) :

(١) في (ج) : (أخذونه) .

(٢) انظر : تفسير البسيط : [البقرة : ٦١] .

(٣) قوله في تهذيب اللغة (سوى) ١٧٩٤ / ٢ .

(٤) في تهذيب اللغة : (سواء) بدلاً من (سوى) ويبدو أنها تصحيف .

(٥) عند آية ٦ من سورة البقرة .

انظر : حول (سواء) : الوجوه والنظائر لهارون بن موسى : ٣٦ ، وتحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي ٢٧ ، والأضداد لابن الأنباري : ٤٠ ، والحجة للفارسي ٢٤٥ / ١ ، والصحاح (سواء) ٢٣٨٤ / ٦ ، وقاموس القرآن للدامغاني : ص ٢٥٢ ، والتصاريف لمكي : ١١١ ، ونزهة الأعين النواظر ٣٥٩ ، والمغني لابن هشام : ١٨٧ - ١٨٩ .

(٦) لم أقف على مصدر قوله . وقد ورد بعضُ قوله في إيضاح الوقف والابتداء له ٥٨٢ / ٢ .

(٧) (فقال) : ساقطة من (ب) .

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ، انقطع الكلام عند (سواءً) ، ورفع (الأُمَّة) بـ (مِنْ) ^(١) ، وأضمر ^(٢) (الأُمَّة) المذمومة ؛ لأن القائمة تكفي من التي ليست بقائمة ، على مذهب العرب من الاكتفاء بالشيء من ضده ، كما قال أبو ذؤيب ^(٣) :

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لَأَمْرَهَا مطيعٌ فما أدري أَرُشِدُ طِلَابَهَا ^(٤) ؟
أراد : أم غيٌّ ؟ فاكتنى بالرُّشد من غيره ^(٥) .

(١) ممن قال بالوقف التام - هنا - أكثر أهل العلم ، ومنهم نافع ، ويعقوب ، والأخفش ، والزجاج ، وأبو حاتم .

انظر : القطع والانتناف للنحاس ٢٣٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٢١٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٤٥٨ ، ومنار الهدى للأشموني ٦٨ وقال : « وهو الأصح » .

وإعراب ﴿أُمَّةٌ﴾ على هذا الوجه : مبتدأ مؤخر ، و﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ خبر مقدم . انظر : التبيان للعكبري : ٢٠٥ .

(٢) في (ج) : (فأضمر) .

(٣) في (ج) : (ذيب) . وهو خويلد بن خالد بن مُحَرَّرِ الهُدَلي . تقدم .

(٤) ورد البيت منسوباً له في شرح أشعار الهذليين ١/ ٤٣ ، وتأويل مشكل القرآن ٢١٥ ، وتفسير الشعلي ٣/ ١٠١ ب ، ومغني اللبيب ١٨ ، و٥٩ ، و٨٢٠ ، وانظر : شرح شواهد المغني : ٢٧ ، ١٤٢ ، ٦٧٢ ، والدرر اللوامع ١٧٢/ ٢ .

كما ورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ١/ ٢٣٠ ، ومنهج السالك ٣/ ١١٦ ، وجمع الهوامع ٥/ ٢٤١ .

وقد ورد في بعض المصادر : (دعاني إليها القلب) . وفي معاني الفراء ، وتأويل المشكل ، وتفسير الشعلي : (عصيت إليها القلب) . وورد في المصادر المذكورة جميعها : (إني لأمره * سميع ...) . قال الأصمعي : (عصاني القلب) : «جعل لا يقبل مني ؛ أي ذهب إليها قلبي سفهاً ، فأنا أتبع ما يأمرني به ، فما أدري أَرُشِدُ الذي وقع فيه أم غيٌّ» . شرح أشعار الهذليين ١/ ٤٣ .

(٥) وقد تطرق المؤلف لهذا المعنى عند الآية ٦ من سورة البقرة .

وقال آخر :

وما أدري إذا يَمَمْتُ أرضاً أريدُ الخيرَ أيُّهما يَلِينِي^(١)
أراد^(٢) : أريد الخير والشر ، فاكتفى بالخير من الشر^(٣) .

ويجوز أن يرتفع (الأُمَّة)^(٤) بـ(سواء) ، ويكون المعنى : لا يستوي من أهل الكتاب أُمَّةٌ قائمةٌ ، وأخرى غيرُ قائمةٍ .

وهذا الذي ذكر^(٥) ابنُ الأنباري ، كُلُّهُ مذهبُ الفراء في هذه الآية^(٦) .

(١) في (ج) : (أيها أريد) .

والبيت للمثقب العبدى ، وهو في ديوانه ٢١٢ . وورد منسوباً له في المفضليات ٥٧٤ ، والشعر والشعراء ٤٠٣/١ ، والصناعتين ٢٠٥ ، والحجاسة البصرية ٤٠/١ ، وشرح شواهد المغني ١٩١ ، وخزانة الأدب ٨٠/١١ .

وورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ٢٣١ .

وروايته في المفضليات : (يممت أمراً . . .) ، وعند الفراء : (يممت وجهاً . . .) وفي الحجاسة البصرية : كما عند المؤلف ، وفي شرح شواهد المغني ، والخزانة : (وجهت وجهاً . . .) .
وبعد هذا البيت :

أألخير الذي أنا بأتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني
ومعنى (يميت) : قصدت ، و(يليني) : من (الوَيْ) ، وهو القرب .

(٢) في (ج) : (المعنى : لا يستوي أراد) . ولم أثبت هذه الزيادة ؛ لأنه لا وجه لها ، ويبدو أنها سبق قلم من الناسخ .

(٣) انظر : المصادر السابقة التي أوردت البيتين ؛ حيث تطرقت إلى موضوع الحذف الوارد في الآية .

(٤) في (ج) : (الأمر) .

(٥) في (ج) : (ذكره) .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٣٠/١ .

قال [أبو إسحاق]^(١) : هذا الذي قاله^(٢) خطأ فاحش في هذا المكان^(٣) ؛ لأن ذَكَرَ أهل الكتاب قد جرى في هذه القصة ، وأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون [الأنبياء]^(٤) ، فأعلم الله - عز وجل - أن منهم المؤمنين ، الذين هم^(٥) أمة قائمة ، فما الحاجة إلى أن يقال : غير قائمة ؟ وإنما [المبدوء]^(٦) به ما^(٧) كان من فعل أكثرهم من الكفر والمُشاقَّةِ للنبي ﷺ . فذَكَرَ مَنْ كان منهم مبيناً لهؤلاء .

فعند الزَّجَّاج : لا يحتاج إلى إضمار الأُمَّة المذمومة ؛ لأن ذَكَرَ أهل الكتاب قد جرى ، ثُمَّ أخبر الله - تعالى - أنهم غير متساوين ، بقوله : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ ، وها هنا وقف التمام . ثُمَّ أنبأ بافتراقهم ، فقال : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾^(٨) .

قال أبو بكر^(٩) : وقول الفرَّاء هو الحق ، واحتجاج الزَّجَّاج عليه مُحْتَلٌّ^(١٠) فاسد ؛ لأنه لو اكتفى بقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٢] من إضمار الأُمَّة الكافرة بعد ذَكَرِ الأُمَّة المؤمنة ، لاكتفى بقوله عز وجل : ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، من ذَكَرِ الأُمَّتين جميعاً ؛ فلما لم يكتفِ بالمؤمنين من الأُمَّة القائمة ، لم يكتفِ بالفاسقين من

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

قوله في معاني القرآن له ٤٦٠ / ١ . نقله عنه بنصه .

(٢) في (ج) : (قال) .

(٣) في معاني القرآن في مثل هذا المكان .

(٤) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . ومثبت من (ب) و(ج) ومعاني القرآن .

(٥) (هم) : ساقطة من (ب) .

(٦) ما بين المعقوفين في (أ) : (البدو) . والمثبت من (ب) و(ج) ومعاني القرآن .

(٧) في (ب) : (بما) .

(٨) في (أ) و(ب) : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ . وما أثبتته من (ج) ؛ لأنه الأولى والأنسب

بسياق الكلام . وما ورد في (أ) و(ب) مما سبق به الفكر والقلب عادة في مثل هذه المواطن .

(٩) هو ابن الأنباري ، كما سبق ، ولم أقف على مصدر قوله ، وهو من تتممة النقل السابق عنه .

(١٠) في (ج) : (محتمل) .

الأمّة الكافرة ، إذ كان الله - جل وعلا - أتى بإخبار بعد إخبار ، وَوَصَفَ لَهُمْ إِثْرَ وَصَفٍ ؛ للزيادة^(١) في الإفهام ، والمبالغة في الإيضاح والبيان . والله أعلم .

وكان أبو عبيدة يذهب مذهب الفرّاء من إضمار الأمّة المذمومة ، إلا أنه لا يجعل تمام الوقف عند قوله : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ، ويقول^(٢) : (الأمّة) رُفِعَ بـ ﴿لَيْسُوا﴾ .

قال : وَجُمِعَتْ (ليس) ، وهي مُقَدَّمَةٌ ، على لغة مَنْ يجمع الفعل وإن يقدّم ، كقولهم : أكلوني البراغيث^(٣) ، واحتج بقول الفرزدق :

ولكن ديباً في أبوه وأُمّه
بحوران^(٤) يعصّرن السليط أقاربه^(٥)

(١) في (ج) : (الزيادة) .

(٢) لم أقف على مصدر قوله وليس موجوداً في مجاز القرآن بهذا النص ؛ ونصّه في (المجاز) هو : «العرب تُجَوِّزُ في كلامهم مثل هذا أن يقولوا : أكلوني البراغيث ، قال أبو عبيدة : سمعتها من أبي عمرو الهذلي في منطقته ، وكان وجه الكلام أن يقول : أكلني البراغيث . وفي القرآن : ﴿عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [المائدة : ٧١] ، وقد يجوز أن يجعله كلامين ، فكأنك قلت : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، ثم قلت : ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ . المجاز ١/ ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) هذا مثل وضع علماً على لغة طييء ، وقيل لغة أزد شنوءة ، أو بلحارث ، وكما ورد في الهامش السابق عن أبي عبيدة أنه نطق بها بعض هذيل .

وقد ألحقوا في هذه اللغة علامة الجمع أو التثنية بالفعل مع ظهور الفاعل ، فجمع في (أكلوني البراغيث) واو الجماعة والاسم الظاهر . والأصل المتبع أن يقال : أكلني البراغيث .

انظر : الكلام عن هذه اللغة في كتاب سيبويه ٢/ ٤٠ ، ٤١ ، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٣١٦ ، والمسائل المشككة للفارسي ١٠٩ ، وسر صناعة الإعراب ٦٢٩ ، ونتائج الفكر للسهيلى ١٦٦ ، وإعراب الحديث النبوي للعكبري ١٢٥ ، و١٣٧ ، ١٣٨ ، ورصف المباني ١١١ ، والجنى الداني ١٥٠ ، و١٧٠ ، والبحر المحيط ٣/ ٢٤ ، ومغني اللبيب ٤٧٨ ، وأوضح المسالك ٨٢ ، وجمع الهوامع ٢/ ٢٥٦ ، والاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ٤٣ ، ومعجم الشوارد النحوية ١٠٨ .

(٤) في (أ) و(ب) و(ج) : (بحوزان) . والمثبت من الديوان ومصادر البيت .

(٥) البيت في ديوانه ٤٤ . وقد ورد منسوباً له في كتاب سيبويه ٢/ ٤٠ (انظر : شرح أبيات سيبويه ، للنحاس

١١٣) ، أمالي بن الشجري ١/ ٢٠١ ، وشرح المفصل ٣/ ٨٩ ، و٧/ ٧ ، ومعجم البلدان ٢/ ٤٩٤ ، =

ولم يرتضِ هذا القولَ أحدٌ من النحويين ، وقالوا : هذا الذي قاله ، لغة رديئة في القياس والاستعمال .

أما القياس ؛ فلأن الجمعَ عارضٌ ، والعارضُ لا تُؤكَّد علامته ؛ لأنه بمنزلة ما لا يُعتدُّ به ، وليس كالتأنيث ؛ للزومه ، فتقدَّم [له] ^(١) العلامة ؛ لتؤدِّن به قبل ذكره . ومع ^(٢) [هذا ؛ فجائز] ^(٣) تركها فيه ، فكيف ^(٤) بالعارض ^(٥) ؟ ولزوم ^(٦) الفعل للفاعل يغني عن التثنية والجمع فيه ، فلا يدخل جمعٌ على جمع ، كما لا يدخل تعريفٌ على تعريف .

وخزانة الأدب ٥/٦٣ ، و٢٣٤ ، و٧/٣٤٦ ، و٤٤٦ ، و١١/٣٧٢ ، واللسان (خطأ) ٢/١١٩٣ ، و(سلط) ٤/٢٠٦٥ ، و(دوف) ٣/١٤٥٥ ، والدر اللوامع ١/١٤٢ .

وورد غير منسوب في الحجة للفارسي ١/١٣٢ ، والخصائص ٢/١٩٤ ، وإعراب الحديث النبوي ١٢٥ ، و١٣٨ ، ورصف المباني ١١٢ ، والجنى الداني ١٥٠ ، وجمع الهوامع ٢/٢٥٦ .

والبيت من قصيدة قالها في هجاء عمرو بن عفراء الضبي .
(و(ديافي) نسبة إلى (دياف) وهي من قرى الشام ، وأهلها نبط ، و(حوران) : من قرى الشام . انظر : معجم البلدان ٢/٤٩٤ ، والخزانة ٥/٢٣٥ .

(و(السلط) : الزيت . وقيل : كل دهن عصر من حب . انظر : اللسان (سلط) ٤/٢٠٦٥ .
يقول الشاعر -هنا- عن المهجو : إنَّ أهله من النبط ، وليسوا من العرب الخلص أصحاب الانتجاع والشجاعة والحروب ، بل هم من أهل ديار ، ممن يعيشون على عصر الزيت . وزاده هجاء بقوله : (يعصرن) -بنون النسوة- يشبههم بالنساء ذوات الخدمة والتبذل ، وليسوا كالرجال ممن شأنهم الحروب .

والشاهد فيه : قوله : (يعصرن السليط أقاربه) ولم يقل : (يعصرن) ، على الأصل ، حيث إنه فعل مقدمة ، وفاعله (أقاربه) ، والنون في الفعل علامة لكون الفاعل جمعاً .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٢) في (ج) : (مع) .

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . وفي (ب) : (هذا الخيز) . والمثبت من (ج) .

(٤) في (ج) : (وكيف) .

(٥) في (ب) : (العارض) .

(٦) في (ب) : (ولزومه) . في (ج) : (ولزم) .

وأما الاستعمال ، فإن أكثر العرب ترك هذه اللغة ، وهي من لغة من لا يُرتضى لغته ، ولم ينزل الله - عز وجل - كتابه إلا بأعرب اللغات ، وأقربها من البيان . ومتى جُمع الفعل مُقَدِّمًا [أَوْهَمَ] ^(١) أَسْمَاءً ^(٢) قبله ، ولم يَقِفِ المخاطبُ على معنى الكلام ، إلا بعد تفكر [من التَّوَهُّم] ^(٣) .

ومعنى ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ : قال ابن عباس ^(٤) : يريد : قائمة على الحق ، وعلى أمر الله ، لم تتركه كما تركه الآخرون .

وقال مجاهد ^(٥) : عادلة . وقال السُّدِّي ^(٦) : قائمة بطاعة الله . وقال ابن قتبية ^(٧) : مواظبة على أمر الله .

وقوله تعالى : ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ ؛ أي يقرأون كتاب الله .

(١) في (أ) و(ب) و(ج) : (وهم) . وما أثبتته هو كما رجحت صوابه ؛ لأنني لم أجِد في معاجم اللغة التي رجعت إليها ، أن (وهم) يتعدى من دون الهمزة ، أو بالتضعيف . وما يؤكد هذا أن الواو في (وهم) لصقت بالألف في (مقدما) في (أ) و(ج) .

(٢) في (ب) : (إنهاء) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٤) قوله في تفسير الطبري ٥٤ / ٤ ، وابن أبي حاتم ٧٣٨ / ٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٦٢ / ١ ، وتفسير البغوي ٩٣ / ٢ ، وقد رجح هذا الطبري في تفسيره في الموضع السابق ، وابن كثير في تفسيره ٤٢٧ / ١ .

(٥) قوله في تفسيره ١٣٣ ، وتفسير الطبري ٥٣ / ٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٣٨ / ٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٦٢ / ١ ، وتفسير البغوي ٩٣ / ٢ ، والدر المنثور ١١٦ / ٢ وزاد نسبه لعبد بن حميد .

(٦) قوله في تفسير الطبري ٥٣ / ٤ ، وابن أبي حاتم ٧٣٧ / ٣ ، والبغوي ٩٣ / ٢ .

(٧) في تفسير غريب القرآن له ١٠٨ .

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ آتِلًا﴾ ساعاته . والواحد : (إِنِّي) ، مقصورٌ ؛ مثل (مَعِيَ) ^(١) . قال
الراجز :

لله دُرٌّ جعفرٍ أيّ فتىٍّ مُشَمَّرٍ عن ساقه كُلِّ إِنِّي ^(٢)
ويجوز : (إِنِّي) ، مثل : (نَحْيِي) ^(٣) ، و(حِنِّي) ^(٤) .

قال الأعشى :

في كُلِّ إِنِّي حَدَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ ^(٥)

- (١) في (أ) و(ب) و(ج) : (معاً) . والمثبت من كتب اللغة . انظر : تهذيب اللغة (أنى) ١ / ٢٢٥ .
- (٢) في (ب) : (أنى) . ولم أقف على قائله ، وقد أورده الثعلبيُّ في تفسيره ٣ / ١٠٢ ، ولم يعزه لقائل ، ولم أقف على مصادر أخرى له .
- (٣) في (ب) : (حني) .
والنحْيُ : الرِّقْ ، وهو السقاء الذي يَتَّخِذُ للشراب ، أو ما كان للسمن خاصة ، أو نوع من الرُّطْب ، أو سهم عريض النصل . ويقال كذلك : (النَّحْيُ ، والنَّحْيُ) . والجمع : (أنحاء ، ونُحْيٌ ، ونِحَاءٌ) .
انظر (نحي) : في اللسان ٧ / ٤٣٧٢ ، والقاموس ١٣٣٧ .
- (٤) الحِنْيُ : سهل من الأرض يستنقع فيه الماء . وقيل : غَلَطٌ فوقه رمل يجتمع فيه ماء المطر ، فكلما نَزَحَتْ دلواً جُمَتْ أخرى . والجمع : أحساء .
- انظر : الصحاح (حسا) ١٣١٣ ، والمجمل (حسو) ٢٣٣ ، واللسان (حسا) ٢ / ٨٨٠ ، والقاموس (حسا) : ١٢٧٤ .
- (٥) في (أ) و(ب) و(ج) : ورد البيت كالتالي : «في كلِّ إِنِّي جداه الليل شغل» . وما أثبتته فمن مصادر البيت .
والبيت ليس للأعشى كما ذكر المؤلف ، بل هو لأبي أُثَيْلَةَ ، المُتَنَحِّلُ ، مالك بن عويمر بن عثمان الهذلي .
وقد ورد منسوباً له في سيرة ابن هشام ٢ / ١٨٦ ، ومجاز القرآن ١ / ١٠٢ ، و٢ / ٣٣ ، وشرح أشعار الهذليين ٣ / ١٢٨٣ ، والشعر والشعراء : ٤٣٩ ، والصحاح (أنا) ، ٢٢٧٣ ، اللسان (أنى) ١ / ١٦٢ .
وورد غير منسوب في تفسير الطبري ٤ / ٥٤ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٤٥٩ ، والمتنخب لكراع النمل ٢ / ٦٠٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ / ٢١٤ ، وكتاب حروف الممدود والمقصود للكسائي ٦٤ ، والمنصف ٢ / ١٠٧ ، وتهذيب اللغة (نعل) ١ / ٣٦١٤ ، و(أنى) ١ / ٢٢٥ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١١٠٢ .

قال المفسرون : يعني بـ (الأُمَّة القائمة) هاهنا : عبدالله بن سلام ، ومن آمنَ معه من أهل الكتاب . هذا قول ابن عباس ^(١) ، وقتادة ^(٢) ، وابن جريج ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ، قال الفرّاء ^(٤) ، والزّجاج ^(٥) : أي يُصَلُّونَ ؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع . فالمراد بـ (السجود) (هنا) ^(٦) : الصلاة ، وإنّما ذكرت بلفظ السجود ؛ لأن السجود نهاية ما فيها من التواضع .

وأول البيت :

حَلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطَفِ الْقَدَحِ مَرَّتُهُ

وقد ورد في بعض المصادر : (بكل إني . . .) ، وورد : (قضاء الله . . .) ، و(قضاء الليل . . .) بدلاً من (حذاه الليل) ، وفي المنتخب لكراع النمل : (حذاه الليل) ، وورد : (كعطف القدح شيمته . . .) . الشاعر -هنا- يرثي ابنه أثيلة ، ويصفه بأنه (حلو ومر) ؛ أي حلو وسهل لمن يستحق المعاملة الحسنة ، ومرٌّ وشديد على من يستحق الشدة والخشونة . وقوله : (كعطف القدح) (القدح) : السهم قبل أن يُراش ويُنصل . و(المرّة) : الشدّة ، والقوة . يريد : أنه يطوى كما يطوى القدح ، ثم يعود إلى شدّته واستقامته . قوله : (حذاه الليل) ؛ أي قطعه الليل حذاءً . و(يتعل) ؛ أي يتخذة نعلًا . أي إنه يسري في كل ساعة من ساعات الليل ، لا يتأخر ولا يهاب .

انظر : شرح أشعار الهذليين ١٢٨٣/٢ ، وتعليق الأستاذ محمود شاكر على البيت في هامش تفسير الطبري ١٢٥/٧ ، ١٢٦ .

وفسر كراع النمل : (حذاه الليل) ؛ أي ساقه . وقال : «أي يتعل كل إني حذاه ؛ أي ساقه ، و(في) زائدة» . المنتخب ٦٠٨ .

(١) قوله في تفسير الطبري ٥٢/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٣٧/٣ ، والدر المنثور ١١٥/٢ ، وزاد نسبة إخراجة لابن إسحاق ، وابن المنذر ، والطبراني ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر .

(٢) لم أقف على مصدر قوله وقد أورده ابن الجوزي في الزاد ٤٤٢/١ . والذي في تفسير الطبري عنه : «ليس كل القوم هلك ، قد كان لله فيهم بقية» ٥٢/٤ .

(٣) قوله في تفسير الطبري ٥٢/٤ .

(٤) في معاني القرآن له ٢٣١/١ .

(٥) في معاني القرآن له ٤٥٩/١ . المؤلف -هنا- دمج بين عبارات الفرّاء والزّجاج ، ولقّق بينهما .

(٦) زيادة من (أ) .

فعلى ما ذكروا^(١)؛ الواو في (وهم) واو الحال؛ أي يقرأون القرآن مُصَلِّينَ .

وقال غيرهما^(٢) : يجوز أن يكون المراد : حقيقة السجود ، لا الصلاة ؛ فيكون التأويل : يتلون آيات الله آناء الليل^(٣) ، وهم مع ذلك يَسْجُدُونَ . فليست الواو حالاً ، وإنَّما هي عطْفُ جملةٍ على جملة^(٤) . وعلى هذا لم يعدل بالسجود عن ظاهره .

وقال ابن مسعود^(٥) : هذه في صلاة العَتَمَةِ ؛ يصلونها ، ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصلوها .

-
- (١) في (أ) و(ج) : (ذكر) .
- (٢) ممن قال ذلك : الطبري في تفسيره ٥٦/٤ ، وراداً على الفراء رأيه السابق . والعبارة التالية قريبة من عبارته في تفسيره .
- (٣) (آناء الليل) : ساقطة من (ج) .
- (٤) أي أنها معطوفة على قوله تعالى : ﴿يَتْلُونَ﴾ ، في موضع رفع نعت لـ ﴿أُمَّةٌ﴾ . وقد تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب . واستحسن هذا مكِّي بن أبي طالب .
- (٥) قوله في تفسير الطبري ٥٥/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٣٩/٢ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٣٠٨/٢/١ ، وأورده السيوطي في الدر ١١٦/٢ وزاد نسبة إخراجها للفرابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . وقد وردت في رواية أخرى للطبري عن ابن مسعود عبارة مُدْرِجَةٌ ، تبين أن صلاة العتمة هي صلاة العشاء ، ونصها : «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ننتظر العشاء - يريد : العتمة - فقال لنا : ما على الأرض أحدٌ من أهل الأديان ينتظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم . قال : فنزلت : ﴿كَيْسُوا سَوَاءً﴾» . وقد يكون الإدراج من الطبري أو من أحد رواة الأثر عن ابن مسعود .
- أخرج هذه الرواية أحمد ٣٩٦/١ ، والطبري في تفسيره ٥٥/٤ ، وابن أبي حاتم ٧٣٨/٣ ، والنسائي في تفسيره ٣٢٠/١ ، وابن حبان (الإحسان) ٣٩٧/٤ رقم : (١٥٣٠) ، والبراز انظر : كشف الأستار ١٩٠/١ رقم ٣٧٥ ، والواحدي في أسباب النزول ١٢٣ ، وانظر : تفسير ابن مسعود ١٧٦-١٧٨ . وقد ورد عن ابن عباس ، والسُّدِّيُّ تفسير ﴿ءَآئَةَ اللَّيْلِ﴾ بجوف الليل . وعن الثوري ، عن منصور بن المعتمر السلمي : أنها بين المغرب والعشاء .
- وهي معانٍ متقاربة ؛ لأن كلاً منها يصدق عليه أنه من آناء الليل .
- إلا أن الطبري يرى أن أولاهما ، هو قول من قال : هي تلاوة القرآن في صلاة العشاء ؛ لأنه صلاة لا يصلوها أحد من أهل الكتاب .

١١٤ . قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، قال ابن عباس^(١) : يريد : بتوحيد الله . ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ : يريد : عن الشرك بالله .

وقال الزَّجَّاج^(٢) : أي يأْمُرُونَ بِاتِّبَاعِ^(٣) النبي ﷺ ، وينهون عن الإقامة على مُشَاقَّتِهِ .

وقوله تعالى : ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فيه وجهان لأصحاب المعاني : أحدهما : أنهم يبادرونها خوف الفَوْتِ بالموت^(٤) . والآخر : [يعملونها]^(٥) غير متساقلين^(٦) فيها^(٧) .

والسُّرْعَةُ محمودَةٌ ، بخلاف الْعَجَلَةِ ؛ وذلك أَنَّ (السَّرعَةَ) التَّقدم في ما ينبغي أن تتقدم^(٨) فيه . ونقيضها مذموم ، وهو : الإبطاء^(٩) .

انظر : تفسير الطبري ٥٤-٥٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/٧٣٨ ، ٧٣٩ .

(١) لم أقف على مصدر قوله . وفي النكت والعيون ٢/٨٨١ أورد عن ابن عباس ، أن (المعروف : اتِّباع الرسول . والمنكر : عبادة الأصنام) .

(٢) في معاني القرآن له ١/٤٦٠ . نقله عنه بنصه .

(٣) في (ب) : (يأْمُرُونَ بتوحيد الله باتِّباع النبي) .

(٤) ممن قال بذلك الطبري في تفسيره ٤/٥٦ . وهو المتبادر من معنى الآية .

(٥) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) : (يعلمونها) . والمثبت من (ج) .

(٦) في (ب) : (متشاقين) .

(٧) لم أقف على من قال بهذا القول ممن سبق المؤلف .

(٨) في (ب) : (يتقدم) .

(٩) انظر : اللسان (سرعة) ٤/١٩٩٤ ، وبصائر ذوي التمييز ٣/٢١٤ .

وَالْعَجَلَةَ مذمومة ، وهي التقدم في ما لا ينبغي أن تتقدم ^(١) فيه ^(٢) .
ونقيضها : الأناة ^(٣) ، وهي محمودة .

١١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ ، موضع ﴿ يَفْعَلُوا ﴾ :
جزم بالشرط ، وجوابه : ﴿ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ .

وفيهما قراءتان ^(٤) :

الياء ؛ للكناية عن الأمة القائمة ، ثم سائر الخلق داخل في هذا الشرط .

ومن قرأ بالتاء ؛ فلأن نظائره جاءت بالتاء ؛ مخاطبة لجميع الخلائق من غير
تخصيص قوم دون قوم ؛ كقوله : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٩٧] ،
﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ ^(٥) [البقرة: ٢٧٢] .

(١) في (ب) : يتقدم .

(٢) قال الفيروز آبادي : « والعجلة من مقتضيات الشهوة ؛ فلذلك دُمّت في جميع القرآن ، حتى قيل : إن العجلة من الشيطان . وقوله تعالى : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه: ٨٤] ذكر أن عجلته - وإن كانت مذمومة - فالذي دعا إليها أمر محمود ، وهو طلب رضا الله . بصائر ذوي التمييز ٢٣ / ٤ .

(٣) في (ب) : (الإناة) .

(٤) قرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم بالياء في ﴿ يَفْعَلُوا ﴾ و﴿ يُكْفَرُوهُ ﴾ . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو بكر عن عاصم ، وابن عامر ، بالتاء فيها . وورد عن أبي عمرو القراءة بالياء ، والتاء . انظر : السبعة ٢١٥ ، والحجة للفارسي ٧٣ / ٣ ، والنشر ٢ / ٢٤١ .

(٥) ورد في (أ) و(ب) و(ج) : (وما تفعلوا من خير يوف إليكم) وليست هذه آية قرآنية . والصواب ما أثبتته .

وقد أورد هذه الآية في هذا الموضع في سياق بيان وجه القراءة بالتاء ، الفارسي في الحجة ٧٣ / ٣ ، وهو من مصادر المؤلف في كتابه هذا ، وكذا أوردها مكّي في الكشف ٣٥٤ / ١ .

ومعنى ﴿فَلَنْ يُكَفِّرُوهُ﴾ : فلن تعدموا^(١) ثوابه ، ولن تُجحدوا جزاءه^(٢) ، وسُمِّيَ منعُ الجزاء على عمل الخير كفراً ؛ لأنه بمنزلة الجحد له ، والسَّترُ^(٣) ؛ لئلا يقع الجزاء عليه . ولما جعل ثواب الطاعة من الله - تعالى - سُكراً ؛ لأن معنى الشاكر في^(٤) صفته : أَنَّهُ يُثِيبُ^(٥) على الطاعة^(٦) ، جعل منع الثواب كفراً .

ومعنى^(٧) قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِكِينَ﴾ ؛ أي لا يُضِيع شيئاً من أعمالهم^(٨) ؛ لأن المجازي به عليهم بهم .

١١٦ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، قال ابن عباس^(٩) : يريد : قريظة والنضير^(١٠) .

(١) في (ب) : (تقدموا) .

وقوله : «ولن تعدموا ثوابه ولن تجحدوا جزاءه» : بنصها في تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٣ أ .

(٢) في (ج) : (جزاه) . انظر : تفسير الطبري ٤/ ٥٧ .

(٣) أصل (كفر) معنى كلمة : السَّترُ والتغطية .

انظر : تهذيب اللغة (كفر) ٤/ ٣١٦٠ ، مقاييس اللغة ٥/ ١٩١ .

وعبارة الطبري في بيان معنى الآية : «فلن يغطي على ما فعلوا من خير ، فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك فيجزل لهم الثواب» . تفسيره ٤/ ٥٧ ، وانظر : المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٠ .

(٤) في (ج) : (مع) .

(٥) في (ج) : (يثبت) .

(٦) قال الزَّجَّاج : «فكان الشكر من الله - تعالى - هو إثابة الشاكر على شكره ، وقوله للطاعة شكراً على طريقة المقابلة ؛ كما قال عز اسمه : ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ فَأَعَدَّوْا عَلَيْهِ يَمِثْلُ مَا أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة : ١٩٤] . تفسير أساء الله الحسنی ٤٨ . ونقل الأزهري عن الزَّجَّاج - كذلك - قوله : «والشكور من أساء الله جل وعز ، معناه : أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد ، فيضاعف لهم به الجزاء» . تهذيب اللغة ٢/ ١٩١٣ .

(٧) (ومعنى) : ساقطة من (ج) .

(٨) في (أ) و(ج) : (عملهم) .

(٩) لم أقف على مصدر قوله .

(١٠) قال الطبري : «وهذا وعيد من الله - عز وجل - للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب . . . ولما كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله . . .» . تفسيره ٤/ ٥٨ .

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ ؛ أي لن تدفع عنهم الضرر إذا نزل بهم أموالهم ولا أولادهم . خُصَّ بالذكر ؛ لأنها مُعْتَمِد ما يقع به الاغترار ، فإذا لم يغنيا ، فغناء مَنْ دونها أبعد .

وقال الزجاج^(١) : «لأن رؤساء اليهود مالوا إلى الأموال في معاندتهم النبي ﷺ ، وإنما قامت لهم الرياسة ، واكتسبوا الأموال بمعاندته» .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] الآية .

وخص الأولاد ؛ لأنهم أقرب أنسابهم^(٢) إليهم .

وقال بعض المفسرين^(٣) : «لن تغني عنهم أموالهم في الصدقات ، ولا أولادهم في الشفاعات ، بخلاف المؤمن ، فإنَّ المؤمنَ ينفعه ماله في الكفَّارات والصدقات ؛ وأولاده في الشفاعة» . والدليل على صحة هذا التفسير ما ذكر من بُطلان نفقاتهم عقيب هذه الآية في :

١١٧ . قوله تعالى : ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية .

قال يَمَان^(٤) : «نزلت في إنفاق أبي سفيان والمشركين في بدر وأحد ، على عداوة النبي ﷺ» .

(١) في معاني القرآن له ٤٦٠ / ١ . نقله عنه بالمعنى .

(٢) في (ب) و(ج) : (أنسابهم) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ١٠٣ ب ، وقد أورد الماوردي هذا القول في النكت والعيون ١ / ٤١٨ ، ولم يعزه لقائل .

وقال مقاتل^(١): «يعني: نفقة سفلة اليهود على علمائهم»^(٢).

وقال مجاهد^(٣): «يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا، وصدقاتهم».

الزجاج^(٤): «كل ما أنفق في التظاهر على عداوة الدين».

ومعنى (المثل): الشُّبُه الذي يصير كالعلم؛ لكثرة استعماله في ما يُشَبَّه به^(٥). ولا بُدَّ من تقدير محذوف من الكلام، حتى يتقابل المثلان في التشبيه^(٦)، وهو: مَثَلُ إهلاك ما ينفقون، كَمَثَلِ إهلاك ريح. فحذف الإهلاك؛ لدلالة آخر الكلام عليه^(٧).

(١) قوله في تفسيره ٢٩٦/١، وتفسير بحر العلوم ١٣٥/٢، والثعلبي ١٠٣/٣.

(٢) بين مقاتل أن نفقة سفلة اليهود على علمائهم، ينتعون بها الآخرة، ثم أردف مقاتل قائلاً: «فكذلك أهلك الله نفقات سفلة اليهود ومنهم كفار مكة التي أرادوا بها الآخرة، فلم تنفعهم نفقاتهم». تفسيره ٢٩٧.

(٣) قوله في تفسير الطبري ٥٩/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٤١/٣، وتفسير مسلم بن خالد الزنجي ٧٧ (ضمن الجزء الذي فيه تفسير القرآن ليحيى بن البيان وغيره رواية أبي جعفر الرمي). وأورده السيوطي في الدر ١١٧/٢ وزاد نسبة إخراج له عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) في معاني القرآن له ٤٦١/١.

(٥) انظر: (مثل) في مفردات ألفاظ القرآن للراغب ٧٥٩، واللسان ٤١٣٢/٧.

انظر: الوجوه المختلفة لكلمة (مثل) في القرآن، في التصاريف ٢٥٣، والوجوه والنظائر في القرآن للدكتور القرعاوي ٥٨٨.

(٦) وذلك أن الظاهر هنا: تشبيه الشيء المُتَنَقِّ بالريح، وفي ذلك إشكال؛ لأنه ليس هو المقصود من معنى المثل هنا؛ لذا لزم التقدير.

(٧) وقيل: هو من باب التشبيه المركب، شبه هيئة حاصلة من أشياء، بهيئة أخرى. وبه قال الزمخشري في الكشف ٤٥٧/١.

وقيل: هو من باب التشبيه بين شيئين وشيئين، فذكر الله أحد الشئيين المشبهين وترك الآخر، وذكر أحد الشئيين المشبه بهما، وليس هو مما يقابل المذكور الأول، وترك ذكر الآخر، ودلَّ المذكوران على المتروكين.

وبه قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٨١/٣ وقال: «وهذا غاية البلاغة والإعجاز».

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلٌ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، اختلفوا في (الصِّرُّ)، فقال أكثر المفسرين، وأهل اللغة^(١): الصِّرُّ: البرد الشديد.

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٢)، وقتادة^(٣)، والربيع^(٤)، والسدي^(٥)، وابن زيد^(٦).

انظر: البحر المحيط ٣/٣٧، والدر المصون ٣/٣٥٨، ٣٥٩.

قال ناصر الدين بن المير: «أصل الكلام والله أعلم: مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا، كمثّل حرث قوم ظلموا أنفسهم، فأصابته ريح فيها صِرٌّ فأهلكته، ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور؛ لفائدة جلية، وهو تقديم ما هو أهم؛ لأنّ الريح التي هي مثل العذاب، ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث، فقدمت عناية بذكرها، واعتاداً على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة بردّ الكلام إلى أصله على أيسر وجه...». الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال (مطبوع مع الكشاف ١/٤٥٨).

(١) (أهل اللغة): ساقط من (ج).

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه من طريق عطاء، ولكن ورد عنه ذلك من طرق أخرى أخرجه الطبري ٤/٥٩، وابن أبي حاتم ٣/٧٤١، وذكر هذا القول عنه الماوردي في النكت والعيون ١/٤١٨، وأورده السيوطي في الدر ٢/١١٧ وزاد نسبة إخراج له لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) قوله في تفسير الطبري ٤/٥٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/٧٤١، والنكت والعيون ١/٤١٨.

(٤) قوله في تفسير الطبري ٤/٥٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/٧٤١.

(٥) قوله في المراجع السابقة، النكت والعيون ١/٤١٨.

(٦) قوله في تفسير الطبري ٤/٦٠، ونصه: «قال: (صِرٌّ): باردة، أهلكت حرثهم، وقال: والعرب تدعوها (الصَّريْب)، تأتي الريح باردة فتصبح ضريباً قد أحرق الزرع».

و(الضرب) هنا معناها الثلج والجليد والصقيع. انظر: القاموس (ضرب): ١٠٧.

ومن فسر (الصِّرُّ) بالريح الباردة: أبو عبيدة، وأبو عبيد بن سلام، وابن السكيت، والمبرد، والطبري، والزجاج، والنحاس.

انظر: مجاز القرآن ١/١٠٢، وغريب الحديث لأبي عبيد ٤/٤٧٢، وإصلاح المنطق ٢١، والكمال للمبرد ١/٢٥، وتفسير الطبري ٤/٦٠، ومعاني القرآن للزجاج ١/٤٦١، ومعاني القرآن للنحاس ١/٤٦٤.

ومعنى الآية : أن إنفاقهم في الدنيا على عداوة الدين أفسد عليهم أعمالهم في الآخرة ، كما أفسدت هذه الرياح التي فيها الصَّرُّ الزرع الذي وقعت به ^(١) .

وقال الزجاج ^(٢) : أعلم الله - تعالى - أن صَرَّرَ نفقتهم عليهم ، كَصَرَّرَ هذه الرياح على ^(٣) هذا الزرع .

وقال ابن عباس ^(٤) : الصَّرُّ : السَّمُومُ الحارَّةُ التي تقتل ^(٥) .

وإلى قريب من هذا القول ذهب ابنُ كيسان ، وابنُ الأنباري ^(٦) (فقالا) ^(٧) : الصَّرُّ : النار . وهو قول مجاهد في رواية ابن أبي نَجِيج ^(٨) .

(١) قال ابن القيم : « هذا مثل ضربه الله - تعالى - لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته ، فشبَّه - سبحانه - ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم ، والمفاخر ، وكسب الثناء ، وحسن الذكر ، لا يبتغون به وجه [الآخرة] ، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام ، بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره ، فأصابه ريح شديدة البرد جداً ، يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والشمار ، فأهلك ذلك الزرع وأبيسته » . أمثال القرآن ٥٢ .

(٢) في معاني القرآن له ١ / ٤٦١ . نقله بنصه .

(٣) في معاني القرآن : (في) .

(٤) لم أقف على مصدر قوله . وقد أورده البغوي ٢ / ٩٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١ / ٤٤٤ . وذكر هذا القول عنه ابن القيم في أمثال القرآن ٥٣ ، وابن كثير في تفسيره ١ / ٤٢٧ .

(٥) في (ج) : (تقبل) .

والسَّمُوم : ريح حارَّة تكون غالباً في النهار . والجمع : سائم . انظر : القاموس (سمم) ١١٢٤ .

(٦) لم أقف على مصدر قوليهما .

وفي تفسير الفخر الرازي : « الصَّرُّ : هو السموم الحارة ، والنار التي تغلي ، وهو اختيار أبي بكر الأصم ، وأبي بكر بن الأنباري » . ٨ / ٢١٣ . ثم ذكر بقية قول ابن الأنباري التالي .

(٧) من (أ) ، وفي باقي النسخ : (فقال) .

(٨) أخرج عنه ذلك ابن أبي حاتم في تفسيره ٣ / ٧٤١ قائلاً : « وروي عن مجاهد في إحدى الروايات نحو ذلك » ؛ أي نحو قول ابن عباس في تفسير (الصَّرُّ) بالنار ، ولم يُبين ابنُ أبي حاتم السند إلى مجاهد .

وابنُ أبي نَجِيج ، هو أبو يَسَّار ، عبدالله ، بن أبي نَجِيج (يسار) ، المكي ، الثقفى بالولاء . من الأئمة الثقات ، إلا أنه رُمي بالقدر والاعتزال ، وربَّما دكَّس . قال ابن تيمية : « تفسير ابن أبي نَجِيج عن =

قال ابن الأنباري^(١): «وإنما وُصِفَت النارُ أنها صرٌّ؛ لتَصْرِيتِها^(٢) عند الالتهاب».

قال الزَّجَّاج^(٣): وهذا غير ممتنع. وصوت لهيب النار يُسمَّى صرّاً^(٤)، ومن هذا: صرير الباب. ويقال: صرَّ صرَّ الأخطبُ^(٥) صرَّ صرَّةً^(٦). والصرَّةُ: الصَّيْحَةُ^(٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْثَهَا إِلَى فِي صَرْقَةٍ فَصَكَّتْ﴾^(٨) [الذاريات: ٢٩].

مجاهد، من أصح التفاسير، وليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد، إلا أن يكون نظيره في الصحة، مات (١٣١هـ)، وقيل: بعدها. انظر: تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ٢٠١، وميزان الاعتدال ٢٢٩/٣، وتقريب التهذيب ٣٢٦ (٣٦٦٢).

(١) لم أقف على مصدره. وقد أورد قوله هذا ابن الجوزي في الزاد ٤٤٥/١، وابن القيم في أمثال القرآن ٥٣، والفخر الرازي في تفسيره ٢١٣/٨.

وكذا نقل صاحب اللسان هذا المعنى، فقال: «وقال ابن الأنباري في قوله تعالى: ﴿كَمَلَيْ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، قال: فيها ثلاثة أقوال؛ أحدها: فيها برد، والثاني: فيها تصويت وحركة، وروي عن ابن عباس قول آخر: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾، قال: فيها نار». (صرر) ٢٤٢٩/٤.

(٢) في زاد المسير، وتفسير الفخر الرازي (لتصويتها). وورد في أمثال القرآن لابن القيم: (لتصريتها) كما هي عند المؤلف.

(٣) في معاني القرآن له ٤٦١/١.

(٤) ونص عبارة الزَّجَّاج: «وَجُعِلَ فِيهَا صرٌّ؛ أي صوت، وهذا يخرج في اللغة، وإنما جعل فيها صوتاً؛ لأنه جعل فيها ناراً، كأنها نار أحرقت الزرع. فالصر على هذا القول: صوت لهيب النار، وهذا كله غير ممتنع».

(٥) الأخطب: من نوع الطيور، قيل: هو الشُّقْرَاق، وهو طائرٌ مَرَقَطٌ، وقيل: هو الصُّرَد. وسُمِّيَ بذلك؛ لأن فيها سواداً وبياضاً. انظر: تاج العروس (خطب) ٤٦٩/١.

(٦) تقول العرب: (صرَّ الجُنْدُبُ صريراً)، و(صرصر الأخطبُ صرَّ صرَّةً)، و(صرَّ البابُ يصرُّ). وكل صوت شبه ذلك فهو صرير؛ إذا امتد، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف. العين (صر) ٧/٨٢، وانظر: الصحاح (صرر) ٧١٢.

(٧) انظر: اللسان (صرر) ٢٤٢٩/٤.

(٨) تفسير (الصرَّة) بالصيحة هو ما عليه أكثر أهل التفسير. انظر: تفسير الطبري ٢٠٩/٢٦، والعمدة في غريب القرآن لمكي ٢٨٢، وتفسير أبي السعود ١٤٠/٨، والدر المنثور: ١١٧/٢.

وقول ابن عباس على هذا يتوجه ؛ فإن السموم الحارة لها صوت ، ألا ترى إلى قول الراعي :

فَعَجْنَا عَلَى رَبِّعٍ بَرَبٍ تَعُودُهُ مِنْ الصَّيْفِ جَشَاءُ الْحَنِينِ نُوُوجُ^(١)
فعلى هذا ، قوله : ﴿ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ ﴾ ؛ أي سَمُومٌ ؛ كالنار أحرقت الزرع ، أو نارٌ لها صوت^(٢) .

وقال السمين الحلبي في تفسيرها : « قيل : جماعة من النساء . سميت صرة ؛ لانضمام بعضها إلى بعض ، كأنهم جُمِعُوا وَصُرُوا في وعاء واحد . . . » . عمدة الحفاظ (صرر) ٢٩٢ ، وثم ذكر المعنى الآخر . وما ذكره الحلبي صحيح من ناحية اللغة . انظر : هذا المعنى في الصحاح (صرر) ١٧٠ / ٢ ، واللسان ٢٤٢٩ / ٤ .

(١) البيت في ديوانه ٢٢ . وورد منسوباً له في تهذيب اللغة (رباع) ١٣٤٧ / ٢ ، واللسان ١٥٦٣ / ٣ . وروايته في الديوان :

فَعَجْنَا عَلَى رَسْمٍ بَرَبٍ مَجْرُهُ

وفي اللسان : (تَوَرَّجٌ) بدلاً من (نُوُوجٌ) .

وقوله : (فَعَجْنَا) ، من (عاج بالمكان ، وعاج عليه ، عَوَجاً) ؛ أي عَطَفَ عليه ، ومَالَ ، وَالْمَ به ، ومَرَّ عليه .

والرَّبِّعُ : هو المنزل ، وأهل المنزل . والرَّبِّع الثاني الذي ذكره في البيت ، يريد به : طَرَفُ الْجَبَل . وقوله : (جَشَاءُ الْحَنِينِ) : (الْأَجَشُ) : الغليظ الصوت ، والمؤنث : (جَشَاءُ) ؛ أي لها صوت أجش . يقال للريح التي لها حنين يشبه حنين الإبل : (الْحُنُونُ) .

وقوله : (نُوُوجٌ) من (نَاجٌ ، يَنَاجُ ، نَاجاً) وهو من الإنسان أحزن ما يكون من الدعاء وأضرعه وأخشعه . و(النَّاجُ ، والنَّيْجُ) ، بمعنى الصوت والسرعة ، ويقال عن الريح : (نَاجَتْ ، تَنَاجُ ، نَيْجاً) : تحركت ، فهي (ريح نؤوج) ، و(لها نَيْجٌ) ؛ أي مَرَّ سريع مع صوت .

انظر : تهذيب اللغة (رباع) ١٣٤٧ / ٢ ، واللسان (عوج) ٣١٥٦ / ٥ ، و(نَاجٌ) ٤٣١٢ / ٧ ، و(حنين) ١٠٢٩ / ٢ ، و(جشش) ٦٢٨ / ٢ .

(٢) قال ابن القيم : « وأقوال الثلاثة متلازمة ، فهو برد شديد محرق يبئسه للحرق ، كما تحرق النار ، وفيه صوت شديد » . أمثال القرآن ٥٣ . وانظر : تفسير ابن كثير ٤٢٧ / ١ .

وروى ابن الأنباري بإسناده عن السُّدِّي ، عن أبي مالك^(١) ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ ، قال : فيها نار^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ، قال ابن عباس^(٣) : جحدوا نعمة الله عندهم . وقال آخرون^(٤) : ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية .

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ ؛ لَأَنَّ كُلَّ مَا فَعَلَهُ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مِنْهُ عَدْلٌ ، وَمَنْ تَصَرَّفَ فِي حَقِيقَةِ مُلْكِهِ ، لَا يُوصَفُ تَصَرُّفُهُ بِأَنَّهُ ظَلَمَ .

﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ؛ لَأَنَّ الْإِنْسَانَ بِالْكَفْرِ وَالْعَصْيَانِ هُوَ الَّذِي يَظْلِمُ نَفْسَهُ .

(١) هو عَزَّوَالِ الغفاري الكوفي ، مشهور بكنيته (أبي مالك) . ثقة ، عده ابن حجر من الطبقة الوسطى من التابعين ، توفي بعد المائة .

انظر : الجرح والتعديل ٥٥ / ٧ ، والتقريب ٤٤٢ (٥٣٥٤) .

(٢) وقد أخرج هذا القول عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤١ / ٣ من رواية عنترة بن عبد الرحمن الكوفي عنه .

(٣) لم أقف على مصدر قوله .

(٤) منهم السدي ، وهو ما يفهم من قوله في الآية : (فكذلك أنفقوا ، فأهلكهم شركهم) .

تفسير الطبري ٦٠ / ٤ . وتفسير ابن أبي حاتم ٧٤٢ / ٣ . وهو قول الطبري في تفسيره .

وهو قول الكلبي . انظر : بحر العلوم ١٣٥ / ٢ ، وقول الثعلبي في تفسيره ١٠٣ / ٣ ب .

قال أهل المعاني : وفي هذا حسرة شديدة لهؤلاء المنفقين ، ومصيبة عظيمة ؛ لأنهم رجوا^(١) فائدة نفقاتهم ، وعائدتها ، فعادت عليهم بالمضرة^(٢) ؛ كما رجأ أصحاب الزرع عائدة زرعهم ، فضربتهم^(٣) الريح وأهلكته^(٤) .

١١٨ . قوله تعالى : ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ الآية . قال المفسرون : نزلت في النهي عن مداخلة اليهود والمنافقين^(٥) .

(١) في (أ) و(ب) : (ريحوا) . ولا وجه لها . والمثبت من (ج) ؛ نظراً لمناسبته لما بعده من قوله : «كما رجأ أصحاب الزرع . . .» ، ولمناسبته للمعنى المراد . وقد وردت هذه الكلمة في تفسير الطبري ٦٠ / ٤ عند تفسير هذه الآية .

(٢) في (ب) : (المضرة) .

(٣) في (ج) : (فضربتهم) .

(٤) انظر : معنى هذا القول في تفسير الطبري ٦٠ / ٤ .

(٥) ورد ذلك عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع ، وغيرهم .

انظر : سيرة ابن هشام ١٨٦ / ٢ ، وتفسير الطبري ٦١ / ٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٤٢ / ٣ ، ٧٤٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٠٤ / ٣ ، وأسباب النزول للواحدي : ١٢٤ ، والدر المنثور ١١٨ / ٢ .

ولا يمنع كونها نازلة في اليهود والمنافقين ، أن يدخل في النهي اتخاذ أصناف الكافرين جميعهم بطانة ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ . [المتحنة : ١] . وقد قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : «إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة ، حافظاً كاتباً ، فلو اتخذته كاتباً . قال : قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين» . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣ / ٣ ، وأورده ابن كثير ٤٢٨ / ١ ، والسيوطي في الدر ١١٨ / ٢ ، وزاد عزوه لعبد بن حميد ، وابن أبي شيبه .

قال ابن كثير معلقاً في هذا الموضع : «ففي هذا الأثر مع هذه الآية [أي آية سورة آل عمران ١١٨] دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعماهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين ، وإطلاع على دواخل أمورهم ، التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ؛ ولهذا قال : ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ . تفسيره ٤٢٨ / ١ . وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢١٥ / ٨ .

و(البَطَانَةُ): قال أبو حاتم، عن الأصمعي^(١): «بَطْنُ فلانٍ بفلان، يَبْطُنُ به بُطُونًا، وَبِطَانَةً»^(٢): إذا كان خاصًّا به، داخلًا في أمره. فالبطانة^(٣) مصدرٌ يُسَمَّى به الواحد والجمع.

قال الشاعر:

أولئك خُلصاني نَعَمَ وَبِطَانَتِي وَهُمْ عَيْتِي^(٤) مِنْ دُونِ كُلِّ قَرِيبٍ^(٥)
وَبِطَانَةُ الرَّجُلِ: خَاصَّتُهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطِنُونَ^(٦) أَمْرَهُ. وأصله من البَطْنِ خلاف الظهر، ومنه^(٧): بِطَانَةُ الثوب، خلاف ظهارته^(٨).

وقوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾؛ أي من دون المسلمين، ومن غير أهل ملَّتكم، وظاهر هذا للمخاطبين، وهو يريد: جميع المسلمين. يعني لا تتخذوا بطانة من دون^(٩) المسلمين^(١٠).

(١) قوله في تهذيب اللغة (بطن) ١/ ٣٥٠. وهو من قوله: (أبو حاتم . . .) إلى (في أمره). نقله عنه بنصه.

(٢) (وبطانة): ليست في تهذيب اللغة. وهي في اللسان (بطن) ١/ ٣٠٤ حيث أورد النص نفسه، ولكن دون عزو.

(٣) في (أ): (بالبطانة). وفي (ب): (في البطانة). والمثبت من (ج).

(٤) في (ب): (عيتي).

(٥) لم أقف على قائله. وقد ورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٤ أ، والبحر المحيط ٣/ ٣٣، والدر المصون ٣/ ٣٦٣، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٥٦٦.

وفي فتح القدير: «وهم خلصاني كلهم وبيطانتني».

وقوله: (خُلصاني)؛ أي خُلصائي. ويستوي فيه الواحد والجماعة. و(عَيْتَةُ الرجل): موضعُ سرِّه. والجمع: (عَيْبٌ)، و(عِيَابٌ)، و(عَيْبَاتٌ). انظر: اللسان (عيب) ٥/ ٣١٨٤، و(خلص) ٢/ ١٢٢٨.

(٦) في (أ) و(ب): (يستبطنون). ولا وجه لها. والمثبت من (ج) ومصادر اللغة.

(٧) (منه): ساقطة من (ج).

(٨) انظر: الصحاح (بطن) ٢٠٧٩، ٢٠٨٠، ومقاييس اللغة ١/ ٢٥٩.

(٩) في (ب): (من دونكم من دون المسلمين).

(١٠) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ١/ ١٠٣، وتفسير الطبري ٤/ ٦١، وتفسير أبي السعود ٧٦/ ٢، وفتح القدير ١/ ٥٦٦.

وصلح أن يُعَبَّرَ ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ عن هذا؛ كما يقول الرجل: قد قتلتمونا [وهزمتُمونا]^(١)، وهو يريد قتلتم إخواننا. وقد تقدم لهذا نظائر^(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُوكُمْ خَبَالًا﴾، يقال^(٣): أَلَوْتُ في الشيء، أَلَوْتُ^(٤)؛ أي قَصَّرت.

قال امرؤ^(٥) القيس:

وما المَرْءُ ما دامت حُشَّاشَةٌ^(٦) نَفْسِهِ
بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلِي^(٧)

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٢) ومن ذلك قوله -تعالى- عن بني إسرائيل: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]. لا يعني بها أن يقتل كل واحد منهم نفسه بيده، بل يعني ليقتل بعضكم بعضاً، أو ليقتل البريء منكم المجرم. ومنها قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]. والمعنيين في الآية لم يقتلوا النبيين، وإنما الذي قتل النبيين أبائهم، وإنما هم تولوا القتلة.

انظر: الآية ٢١ من سورة آل عمران، والآية ٦١ من سورة النور.

انظر: معاني القرآن للنحاس ١/ ٤٦٥، وتفسير الفخر الرازي ٨/ ٢١٦.

(٣) في (أ) و(ب): (لا يقال). وهو خطأ واضح. والمثبت من (ج).

(٤) في (أ): (ألوا). وهي خطأ. والمثبت من (ب) و(ج) ومصادر اللغة.

(٥) في (ب): (امرئ).

(٦) في (أ): (حشاشة) بفتح الحاء. ولم أرها في معاجم اللغة التي رجعت إليها. وأهملت حركاتها في: (ب) و(ج). وما أثبتته، فمن مصادر البيت، وكتب اللغة.

(٧) في (ج): (ولا ألي).

والبيت في ديوانه: ١٢٩. كما ورد منسوباً له في كتاب المعاني الكبير ٣/ ١٢٥٥، والزاهر ١/ ٢٦٨.

وورد غير منسوب في اللسان (حشش) ٢/ ٨٨٦، و(ألا) ١/ ١٧٦.

والحشاشة: الروح ورمق الحياة، وبقية الروح في المريض، وكل بقية: حشاشة.

انظر: اللسان (حشش) ٢/ ٨٨٦.

ومعناه: أن المرء ما بقيت فيه بقية من روح، فإنه يبذل قصارى جهده في سبيل تحقيق ما يريد، ومع هذا فإنه لن يحصل على كل شيء، ولن يدري أواخر الأمور.

قال أبو الهيثم^(١) :

يقال : (أَلَا ، يَأْلُوا) : إِذَا فَتَرَ^(٢) ، وَضَعَفَ ، وَقَصَّرَ^(٣) ، ومثله : (أَلَى^(٤) ،
وَائْتَلَى^(٥)) ، وأنشد :

فَمَا أَلَى بَنِي وَلَا أَسَاءُوا^(٥)

- (١) قوله في تهذيب اللغة ١/ ١٧٩ ، واللسان ١/ ١١٧ .
- (٢) في (أ) و(ب) : (أَفْتَر) . والمثبت من (ج) وتهذيب اللغة واللسان .
- (٣) (وَقَصَّر) : غير موجودة في التهذيب ، واللسان .
- (٤) في (أ) و(ب) : (أَلَى) . وفي (ج) : (أَلَا) . وقد أثبتتها (أَلَى) ؛ لأنه بدلي - والله أعلم - أن المؤلف هكذا أرادها ؛ والدليل على ذلك أنها جاءت بهذه الصورة في التهذيب واللسان ، وبقية مصادر اللغة التي رجعت إليها . إضافة إلى أن المؤلف أورد الشاهد الشعري بعدها دليلاً على ورودها في اللغة بهذه الصورة ، وقد وردت فيه (أَلَى) كما سيأتي .
- مع ملاحظة أن (أَلَى) صحيحة لغةً ، وقد أوردتها ابن فارس في مقاييس اللغة (ألوى) ١/ ١٢٨ ، وأورد بعدها الشاهد الشعري الآتي دليلاً عليها ، وفيه (أَلَى) بدلاً من (أَلَى) .
- ومن معاني (أَلَى) : حَلَفَ . يقال : (أَلَى ، يُؤَلِي ، إِيلَاءً) . وتأتي : (يَتَأَلَّى تَأَلًى) ، و(ائْتَلَى يَأْتَلِي ائْتِلَاءً) . كلها بمعنى : اليمين . انظر : مقاييس اللغة (ألوى) ١/ ١٢٨ ، واللسان (ألا) ١/ ١١٧ .
- (٥) في (ب) و(ج) : وردت (أَلَى) في البيت مهملة من دون همز ولا تشكيل . وهذا شطر بيت للرَّبيع بن ضُبُع الفَرَّازي . وأول البيت :
وَإِنَّ كَنَائِي لَنَسَاءُ صَدَقَ
- وقد ورد منسوباً له في كتاب المعاني الكبير ١/ ٥٣٢ ، وتهذيب اللغة (ألى) ١/ ١٧٩ ، وغريب الحديث للخطابي ١/ ٥٨ ، والصحاح (ألا) ٦/ ٢٢٧٠ ، وأمالي المرتضى ١/ ٢٥٥ ، والإفصاح للفارقي ٢٧٠ والفائق للزخشري ١/ ٦٥ ، واللسان (ألا) ١/ ١١٧ ، وخزانة الأدب ٧/ ٣٨١ ، و٣٨٢ .
- وورد غير منسوب في مقاييس اللغة (ألوى) ١/ ١٢٨ .
- وقد ورد في المصادر السابقة كلها إلا في المقاييس ، وأمالي المرتضى كالآتي : (وما أَلَى بَنِي) . أما في المقاييس ، والأمالي ، وفورد : (. . . أَلَى . . .) ، وورد في بعض المصادر : (وما أساؤوا) . الكنائن : جمع : كَنَّةٌ . وهي امرأة الابن والأخ . انظر : القاموس ١٥٨٥ (كنن) . و(أَلَى) فَعَّلَ ، من (أَلَوْتُ) ؛ أي أبطأت . أو من (الْأَلَوُّ) ؛ أي التقصير .
- انظر : كتاب المعاني الكبير ١/ ٥٣٢ ، والتهذيب (ألى) ١/ ١٧٩ .
- ويعني الشاعر : أن كنائنه نَعَمُ النساء ، وأن بنيه ما أبطؤوا عن فعل المكارم ، وما يجب عليهم من القيام بأمره ، وما قَصَّرُوا في ذلك .

أَيُّ مَا قَصَّرُوا^(١) .

قال امرؤ القيس :

أَلَا رَبَّ خَصِمٍ فَيْكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِي^(٢)

أي غير مقصر .

وَالْخَبَالُ فِي -اللغة- الفساد والشر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾^(٣) ؛ أَي^(٤) يريد^(٥) : [إِلَّا]^(٦) شَرًّا^(٧) .

(١) نقل في خزانة الأدب قول أبي حاتم السجستاني ، معلقاً على البيت : «والتأليّة : التقصير ، ومن قال : (وما أَلَى) بالمد ؛ فمعناه ما أقسموا ؛ أَي لا يبروني» ٣٨٢ / ٧ .

وذكر محقق أمالي المرتضى ٢٥٥ / ١ : أنه في حاشية نسخة أخرى للأُمالي ، ورد الآتي : (أَلَى) بتشديد اللام . قال : وهو الصحيح ، ومعنى (أَلَى) : قَصَّر ، في قول بعضهم . واللغة الأخرى : (أَلَا) مخففاً ؛ يقال : (أَلَا الرجلُ) (يألوأ) : إذا قصر وقتر . فأما (أَلَى) في البيت ، فلا وجه له ؛ لأنه بمعنى : حلف ، ولا معنى له هاهنا . انظر : الخزانة ، في الموضع السابق .

(٢) البيت في ديوانه ١١٦ . وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٧٣ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٢٥ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٣٥ .

(الألوى) : الشديد الخصومة ، الجدل . و(النصيح) : الناصح . و(التَّعْدَالُ) : هو العَدْل ؛ أَي اللوم . و(غير مؤتلي) : غير مقصر .

ومعنى البيت : أَلَا رَبَّ خَصِمٍ شديد في خصومته جدل في كلامه ، كان ينصحنى غير مقصر في نصيحته لي ، ولومه إِيَّاي على حبي لك ، قد رددته ، ولم أرجع عن هواك بلومه ونصحه . أي أنه بلغ من شدة حبه لها الغاية القصوى ، لدرجة أنه لا يؤثر فيه ، ولا يثنيه عن ذلك نصح ناصح ، ولا لوم لائم . انظر : المراجع السابقة .

(٣) [التوبة : ٤٧] ، وتامها : ﴿ لَوْ حَرَجُوا فَيْكُمَا زَادُوكُم إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خَلْلَكُمْ يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَةً وَفَيْكُم سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْظَّالِمِينَ ﴾ .

(٤) (أَي) : ساقطة من (ب) و(ج) .

(٥) في (أ) : (لا يريد) .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٧) انظر : مجاز القرآن ١ / ١٠٣ ، و ٢٦١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٧ ، ونزهة القلوب للسجستاني ٢١٧ ، وبحر العلوم لأبي الليث ١ / ٢٩٤ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١٠٤ ، ونخبة الأريب لأبي حيان ١١٣ .

ويقال : في قوائم الدابة خَبَالٌ ، وفي عقله خَبَالٌ ؛ أي فساد ، ورجلٌ مُحَبَّلُ الرأي : فاسدهُ ، [و] ^(١) مُضْطَرِبُهُ . وخَبَلُهُ ^(٢) الحَبُّ ؛ أي أفسده ^(٣) .

ومعنى قوله : ﴿لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا﴾ ؛ أي لا يدْعُونَ جهدهم في مضرتكم ، وفسادكم ^(٤) .

يقال : ما أَلُوْتُهُ نُضْحًا ؛ ما قَصَّرت في نصيحته ^(٥) ، وما أَلُوْتُهُ شَرًّا ، مثله . قال الزَّجَّاج ^(٦) : ﴿لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا﴾ ؛ أي لا يَتَّقُونَ ^(٧) غايةً في إلقاءكم في ما يضركم ^(٨) .

ومحل قوله : ﴿لَا يَأْلُوْنَكُمْ﴾ النَّصَبُ ؛ لأنه صفة البطانة ^(٩) .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٢) في (ج) : (ختله) .

(٣) انظر : (خبل) في إصلاح المنطق ٥٢ ، وتهذيب اللغة ١ / ٩٨١ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٢٤٢ .

(٤) انظر : بحر العلوم لأبي الليث ١ / ٢٩٤ .

(٥) في (ج) : (نصيحة) .

(٦) في معاني القرآن له ١ / ٤٦٢ .

(٧) في (ج) : (لا يتقون) .

(٨) في معاني القرآن : (في إلقاءهم في ما يضرهم) .

(٩) انظر : البيان للأنباري ١ / ٢١٧ ، والبيان للعكبري ٢٠٦ .

وقيل : هي حال من الضمير في قوله تعالى : ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ على أن يكون الجارُ صفة لـ (بطانة) . وقد جوز كونها والجملة التي بعدها صفة ، الزمخشري ، ولكنه جعل الأولى من ذلك أن تكون مستأنفة على وجه التعليل للنهي عن اتِّخاذهم بطانة ، وأيد ذلك ابن هشام . انظر : الكشف ١ / ٤٥٨ ، والمغني لابن هشام ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

أما أبو حيان فلا يرى أن تكون هذه الجملة صفة للبطانة أو حالاً ، ولا يميز ذلك ، ويرى لها وجهاً واحداً فقط ، هي أن تكون استئنافية ، لا محل لها من الإعراب «جاءت بياناً لحال البطانة الكافرة ؛ لتنفيذ المؤمنين عن اتِّخاذهم بطانة» .

ويرى أن من قال عنها إنها صفة للبطانة أو حال مما تعلق به (من) «فبعد عن فهم الكلام الفصيح ؛ لأنهم نُهِوا عن اتِّخاذ بطانة كافرة ، ثم نُبِّه على أشياء مما هم عليه من ابتغاء الغوائل للمؤمنين ، وداد مشقتهم ، وظهور بغضهم ، والتقيد بالوصف أو بالحال يؤذن بجواز الاتِّخاذ عند انتقائهما» . البحر المحيط ٣ / ٣٨ .

وانتصب^(١) (الْحَبَالُ) بـ (الْأَلُو) ؛ لأنه يتعدى إلى مفعولين ، كما ذكرنا^(٢) . وإن شئت نصبته^(٣) على المصدر ؛ لأن معنى قوله : ﴿ لَا يَأْلُوَكُمْ خَبَالًا ﴾ : يُجْبِلُونَكُمْ خَبَالًا^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ .

قال المفسرون^(٥) : ودُّوا عَتَّتَكُمْ^(٦) . والعَنَتُ^(٧) : دخول المشقة على الإنسان ، ووقوعه في ما لا يستطيع الخروج منه . يقال : عَنَتَ الرجل : إذا صار إلى هذه الحالة . و(عَنَتَ) - أيضاً - إذا أثم^(٨) .

(١) من قوله : (وانتصب) إلى (يُجْبِلُونَكُمْ خَبَالًا) : نقله بتصرف عن الثعلبي ١٠٤ / ٣ ب .

(٢) أي هو مفعول ثان .

قال الزمخشري عن تعدي فعل (ألا) الذي بمعنى قَصَرَ : «يقال : (ألا في الأمر ، يألو) : إذا قَصَرَ فيه ، ثم استعمل فعدي إلى مفعولين في قولهم : (لا أَلُوْكَ نُصْحًا) ، و(لا أَلُوْكَ جَهْدًا) على التضمين والمعنى : لا أمتنعك نصحاً ، ولا أنقصكه» . الكشف ٤٥٨ / ١ .

(٣) في (ج) : (نصبت) .

(٤) في (أ) : (لا يَجْبِلُونَكُمْ خَبَالًا) . (ب) : (لا يَجْبِلُونَكُمْ خَبَالًا) . والجملة ساقطة من (ج) . وأثبتها بحذف حرف النفي (لا) كما جاءت في تفسير الثعلبي ، ولأنها لا وجه لها بوجود حرف النفي . وأثبت (يُجْبِلُونَكُمْ) من : (ب) ، وتفسير الثعلبي .

وقد ذُكر في نصب (خَبَالًا) أقوال أخرى ، منها :

- أنها منصوبة على إسقاط حرف الجر ، والتقدير : لا يَأْلُونَكُمْ في خبال ؛ أي في تخيلكم ، ويكون حينها فعل (ألا) يتعدى إلى مفعول واحد بغير حرف الجر .

- وقيل : إنها مصدر في موضع الحال ؛ أي مُتَخَبِلِينَ . انظر : التبيان للعكبري ٢٠٦ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٦٢٠ .

(٥) منهم ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٠٩ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن ١ / ٤٦٢ ، والطبري في تفسيره ٦١ / ٤ .

(٦) في (ج) : (ودُّوا ما عتتم) .

(٧) في (ج) : (فالعنت) .

(٨) انظر : هذا المعنى في كتاب العين ٧٢ / ٢ ، ومجاز القرآن ٧٣ / ١ ، و١٢٣ ، وتفسير الطبري ٣٧٥ / ٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٣٦٢ ، وجمهرة اللغة (عنت) ١ / ٤٠٣ ، والزاهر ١ / ٤٣٦ ، وتهذيب اللغة ٢٥٨٤ / ٣ ، ومقاييس اللغة (عنت) ٢ / ١٥٠ .

و(ما)^(١) - هاهنا - (ما) المصدر ، كقوله : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾^(٢) ؛
أي^(٣) : عزيز عليه عنتكم^(٤) ، وهو لقاء الشدة والمشقة^(٥) .

وقيل^(٦) في قوله : ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ ؛ أي ما أعتكم من مكروه ، وضُر^(٧) .
وهو معنى وليس بتفسير .

وقال السدي^(٨) : ودُّوا ضلالكم عن دينكم ؛ وذلك أن الحيرة بالضلال
مشقة .

ومضى الكلام في (العنت) ، و(الإغاث) عند قوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ﴾
[البقرة : ٢٢٠] .

ولا محل لقوله : ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ ؛ لأنه استئناف بالجملة . وقيل^(٩) : إنه
من صفة البطانة ، ولا يصح هذا ؛ لأن البطانة قد وصفت بقوله : ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ
خَبَالًا﴾ .

(١) (ما) : ساقطة من (ج) .

(٢) [التوبة : ١٢٨] . ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

(٣) (أي) : ساقط من (ج) .

(٤) انظر : المغني لابن هشام ٣٩٩ .

(٥) قوله : (لقاء الشدة والمشقة) : هو نص قول الأزهري في تهذيب اللغة (عنت) ٢/ ٢٥٨٤ .

(٦) القائل هو ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٠٩ .

(٧) ونصه قول ابن قتيبة : «أي ودُّوا عنتكم وهو ما نزل بكم من مكروه وضُر» . وبه قال مكي في تفسير
المشكل ٥١ ، وأبو الليث في بحر العلوم ١/ ٢٩٤ .

(٨) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٦٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٧٤٣ والنكت والعيون ١/ ٤١٩ .

(٩) ممن قال ذلك الأخفش في معاني القرآن له ١/ ٢١٤ ، والطبري في تفسيره ٤/ ٦٢ .

فلو رجع هذا إلى البطانة ، لأدخل حرف العطف ؛ لأنك لا تقول في الكلام :
لا تتخذ صاحباً يشتبك ، أحب مفارقتك^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، البغضاء : شدة البغض^(٢) ،
قال الفراء^(٣) : البغضاء مصدر مؤنث .

ومعنى الآية : قد ظهرت العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقعة في
المسلمين ، وإطلاع المشركين على أسرارهم^(٤) .

وواحد (الأفواه) : فَمٌ ، وأصله^(٥) : (فَوْه) ، بوزن : (سَوَط) ، فحذفت الهاء
تخفيفاً ، كما حذفت من (سَنَة) ؛ في من قال :

لَيْسَتْ^(٦) بِسَنَاءٍ . . .^(٧)

(١) أورد قول الواحدي هذا ابن هشام في المغني ٥٠٤ ، وفيه : (يؤذيك) بدلاً من (يشتمك) ، وقد علق ابن
هشام على قول الواحدي هذا بقوله : «الذي يظهر ، أن الصفة تتعدد بغير عاطف ، وإن كانت جملة ، كما
في الخبر ، نحو : ﴿ الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ ﴾ [الرحمن : ١-٤] .

(٢) انظر : القاموس المحيط (بغض) ٦٣٧ .

(٣) قوله في معاني القرآن له ١ / ٢٣١ ، ونقله عنه بالمعنى .

(٤) قال القرطبي : «وخص الله - تعالى - الأفواه بالذكر ، دون الألسنة ؛ إشارة إلى تشدقهم ، وثرثرتهم في
أقوالهم هذه ، فهم فوق المتستر الذي تبدو البغضاء في عينيه» . تفسيره ١٨٠ / ٤ .

(٥) من قوله : (وأصله . . .) إلى (كالحات وبسل) : نقله بتصريف واختصار عن سر صناعة الإعراب
٤١٤ / ١ .

(٦) في (ب) : (لست) .

(٧) قطعة من بيت ، لسويد بن الصامت الأنصاري . وتماهه :

ليست بسنهاء ولا رجبية ولكن عرايا في السنين الجوائح

وقد ورد منسوباً له في كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني ٨٨ ، و ٩٣ ، واللسان (رجب) ٣ / ١٥٨٣ ،

و (قرح) ٦ / ٣٥٧١ ، و (جوح) ٢ / ٧١٩ ، و (سنه) ٤ / ٢١٢٧ ، و (عرا) . وأورده أبو عبيد بن سلام في

غريب الحديث ١ / ١٤١ ، وابن فارس في المقاييس ٤ / ٢٩٩ ، ونسباه لشاعر الأنصار ، ولم يصرحا باسمه .

وورد غير منسوب في مجالس ثعلب ٧٦ ، وجهرة اللغة ١ / ٢٦٦ ، والأمالي للقالبي ١ / ١٢١ ، وتهذيب =

وعملت^(١) معه مُسَانَّهُ^(٢). ومن: (شاة)^(٣)، و(شَقَّة)^(٤)، فصار التقدير: (فَوْ)^(٥). فلما صار الاسم على حرفين، لا ثاني منهما^(٦) حرف لين، كرهوا حذفه

اللغة (سنة) ١٢٩/٦، والمخصص ٥٤/١٦.

وقد وردت (سناه) في مصادر البيت بفتح الهمزة، وبكسرهما مُنَوْنَةً، ووردت (رُجْبِيَّة) بفتح الجيم مع التشديد فيها ومن دونه.

يصف الشاعر -هنا- نخلةً بالجودة. و(السناه): إما هي التي تحمل سنة ولا تحمل أخرى، أو تلك التي أصابتها السنة المجدية فأضرت بها.

و(الرُجْبِيَّة): هي النخلة التي تكون كريمة على صاحبها، فتميل، فيسندها بـ (رُجْبِيَّة)؛ أي بخشبة ذات شعبتين، وقيل: الترجيب هو أن يُجْعَلَ حولها شوكٌ حتى لا يرقى لها راق فيجني ثمرها. وأرى -والله أعلم- أن القول الثاني هو المراد في البيت؛ لأنه يصفها بأنها ليست من تلك التي يُمنع ثمرها من الناس، بل هي مبذولة لهم، لأنه قال بعدها: (عرايا)؛ أي التي يوهب ثمرها للناس، ومفردتها (عَرِيَّة). و(الجوائح): هي السنون الشداد التي تحتاج المال. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١٤١/١، واللسان (رجب) ٣/١٥٨٣، و(سنة) ٤/٢١٢٧.

(١) في (ج): (علمت).

(٢) المسانئة: أن يعامله إلى مدة سنة. يقال: (سَانَّهُ مُسَانَّهُ وَسَنَاهَا).

انظر: (سنة) في اللسان ٤/٢١٢٧، والمعجم الوسيط ١/٤٥٩.

ويجوز أن يكون المحذوف من (سنة) واواً أو هاء؛ لأنها في الجمع: (سنوات)، و(سنوات). انظر: حولها كتاب سيبويه ٣/٣٦٠، و٤٥٢، واللسان (سنة) ٤/٢٨٧، ونزهة الطرف ١٧٢.

(٣) أصل (شاة): (شَوَّهَتْ) ويقال في تصغيرها: (شُوْهِيَّة)، وفي جمعها تكسيراً: (شياه)، ويقولون: (شَوَّهْتُ شاةً)؛ أي اصطدتها.

انظر: الممتع في التصريف ٢/٦٢٦.

(٤) أصل (شَقَّة): (شَقَّهَتْ) فيقال في تصغيرها: (شُقِّيَّة)، وفي جمعها: (شفاه) والفعل منها: (شافهتُ فلاناً)، والمصدر: (المُشَافهة).

انظر: كتاب سيبويه ٣/٣٥٨، ٣٥٩، و٤٥١، والوجيز في علم التصريف ٤١، والممتع ٢/٦٢٥، ونزهة الطرف ١٧٣.

(٥) في (أ) و(ب) و(ج): (فوه). والمثبت من سر صاعة الإعراب، وهي الصواب.

(٦) في (ج): (منها).

للتنوين ، فَيَجْحَفُوا بِهِ ، فأبدلوا من الواوِ مِيمًا لقرب الميم من الواو ؛ لأنهما^(١) شفويتان^(٢) ، وفي الميم هُوِيٌّ في الفم يضارع امتداد الواو .

والدليل على أن أصله (فَوْه) : جمعه على (أفواه) ؛ نحو : (سَوَطٌ ، وأسواط) ، و(حَوْضٌ ، وأحواض) ، و(طَوَّقٌ ، وأطواق) .

وقال أُمَيَّةٌ^(٣) :

وما فَاهُوا بِهِ أَبَدًا مُقِيمٌ^(٤)

(١) في (ب) : (ولأنهما) .

(٢) في سر صناعة الإعراب : (شفهيتان) .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) شطر بيت ، وتماه كما في الديوان :

وفيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ وَبَحْرٌ وما فاهوا بِهِ لَهم مقيمٌ

وهو في ديوانه ٦٨ . وورد منسوباً له في معاني القرآن للفراء ١/ ١٢١ ، واللسان (أثم) ١/ ٢٩ ، و(فوه) ٦/ ٣٤٩٢ ، والمقاصد النحوية ٢/ ٣٤٦ ، وشرح التصريح ١/ ٢٤١ ، والدرر اللوامع ٢/ ١٩٩ .

وورد غير منسوب في اللسان (سهر) ٤/ ٢١٣٢ ، و(فوه) ٦/ ٣٤٩٢ ، وشرح شذور الذهب ١٢٣ ، وشرح ابن عقيل ٢/ ١٥ ، ومنهج السالك للأشموني ٢/ ١١ .

وأكثر المصادر - ومنها سر صناعة الإعراب - تورد الشطر الأول كالاتي : «فلا لغو ولا تأثيم فيها . . .» وهذا إنما هو صدر بيت آخر وعجزه : «ولا غولٌ ولا فيها مُلِيمٌ» . وهو في القصيدة بعد البيت المستشهد به بأبيات .

و(الساهرة) : الأرض . و(مقيم) : ثابت . انظر : اللسان (سهر) ٤/ ٢١٣٢ .

وقالوا : رجلٌ مُفَوَّهٌ : إذا أجَادَ^(١) القولَ ، وأفَوَّهٌ : إذا كان واسعَ الفمِّ ،
وجمعه : (فُفُوهُ)^(٢) .

قال الشَّنْفَرِيُّ^(٣) :

مُهِرَّتَةٌ^(٤) فُفُوهُ كَأَنَّ شُدُوقَهَا
شُقُوقُ الْعِصِيِّ^(٥) كَالْحَاتِّ^(٦) وَبُسْلٍ^(٧)

(١) في (ب) : (جاد) .

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٣/ ٢٦٤ ، و ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، والمسائل المشككة للفارسي ١٤٩-١٦٣ ، و ٥٠٤ ،
والمخصص ١/ ١٣٤-١٣٧ ، وشرح المفصل ١٠/ ٣٣ ، والوجيز في علم التصريف ٥٠ ، والمتع
٣٩١ ، و ٦٢٥ ، ونزهة الطرف ١٧٣ ، وأوضح المسالك ٣/ ٣٤١ .

ويرى الأخفش أن الميم في (فم) بدل من الهاء ؛ حيث إن أصله عنده (فَوَّه) ، ثم قلب ، فصار (فَهُو) ،
ثم حذفت الواو ، وجعلت الهاء ميماً . انظر : شرح الشافية ٣/ ٢١٥ .

(٣) هو ثابت بن أوس الأزدي . شاعر جاهلي ، من عدائي العرب المعدودين ، وصعاليكهم ، وأكثرهم
جرأة ودهاء ، أسرته بنو سلامان صغيراً ، ونشأ فيهم ، فلما شب وعرف بقصة أسرته ، قتل منهم كثيراً ،
فقتلوه ثأراً وانتقاماً .

انظر : خزانة الأدب ٣/ ٣٤٣ ، والأعلام ٣/ ١٧٧ .

(٤) في (أ) و(ب) : (مبوته) . وفي (ج) : (مهونه) . والمثبت من سر الصناعة ، ومصادر البيت .

(٥) في (ب) : (العصا) .

(٦) (أ) و(ب) : (الحاق) . والمثبت من (ج) وسر الصناعة ومصادر البيت .

(٧) البيت من لاميته المساة بلامية العرب . انظر : بلوغ الأرب في شرح لامية العرب ١٥٢ . المِهْرَتَةُ :
الواسعة الأشداق . و(فُفُوهُ) : جمع : (أَفُوهُ) و(فوهاء) ، يقال للواسع الفم ، أو من تخرج أسنانه من
شفتيه من طولها .

و(الشدوق) : جمع كثرة ، وأما جمع القلة ، فأشداق ، والمفرد : شدق ، وهو جانب الفم . و(الكالحات) :
المكشَّرات في عبوس . و(بُسْلٍ) : الكريمة المنظر ، المفرد : باسل . ويقال للأسد ، وللرجل الشجاع .

الشاعر - هنا - يعيِّن بهذه الأوصاف الذئب . وقوله : (كالحات وبسل) نعت لـ (فُفُوهُ) . انظر : المرجع
السابق ١٥٢-١٥٤ .

ذكر ذلك أبو الفتح الموصلي^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾^(٢) ؛ أي من العداوة والخيانة^(٣) .
وقيل^(٤) : من الكفر بالله ومحمد ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ ، قال عطاء^(٥) : يريد : ما أمرهم به من طاعته ، وما نهاهم عنه من معصيته .

وقال السُّدي^(٦) : قد بيَّنا آياتهم ؛ لتعرفوهم بها .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، قيل^(٧) : إن كنتم تعقلون موقع يقع^(٨) البيان ، ومبلغ عائدته عليكم^(٩) .

وقيل^(١٠) : إن كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو ، والوليُّ .

١١٩ . قوله تعالى : ﴿هَاتَيْنِمْ أُوُلَاءَ مِجْبُوتُهُمْ﴾ الآية . مضى الكلام في (ها) مع (أنتم) عند قوله : ﴿هَاتَيْنِمْ هَؤُلَاءَ حَاجِجَتُمْ﴾ [آل عمران : ٦٦] .

(١) في سر صناعة الإعراب ١/ ٤١٣-٤١٦ .

(٢) في (ج) : (وما تخفي الصدور) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٩٧ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٠٤ ب .

(٤) لم أهتد إلى القائل ، ولا فرق بين القولين لأنها متلازمان .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) لم أقف على مصدر قوله .

(٧) قاله بمعناه الطبري في تفسيره ٤/ ٦٤ .

(٨) هكذا في : (أ) و(ب) . وفي (ج) : مهملة من النقط . وأرى أن الأصوب أن تقرأ (نفع) ؛ لأنها تتناسب مع عبارة الطبري التالية .

(٩) ونص قول الطبري : «إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه ، وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ، ومبلغ عائدته عليكم» .

(١٠) لم أهتد للقائل .

قال الفرّاء^(١): العرب إذا جاءت إلى اسم مَكْنِيٍّ قد وُصِفَ بـ(هذا) و(هذان) و(هؤلاء)، فَرَقُوا بَيْنَ (ها) وبين (ذا)، المَكْنِيَّ بينهما، وذلك في جهة التقريب^(٢)، فيقولون: أين أنت؟ فيقول القائل:

ها أنا ذا^(٣). ولا يكادون يقولون: هذا أنا^(٤). وكذلك: التثنية والجمع، ومنه^(٥): ﴿هَآأَنْتُمْ أُولَآءِ مُحِبُّوهُمْ﴾، وربّما أعادوا (ها) فوصلوها بـ(ذا)، و(ذان)، و(أولاء)^(٦)، فيقولون: ها أنت هذا، وها أنتم هؤلاء. قال الله تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ جَدَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٠٩].

(١) في معاني القرآن له ٢٣١/١. نقله عنه بنصه.

(٢) التقريب: هو أن تجعل (هذا)، و(هذه) بمثابة الأفعال الناقصة كـ(كان) وأخواتها التي تحتاج إلى تمام الخبر، وهذا من اصطلاحات الكوفيين، وقد بيّنه السيوطي في همع الهوامع ٢٦٤/١ فقال: ذهب الكوفيون إلى أن (هذا) و(هذه)، إذا أريد بهما التقريب، كانا من أخوات (كان)، في احتياجهما إلى اسم مرفوع وخبر منصوب، نحو: كيف أخاف من الظلم، وهذا الخليفة قادماً؟، وكيف أخاف البرد، وهذه الشمس طالعة؟، وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أساء الإشارة لا ثاني له في الوجود، نحو: هذا ابن صياد أشقى الناس، فيعربون (هذا): (تقريباً)، والمرفوع اسم التقريب، والمنصوب خبر التقريب؛ لأن المعنى إنما هو عن الخليفة بالقدوم، وعن الشمس بالطلوع، وأتى باسم الإشارة تقريباً للقدوم والطلوع. ألا ترى أنك لم تشر إليهما وهما حاضران؟ وأيضاً، فالخليفة والشمس معلومان، فلا يحتاج تبيينهما بالإشارة إليهما. وتبين أن المرفوع بعد اسم الإشارة يخبر عنه بالمنصوب؛ لأنك لو أسقطت الإشارة لم يحتل المعنى، كما لو أسقطت (كان) من (كان زيداً قادماً). انظر في هذا المعنى: معاني القرآن للفرّاء ١٢/١، وتفسير الطبري ٤/٦٦-٦٦، و١٥/٤١٦، ودراسة في النحو الكوفي ٢٣٧، والنحو وكتب التفسير ١٨٥/١.

(٣) هكذا جاء رسمها في (أ) و(ب)، وكذا وردت في تفسير الطبري ٤/٦٥، ووردت في (ج): (هاناذا). أما في الرسم الإملائي فقد اصطلح على كتابتها كآلآي: هأناذا.

(٤) في (ج): (ها أنا).

(٥) في (ج): (منه)، من دون واو.

(٦) في معاني القرآن: (فوصلوها بهذا وهذا وهذان وهؤلاء).

قال^(١) : وإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ ؛ لِيَفْصُلُوا بَيْنَ (التقريب) وغيره . ومعنى (التقريب) عنده : أَنك لَا تَقْصِدُ أَنْ تَحْبِرَ^(٢) عَنْ (هذا) بِالْأَسْمِ^(٣) ، فيقولون^(٤) : هذا زيد .

وَإِذَا^(٥) كَانَ الْكَلَامُ عَلَى غَيْرِ تَقْرِيْبٍ ، وَكَانَ^(٦) مَعَ اسْمٍ ظَاهِرٍ ، جَعَلُوا (ها) مَوْصُولَةً بِـ(ذا) ؛ فَقَالُوا^(٧) : (هذا زيد) ، وَ(هذان الزيدان)^(٨) ، إِذَا كَانَ عَلَى خَبَرٍ يَكْتَفِي كُلُّ وَاحِدٍ بِصَاحِبِهِ بَلَا [فِعْلٍ]^(٩) . فَقَدْ^(١٠) أَنْشَدَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ^(١١) عَلَى هَذَا قَوْلَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

لَبَّيْكُمْ أَلْبَيْكُمْ هَا^(١٢) أَنَا ذَا لَدَيْكُمْ^(١٣)

فَجَعَلَ (أَنَا) بَيْنَ (ها) وَ(ذا) ؛ لِتَقْرِيْبِهِ طَاعَتِهَا ، وَالْإِنْقِيَادَ لَأَمْرِهَا .

-
- (١) من قوله : (قال . . .) إِلَى (فيقولون هذا زيد) : هُوَ نَصُّ قَوْلِ الزَّجَّاجِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لَهُ ١/٤٦٣ ، وَيَحْكِي بِهِ مَعْنَى قَوْلِ الْفَرَّاءِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لَهُ ١/٢٣١ ، ٢٣٢ .
- (٢) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ : (الخبر) . بَدَلًا مِنْ (أَنْ تَحْبِرَ) .
- (٣) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ : (الخبر عَنْ هَذَا الْأَسْمِ) .
- وَقَوْلُهُ : (بِالْأَسْمِ) ؛ أَيِ بِالْأَسْمِ الظَّاهِرِ ، غَيْرِ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ .
- (٤) فِي (ج) وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ : (فَتَقُولُ) .
- (٥) مِنْ قَوْلِهِ : (وَإِذَا . . .) إِلَى (بَلَا فِعْلٍ) : مِنْ تَمَّةِ كَلَامِ الْفَرَّاءِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ١/٢٣٢ نَقَلَهُ عَنْهُ بِبَعْضِ التَّصْرِيفِ .
- (٦) فِي مَعَانِي الْفَرَّاءِ : (أَوْ كَانَ) .
- (٧) فِي (ب) وَمَعَانِي الْفَرَّاءِ : (فيقولون) .
- (٨) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ : (هذا هو ، وهذان هما) .
- (٩) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ زِيَادَةٌ مِنْ (ج) وَمَعَانِي الْقُرْآنِ .
- وَبَقِيَّةُ عِبَارَةِ الْفَرَّاءِ : «وَالْتَقْرِيْبُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ ؛ لِنَقْصَانِهِ ، وَأَحْبَبُوا أَنْ يَفْرُقُوا بِذَلِكَ بَيْنَ مَعْنَى التَّقْرِيْبِ وَبَيْنَ مَعْنَى الْأَسْمِ الصَّحِيحِ» .
- (١٠) (فَقَدْ) : سَاقِطَةٌ مِنْ (ج) .
- (١١) فِي الزَّاهِرِ ١/٢٧٩ .
- (١٢) (ها) : سَاقِطَةٌ مِنْ (ج) .
- (١٣) بَيْتٌ مِنَ الرِّجْزِ ، وَرَدَ مَنْسُوبًا لِأُمَيَّةَ فِي طَبَقَاتِ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ ١/٢٦٦ ، وَالزَّاهِرِ ٢/٢٧٩ .

وقال الزَّجَّاجُ^(١): (ها) هاهنا تَنْبِيهٌ^(٢) دَخَلَ على (أنتم) و^(٣) (أولاء) في معنى: (الذين)، كأنه قيل: ها أنتم الذين تُحِبُّونَهُمْ ولا يُحِبُّونَكُمْ. فيكون ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ صِلَةً^(٤).

قال^(٥): وكُسِرَت (أولاء)؛ لأن أصلها السكون، لكن الهمزة كُسِرَت؛ لسكونها وسكون الألف. وإنما كان أصلها السكون؛ لأنها بمنزلة حَرْفِ الإشارة، والحروف أصلها السكون.

وسنذكر الفرق بين (أولاء) و(أولئك) عند قوله: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْقُوَ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٩٩].

قال المفسرون: هذا خطاب للمؤمنين، أعلموا فيه أن منافقي أهل الكتاب^(٦) لا يُحِبُّونَهُمْ، وأنهم يَصْحَبُونَ هؤلاء المنافقين بالبرِّ، والنصيحة التي يفعلها المحبُّ.

- (١) في معاني القرآن ١/ ٤٦٣. نقله عنه بمعناه.
- (٢) في (ج): (ها تنبيه هاهنا).
- (٣) (و): ساقطة من (ب).
- (٤) وفي البسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ١/ ٣١٠ قال عن هذه الآية: «فيحتمل أن يكون الأصل: (أنتم هؤلاء)، فاعُتْنِي بحرف التنبيه فَقُدِّمَ، وأن تكون (ها) التنبيه، ولا تكون المقرونة بالإشارة؛ كما تقول: (ها زيد قائم) ويكون هذا بمنزلة قوله سبحانه: ﴿هَكَأُنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [آل عمران: ٦٦].»
- (٥) أي الزَّجَّاج في المصدر السابق. نقله عنه معناه.
- (٦) لم أقف على من خص المراد هنا بمنافقي أهل الكتاب، وإنما قيل في المراد: هم المنافقون، أو اليهود. وقد سبق أن ذكر المؤلف أن المعنى في هذه الآيات: اليهود والمنافقون معاً، وهو قول لابن عباس ومجاهد، وغيرهم. وقد سبق بيان مصادر هذا القول عند التعليق على شرح المؤلف لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آية: ١١٨]. ومن قال بأنهم اليهود ابن عباس في رواية عنه، والحسن، وقادة، ومجاهد، وابن جريج، والنحاس، والقرطبي، وابن كثير.

انظر: تفسير مجاهد ١٣٤، وتفسير مقاتل ١/ ٢٩٨، وتفسير الطبري ٤/ ٦٠-٦٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٤٢، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٤٦٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٠٥، وتفسير البغوي ٢/ ٩٥، وتفسير القرطبي ٤/ ١٨١، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٢٨، والدر المنثور ٢/ ١١٨، ١١٩.

قال المفضل^(١) : معنى ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ : تريدون لهم الإسلام ، وهو خير الأشياء .
﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ ؛ لأنهم يريدونكم على الكفر ، وهو الهلاك .

قوله تعالى : ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ ؛ أي بالكتب كلها ، وهو اسم جنس ؛
كقولهم : كثر الدرهم في أيدي الناس ، أو لأن الكتاب مصدر ، فيجوز أن
يسمى^(٢) به الجمع .

قال ابن عباس^(٣) : يريد : الذي أنزل على محمد ، والذي أنزل على عيسى ،
والذي أنزل على موسى ، وهم لا يؤمنون بشيء منه ؛ لأنهم^(٤) يَنْتَحِلُونَ^(٥)
التوراة ، ولم يعلموا بما^(٦) فيها .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ، يقال : عَضَّ ،
يَعَضُّ ، عَضًّا ، وَعَضِيضًا^(٧) .

(١) قوله في تفسير الثعلبي ١٠٥ / ٣ ب .

(٢) في (ج) : (نسمي) .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ عنه ، والذي في تفسير الطبري ٦٥ / ٤ قوله : «أي بكتابكم وكتابهم ، وبما مضى
من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم أحق بالبغضاء منهم لكم» .
وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٢٠ / ٢ وزاد نسبة إخراج لابن إسحاق ، وابن المنذر . انظر : سيرة
ابن هشام ١٨٦ / ٢ .

(٤) (لأنهم) : ساقطة من (ب) .

(٥) يقال : انتحل كذا ؛ أي دان به . و(انتحل فلانُ شعرَ غيره) : ادَّعاه ونسبه لنفسه . و(انتحل مذهباً) :
انتسب إليه . انظر : لسان العرب (نحل) ٤٣٦٩ / ٧ ، ٤٣٧٠ .

(٦) في (ج) : (ما) .

(٧) في (ج) : (يغض غصاً وغضضاً) .

قال امرؤ القيس :

كَفَحَلِ الْهَجَانِ يَنْتَحِي لِلْعَضِيضِ^(١)

والأنامل : جمع أنملة^(٢) ، وهي : أطراف الأصابع^(٣) .

[والغَيْظُ : الإغضب^(٤) ، يقال : غَاظَهُ الشَّيْءُ ؛ أي أغضبه^(٥) . وَعَضُّ الْأَصَابِعِ]^(٦) ، والأنامل ، واليد^(٧) : مِنْ فِعْلِ الْمُغْضَبِ^(٨) ، الذي فاته ما لا يقدر [على]^(٩) أن يتداركه ، أو يرى شيئاً يكرهه ، ولا يقدر على أن يُغيِّره . ثم كثر

(١) في (ج) : (العضيض) .

وهذا عجز بيت ، وأوله :

لَهُ قُصْرًا عَيْرٍ وَسَاقًا نَعَامَةٍ

وهو في ديوانه ٩٧ .

والقُصْرَان : مفردهما : (قُصْرَى) . وهما الضلعان اللذان يليان الخصر بين الجنب والبطن ، وهما آخر الضلوع . و(العَيْر) : الحمار ، ويغلب إطلاقه على الوحشي منه . و(فحل الهجان) ؛ أي فحل الإبل الكريمة البيضاء ، ولا يكون فحلها إلا كريماً مثلها . و(الانتحاء) : القصد ، والاعتقاد ، والجد ، وقوله : (ينتحي للعضيض) ؛ أي يعتمد ويعترض للعض .

انظر : تهذيب اللغة (قصر) ٢٩٧٤ ، والقاموس (نحا) ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ .

(٢) يقال : (أنملة) بفتح الهمزة وضم الميم ، و(أنملة) بفتح الهمزة وفتح الميم .

انظر : الصحاح (نمل) ١٨٣٦ ، والقاموس ١٠٦٥ ، والمجمل ٨٨٦ ، واللسان ٨ / ٤٥٥٠ .

(٣) انظر : المصادر السابقة .

(٤) (الإغضب) : ساقطة من (أ) و(ب) . وفي (ج) : (الأعصاب) . وما أثبتته هو الصواب .

(٥) يقال : (غَاظَهُ ، وَأَغَاظَهُ ، وَغَيَّظَهُ) : بمعنى واحد ، والمصدر : الغيظ . انظر : تهذيب اللغة (غيظ) ٢٦٢٢ / ٣ .

قال الراغب : «الغيظ : أشد الغضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه» . مفردات ألفاظ القرآن (غيظ) ٦١٩ .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٧) في (ب) : (ولليلد) .

(٨) في (ج) : (الغضب) .

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

استعمال^(١) [هذا]^(٢) فيه ، حتى استعملَ مثلاً مجازاً ، فيقال للمُغَضَّبِ : هو يَعِضُّ يَدَهُ غَضَباً وَحَنَقاً^(٣) ، وإن لم يكن هناك عَضٌّ . قال الشاعر :

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضْحَى يَعِضُّ عَلَيَّ الْوَظِيفَا^(٤)

وقال أبو طالب^(٥) :

يَعِضُّونَ غِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ^(٦)

- (١) في (ج) : (استعماله) .
- (٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .
- (٣) قال - تعالى - عن حال من يعض على يديه ندماً وأسفاً يوم القيامة : ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ . [الفرقان : ٢٧] .
- (٤) البيت لصخر الغي بن عبدالله الحنمي الهذلي . وقد ورد منسوباً له في شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٩٩ ، وورد في تهذيب اللغة (يدي) ٤/ ٣٩٧٧ ، واللسان (يدي) ٨/ ٤٩٥٣ ، وقال فيه : (قال الهذلي) . وروايته في هذه المصادر : (فأمسى يَعِضُّ . . .) . وقوله : (أزْمُهُ) : عَضُّهُ . من (أَزَمَ يَأْزِمُ أَزْماً) و(أَزوماً) ، فهو (أَزَمٌ وَأَزُومٌ) : إذا عَضَّ بالفم كله عَضّاً شديداً . و(الوظيفة) : أصل استعمالها لذوات الأربع من الخيل والإبل ، وهي ما استدق من الذراع أو الساقين ، ففي البعير هي : ما بين الرسغ والذراع ، أو بين الرسغ والساق ، وجعلها الشاعر هنا للإنسان .
- (٥) انظر : الصحاح (وظف) ١٤٣٩ ، والفرق لابن فارس ٦١ ، وزينة الفضلاء للأثباري ٩١ ، والقاموس المحيط (أزم) ١٠٧٥ . قال الأزهري عن معنى البيت : «أكل أصابعه حتى أفناها بالعض ، فصار يعض وظيفة الذراع» . تهذيب اللغة (أزم) ١/ ١٥٦ .
- (٦) واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، عم النبي ﷺ ، الذي كفله بعد موت جده عبد المطلب ، وكان حديباً على أمر النبي ﷺ ، عطوفاً عليه ، منع عنه أذى قريش ، إلا أنه لم يُسَلِّم ، ومات على الشرك ، قبل الهجرة بثلاث سنين .

انظر : سيرة ابن هشام ١/ ١٩٣ ، ١٩٤ ، و٢/ ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) عجز بيت ، وصدره :

وقد حالقوا قوماً علينا أظنّة

وقد ورد منسوباً له في سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٦ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٠٥ ب ، والبحر المحيط ٣/ ٤١ ، والدر المصون ٣/ ٣٧٠ .

وأول البيت في تفسير الثعلبي ، والبحر : «وقد صالحوا قوماً عليهم أشحة» ، ولكن في البحر المحيط «علينا أشحة» .

قال المفسرون^(١) : وإنما ذلك لما يَرَوْنَ من ائتلاف المؤمنين ، واجتماع كلمتهم ، وصلاح ذات بَيْنِهِمْ .

وفي الآية تقديم وتأخير ؛ لأن التقدير : وإذا حَلَّوْا عَصُومًا الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ عليكم .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ ، خرج هذا مخرج الأمر ، وليس معناه الأمر ، لكنّه دعاء عليهم ، أمر الله نَبِيَّهٗ - عليه السلام - بأن يَدْعُوْا عليهم بهذا^(٢) .

ومعنى موتهم بِغَيْظِهِمْ : هو أن يَدُومَ غَيْظُهُمْ إلى أن يموتوا ، أو^(٣) يصير الغيظُ قَاتِلَهُمْ ، وسبب موتهم^(٤) .

والبيت من قصيدة طويلة يخاطب فيها أشراف قومه لما خافهم على النبي ﷺ ، بعد أن علا ذكره وظهر أمره ، وقفوا منه موقف العداء ، وفيها كذلك مدح للنبي ﷺ . انظر : حول هذه القصيدة طبقات فحول الشعراء ١ / ٢٤٤ .

(١) ممن قال ذلك قتادة ، والربيع ، والطبري . والعبارة هنا عبارة الطبري .

انظر : تفسير الطبري ٤ / ٦٦ ، ٦٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣ / ٧٤٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤ / ٦٧ . وقال أبو الليث : « يقول : موتوا بحتكم ، على وجه الدعاء والطرده واللعن ، لا على وجه الأمر والإيجاب ؛ لأنه لو كان على وجه الإيجاب لماتوا من ساعتهم . كما قال في موضع آخر : ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ [البقرة : ٢٤٣] فماتوا من ساعتهم ، وهاهنا لم يرد به الإيجاب . بحر العلوم ١ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

وذهب الضحاك إلى أن هذا يراد به الخبر ؛ أي يخبر عنهم أنهم يخرجون من الدنيا بالموت وهم بهذه الحسرة والغيظ . انظر : المرجع السابق .

(٣) في (ب) : (و) .

(٤) أي أن الباء هنا في ﴿ بِغَيْظِكُمْ ﴾ ، إما للحال ، أو للسببية .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما فيها من خير وشر . قال ^(١) النحويون ^(٢) : (ذات) تأنيث (ذو) . وإذا وَقَفَتْ ^(٣) على (ذات) ؛ فمنهم مَنْ يَدْعُ التَّاءَ على حالها ؛ لكثرة ما جرى على اللسان بالتَّاء ، ومنهم من يردها إلى هاء ^(٤) التأنيث ، وهو القياس .

وقال ابن الأنباري ^(٥) : ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ؛ أي بما فيها ^(٦) من خير وشر ^(٧) . معناه : بحقيقة القلوب من المضمرات . فتأنيث (ذات) ^(٨) لهذا المعنى ، كما قال : ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] ، فَأَنَّتَ لمعنى (الطائفة) ، كما يقال : لقيته ذات يوم ، فيؤنثون ؛ لأن مقصدهم : لقيته مرّة في يوم . وقد ذكرنا زيادة في الشرح والبيان عند قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْ الْجَمْعَانَ﴾ [آل عمران: ١٥٥] .

١٢٠ . قوله تعالى : ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَمْ﴾ الآية . (المس) أصله باليد ، ثم يُسَمَّى المقارب والمخالط : (ماساً) ؛ تشبيهاً بالمتناول للشيء ،

-
- (١) من قوله (قال . . .) إلى (عليم بذات الصدور) : مكرر مرتين في (أ) .
 (٢) هذا قول الليث في تهذيب اللغة (ذو) ١٢٩٩ / ٢ ، ونقله عنه المؤلف بتصرف يسير . انظر : اللسان (ذو) ١٤٧٧ / ٣ ، ١٤٧٨ .
 (٣) في (ب) و(ج) : (وقعت) .
 (٤) في (ب) : (تاء) .
 (٥) قوله في تهذيب اللغة ١٣٠٠ / ٢ . نقله عنه بتصرف يسير ، انظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، واللسان (ذو) ١٤٧٨ / ٣ .
 (٦) (أي بما فيها) : ساقط من (ج) .
 (٧) (من خير وشر) : ساقط من (ج) .
 (٨) في (ج) : (ذا) .

فيقال : (أَمُرَّكَ يَمَسُّنِي) ؛ أَي يَكْرِثُنِي ^(١) ، ويَهْمَنِي ، وَيَقْرُبُ مِنِّ قَلْبِي .
فَأَشْبَهَ بِذَلِكَ الْمَسَّ بِالْأَصَابِعِ ^(٢) .

ومعنى (الحسنة) هاهنا : النصر ^(٣) ، والغنيمة ، والخِصْب ^(٤) .

و(تَسُوْهُمْ) ؛ أَي تُخْزِيهِمْ ، يقال : (سَاءَهُ ، يَسُوْهُهُ ، مَسَاءَةً ^(٥) ، وَمَسَائِيَّةً ^(٦) ،
فَاسْتَاءَ ^(٧) ؛ أَي اهْتَمَّ ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿وَلِإِن تَصْبِكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ؛ أَي نَالَكُمْ ضِدَّ ذَلِكَ .

(١) يقال : (كَرَّهَ ، وَأَكْرَهَ الْعَمَّ) (يَكْرَهُهُ وَيَكْرُهُ) : اشدَّ عَلَيْهِ ، وَأَقْلَقَهُ ، وَحَرَّكَهُ . و(الاکتراث) :
الاعتناء . و(لا تكثر بالأمر) : لا تعباً به ، ولا تبال . وذكر ابن الأثير أنها لا تستعمل إلا في النفي ،
وقد جاءت في الإثبات وهو شاذ .

انظر : أساس البلاغة (كرث) ٣٠٢/٢ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٦١/٤ ، والتاج
٢٥٢/٣ .

(٢) يقال : (مَسَّتُ) بفتح السين الأولى وبكسر ها ، (أَمَسْتُ مَسًّا وَمَسِيًّا ، وَمَسَّيْتُ) : وهو ما كان باليد .
و(المس ، والمسيس) يُكْنَى بِهِ عَنِ النِّكَاحِ كَذَلِكَ .
ويقال : (مَسَّتْ) يَحْدِفُونَ السِّينَ الْأُولَى ، وَيَحْوِلُونَ كَسْرَهَا إِلَى الْمِيمِ ، أَوْ تَتْرِكُ الْمِيمَ مَفْتُوحَةً . انظر :
العين للخليل (مسس) ٢٠٨/٧ ، ٢٠٩ ، وإصلاح المنطق ٢١١ ، والمقاييس ٢٧١/٥ ، والفرق بين
الحروف الخمسة ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، وبصائر ذوي التمييز ٤٩٨/٤ .

(٣) في (ج) : (النصرة) .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٠٣/١ ، وتفسير الطبري ٦٧/٤ ، وبحر العلوم ٢٩٥/١ ،
وتفسير ابن كثير ٤٢٩/١ . لفظ الآية في (الحسنة) و(السيئة) عامٌّ ، لم يخصص نوعاً منها دون نوع ،
فيدخل فيها ما يحسن ويسوء كله . وما ذكره المؤلف من النصر والغنيمة والخِصْب ، إنها هو على سبيل
التمثيل لها . انظر : المحرر الوجيز ٢٩٢/٣ .

(٥) في (ج) : (سأه يسوه مساه) .

(٦) في (أ) و(ب) و(ج) : (مساية) . والمثبت من كتب اللغة . وفي القاموس المحيط (سوء) ٤٣ قال :
(ومسائية مقلوباً ، وأصله : مساوئة) .

(٧) في (أ) : (فاستاء) ، والمثبت من (ب) و(ج) وكتب اللغة .

(٨) انظر : (سوء) في تهذيب اللغة ١٧٩٥/٢ ، ١٧٩٦ ، والقاموس ٤٣ .

ويقال: (سَاءَ^(١) الشيءُ)، (يسوءُ^(٢))، فهو سيئٌ، والأنثى: (سيئةٌ)؛ أي قَبَحَ^(٣). ومنه قوله: ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]. و(سَوَّأْتُ على الرجل^(٤) فعلُهُ)؛ أي قَبَحْتُه عليه، وعَبَّئْتُ به. و(السُّوءَى)^(٥): ضد الحُسْنَى، و(السَّوَاءُ)^(٦): المرأة القبيحة^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا﴾؛ أي على ما تسمعون منهم، وعلى أذاهم. و﴿وَتَتَّقُوا﴾، قال ابن عباس^(٨): وتخافوا ربَّكم، في سرِّكم وعلايتكم. وقال غيره^(٩): وتتقوا مقاربتهم في دينهم، والمحبة لهم.

(١) في (ج): (أسى).

(٢) (يسوء): ساقطة من (ج).

(٣) في (ب): (قبيح).

(٤) في (ب): (الوجه).

(٥) في (ج): (السوى).

(٦) في (ب): (السؤا). وفي (ج): (السوا).

(٧) انظر: المصادر السابقة.

قال ابن عطية: «وذكر - تعالى - المسَّ في (الحسنة)؛ لِيُبَيِّنَ أن بآدنى طروء الحسنة تقع المساءُ بنفوس المبغضين، ثم عادل ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة، وهي عبارة عن التمكن؛ لأن الشيء المصيب لشيء، فهو متمكن منه أو فيه، فدلَّ هذا المترعُّ البليغُ على شدة العداوة، إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد، بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين، وهكذا هي عداوة الحسد في الأغلب، ولا سيما في هذا الأمر الجسم الذي هو ملاك الدنيا والآخرة». المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٨) لم أقف على مصدر قوله. والذي في زاد المسير (شرك) ١/ ٤٤٨ من قول ابن عباس.

(٩) لم أهتد لقاتل هذا القول. وقد يفهم ذلك من عبارة الطبري في تفسيره ٤/ ٦٨، وحيث قال: «وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله، واتباع أمره في ما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين، وغير ذلك من سائر ما نهاكم...».

﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، يقال: (ضَارَهُ، يَضِيرُهُ، ضَيْرًا)، و(يَضُورُهُ ضُورًا): إذا ضَرَّهُ^(١).

وَقُرِئَ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ مُشَدَّدًا^(٢) من: الضَّرَّ^(٣)، وأصله: (يَضُرُّكُمْ) جَزْماً، وأُدْغِمَتْ^(٤) الرَّاءُ فِي الرَّاءِ، ونقلت ضَمَّةُ الرَّاءِ الأولى إلى الضاد، وَضُمَّتِ الرَّاءُ الأخيرةُ إِتْبَاعاً لأقرب الحركات إليها، وهي حركة الضادِ، كقولهم: مُدِّيَا هذا^(٥).

واعلم أنه إذا كان قبل الحرف المُدْغَمُ^(٦) حرفٌ مضمومٌ، فلك في تحريك الأخير ثلاثة أوجه؛ الضَّمُّ للإِتْبَاعِ، والكسْرُ على أصل ما يجب^(٧) في التقاء الساكنين، والفتْحُ للخفة.

(١) انظر: الزاهر ١٧٤/٢، وتهذيب اللغة (ضور) ٢٠٧٨/٣، واللسان (ضور) ٢٦١٩/٥، ضير ٢٦٢٣/٥.

(٢) هي قراءة عاصم، وابن عامر، وحمة، والكسائي، بضم الصاد، وتشديد الراء المرفوعة. انظر: السبعة ٢١٥، والحجة للفارسي ٧٤/٣.

(٣) انظر: الحجة لابن خالويه ١١٣. وورد في اللسان: (الضَّرُّ، والضَّرُّ): ضد النفع. و(الضَّرُّ): المصدر، و(الضَّرُّ): الاسم. وقيل: إذا جمعت بين الضَّرِّ والنفع، فتحت الضاد، وإذا أفردت الضَّرُّ، ضمنت الضاد، إذا لم يجعله مصدراً.

وقال: وَضَرَهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا، و(ضَرَّ بِهِ وَأَضَرَّ بِهِ)، و(ضَارَهُ مُضَارَةً، وَضَرَارًا) والاسم: (الضَّرُّ).
اللسان (ضرر) ٢٥٧٣/٥، وانظر: تفسير الطبري ٦٨/٤.

(٤) في (ج): (فأدغمت).

(٥) انظر: المغني لابن هشام ٧١٧، ٧١٨؛ حيث لم ير في إعرابها إلا أنها مجزومة، وأن الضم اتباع، كالضمة في قولك: (لَمْ يَشُدُّ، وَلَمْ يَرُدُّ).

(٦) (المدغم): ساقطة من (ب).

(٧) في (ب): (التأنيث)، بدلاً من (ما يجب).

قال جرير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ^(١)

يُنْشَدُ بِاللُّغَاتِ الثَّلَاثِ^(٢) . ولا يجوز في القراءة إلا الرفع ، على ما قرأته القُرَّاءُ
الْمُتَّبِعُونَ^(٣) .

(١) صدر بيت ، وتماهه :

فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابًا

وهو في ديوانه ٦٣ ، وورد في كتاب سيبويه ٥٣٣ / ٣ ، والمقتضب ١٥٨ / ١ ، والمصون في الأدب ١٩ ،
والعمدة ١٢٦ ، و١٢٧ ، و٨٤٤ ، و١٠٥٣ ، وشرح المفصل ١٢٨ / ٩ ، والمقاصد النحوية ٤ / ٤٩٤ ،
ومنهج السالك ٢٥٢ / ١ ، والتصريح ٤٠١ / ٢ ، وجمع الهوامع ٢٨٨ / ٦ ، وخزانة الأدب ٧٢ / ١ ،
و٥٣١ / ٦ ، و٣٠٦ / ٩ ، و٥٤٢ ، وشرح شواهد شرح الشافية ١٦٣ / ٤ .

والبيت من قصيدة طويلة له ، يهجو فيها الراعي النميري ، ويُعَرِّضُ بقومه .

(٢) أي يقال : (فَغُضَّ) بضم الضاد المشددة ، وفتحها ، وكسر ها . انظر في ما ذكره المؤلف سابقاً : معاني
القرآن للقراء ٢٣٢ / ١ ، والطبري ٦٨ / ٤ .

(٣) أي لا يجوز في قراءة : ﴿لَا يَضْرُكُكُمْ﴾ إلا الرفع في الراء ، من ناحية القراءة القرآنية ، مع صحة
قراءتها بالفتح والكسر من ناحية اللغة كما ذكر المؤلف ؛ لأن الراء الثانية مُدْعَمَةٌ في الراء الأولى ، مع
سبقها بحرف مضموم .

وقد وردت قراءة أخرى صحيحة ، متواترة ، وهي : (لَا يَضْرُكُكُمْ) على التخفيف ، بتسكين الراء وكسر
الضاد المخففة ، وقد قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، ورواية أخرى عن حمزة . انظر :
السبعة ٢١٥ .

قال الفارسي : «فكلتا القراءتين حسنة ؛ لمجيئها جميعاً في التنزيل» . الحجة ٧٥ / ٣ . وانظر : المحلى
لابن شغير ١٧ .

ووردت قراءات أخرى شاذة ، وهي قراءة عاصم برواية أبي زيد عن المفضل عنه : «لَا يَضْرُكُكُمْ» بضم
الضاد وفتح الراء المشددة . وقرأ الضحاك : (يَضْرُكُكُمْ) بضم الضاد ، وكسر الراء المشددة .
انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣٦١ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٨٤ / ٤ ، والبحر المحيط ٤٣ / ٣ .

قال أبو إسحاق^(١) : ضَمِنَ الله - عز وجل - للمؤمنين النصرَ إن صَبَرُوا ،
وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ عَدَاوَتَهُمْ^(٢) وَكَيْدَهُمْ غَيْرُ ضَارٍّ لَهُمْ .

والكَيْدُ في اللغة : الاحتيال بغير ما يبدي^(٣) ، وهو أن يَحْتَالَ لِيُعْتَالَ صاحِبُهُ ،
ويُوقِعُهُ في مكروهه^(٤) . وابن عباس فَسَّرَ الكَيْدَ بالعداوة^(٥) .

[وَرُدَّ عَلَى الْفِرَاءِ]^(٦) [في هذه الآية شيئان :

أحدهما : أنه قال^(٧) : وَلَوْ^(٨) قُرِئَ : (لَا يُضْرَكُم) بضم الضاد ، جاز ؛
فقد سمع الكسائي بعضَ أهلِ الْعَالِيَةِ^(٩) يقول : [(لَا يَنْفَعُنِي ذَاكَ^(١٠) وَلَا
يُضَوِّرُنِي)^(١١) .

(١) في معاني القرآن له ١ / ٤٦٥ . نقله عنه بنصه .

(٢) في معاني القرآن : (عدوانهم) .

(٣) في (ج) : (ما مدى) .

(٤) أصل (كَيْدٌ) في اللغة يدل على معالجة شيء بشدة ، ثم يتسع بابه ويدخل فيه المعنى المراد هنا الذي ذكره المؤلف وهو الاحتيال لإيقاع مكروه بالآخر ؛ لأنه فيه معالجة وبذل وُسْع ، واجتهاد للمكر والإضرار بالآخرين . انظر : المقاييس (كيد) ٥ / ١٤٩ . وعَرَّفَ الجرجاني (الكيد) ، فقال : «إرادة مضرّة الغير خفية ، وهو من الخلق : الحيلة السيئة» . التعريفات ١٨٩ . وانظر : اللسان (كيد) ٧ / ٣٩٦٦ ، والتوقيف على مهمات التعاريف ٦١٤ .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) ، وساقط من (ب) ، والمثبت من (ج) .

(٧) في معاني القرآن له ١ / ٢٣٢ . نقله عنه بمعناه .

(٨) ما بين المعقوفين مطموس في : (أ) ، والمثبت من (ب) و(ج) .

(٩) العالِيّة : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة إلى تهامة ، وهي عالية الحجاز ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة . وقيل : هي ما جاوز الرُّمّة ، وهي أرض واسعة بنجد تنصب فيها عدّة أودية ، إلى مكة . انظر : معجم البلدان ٤ / ٧١ .

(١٠) (ذاك) مطموس في (أ) . وساقط من (ب) . ومثبت من (ج) ، وتهذيب اللغة ٣ / ٢٠٧٨ . وفي معاني القرآن : (ذلك) .

(١١) (يضورني) : مطموسة في (أ) . وفي (ب) : (يضريني) . والمثبت من (ج) ، وتهذيب اللغة ٣ / ٢٠٧٨ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١ / ٢٣٢ ، وتفسير الطبري ٤ / ٦٨ .

قال الزَّجَّاج^(١) : وهذا غير جائز ، لا يُقرأ حرفٌ من كتاب الله - عز وجل - بخلاف الإجماع ، على قول رجل من أهل العالية . وهذا كما قاله ؛ لأن القراءة بالسَّماع والتَّوقيف ، لا بالجَوَازِ في اللغة .

والآخر : أنه قال^(٢) في قوله : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ على قراءة من قرأ بالتشديد : يجوز أن يكون جواب الشرط فَاء مُضْمَرَةٌ^(٣) ، ويكون (لا) بمعنى (ليس) ، والتقدير : فليس يَضُرُّكُمْ كيدهم شيئاً .
وأنشد^(٤) على هذا بيتاً^(٥) .

-
- (١) في معاني القرآن له ٤٦٥ / ١ . نقله عنه بتصرف يسير .
(٢) في معاني القرآن له ٢٣٢ / ١ . نقله عنه بمعناه .
(٣) (فاء مضمرة) : مطموس في (أ) ، وساقط من (ب) . والمثبت من (ج) .
(٤) من قوله : (وأنشد . . .) إلى (من حذف الفاء) : مطموس في (أ) . وساقط من (ب) . والمثبت من (ج) .
(٥) البيت هو :

فإن كان لا يُرضيكَ حتى تَرُدَّنِي إلى قَطْرِي لا إخالُكَ راضياً
وقائله ، هو سَوَّار بن المُضَرَّب السعدي التميمي .

وقد ورد البيت في النواذر لأبي زيد ٥٤ ، والكمال للمبرِّد ١٠٢ / ٢ ، والطبري ٦٨ / ٤ ، والقراءات للأزهري ١٢٤ / ١ ، والخصائص ٤٣٣ / ٢ ، والمحاسب ١٩٢ / ٢ ، وأمالى ابن الشجري ١٨٥ / ١ ، وشرح المفصل ٨٠ / ١ ، والمقاصد النحوية ٤٥١ / ٢ ، ومنهج السالك ٤٥ / ٢ ، والتصريح ٢٧٢ / ١ .
والشاعر يخاطب الحَجَّاجَ لما أراد بعثه وقومه بني تميم لقتال الخوارج وزعيمهم قَطْرِي بن الفجاءة .
ويعبر الشاعر عن رفضه لهذا الأمر .
والشاهد في البيت قوله : (لا إخالُكَ) ؛ أي فلست إخالُكَ ، برفعها .

قال النحويون : وهذا غلطٌ ، مَنْ حَذَفَ الفاءَ ، إنما^(١) يجوز لِضُرورة الشعر^(٢) ، والقرآن لا يُحتمل^(٣) على ضرورة الشعر^(٤) ، سِيَّما إذا كان لرفع الراء في ﴿يَضْرُكُكُمْ﴾ وجهٌ حسن .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ، أي عالم به ؛ على معنى : أنه باقتداره عليه ، وعلمه به^(٥) ، قد^(٦) حَصَرَهُ مِنْ^(٧) جميع جهاته ، كما حَصَرَهُ^(٨) المحيطُ به . هذا معناه وحقيقته ؛ لأن المحيط بالشيء هو المحيط به من حواليه ، وهذا من صفة الإحكام^(٩) [١٠] .

١٢١ . قوله تعالى^(١١) : ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(١٢) الآية .

- (١) في (ب) : (وإنما) . والمثبت من (ج) . وهو الصواب .
- (٢) انظر : كتاب سيبويه ٣ / ٦٤ ، ٦٥ ، والمقتضب ٢ / ٧١ ، والمغني لابن هشام ٨٠ ، ١٣٣ ، و٢١٨ ، و٣١١ ، و٨٣٢ . وذكر ابن هشام أن المبردَ منع حذف الفاء حتى في الشعر . انظر : المغني ٢١٩ . إلا أن الظاهر من كلام المبرد في كتابه المقتضب ٢ / ٧٢ خلاف ما ذكره ابن هشام . انظر : تعليق محقق المقتضب في هامش ٢ / ٧٢ ، ٧٣ .
- وأجاز الأخفشُ حذفَ الفاء في جواب الشرط في القرآن . انظر : معاني القرآن له ١٥٨ / ١ عند تفسيره لآية ١٨٠ من سورة البقرة ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ . وردَ بأن ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ نائب فاعل لـ ﴿كُتِبَ﴾ ، وجواب الشرط محذوف ، وهو (فَلْيُوصِ) . انظر : المغني ١٣٣ ، و٢١٩ .
- (٣) في (ج) : (لا يحمل) .
- (٤) في (ب) : (الشاعر) .
- (٥) أنه باقتداره عليه وعلمه به : مطموس في (أ) . وساقط من (ب) . ومثبت من (ج) .
- (٦) في (ج) : (ود) . والمثبت من (ب) .
- (٧) في (ج) : (في) . والمثبت من (ب) .
- (٨) في (ج) : (بحصره) ، والمثبت من (ب) .
- (٩) في (ج) : (الأجسام) ، والمثبت من (ب) .
- (١٠) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .
- (١١) قوله تعالى : ساقط من (ج) .
- (١٢) ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ : ليس في (ب) .

مضى^(١) الكلام [في (إذ) في مواضع^(٢)، والعامل فيه هاهنا محذوف، وهو اذكر. وحُذِفَ؛ لأن الحال تدل على أن^(٣)] المعنى تذكير لتلك الحال.

قال ابن عباس^(٥)، وقتادة^(٦)، والربيع^(٧)، والسدي^(٨)، وأكثر المفسرين^(٩): هذا كان يوم أُحُد، غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة إلى أُحُد^(١٠)، فجعل يصف أصحابه للقتال.

قال ابن عباس^(١١): ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾؛ يريد: من^(١٢) منزل عائشة^(١٣).

-
- (١) مضى: مطموسة في (ج).
 - (٢) منها: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥].
 - (٣) (أن): ليست في (أ) و(ج). ومثبتة من (ب).
 - (٤) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، ومثبت من (ب) و(ج).
 - (٥) قوله في تفسير الطبري ٧٠ / ٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٤٨ / ٣، والنكت والعيون ٤٢٠ / ١.
 - (٦) انظر: المصادر السابقة.
 - (٧) انظر: المصادر السابقة.
 - (٨) انظر: المصادر السابقة.
 - (٩) ممن قال بذلك: ابن مسعود رضي الله عنه، ومجاهد، والكلبي، والزهرى، وابن إسحاق، والطبري. انظر: المراجع السابقة، وسيرة ابن هشام ٥٨ / ٣، وبحر العلوم ٢٩٥ / ١، وزاد المسير ٨٨٤ / ١. والدر المنثور ١٢٠ / ٢ وما بعدها.
 - (١٠) المصادر التي أشرت إليها، وقد ذكرت أقوال من سبق ذكره، ولكن لم تذكر أنه ﷺ - خرج من منزل عائشة رضي الله عنها.
 - (١١) لم أقف على مصدر قوله.
 - (١٢) (من): ساقطة من (ج).
 - (١٣) ومن ذكر أن المنزل الذي خرج منه ﷺ هو منزل عائشة: أبو الليث في بحر العلوم ٢٩٥ / ١، والثعلبي في تفسيره ١١٠٧ / ٣، والبغوي في تفسيره ٩٦ / ٤، وقد نسباه لمجاهد، والكلبي، والواقدي، وابن الجوزي في الزاد ٤٤٩ / ١، وابن الديبع في حقائق الأنوار ٥٢١.

وقوله تعالى : ﴿ تَبَوَّئِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقال : (بَوَّأْتُهُ مَنْزِلاً) ، و(بَوَّأْتُ لَهُ مَنْزِلاً) ؛ أي أنزلته إيَّاهُ^(١) .

قال ابن هرمة^(٢) :

وَبَوَّأْتُ فِي صَمِيمٍ مَعَشَرَهَا فَكَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا^(٣)
وفي قراءة عبدالله : (تَبَوَّئِ لِلْمُؤْمِنِينَ)^(٤) . و(الْبَاءُ)^(٥) ، و(الْبَاءُ)^(٦) :
المنزل^(٧) .

قال أبو علي^(٨) : بَوَّأْتُ فُلَانًا^(٩) مَنْزِلاً ، تُعَدِّيهِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، وَكَأَنَّهُ مَنْقُولٌ مِنْ قَوْلِكَ : بَاءَ فُلَانٌ مَنْزِلَهُ ؛ أَي لَزِمَهُ . وَإِنْ كُنَّا لَا نَرَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ يَدُلُّ عَلَى

(١) انظر : تفسير الطبري ٧٢ / ٤ ، والصاحح (بوأ) ٣٧ / ١ ، واللسان ٣٨٢ / ١ .

(٢) هو أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة القرشي ، من الخُلُج ، وهم من قيس بن الحارث بن فهر . سكن المدينة ، وهو من آخر الشعراء الذين يُحْتَجُّ بشعرهم ، قال الأصمعي : «خُتِمَ الشعرُ بابنِ هرمة» ، عاصر الدولة الأموية والعباسية ، مات بعد سنة (١٥٠ هـ) تقريباً . انظر : طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٠ ، وتاريخ بغداد ١٢٧ / ٦ ، وخزانة الأدب ٤٢٤ / ١ .

(٣) البيت ورد منسوباً له في مقاييس اللغة (بوأ) ٣١٢ / ١ ، وورد غير منسوب في اللسان (بوأ) ٣٨٢ / ١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٣٣ / ١ ، وتفسير الطبري ٧٢ / ٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٦٢ / ١ .

(٥) في (ج) : (والمباه) .

(٦) في (ج) : (والمباه) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (بوأ) ٢٤٦ / ١ .

(٨) لم أقف على مصدر قوله .

(٩) في (ب) : (لفلان) .

ذلك قولهم : (المَبَاءة)^(١) ، وهي المَرَاخُ^(٢) الذي تبيت فيه النَّعَم^(٣) : [اسْم]^(٤) للمكان^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿مَقْلَعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ ؛ أي^(٦) : مواطن . قال ابن عباس^(٧) : كل رجل لمقعدِهِ الذي يصلح له .

وقد بيَّنا أن معنى القُعود - في أصل اللغة - الثُّبُوت على أي حال كانت ، عند قوله : ﴿أَلْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

فمعنى ﴿مَقْلَعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ : مراكز^(٨) ، ومَثَابَت ، لا مَجَالِس^(٩) .

(١) في (ج) : (المباه) .

(٢) تضبط (المَراح) بضم الميم ، إذا كانت من (أراح) الرباعي ، وهو حيث تأوي الماشية بالليل . أما (المَراح) بفتح الميم ، إذا كانت من (راح) الثلاثي . وقد ضبطت بالضم في تفسير الطبري ٧٢/٤ ، والتهذيب (راح) ١٣٠٩/٢ ، والقاموس (روح) ٢٧٢ ، واللسان (روح) ١٧٦٩/٣ ، والمصباح المنير (روح) ٩٣ .

(٣) في (ج) : (الغنم) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (بوأ) ٢٤٦/١ ، ومقاييس اللغة (بوأ) ٣١٢/١ ، والمصباح المنير (روح) ٩٣ . ولم أعثر في كتب اللغة التي رجعت إليها على : (باء فلان منزله) بمعنى : لزمه ، وإنما تأتي (باء) بمعنى الرجوع ، واللزوم ، والإقرار ، إذا عُدَّتْ بالباء ، أو بـ (إلى) ، ومنه : (باء بإثمه ، يُبوء بؤءاً) و(أبوء بذنبي) ؛ أي ألتزم وأرجع وأقر . و(باء بالشيء) : رجع . ويقال كذلك : بَاء فلانٌ لفلان ، بؤءاً ، وبؤءاً : إذا كان مكافئاً له ، يقتل به . أما (المَبَاءة) فهي من (أَبَأْتُ الإِبِلَ مَبَاءَةً) : أنخت بعضها إلى بعض ، فيتعدى الفعل هنا بالهمزة . انظر : (بوأ) في تهذيب اللغة ٥٩٤/١٥ ، والصحاح ٣٧/١ ، واللسان ٣٨٢/١ .

(٦) من قوله : (أي . . .) إلى (. . . مقاعد للقتال) : ساقط من (ج) .

(٧) لم أقف على مصدر قوله .

(٨) في (ج) : (مراكب) .

(٩) قال ابن دريد : والمقاعد موضع القعود في الحرب وغيرها . الجمهرة (قعد) ٦٦١/٢ .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . قال ابن عباس ^(١) : يريد : سميعٌ لقولكم ، عليمٌ بما في قلوبكم ؛ وذلك أن رسول الله - ﷺ - استشار أصحابه في ذلك الحرب ^(٢) ، فمنهم من أشار عليه بأن يقيم في المدينة ، ومنهم من أشار عليه بالخروج إليهم ، فقال الله تعالى : أنا ﴿سَمِيعٌ﴾ لما يقوله المشيرون عليك ^(٣) ، ﴿عَلِيمٌ﴾ ^(٤) بما يُضْمِرُونَ .

١٢٢ . قوله تعالى : ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ ، قال الزجاج ^(٥) : العامل في (إذ) ^(٦) : التَّبَوُّة ؛ المعنى : كانت التَّبَوُّةُ في ذلك الوقت . و﴿هَمَّتْ﴾ ؛ أي قَصَدَتْ وأرادت . يقال : هَمَمْتُ بالشَّيْءِ ، أَهَمُّ

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) هكذا جاءت : (ذلك الحرب) على التذكير . والمعروف أن الحرب مؤنثة ، لكن حكى ابن الأعرابي والمبرد فيها التذكير ، ولكنها نادرة ، وقد تُذَكَّرُ إذا ضُمَّتْ معنى القتال . انظر : (حرب) في الصحاح ١٠٨/١ ، واللسان ٨١٥/٢ .

(٣) في (ج) : (عليكم) .

(٤) (عليم) : ساقطة من (ج) .

(٥) في معاني القرآن له ٤٦٥/١ . نقله عنه بنصه .

(٦) في (ب) : (إذا) .

به هَمًّا^(١). والطائفتان - في قول ابن عباس وأكثر المفسرين -^(٢) بُنُو
سَلَمَةَ^(٣) مِنَ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ^(٤).

(١) انظر: اللسان (همم) ٨/ ٤٧٠٢.

(٢) قول ابن عباس في تفسير الطبري ٧٢/ ٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٤٩/ ٣.

وهو قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والسدي، والشعبي.
انظر: صحيح البخاري ٤٠٥١، وفي كتاب المغازي، باب (إذ همت طائفتان...) و(٤٥٥٨) في
كتاب التفسير. سورة آل عمران. باب (إذ همت طائفتان...)، وتفسير الطبري ٧٢/ ٤، وتفسير
ابن أبي حاتم ٧٤٩/ ٣.

(٣) في (ب): (بنو أسلمة). و(سَلَمَةَ) بفتح السين وكسر اللام، وترد في بعض المراجع بفتح اللام، وهو
خطأ.

قال الأستاذ محمود شaker: «بنو سَلَمَةَ، بفتح السين وكسر اللام، وليس في العرب (سَلَمَةَ) - بكسر
اللام - غيرها، وسائرهما بفتح اللام. وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سادرة بن يزيد بن
جشم بن الخزرج». هامش تفسير الطبري ١٦١/ ٧. (ط. شaker).

ويذكر ابن الأثير أن النسبة إلى سَلَمَةَ بن سعد المذكور سابقاً: (السَلَمي) عند النحويين، وينطقونها
بفتح اللام، وأما المُحَدِّثُونَ فينطقونها (السَلَمي) بكسر اللام. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب
١٢٩/ ٢.

وقد ورد ضبطها بالكسر في المغازي للواقدي ٣١٩/ ١، والمعارف لابن قتيبة ١٠٩، و١٥٩،
وتاريخ الطبري ٣٥٤/ ٢، و٣٥٦، والاشتقاق لابن دريد ٥٦٦، وعيون الأثر ٩/ ٢، وفتح الباري
٣٥٧/ ٧.

(٤) هم بنو حارثة بن النبت، أو النبيت، من الأوس. انظر: سيرة ابن هشام ٥٨/ ٣، والمعارف ١١٠،
و١٥٩، وتفسير الطبري ٧٢/ ٤، ومعاني القرآن للنحاس ٤٦٩/ ١، والتعريف والإعلام للسهيلى
٧٧.

وكان سبب ذلك أن^(١) عبدالله بن أبي أنخزل^(٢)، فرجع عن الطريق في ثلاثمائة، وهمت الطائفتان بالانصراف معه، فعصمهم الله، فلم ينصرفوا ومضوا مع رسول الله ﷺ^(٣).

والفشل: الجُبْنُ، والخَوَرُ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، قال ابن عباس^(٥): يريد: ناصرهما، ومُوالٍ لهما على مَنْ عاداهما^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، التَّوَكَّلَ: تَفَعَّلَ، مِنْ: (وَكَلَ أَمْرُهُ إِلَى فُلَانٍ): إذا اعتمد في كفايته عليه، ولم يَتَوَلَّهْ بنفسه^(٧). وفي الآية إشارة إلى

(١) (أن): ساقطة من (ج).

(٢) انخزل؛ أي انفرد وانقطع. و(الْحَزْلُ، والاختزال، والانخزال): القطع والتقطع. انظر: المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث ١/ ٥٧٤، والنهاية في غريب الحديث (خزل) ٢٩/٢.

(٣) وبقي من المجاهدين مع رسول الله ﷺ سبعمائة أجمعين، بعد رجوع ابن أبي ومن معه من ثلاثمائة، وكان عدد المشركين ثلاثة آلاف.

انظر: خبر هذه الغزوة في سيرة ابن هشام ٣/ ٣ وما بعدها، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣٦، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٩٩ وما بعدها، والمنتظم لابن الجوزي ٣/ ١٦١، والكامل في التاريخ ٢/ ١٠٣، وعيون الأثر ٢/ ٥، والبداية والنهاية ٣/ ١٠، وحنائق الأنوار لابن الديبع ٢/ ٥١٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٧٤، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٤٦٥، وتفسير المشكل من غريب القرآن لمكي ٥١، وتذكرة الأريب لابن الجوزي ١/ ٩٨، وتحفة الأريب لأبي حيان ٢٤٧. قال ابن عباس: «أَنْ تَفْشَلَا» يعني: أَنْ تَجْبُنَا، بلغة حمير. اللغات في القرآن ٢٠. لم أقف على مصدر قوله.

(٦) وقد فسرهما ابن إسحاق بقوله: «المدافع عنها» ما همتا به من فشلها؛ وذلك أنه إنما كان ذلك منها عن ضعف ووهن أصابها، غير شك في دينها، فتَوَلَّى دفع ذلك عنها برحمته وعائده، حتى سلمتا من وهونها وضعفهما، ولحقنا بالنبي ﷺ. سيرة ابن هشام ٣/ ٥٨. وانظر: تفسير الطبري ٤/ ٧٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٤٩.

(٧) «والتوكل: إظهار العجز، والاعتداء على الغير، والاسم: التَّكْلَانُ». القاموس (وكل) ١٠٦٩. وانظر: مقاييس اللغة (وكل) ٦/ ١٣٦.

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَدْفِعَ^(١) الْإِنْسَانُ مَا يَعْضُضُ لَهُ مِنْ حَرْفٍ^(٢) وَمَكْرُوهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَأَنْ^(٣) يَصْرِفَ الْجَزَعَ^(٤) عَنْ نَفْسِهِ بِالتَّوَكُّلِ .

١٢٣ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ الْآيَةِ^(٥) .

النَّصْرُ : حُسْنُ الْمَعُونَةِ^(٦) . وَبَدْرٌ : بَيْتٌ^(٧) لِرَجُلٍ [يُقَالُ] لَهُ^(٨) : بَدْرٌ^(٩) ، سُمِّيَتْ بِاسْمِ صَاحِبِهَا ، فِي قَوْلِ الشَّعْبِيِّ^(١٠) .

(١) في (ب) : (يدفع) .

(٢) في (ج) : (حرب) . وما في نسخة (ج) له وجاهته ، ومناسبتها التامة هنا ؛ لأن المقام هنا مقام حديث عن الحرب ، إلّا أن ما أثبتته ، وهو في نسخة الأصل (أ) و(ب) ، له وجهه كذلك ؛ لأن (الحرف) من (حَرَفَ الشَّيْءَ ، يحرف حَرْفًا) ، و(انحرف ، وتحرف) : عَدَلَ . ومال عن الشيء ، وحَرَفَ الشيء عن وجهه : صرفه . فيكون معناها في هذا الموضع هو الصرف والميل والعدول عن الأمر السوي . وهو ما كان من أمر الطائفتين اللتين همتا بالميل والانصراف عن القتال مع النبي ﷺ ، وهذا يستدعي أن يدفع الإنسان هذا الوهم الشيطاني عن نفسه بالتوكل . انظر : (حرف) في اللسان ٨٣٩/٢ ، والقاموس ٧٩٩ .

(٣) في (ج) : (أن) .

(٤) في (ب) : (الجزع) . الْجَزَعُ : نقض الصبر . وهو أبلغ الحزن ، الذي يصرف الإنسان عما هو بصده ، ويقطعه عنه . يقال : (جَزَعَ جَزْعًا ، وَجُزِعُوا) . انظر : (جزع) في مفردات ألفاظ القرآن ١٩٤ ، والقاموس ٧٠٩ . (الآية) : ساقطة من (ب) .

(٦) انظر : (نصر) في المجمل ٨٧٠ ، ومفردات ألفاظ القرآن ٨٠٨ .

(٧) (بئر) : ساقطة من (ب) و(ج) .

(٨) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ) . وفي (ب) : (اسمه) بدلًا من (يقال له) . وأثبتته من (ج) . وهكذا جاءت العبارة في تفسير الثعلبي ١٠٨/٣ ب . ويبدو أن المؤلف نقلها عنه .

(٩) في (ب) : (وبدر كان رجل اسمه بدر) .

(١٠) بَيِّنُ الشَّعْبِيِّ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ جِهْنَةٍ . انظر : قوله في مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٣/٧ رقم (٣٦٦٤٦) ، والطبقات الكبرى ٢٧/٢ ، والمعارف ١٥٢ ، وتفسير الطبري ٧٤/٤ ، ٧٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/٧٥٠ ، وتفسير الثعلبي ١٠٨/٣ ب ، ومعجم ما استعجم ٢٣١/١ ، وأورده السيوطي في الدر ١٢٣/٢ وزاد نسبة إخراجها إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

وذكر ابن قتيبة والسهيلي أن بدرًا - هذا - رجل من غفار ، من بطن يقال لهم : بنو النار . وقيل : إن بدرًا - هذا - هو ابن قريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة .

انظر : المعارف ١٥٢ ، والتعريف والإعلام للسهيلي ٧٧ ، ٧٨ .

يدل على هذا قولُ حَسَّان^(١) :

وَبِئْسَ إِذْ يَرُدُّ وَجوهَهُمْ جبريلُ تحتَ لوائِنا وَمُحَمَّدٌ^(٢)

وقال الواقدي^(٣) عن شيوخه^(٤) : (بدر)^(٥) ، هو اسمُ لمَوْضِعٍ^(٦) .

وقيل : هو ماءٌ^(٧) لبني غِفَارٍ^(٨) ، بين مكة والمدينة^(٩) .

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) البيت لكعب بن مالك الأنصاري ، وليس لحسان ، ولم أقف عليه في ديوانه ، ولم أجد من نسبه له . رضي الله عنها .

وهو في ديوان كعب ١٩١ ، وورد منسوباً له في العملة لابن رشيق : ٧٩٩ ، ومعجم ما استعجم ٢٣٢ .

وفي المعجم : (... نَرُدُّ ...) بدلاً من (... يَرُدُّ ...) .

والبيت من قصيدة يرثي فيها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، عم النبي ﷺ .

والضمير في (وجوههم) يعود على المشركين الذين قُتلوا وغُيِّبوا في قليب بدر بعد المعركة .

(٣) لم أهدأ إلى قوله هذا في كتابه المغازي ، وقد ورد في الطبقات الكبرى ٢/ ٢٧ ، وتفسير الطبري ٤/ ٧٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٠٨ ب ، ومعجم ما استعجم ٢٣١ / ١ .

والواقدي ، هو محمد بن عمر بن واقد السَّهْمِي ، تقدمت ترجمته .

(٤) عن شيوخه : ساقطة من (ب) .

(٥) (بدر) : زيادة من (ب) .

(٦) وفي هذا الخبر عنه ، أن الواقدي ذكر قول شيوخه هذا ليحيى بن النعمان الغفاري ، فقال : «سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون : هو مأواؤنا ومنزلنا ، وما مكَّه أحدٌ قطُّ يقال له بدر ، وما هو من بلاد جهينة ، إنما هو من بلاد غفار . قال الواقدي : وهو المعروف عندنا» معجم ما استعجم ٢٣١ / ١ .

(٧) (ماء) : ساقط من (ب) .

(٨) (بني) : (لبنّي عفان) .

(٩) ورد عن الربيع ، والضحاك ، وقتادة ، أنه ماء بين مكة والمدينة . وليس فيه أن هذا الماء لبني غفار . انظر : تفسير الطبري ٤/ ٧٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٥٠ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١٠٧ ب ، ومعجم ما استعجم ١/ ٣٠٧ ، والدر المنثور ٢/ ١٢٣ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ في موضع الحال، وإنَّما كانوا أَذِلَّةً؛ لقلة العدد، وضعف الحال^(١)؛ لقلة^(٢) السلاح والمال عن مقاومة العدو^(٣).

ومعنى الذلّ: الضَّعْفُ عن المقاومة. ونقيضه: العِزُّ، وهو القوة والغلبة^(٤).

و﴿أَذِلَّةٌ﴾^(٥): جمع ذليل. والأصل في (فَعِيل)، إذا كان صفةً، أن يجمع على فُعَلَاءَ، نحو: (ظَرِيفٌ وَظُرَفَاءَ)، و(شَرِيكٌ وَشُرَكَاءَ)، ولكن لفظ^(٦) فُعَلَاءَ [اجْتَنِبَ]^(٧) في التضعيف؛ لأنه [لَوْ قِيلَ: (خُلَاءَ)]^(٨)، و(فُلَلَاءَ)، في جمع:

(١) وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والحسن، والربيع، وابن إسحاق.

انظر: تفسير الطبري ٧٥/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٥١/٣.

(٢) في (ب): (ولقلة).

(٣) بلغ عدد المسلمين في هذه المعركة: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وهذا قول عامة السلف، كما يقول الطبري في تاريخه ٤٣٢/٢. على اختلاف الأقوال في العدد بعد الثلاثمائة: ف قيل ٣٠٥، وقيل ٣٠٧، وقيل ٣١٣، وقيل ٣١٤، وقيل ٣١٨، وقيل: (٣١٩). ومعهم: فرسان، وستون درعاً، وسبعون بغيراً. أما المشركون ف قيل عددهم: تسعة وأخمسون رجلاً، وقيل: ألف رجل. ومعهم ستائة درع، ومثتا فرس، وقيل: مائة، وقيل: ثمانون، وقيل: ستون.

انظر: صحيح البخاري: في كتاب المغازي. باب عدة أصحاب بدر، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وطبقات ابن سعد ٢/٢١، ٢٢، وسيرة ابن هشام ٢/٣٥٤، وتاريخ الطبري ٢/٤٢٣، ٤٣١، ٤٣٢، والمتنظم ٣/٩٨، و١٠٠، و١٠٢، والبداية والنهاية ٣/٢٥٩، و٢٦٠، وحدائق الأنوار ٢/٤٩٨، و٤٩٩، وعيون الأثر ١/٣٨١، ٣٨٣، وانظر: تفسير المصنف لقوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ فَيَنْتَبِهُونَ رَأًى أَلْعَيْنَ﴾ من آية ١٣ سورة آل عمران. انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ذلل) ٣٣٠، واللسان (عزز) ٥/٢٩٢٥، و(ذلل) ٣/١٥١٣، والقاموس (عزز) ٥١٧.

(٥) من قوله: (وأذلة...) إلى (وأقفزة): نقله بتصريف يسير من معاني القرآن للزجاج ١/٤٦٦، وانظر: معاني القرآن للنحاس ١/٤٠٥.

(٦) (لفظ): في (أ) غير واضحة. وفي (ب): (لفظت)، وليست في معاني القرآن. والمثبت من (ج).

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (خففت). وفي معاني القرآن (اجتنب). والمثبت من (ج).

(٨) في معاني القرآن (جللاء).

خَلِيلٌ^(١) وَقَلِيلٌ ، لاجتمع حرفان من جنس واحد ، فَعُدِلَ بِهِ^(٢) [إلى (أَفْعَلَة) ؛ لأن (أَفْعَلَة) مِنْ جَمْعِ الْأَسْمَاءِ فِي (فَعِيل) ^(٣) ، [نحو : جَرِيب^(٤) وَأَجْرِبَة^(٥) ، وَقَفِيز^(٦) وَأَقْفَزَة^(٧) .

قال أبو إسحاق^(٨) في هذه الآية^(٩) : أعلم الله - جَلَّ وَعَزَّ - أَنَّهُمْ حِينَ لَزُمُوا الطَّاعَةَ ، نصرهم الله ، وهم قليل ، ويوم أُحُدَ نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ ؛ بمخالفة أمر النبي ﷺ ، فجعل ذلك عقوبة .

-
- (١) في معاني القرآن : (جليل) .
 (٢) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج) ومن معاني القرآن .
 (٣) في (ب) : (فعل) .
 (٤) ما بين المعقوفين مطموس في (أ) . وفي (ب) : (نحو جريت) . والمثبت من (ج) ومعاني القرآن .
 (٥) في (ب) : (أجريت) .
 (٦) في (ب) : (وقفز) .
 (٧) الجريب من الأرض والطعام ، مقدار معلوم الذراع والمساحة . وهو عشرة أقفزة ، وقيل : قدر أربعة أقفزة . وقيل : يختلف باختلاف البلدان ، كالاختلاف في الرطل والمد والذراع وغير ذلك . وقيل : ثلاثمائة وستون ذراعاً . ويطلق - كذلك - على المزرعة ، والوادي . وجمعه : أجربة وجُربان .
 والقفيز : مكيال ، وهو ثمانية مكايك عند أهل العراق والمَكْوَك : مكيال يسع صاعاً ونصفه ، وقيل : غير ذلك .
 وقيل : القفيز : مقدار مساحة من الأرض . وقيل : مكيال يتواضع الناس عليه . ويجمع على أقفزة ، وقُفْزان بكسر القاف وضمهما .
 انظر : التاج (جرب) ١ / ٣٦١ ، و(قفز) ٨ / ١٢٩ ، والقاموس (مكك) ٩٥٤ .
 (٨) في معاني القرآن له ١ / ٤٦٦ . نقله عنه باختصار قليل وتصرف .
 (٩) في هذه الآية : ساقط من (ج) .

وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ ؛ أي اتقوا معاصي الله بالعمل بطاعته ، أو اتقوا عقاب الله بالعمل بطاعته ؛ لتقوموا بشكر نعمته . وهذا ^(١) معنى قول محمد بن إسحاق بن يسار في هذه الآية ^(٢) : اتَّقُونِي فَإِنَّهُ شَكَرَ نِعْمَتِي ^(٣) .

١٢٤ . قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية . قال الشَّعْبِيُّ ^(٤) : حَدَّثَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ كُرْزَ بْنَ جَابِرِ الْمُحَارَبِيِّ ^(٥) يَرِيدُ أَنْ يُمِدَّ ^(٦) الْمَشْرِكِينَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَقِيلَ لَهُمْ : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ ﴾ .

ومعنى الكِفَايَةِ ، هُوَ سَدُّ الْحَلَّةِ ^(٧) ، والقيام بالأمر ، يقال : كَفَاهُ أَمْرٌ كَذَا : إِذَا قَامَ ^(٨) بِهِ دُونَهُ ، وَسَدَّ خَلَّتَهُ ^(٩) .

ومعنى الإِمْدَاد : إعطاء الشيء حالاً بعد حال ^(١٠) .

-
- (١) في (ج) : (هذا) ، من دون واو .
 (٢) قوله في سيرة ابن هشام ٥٩ / ٣ ، وتفسير الطبري ٧٤ / ٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٥١ / ٣ .
 (٣) في (ب) : (لنعمتي) .
 (٤) قوله في مصنف ابن أبي شيبة رقم ٣٦٦٥٩ كتاب المغازي . غزوة بدر الكبرى ، وتفسير الطبري ٧٦ / ٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٥٢ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٠ / ٣ ، وتفسير ابن كثير ٤٣٢ / ١ ، والدر المنثور ١٢٣ / ٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .
 (٥) هو كرز بن جابر بن حسيل بن لاجب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فُهْرِ الْقُرْشِيِّ الْفَهْرِيِّ . كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم ، وهو الذي أغار على سَرَحِ الْمَدِينَةِ مَرَّةً ، وفات النبي ﷺ ، ولم يدركه ، وهي المسماة : (غزوة بدر الأولى) ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، ولأه رسول الله ﷺ الجيش الذي بعثهم في أثر العرنيين الذين قتلوا راعيه ، واستشهد يوم في فتح مكة سنة (٨هـ) .
 انظر : أسد الغابة ٤ / ٤٦٨ ، والإصابة ٣ / ٢٩٠ .
 (٦) في (ب) : (أن هذا) بدلاً من (أن يمد) .
 (٧) الْحَلَّةُ - هنا - الحاجة ، والفقر . انظر : القاموس (حلل) ٩٩٤ .
 (٨) في (أ) و(ب) : (أقام) . والمثبت من (ج) .
 (٩) انظر : النكت والعيون ١ / ٤٢١ ، واللسان (كفي) ١٥ / ٢٢٥ ، وبصائر ذوي التمييز ٤ / ٣٦٨ .
 (١٠) انظر : تهذيب اللغة (مدد) ٤ / ٣٣٦١ ، والنكت والعيون ١ / ٤٢١ .

قال المفضل^(١) : ما كان على جهة القوة والإعانة ، قيل فيه : (أَمَدَّهُ ، يُمَدُّهُ)^(٢) ، وما كان على جهة الزيادة ، قيل فيه : (مَدَّهُ ، يَمُدُّهُ ، مَدًّا)^(٣) ، ومنه قوله : ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾^(٤) .

١٢٥ . قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ الآية . ﴿بَلَىٰ﴾ : تصديق لوعده الله . ومضى الكلام فيه^(٥) إذا وقع في ابتداء الآية .
وقوله تعالى : ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾^(٦) ؛ أي على لقاء العدو .

-
- (١) قوله في تفسير الثعلبي ١١١/٣ ب .
(٢) في (ب) : (المد مده) . وفي تفسير الثعلبي : (أَمَدَّهُ يُمَدُّهُ إمداداً) .
(٣) في تفسير الثعلبي : (مَدَّهُ يمدّه مداداً) .
ذكر الراغب أن أكثر ما جاء (الإمداد) في المحبوب ، و(المد) في المكروه .
فمن (الإمداد) قوله تعالى : ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحَرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور : ٢٢] ، و﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ﴾ [نوح : ١٢] .
ومن (المد) قوله تعالى : ﴿وَيُنذِرْكُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة : ١٥] ، وقوله : ﴿وَنُمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم : ٧٩] .
وقد نقل الطبري عن يونس الجرمي ذلك ، وبين أن ما كان منها متعلقاً بالشر وبمعنى أنك تركته ، فهو (مددت) ، وما كان في الخير ، وبمعنى أنك أعطيته ، فهو (أمددت) . ونقل عن بعض نحوي الكوفة - ولم يسم أحداً منهم - أن كل زيادة أحدثت في الشيء من نفسه ، فهي (مددت) ؛ كقولنا : (مدد النهر ، ومدّه نهر آخر غيره) حيث يتصل به ، فيصير منه .
وكل زيادة أحدثت في الشيء من غيره ، فهي : (أمددت) ؛ كقولنا : أمددت الجيش بمدد .
انظر : تفسير الطبري ١/ ١٣٥ ، ومفردات ألفاظ القرآن (مدد) ٧٦٣ ، وتفسير الثعلبي ١١١/٣ ب ، وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٤٨٩ .
(٤) سورة لقمان ٢٧ . وتامها : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .
(٥) في (ج) : (في) .
(٦) في (ج) : ﴿إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ .

﴿وَتَقْتُلُوا﴾ معصية الله ، ومخالفة النبي ﷺ ^(١) .

﴿وَيَأْتُواكُمْ مِنْ قَوْرِهِمْ هَذَا﴾ ، قال ابن عباس في رواية العوفي ^(٢) : من وجههم هذا . وهو قول الحسن ^(٣) ، وقتادة ^(٤) ، والربيع ^(٥) ، والسدي ^(٦) ، وابن زيد ^(٧) .

وقال ^(٨) في رواية باذان : من غَضِبَهُمْ هذا ^(٩) . وهو قول مجاهد ^(١٠) ، والضحاك ^(١١) .

وأصل الفور : غَلِيَانُ الْقِدْرِ . يقال : فارت القدر ، تَفُورُ فَوْرًا ، وهو غليانها عند شدة الحمي ^(١٢) . ومنه : فَوْرُ الْغَضَبِ ؛ لأنه كَفُورِ الْقِدْرِ بِالْحَمِي . ومنه ، يقال : جاء على الفور ؛ أي على ابتداء الحمي ، قبل أن تَبْرُدَ نَفْسُهُ عنه ^(١٣) .

(١) انظر : بحر العلوم ٢٩٦/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٥٣/٣ ولفظه عندهما : (من سفرهم هذا) ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ، وتفسير البغوي ١٠٠/٢ ، وزاد المسير ٤٥١/١ .

(٢) قوله في تفسير الطبري ٨٠/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٥٣/٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ، وتفسير البغوي ١٠٠/٢ ، وزاد المسير ٤٥١/١ .

(٣) قوله في المصادر السابقة .

(٤) قوله في المصادر السابقة .

(٥) قوله في الطبري ٨٠/٤ ، وابن أبي حاتم ٧٥٣/٣ ، والثعلبي ١١٢/٣ ب .

(٦) قوله في المصادر السابقة .

(٧) قوله في تفسير الطبري ٨٠/٤ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ب .

(٨) أي ابن عباس .

(٩) ورد هذا القول في تفسير الطبري ٨٠/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٥٣/٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ، والنكت والعيون ٤٢١/١ ، ولكن هذه المصادر نسبت هذا القول لأبي صالح باذان ، وليس في الأثر أنه رفعه لابن عباس .

(١٠) قوله في تفسيره ١٣٥ ، وتفسير الطبري ٨١/٤ ، وابن أبي حاتم ٧٥٣/٣ ، والثعلبي ١١٢/٣ ، والبغوي ١٠٠/٢ ، وزاد المسير ٤٥١/١ .

(١١) قوله في المصادر السابقة ، عدا الأول .

(١٢) انظر : (فور) في مقاييس اللغة ٤٥٨/٤ ، ومفردات ألفاظ القرآن ٦٤٧ .

(١٣) انظر : المصادر السابقة ، وتفسير الطبري ٨١/٤ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ .

وقوله تعالى : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ ؛ مَنْ فَتَحَ الواو (١) ، معناه : مُعَلِّمِينَ ، قد سَوَّوْا ، فهم مُسَوِّمِينَ .

والشُّومَةُ : العَلَامَةُ يُفَرِّقُ بها الشيءُ مِنْ غَيْرِهِ . ومضى شيءٌ من هذا في قوله : ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ (٢) .

وهذه (٣) العَلَامَةُ يُعَلِّمُهَا الفارسُ يومَ اللقاء ؛ لِيُعْرِفَ بها .
قال عنتره (٤) :

فَتَعَرَّفُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكُمْ شاكٍ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلِّمٌ (٥)

(١) هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي : (مُسَوِّمِينَ) .

انظر : السبعة ٢١٦ ، وحجة القراءات ١٧٣ .

(٢) [آل عمران : ١٤] . انظر : تهذيب اللغة (سوم) ١٦٠١ / ٢ .

(٣) من قوله : (هذه) إلى نهاية بيت الشعر : نقله بنصه عن الحجة للفارسي ٧٦ / ٣ . غير أنه ليس في الحجة : (قال عنتره) وإنما : (قال) فقط من دون نسبة لقائل .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) البيت ليس لعنتره ، وإنما هو لطريف بن تميم العنبري .

وقد ورد منسوباً له في كتاب سيبويه ٤٦٦ / ٣ ، و ٣٧٨ / ٤ ، والأصمعيات ١٢٨ ، والبيان والبيان ٩٣ / ٣ ، والاختيارين ١٨٩ ، والعقد الفريد ٢٠٨ / ٣ ، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٤٠٨ / ٣ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٨٤ ، والكامل لابن الأثير ٣٦٧ / ١ ، ومعاهد التنصيص ٢٠٤ / ١ ، وشرح شواهد شرح الشافية : (مطبوع مع شرح الشافية) ٣٦٨ / ٤ . كما ورد غير منسوب في المقتضب ١١٦ / ١ ، والمنصف ٥٣ / ٢ ، و ٦٦ / ٣ ، والحجة للفارسي ٧٧ / ٣ .

وقد روي البيت في بعض المصادر بـ (فتوسموني) بدلاً من (فتعرفوني) ، و (ذاكم) بدلاً من (ذلكم) وفي بعضها : (شاكِي السِلَاحِ) ، وفي الكامل لابن الأثير (لا تنكروني إنني داء لكم . . .) . وقيل هذا البيت :

أَوْ كَلِمَا وَرَدَتْ عَكَازُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّسُ

لقد كان من عادة الفرسان في الجاهلية - نظراً لما عليهم من ثارات كثيرة - أنهم إذا ما وردوا عكاظ في الموسم ، يتقننون لثلاً يُعَرَّفُوا ، فيُقصدوا في الحروب ؛ لأخذ الثأر منهم ، إلا الشاعر ، فإنه لشجاعته يلقي القناع عن وجهه على خلاف العادة ، فكان بعضٌ من لهم ثأر عنده يمر به ويتفرس في وجهه ، =

وَمَنْ كَسَرَ الْوَاوَ^(١)، نَسَبَ الْفِعْلَ إِلَيْهِمْ؛ لِمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ
يَوْمَ بَدْرٍ: «سَوُّوْا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ سَوَّيَتْ»^(٢).

فخاطبهم الشاعر بقوله: تعرفوا عليَّ جيداً، وتفرسوا فيَّ، فإنني لا أخشاكم ولا أهابكم.
وقوله: (شاك سلاحي)؛ أي لسلاحي شوكة، وله حد. وأصله: (شائك)، فقلب إلى: شاك.
وقيل: أصله: (شاكك) من: الشكَّة، وهي السلاح. وقيل غير ذلك. وينطق (شاك) في البيت
بالضم، أو بالكسر، مع التثنية. وقوله: (مُعَلِّم)؛ أي يُعَلِّم نفسه بعلامة في الحرب؛ يُعَرِّف بها.
انظر: الاقتضاب ٤٠٩/٣.

(١) هي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم، ﴿مُسَوِّمِينَ﴾.

انظر: السبعة ٢١٦، وحجة القراءات ١٧٣.

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٥٥/٧ رقم (٣٦٦٥٧) وأبو عمرو الدوري في جزء فيه
قراءات النبي ﷺ ٨٠، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨٢/٤.
وأوردته الكتب الآتية غير مسند، تفسير الثعلبي ١١٢/٣ ب، وتفسير البغوي ٩٩/٢، و١٠٠،
وزاد المسير ٤٥٢/١، والدر المنثور ١٢٥/٢.

والحديث مرسل؛ لأنه من رواية عمير بن إسحاق، قال: «... قال رسول الله ﷺ وذكره. قال
الشيخ أحمد شاكر: «وعمر بن إسحاق، أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن المقداد بن الأسود،
وعمر بن العاص، وأبي هريرة، كان قليل الحديث. قال أبو حاتم: لا نعلم روى عنه غير ابن عون.
قال ابن معين: ثقة. وقال أيضاً: لا يساوي حديثه شيئاً، ولكن يكتب حديثه» ثم تابع الشيخ شاكر
قائلاً: «فهذا الحديث مرسل كما ترى، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به». هامش تفسير الطبري
١٨٦/٧. (ط. شاكر). وانظر: ميزان الاعتدال ٢١٦/٤.

وأخرج الواقدي في المغازي ١/٧٥، ٧٦ عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ
قَدْ سَوَّيَتْ فَسَوُّوْا، فَأَعْلَمُوا بِالصَّوْفِ فِي مَغَافِرِهِمْ وَقَلَانِسِهِمْ».
وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١٦/٢ ولم يسنده، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ٤٠٣/١٠ رقم
(٢٩٩٦٤) وزاد نسبة إخرجه لابن النجار.

ومحمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي، أبو نعيم المدني. قال عنه ابن حجر: «صحابي
صغير، وجل روايته عن الصحابة، مات سنة ٩٦ هـ، وقيل ٩٧ هـ، وله تسع وتسعون سنة».
تقريب التهذيب ٥٢٢ (٦٥١٧).

قال ابن عباس : كانت الملائكة قد سَوَّمت يوم بدر بالصُّوف الأبيض في نواصي الخيل ، وأذناها^(١) .

وقال الربيع^(٢) ، وهشام بن عروة^(٣) : كانت عليهم عمام صُفْرٌ ، وروي عن علي^(٤) وابن عباس^(٥) : كانت عليهم عمام بيضٌ ، قد أرسلوها بين أكتافهم .

- (١) في (ب) : (وأذناها) . وفي (ج) : (وأذناها) .
ولم أقف على قول ابن عباس بهذا اللفظ ، وإنما الذي ورد عنه ، قوله : «فإنهم [أي الملائكة] أتوا محمداً النبي ﷺ مسومين بالصوف ، فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف» .
أخرجه الطبري ٨٣/٤ ، وابن أبي حاتم ٧٥٤/٣ ، وانظر : النكت والعيون ٤٢٢/١ .
- (٢) لم أقف على مصدر قوله هذا . والذي في تفسير الطبري ٨٣/٤ قوله : «كانوا يومئذ على خيل بلق» وكذا ورد في تفسير الثعلبي ١١٢/٣ ب .
- (٣) قوله في مصنف ابن أبي شيبة ٣٦١/٧ رقم (٣٦٦٩٢) ، وتفسير الطبري ٨٣/٤ ، وابن أبي حاتم ٧٥٥/٣ ، والمستدرک ٣٦١/٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ب ، والنكت والعيون ٤٢٢/١ ، وتفسير البغوي ١٠١/٢ ، وزاد المسير ٤٥٢/١ ، وتفسير ابن كثير ٤٣٢/١ ، وقال : «رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبدالله بن الزبير» .
وهشام ، هو أبو المنذر ، ابن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي . إمام ثقة حافظ حجة ، مشهور بالورع والصلاح . توفي في بغداد سنة (١٤٥هـ) أو (١٤٦هـ) .
- انظر : الجرح والتعديل ٦٣/٩ ، والميزان ٤٢٦/٥ ، و٤٢٧ ، والتهذيب ٢٧٥/٤ ، وشذرات الذهب ٢١٨/١ .
- (٤) قوله في سيرة ابن هشام ٢٧٤/٢ ولفظه عنده : «العمائم تيجان العرب ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمام بيضاء ، أرخواها على ظهورهم ، إلّا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء» .
وأخرج ابن أبي حاتم عنه قوله : «كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض» ، وفي رواية أخرى عنده : «كان سيما الملائكة أهل بدر الصوف الأبيض ، وكان سيما الملائكة -أيضاً- في نواصي الخيل» .
تفسيره ٥٢٥/٢ .
- وورد في مصنف ابن أبي شيبة بالسند نفسه الذي عند ابن أبي حاتم ، ولكن لفظه : «كان سيما أصحاب رسول الله ﷺ . . .» وذكره .
- وأورده الثعلبي في تفسيره ١١٢/٣ ب ، باللفظ نفسه المؤلف ، حيث قال : «وقال علي ابن أبي طالب وابن عباس . . .» وذكره ، وكذا أورده البغوي في تفسيره ١٠١/٢ ، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣٧٨/٢ رقم (٤٢٩٩) بلفظ ابن أبي حاتم نفسه ، وزاد نسبه لابن المنذر .
- (٥) قوله في سيرة ابن هشام ٢٧٤/٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٢/٣ ب ، وتفسير البغوي ١٠١/٢ ، وتفسير ابن كثير ٤٣٢/١ ، وورد في الدر المنثور ١٢٥/٢ ، وزاد نسبة لإخراجه للطبراني .

قال المفسرون : فصبر المسلمون يوم بدر ، وأتقوا الله ، فأمدَّهم^(١) الله بخمسة آلاف من ملائكته^(٢) على ما [وَعَدَهُمْ]^(٣) . قال الحسن^(٤) : فهؤلاء الخمسة آلاف رِذَّةٌ^(٥) للمؤمنين إلى يوم القيامة .

وقال ابن عباس^(٦) ، ومجاهد^(٧) : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر ، وفي ما سوى ذلك ، يشهدون القتال ولا يُقاتِلُون .

١٢٦ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى ﴾ ، الكناية^(٨) تعود على المصدّر ، كأنه قال : وما جعل الله المدد والإمداد إلا بُشْرَى . فدلَّ ﴿ وَيُمَدِّدُكَ ﴾ على الإمداد ، فكُنِيَ عنه^(٩) ، كما قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام : ١٢١] ؛ معناه^(١٠) : وإنَّ أكله لَفِسْقٌ . فدلَّ ﴿ تَأْكُلُوا ﴾ على الأكل ، فكُنِيَ عنه ، والعرب تقول : مَنْ صَدَقَ كان خيراً له ، وَمَنْ كَذَبَ كان شراً له . فدلَّ الفعلان على المصدّر^(١١) .

(١) في (ب) : (فأيدهم) .

(٢) في (ج) : (الملائكة) .

(٣) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) : (وهم) . والمثبت من (ج) .

ومن قال بهذا ابن عباس ، وقتادة ، والربيع . انظر : تفسير الطبري ٧٧/٤ .

(٤) لم أقف على مصدر قوله .

(٥) الرِّذَّةُ - هنا - العَوْنُ . انظر : القاموس المحيط (ردأ) ٤١ .

(٦) قوله في المغازي ٧٩/١ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٤/٢ ، وتفسير الطبري ٧٧/٤ ، والنكت والعيون

١/٤٢٢ ، وابن كثير ١/٤٣٢ ، ونسب إخراجهم إلى ابن مردويه .

(٧) قوله في تفسيره ١٣٥ ، وتفسير الطبري ٧٨/٤ .

(٨) سبق بيان أن الكناية يُراد بها الضمير .

(٩) وقيل : الضمير يعود على النصر ، وقيل : يعود على التسويم ، وقيل : على التنزيل ، وقيل : على العدد ، وقيل : على الوعد .

انظر : غرائب التفسير للكرماني ١/٢٦٨ ، والدر المصون ٣/٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(١٠) معناه وإن أكله لفسق : ساقط من (ج) .

(١١) وهما الصدق والكذب .

هذا كلام ابن الأنباري^(١) . وكذلك قال الزَّجَّاج^(٢) : أي وما جَعَلَ
الله ذِكْرَ الْمَدَدِ إِلَّا بُشْرَى^(٣) .

والبُشْرَى : اسم من (الإبشار) ، و(التبشير)^(٤) .

ومضى الكلام في معنى التبشير^(٥) ، وسيأتي الكلام في (بُشْرَى) في سورة
يوسف إن شاء الله^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ﴾ ، فلا تجزع من كثرة العدو^(٧) ، وَقِلَّةِ
عَدَدِكُمْ . وإنما قال : ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ ، ولم يقل : واطمئننا ، كما قال ﴿بُشْرَى﴾ ؛ لأن
ذِكْرَ الْمَدَدِ سبَبٌ لا طمئنان القلوب ، ولم يكن نفس الاطمئنان ، وكان ذكر المدد
نفس البُشْرَى .

وقال صاحب النظم^(٨) : هذا على تأويل : وما جعله الله إِلَّا لِيُبَشِّرَكُمْ^(٩) ،
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ .

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) في معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٦٧ / ١ .

(٣) ومن قال بهذا أبو الليث في بحر العلوم ٢٩٦ / ١ ، والنحاس في معاني القرآن ٤٧١ / ١ ، وابن الجوزي
في الزاد ٤٥٤ / ١ .

(٤) انظر : القاموس المحيط (بشر) ٧٤٤ .

(٥) انظر : تفسير البسيط عند تفسير ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ﴾ الآية ٣٩ .

(٦) وردت لفظة (بشري) في سورة يوسف ١٩ ﴿قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلْمٌ﴾ .

(٧) في (ج) : (العدد) .

(٨) قد أورد قوله هذا بنصه السمين الحلي في الدر المصون ٣٨٩ / ٣ .

(٩) في (ب) : (إلا بشري لكم) .

ومن أجاز إقحام الواو - وهو مذهب الكوفيّين^(١) - جعلها مقحمةً في: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ، فيكون التقدير : وما جعله الله إلا بُشْرَى لَكُمْ ؛ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ .

قال : وزعم بعضهم أنَّ الواو لإضمار بعده ، على تأويل : (ولتطمئن قلوبكم به جَعَلَ ذلك) . واحتج بقوله : ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢] ، على تأويل : (وحفظاً لها ، جَعَلَ ذلك) ، ومثله : قوله : ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢] ، على^(٢) تأويل : ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فَعَلَ ذلك .

ونحو هذا قوله : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٣) [الأنعام: ٧٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ، قال المفسرون : أراد الله - تعالى - أن لا يَرْكَنَ المؤمنون إلى الملائكة ، وأَعْلَمَ أنهم ، وإن^(٤) حضروا وقتلوا ، فما النصر إلا من عند الله ؛ ليستعينوا به ، [و]^(٥) يَتَوَكَّلُوا عليه . والإمداد بالملائكة بُشْرَى لهم ، [وطمأنينة]^(٦) لقلوبهم^(٧) ؛ لما في البشْرِ من الضَّعْف ، فأما حقيقة النصر والاستعلاء في الحرب ، فهو من عند الله العزيز الحكيم^(٨) .

(١) سبق بيان مذهب الكوفيين والبصريين في موضوع زيادة الواو العاطفة . انظر : التعليق على تفسير قوله

تعالى : ﴿وَلَا تُحِزُّ لَكُمْ﴾ [الآية ٥٠ من سورة آل عمران] .

(٢) من قوله : (على ...) إلى (...) مفعولاً : ساقط من (ج) .

(٣) والتأويل هنا ، على هذا الرأي ؛ أي ويكون من الموقنين أربناه . انظر : الدر المصون ٧ / ٥ .

(٤) في (ج) : (إن) ، من دون واو .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٦) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) : (بطمأنينة) . والمثبت من (ج) .

(٧) في (ب) : (قلوبهم) ، من دون اللام .

(٨) انظر : هذا المعنى في تفسير الطبري ٨٤ / ٤ .

١٢٧. قوله تعالى: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، اللام تعود إلى قوله :
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾^(١).

﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ ؛ أي ليهلك طائفة ، وَلَيَقْتُلَ قِطْعَةً . قال السُّدِّي^(٢) : معناه :
لِيَهْدِمَ رُكْنًا مِّنْ أركان الشرك ، بالقتل والأسر ، فُقُتِلَ من قاداتهم وساداتهم يومَ بَدْرِ
سبعون ، وأسر سبعون^(٣) .

وقال بعضهم^(٤) : المعنى : وما النصر إلا من عند الله ؛ ليقطع طرفاً^(٥) .

وقيل^(٦) : إِنَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى [معنى قوله]^(٧) : ﴿وَلِنُطَمِّنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ﴾ ،
و﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ ، ولكنه ذُكِرَ بغير حرفِ العطف ؛ لأنَّ الكلامَ إذا كان بعضُه
ملتبساً ببعضٍ ، جاز حذفُ العاطف ، كقوله : ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] .

(١) انظر : تفسير الطبري ٨٥ / ٤ ، والثعلبي ١١٣ / ٣ ، والبغوي ١٠١ / ٢ .
وعزا السمين الحلبي هذا القول كذلك للحوفي . انظر : الدر المصون ٣ / ٣٩٠ ، واستبعده السمين
لطول الفصل بين اللام ومتعلقه .

(٢) قوله هذا بنصه في تفسير الثعلبي ١١٣ / ٣ ، وتفسير البغوي ١٠١ / ٢ .
(٣) الذي وقفت عليه من قول السدي أن المعني بالآية مَنْ قُتِلَ من الكفار يوم أحد ، وهم ثمانية عشر
رجلاً . وقد ورد قوله هذا في تفسير الطبري ٨٥ / ٤ ، والنكت والعيون ١ / ٤٢٢ ، وزاد المسير
٤٥٤ / ١ .

وممن قال بأن المراد بها مَنْ قتل يوم بدر قتادة ، والربيع ، والحسن ، وابن إسحاق ، والجمهور . انظر :
تفسير الطبري ٨٥ / ٤ ، وزاد المسير ١ / ٤٥٤ .

أما ما ذكره المؤلف من عدد قتلى وأسرى المشركين في معركة بدر ، فانظر : سيرة ابن هشام ٢ / ٣٦٢ ،
وتاريخ الطبري ٢ / ٤٧٤ .

(٤) لم أقف على القائل .

(٥) قال السمين : «وفيه نظر من حيث إنه قد فُصل بين المصدر ومُتَعَلِّقه بأجنبي ، وهو الخبر» . الدر
المصون ٣ / ٣٩٠ .

(٦) ممن قال بهذا أبو الليث في بحر العلوم ١ / ٢٩٧ .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى : ﴿وَمَا أَلْتَصَّرْ إِلَّا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ جملة معترضة بين المعطوف =

وإنما قال : ﴿طَرَفًا﴾ ولم يقل : (وَسَطًا) ؛ لأنه لا يُوصَلُ إلى الوَسَطِ إِلَّا بعد قطع الطَّرَفِ ، وهذا القَطْعُ إنما هو بأيدي المؤمنين ، وإنما يقطعون الطَّرَفَ الذي يليهم مِنَ الكافرين ، وهذا يوافق قوله : ﴿فَنِلُّوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة : ١٢٣] ، وعلى هذا أيضاً قوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد : ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْيَكَيْتُهُمْ﴾ ، الكَبْتُ في اللغة : صَرَعُ الشيء على وجهه ؛ يُقال : (كَبْتُهُ ، فأنكبت) ^(١) . هذا تفسيره ، ثم قد ^(٢) يُذكر ^(٣) المراد به : الإخْرَاءُ ، والإِهْلَاكُ ، واللَّعْنُ ، والهَزِيمَةُ ، والغِيْظُ ، والإِذْلَالُ . وكلُّ هذا ذكره المفسرون في تفسير (الكَبْتُ) ^(٤) .

والمعطوف عليه . وهناك أقوال أخرى في عود اللام في ﴿يَقْطَعُ﴾ . انظر : تفسير ابن عطية ٣/٣١٣ ، والدر المصون ٣/٣٩٠ .

(١) انظر : كتاب العين (كبت) ٥/٣٤٢ ، ومجاز القرآن ١/١٠٣ ، وتهذيب اللغة (كبت) ١٠/١٥٢ .

(٢) (قد) : ساقطة من (ب) .

(٣) (يُذَكِّرُ) : وردت في (أ) و(ج) : (يذكرو) . وفي (ب) : (يذكروا) . وما أثبتته هو ما استصوبته ؛ لأن في (أ) و(ج) قد تكون الضمة التي على الواو كتبها الناسخ بحجم أكبر من حجمها الطبيعي ، وتزحلت قليلاً إلى ما بعد الراء . أما الذي في نسخة (ب) فلا وجه له ؛ لأن الفعل كُتِبَ فيها في حالة الجمع ، وحذفت منه النون التي هي علامة رفعه ، والصواب إثباتها ؛ لأنه من الأفعال الخمسة .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١/٢٩٩ ، وسيرة ابن هشام ٣/٦١ ، وغريب القرآن لابن اليزيدي ٤٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١١٠ ، وتفسير الطبري ٤/٨٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/٤٦٧ ، وابن أبي حاتم ٣/٧٥٦ ، ونزهة القلوب للسجستاني ٤٨٥ ، وبحر العلوم ١/٢٩٧ ، وزاد المسير ١/٤٥٤ .

قال ابن قتيبة : «لأن أهل النظر يروون أن التاء فيه منقلبة عن دال ، كأن الأصل فيه : (يكبدهم) ؛ أي يصيهم في أكبادهم بالحزن والغيط وشدة العداوة . ومنه يقال : فلان قد أحرق الحزن كبده . وأحرقت العداوة كبده . والعرب تقول للعدو : أسود الكبد . . . » ثم أتبع قائلاً : «والتاء والدال متقاربتان المخرجين . والعرب تدغم إحداهما في الأخرى ، وتبدل إحداهما من الأخرى» . تفسير غريب القرآن ١١٠ .

انظر : (كبت) في تهذيب اللغة ٤/٣٠٨٨ ، واللسان ٦/٣٨٠٥ ، وعمدة الحفاظ ٤٧٧ .

وقوله تعالى: ﴿حَاقِبِينَ﴾ ، الحَيَّةُ : حِرْمَانُ البُعْيَةِ ^(١) ، ولا تكون إلا بعد الأَمَلِ . واليَأْسُ قد يكون قبل الأَمَلِ ، وقد يكون بعده . فنقيض اليَأْسِ الرَّجَاءُ ، ونقيض الحَيَّةِ الظَّفَرُ .

وقد أنجز الله وَعْدَهُ يوم بَدْرٍ ؛ بَقَطْع ^(٢) طَرَفٍ مِنَ الكفار بالقتال والأسر ، وَرَدَّ الباقيين منهزمين خائبين مِمَّا أَمَلُوا مِنَ الظَّفَرِ ، فتحقق نصره ، وَعَلَتْ كَلِمَتُهُ .

١٢٨ . قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية .

ذَكَرَ النحويون ؛ الفَرَاء ^(٣) ، والزَّجَاج ^(٤) ، وغيرهما ^(٥) ، في هذه الآية قولين :

أحدهما : أن قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عَطْفٌ عَلَى قوله: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾ ، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ ، ويكون قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه ، كما تقول : (صَرَبْتُ زَيْدًا - فاعْلَمْ ذلك - وعَمراً) ^(٦) . فعلى هذا القول : هذه الآية متصلة بما قبلها .

(١) انظر : (خاب) تهذيب اللغة ٩٥٧/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٤٧٢/١ ، واللسان (خيب) ١٢٩٧/٣ .

(٢) في (ج) : (فقطع) .

(٣) في معاني القرآن له ٢٣٤/١ .

(٤) في معاني القرآن له ٤٦٨/١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢١٥/١ ، وتفسير الطبري ٨٦/٤ ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٥٨٣/٢ ، والقطع والانتناف للنحاس ٢٣٣ ، ومعاني القرآن له ٤٧٤/١ . واستحسنه الثعلبي في تفسيره ١١٥/٣ ب .

(٦) وقد رجح الطبري هذا الرأي في تفسيره ٨٦/٤ ، وقال معللاً : «لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحد سوى خالقهم ، قبل توبة الكفار وعقابهم ، وبعد ذلك» .

القول الثاني : وهو أنَّ الموافق لما ذُكر في تفسير هذه الآية : أنَّ معنى (أو) هاهنا معنى (حتى) و(إلا أن) ؛ وذلك أنَّ أكثر المفسرين ؛ ابن عباس^(١) ، والحسن^(٢) ، وقتادة^(٣) ، والربيع^(٤) ، قالوا : لما كان من المشركين يوم أحد ما كان^(٥) ، مِنْ كَسْرِ رَبَاعِيَّةِ^(٦) النبي ﷺ ، وَشَجَّهَ حَتَّى جَرَّت الدَّمَاءُ عَلَى وَجْهِهِ ، قال : «كَيْفَ يُفْلَحُ

-
- (١) لم أقف على مصدر قوله . وقد ذكره الماوردي في النكت ٤٢٣ ، وابن الجوزي في الزاد ١/ ٤٥٦ .
 (٢) قوله في تفسير الطبري ٤/ ٨٧ ، و٨٨ ، والنكت والعيون ٢/ ٤٢٣ ، وزاد المسير ٤٥٦ .
 (٣) قوله في المصادر السابقة .
 (٤) قوله في المصادر السابقة .
 (٥) (ما كان) : ساقطة من (ج) .
 (٦) الرَّبَاعِيَّةُ : هي السن بين الثَّنيَّةِ والنَّابِ . وجمعها : رباعيات . وهن أربع رباعيات : ثنتان من فوق ، وثنان من أسفل . انظر : كتاب خلق الإنسان لابن أبي ثابت ١٦٦ ، والقاموس (ربيع) ٧١٩ .
 قال ابن حجر : «والمراد بكسر الرباعية . . . أنها كسرت فذهب منها فلقة ، ولم تقلع من أصلها» . فتح الباري ٧/ ٣٦٦ .
 وفي سيرة ابن هشام ، عن ابن إسحاق أن الذي فعل ذلك هو عقبة بن أبي وقاص ؛ حيث رمى النبي ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته العليا وشجَّه في وجهه .
 ويذكر ابن هشام ، عن أبي سعيد الخدري ، أن عبدالله بن شهاب الزهري شجَّه في وجهه ، وأن ابن قميئة جرح وجنته ، فدخل حلقتان من حلق المغفر في وجنته .
 انظر : سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧ ، وتاريخ الطبري ٢/ ٥١٤ .

قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ ، وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ ^(١) ، فأنزل الله هذه الآية ؛ لِعَلِّمِهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ سَيُؤْمِنُونَ ، فَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ مختَصَرٌ معناه : ليس لك من الأمر في عقابهم ، أو ^(٣) استصلاحهم شيء ، حتى تقَعَ إِنْابَتُهُمْ ^(٤) أو تعذيبهم . فيكون أَمْرُكَ حينئذٍ تابعاً لأَمْرِ اللَّهِ ، بِرِضَاكَ بتدبيره .

قال الفراء ^(٥) : ومِثْلُ هذا من الكلام : لَأَذُمَّنَّكَ ^(٦) أو تُعْطِينِي ؛ على معنى : إِلَّا أَنْ تُعْطِينِي ، وحتى تُعْطِينِي ^(٧) .

(١) الحديث كذلك ورد من رواية أنس ، وقد أخرجه الكتب الآتية بالفاظ مختلفة ، بنحو الذي ذكره المؤلف . فقد أخرجه البخاري معلقاً ٣٥ / ٥ . في كتاب المغازي ، باب (ليس لك من الأمر شيء) ، وأخرجه مسلم ١٧٩١ في كتاب الجهاد . في باب غزوة أحد ، وأحمد ٢٠٦ / ٣ ، و٩٩ / ٣ ، و٢٥٣ ، و٢٨٨ ، والترمذي ٣٠٠٣-٣٠٠٢ في كتاب التفسير . (سورة آل عمران) وقال : «حسن صحيح» . وابن ماجه ٤٠٢٧ ، وفي كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء . والنسائي في تفسيره ٣٢٩ / ١ ، والبغوي في شرح السنة ٣٣٣ / ١٣ رقم (٣٧٤٨) وقال عنه : «صحيح» ، وابن سعد في الطبقات ٤٤ / ٢ ، والطبري في تفسيره ٨٧ / ٤ ، وفي تاريخه ٥١٥ / ٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٥٦ / ٣ ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢١٣ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ١١٤ / ٣ ، والبغوي في تفسيره ١٠٢ / ٢ ، والمؤلف في أسباب النزول ١٢٤ .

(٢) وهناك أسباب أخرى لنزول هذه الآية ذكرها المفسرون . انظر : تفسير الطبري ٨٦-٨٩ / ٤ ، وابن أبي حاتم ٧٥٦-٧٥٨ / ٣ ، وأسباب النزول للمؤلف ١٢٤-١٢٦ ، ولباب النقول ٥٧ ، و٥٨ ، والصحيح المسند من أسباب النزول ٥٣-٥٦ .

(٣) في (ج) : (و) بدلاً من (أو) .

(٤) وهكذا وردت في تفسير الوسيط للمؤلف (تح : بالطيور) ٣٢٦ . وورد في تفسير الوجيز له (إثباتهم) : ١١٨ / ١ .

(٥) في معاني القرآن له ٢٣٤ / ١ . نقله بمعناه . انظر : معاني القرآن ٧٠ / ٢ .

(٦) في (أ) و(ب) : (لا أذمنك) . وهي خطأ . والمثبت من (ج) .

(٧) الذي في معاني القرآن - في هذا الموضع «وإن شئت جعلت نصبه على مذهب (حتى) ؛ كما تقول : لا أزال ملازمك أو تعطيني ، أو إلا أن تعطيني حقي» .

وقال في موضع آخر ٧٠ / ٢ : «والله لأضربنَّكَ أو تُقَرِّلي» . فيكون معناه معنى (حتى) أو (إلا) .

وأشدد ابن الأنباري^(١) على هذا :

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكْ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوُلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا^(٢)
أراد : (حتّى) ، و(إِلَّا أَنْ نَمُوتَ)^(٣) .

١٢٩ . وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، قال أهل المعاني^(٤) :
لَمَّا نَفَسَى [الله]^(٥) الْأَمْرَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ ، ذَكَرَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَمْرِ لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
الْأَمْرَ لَيْسَ لَكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَمَنْ شَاءَ عَذَّبْهُ ، وَمَنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ .

وقوله تعالى : ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ، ولم يقل : (مَنْ) ؛ لأنه ذهب به مذهب
الجنس ، فَدَخَلَ فِيهِ الْجَمِيعُ^(٦) .

(١) في إيضاح الوقف والابتداء له ٥٨٤ / ٢ .

(٢) في (ج) : (فنعذرا) .

والبيت لامرئ القيس ، في ديوانه ٦٤ . وقد سبق إيراده وبيان مصادره عند تفسير قوله تعالى :
﴿أَوْ يُعَاجِزُ﴾ [الآية ٧٣ من سورة آل عمران] .

(٣) الذي في كتاب إيضاح الوقف والابتداء قوله بعد أن ذكر البيت : (أراد : حتى نموت) .

وهناك قولان آخران في نصب ﴿يَتُوبَ﴾ ، وهما : النصب بإضمار (أَنْ) عطفاً على (الأمر) ، والتقدير :
«ليس لك من الأمر شيء ، أو من أن يتوب عليهم ، أو يعذبهم» ؛ أي ليس لك من الأمر أو من توبته
عليهم ، أو من تعذيبهم شيء . وهو قول أبي حاتم ، كما في تفسير الثعلبي : إنها معطوفة بالتأويل على
﴿شَيْءٌ﴾ ؛ وتقديرها : ليس لك من الأمر شيء ، أو توبة الله عليهم ، أو تعذيبهم ؛ أي ليس لك أيضاً
توبتهم ولا تعذيبهم ، إنها مرد ذلك إلى الحق تعالى .

انظر : كتاب إيضاح الوقف والابتداء ٥٨٤ / ٢ ، وكتاب القطع والانتاف ٢٣٣ ، وتفسير الثعلبي
١١٥ / ٣ ، والدر المصون ٣ / ٣٩٣ .

(٤) لم أقف عليهم .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٦) قال البقاعي : «وعُبرَ بـ (ما) ؛ لأن غير العاقل أكثر ، وهي به أجدر» . نظم الدرر ٥ / ٦١ .

وقوله تعالى : ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ ، قال ابن عَبَّاس ، في رواية عطاء ^(١) : الذَّنْبُ العظيم للمُؤَحِّدِينَ ^(٢) .

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ يريد : المشركين ^(٣) ، على الذنب الصغير ^(٤) .

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم .

١٣٠ . قوله تعالى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَنَيْتُمُوهَا فِي سَفَاهٍ﴾ ،

قال ابن عباس ^(٥) ، وسعيد بن جبير ^(٦) : هو أنهم كانوا يزيدون على المال ، ويؤخرون الأجل ، كلما أخر عن أجل إلى غيره ، زيد زيادة .

وانتصب ﴿أَضْعَفًا﴾ على الحال .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتْلُونَ﴾ ، قال عطاء ^(٧) : يريد : كي تسعدوا ، وتبقوا

في الجنة . وقال الزجاج ^(٨) : المفلح : الذي أدرك ما أُمِّلَ مِنَ الخير . وذكرنا معنى (الإفلاح) في ما تقدم ^(٩) .

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية .

(٢) وقد أورد أبو الليث عن الضحاك مثل هذا القول انظر : بحر العلوم ٢٩٧ / ١ .

(٣) في (ج) : (للمشركين) .

(٤) في (ج) : (الصغير) . وفي تفسير ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة في قوله تعالى : ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ قال : «وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بها أخفوا من تكذيب» ٧٥٨ / ٣ .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) قوله في تفسير ابن أبي حاتم ٧٥٩ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٥ / ٣ ب ، وزاد المسير ٤٥٨ / ١ .

(٧) لم أقف على مصدر قوله .

(٨) في معاني القرآن له ٤٦٨ / ١ . نقله عنه بنصه .

(٩) انظر : تفسير البسيط عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥] .

١٣١. قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ الآية. قال أبو إسحاق^(١)؛ أي اتَّقُوا أن تُحِلُّوا ما حَرَّمَ الله، فَإِنَّ مَنْ أَحَلَّ شَيْئاً مِمَّا حَرَّمَ الله، فهو [كافر]^(٢) بإجماع.

وهذا معنى قول ابن عباس، قال^(٣): «يُهَدَّدُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ اسْتَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّبَا وَغَيْرِهِ، مِمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ فِيهِ النَّارَ، وَالتَّقْدِيرُ: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، أَنْ تَسْتَحَلُّوا الرِّبَا، فَتَسْتَحِقُّوهُا»^(٤).

وفي الآية تَقْوِيَةٌ لِرَجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، فَجَعَلَهَا مُعَدَّةً لِلْكَفَارِ، دُونَ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

١٣٢. قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: لَمَّا نَهَى عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، أَمَرَ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ فِي مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْهُ، مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَغَيْرِهِ.

وَذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَّارٍ، أَنَّهُ قَالَ^(٥): [فِي] هَذِهِ الْآيَةِ مَعَابَةٌ لِلَّذِينَ عَصَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ يَوْمَ أُحُدٍ.

(١) في معاني القرآن له ٤٦٨/١. نقله عنه بنصه.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) ومعاني القرآن.

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وقد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٩/١.

(٤) (ج): (فستحقوها).

(٥) قوله في سيرة ابن هشام ٦١/٣، ٦٢، وتفسير الطبري ٩١/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٦١/٣.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

١٣٣. قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قُرِئَ بالواو، وبغير الواو^(١). فَمَنْ^(٢) قرأ بالواو؛ فلأنه عَطَفَ الجملة على الجملة، والمعطوف عليها قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، ﴿وَسَارِعُوا﴾.

وَمَنْ تَرَكَ الواو؛ فلأن الجملة الثانية مُلْتَبَسَةٌ بالأولى^(٣)، مستغنية بالتباسبها عن عطفها بالواو^(٤).

وقد جاء الأمران في التنزيل، في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] الآية^(٥)، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]^(٦).

-
- (١) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: (سَارِعُوا) بغير الواو. وهي في مصاحف المدينة والشام. وقرأ باقي القراء: ﴿وَسَارِعُوا﴾ بإثبات الواو. وعليه مصاحف مكة والعراق.
- انظر: القراءات للأزهري ١/ ١٢٦، والحجة للفارسي ٣/ ٧٨، والبسيط لابن مهران ١٤٧، والنشر ١/ ٢٤٢، وكتاب المصاحف للسجستاني ٣٨.
- (٢) من قوله: (فمن...) إلى (...). فكذلك المكسورة مجلبة: نقله عن الحجة للفارسي ٣/ ٧٨. نقل بعض العبارات بالنص، وبعضها تصرّف فيها.
- (٣) وذلك لأن الضمائر فيها وفي التي قبلها متحدة، وكذلك المأمورين غير مختلفين. انظر: الكشف ١/ ٣٥٦.
- (٤) وهي كذلك مستأنفة. انظر: المرجع السابق، والتبيان ٢٠٨.
- (٥) وجه الدلالة فيها أن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ يجوز فيه من الناحية النحوية دخول واو العطف على ﴿رَّابِعُهُمْ﴾، وكذا دخولها على ﴿سَادِسُهُمْ﴾، كما يجوز حذفها من ﴿وَتَامِنُهُمْ﴾؛ لأن الضمير العائد يكفي عن الواو.
- انظر: إعراب مشكل القرآن ١/ ٤٣٩، والتبيان ٥٣٥.
- (٦) قال أبو علي في الحجة ٣/ ٧٨ بعد أن أورد هذه الآية: «فهذا على قياس قراءة نافع وابن عامر؛ فقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لم تحتج لعطف بالواو؛ لأنها حال من ﴿أَصْحَابُ﴾، فالجملة ملتبسة بما قبلها متحدة معها، فاستغنت عن العطف بالواو».

وَرُوي عن الكِسائي الإِمالة في ^(١) ﴿وَسَارِعُوا﴾ ، و﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] ، و﴿سَارِعٌ﴾ ^(٢) [المؤمنون: ٥٦] ، وذلك مُسْتَحْسَنٌ لِمَكَانِ الرَّاءِ المَكسورة ، فكما تمنع المفتوحة الإِمالة ، فكذلك المَكسورة تُجَلِّبُهَا ^(٣) .

وفي الكلام محذوف ، والمعنى على : وسارعوا إلى مُوجِبٍ ^(٤) مغفرةٍ مِنْ رَبِّكُمْ .

واختلفوا في ذلك الذي إذا سارع إليه فقد سارع إلى مغفرة ، فقال عطاء عن ابن عباس ^(٥) : يريد : لا تُصِرُّوا على الذنب . إذا أذنب أحدٌ فليُسرع الرجوع ، يغفر الله له .

وقال ابن عباس أيضاً ^(٦) : سارعوا إلى الإسلام . وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال ^(٧) : إلى أداء الفرائض . وعن أنس بن مالك ، قال ^(٨) : هو التكبيرة الأولى ^(٩) .

(١) (في) : ساقطة من (ج) .

(٢) والإِمالة هنا هي رواية أبي عمرو الدوري عن الكِسائي . ورواية غيره عن الكِسائي ترك الإِمالة . انظر : السبعة ٢١٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣١٩ .

(٣) انظر : الإقناع لابن الباذش ١ / ٢٧١-٢٧٧ ، والنشر ٢ / ٥٤ .

(٤) (في) : (لما موجب) .

(٥) لم أقف على مصدر قوله . وقال البغوي : «وروي عنه : إلى التوبة ، وبه قال عكرمة» . تفسيره ٢ / ١٠٤ .

(٦) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ١١٦ أ ، والبغوي ٢ / ١٠٤ ، وزاد المسير ١ / ٤٦٠ .

(٧) قوله في المصادر السابقة .

(٨) قوله في المصادر السابقة ، ومعاني القرآن للنحاس ١ / ٤٧٦ ، وتفسير البغوي ٢ / ١٠٤ .

(٩) وهناك أقوال أخرى ، منها :

— وسارعوا بالأعمال الصالحة . وهو قول أبي سعيد الخدري ، ومقاتل .

— وسارعوا إلى أداء الطاعة . وهو قول الكلبي .

— وسارعوا إلى الجهاد الأكبر . وهو قول الضحاك .

— وسارعوا إلى الإخلاص . وهو قول عثمان رضي الله عنه . وقيل غير ذلك .

انظر : تفسير مقاتل ١ / ٣٠١ ، وبحر العلوم ١ / ٢٩٨ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١١٦ أ .

ويلاحظ أن القول الأول ، وهو تفسيرها بالمسارعة بالأعمال الصالحة ، أو تفسيرها بالمسارعة =

وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾؛ أي عرضها عَرْضُ السَّمَوَاتِ والأرض، فحذف المضاف؛ كقوله: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١). يدل على هذا قوله في سورة الحديد: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

قال ابن عباس^(٢): تُقَرَّنُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبْعُ، كما يُقَرَّنُ^(٣) الثياب بعضها إلى بعض، فذلك عَرْضُ الجَنَّةِ.

قال أهل المعاني^(٤): إِنَّمَا خَصَّ الْعَرْضَ دُونَ الطُّولِ؛ لِأَن طُولَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَغْلَبِ أَكْثَرُ مِنْ عَرْضِهِ. يقول: هذه صفة عرضها، فكيف طولها؟ كما قال الزُّهْرِيُّ^(٥): إِنَّمَا وَصَفَ عَرْضَهَا، فَأَمَّا طُولُهَا فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وهكذا قوله: ﴿بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وَصَفَ^(٦) الْبَطَانَةَ وَتَرَكَ الظُّهْرَةَ؛ إِذْ مِنْ الْمَعْلُومِ^(٧) أَنَّهَا^(٨) أَحْسَنُ وَأَنْفَسُ مِنَ الْبَطَائِنِ.

بالطاعة، هو أعم الأقوال، وتدخل تحته كل الأعمال التي ذكرت في الأقوال الأخرى، حيث إنها مفردات للعمل الصالح، وطاعة الله تعالى، ومن أنواعه. فليس بينها تعارض، وإنما اختلاف تنوع. [لقمان: ٢٨] وبقيتها ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. (١)

والتقدير: ولا بعثكم إلا كبعث نفس واحدة. فحذف المضاف، وهو (بعث). (٢)

قوله في تفسير الطبري ٩١/٤، وتفسير القرطبي ٢٠٤/٤. (٣)

هكذا في (أ) و(ب): (يقرن). وفي (ج): غير منقوطة. وفي تفسير الطبري: (تقرن). (٤)

انظر: بحر العلوم ٢٩٨/١، وتفسير الثعلبي ١١٦/٣، وتفسير القرطبي ٢٠٩/٤، والعبارات التي ذكرها المؤلف متطابقة مع ما في تفسير الثعلبي، وهي من قوله: (إنما خص... إلى...) من البطائن). (٥)

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب. تقدمت ترجمته.

(٦) في (أ) و(ب): (وصفة). والمثبت من (ج) وتفسير الثعلبي وتفسير القرطبي.

(٧) في (أ): (العلوم). والمثبت من (ب) و(ج).

(٨) (أنها): ساقطة من (ب).

وقال عطاء عن ابن عباس ^(١) في قوله : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ، يريد : لِرَجُلٍ واحدٍ مِنْ أوليائه .

[و] ^(٢) قال جماعة من أهل المعاني ^(٣) : لم يُردِ العَرْضُ الذي هو ضد الطُولِ ، وإنما أراد بالعرض : السَّعَة . والعرب تقول : بلاد عَرِيضَةٌ ؛ أي واسعة . وفي الأرض العريضة مذهبٌ ^(٤) . [و] ^(٥) قال :

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةٌ حَابِلٌ ^(٦)
وإنما يقال للشيء الواسع : عَرِيضٌ ؛ لأن الشيء إذا عَرِضَ اتَّسَعَ ، وإذا لم يَعْرِضْ ، ضاقَ وَرَقٌ .

(١) لم أقف على مصدر قوله .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) قال ذلك ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١١١ . وقد نقله عنه المؤلف بتصرف مع اختصار قليل . وقد ورد بعض هذا القول في تفسير بحر العلوم ١/ ٢٩٨ ، ونقله عن ابن قتيبة ، وورد في غريب الحديث للخطابي ١/ ٧٠٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١١٦ ب .

(٤) في تفسير غريب القرآن ضبطها المحقق : (مذهب) من دون تنوين . وهذه العبارة أشبه لأن تكون مقطوعاً من بيت شعر ، ولكنني لم أقف عليه .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٦) البيت لم أهدت إلى قائله ، وقد ورد غير منسوب في تفسير غريب القرآن ١١١ ، والكامل للمبرّد ٣/ ١٣١ ، وغريب الحديث للخطابي ١/ ٧٠٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ١١٦ ب ، وزاد المسير ١/ ٤٦٠ ، وتفسير القرطبي ٤/ ٢٠٥ ، ولسان العرب (كفف) ٧/ ٣٩٠٤ ، والبحر المحيط ٣/ ٥٧ . وقد ورد في الكامل ، واللسان : (كأن فجاج الأرض . . .) .

والكفَّةُ - بكسر الكاف - كل شيء مستدير ، وهي هنا : حباله الصائند ، لاستدارتها ، أما إذا كانت مستطيلة فهي (كُفَّة) بضم الكاف ، وجمعها : (كُفَف) ، و(كَفَاف) . والحابل : الصائند الذي ينصب الحباله ، وهي المصيصة . انظر : الكامل ٣/ ١٣١ ، واللسان (كفف) ٧/ ٣٩٠٤ ، والقاموس (حبل) ٩٨١ .

قالوا^(١) : وتشبيهه عرض الجنة بعرض السموات والأرض على التمثيل لا على التحقيق ، معناه : عرضها كعرض السموات والأرض عند ظنكم ؛ لأنه لا شيء عندنا أعرض منها ، فهو كقوله : ﴿ خَلْدَيْتَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(٢) ، يعني : عند ظنكم ؛ لأنهما لا بُدَّ زائلتان . فلمَّا كَانَ قَوْلُهُ : ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ عندنا في عادة الاستعمال من ألفاظ التأيد ، خُوطِبْنَا عَلَى مَا نَعْرِفُ^(٣) ؛ كذلك في هذه الآية .

وُسئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ الْجَنَّةِ : أَفِي الْأَرْضِ أَمْ فِي السَّمَاءِ ؟ فَقَالَ : وَأَيُّ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ تَسَعُ الْجَنَّةُ ؟ قِيلَ : فَأَيْنَ هِيَ ؟ فَقَالَ : فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، تَحْتَ الْعَرْشِ^(٤)^(٥) .

١٣٤ . قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٦) :
يعني : فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ . كَأَنَّهُ يَرِيدُ : السَّرَّاءِ ؛ بِكَثْرَةِ الْمَالِ ، وَالضَّرَّاءِ ؛ بِقِلَّتِهِ .

- (١) مَنْ قَالَ ذَلِكَ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٦/٣ ب . وَيَبْدُو أَنَّ الْمُؤَلَّفَ نَقَلَ هَذَا الْقَوْلَ عَنْهُ بِتَصَرُّفٍ .
- (٢) سُورَةُ هُودَ : مِنْ آيَةِ ١٠٦ ، وَآيَةِ ١٠٨ . وَتَمَامُ الْآيَاتِ لِيَتَضَحَّ الْمَعْنَى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾^(١٧) خَلْدَيْتَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ^(١٨) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلْدَيْتَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاةٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ^(١٩) .
- (٣) هَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٧/١٢ . وَهَنَّاكَ قَوْلٌ آخَرُ ، وَهُوَ : أَنَّ الْمُرَادَ سَمَاوَاتِ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَأَرْضَهَا ، وَهِيَ دَائِمَةٌ بِدَوَامِ الدَّارِ الْآخِرَةِ ؛ حَيْثُ إِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَرْضٍ تَقْلَهُمْ وَسَمَاءٍ تُظَلِّلُهُمْ . وَقَدْ وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ : « لِكُلِّ جَنَّةٍ أَرْضٌ وَسَمَاءٌ » ، وَرَوَى نَحْوَهُ عَنِ السَّيِّدِيِّ وَالْحَسَنِ . انْظُرْ : الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ ٤٠١/٧ ، وَتَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ١٧٣/٢ ، وَتَفْسِيرُ أَبِي السَّعُودِ ٢٤١/٤ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٥٠٤/٢ ، وَفَتْحُ الْبَيَانِ ٤٠٣/٤ ، وَمَنْهَجُ صَدِيقِ حَسَنِ خَانَ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٢٦ ، ٥٢٧ .
- (٤) أَوْرَدَ قَوْلُهُ هَذَا بِنَصِّهِ الثَّعْلَبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ ١١٧/٣ أ ، وَابْنُ الْبُغَوِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠٤/٢ . وَلَمْ أَقِفْ عَلَى مُصَدِّرٍ آخَرَ لَهُ .
- (٥) انْظُرْ : حَوْلَ مَكَانِ الْجَنَّةِ رَوَايَاتٍ أُخْرَى بِمَا رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ ٦٥-٦٧ .
- (٦) قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٩٣/٤ ، وَتَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٧٦٢/٣ .

وهذه الآية من صفة الْمُتَّقِينَ الذين أُعِدَّتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ . وأول ما وصفهم الله -تعالى- به : الإنفاق في كل حال . وهو من أقسام السَّخَاءِ .

وقوله تعالى : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ ، يقال : كَظَمَ غَيْظَهُ : إذا سكت عليه ، ولم يُظْهِرْهُ بقول أو فعل^(١) .

قال المبرِّد^(٢) : تأويله : أنه كتمه على امتلائه منه . ويقال : كَظَمْتُ [السَّقَاءَ] : إذا ملأته^(٣) ، وَشَدَدْتُ عليه . ويقال : مَا يَكْظِمُ فَلَانٌ عَلَى جِرَّةٍ^(٤) : إذا كان لا يحتمل شيئاً .

قال أبو زيد^(٥) : وكل ما سددت^(٦) من مجرى ماءٍ أو طريق ؛ فهو كَظْمٌ . ويُدْعَى الذي تَسُدُّهُ^(٧) به : الكاظِمَةُ والسَّدَادَةُ .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٦٩/١ ، وتهذيب اللغة (كظم) ٣١٥١/٤ ، والزاهر ٣٤٤/٢ .

(٢) لم أقف على مصدر قوله .

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٤) في (أ) و(ب) و(ج) : (حره) . وما أثبت هو الصواب .

(الجرَّة) : هي ما يخرج البعير من كرشه ، وَيَجْتَرُهُ ؛ أي يردده في حلقه .

انظر : (جر) في تهذيب اللغة ٥٧٨/١ ، واللسان (جرر) ٥٩٤/١ .

وقولهم : (ما يكظم فلان على جرّة) ، مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَكْتُمُ سراً . ومثله : (ما يَحْنُقُ فلان على جرّة)

كما في النوادر لأبي زيد . وفي اللسان : (ما يَحْنُقُ . . .) . انظر : النوادر لأبي زيد ١٣٢ ، وجهرة الأمثال

للعسكري ٢٣٤/٢ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢٨٨/٣ ، واللسان ٥٩٤/١ .

(٥) لم أقف على مصدر قوله .

(٦) في (أ) و(ب) : (شددت) . والمثبت من (ج) ، ومن تفسير الفخر الرازي ٧/٩ ؛ حيث أورد هذا النص

بتأمله .

(٧) في (ج) : (تشده) .

وَفَلَانٌ كَظِيمٌ، وَمَكْظُومٌ: إِذَا كَانَ مَمْتَلَأًا^(١) حُزْنًا، تُمْسِكًا عَلَيْهِ. وَهُمَا فِي التَّنْزِيلِ^(٢).

ويقال للقناة^(٣) التي تجري في بطن الأرض: [كَظَامَةٌ]^(٤)؛ لامتلائها بالماء كامتلاء الْقِرْبَةِ المكظومة. ومنه الحديث: «كَيْفَ بَكَ إِذَا بُعِجَتْ مَكَّةُ كَظَائِمٍ»^(٥).

(١) في (ج): (ممكا).

(٢) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّبَضْتَّ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾. يوسف ٨٤. وقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾. [النحل: ٥٨]، [الزخرف: ١٧]. وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾. [القلم: ٤٨].

(٣) في (أ): (الفناة). والمثبت من (ب) و(ج) وكتب اللغة.

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء تماماً في (أ). والمثبت من (ب) و(ج) وكتب اللغة.

(٥) الأثر ورد في غريب الحديث لأبي عبيد ٢٦٩/١ (ط. السلفية)، وتهذيب اللغة (كظم) ٣١٥/٤، والفاائق للزخشي ٢٦٣/٣، والمجموع المغيث في غريب القرآن والحديث ٥٠/٣، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢٩١/٢، والنهاية في غريب الحديث ١٧٨/٤. ولم أقف عليه في غيرها من مصادر الحديث.

وكل المراجع السابقة أوردته غير مسند وصرحت بأنه حديث، إلا في المجموع المغيث، حيث قال: «ومنه قول عبدالله بن عمرو...». وفي الفائق، للزخشي، وغريب الحديث لأبي عبيد، أورداه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. وفي المجموع المغيث، والنهاية: عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. ولكن أشار محقق غريب الحديث لأبي عبيد، إلى أنه في نسخة أخرى للكتاب ورد: «ومنه حديث عبدالله بن عمرو». ثم ذكرت هذه النسخة السند، وهو: «حدثني هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو، قال...».

أقول: وهذا هو الصواب؛ لأن عطاء والد يعلى، وهو عطاء العامري الطائفي روى عن ابن عمرو بن العاص، وروى عنه ابنه يعلى، كما في تهذيب التهذيب ١١١/٣. ونصه عند أبي عبيد: «إذا رأيت مكة قد بُعِجَتْ كَظَائِمٌ، وسأوى بناؤها رؤوس الجبال، فاعلم أن الأمر قد أظلم لك، فخذ حذرك». غريب الحديث ١٦٩/١، وانظر: المصادر السابقة التي أوردت الأثر.

والكظائم، جمع كَظَامَةٌ، وهي آبارٌ تُحَفَّرُ، ويُباعَدُ ما بينها، ثم يُحَفَّرُ ما بين كلِّ بئرٍ بقناةٍ من تحت الأرض، تُوصَلُ المَاءُ من الأولى إلى التي تليها، حتى يجتمع الماء في أخراهن. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١٦٣/١، والمصادر السابقة التي أوردت الأثر.

ومنه يقال : أَخَذَ بِكَظْمِهِ : إذا أخذ بمجرى نَفْسِهِ ؛ لأنه موضع الامتلاء بالنَفْسِ . وَكَظَمَ الْبَعِيرُ وَالتَّاقَةَ ، كُظُومًا : إذا أَمْسَكَ على ما في جَوْفِهَا ولم يَجْتَرًا^(١) .

قال الراعي :

فَأَفْضَنَ^(٢) بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ مِنْ ذِي الْأَبَاطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا^(٣)

(١) انظر : المعاني السابقة لـ (كظم) في تهذيب اللغة ٣١٥١/٤ ، والمقاييس ١٨٤/٥ ، ١٨٥ ، واللسان ٣٨٨٦/٧ وما بعدها .

(٢) في (أ) و(ب) و(ج) : (فأفرضن) . والمثبت من مصادر البيت التالية .

(٣) البيت في ديوانه ٢٢٤ . وقد ورد منسوباً له في معاني القرآن للزجاج ٤٦٩/١ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٣٣ ، والزاهر ٣٤٤/٢ ، ومجالس العلماء ٣٩ ، و٨٠ ، وتهذيب اللغة (كظم) ٣١٥١/٤ ، والفهرست ٨٦ ، ومقاييس اللغة (برق) ٢٢٦/١ ، و(حقل) ٨٨/٢ ، و(فيض) ٤٦٥/٤ ، والمجمل (حقل) ٢٤٥ ، ومعجم ما استعجم ٤٦٠/٢ ، وأساس البلاغة (فيض) ٢٢٢/٢ ، والمحزر الوجيز ٣٢٦/٣ ، وإنباه الرواة ٣٢١/٢ ، ومعجم البلدان (حقيل) ٢٧٩/٢ ، وتفسير القرطبي ٢٠٦/٤ ، واللسان (فيض) ٣٥٠٠/٦ وما بعدها ، (حقل) ٩٤٧/٢ ، و(كظم) ٣٨٨٦/٧ وما بعدها .

وورد غير منسوب في جمهرة اللغة ٥٥٨ ، والصحاح (فيض) ١١٠٠/٣ .

وقد ورد في كل المصادر السابقة : (من ذي الأبارق) . وقال البكري : «ورواه أبو حاتم : (من ذي الأباطح) ، قال : وهو واد في بني عامر» . معجم ما استعجم ٤٦٠/٢ . وورد في جمهرة أشعار العرب : (أَوْ رَعَيْنَ . . .) .

ومعنى البيت ؛ أي دفعن بالجُرَّة من كروشنهن ، فاجترنهن بعد أن كُنَّ كُظُومًا لا يجترن . و(ذي الأبارق) - على الرواية الأخرى - موضع . ؛ أي أن هذه الجُرَّة التي اجترنهن أصلها مما رعيته من هذه الموضع .

و(حقيل) : موضع . وقيل : نبت . وقيل : جبل في (ذي الأبارق) .

انظر : الزاهر ٣٤٤/٢ ، واللسان (حقل) ٩٤٧/٢ ، و(كظم) ٣٨٨٦/٧ ، ومعجم البلدان (حقيل) ٢٧٩/٢ .

وَأَنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ الْإِبِلُ مِنَ الْفَرْعِ أَوْ الْجَهْدِ . قَالَ الْأَعَشَى ^(١) ووصف رجلاً
نَحَاراً لِلإِبِلِ ، وهي ^(٢) تَفْزَعُ مِنْهُ :

قَدْ تَكْظُمُ الْبُزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَجْوَافِهَا الْجِرْرُ ^(٣)
ومعنى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ : الكَافِّينَ غَضَبَهُمْ ^(٤) عن إِمضَائِهِ ، يَرُدُّونَ
غَيْظَهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ ، وَيَصْبِرُونَ فَلَا يُظْهِرُونَ ^(٥) . وهذا الوصف من أقسام الصبر
وَالْحِلْمِ ^(٦) .

(١) هو أعشى باهلة (عامر بن الحرث) ، وليس الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) .

(٢) في (ج) : (فهي) .

(٣) البيت ورد منسوباً له في الأصمعيات ٨٩ ، والكامل للمبرّد : ٦٥ / ٤ ، وجهرة أشعار العرب ٢٥٥ ،
وتفسير الثعلبي ١١٨ / ٣ ، وتفسير القرطبي ٢٠٦ / ٤ ، وخزانة الأدب ١٩٤ / ١ . وقد اختلفت
روايات البيت ، فقد ورد في بعض المصادر :

وتَفْزَعُ الشَّوْلُ مِنْهُ حِينَ تَبْصُرُهُ حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجِرْرُ

وورد : « وتَفْزَعُ الشَّوْلُ مِنْهُ حِينَ يَفْجُوها » ، وورد : « قد تكظم البرك منها حين يفجؤها » .

والبيت من قصيدة يرثي بها أخاه المنتشر بن وهب الباهلي . انظر : خبره في الكامل ٦٤ / ٤ ، ٦٥ .
و(البُزْل) : جمع : بازل . وهو من الإبل : الداخل في السنة التاسعة ، وفطر نابه . وتُجْمَعُ كذلك على :
(بُزْل) ، و(بوازل) . ومعناه : أن الإبل قد تعودت على أن يَعْقِرَ منها ، فإذا رآته كظمت على جِرتها فرعاً
منه .

و(البرك) : - على الرواية الأخرى - جمع برك . و(الشَّوْلُ) : جمع : شائلة ، وهي من الإبل : ما أتى
عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر ، فجف لبنها .

انظر : المصباح المنير (بز) ١٩ ، والقاموس (شول) ١٠٢١ .

(٤) في (ب) و(ج) : (غضبهم) .

(٥) قال ابن عطية : « و(الغَيْظُ) أصل الغضب ، وكثيراً ما يتلازمان ، ولذلك فسر بعض الناس الغيظ
بالغضب ، وليس تحرير الأمر كذلك ، بل الغيظ فعل النفس ، لا يظهر على الجوارح ، والغضب حال
بها معه ظهور في الجوارح ، وفعل ما ولا بُدَّ » .

المحرر الوجيز ٣ / ٣٢٧ ، وانظر : تفسير القرطبي ٤ / ٢٠٧ ، والبحر المحيط ٣ / ٥٨ .

(٦) قال الإمام ابن حيّان البُستي : « الحِلْمُ : اسم يقع على دَمِّ النفس عن الخروج ، عند الورود عليها ضد
ما تحب ، إلى ما يهي عنه » . روضة العقلاء ٢٥٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، قال ابن عباس^(١) : يريد : المُمَالِك ؛ إذا أذنب واحد منهم ذنباً ، عفوت عنه ؛ لما يرجو من ثواب الله .

وقال زيد بن أسلم^(٢) ، ومقاتل^(٣) : أي عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ ، وأساء إليهم .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، قال ابن عباس^(٤) : يريد : المُوَحِّدِينَ ، الذين هذه الخِصَال فيهم .

قال الثَّوْرِي في هذه الآية^(٥) : الإحسان : أن تُحَسِّنَ إلى مَنْ أساء إليك ؛ فَإِنَّ الإحسانَ إلى المحسنِ مُتَاجِرَةٌ^(٦) ، كَنَقْدِ الشُّوقِ : خَذْمِ مَيِّ وهات^(٧) .

(١) لم أقف على مصدر قوله . وقد ورد في تنوير المقباس ٥٦ ، وزاد المسير ٤٦١ / ١ . وبهذا قال الربيع ، والكلبي ، ومكحول ، وأبو العالية .

انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٧٦٣ / ٣ ، وبحر العلوم ٢٩٩ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١١٨ / ٣ ب ، وزاد المسير ٤٦١ / ١ .

وقد ورد عن ابن عباس حول هذه الآية قوله : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ؛ كقوله : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى ﴿أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور : ٢٢] ، يقول : «لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئاً واعفوا واصفحوا» . تفسير الطبري ٩٤ / ٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٦٣ / ٣ .

(٢) قوله في تفسير الثعلبي ١١٨ / ٣ ب ، والبغوي ١٠٥ / ٢ ، وزاد المسير ٤٦١ / ١ .

(٣) (ومقاتل) : ساقطة من (ج) . ولم أقف على مصدر قوله . وقد ورد في زاد المسير ٤٦١ / ١ ، وتفسير البغوي ١٠٥ / ٢ .

(٤) لم أقف على مصدر قوله .

(٥) قوله في تفسير الثعلبي ١١٩ / ٣ .

والثوري ، هو : أبو عبدالله ، سفيان بن سعيد بن مسروق . أمير المؤمنين في الحديث ، ولد في الكوفة سنة (٩٧هـ) ، ونشأ بها ، مشهور بالورع والعلم ، تُجْمَعُ على إمامته ، مات بالبصرة سنة (١٦١هـ) . انظر : تاريخ بغداد ١٥١ / ٩ ، ووفيات الأعيان ٣٨٦ / ٢ ، وتهذيب التهذيب ٥٦ / ٢ .

(٦) في (أ) و(ب) : (متأخره) . وفي (ج) : (مناخرة) . والمثبت من تفسير الثعلبي .

(٧) يعني - رحمه الله - : أن الإحسان إلى من أحسن إليك لا يُسَمَّى إحساناً ، بل يُعَدُّ من قبيل المكافأة ؛ لأنَّ ذلك بمثابة أن تعطي من سبق له أن أعطاك ؛ وترد الفضل له ؛ لما سبق أن أولاك من فضل . ويسميه الثوري - هنا - متاجرة ، لأنه كالمقايضة ، والأخذ والعطاء .

وَصَدَقَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -تعالى- عَقَبَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ بِالْكَظِيمِ وَالْعَفْوِ ، بِحُبِّهِ
المحسنين . وفي ذلك دليل على أن هَؤُلَاءِ محسنون ، والأوصاف التي وُصِفُوا بها ،
كُلُّهَا إِحْسَانٌ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ .

١٣٥ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ الآية . الظاهر أَنَّ هذا عطفٌ
على ﴿الْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، فيكون موضع (الذين) جَرًّا^(٢) . ويُحتمل أَنْ يكون
موضِعُهُ رُفْعاً على الاستئناف ؛ بعطف جملة على جملة . وهو قول أكثر
المفسرين .

قال ابن عباس في رواية عطاء^(٣) : نزلت الآية في نَبْهَانِ التَّارِ ؛ أخته امرأةٌ
حسنة ، تَبْتَاعُ منه تَمْرًا ، فَضَمَّهَا إِلَى نَفْسِهِ وَقَبَّلَهَا ، ثم ندمَ على ذلك ، فأتى النبي
ﷺ ، وَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ ، فنزلت هذه الآية^(٤) .

قال ابن حَبَّانَ : «وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من أحسن إلى المحسن وحلّمَ عمن لم يؤذِهِ ؛
فليس ذلك بحلّم ولا إحسان» . روضة العقلاء ٢٥٤ .

- (١) في (ج) : (المتقين) .
(٢) الجَرُّ ؛ على النعت لـ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ في الآية ١٣٣ ، وأو البدل منه أو البيان .
(٣) هذه الرواية في بحر العلوم ٣٠٠ / ١ ، ولم يعزها إلى ابن عباس . وأوردها الثعلبي في تفسيره ١١٩ / ٣ ب
قائلاً : «قال عطاء : نزلت هذه الآية في نَبْهَانِ التَّارِ ، وكنيته أبو مقبل» . وأوردها المؤلف في أسباب
النزول ١٢٧ ، وابن الجوزي في الزاد ٤٦١ / ١ .

- (٤) قال ابن حجر : ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس ، في قوله : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ . الآية ، قال : «هو نَبْهَانِ التَّارِ ، أخته امرأةٌ حسنة . . .» ثم ذكر نحو ما ذكر المؤلف ،
وأضاف ابن حجر : أَنَّ المرأةَ قالت له : «والله ما حفظت غيبة أخيك ، ولا نلت حاجتك ، فسقط في يده ،
فذهب إلى النبي ﷺ فأعلمه ، فقال له : إِيَّاكَ أَنْ تكون امرأةً غاز ! فذهب يبكي ثلاثة أيام يصوم النهار
ويقوم الليل ، فأُنزل الله في اليوم الرابع هذه الآية ، فأرسل إليه فأخبره ، فحمد الله وأثنى عليه وشكره ،
وقال : يا رسول الله ، هذه توبتي ، فكيف بأن يقبل شكري ؟ فَأُنزل الله عز وجل : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود : ١١٤] ، ثم قال ابن حجر بعده :

«وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره ، عن موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ،
عن عطاء ، عن ابن عباس مطوّلًا . ومقاتل متروك ، والضحاك ، لم يسمع من ابن عباس ، وعبد الغني

وقال ابن مسعود^(١) : قال المؤمنون للنبي ﷺ : كانت بنو إسرائيل أكرم على الله مِنَّا ؛ كان أحدهم إذا أذنب ذنباً ، أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة^(٢) في عتبه بابِه^(٣) : (اجدع أنفك) ، (افعل كذا) ، فأنزل الله هذه الآية ، ويين أنهم أكرم على الله منهم ؛ حيث جعل كفارة ذنوبهم الاستغفار .

= وموسى هالكان . وأورد هذه القصة الثعلبي ، والمهدوي ، ومكي ، والماوردي ، في تفاسيرهم بغير سند . الإصابة ٣ / ٥٥٠ .

وهذه القصة لم يذكرها مقاتل في تفسيره المطبوع ، ولا الماوردي في النكت والعيون خلاف ما ذكره ابن حجر .

وهناك سبب آخر ذكره العلماء لهذه الآية ، وهو أن رجلين ؛ أنصاريًا وثقفياً ، آخى بينهما رسول الله ﷺ ، فكانا لا يفترقان ، فخرج الثقفي مع رسول الله ﷺ ، في إحدى غزواته ، وخلف الأنصاري على أهله ، وحاجته ، فكان يتعاهد أهل الثقفي ، فرأى يوماً امرأة أخيه الثقفي بارزة ، فوقع في نفسه ، فرأودها عن نفسها فأبت ، وسرت وجهها منه بكفها ، فقبل كفها ، ثم خرج بعدها ، سائحاً في الجبال ، نادماً خائفاً من ذنبه ، إلى أن أتاه أخوه الثقفي فأخذ بيده إلى رسول الله ﷺ ، بعد أن علم بحاله ، فأنزل الله هذه الآية .

وقد ذكر هذا السبب مع اختلاف في التفاصيل : مقاتل في تفسيره ٣٠١ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ٣ / ١١٩ ب ، وعزاها للكلبي عن ابن عباس ، وابن الجوزي في الزاد ١ / ٤٦٢ وقال : «رواه أبو صالح عن ابن عباس» .

(١) قوله في تفسير الطبري ٩٦ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١١٩ أ ، والنكت والعيون ١ / ٤٢٤ . وسياق المؤلف للخبر قريب جداً من سياق الثعلبي له .

إلا أن لفظ الأثر هنا أقرب إلى لفظ الأثر الوارد عن عطاء بن أبي رباح ، الذي أخرجه الطبري في تفسيره ٩٦ / ٤ ، والمؤلف في أسباب النزول ١٢٨ ، وابن الجوزي في الزاد ١ / ٤٦٢ .

(٢) مكتوبة : ساقطة من (ج) .

(٣) في (أ) و(ب) : (بأنه) . وهي تصحيف . والمثبت من (ج) ومصادر الخبر .

وقوله تعالى : ﴿فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ يعني : الزَّنا هاهنا^(١) . وهي في اللغة : كلُّ قَبِيحَةٍ خَارِجَةٍ عَمَّا أَذِنَ اللَّهُ فِيهِ^(٢) . وذكرنا معنى (الفُحْش) و(الفحشاء) في ما تقدم .

و(الفاحشة هاهنا نعتٌ محذوفٌ ؛ التقدير : فعلوا فِعْلَةً فاحشةً)^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ، قال ابنُ عباس^(٤) ، ومقاتل^(٥) ، والكلبي^(٦) : هو ما دون الزَّنا ، مِنْ قُبْلَةٍ ، أَوْ لَمَسَةٍ ، أَوْ نَظَرٍ فِي مَا [لَا يَحِلُّ ؛ مثل الذي]^(٧) فَعَلَ نَبْهَانُ التَّمَارِ .

وقوله تعالى : ﴿ذَكِّرُوا اللَّهَ﴾ فيه وجهان ؛ أحدهما : أن المعنى : ذكروا وعيد الله ، فيكون من باب حَذَفِ المضاف .

والذِّكْرُ هاهنا يكون هو الذي ضد النسيان ، وهذا معنى قول الضحاك ، ومقاتل ، والواقدي . فَإِنَّ الضَّحَّاكَ قَالَ^(٨) : ذكروا العَرَضَ الأكبرَ على الله . ومقاتل والواقدي قال^(٩) : تَفَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَنْهُ .

(١) ومن قال ذلك جابر بن زيد ، والسدي ، ومقاتل بن حيان . انظر : تفسير الطبري ٤ / ٩٥ ، ٩٦ ، وابن أبي حاتم ٧٦٤ ، وزاد المسير ١ / ٤٦٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤ / ٩٥ ، والمقاييس (فحش) ٤ / ٤٧٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٤ / ٩٥ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١٢٠ أ .

(٤) لم أقف على مصدر قوله . وقد ورد في تنوير المقباس ٥٦ .

(٥) قول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٣٠٢ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١٢٠ أ ، وورد عن مقاتل بن حيان : «أصابوا ذنوباً» . تفسير ابن أبي حاتم ٣ / ٧٦٤ .

(٦) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ١٢٠ أ .

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٨) قوله في تفسير الثعلبي ٣ / ١٢٠ أ ، وزاد المسير ١ / ٤٦٣ ، والقرطبي ٤ / ٢١٠ .

(٩) قول مقاتل في تفسير الثعلبي ٣ / ١٢٠ أ ، وتفسير القرطبي ٤ / ٢١٠ .

وقول الواقدي في : تفسير ابن أبي حاتم ٣ / ٧٦٤ ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١٢٠ أ ، وزاد المسير ١ / ٤٦٣ ، وتفسير القرطبي ٤ / ٢١٠ .

الوجه الثاني : ذكروا الله بأن قالوا : اللَّهُمَّ اغفر ذنوبنا ، فَإِنَّا تُبْنَا إِلَيْكَ ، وَنَدِمْنَا . وهذا معنى قولِ مُقاتل بن حَيَّان^(١) . والذكر هاهنا ليس الأول .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، قال الفَرَاءُ^(٢) : هذا محمولٌ على المعنى ، تأويله : ما يَغْفِرُ الذنوبَ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ؛ فلذلك رفعت ما بعد (إِلَّا)^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ ، يقال : أَصَرَ^(٤) على الشيء : [إذا قام عليه]^(٥) ، ودام . ومن هذا يقال للعَزِيمَةِ^(٦) التي لا تُنْقَضُ : صَرِّي^(٧) .

(١) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٠أ ، وتفسير البغوي ٢/ ١٠٧ . وفي تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٦٤ عن مقاتل بن حيان : «ذكروا الله عن تلك الذنوب الفاحشة» . وليس فيه بيان نوع الذكر هنا . وفي تفسير القرطبي ٤/ ٢١٠ ذكره عن مقاتل ، ولم يبين أيِّ المُقاتِلَيْنِ ؛ ابن سليمان أو ابن حَيَّان .

(٢) في معاني القرآن له ١/ ٢٣٤ . نقله عنه بمعناه . انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٦٩ ، وتفسير الطبري ٩٧/ ٤ .

(٣) ونص قول الفراء ؛ ليتضح المعنى «يقال ما قبل (إِلَّا) معرفة ، وإنما يرفع ما بعد (إِلَّا) باتباعه ما قبله ، إذا كان نكرة ، ومعه جحد ؛ كقولك : ما عندي أحدٌ إِلَّا أبوك ، فإن معنى قوله : ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ : ما يغفر الذنوب أحدٌ إِلَّا اللهُ ، فجعل على المعنى» .

وقال أبو حيان عن رفع اسم الجلالة : «فهو على البدل من ﴿مَنْ﴾ ، أو من الضمير الفاعل في ﴿يَغْفِرُ﴾ العائد عليها ، وجاز هذا ؛ لأن في الكلام معنى نفى ؛ وتقديره : لا يغفر أحدٌ الذنوبَ إِلَّا اللهُ» . تذكره النحاة ٢٩٦ .

(٤) في (ب) : (صر) .

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٦) في (ج) : (العزيمة) .

(٧) يقال : (هذا منِّي صَرِّي ، وأصَرِّي ، وصَرِّي ، وأصَرِّي ، وصَرِّي) ؛ أي عزيمةٌ وجدٌ . وإنها مني لأصَرِّي) ؛ أي لحقيقة .

وهي مشتقة من (أصررت على الشيء) : إذا أقمت ودمت عليه . انظر : (صرر) في إصلاح المنطق ٣١٩ ، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٠٠٣ ، والمجمل ٥٣٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن ٤٨٢ ، والفرق بين الحروف الخمسة ٣٨٦ .

قال المفسرون^(١): معناه: لم يُقيموا، ولم يدوموا، [بل تابوا، وأقروا]^(٢)، واستغفروا. والذي يؤكد هذا القول^(٣): أنه تعقب^(٤) قوله: ﴿ذَكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾، فوصف الذَّاكِرَ بأنه غير مُصِرٍّ^(٥). ورُوي عن [النبي]^(٦) ﷺ أنه قال: «ما أَصْرَ مَنْ اسْتَغْفَرَ، وإنَّ عادَ في اليومَ سبعينَ مرَّةً»^(٧).

(١) ممن قال ذلك مجاهد، وقتادة، وابن إسحاق، ومقاتل، والزجاج، والطبري، وأبو الليث. انظر: تفسير مجاهد ١٣٦، وتفسير مقاتل ٣٠٢/١، والجزء الذي فيه تفسير القرآن ٧٨، وتفسير الطبري ٩٨، ٩٧/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٦٦/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٦٩، وبحر العلوم ٣٠٠/١.

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (تابوا وأنبأوا). والمثبت من (ج).

(٣) حيث إن هناك أقوالاً أخرى منها: لم يواقعوا الذنب إذا هموا به. قاله الحسن، ونُسب لمجاهد، وليس هو في تفسيره.

– وقيل: السكوت على المعصية، وترك الاستغفار منها. قاله السدي، وعطاء الخراساني. انظر: الجزء الذي فيه تفسير القرآن ١٠٢، وتفسير الطبري ٩٧/٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٦٦/٣، وتفسير الثعلبي ١٢٠/٣ ب، والنكت والعيون ٤٢٤/١.

(٤) في (ج): (يعقب).

(٥) انظر: توجيه هذا الترجيح في تفسير الطبري ٩٨/٤.

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ج).

(٧) الحديث من رواية أبي بكر الصديق أخرجه أبو داود في السنن: رقم (١٥١٤). في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، والترمذي في السنن رقم ٣٥٥٩. في كتاب الدعوات، باب ١٠٧. وقال: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نُصَيْرَة، ليس إسناده بالقوي».

وأخرجه أبو بكر المروزي في مسند أبي بكر ١٨٦ رقم ١٢١، و١٢٢، والشهاب القضاعي في مسنده ١٣/٢ رقم ٧٨٨، والطبري في تفسيره ٩٨/٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦٦/٣. والبيهقي في السنن ١٨٨/١٠، والبعوي في شرح السنة ٨٠/٥ (١٢٩٧)، وفي تفسيره ١٠٧/٢.

وأورده الغزالي في الإحياء ٣١٢/١. وذكر الحافظ العراقي في تحريج الإحياء نفس قول الترمذي السابق في الحديث، مما يدل على موافقة الحافظ العراقي للترمذي في تضعيف الحديث.

وأورده التبريزي في مشكاة المصابيح ٧٢٣/٢ رقم (٢٣٤٠)، وابن كثير في تفسيره ٤٣٩/١ وزاد نسبة إخرجه إلى أبي يعلى، والبزار.

وأورده السيوطي في الدر ١٣٩/٢ وزاد نسبة إخرجه إلى عبد بن حميد، والبيهقي في الشعب. وأورده في الجامع الكبير ١٩٦٣/١٥ رقم (١١١٧) وزاد نسبة إخرجه إلى ابن السني في عمل اليوم والليلة، =

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ، قال عطاء^(١) : يعلمون أَنَّ الله يُعَذِّبُ على الإِصرار .

وقال ابن عباس^(٢) ، والحسن^(٣) ، ومقاتل^(٤) ، والكلبي^(٥) : وهم يعلمون أَنَّ الذي أَتَوْهُ معصية .

وقال الحسين بن الفضل^(٦) : وهم يعلمون أَنَّ لهم رَبًّا يغفر الذنوب ، وكان هذا من قوله عليه السلام : «من أَذنب ذَنْبًا ، وَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يغفر الذنوب ، عُفِرَ له وإن لم يَسْتَغْفِر»^(٧) .

وأورده في الجامع الصغير ، انظر : فيض القدير ٥/ ٥٣٨ ورمز له بالضعف ، وكذا ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٥/ ٨٢ (٥٠٠٤) .

وفي سند الحديث : «... عثمان بن واقد ، عن أبي نصيره ، عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر ...» . قال العُمَاري : «وقال البَزَّار : لا نحفظه إلَّا من حديث أبي بكر بهذا الطريق ، وأبي نصيرة وشيخه لا يعرفان . انتهى . قلت : أما أبو نصيرة ، فمعروف ، اسمه مسلم بن عبيد . قال أبو طالب عن أحمد : ثقة . وقال ابن معين : صالح . وذكره ابن حَبَّان في الثقات ، وقال : الأزدي ضعيف . ومولى أبي بكر ، اسمها أبو رجاء ، ولم أَقف فيه على جرح ولا تعديل ، إلَّا قول البزار المتقدم : إنه مجهول . وقد قال الزيلعي : إن جهالته لا تضر ، إذ يكفيه نسبه إلى الصَّدِّيق . وعُشَّان بن واقد ، وثقه ابن معين ...» . فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب ٢/ ٥٤ ، ٥٥ .

وقال ابن كثير بعد أن ذكر نحو القول السابق : (فهو حديث حسن) . تفسيره ١/ ٤٣٩ .

(١) لم أَقف على مصدر قوله .

(٢) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٠ ب ، وتفسير البغوي ٢/ ١٠٧ . وورد في زاد المسير ١/ ٤٦٤ ، القرطبي

٤/ ٢١٢ ، وعنه وعن الحسن : (وهم يعلمون أن الإصرار يضر ، وأن تركه أولى من التبادي) .

(٣) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٠ ب ، والبغوي ٢/ ١٠٧ ، والقرطبي ٤/ ٢١٢ .

(٤) قوله في تفسيره ١/ ٣٠٢ ، وزاد المسير ١/ ٤٦٤ .

(٥) قوله في تفسير الكلبي ٣/ ١٢٠ ب ، والبغوي ٢/ ١٠٧ ، والقرطبي ٤/ ٢١٢ .

(٦) قوله في تفسير الثعلبي ٣/ ١٢١ أ ، والبغوي ٢/ ١٠٧ ، والقرطبي ٤/ ٢١٢ .

(٧) الحديث : لم أَقف على من أخرجه بهذا اللفظ ، وقد أورده الثعلبي في تفسيره : ٣/ ١٢١ أ . ولم يسنده .

وقد ورد حديث آخر بمعنى هذا الحديث نفسه ، ولفظه «من أَذنب ذَنْبًا ، فعلم أَنَّ الله قد أَطْلَعَ عليه ،

غفر له وإن لم يستغفر» . أورده الغزالي في إحياء علوم الدين ١/ ٣١٢ . قال الحافظ العراقي في تخريج =

١٣٦. قوله تعالى: ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾، مختصر المعنى^(١): وَنِعَمَ أَجْرُ العاملين؛ المَغْفِرَةُ. فَحُذِفَ؛ لدلالة ما قبله عليه.

١٣٧. قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾، أصل^(٢) (الْخُلُوءُ) في اللغة: الانفراد. والمكان الخالي^(٣): المنفرد عن الساكن. والخَلِيَّةُ من التُّوقِ: التي ذُبِحَ وَلَدُهَا، فَخَلَتْ عن الْوَلَدِ^(٤).

ويستعمل في الزمان والفُرُوق؛ بمعنى الْمُضِيِّ؛ لأن ما مضى انفراد عما يأتي بعده. فالأَيَّامُ الماضية: التي انفردت بِالْمُضِيِّ عن غيرها، كذلك الأُمَمُ الخالية^(٥).

أحاديث الإحياء» أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود، بسند ضعيف». وهناك حديث آخر قريب منه، من رواية أنس -رضي الله عنه-، ولفظه: «من أذنب ذنباً، فعلم أن له ربّاً إن شاء أن يغفر له غفر له، وإن شاء أن يعذّبه عذّبه، كان حقاً على الله أن يغفر له». أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٤٢/٤، وقال: «حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٨٢٦. وفي سنده عندهما جابر بن مرزوق المكي. قال الذهبي في تعليقه على تصحيح الحاكم له: «قلت: لا والله، ومن جابر؛ حتى يكون حُجَّة؟ بل هو نكرة، وحديثه مُنْكَرٌ».

(١) في (ب): (معناه).

(٢) (أصل): ساقطة من (ج).

(٣) في (ج): (الخال).

(٤) في كتاب العين (خلو): «والْخَلِيَّةُ: الناقة التي خلت من ولدها، ورَعَتْ وَلَدَ غيرها. ويقال: هي التي ليس معها ولد» ٣٠٨/٤. وذكر الأزهري أنها التي ينحر ولدها عمداً؛ ليدوم لبنها، فَتُسْتَدَرُّ بِخَوَارِ غيرها، أو التي يُجَرُّ وَلَدُهَا مِنْ تَحْتِهَا، وَيُجْعَلُ تَحْتَ أُخْرَى، وتُحْلَى هي للحلب. انظر: التهذيب (خلو) ١/١٠٧٤.

انظر: المعاني السابقة لـ (خلو) في المصدر السابق ١/١٠٧٤، والمقاييس ٢/٢٠٤.

(٥) انظر: (خلو) في التهذيب ١/١٠٧٤، ومفردات ألفاظ القرآن ٢٩٧.

وَالسُّنَنُ : جمعُ سُنَّةٍ ^(١) . وَالسُّنَّةُ ^(٢) : الطريقة المستقيمة ^(٣) . ويقال للخط الأسود على مَثْنِ الحِجَارِ : سُنَّةٌ .

وَسَنَّ اللَّهُ سُنَّةً ؛ أي بَيَّنَّ طريقاً قوياً . ويقال : هذه سُنَّةٌ ؛ أي أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَحُكْمُهُ . وَسُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ : طريقته .

وَالسُّنَّةُ ^(٤) : المِثَالُ الْمُتَّبَعُ ، والإمام المؤتمُّ به . يقال : سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً ، و[سَنَّ] ^(٥) سُنَّةً سَيِّئَةً : إذا عمل عملاً اقْتَدِيَ به ^(٦) ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

قال لبيد :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ^(٧) وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا ^(٨)

(١) انظر : تفسير الطبري ٩٩/٤ .

(٢) من قوله : (والسنة ...) إلى (... قوياً) : نقله بنصه عن تهذيب اللغة (سنن) ١٧٨٠/٢ . انظر : الزاهر ٣٥٢/٢ ، واللسان (سنن) ٢١٢٥/٤ .

(٣) قال ابن الأنباري في الزاهر ٣٥٢/٢ : «وهي مأخوذة من (السَّنَن)، وهو الطريق . يقال : (خذ على سَنَنِ الطريق، وسُنَّتَه، وسُنَّتُهُ) ؛ أي وسطه وجادته» . وقال : «ثم تستعمل السنن في كل شيء يراد به القصد» .

(٤) من قوله : (والسنة ...) على نهاية بيت الشعر (... وإمامها) : نقله بتصريف يسير عن تفسير الطبري ١٠٠/٤ .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) ، وتفسير الطبري ١٠٠/٤ .

(٦) في تفسير الطبري : (أتبع عليه) .

(٧) في (أ) : (آبائهم) ، وفي (ب) : (آبائهم) . والمثبت من (ج) ومن مصادر البيت .

(٨) البيت في ديوانه ٣٢٠ ، وورد منسوباً له في تفسير الطبري ١٠٠/٤ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ ، والزاهر ٣٥٢/٢ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٩٣ ، وتهذيب اللغة ٢٠٦/١ ، وتفسير الثعلبي ١٢١/٣ ب ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٢٥١ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٧٣ ، واللسان (أمم) ١٣٤/١ ، والدر المصون ٣٩٩/٣ .

والبيت من معلقته . وقد تقدم هذا البيت أبياتٌ يذكر فيها قومه ، ويذكر أنَّ من قومه مَنْ لهم فضائل متعددة ، ومكارم وجلال من الأعمال متنوعة . وفي هذا البيت يقول : إن هؤلاء الذين ذكرتهم ، وأشرت إليهم ، هم من معشر فيهم هذه العادات والفضائل سنة قديمة متبعة ، سنّها لهم آبائهم فتوارثوا عنهم ، ولكل قوم سنة ، وإمامها ؛ أي مثالٌ يُحتَذَى ويُسَارُّ على طريقته .

واختلفوا في اشتقاق (السُّنَّة) :

فقال بعضهم : هي (فُعْلَةٌ) ، من : (سَنَّ الماء ، يَسْنُهُ) : إذا وإلى صَبَّه . والسَّنُّ : صَبُّ الماء ، والعَرَق ، وغيره ^(١) . قال زهير :

تُعَوِّدُهَا الطَّرَادُ ^(٢) فَكَلَّ ^(٣) يَوْمٍ يُسَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا قُرُونُ ^(٤)
أَيُّ يُصَبُّ عَلَيْهَا دُفْعٌ ^(٥) مِنَ الْعَرَقِ ، يريد : أنهم يُضَمَّرُونَها .

(١) قال ابن السكيت : «وكل صَبَّ سهل ، فهو : سَنَّ» . إصلاح المنطق ٣٧٨ . انظر : هذا المعنى في ما اتفق لفظه واختلف معناه لليزيدي ٢٧٠ ، وتهذيب اللغة (سنن) ١٧٧٧/٢ ، وغريب الحديث للخطابي ١/٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ومجالس ثعلب ٢/٣٥٢ ، والصحاح (سنن) ٢١٤١ ، والمقاييس ٣/٦٠ ، واللسان (سنن) ٤/٢١٢٦ .

(٢) في (ب) : (مطرد) .

(٣) في (ج) : (وكل) .

(٤) البيت في شرح ديوانه ١٨٧ ، وورد منسوباً له في تهذيب اللغة (سنن) ٢/١٧٨٠ ، ومقاييس اللغة (قرن) ٥/٧٧ ، والدر المصون ٣/٤٤٠ ، واللسان (صوح) ٤/٢٥٢٢ ، و(سنن) ٤/٢١٢٥ ، و(قرن) ٦/٣٦٠٩ .

ورد في المصادر السابقة كلها : (نُعَوِّدُهَا) بالنون . وورد الشطر الأول في الديوان ، واللسان (قرن) ٦/٣٦٠٩ : (تُضَمَّرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ . . .) . وورد في الديوان واللسان : (تُسَنَّ) بالتاء .

الطَّرَادُ : هو عَدُوُّ الْخَيْلِ ، وتتابعها . انظر : اللسان (طرد) ٥/٢٦٥٣ .

السَّنَابِكُ : جمع : سُنْبُك ، وهو طرف الحافر في الفرس . انظر : كتاب الفرق لابن فارس ٦٣ ، والقاموس ٩٤٤ .

والقُرُونُ : جمع : قُرْن ، وهو الدُّفْعَةُ مِنَ الْعَرَقِ . وقال أبو عمرو الشيباني : «القرن : العرق» . كتاب الجيم له ٧٠ . انظر : اللسان (قرن) ٦/٣٦٠٩ .

(٥) في (أ) و(ب) و(ج) : رسمت الدال فيها قريباً من الراء . والمثبت من كتب اللغة ، وهو الصواب . والدُّفْعُ : جمع : دُفْعَةٌ ، وهي الدُّفْعَةُ المنصبة بمرة . انظر : القاموس (دفع) ٧١٥ .

شُبِّهَ فِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ ، الذي كان يأتيه مرَّةً بعد أخرى ، بالماءِ المسْنُونِ ؛ وهو ^(١) المصبوب صَبًّا مُتَوَالِيًّا . فهي (فُعْلَةٌ) بمعنى : (مفعول) ، كالغرفة ^(٢) من الماء وأشباهاها . فَمَا رَسَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (سُنَّةٌ) ، و(مسنون) .

ويجوز أن يكون من قولهم : (سَنَنْتُ النَّصْلَ وَالسَّانَ ، أَسُنُّهُ سَنًّا) ، فهو (مَسْنُونٌ) : إذا أَخَذَتْهُ عَلَى الْمِسْنِ ^(٣) . فالفعل ^(٤) الذي كان تهذيئه منسوباً إليه ، سُمِّيَ (سُنَّةً) ؛ على معنى أنه (مَسْنُونٌ) .

ويجوز أن يكون من قولهم : (سَنَّ الْإِبِلَ) : إذا أَحْسَنَ رِغِيَّتَهَا ^(٥) . فالفعل الذي كان النبي -ﷺ- يتولَّى رِعايَتَهُ وإِدَامَتَهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ سُمِّيَ : (سُنَّةً وَمَسْنُونًا) ؛ ذَهَاباً إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّرُ عَلَيْهَا بِإِقَامَةِ شَرْوِطِهَا ، تَوَقَّرَ الرَّاعِي عَلَى الْإِبِلِ بِإِحْسَانِ رِغِيَّتِهَا . هذا كلامُ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي (السُّنَّةِ) .

فأما معنى الآية وتفسيرها ، فقال أكثر المفسرين ^(٦) :

- (١) في (أ) و(ب) : (وهي) ، والمثبت من (ج) . وهو الصواب ؛ لأن الضمير يعود على الماء المسنون .
- (٢) في (أ) : قد تُقرأ : (الغُرْفَةُ) لقرب رسم الفتحة كالضمة . وفي (ب) و(ج) : مهملة من الشكل . وما أثبتته هو الصواب ؛ لأن (الغُرْفَةُ) لا دليل فيها على ما أراد المؤلف .
- أما (الغُرْفَةُ) فهي من (عَرَفَ الْمَاءَ يَغْرِفُهُ ، وَيَغْرِفُهُ) . و(اغْتَرَفَهُ) : أخذه بيده . واسم المرأة منه : (عَرَفَةٌ) . و(الغُرْفَةُ) -بكسر الغين- : هيئة الغَرْفِ . و(الغُرْفَةُ) - بضم الغين - بمعنى : المغروف . وهي المراد بالتمثيل هنا . انظر : القاموس (غرف) ٨٤١ .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة (سنن) ١٧٧٦ / ٢ ، واللسان (سنن) ٢١٢٣ / ٤ .
- (٤) في (ج) : (والفعل) .
- (٥) قال ابن السكيت : «ويقال : (سَنَّ الْإِبِلَ) ، يُسْنُهَا ، سَنًّا) : إذا أَحْسَنَ رِغِيَّتَهَا ، حَتَّى كَأَنَّهُ صَقَلَهَا» . إصلاح المنطق ٥٤ . انظر : تهذيب اللغة (سنن) ١٧٧٧ / ٢ ، والصحاح (سنن) ٢١٣٩ ، واللسان (سنن) ٢١٢٣ / ٤ .
- (٦) انظر : تفسير مقاتل ٣٠٣ / ١ ، وتفسير الطبري ٩٩ / ٤ ، و١٠٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧٦٨ / ٣ ، وبحر العلوم ٣٠٠ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٢١ / ٣ .

معنى الآية : قد مضت مَنِّي في من ^(١) [قد] ^(٢) كان قبلكم ، من الأمم الماضية المكذبة الكافرة سُنُنٌ ؛ بامهالي واستدراجي إيَّاهم ، حتَّى يبلغ الكتابُ فيهم أَجَلِي الذي أَجلته ، في إهلاكهم واستئصالهم ، وبَقِيَتْ لهم آثارٌ في الدنيا ، فيها ^(٣) أعظمُ الاتِّعَاطِ والاعتبار ، فَسِيرُوا في الأرض فانظروا كيف كان [آخِرُ أَمْرِ] ^(٤) المكذِّبين منهم .

والمعنى : أنكم إذا سِرْتُمْ في أسفاركم ، عرفتم أخبارَ قومِ أَهْلَكُوا ؛ بتكذيبهم ، ورأيتهم مصارعهم ، وما بقي بعدهم من آثارِ مساكنهم التي [خربت] ^(٥) ، فاعتبرتم ، وكنتم على حَذَرٍ بما تَسْرُونَ ^(٦) في غيركم من المثلثات ^(٧) التي نزلت بهم على قبيحِ فِعْلِهِمْ . وهذا في يومِ أُحُد ، يقول الله : فأنا أمهلهم ^(٨) [حتى يبلغ أَجَلِي الذي] ^(٩) أَجَلْتُ في نُصْرَةِ النبي وأوليائه ، وهلاكِ أعدائه .

ف(السُّنُنُ) على هذا ، جمع (سُنَّة) ، وهي سُنَّةُ الله - عز وجل - في [إهلاكِ الأُمَمِ الضَّالَّةِ] ^(١٠) . وهذا تفسير الآية من غير إضمار .

(١) في (ج) : (في من) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٣) في (ج) : (فهم) .

(٤) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) : (احزاً من) . والمثبت من (ج) .

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٦) في (أ) : (يرون) ، والمثبت من (ب) و(ج) .

(٧) المثلثات ، والمثلثات : جمع ؛ مثله ؛ وهي النعمة والعقوبة التي تنزل بالإنسان ، فيجعل مثلاً يرتدع به غيره .

انظر : مفردات ألفاظ القرآن (مثل) ٧٦٠ ، وتذكرة الأريب لابن الجوزي ٢٧١ / ١ ، وتحفة الأريب لأبي حيان ٢٨٤ .

(٨) في (ج) : (مهلكهم) .

(٩) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(١٠) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

وقال^(١) ابن عباس في رواية عطاء^(٢) : قد خلت سُنَنُ مِنْ قَبْلِكُمْ ، يريد : شرائعُ .

قال ابن الأنباري^(٣) : يعني : شرائع مذمومة ؛ لأن باقي الآية يدل على ذمها ، وأنَّ الْمُعَاقِبِينَ بالتكذيب كانوا مُسْتَعْمِلِينَ لها ، وجارين^(٤) على منهاجها ، فأقام المذكور في آخر الآية ، مقام النَّعْتِ لها .

وتلخيص الآية : قد خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ طَرَائِقُ سَلَكِهَا^(٥) قَوْمٌ ، فَأَهْلَكُوا بِمَعَاصِيهِمْ وَخِلَافِهِمْ على أنبيائهم .

وقال أبو إسحاق^(٦) : معنى الآية : قد خَلَّتْ [مِنْ قَبْلِكُمْ]^(٧) أَهْلُ سُنَنِ ، وأصحاب سُنَنِ فِي الشَّرِّ ، [فحذف المضاف]^(٨) ، ولم يذكر (في الشر)^(٩) ؛ لأنَّ في الآية دليلاً عليه ، فهو^(١٠) إهلاك من اتَّبَعَهَا .

(١) في (ج) : (قال) ، من دون واو .

(٢) أورد هذا القول الثعلبي في تفسيره ٣/ ١٢١ ب ، وعزاه لعطاء من دون ابن عباس . وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤٦٥ .

(٣) لم أقف على مصدر قوله .

(٤) في (أ) : (وجازين) . وفي (ب) : (وجازين) . والمثبت من (ج) .

(٥) في (ب) : (سنها) .

(٦) في معاني القرآن له ١/ ٤٧٠ . نقله عنه بمعناه .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) . والمثبت من (ب) و(ج) .

(٩) في معاني القرآن : «وقول الناس : فلان على السنة ؛ معناه : على الطريقة ، ولم يحتاجوا أن يقولوا على السنة المستقيمة ؛ لأن في الكلام دليلاً على ذلك» .

(١٠) في (ج) : (وهو) .

و(العاقبة): آخر الأمر^(١). يقال: (عَقَبَهُ، يَعْقُبُهُ، عَقْبًا، وَعُقُوبًا)، وعاقبَهُ: إذا^(٢) جاء بعده^(٣). فالعاقب^(٤): الذي يَخْلُفَ مَنْ كان قَبْلَهُ^(٥).

ومنه قيل للنبي ﷺ: (العاقب)^(٦).

١٣٨. قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾؛ أي هذا القرآن. عن أكثر المفسرين^(٧).

(١) انظر: القاموس (عقب): ١١٦، ١١٧.

(٢) في (ج): (وإذا).

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١/١٤٧، واللسان (عقب) ٣٠٢٢/٥.

(٤) في (ب): (كالعاقب). وفي (ج): (والعاقب).

(٥) العاقب: الآخر، والذي هو دون السيد، وقيل: الذي يخلفه، وقيل: الذي يخلف من كان قبله في الخير، وهو كذلك: العُقُوب.

انظر: (عقب) في اللسان ٣٠٢٢/٥، والقاموس ١١٦.

(٦) ورد ذلك في الحديث الذي رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إن لي أساءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب».

أخرجه البخاري في الصحيح ٣٥٣٢. في كتاب التفسير. سورة الصف ٦١.

ومسلم في الصحيح رقم ٢٣٥٤ في كتاب الفضائل، باب في أسماؤه ﷺ، وفيه: «وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»، وفي لفظ: «ليس بعده نبي».

وأخرجه الترمذي في السنن ٢٨٤٠ في كتاب الأدب، باب ما جاء في أساء النبي ﷺ. والدارمي في السنن ٢٨١٧. وأحمد في المسند ٨١/٤، و٨٤. انظر: الفتح الرباني ٢/١٨٧، ١٨٨.

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٤٦/١٠ رقم ١٦٩٥٧ وفيه: «قال معمر: قلت للزهري: وما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي».

وأخرجه مالك في الموطأ. انظر: تنوير الحوالك ٣/١٦٢، ١٦٣. وقال السيوطي عن عبارة «والعاقب: الذي ليس بعده نبي»: (وهو مدرج من تفسير الزهري). تنوير الحوالك ٣/١٦٣.

(٧) ممن قال بذلك الحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل.

انظر: تفسير مقاتل ٣٠٣/١، وتفسير الطبري ١٠١/٤، وزاد المسير ٤٦٥/١.

وقال ابن إسحاق^(١) : ﴿هَذَا﴾ ، أي ما ذَكَرْتُ ؛ يعني قوله : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران : ١٣٧] ؛ أي هذا^(٢) الذي^(٣) عَرَفْتُمْكُمْ ، بيانٌ للناس . قال ابن عباس^(٥) : يريد : لجميع الخلق .

﴿وَهْدَى﴾ ، ذَكَرَهُ بعد ذِكْرِ الْبَيَانِ ؛ لِأَنَّ الْبَيَانَ : ظُهُورُ الْمَعْنَى لِلنَّفْسِ^(٦) ، كائناً ما كان^(٧) . والهُدَى : بَيَانٌ لَطَرِيقِ الرُّشْدِ ؛ لِيُسْلِكَ دُونَ^(٨) طَرِيقِ الْغَيِّ^(٩) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عَمَّ فِي أَوَّلِ^(١٠) الْآيَةِ عند ذِكْرِ الْبَيَانِ ؛ لِيُذَلَّ [على]^(١١) أَنَّ الْخِطَابَ فِي التَّكْلِيفِ شَامِلٌ لِّلْمُشْرِكِ وَالْمُسْلِمِ . وَخَصَّ بالهدى ؛ لأنه يهدي بالقرآن مَنْ يشاء مِنْ عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ .

* * *

-
- (١) في (أ) : (أبي) ، وفي (ب) و(ج) : (أبو) . والصواب ما أثبتته .
 (٢) قوله في تفسير الطبري ١٠١ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١٢١ / ٣ ب ، وزاد المسير ٤٦٥ / ١ .
 (٣) في (ج) : (هذا القرآن) . ولفظه (القرآن) هنا مقحمة .
 (٤) (الذي) : ساقطة من (ج) .
 (٥) لم أقف على مصدر قوله .
 (٦) في (ب) : (لليقين) .
 (٧) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف ١٤٩ .
 (٨) في (ب) : (بعد) .
 (٩) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٢ / ٢ ، و ١٣ / ٩ ، وتفسير الخازن ٣٥٥ / ١ ، وغرائب القرآن للنيسابوري ٧٢ / ٤ .
 (١٠) في (أ) و(ب) : (تأويل) . والمثبت من (ج) .
 (١١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) .